منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب و العلوم الإنسانية

تاريخ الإغريق

الدكتور
خليل سارة
أستاذ في قسم التاريخ

جامعة دمشق

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

تاريخ الإغريق

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب و العلوم الإنسانية

تاريخ الإغريق

الدكتور
خليل سارة
أستاذ في قسم التاريخ

جامعة دمشق
١٤٢٧- ١٤٢٨ هـ
٢٠٠٦- ٢٠٠٧ م

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الباب الأول	
التاريخ الحضاري والباكر للإغريق	١٣
الفصل الأول : الإطار الحضاري لتاريخ الإغريق	١٥
الفصل الثاني: جغرافية بلاد الإغريق	٤٣
الفصل الثالث: مصادر تاريخ الإغريق	٦٣
الفصل الرابع: تاريخ الإغريق الباكر (١) الحضارة الإيجية	١٤٧
الفصل الخامس: تاريخ الإغريق الباكر (٢) الحضارة الميكينية	١٧٣

الفصل السادس: الحرب الطروادية بين ميكيناي وطروادة ١٩١

الفصل السابع: أصل الإغريق وأحوالهم وهجراتهم ٢٢٩

الفصل الثامن: الديانة الإغريقية ٢٥٥

الباب الثاني

ظهور دول المدن الإغريقية ونظمها السياسية ٣٠٧

الفصل التاسع: ظهور دولة المدينة الإغريقية ٣٠٩

الفصل العاشر: الانتشار الإغريقي (دوافعه ـ مظاهره ـ نتائجه). ٣٢٥

الفصل الحادي عشر: دولة إسبارطة والنظام الأرستقراطي ٣٣٩

الفصل الثاني عشر: أثينة ونشأة النظام الديمقراطي. ٣٧٩

الفصل الثالث عشر: الحروب الفارسية ـ الإغريقية (٤٩٠ ـ ٤٧٨ ق.م). ٤٥٥

الفصـــل الرابـــع عشـــر: تأسيس الإمبراطورية الأثينية ٤٦٩

الفصـــل الخامس عشـــر: أثينـــة في عصـــــر بريكلـــــــس ٤٩٣

ثبت بأهم الأحداث التاريخية الواردة حسب ترتيب تاريخها الزمني ٥٩٣

ثبت المصادر والمراجع ٥٩٧

مصطلحات علمية إغريقية ٦٠٥

ملحق الصور والخرائط ٦١١

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

تقديـــــــم

لا تدعي هذه الدراسة أكثر من العنوان الذي ظهرت به كمقدمة في التـــاريخ الحضاري للمجتمع الإغريقي ، وهي بهذا الوصف لم تُكتب — غالباً — في كثير مـــن أجزائها للباحث المتخصص في تاريخ هذا المجتمع وحضارته على الرغم من التعـــديل الثاني للكتاب موضوع البحث ، لأن ذلك يتعسّر بين دفتي كتاب جامعي (مقـــرر)، وإنما تشكل هذه الدراسة ثقافة عامة للقارئ العام والطالب الجامعي ، وإن تعمقـــت في بعض الأحداث بدقائقها وتفصيلاتها العلمية المتخصصة بشـــكل يختلـــف عـــن الأصول الأولى للكتاب. وكان الهدف من ذلك هو إعادة هيكلية الكتاب المقـــرر لأجل إبراز أهم مظاهر وخصائص حضارة عالمية راقية لم تكن تتـــوافر في الكتـــاب السابق سواء في أصولها أو حضارتها أو انتشارها وعلاقاتها مـــع حضـــارات العـــالم القديم، واستمرار حضارات العالم اللاحق تنهل من أصولها فترة طويلة من الزمن .

يتناول هذا الكتاب تاريخ بلاد الإغريق الأصـــلية (*القاريـــة*) والمســـتعمرات الإغريقية المنتشرة في جميع أصقاع سواحل البحار بدءاً من البحر الأســـود ، وبحـــر مرمرة، وبحر إيجة ، وانتهاء بالبحر الأبيض المتوسط في مضـــيق جبـــل طـــارق. إذ تعرّضنا بإسهاب شديد لموقع ومكانة هذه المستعمرات في حوض البحـــر الأبـــيض المتوسط نظراً لأهميتها الكبيرة في علاقاتها مـــع الحضـــارات الشـــرقية (*كالمصـــرية والسورية والبابلية والحثية والفارسية*) باعتبار أن المجتمع الإغريقي أو اليونـــاني لم يكن مجتمعاً مغلقاً تنحصر قيمته الحضارية في المنطقة التي قام بها ، (*أي بلاد الاغريق القارية*)، وإنما كان هذا المجتمع منفتحاً على غيره من المجتمعـــات الـــتي ســـبقته إلى ازدهار النشاط الحضاري والتي ظهرت في منطقة الشـــرق الأدنى القـــديم في مصـــر وسورية وبلاد ما بين النهرين وفي منطقة آسية الصـــغرى ، إذ تـــأثرت الحضـــارة

الإغريقية بالحضارات السابقة لها، وذلك بسبب التداخل الكبير بين هذه الحضارات وبين الحضارة الإغريقية ، وهو تداخل شغل عدة عصور منذ عدة آلاف من السنين كانت فيه جوانب الأخذ والعطاء، والتأثر والتأثير، وهما الجانبان اللذان تتكوّن منهما أي شخصية حضارية، ومن خلال ذلك استطعنا أن نبين أهمية ومكانة التراث الإغريقي في كل من الحضارتين العربية الإسلامية والأوروبية الحديثة .

ونستعرض في هذا الكتاب العوامل الجغرافية التي كانت تشكل البيئة المكانية أو الظروف المادية التي وجد فيها هذا المجتمع ، فالوضع الجغرافي ترك بصمات واضحة على مسار تاريخ وخصائص الحضارة الإغريقية . ومصادر تاريخ هذه الحضارة سواء من المخلفات الأثرية أو المصادر الكتابية المباشرة أو غير المباشرة ، لأنها تشكل البناء المتين والقاعدة الأساسية لدراسة هذا المجتمع في جميع جوانبه، إذ تعرّضنا لأبرز ملامح حضارتين رئيسيتين ظهرتا في التاريخ الباكر لبلاد الإغريق ، ونقصد هاتين الحضارتين (*الحضارة الإيجية*) و (*الحضارة الميكينية*) التي دارت بينها وبين طروادة رحى حرب عظيمة دامت عشر سنوات . إذ شكلت هاتان الحضارتان النواة الأولى لظهور بلاد الإغريق ، إلى جانب الأساطير الأدبية التي تتحدث عن أصل الإغريق وأحوالهم وهجراتهم والقبائل التي تفرعوا عنها ، وتناولنا عقائدهم الروحية والدينية منذ بداية ظهورهم في العصر الباكر ومدى تطور هذه العقائد والمبادئ الحديثة التي طرأت عليها حتى القرن الخامس ق.م (*وهو العصر الذهبي لبلاد الإغريق*)، ثم المراحل السياسية التي طرأت على ظهور دولة المدينة الإغريقية كمرحلة الظهور ، ومرحلة التكوين ، ومرحلة التطور مستعرضين أهم الأنظمة السياسية التي مرّت بها دويلة المدينة الإغريقية *كالنظام الملكي، والأرستقراطي، والأوليجاركي (حكم الأقلية) ، والطغاة ، والديمقراطي*، آخذين بعين الاعتبار أهم مدينتين كبيرتين في بلاد الإغريق ذات أنظمة مختلفة ومتعارضة،

مشيرين إلى دور كل منهما في تاريخ بلاد الإغريق ***كدولة إسبارطة*** التي أخذت بالنظام الأرستقراطي المحافظ ، ***ودولة أثينة*** ذات النظام الديمقراطي المتجدد ، إذ توسعنا بإسهاب في دراسة تطور النظام الديمقراطي في أثينة ، والمراحل التي مر بها وتم تبلورها منذ تأسيسها على يد كبار رجالات السياسة والدولة وزعماء الديمقراطية أمثال ***صولون وكليستنيس***، حتى نهاية ذروتها ممثلة بالزعيم الديمقراطي الشهير (***بريكليس***) في القرن الخامس ق.م، الذي عمّق من دورها ورفع من شأنها إلى مرتبة الإمبراطورية الأثينية التي سيطرت فيها أثينة على كافة حلفائها في ***الحلف الديلوسي*** الإمبراطوري الذي كان له دورٌ كبيرٌ وعظيمٌ في نمو قوة أثينة الاقتصادية والعسكرية.

وأردنا أن ننوّه إلى أنه أعطينا اهتماماً واسعاً للفصل الأخير من هذا الكتاب (***وهو عصر بريكليس الذهبي في القرن الخامس ق.م***) ، نظراً لأهمية هذا الفصل في دراسة وتطور الحياة الإغريقية كونه يمثل أفضل عصور الازدهار في بلاد الإغريق التي وصلت في هذه المرحلة إلى درجة كبيرة من التطور والتقدم يصعب إجمالها في مثل هذا المقرر ، ***نظراً لكثرة وتعدد الجوانب المتطورة في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفنية والتي كانت مثار إعجاب ودهشة العالم حتى يومنا هذا***. وقد استعرضنا أهم هذه الجوانب وبحسب إمكانيات صفحات الكتاب والمستوى العلمي والفكري للطلاب فهم في السنة الأولى من المرحلة الجامعية الأولى. إذ توخينا في هذا الكتاب وعلى قدر كبير من الأهمية وبقدر استطاعتنا أن يكون الأسلوب المنهجي والعلمي متلائماً مع المستوى العلمي والفكري للطلاب بحيث تكون المعلومة سهلة الوصول إلى فكر الطالب سواء من حيث دراسة المقرر أو من حيث الشرح والاستنتاج الذي يقوم به الأستاذ المدّرس .

ومن جهة أخرى توخينا أن ننهي هذا الكتاب في نهاية (***عصر بريكليس الذهبي***) لأننا في هذه الحالة نكون قد استعرضنا المراحل الرئيسية المهمة في تاريخ

بلاد الإغريق وتطورها ، لأن الفترة التي تلي هذه المرحلة تمثل مرحلة جديدة من مراحل تاريخ بلاد الإغريق ، وهي مرحلة (*الانحطاط والانهيار*) التي تستوجب منا تأليفاً جديداً حول هذه المرحلة وفي كتاب خاص ، إلا إننا وفينا بعضاً من حق هذه المرحلة في فصل خاص بعنوان (*أزمة دويلة المدينة الإغريقية في القرن الرابع ق.م*) من كتابنا المرجع الجامعي (*دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م*) يمكن الرجوع إليه لمن يريد الاستزادة في معرفة هذه المرحلة وكيفية انهيارها وانحطاطها .

أما من حيث توثيق المصادر والمراجع فإننا لم نود أن نغرق الطالب أو القارئ العام في عدد كبير من الحواشي باستثناء بعض الدراسات المهمة التي تستوجب الضرورة إلى الإشارة إلى مصادرها أو مراجعها نتيجة التحليل والتعليل الذي كنا نقوم به للضرورة العلمية أو المنهجية ، وحين كنا نستشهد بنص من المصادر أو المراجع الرئيسية .

وأخيراً أرجو أن يكون هذا الكتاب رديفاً علمياً للمكتبة العربية ومرجعاً أساسياً لطلبتنا الأعزاء في الجامعات العربية يضيء لهم الفهم الصحيح لدراسة تاريخ بلاد الإغريق ، وراجياً من زملائي الأساتذة وأعزائي الطلاب أن يرشدوني إلى ما هو خير المنفعة العلمية وإلى كل ما هو جدير بالملاحظة والاهتمام، فالكمال لله وحده.

الدكتور

خليل سعادة

الباب الأول

التاريخ الحضاري والباكر للإغريق

الفصل الأول: الإطار الحضاري لتاريخ الإغريق

الفصل الثاني: جغرافية بلاد الإغريق

الفصل الثالث: مصادر تاريخ الإغريق.

الفصل الرابع: تاريخ الإغريق الباكر

(١) الحضارة الإيجية

الفصل الخامس: تاريخ الإغريق الباكر

(٢) الحضارة الميكينية

الفصل السادس: الحرب الطروادية

بين ميكيناي وطروادة

الفصل السابع: أصل الإغريق وأحوالهم وهجراتهم.

الفصل الثامن: الديانة الإغريقية.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصـــــل الأول

الإطـــار الحضـــاري لتاريخ الإغريق *

أولاً : القيمة الحضارية لدراسة تاريخ الإغريق :

الحضارة هي تراث ، والتراث يشمل الأمور المادية والمعنوية ويتمثل في جميع ما يبقيه الآباء والأجداد للأبناء والأحفاد ، وهو مثل كل شيء ، فالأرض هي التي يعيش عليها أي مجتمع ، والمجتمع يجب أن يحتفظ بها ، والتراث يشمل ما أنشئ على هذه الأرض من معالم وما قام على ظهرها من آثار ، وما حُفظ في داخلها من خيرات، وما ابتدعه عقل الأمة من مبتكرات، وما صنعه من تآليف وما سجله من رسوم ، وما خطه من مناهج ورسمه من سبل ونظمه من مسالك وطرق . والتراث في معناه العام يشمل كل ما خلفته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الفكرية والأثرية والمعمارية وأثر ذلك في أخلاق الأمة وأنماط عيشها وسلوكها . وتراث أي أمة لا يقف من حيث الزمان عند فترة محددة ، وإنما هو متواصل في جميع الأحقاب والعصور وموغلا في أعماق الزمن، فكل الحضارات الفكرية والمادية التي ازدهرت في أي أرض، فهي في الواقع التاريخي ميراث لهذه الأرض. ***فتراث الشرق الأدنى القديم*** — على سبيل المثال — فهو أغنى من أن يُحد بمرحلة حضارية واحدة ، فمن بابل وآشور، ومن الفراعنة والبابليين وغيرهم من بناة الحضارات القديمة ، ومن الديانات السماوية وغيرها من الرسالات الروحية والاجتماعية والفكرية ، ما هي إلا تراث ضخم ، هو مجماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن .

---

* — تُستعمل في هذا الكتاب الصفات" **هيليني**" و " **إغريقي** " و " **يوناني** " كلها بمعنى واحد. وعن هذه التسميات انظر الفصل السادس من هذا الكتاب .

وإن اتسم تراث الشرق القديم بالعراقة والانفتاح على الثقافات الإنسانية ، إلا أنه نشأ قبل آلاف السنين، ***وامتد متنامياً عبر الزمان والمكان معبراً عن ذاته في عدد من الحضارات التي سمت بقدرها على استيعاب الثقافات الأخرى من فلسفة اليونان وعلومهم ، إلى حكمة الهند وفكرها ، وإلى آداب الفرس ونظمها ، وقد تفاعلت ثقافة الشرق الأدنى القديم مع هذه الثقافات ، دون أن تفقد هويتها أو تذوب أو تفقد أصالتها .***

كذلك الأمر ، ***فالتراث الإغريقي*** هو محصلة التفاعل لما كان يدور في هذا المجتمع ، أعني ***المجتمع الإغريقي***. ففي هذا المجتمع تكثر الأخبار والوثائق والآثار المتعلقة به التي تعرّفنا على أحوال هذا المجتمع في كل عصوره التاريخية، وما تعرّض له خلال هذه العصور من انقلابات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وتطورات هائلة من أنظمة الحكم التي مر بها هذا المجتمع والتي تعتبر الأولى من نوعها في التاريخ . فلذلك اهتم العلماء في دراسة هذا المجتمع وتوسعوا في دراسته ، وتوصلوا إلى توضيحه أكثر من أي موضوع آخر، ووجدوا أنفسهم تجاه حضارة عريقة وراقية، فاطلعوا على مبادئ نشأتها ، وتتبعوا مراحل تطورها وازدهارها السريع، ولاحظوا القيم التي أبدعتها، ثم تكشفت لهم عيوبها ونقاط الضعف فيها ومظاهر تفسخها وانهيارها، ***فلهذا السبب فإن دراسة تاريخ اليونان من أكثر الموضوعات فائدة لفهم تطور الحياة البشرية عامة ، وإدراك عوامل تقدمها وتأخرها .***

وتأتي أهمية هذه الدراسة الحضارية من خلال فحوى العلاقات الوثيقة بين تاريخ الإغريق، وبين تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ومن خلال حركة التفاعلات الحضارية التي حدثت على مر العصور بين هاتين الحضارتين العظيمتين ، ***لأن الحركة التاريخية والتيارات الحضارية لا تعرف الحدود الجغرافية ، ولا تتوقف عندها سواء أكانت هذه الحدود قومية أو قطرية***، وإذا كان هذا ينطبق على كل المناطق، فإنه

ينطبق على المنطقة التي يوجد فيها المجتمع الإغريقي، إذ لا يمكننا إطلاقاً أن نفصل بين هذا المجتمع وبين القارتين الآسيوية والإفريقية، وخاصة أن حوض البحر الأبيض المتوسط، كان يشكل المجال الذي يمكن للمجتمع الإغريقي أن يتعامل أو يحتك مع غيره من المجتمعات أو الحضارات بسهولة ويسر كبيرين .

وتتعدد مظاهر التفاعل الحضاري للمجتمع الإغريقي مع حضارة الشرق الأدنى القديم بأشكال كثيرة ومتعددة ، فمن *الناحية البشرية* نجد أن المنطقة التي يشكل المجتمع الإغريقي جزءاً من سكانها، هي مسرح لحركة دائمة دائبة لعديد من الشعوب والأقوام والقبائل التي كانت تدور في نطاق لم يقتصر على بلاد الإغريق فحسب، وإنما العناصر البشرية (*الأيونية والأيولية والدورية*) التي تكون منها الشعب الإغريقي ، عرفت طريق الهجرة إلى شواطئ آسية الصغرى واستقرت فيها، ومن *الناحية الحضارية* لا يمكن أن نفصل بين الحضارة المينوية التي ظهرت في كريت، والحضارة الميكينية التي ظهرت في بلاد الإغريق من جهة، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحضارتين وبين الحضارات المصرية على الشاطئ الإفريقي ، والسورية على الشاطئ الآسيوي من جهة أخرى. *وفي الجانب السياسي* كان حوض البحر الأبيض المتوسط أو جزء منه يشكل المجال الأول لتكوين الإمبراطورية المصرية ، إذ مد *تحتمس الثالث* نفوذه إلى ربوع بحر إيجة، وشكلت آسية الصغرى وسورية ومصر، ولايات في إمبراطورية الإسكندر المقدوني على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وفي *مجال الدين* ، نجد عبادة *آمون* الإله المصري تنتشر خارج مصر ولاسيما بين الإغريق، ونجد لهذا الإله مكانته في أثينة التي عرفت عبادته قبل الثلث الأول من القرن الرابع ق.م ، ويقرنه الإسكندر المقدوني بالإله زيوس (*ZEUS*) كبير آلهة الإغريق . وفي *الجانب الثقافي* نجد أن الثقافة الإغريقية لم تقتصر على بلاد الإغريق في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ، وإنما اتخذت مواطن لها في أكثر من

مكان على الشواطئ الآسيوية التي شهدت مولد هوميروس ، الذي تنسب إليه الملحمتان العظيمتان (***الإلياذة والأوديسة***) وهي أول ما ظهر من أدب الإغريق. ومن جهة أخرى شهدت الشواطئ التي دار فيها حصار طروادة منطلقاً لهاتين الملحمتين الهومرتين العظيمتين، وعلى الشواطئ الإفريقية ظهرت مدينة الإسكندرية أحد أبرز مراكز إشعاع الثقافة الإغريقية على الشرق، كذلك الأمر في ربوع سورية على الشاطئ الآسيوي ، حيث ازدهرت في العصر المتأغرق (***عصر ما بعد الإسكندر***) مراكز الثقافة الإغريقية في كل من إنطاكية وأفامية والرها والجزيرة .

وقامت ***التجارة*** بدور هام في توطيد الروابط الحضارية بين شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وأدى ***الفينيقيون*** دوراً هاماً في هذا المجال، من خلال ما ورد ذكرهم في الأوديسة والمصادر الأدبية الإغريقية ، التي تعرّفنا على الدور الهام الذي قام به الفينيقيون من نشاطات تجارية وتبادل في السلع التموينية مع الشواطئ الإغريقية نحو عام ١٠٠٠ ق.م .

إذن يمكن القول: إن النشاط الحضاري هو محصلة تأثر هذا المجتمع بغيره من المجتمعات وتأثيره فيها ، وهذا التأثر والتأثير المتبادل لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك اتصال سهل بين هذه المجتمعات يؤدي إلى سهولة التعامل والاحتكاك بها ، بصرف النظر عن الحدود القومية لهذا المجتمع أو ذاك، فلذلك فإن الروابط الحضارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، تعدت حدود الاتصال العادي لتظهر في شكل آخر، هو ***شكل الهجرات البشرية الإغريقية*** التي بدأت تأخذ طريقها إلى شواطئ هذا البحر منذ أواخر القرن الحادي عشر ق.م ، واستقرت منذ القرن الثامن بعدد كبير من جاليات هذا الشعب على شواطئ القارات الثلاث المتصلة بالبحر الأبيض المتوسط، وظهور كثير من المدن الإغريقية التي أقامها هؤلاء المهاجرون على الشواطئ الآسيوية ، ومنها جاب الإغريق بقوافلهم التجارية أرجاء البحر الأبيض المتوسط ، بعد أن ورثوا فن الملاحة والتجارة عن الفينيقيين لينقلوا

السلع التجارية ومعها حضارتهم من شاطئ إلى شاطئ، وكان لهذا التداخل الحضاري الذي شغل عدة عصور وامتدت عدة آلاف من السنين، ***كان فيه بالنسبة لحضارة الشرق الأدنى القديم جانب العطاء والتأثير، وجانب الأخذ والتأثر، وهما الجانبان اللذان تتكون منهما أي شخصية حضارية .***

ومن هنا نستنتج، أن كل الحضارات ليست كيانات نهائية ساكنة جامدة، وإنما هي كائنات حية متحركة متجددة بالضرورة وجوهر حركتها هو دائماً الاستجابة للتغيرات التي تمر بها الحياة الإنسانية طوراً بعد طور، والحضارات جميعها يسود بينها مبدأ المساواة، فلا توجد حضارة واحدة مهما بلغ اعتداد أصحابها بها يمكن الزعم باحتكارها لعناصر الرشد والعطاء وبناء الثقافة الإنسانية، من هنا فالحضارات متحاورة بالضرورة، وجوهر الحوار هو حوار ثقافي بكل أبعاده الدينية والفكرية والسياسية والاقتصادية، وكل الجوانب التي تدخل في نسيج الفكر وبناء الشخصية وأنماط السلوك. والحوار يعني التعارف بذاته، وهو يحتاج إلى علاقات ولا علاقات من دون تعارف ولا تعارف من دون حوار، وأساس الحوار هو تقبل كل طرف للطرف الآخر.

وتبعاً لذلك يمكن القول: إن الحضارات بحكم مسارها الزمني سالف الذكر، هو ذات جوهر تحاوري متقدم، تستفيد كل واحدة من الأخرى، وبالنتيجة الحوار هو تغليب لعناصر التواصل والتكامل على عامل التنافر والتضاد.

ثانياً: مراكز التأثير بين الحضارة الإغريقية وحضارة الشرق القديم:

يجدر بنا في هذه الدراسة، أن نستعرض خصائص الحضارات التي قامت في مصر وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وصولاً إلى الحضارة العربية الإسلامية، لأن الفكر الذي أنتجته هذه الحضارات لامس أهم القضايا التي عالجها العلم ووضع أسساً راسخة لها، فتميز الفكر العلمي في المنطقة بالطابع العملي، وانبرى لمعالجة قضايا تتعلق بالإنسان (غذائه، مسكنه، صحته) فانتشرت الزراعة والمنشآت المائية، وتطور الفن المعماري، والطب، والعلوم التطبيقية.

وأهم مظاهر التأثر والتأثير بين حضارات الشرق الأدنى القديم ، والحضـــارة الإغريقية يمكن رصدها عبر محورين أساسيين :

١ ـــ المحور الأول : مراكز التأثير الحضاري في العصور القديمة :

أ ـــ التأثير الحضاري بين الإغريق ومصر القديمة :

يظهر التأثير المصري في منطقة الشرق الأدنى القديم على المنجزات الحضارية للمجتمع الإغريقي في أكثر من جانب، فقد أخذ الإغريق عن المصريين على ســبيل المثال، أول مبادئ الطب والتشريح، وهي مبادئ لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجــة عن الممارسة فحسب، وإنما دوّنها المصريون على شكل قواعد علمية، كما يظهر لنا بوضوح في عدد من أوراق البردي التي ترجع إلى العصر الفرعوني والتي تم اكتشافها في أرض مصر منذ أواسط القرن الماضي حتى الآن، وقد حُفظت تلك البرديــات في متاحف لايبزيغ، ونيويورك، وبرلين. وتركت هذه البرديــات وغيرهــا أثرهــا في المنجزات الطبيعية للمجتمع الإغريقي، وهو أثر وصل إلى درجة الاقتباس الكامل في كثير من الأحيان، كما يظهر لنا بوضوح في كتابــات الأطبــاء الإغريــق مثــل (*ديوسكوريدس DIOSKORIDES*) و (*جالينوس CALENOS*) و (*هيبوكراتيس HIPPOKRATES*).

وليس ذلك فحسب ، وإنما نلاحظ بوضوح مدى تأثر الهندســة المعماريــة الإغريقية، بالهندسة المعمارية المصرية من خلال ما أخذه الفنانون الإغريق بدءاً مــن القرن السادس ق.م (*عصر الطغاة*) عن المعابد والأعمدة المصرية لتصبح بعد ذلــك النمط السائد عند الإغريق كما يتضح من مقارنة معبد الكرنك أو بقايــا المجموعــة الجنائزية للملك زوسر بسقارة في مصر ، بمعبد البارثنون في أثينة أو بقايــا معبــد أبوللون في أولمبية ويقول هيرودوت :

(*واحسب أن مصر عرفت الهندسة لحاجتها للقياسات، وعنها أخذ الإغريق هذا العلم*)[1] . وقد أسهمت الزيارات والرحلات العلمية التي قام بها علماء وفلاسفة الإغريق إلى مصر طلباً للعلم والاكتشاف أمثال *ثاليس وفيثاغورس وصولون وأفلاطون وديموقريطس*، إلى تطبيع العلاقات وتعزيز الروابط الحضارية بين الجانبين، حتى أكد هؤلاء جميعهم أنهم تلامذة الشرق واعترفوا جميعاً بتقدم العلوم والفنون عند المصريين. يوضح لنا *هيرودوت* عن مدى تقدم هذه العلوم عند المصريين قائلاً:

(*أما فيما يتصل بالبشر فالإجماع قائم على أن المصريين اكتشفوا في دراستهم علم الفلك السنة الشمسية ، وكانوا أول من قسمها إلى اثني عشر جزءاً، وأسلوبهم في الحساب هو في ظني أفضل مما بلغه الإغريق .. وأخبروني كذلك أن المصريين كانوا أول من سمّى الآلهة الاثني عشر بأسمائهم، وعنهم أخذها الإغريق، ثم أنهم كانوا أول من ابتكر المذبح ونصب الأصنام ونشيد المعابد ونحت التماثيل من الحجارة*)[2] ويتابع في مكان آخر:

(*إن المصريين أول من ابتدع الشعائر الجماعية والاحتفالات وتقديم القرابين والابتهالات للآلهة، وعنهم أخذ الإغريق هذه الأساليب .. ويبدو لي أن سبق مصر في هذه الطقوس وقدم عهدها بها، وحداثة الإغريق فيها دليل كاف على ذلك*)[3] ويؤكد على ذلك في مجال حديثه عن استيراد العبادات من الشرق فيقول :

---

1 – انظر : تاريخ هيرودوت ، ترجمة عبد الإله الملاح ، مراجعة أحمد السقاف ، حمد بن صراي، إصدار المجمع الثقافي ، أبو ظبي ٢٠٠١ م ، الكتاب الثاني (وصف مصر) ، ص ١٨٠ .

2 – انظر : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

3 – انظر : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

(ولست أحسب أن ميلامبوس (وهو أحد أقدم وأشهر كهان الإغريق ومنبئيهم) هو الذي عرّف الإغريق باسم ديونيسيوس ، وطقوس عبادته . . وهو الذي اقتبس ديانة أوزيريس من المصريين، ثم أدخلها إلى بلاد الإغريق معدلة، ومعها بعض الممارسات الأخرى. والأرجح عندي، أن ميلامبوس أخذ هذه العبادة عن قدموس الصوري ومن أتوا معه من بلاد الفينيقيين إلى بويوتية . . إن أسماء الآلهة كلها جاءت إلى بلاد الإغريق من مصر. وقد وجدت بعد البحث والاستقصاء، أن هذه الأسماء مستمدة من أصل أجنبي ، وعندي أن القدر الأعظم منها ورد من مصر)[1]. ويفضح هيرودوت أبناء جنسه الإغريق — وهو في هذه الناحية نراه على قدر كبير من الواقعية والشفافية — عندما ينسبون لأنفسهم العقيدة القائلة بخلود الروح، بينما هي في الحقيقة أول ما بزغت جذورها عند المصريين بقوله :

(يذهب المصريون إلى القول، إن ديمتر (إيزيس) وديونيسيوس (أوزيريس) هما أقوى آلهة العالم السفلي، وهما أول من خرج بالعقيدة القائلة بخلود الروح، وذهب إلى أن الروح لا تفنى وإنما تحل عندما يموت الجسد في مخلوق آخر لحظة ولادته. وفي هذه العقيدة تدور الروح دورتها وتحل في مختلف المخلوقات من حيوانات وطيور وأسماك، حتى تحل في النهاية في جسد إنسان . وقد أخذ بهذه النظرية بعض الكتاب الإغريق المتقدمين والمتأخرين، ونسبوا هذه العقيدة لأنفسهم ، وهؤلاء معروفون لديّ، ولكني أمسك عن ذكر أسمائهم خشية افتضاحهم)[2] . . ثم إن المصريين قد اكتشفوا مسيرة الإنسان وشخصيته منذ يوم ولادته ، وهي اكتشافات نهل منها الشعراء الإغريق الكثير)[3] .

---

1 – انظر : المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

2 – انظر : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

3 – انظر : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

إذن فإن الإغريق نهلوا من الشرق أساسيات علومهم وقواعدها ثم طوروها وأعطوها للعالم ، ومن الشرق تعلموا كل ضروب الحياة وحذقوا في فنها وتعلمها، فتأثر (*فيثاغورس*) في دراسته ونظرياته الرياضية عن الشرق ، وتتلمذ (*أفلاطون*) في مصر ومكتبتها وتأثر بمفاهيم الثالوث المقدس الذي يقسّم الروح إلى ثلاث طبقات، *الرغبة الجسدية العميقة* ، *والشجاعة الأخلاقية* ، *والفكر الإنساني*، وتعلم (أبقراط) علوم الطب وتابع تعليمه فيها خلال إقامته في مصر .ولم يكن للإغريق أن يُقارنوا بالعلوم المصرية لأن تفكيرهم كان ينصرف إلى المسائل الأخلاقية والدينية والاجتماعية ونشأة الكون دون أن يعرفوا كيف كان يسير هذا الكون [1] . وهذا ما يوضحه *افلاطون* من أن أحد الكهنة المصريين أثناء مقابلته مع المشرّع الأثيني صولون ومن خلال أحاديث التبادل والتعارف وبالنتيجة قال له (*أنتم الإغريق لستم سوى أطفال ثوثارين، تفتقدون إلى التجارب التي عتقتها الأيام*)(أفلاطون، طيماوس٢٢) .

ومنذ القرن الثامن ق.م ، أخذ الإغريق ينتشرون بكثرة في مصر لأجل التجارة والارتزاق في الجيش المصري. ولما ارتقى *اماسيس* العرش في مصر عام ٥٧٠ ق.م ، اتخذ بعض التدابير التي أدت إلى تثبيت أقدام الإغريق في مصر الذين أسسوا في مدة قصيرة مدينة كبيرة سميت نوكراتيس (*NUKRRATES*) أي ملكة البحر . ويوضح لنا ذلك *هيرودوت* بقوله: (*وكان أمازيس يؤثر الإغريق ، وقد منحهم عدداً من الامتيازات، ومنها أنه جعل نوكراتيس مقراً لمن شاء الاستقرار وممارسة التجارة، كذلك قدّم الأرض لمن شاء من التجار الإغريق البقاء في*

---

[1] – انظر : كيتو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرزاق يسرى ، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٣٢ .

مصر)[1]، وقد بنيت في نوكراتيس عدة معابد إغريقية ضخمة وبلغ عدد سكانها ٥٠ ألفاً . وقد جعل *أماسيس* حرسه الخاص كله من الإغريق، وأخذ يرسل الهدايا إلى المعابد الإغريقية، ويؤيد ذلك *هيرودوت* بقوله : (*لما نهض الإغريق لتجديد عمارة معبد دلفي، بعد حريقه، شرعوا في جمع التبرعات لهذا الغرض ، وقد ذهبت التقديرات إلى أن تكاليف المشروع ستبلغ ٣٠٠ تالانت (التالنت = ٦٠٠٠ دراخمة)، وقد قدّم أهل دلفي ثلث المبلغ هبة، ومضوا يعملون في جمع التبرعات من بلد إلى بلد، فلم تقصر مصر في التبرع لهذا الغرض، فكانت هبة أمازيس ألف مثقال من حجر الشب، كما قدّم الإغريق من سكان مصر عشرين مينا (المينا = ١٠٠ دراخمة)، ولما تم تبادل عهود الصداقة والتحالف، أعلن أمازيس عزمه على اتخاذ زوج إغريقية دليلاً منه على حسن نيته*)[2] .

وأخيراً في هذا الحال، بقي علينا أن نوضح، أن هذه العلاقات الوثيقة بين الإغريق والمصريين لم تتم فجأة التي بدأت منذ القرن الثامن ق.م ، إلا بنتيجة بعض الظروف التاريخية التي في ظلها نمت واشتدت هذه الاتصالات، حتى أصبحت ضرورة سياسية في كل من مصر وبلاد الإغريق على السواء ، ومن أهم هذه الظروف :

١ ــ *العداء الذي يكنه كل من الإغريق والمصريين ضد الفرس عدوهم المشترك .*

٢ ــ *كانت مصر تشكل أكبر مراكز التصدير العالمي للقمح في العالم القديم، بينما كانت بلاد الإغريق من أقلها إنتاجاً له بفعل تربتها القاحلة والفقيرة،*

---

[1] - انظر : هيرودوت، الكتاب الثاني ، ص ٢٣٤ .

[2] - انظر : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

إذ إن متوسط إنتاجها لا يتجاوز عشر حاجتها السنوية، فلذلك كانت المدن الإغريقية في حاجة دائمة لاستيراد القمح المصري .

٣ ـ اعتماد بلاد الإغريق اعتماداً كبيراً على استيراد ورق البردي من مصر، التي كانت الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة له في العالم القديم بأسره، وكانت بلاد الإغريق منذ نهضتها الثقافية الكبرى في القرن الخامس ق.م ، في حاجة ماسة إلى هذه السلعة .

٤ ـ كان الإغريق قد احترفوا الجندية والارتزاق منذ زمن بعيد، نتيجة لانعدام موارد الرزق وتفشي الفقر في بلادهم ، فاستعان بهم المصريون للقضاء على أعدائهم ومقاومة الخطر الفارسي .

٥ ـ غنى بلاد الإغريق بمناجم الفضة ، التي استخدمت في سك النقود ، وأصبحت الوسيلة العالمية للتبادل التجاري ودفع الأجور، على العكس من ذلك، كانت مصر تفتقر إلى هذا المعدن وكانت في حاجة إليه لدفع رواتب أجور جنودها والجنود المرتزقة [1] .

ب ـ التأثير الحضاري بين الإغريق والساحل السوري :

يأتي الفينيقيون في الدرجة الثانية بعد المصريين من بين الشعوب التي اتصل بها الإغريق واقتبسوا الحضارة عنها ، وقد استطاع الفينيقيون بين سنة ١٠٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م ، أن يسيطروا على تجارة البحر الأبيض المتوسط ، وكانوا المبادرين الأوائل في المغامرات البحرية والمبادلات التجارية على طول خط هذا البحر ومنها بلاد الإغريق. ويصف هيرودوت هؤلاء بشيء من الإعجاب بقوله : (يزعم الفرس وهم أخبر الناس بالتاريخ ،، أن الفينيقيين كانوا المبادرين في المنازعة . فهؤلاء القوم الذي مهدهم في القديم شواطئ الخليج العربي ، ثم هاجروا إلى شواطئ

---

[1] ـ انظر : مصطفى العبادي ، مصر في العصر الهيللينستي ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص١٠ .

البحر الأبيض المتوسط ليستقروا في البلاد التي يسكنونها الآن ، شرعوا حال استقرت أحوالهم ، على ما يقولون في خوض الرحلات البحرية الطويلة للمتاجرة بما كانت سفنهم تحمله من بضائع وسلع من مصر وبلاد آشور، وقد اعتادوا أن يلقوا مراسيهم في كثير من المدن الواقعة على الساحل ومنها أرجوس، وكانت لها الصدارة بين الدول المتحدة اليوم تحت اسم بلاد الهيلاس)[1].

ومما شجع الفينيقيين على خوض المبادلات التجارية في جميع أصقاع البحر الأبيض المتوسط، ضعف الدولة المصرية في عهد الأسرات ٢١ — ٢٥ ، وضعف بلاد الإغريق بعد غزوة الدوريين الهمجية، التي كان من نتائجها إحداث الفوضى وإغراق البلاد في حالة من الدمار والتخريب، وأصبحت بعيدة عن فن الملاحة وعاجزة عن إنشاء الأساطيل الكبيرة ، وقد استفاد الفينيقيون من هذه الأوضاع فأخذوا يجوبون في كل أنحاء البحر الأبيض المتوسط، *وتقدموا في فن الملاحة وصناعة السفن وازدهرت لديهم مختلف الصناعات، مثل النسيج والصباغة والزجاج واتسعت تجارتهم*. وكان النشاط التجاري يدفع الفينيقيين إلى الاختلاط بجميع الأمم في حوض البحر الأبيض المتوسط والقيام بدور الوسيط في تمازج الحضارات وانتشارها .

وقد أسس الفينيقيون كثيراً من المستعمرات والمراكز التجارية في جزر بحر إيجة وشواطئه، وبالدرجة الأولى في *رودس ، وقبرص ، وخليج كورنثة* . وتعلم الإغريق أشياء كثيرة من الفينيقيين مثل صناعة السفن الكبيرة والصباغة . ويبدو لنا كثيراً تأثير الحضارة الفينيقية في الآداب والديانة الإغريقية، حيث تلتقي بكثير من الشخصيات والمواقف والتعابير في الأدب الأوغاريتي تنمّ عن تأثر الأساطير الإغريقية بها .

---

١ — انظر : *هيرودوت*، الكتاب الأول ، ص ٢٩ . والهلاس (H ELLAS) اسم قديم أطلقه الإغريق على بلادهم، أما اسم (الإغريق) فهو مما أطلقه عليهم الرومان في وقت لاحق .

على أن أهم شيء كان له أعمق الأثر في الحضارة الإغريقية وتطورها الفكري السريع هو اقتباس الحروف الأبجدية عن الفينيقيين، ووائموا بين هذه الأبجدية وبين طبيعة لغتهم وطوّعوها لها بل جعلوها أكثر مرونة بإضافة الحروف اللينة (*VOWELS*). ويظهر أن الإغريق عند اختلاطهم بالتجار الفينيقيين قد تعرّفوا إلى كتابتهم البسيطة التي يسهل تعليمها ، فبدؤوا باقتباسها منذ القرن الثامن ثم انتشرت بينهم بسرعة في القرن السابع ق.م .

وأفضل تأثير لهذا التأثير الحضاري السوري الذي كان له أعظم الأثر في حضارة الإغريق ما يفسره هيرودوت (*HERODOTOS*) (*لقد جاء هؤلاء الفينيقيون مع قدموس (بطل يوناني أسطوري يقال إنه أتى من فينيقية إلى بلاد الإغريق وبنى مدينة طيبة) ومن بينهم كان الفينيريون (فرع من الفينيقيين هاجر منذ القدم إلى اليونان) وعندما أتوا إلى هذه البلاد جلبوا معهم إلى الإغريق معارف جديدة من بينها الكتابة .. وهي فن لم يكن على ما أظن معروفاً لدى الإغريق حتى ذلك الحين ، وفي البداية استخدموا الأبجدية التي يأخذ بها سائر الفينيقيين ، لكن بمرور الزمن تحولوا عن لغتهم وعن الطريقة التي يرسمون بها شكل الحروف على يد الفينيقيين ، وأخذوا يستخدمونها مع تعديلات طفيفة وظلوا يشيرون إليها على أنها (الأبجدية الفينيقية) ولقد أصاب هؤلاء القوم بهذه التسمية ، ذلك أن الفينيقيين هم من أدخل هذه الأبجدية*) [1] .

ويوضح لنا الجغرافي الإغريقي الشهير *استرابون* أهمية المعارف التي انتقلت إلى الإغريق سواء عن الفينيقيين أم المصريين بقوله : (*يصور الصيداويون (بالمعنى العام الفينيقيون) كشعب ماهر جداً في كثير من الفنون كما يذكر الشاعر (هوميروس)، بالإضافة إلى ذلك فقد اهتموا بالفلك والحساب ، وبدؤوا فن التعداد والملاحة الليلية الضروريين للتجار والملاحين، وصحيح كما يقولون أن*

---

1 - انظر : هيرودوت ٥ ــ ٥٨ .

علم الهندسة من وضع المصريين ، وقد نشأ من قياس الأرض الذي أضطرهم إليه نهر النيل بفيضاناته التي تغير الحدود .. ومن المتعارف عليه ، أن علم الهندسة قد انتقل إلى الإغريق عن المصريين، أما علم الفلك وعلم الحساب فقد استقلا عن الفينيقيين .. في الوقت الحاضر يمكن أن يؤخذ من هذه المدن الفينيقية الكثير من المعارف) [1] .

وشكلت أفامية في سورية، مركزاً علمياً بالغ الأهمية طوال العصور الأولى للميلاد، فإليها انتسب (*لومينوس*) أحد أبرز مؤيدي مذهب (*الأفلاطونية الحديثة*) الذي أسسه (*أفلوطين*) (٢٠٥ ــ ٢٧٠م) [2]، وكانت أفامية في القرن الثاني الميلادي مركزاً مهماً التقت فيه مختلف التيارات الفكرية والدينية الوافدة من أرجاء العالم القديم، *فكانت موطن الفلسفات الانتقائية التي جمعت بين فلسفة الإغريق وحكمة الشرق* . فظهر فيها (*أوزيابوليوس*) الذي مثّل النزعة الميلينستية ذات الطابع الشرقي و (*يامنليخسوس*) الذي أسس فيها مدرسة للفلسفة، وكان لها دور حاسم في تحويل الأفلاطونية، إلى فلسفة شرقية .

ج ــ *التأثير الحضاري بين الإغريق وبلاد ما بين النهرين* :

ويظهر *تأثير بلاد ما بين النهرين* في مبادئ الرياضيات التي أخذها عنهم الإغريق كما هو الحال في نظريات (فيثاغورس) الرياضية . كما نجد تأثير بلاد ما بين النهرين في مجالين آخرين: *أحدهما هو مجال الأدب الملحمي الذي ظهر عند السومريين والبابليين في عدد من الملاحم الشعرية أبرزها ملحمة جلجاميش ، وملحمة إينوما إيليش*، ويظهر أثر الملحمة الأولى في ملحمة الأوديسة المنسوبة إلى الشاعر الإغريقي **هوميروس** (*HOMEROS*) والمجال الثاني هو مجال الأساطير

---

1 ــ انظر : **استرابون** ، الجغرافية ١٦ ــ ٢ ــ ٢٤ .

2 ــ فيلسوف من أسرة رومانية استقرت في مصر، وفي الإسكندرية أسس مذهب (**الأفلاطونية الحديثة**)، وهذا المذهب يجمع بين آراء أفلاطون والفلسفة الرواقية والعقائد الروحانية الشرقية.

(*MYTELOGY*) التي كان الإنسان بواسطتها يفسر ظواهر الطبيعة وظواهر الكون المحيط به. ونجد قدراً غير قليل من الأساطير الإغريقية التي تتشابه شكلاً وموضوعاً مع الأساطير التي سبقتها في وادي النهرين مثل أسطورة إنانا ودموزي (*عشتار وتموز*) البابلية ونظيرتها أسطورة أفروديت وأدونيس الإغريقية .

فلذلك يمكن القول، إن القصص والأساطير الإغريقية تأثرت تأثراً ملحوظاً بقصص وأساطير الشرق الأدنى القديم واقتبست بعض العناصر من أدب السومريين والبابليين والحوريين والفينيقيين والحثيين والمصريين، وأن الدراسات المقارنة في هذا الصدد لا تزال في مراحلها الأولى، لكن لا ريب في أنها تبشّر بتقدم كبير ونتائج مثيرة وستبين مدى ارتباط الحضارة الهللادية بالأسس الأدبية والدينية والتاريخية التي سبقتها في الأقطار المجاورة بمنطقة الشرق الأدنى القديم [1] .

وفي مجال العلوم اقتبس الإغريق عن البابليين النظام الستيني للمقاييس والموازين والساعة المائية والشمسية، كما اقتبسوا عنهم مبادئ الفلك وآلات الرصد والجداول الفلكية والخرائط الجغرافية وطريقة تقسيم الدائرة إلى (٣٦٠) درجة وكل درجة إلى (٦٠) دقيقة وكل دقيقة إلى (٦٠) ثانية. وما استطاع الفيلسوف الإغريقي (*تاليس*) [2]، *الذي ينتمي بأصوله البعيدة إلى الفينيقيين على حد قول هيرودوت*[3]، أن يتنبأ بكسوف الشمس الذي حدث في ٢٨ مارس ٥٨٥ ق.م إلا لأنه عدا اطلاعه على علوم المصريين، كان يعرف حسابات البابليين عن حركات النجوم. وقد شكل (تاليس) أحد الشخصيات العلمية البارزة وحلقة الاتصال في انتقال الحضارة من الشرق إلى الغرب .

1- F. T. B. L. WEBSTER, FROM MYCENAE TO HOMER (LONDON, 1958), P 88 .

2 - يتفق معظم المؤرخون القدماء على أن (تاليس) هو الذي أدخل العلوم الرياضية والفلكية إلى الإغريق، وكانوا يسمونه في شيخوخته سوفوس (SOFOS) أي الحكيم، وتصدّر اسم (تاليس) رأس قائمة حكماء الإغريق السبعة .

3 - انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ١١٠ .

على أن اتصال الحضارة الإغريقية بحضارة الشرق القديم لم يتوقف عند هذه المرحلة فقد طوّر المجتمع الإغريقي ما أخذه عن مجتمعات الشرق القديم، وزاد عليه وصاغ كل ذلك صياغة جديدة ولاسيما خلال القرنين الخامس والرابع ق.م، لتكتمل الدورة الحضارية بعد فتوح الإسكندر الأكبر في الشرق ، وتلتقي الحضارتان من جديد مع تأثير إغريقي ظاهر هذه المرة على الشرق الأدنى القديم سواء في جوانب العلم أو الفن أو الفكر أو الإدارة أو غيرها، وأبرز مثل على ذلك الإسكندرية ومكتبتها القديمة التي كانت إغريقية المولد والصبغة والمحتوى، والتي كانت مصدر إشعاع ثقافي بارز في منطقة الشرق الأدنى في كل جوانب العلم والفكر والفن والأدب لقرون طويلة، ثم المدارس والمراكز الثقافية السورية التي أدّت دوراً مرموقاً في نشر الثقافة الإغريقية في المنطقة واستمرت هي ومدرسة الإسكندرية في تأدية هذا الدور حتى العصر الإسلامي، حين بلغت حركة الترجمة من الإغريقية إلى العربية ذروتها في عصر الخليفة العباسي المأمون ، وانتقل على إثر ذلك مركز الإشعاع الثقافي إلى بغداد لفترة غير قصيرة شهدت تأثيراً إغريقياً واضحاً في جوانب الطب والرياضيات والعلوم والفلسفة التي استوعبها العالم العربي (بالمعنى الحضاري) وطورها علماؤه بعد ذلك من أمثال *ابن رشد واسحق بن حنين والغزالي والفارابي وابن سينا والكندي .. وغيرهم لتشكل نسيجة لذلك قسماً أساسياً من تراثنا العلمي والفكر* [1] .

٢ ــ المحور الثاني: *مراكز التأثير الحضاري في الحضارة العربية الإسلامية*:

كانت الحضارة العربية الإسلامية مثالاً لحوار الحضارات وتفاعلها وتكاملها، فهي لم

---

1 – حول فضل العرب على التراث الإغريقي وما قاموا به من تطوير هذا التراث والعناية به انظر : عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، الطبعة الأولى، دار الآداب، بيروت ١٩٦٥، ص ٩٢ ــ ٢٢١ .

تلغ الحضارات التي سبقتها، بل أسست معهم لحوار حضاري عريق، ويشهد على ذلك إنجازات العرب الفكرية والعمرانية في الأندلس وفي المغرب وفي آسية الوسطى، ولم تنعم المنطقة الموجودة حول البحر الأبيض المتوسط بحوار الحضارات إلا في ظل الحضارة العربية الإسلامية التي أعطت قيم العدل والمساواة والحوار، لقد عاش فيها العرب والبربر والفرس والأفغان والأكراد والترك وضمت إليها النصارى واليهود، وتم خلق حضارة إنسانية واحدة تنصهر فيها الثقافات المتعددة، إذ أن نهضة الغرب الحديثة لم تبدأ إلا بفضل الترجمات للتراث العربي الإسلامي والفلسفي من العربية إلى اللاتينية. فالحضارة الإسلامية حضارة تاريخية نشأت في زمان ومكان عبر التوالي التاريخي للحضارات، وقدمت إنجازات مادية متمثلة في الإنجازات العمرانية في مختلف أنحاء العالم العربي الإسلامي، وإنجازات معنوية روحية بما فيها من قيم فكرية وأخلاقية وثقافية وعلمية.

ومن هذا المنطلق، أنكب العرب المسلمون على دراسة التاريخ الإنساني فترجموه ونقلوه بعد أن أضافوا إليه علماً وفكراً، مما منح حضارتهم محتوى حضارياً أصيلاً وأضفى عليها زخماً ثقافياً يتميز بالانفتاح الحضاري على كل الثقافات. وهذا إن دلّ على أن هذه الثقافات جميعها مولدة، فهي حصيلة تفاعل وتلاقح مع الآخر.

وهكذا بدأت العلوم الإغريقية تنتقل إلى العرب المسلمين، وبدأت معها حركة الترجمة لهذه العلوم، وشهد ***العصر الأموي*** بدايات حركة النقل والترجمة، بسبب اتصال العرب بعد الفتوحات الإسلامية بالحضارتين الإغريقية والرومانية في مصر والشام، والفارسية في إيران، والسريانية في العراق وبلاد ما بين النهرين. وكان من أوائل الذين عملوا في هذا المجال الخليفة العالم ***خالد بن يزيد بن معاوية***، الذي زهد في الحكم، والتفت إلى أداء دور علمي فعّال، ويقال: ***أنه صاحب أول مكتبة خاصة في الإسلام***، حيث كلف من بين العديد من العلماء الباحث والعالم السرياني ***يوحنا الدمشقي*** بترجمة عدد من الكتب العلمية له، تناسب شغفه بالعلوم، ولاسيما الكيمياء إذ اهتم بالصنعة وتحويل المعادن إلى ذهب وعلم النجوم.

لقد كتب الإغريق في الفلك، والرياضيات، والفلسفة، والمنطق، والطب لفلاسفتهم وعلمائهم، وتُرجم الكثير من هذه الكتب لاسيما إلى ***اللغة السريانية***، ثم تُرجمت هذه الكتب من اللغة السريانية إلى العربية منذ القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الرابع الهجري (الثامن الميلادي إلى منتصف العاشر الميلادي)، وقد قام ***السريان*** بدور بارز ومؤثر منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) في ترجمة هذه الكتب إلى ***اللغة العربية***، فأسهموا بدور فعّال في الحضارة العربية الإسلامية من ناحية العلوم العقلية في ***بغداد*** وغيرها من مدائن الثقافة العربية في العصر الوسيط. وكان للسريان في بلاد ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة، تُعلم فيها العلوم السريانية والإغريقية أشهرها مدرسة ***الرها ونصيبين***، ***وكان يتبعها مكتبات***.

وفي ***العصر العباسي*** كانت قد بدأت موجة عاصفة من حركة الترجمة من الإغريقية إلى العربية، ولاسيما في عهد الخليفة العباسي (**المأمون**) الذي أسس (***دار الحكمة***) لهذه الغاية[1]، وكان (***للمعتزلة***) أثر كبير في تشجيع حركة الترجمة، وكذلك الأمر حركة (***إخوان الصفا***)[2]، التي أسهمت في هذه الحركة بنشاط كبير

---

1 - يُنسب إنشاء " دار الحكمة " في بغداد إلى المأمون ، وكانت تُحمل إليها الكتب من كل صقع ، وقد زودت بالمترجمين والنساخ، وكان يرتادها البحاثة والمؤلفون، ويُذكر أنها خُربت عند هجوم التتر على بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

2 - ظهرت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي نحو ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م تحت اسم "جمعية أخوان الصفا وخلاّن الوفا" . وهي جماعة سرية ، يُعتقد ارتباطها بالمذهب الإسماعيلي ، وأنها كانت تدعو له . وقد خلّفت مجموعة رسائل تمثل زبدة معارف العصر الذي عاشت فيه . ويبلغ عدد تلك الرسائل إحدى وخمسين ، وقد قسموها إلى "رسائل تعليمية ورياضية "، وتبحث في العدد ، والهندسة، والنجوم، والموسيقى، والجغرافية ، والمنطق وعددها (١٤) رسالة " ورسائل جسمانية طبيعية " وتتحدث في الهيولى، والكون، والفساد، وتكوّن المعادن ، وأصناف النبات والحيوان ، والحس والمحسوس وعددها (١٧) رسالة و"رسائل نفسانية عقلية " تبحث في ما وراء الطبيعة، أي في العقل والمعقول ، والعلل والمعلولات وغيرها وعددها (١٠) رسائل. وأخيراً رسائل " ناموسية إلهية " وتهبط بالموضوعات الدينية والسحر وعددها (٩) رسائل، والرسالة الأخيرة الواحدة والخمسون، تجمع بين السابقة كلها بشكل موجز. انظر : ليلى الصباغ ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، الطبعة الحادية عشرة، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥ م ، ص ٣٢٦ .

لأجل الاستعانة بالفلسفة الإغريقية ودعم عقيدهم الدينية. ويصف لنا *أبو حيان التوحيدي* خلاصة مذهبهم وسبب نشاطهم في حركة الترجمة بقوله: *(إنهم قالوا: إن الشريعة دُنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطويرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة الإغريقية والشريعة العربية فقد حصل الكمال)*. وصنفوا في أجزاء الفلسفة الإغريقية خمسين رسالة. ويجدر بنا أن نشير في هذه المناسبة إلى أن *(الحسن بن الهيثم)*، وهو أحد أكبر علماء المسلمين العباقرة كان من المتحمسين للفلسفة الإغريقية أيضاً، من أجل دعم آرائه ومعتقداته وإكسابها المزيد من قوة المنعة والحجة وذلك بالاستعانة بالفكر الفلسفي الإغريقي وهو الذي قال: *(إنني لا أصل إلى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الأمور الحسية، وصورتها الأمور العقلية، فلم أجد ذلك إلا فيما قرره أرسطوطاليس من علوم المنطق، والطبيعيات، والإلهيات، التي هي ذات الفلسفة)*.

وفي هذا العصر نهض *أهل الذمة عامة ولاسيما السريان والصابئة*، بدور مهم في حركة الترجمة من الإغريقية والسريانية إلى اللغة العربية، ويأتي على رأس هؤلاء *حنين بن أسحق العبادي* في الحيرة بالعراق عام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م، وهو من قبائل العباد العربية التي اعتنقت المسيحية على المذهب النسطوري واستقرت في الحيرة، وكان الصيت العلمي لحنين بن أسحق انتشر في *بغداد* وخارجها، حتى وصل إلى الخليفة *(المأمون)* من خلال طبيبه *جبرائيل بن بختيشوع ٢١٨ هـ/٨٣٢م*، الذي كان يثني على ذكاء حنين وإمكاناته العلمية في مجلس الخليفة، الذي طلب من حنين أن ينقل كتب الفلاسفة الإغريق إلى اللغة العربية، كما طلب منه في الوقت نفسه إصلاح ما ينقله غيره، فامتثل حنين لطلب الخليفة بعد أن أصبح هو المشرف

على شؤون الترجمة في (*بيت الحكمة*) ويقول *ابن أبي أصيبعة*[1] *أن المأمون كان يعطي حنين بن اسحق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى اللغة العربية مثلاً بمثل*) وغدا حنين كما يقول *القفطي* (*ينبوعاً للعلم*) واتصل خبره بالخليفة *المتوكل على الله ٢٤٧هـ / ٨٦١ م* ، فأمر بإحضاره وأقطعه إقطاعيات كبيرة وقرر له راتباً شهرياً قدره خمسة عشر ألف درهم ، واستمر حنين موضع احترام وتقدير الخليفة المتوكل وكل الخلفاء الذين اعتلوا عرش الخلافة العباسية بعده حتى وفاته ٢٦٤هـ / ٨٧٩ م.

وعلى الرغم من أن ترجمات حنين بن إسحق من اليونانية إلى العربية والسريانية كانت تغطي الكثير من فروع العلم والمعرفة آنذاك، إلا أنها كانت تتركز في *ميدان الطب*، فقد ترجم معظم مؤلفات الطبيب الإغريقي (*جالينوس*) من الإغريقية إلى السريانية والعربية، *حيث ترجم منها نحو خمسة وتسعين كتاباً إلى السريانية، ونحو تسعة وثلاثين كتاباً إلى العربية، كما ترجم حنين نحو خمسة عشر كتاباً من مؤلفات الطبيب الإغريقي (أبقراط) ٣٩٩ق.م، مع تفسير (جالينوس) لها* . وقام حنين بمراجعة وتنقيح بعض ما ترجمه تلاميذه، *وقد بلغت نحو ستة كتب تمت ترجمتها من الإغريقية إلى السريانية، ونحو سبعين كتاباً تمت ترجمتها من الإغريقية إلى العربية.*

ويؤكد المؤرخون أن الترجمة من الإغريقية إلى السريانية والعربية كانت تتم غالباً من أجل الخلفاء والأمراء والأطباء والعلماء العرب المسيحيين والمسلمين أمثال: *جبرائيل ويوحنا والمأمون والمتوكل والوزير محمد بن عبد الملك الزيات*، الذي كان ينفق شهرياً نحو ألفي دينار للترجمة، وآل شاكر الذين كانوا ينفقون بدورهم

---

١ ـ ابن أبي أصيبعة ، هو أحمد بن القاسم ، طبيب ومؤرخ ٥٩٦ ـ ٦٦٨ هـ / ١٢٠٠ ـ ١٢٧٠ م ، كان مقامه في دمشق وتوفي بصرخد في حوران .

نحو خمسمائة دينار شهرياً للترجمة أيضاً، وكان حنين من بينهم. وتشير المصادر إلى أن الأخير كان قد ارتحل أكثر من مرة إلى بلاد كثيرة للحصول على كتب التراث الإغريقي التي كان يرغب في ترجمتها. وكانت هذه الرحلات العلمية في معظمها تتم على نفقة الخلفاء وكبار رجال الدولة والبلاط والعلماء. ولم يكن حنين يكتفي بالترجمة وإنما كان يضيف للكتاب المترجم أحياناً، شروحاً وتفاسير لبعض المسائل الصعبة الواردة فيه. ويؤكد ***القفطي*** هذه النقطة بالقول: ***(إن حنين كان جليلاً في ترجمته، وهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس وكشف ما استغلق منها)***.

ويجمع المؤرخون على أن تراث حنين كان أحد مصادر العلم والمعرفة لأجيال من العلماء والأطباء، المسلمون منهم وغير المسلمين، المعاصرون منهم وغير المعاصرين، فترجمة التراث الإغريقي إلى العربية على يد حنين وغيره من فرسان الترجمة في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) ***تُعد مأثرة خالدة من مآثر بناة الحضارة العربية الإسلامية خلفاء وعلماء على السواء، فالترجمة أنقذت التراث الإغريقي من الفناء وأعادت له الحياة، بعد أن كان معزولاً عن حركة التاريخ، بل بعد أن كان محتقراً ومهملاً في الأقبية البيزنطية.***

وبناءً على ذلك، فإن نشاطات حنين في ميدان الترجمة، أتاحت للعلماء العرب المسلمين وغير المسلمين الإفادة من التراث الإغريقي الذي شكّل واحداً من العوامل المهمة التي أسهمت في بناء الحضارة العربية الإسلامية وتقدمها [1].

---

[1] – **عادل زيتون**، حنين بن إسحق ومكانته في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة العربي، العدد ٥٢١، نيسان٢٠٠٢، ص ٢٨ – ٣٤.

وفي هذه المناسبة يجب أن ننوه ، إلى أن (*حران*) التي تقع في منطقة الجزيرة بين الرها ورأس العين ، والتي عاصرت الإغريق والرومان، ***كانت تعد ثاني أكبر وأهم مراكز الثقافة الإغريقية في العصر العباسي بعد مدرسة الإسكندرية***، إذ انتشرت فيها ديانة خاصة هي مزيج من العقائد البابلية والإغريقية القديمة والأفلاطونية الحديثة، واتخذ سكانها لأنفسهم اسم (*الصابئة*)في عهد المأمون حتى يعتبروا من أهل الكتاب ويسمح لهم بالمحافظة على عقيدتهم مقابل دفع الجزية، وظهر فيها كثير من العلماء الذين قاموا بترجمة المؤلفات الإغريقية إلى اللغة العربية أمثال : ***(ثابت بن قرة) و (ابن سنان) و أسرة (هلال الصابي)*** [1] .

وهكذا تسرّبت الثقافة الإغريقية إلى العلوم العربية نفسها وصبغتها صبغة خاصة، كما نرى ذلك في أسلوب علماء الكلام الذين اتبعوا أساليب منطق ***أرسطو***، وصاروا يستخدمون المصطلحات والتعابير الفلسفية كالجوهر، والعرض، والكمية، والضرورة، والإمكان، كذلك نلاحظ تأثير (*أرسطو*) في ترتيب كتاب (*سيبويه*) وتبويبه واستعماله للقياس في أشكاله المتنوعة، بل إن طريقة البحث عند الإمام (*الغزالي*) نفسه تدلنا على خضوعه لتأثير الفلسفة الإغريقية[2] . وعلى غرار (*الغزالي*)، نجد ثمة تشابهاً في مواضيع عديدة بين الموضوعات، وكيفية علاج بعض

---

1 - حول التبادل الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الإغريقية انظر : **محمد كامل عياد**، تاريخ اليونان ، الطبعة الأولى ، دمشق ١٩٦٩ م ، ص ٢ ـ ٨ .

2 - **محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد** (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) فيلسوف متصوف ، حجة الإسلام ، مولده ووفاته في قصبة طوس بخراسان ، زار بغداد ، والحجاز ، وبلاد الشام ومصر ، له نحو ٢٠٠ مصنف من كتبه المشهورة " **أحياء علوم الدين** " و " **تهافت الفلاسفة** " و " **المنقذ من الضلال** " و " **المستصفى من علوم الأصول** " . انظر : ابن خلكان ، مجلدان ، مصر ١٣١٠ هـ ج ١ ص ٤٦٣ ، شذرات الذهب : ج٤ ص ١٠ .

المسائل عند ابن خلدون في (*المقدمة*)[1]، وأرسطو في كتاب (*السياسة*)، وينهض ذلك دليلاً على إطلاع ابن خلدون على المؤلفات والثقافة الإغريقية وتعمقه في دراستها وإلمامه بمنهجها ولاسيما كتاب (السياسة) لأرسطو. ولعل مقارنة بسيطة بين هذين المؤلفين لتبدو لنا من أول وهلة، أن أوجه التشابه بينهما عديدة وكثيرة، ليس فقط في الموضوعات، وإنما في طريقة علاج هذه الموضوعات.

وأخيراً يجب الإشارة إلى ناحية رئيسية، وهي أنه على الرغم مما اقتبسه العرب المسلمون من العلوم الإغريقية، إلا أن اقتباسهم هذا، اقتصر على بعض الجوانب دون غيرها مثل: *العلوم الرياضية، والطبية والفلسفية، أي العلوم العقلية (علم المنطق)، في حين أنهم لم يهتموا بالجوانب الأخرى مثل: الفن، والأدب الإغريقي أي (لغة العواطف)*. *ويفسر الأستاذ أحمد أمين هذه الظاهرة، بأن العلوم العقلية التي يضبطها المنطق، مشتركة بين جميع البشر، بخلاف الأدب والفن الذي هو لغة العواطف وصورة الحياة الاجتماعية، إذ أن الروح الوطنية في الأدب والفن تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الإغريق في هذا المجال، وهذا مما لا يتذوقه أو يستسيغه الذوق الإسلامي*[2]. ويتفق معه في هذا الرأي (هينرش بيكر) بقوله: (*لقد كانت*

---

1 - ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ /١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) أصله من أشبيلية، ومولده ونشأته في تونس، ووفاته في القاهرة، رحل إلى فاس، وغرناطة، وتلمسان، ومصر. وكانت حياته حافلة في ميدان السياسة، استقر آخر المطاف في القاهرة، وكان الحكم للمماليك البراكسة، وولي فيها قضاء المالكية. وكان له لقاء مع تيمورلنك عند محموله على دمشق، وكتابه في التاريخ هو (العبر وديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات أولها (المقدمة) التي لها شهرتها الكبيرة في الفكر التاريخي العربي والفكر الإسلامي بصفة عامة. انظر: ليلى الصباغ، ص ١١.

2 - محمد كامل عياد، ص ٨.

هناك عوامل تاريخية وعرقية ونفسية جعلت العرب لا يعنيهم من كتب الإغريق ، إلا ما كان معترفاً به من الجميع، وما كان في الوقت نفسه ، يلائم طبيعتهم واعني بذلك النزعة العقلية المنطقية)[1].

وباختصار يمكن القول: إن العرب المسلمين اقتبسوا من التراث الإغريقي ما يلائم طبيعتهم ويتفق مع نظرتهم إلى الحياة، بعد أن أضافوا إليه خصائص حضارتهم لتمتزج هذه الخصائص مع ما اقتبسوه من العلوم الإغريقية، لتظهر في شكل وإبداع جديدين يناسبان مقوّمات حياتهم الأساسية.

ثالثاً: التبادل الحضاري بين *الحضارة* الإغريقية والحضارة العالمية:

أدّى التراث الإغريقي دوراً مهماً جداً في نشأة الحضارة الأوروبية الحديثة وفي تطورها خلال العصور الماضية، ويعود الفضل في ذلك إلى *المستعمرات الإغريقية* المنتشرة في كل ناحية من حوض البحر الأبيض المتوسط التي كانت قد زرعت هذا الميراث الثمين وبذور هذه الحضارة العريقة بين السكان في آسية الصغرى وبلاد الشام ومصر وبرقة وإيطالية وفرنسة وإسبانيا وشواطىء البحر الأسود .. وكانت فتوحات *الإسكندر* من أهم العوامل التي ساعدت على نشر هذه الحضارة وترسيخها في جميع أقطار الشرق الأدنى .. وكانت الإسكندرية في عهد البطالمة مصدراً للأفكار والبضائع، ومنها كانت تشع آراء الفلاسفة والمتصوفة والعلماء والشعراء الإغريق وتنتشر بين الباحثين والطلاب في جميع أنحاء العالم .

---

1 - مقالة كارل هينرش بيكر إلى هانز شيدر (تراث الأوائل في الشرق والغرب في كتاب : التراث الإغريقي في الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٧ ــ ١٠٠ .

لما قامت *الإمبراطورية الرومانية* مزجت في إدارتها الشاسعة بين الأنظمة الإغريقية والشرقية، بعد أن اقتبست الميراث الإغريقي في شكله الهيللينستي، وساعد انتشارها السريع على انتشار الحضارة الهيللينستية (*CIVILISATION HELLENIQUE*) في كثير من البلاد التي لم تكن قد وصلت إليها من قبل.

ثم قامت *الإمبراطورية البيزنطية* فجمعت بين الحضارتين الإغريقية والشرقية، ونقلت قسماً كبيراً من التراث الإغريقي إلى الشرق الأدنى من جهة وإلى الأقوام السلافية من جهة أخرى، وقد انتقل هذا التراث إلى العرب بعد الفتوحات الإسلامية بوساطة المسيحيين النساطرة والسريان، ونشطت حركة الترجمة إلى اللغة العربية وتولى علماء العرب وفلاسفتهم تفسير المؤلفات الإغريقية وشرحها، *فأخذها عنهم بعد ذلك الأوروبيون في الأندلس وجنوب إيطالية وصقلية، ثم في بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية*. وهنا يتجلى دور حنين بن إسحق وغيره من شيوخ الترجمة في نهضة الغرب. فمن المعروف أن معظم كتب (*جالينوس*) التي ترجمها حنين من الإغريقية إلى العربية قام *جيرار الكريموني* ١١٧٨ م بترجمتها من العربية إلى اللاتينية، ولولا ذلك لضاع على الغرب إمكان الاتصال بتراث هذا الطبيب الإغريقي الشهير، ومن ناحية أخرى لم يتسلم الغرب التراث الإغريقي بترجمته العربية فحسب، وإنما أفاد من شروح العلماء العرب ونقدهم وتصحيحهم لهذا التراث، فكان ذلك من أهم العوامل في قيام حركة النهضة الأوروبية. وقد اندفع الأوروبيون منذ ذلك الحين إلى أحياء التراث الإغريقي في كل جوانبه الحضارية بغض النظر عن الحجم الذي اتخذه كل جانب منها، سواء أكان ذلك يمسّ الناحية السياسية أم الاقتصادية أم العسكرية أم الفكرية أم الفنية أم الأدبية، ثم لم يكتفوا بالتفاسير والشروح الهيللينستية بل رجعوا إلى الأصول والنصوص الإغريقية نفسها .. وانتهى الأمر إلى سيطرة الفكر الإغريقي على الحضارة الحديثة حيث قال أحد الكتّاب المعاصرين :

(إن جميع الأمم المتمدنة ليست سوى مستعمرات إغريقية في كل ما يتعلق بالنشاط الفكري)[1] . ولم يكن الشاعر الألماني الأكبر غوته (GOETE) إلا لسان حال جميع الأوروبيين حين قال في لوحات فيلوستراتس [2].

(ليكن كل منا إغريقياً بأسلوبه الخاص
ولكن لا مفر لأحد من أن يكون إغريقياً)

وفي الحقيقة يستحيل فهم أية ناحية من الحضارة الأوروبية الحديثة دون الرجوع إلى أصولها في التراث الإغريقي. فالفكرة الديمقراطية (*DEMOCRACY*) التي تعدّ الأمة مصدر السلطة وتجعل الحكومة مسؤولة تجاه الشعب قد نشأت أولاً في بلاد الإغريق وأدّت دوراً مهماً في تاريخهم وكان لها تأثير عميق في العصور الحديثة.

ولا يمكن إدراك الآداب الأوروبية الحديثة دون الرجوع إلى تراث الإغريق والأدب الإغريقي ولاسيما الأدب المسرحي الذي توضّحت معالمه على يد عدد من الشعراء المسرحيين من أمثال *إيسخيلوس وسوفوكليس ويوروبيدس وأريستوفانس ومينانـدروس*. وطرائق الأدب وأساليبه وأنواعه كالشعر الغنائي الوحداني والقصصي والخيالي ثم القصة والمقالة وتراجم الأحوال وفي الدرجة الأولى: الروايات المسرحية الدرامية والهزلية الكوميدية ، جميعها موروثة عن الإغريق .

كذلك الفنون الجميلة من موسيقى وروايات غنائية (*أوبرا*) وتمثيل ونحت معماري قد اقتبسها الأوروبيون عن الإغريق وما زالوا يتبعون فيها طرائقهم

---

1 . محمد كامل عياد، ص ١٢ .

2 – فيلوستراتس كاتب إغريقي رائع الأسلوب توفي نحو سنة ٢٥٩ م ، وللوحاته وصف بارع رشيق لدهليز رُسمت على جدرانه لوحات فنية. زاره فيلوستراتس في إحدى ضواحي مدينة نابولي هو وتلاميذه وطفل في العاشرة من عمره هو ابن مضيفه. وإليه يوجه هذا الوصف لهذه اللوحات الموجودة بالدهليز حول ذلك انظر : مقالة كارل هينرش بيكر إلى هانز شنيدر ، ص ٣٣ .

وأساليبهم، والروائع الإغريقية في فن النحت لا تزال فريدة من نوعها حتى يومنا هذا، وستظل إلى الأبد نماذج يحتذي بها الفنانون والنحاتون، وقد اكتسبوا التفوق في هذا الفن لمعرفتهم الدقيقة بالجسم الإنساني ، واصطناعهم مثلاً أعلى للجمال ، ذلك أن الإغريق كما يقول نيتشة *(كانوا بسطاء ببساطة العبقرية نفسها، ومن ثم فهم أساتذة الفن الخالدون)*، ويقول ونكلمان : *(ليس في الوسع تصوير الروائع النادرة التي ورثناها عن الإغريق لأنها ليست كتلاً من العمارة جامدة لا حياة فيها، بل هي تسمو إلى الروحانيات)* [1] .

استطاع الإغريق أن يتحرروا من سيطرة العقائد الغيبية وأن يفتحوا الطريق للبحث العلمي المستقل ولتقدم المعرفة الإنسانية، فوضعوا أسس الحساب والمثلثات وبلغوا في علم الهندسة درجة كبيرة من الكمال. ونظرية *(ديموقريطس)* في الجوهر هي التي ألهمت علماء الطبيعة الحديثين ومهدت لهم الطريق إلى التقدم الهائل في الفيزياء والكيمياء، وقد توصل *(أرخميدس)* إلى كثير من الاختراعات الميكانيكية التي جعلته يصبح قدوة ومرشداً للمخترعين الحديثين .. والنظريات المستحدثة في الفلك وفي تطور الكون مستوحاة من الفلاسفة والعلماء الإغريق أمثال *(أناكساغوراس) و(أمبيدقلس) و (أرستارخوس) و (هيبارخوس)* .. ويرجع الفضل إلى *(أبقراط)* في تحرير الطب من الخرافات وهو الذي زاد في شرف المهنة بأن وضع القسم الخاص بالأطباء وفرض عليهم ضرورة التمسك بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية. على أن أهم ميدان يتجلى فيه تأثير الميراث الإغريقي هو موضوع الفلسفة ، فالعلم الإغريقي نفسه لم يكن سوى حصول التفكير الفلسفي الذي يمثل لنا رغبة الإغريق الجامحة في

---

[1] – جون هامرتن، تاريخ العالم ، المجلد الثالث، مكتبة النهضة المصرية، مقالة : فضل اليونان على العالم الحديث، بقلم . أ . ل . فيشر ، ترجمة محمد عبد الحافظ، ص ١٧٨ .

دراسة الطبيعة ومعرفة حقيقة الإنسان ، و لم يكن جميع المفكرين في هـذه العصـور يدرسون مؤلفات *أفلاطون وأرسطو* بوصفها وثائق تاريخية ، بل ليستخرجوا منـها نظريات تساعدهم على حل مشكلات عصرهم .

ولا نكاد نجد شيئاً في الحضارة الأوروبية إلا ويمكننا إرجاعه في الأصـل إلى الإغريق ، *فالمدارس وأنواع الرياضة البدنية والألعاب الأولمبية وتحديد النسـل وعلم الحساب والهندسة والتاريخ والخطابة والفيزياء وعلم الحياة والتشـريح وحفظ الصحة والطب والشعر والموسيقى والتمثيل والفن القصصي والروايـات المسرحية الجدية والهزلية الفلسفية واللاهوت والتصوف والمـذاهب الفلسـفية والنظريات الأخلاقية والسياسية وأشكال الحكم الديموقراطيـة والأرسـتقراطية والدكتاتورية والبلوتوقراطية*، كلها ظهرت لأول مرة لدى الإغريق أو أنها تطورت وبلغت درجة الكمال بفضل جهودهم ، ولا تزال الأمم الأوروبية كلها تسمي هذه الأمور بأسمائها الإغريقية القديمة .

فتاريخ الحضارة الإغريقية من شأنه أن ينير الأفكار حول هـذه المشـكلات ويهيئ العقول لفهمها ومحاكمتها وإيجاد الحلول لها .. فالحضارة الإغريقية ما زالـت حية في أوروبة وهي تتجلى في جميع خطرات الفكر الأوروبي، إذ لها الفضل الكبير في الدعوة إلى مبادئ العقل والحق والحرية والجمال، *وهذا ما هو واضح من خلال أصوات (صولون) و(سـقراط) و (أفلاطـون) و (يوروبيـدس) و (فيـدياس) و(أبيقور) و (أرخميدس) وأمثالهم من العباقرة الخالدين* [1] .

---

[1] ـ حول فضل الحضارة الإغريقية على الحضارة الأوروبية انظـر : **ول ديورانـت**، قصـة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الثاني ، حياة اليونانيين ، ترجمة **محمد بدران** ، إصدار المنظمـة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكتاب الثامن ، ص ٢٠٥ ـ ٢١٢ .

الفصل الثاني

جغرافية بلاد الإغريق

لم يقتصر التاريخ الإغريقي على شبه جزيرة الإغريق القارية فقط ، بل كان يشمل بلاداً كثيرة هاجر إليها الإغريق واستقروا فيها .. وقد كانت جزر بحر إيجة وشواطىء آسية الصغرى المجاورة تؤلف دوماً جزءاً متمماً لبلاد الإغريق، إذ سكنها الإغريق منذ بدء تاريخهم ، كما أسسوا المستعمرات في جنوبي إيطالية وصقلية وفي برقة وعند مصب نهر النيل ثم شواطئ بحر مرمرة والبحر الأسود في الشمال ثم في إسبانية وفرنسة في الغرب .. ومن هذا المنطلق يمكن القول ، ***إن شبه جزيرة الإغريق القارية نفسها التي نعرفها اليوم لم تكن سوى جزء صغير من العالم الإغريقي ، لأن الإغريق سكنوا في كل الجهات من البحر الأبيض المتوسط الذي أصبح حقاً بحيرة إغريقية .***

وإذا أردنا أن نتعرّف على العوامل الجغرافية التي أثرت في تطور الفكر الحضاري الإغريقي، فلا بد لنا من البحث **أولاً** : في حوض البحر الأبيض المتوسط كله، وتبيان خصائص وسمات هذا البحر، ثم نتعرض **ثانياً** : إلى دراسة السلسلة الجبلية الإغريقية وتبيان سماتها وخصائصها الأساسية التي أدت إلى الانفصالية السياسية لبلاد الإغريق وتأثيرهما في الفكر الحضاري الإغريقي .

أولاً : حوض البحر الأبيض المتوسط :

لم يكن تأثير العوامل الجغرافية وموقع البحر الأبيض المتوسط ومناخه وطبيعة الأراضي المحيطة به هي وحدها التي خلقت الحضارة الإغريقية، ولكنها بلا شك،

ساعدت كثيراً على نشأة الحضارة وتطورها، كما أنها أثرت تأثيراً عميقاً في تكيفها وتكوين قسم كبير من صفاتها وطبعها بطابع خاص.

فما مميزات حوض البحر الأبيض المتوسط الذي كان مهداً لأقدم المجتمعات البشرية والذي تعاقبت على شواطئه كثير من الحضارات الراقية ؟ .

يقول هيرودوت (*إن بلاد الإغريق لديها أفضل مناخ وأكثره اعتدالاً*) [1]. وهذه الميزات التي أطلقها هيرودوت تنطبق على الواقع انطباقاً تاماً. *لطافة المناخ، واعتدال الطقس ، وصفاء الجو ، وتعاقب الفصول بانتظام ، وحرارة معتدلة* .. كل ذلك شكل إقليماً ممتازاً يتجلى بالدرجة الأولى ببحر إيجة (*وبحر إيجة هو الجزء الشمالي من القسم الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الذي يقع بين شبه جزيرة البلقان في الغرب وآسية الصغرى في الشرق*). هذا الإقليم يتصف بالجفاف في الصيف وباعتدال الطقس في الشتاء وبصفاء الجو، وإشعاع النور في كل الفصول مما ينعش الأجسام ويثير النشاط ويزيد فعالية الحياة .. ومن جهة أخرى ، فقد شكل بحر إيجة عاملاً فعالاً لاتصال البشر بعضهم ببعض ولتسهيل التبادل التجاري بينهم ولانتشار الحضارة وتمازج الثقافات .

فكان من الطبيعي، أن شعباً في مثل هذا الإقليم يتطور بصورة أسرع من غيره وأكثر انسجاماً، فليس هناك حرارة شديدة تنهك الإنسان، كما أنّ لا أثر للبرد القارص الذي يفلج الأجسام ويشل حركتها، فاعتدال الإقليم، ولطافة الطقس، وجمال الطبيعة في بلاد الإغريق يثير النشاط في النفس دون الإخلال بالتوازن، مما يقود الفكر الموهوب إلى التأمل والعمل معاً. ويقول *أبقراط* (*HIPPOKRATES*) أحد أشهر أطباء الإغريق في خصائص إقليم بحر إيجة (*إن إقليم بحر إيجة يُعد مثالاً*

---

[1] – انظر : **هيرودوت** ، ترجمة عبد الإله الملاح ، ص ٢٦٧ .

أعلى في الاعتدال واللطافة، وإليه يرجع الفضل في قوة الإغريق وشجاعتهم وحبهم للحرية) .

فالبيئة الطبيعية في بلاد الإغريق وجمال المناظر وتنوعها، كل ذلك أثر تأثيراً عميقاً في نفسية الإنسان وعواطفه وذوقه ونظرته إلى الكون، فزرقة السماء وتلألؤ الشمس وصفاء الجو في الربيع والصيف يؤدي إلى وضوح الأشكال الطبيعية وضوحاً جلياً للمفكر والرسام والنحات والعالم، وتبرز رسومها بمنتهى الدقة والتحديد، وهذا ما جعل آثار النحت القديمة بعيدة عن الفوضى والاضطراب ويتجلى فيها الهدوء والبساطة، يقول الفيلسوف العربي الكبير محمد كامل عياد في هذا الصدد :

(ولا غرابة في أن يخضع البشر في العصور القديمة لتأثير الطبيعة أكثر مما في الوقت الحاضر، فكان من حسن حظ الإغريق أنهم عاشوا في بلاد جميلة، كل شيء فيها يوحي بالثقة والاطمئنان تجاه الطبيعة ويدفع الإنسان إلى دراستها واكتشاف أسرارها .. وهكذا اعتاد الإغريق على الملاحظة والبحث والتأمل، فازدادت لديهم الرغبة في المعرفة واتسع أفق الخيال .. كما أن ضرورات المعيشة كانت تفرض عليهم التقيد بالواقع، فساعد ذلك على تقوية الاتجاه العملي عندهم إلى جانب البحث النظري ، وبذلك تهيأت الأسباب لانكشاف التفكير المبدع) [1] .

ومن الناحية الجيولوجية ، فإن بحر إيجة يتداخل مع الأرض في عدد من الخلجان العميقة على شواطئ شبه جزيرة الإغريق وآسية الصغرى، كما أن الأرض تتداخل في أعماقه بالرؤوس وتشكل أشباه الجزر ثم الجزر التي تتناثر وتتوزع في كل أنحائه والتي لا يقل عددها عن الخمسمائة .. وكان لكل جزيرة وكل رأس وكل

١- انظر : محمد كامل عياد ، ص ٣٥ .

خليج في بحر إيجة شكل خاص ومظهر مختلف يمكن تمييزها عن بعـــد .. وبـــذلك أصبحت هذه الجزر والخلجان نقاطاً معينة وإشارات طبيعية (**نقاط علاّم**) لا مجـــال للضلال بينها .. فهي تهدي البحارة إلى معرفة الطريق وتغنيهم عن البوصلة التي لم تكن قد اكتشفت بعد .

والجزر في بحر إيجة قريبة بعضها من بعض إلى درجة أن الانتقال من إحـــداها إلى الأخرى لا يستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين، وكانت تُستخدم في بادئ الأمر كمراكز حصينة من قبل قراصنة البحر وصيادي السمك، وتكثر في هـــذه الجـــزر الأشجار المثمرة ولاسيما كروم العنب والتين، وفي بعضها تكثر المعادن والحجـــارة الثمينة كالذهب في (*سفنوس*) و (*تاسوس*) والعقيق في (*ميلوس*) والمرمر الممتاز في (*ناكسوس*) و (*پاروس*) ويوجد فيها جميعاً أحسن أنواع الغضـــار لصـــناعة الأواني الخزفية [1].

وتشكل من دون شك ، الجزر الكبرى الممتدة على طول البحر الأبيض المتوسط من غربيه إلى شرقيه مثل ساردينية وكورسيكة ومالطة وصـــقلية وكريـــت وقبرص نقاط ارتكاز ملاحية بين شواطئ القارات الثلاث التي تحيط بهذا البحر .

كذلك *الهدوء* الذي يمتاز به البحر الأبيض المتوسط والذي يتصف به بحـــر إيجة خاصةً فهو من أشد بحار العالم هدوءاً، مما شكل هذا البحر عنصراً أساســـياً في حياة الإغريق في تجارهم وملاحتهم وهجرهم وسياستهم وفي أدبهم وأغانيهم، حـــتى إن هذا البحر كان في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون خليجاً ولكنه متســـع بعـــض الشيء، فاليابسة تحده من الغرب والشمال والشرق مثل أي خليج آخر .. ومن هنا جاء الهدوء الذي يسود مياهه في أغلب مواسم السنة ، *وهو هدوء ساعد الإغريـــق*

---

[1] - انظر : هيرودوت ٣ /٧٥ ، ٦ /٤٦، ٧ / ١٢ .

على ركوب البحر في فترة مبكرة من تاريخهم ساعين لتعويض ما كانوا يجدون في بلادهم الأصلية من ضيق في موارد الحياة ، فلهذا عدّ أيسخيلوس (AESCHYLOS) البحر من أخلص الأصدقاء بقوله :

هيا

حددوا أي عون يجب أن اقدمه

لن تستطيع أن تقول أن

لك صديقاً أخلص من الأوقيانوس [1]

وثمة ملاحظة أخرى عن البحر الأبيض المتوسط ، وهي خلوه من حركات المد والجزر القوية .. وقد يسّر ذلك استخدام الموانئ والمراسي وبناء الأحواض وتخطيط المدن الساحلية .. ولا تجد المراكب فيه أية صعوبة كبيرة سواء عند الإقلاع من الميناء أو الرسو على الشاطئ .. بالإضافة إلى وجود التيارات المائية الدائمة في بحر إيجة التي كانت تساعد السفن على السير في الذهاب والإياب على السواء .

أما مناخ البحر الأبيض المتوسط، فهو ثابت لا يتغير من يوم لآخر أومن ساعة إلى ساعة كما هو الحال في مناخ المناطق الصحراوية الذي يخل بتوازن الجسم والفكر معاً ، ولكنه شديد الاختلاف من فصل إلى فصل، وهذه التغيرات المناخية بين الفصول، تُعرّض الإنسان إلى بعض المتاعب الصحية ومصدر معظم الأمراض على حد قول هيرودوت [2] .

أما السمة الأخيرة التي عرف الإغريق البحر بها إلى جانب المحرة والتجارة فهي القرصنة، لقد عرف بحر إيجة القراصنة الإغريق منذ فترة مبكرة من تاريخ هذا

---

1 – انظر : إيسخيلوس ، بروميثيوس مقيداً ٢٩٤ .

2 – انظر: هيرودوت ٢ /٧٧، ٣ – ٢٣، توكوديدس ٧– ٨٧ – ١، ديموسينيس ٩– ٥٠.

المجتمع، ونحن نجد إشارة واضحة لها في الأوديسة ، حيث يرسم لنا الشاعر منظراً يدل على أن القرصنة كانت شيئاً شائعاً وارداً مثله مثل التجارة بالضبط، وهو يرسم لنا منظراً نستنتج منه هذه الحقيقة ، والمنظر يصور لنا أوديسيوس (*ODYSSEUS*) ملك إثاكة (*ITHACA*) وبطل ملحمة الأوديسة حين يرسو بسفينته مع بحارته على شاطئ جزيرة من الجزر ، فيكون أول سؤال يوجهه إليه رئيس القبيلة التي تسكن الجزيرة عما إذا كانوا (*تجاراً أم قراصنة يجوبون الآفاق*) [1] .

هذه هي بعض المميزات أو الخصائص الطبيعية الأساسية التي اتسم بها حوض البحر الأبيض المتوسط . ***أما الآن فما المميزات أو الخصائص السياسية التي اتسم بها حوض هذا البحر وشكلت عاملاً فعالاً في الاستقلالية السياسية لدول المدن الإغريقية .***

في الحقيقة أن البحر الأبيض المتوسط هو الذي خلق بتشابكه مع الأرض وحدة العالم الإيجي. وهو الذي خلق وحدة اقتصادية واسعة تعلّم منها الإغريق كيف يبنون السفن منذ الألف الثالثة أو الثانية ق.م ، ويركبون البحر لممارسة صيد الأسماك والتجارة أو العمل بالقرصنة أو تطهير البحر منها أو تأسيس المستعمرات . ***فالبحر كان عاملاً جوهرياً في ابتداع حضارة لا تتسم بطابع دويلة بحد ذاتها ، بل حضارة إغريقية تخطت حدود الدويلات، وأشعرت الإغريق جميعاً بأنهم شعب منطقة واحدة أو وطن واحد هو بلاد الإغريق .***

ومع هذا فإن القول: ***إن البحر أداة وصل لا فصل ليس بصحيح إلا إلى مدى محدود***، لأن البحر لا يصبح جسراً إلا عندما يسخره الإنسان. ومع أن مرحلة تسخيره قد تمت في زمن مبكر، إلا أن فريقاً صغيراً من الإغريق هو الذي خاطر

---

1 - انظر : هوميروس، الأوديسة ٩ ، ٢٥٢ ـــ ٢٥٥ .

بركوبه نظراً للزوابع والتيارات التي يتعرض لها بحر إيجة في فصل الشتاء، وكان الشاعر هسيودوس (*HESIODUS*) الذي عاش في أوائل القرن السابع أو ربما في أواخر القرن الثامن ق.م، يعتقد أن البحر الإيجي لا تؤمن فيه الملاحة إلا في الخمسين يوماً التي تلي الربيع. وقد اعتبر اجتياز البحر من ميناء (*أولسيس*) في بويوتية إلى جزيرة *يوبوية* المتاخمة لها، حدثاً هاماً بل عملاً قريباً من أعمال البطولة، ولم يكن هو الوحيد الذي حذّر الناس من ركوب البحر .

ومن جهة أخرى ، فإن الإغريق كانوا جاهلين بالبوصلة والخرائط ، فلم يكن في وسع ملاحيهم تحديد مكانهم من البحر بدقة ، ولاسيما عندما تكون السماء ملبدة بالغيوم، وهذا العامل وحده كفيلاً بإرغام السفن على ألا تبتعد عن اليابسة إلا بالقليل النادر، ولم يكن الإغريق يجرؤون على الملاحة في الشتاء أو أثناء الليل، بل يركبون البحر في الصيف فقط وأثناء النهار، لأن أعمالهم ونظمهم — *برأي هيرودوت* — قد سُنت لفصل الصيف ، فالذهاب إلى البحر في الشتاء جنون والقيام بأي حرب أقل ما يقال عنه إنه مخالفة للروح الرياضية [1] .

وعندما يأتي الليل كانت المراكب تتجه على الفور إلى أقرب ميناء حيث يتناول البحارة طعامهم، وعلى ذلك فلم يكن من الضروري أن يحملوا معهم مقادير كبيرة من المؤونة، وكانت حمولة المراكب الإغريقية صغيرة، ولعل أقصى حمولة لها لم تزد على ٣٠٠ طن في العصر الكلاسيكي [2] ، وإذا كانت هذه المراكب غير مزودة بالأشرعة فقط، بل كان من المستطاع تحويلها إلى زوارق تجديف، فإن ذلك دليل على أن حمولتها كانت خفيفة بوجه عام .

---

1 - انظر : **هيرودوت** ٢/٧٧ ، ٣ — ٢٣ .

2 - انظر : **عبد اللطيف أحمد علي**، التاريخ اليوناني، الجزء الأول، بيروت ١٩٧٦، ص ٢٨ .

ومع أن البحر كان أداة ربط ووسيلة من وسائل الوحدة فيما يتصل بتبادل التجارة والأفكار، إلا أن كان عائقاً كبيراً دون تكوين الوحدة السياسية، وقد يكون من اليسير على مدينة أن ترسل شحنة من البضائع عبر مضيق بحري بواسطة السفن أو حمولة من السلع عبر ممر جبلي على ظهور البغال، غير أن من العسير عليها أن تمد نفوذها السياسي عبر حدود طبيعية من البحر والجبال .

وبديهي أن دول المدن الصغيرة التي لم تكن لها مراكز سياسية مرموقة، وبالتالي لم تملك الأداة الفعالة لتحقيق أهدافها السياسية المشتركة، كان من المستحيل عليها أن تتوسع خارج نطاقها الطبيعي. بل إن دول المدن الكبيرة التي استقرت فيها الحياة السياسية على قواعد راسخة، كانت تقف عاجزة أمام الحواجز التي يقيمها البحر والجبال. وخير مثال على ذلك، ما بذلته أثينة من جهد وما أمضته من وقت قبل أن تستطيع توطيد أقدامها سواء في جزيرة (*سلاميس*) أو في جزيرة (*يوبوية*) . *لقد ربط البحر ما بين أجزاء العالم الهيليني التي لا حصر لها، ولكن أتاح لكل جزء فيه أن يحيا كوحدة مستقلة .*

ثانياً : سلسلة الجبال الإغريقية :

تتميز بلاد الإغريق بأنها ليست بلاداً بحرية فقط، *بل هي جبلية أيضاً*، حيث تتكوّن من مجموعة جبال مختلفة الأشكال، متداخلة، كثيرة الانكسارات والانهدامات، تختلف فيها المنخفضات والمرتفعات. *وتبلغ نسبة الأراضي الجبلية نحو ثمانين في المائة من مجموع مساحة بلاد الإغريق البالغة ١٣٠ ألف كم٢* . وقد تعرضت السلسلة الجبلية الإغريقية منذ الأزمنة الغابرة إلى كثير من حوادث الزلازل والبراكين التي أدت بدورها إلى عمليات الانهدام والانكسار والتصدع التي تعاقبت على جبال الإغريق ومزقت شملها ، وكان من نتيجة ذلك :

١ ــ انفصال عدد كبير من الجزر عن بقية الأرض .

٢ ــ ساعدت هذه الحوادث الجيولوجية على نفوذ البحر إلى داخل البر من كل الأطراف في خلجان كثيرة وعميقة .

٣ ــ كانت حوادث الانهدام والانكسار سبباً في تجزئة البلاد كلها إلى عدد لا يحصى من السهول والوديان .

والسهول الصغيرة الضيقة من الأرض، التي تفصل بينها جبال عالية تعزل بعضها عن الآخر، ليست صالحة لسكنى جماعات كبيرة من البشر تستطيع تأليف دولة واحدة باستثناء مقاطعة تسالية، إذ لم يكن في بلاد الإغريق أي سهل يزيد طوله على (٢٠) كم وعرضه على (١٢) كم . فأكثر الوديان والسهول تشبه خنادق ضيقة تنهمر منها السهول أو تجري فيها بعض الأنهار الصغيرة [١] .

يتبين من كل ذلك أن الطبيعة قد فرّقت ما بين بلاد الإغريق ومزقتها إلى أجزاء صغيرة منعزلة لا يمكن أن يسكن في كل منها سوى جماعة محدودة من البشر . وهذا مما شجع الروح الانفصالية، الانعزالية ودفع إلى تأسيس مجتمعات صغيرة، مستقلة، قائمة بذاتها .. وقد تطور كل من هذه المجتمعات الصغيرة بحيث أصبح كياناً قائماً بذاته لا تتسع مساحته في أغلب الأحوال لأكثر من مدينة واحدة يحيط بها امتداد بسيط من الأرض يقوم فيه عدد قليل من القرى التي يمكن أن نعدّها ضواحي لهذه المدينة، وربما أنشئ ميناء إذا كانت المنطقة مطلة على البحر .. وهكذا قام في بلاد الإغريق في العصر القديم نظام (دولة المدينة) التي عُرفت في مجال الحديث عن النظام السياسي الإغريقي تحت اسم (*POLIS*) أو الدويلة التي تقوم عادة في مدينة واحدة والمنطقة المحيطة بها .

---

[١] . انظر : محمد كامل عياد ، ص ٣٠ ــ ٣٢ .

ومن خلال ما سبق ، نستطيع أن نستخلص أهم المزايا السياسية التي اتصفت بها جبال الإغريق ، وهي أنها كانت تشكل حجر عثرة في طريق الوحدة القومية ، وتعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون سهولة الاتصال بين الجماعات المختلفة ، وتجعل التنقل أمراً شاقاً بين مكان وآخر ، وهذا مما حال دون وحدة الإغريق وجمع كلمتهم في جميع أدوار تاريخهم باستثناء الحروب وبعد كثير من التردد والمعارضة .

ثالثاً : الاختصاص الجغرافي وفقر التربة الزراعية :

تتميز أرض بلاد الإغريق بأنها فقيرة مجدبة ، وجبلية صخرية تنقصها التربة الخصبة ، ويشهد على ذلك **هوميروس** في (*الأوديسة*) (*بأنها خشنة ولكنها أم رجال وأحلى أرض عندي*) [1] . فلذلك فرضت الظروف الطبيعية لبلاد الإغريق نفسها في جعل المناطق الزراعية تختص بزراعة هذا المحصول أو ذاك ، ونعرف من خلال المصادر ، بأن التربة الصالحة للزراعة كانت قليلة المساحة إذا ما قيست بالمناطق ذات التربة الخصبة التي ذكرها **توكوديدس** وهي : *تسالية ، بويوتيسة ، والجزء الأكبر من البلوبونيز ما عدا أركادية* [2] . أما أراضي وسط بلاد الإغريق، فكانت ذات طبيعة جبلية قليلة التربة لا تصلح للزراعة .

وقد استوعب الإغريق خبرات واسعة في مجال زراعة وتصنيف التربة، وإتباع الدورة الزراعية على مدار فصول السنة، ومعرفة طرائق مكافحة النباتات الضارة، وتنفيذ أعمال الري، وحفر الترع، وشق القنوات المائية، وتجفيف المستنقعات لاستصلاح الأراضي .

---

1 – انظر : هوميروس ، الأوديسة ٩ ــ ٢٧ .

2 – انظر : توكوديدس ١ ، ٢ ، ٣ .

أما في مجال المحاصيل الزراعية واختصاصاتها، فقد زرعت الحبوب وعلى الأخص *القمح* في بويوتية، بالإضافة إلى محصول *الشعير*، وقد شكل هذان المحصولان مع الزيتون والعنب (*ألوث البحر الأبيض المتوسط*)، ومنهما كان يصنع *الخبز والنبيذ والزيت* [1].

وتشهد إحدى المخطوطات الإغريقية على أهمية هذه المحاصيل الزراعية في حياة الإغريق بقولها : (*دع الآلهة تشهد ، بأن تكون الحدود الأتيكية ، القمح، والشعير، والعنب، والرمان، والزيتون، والتين*) [2].

وكان أهم هذه المحاصيل بداهة (*القمح*) الذي يسمى في الإغريقية (*SITOS*)، ويزرع هذا المحصول في أكتوبر ويحصد في يونيو، وكان هو المحصول الرئيسي عند الإغريق، إذ كانوا يصنعون منه الخبز، وكان يزرع عادة في أي بقعة تصلح لزراعته، ولكن إنتاجه كان قليلاً جداً لا يستوعب حاجة السكان، ولم يشكل إلا العشر من الإنتاج العام للحبوب، بينما كان الشعير يشكل تسعة أعشار الأخرى من المحصول. ونرى المؤرخ الأثيني (*توكوديدس*) *لا يؤرخ أحداث فصل معين بالشهور التي كانت أسماؤها تختلف باختلاف الدويلات الإغريقية، وإنما بحالة المحصول في كل فصل* [3].

وبعد القمح يأتي (*العنب*) الذي عرفته بلاد الإغريق منذ فجر تاريخها، وكان يزرع في أي مكان، إذ كانت كل منطقة تزرعه للاستهلاك المحلي، وأفضل أنواعه زُرعت في جزر خيوس ولسبوس وتاسوس ورودس [4]. وكان هو الشراب القومي

---

1 - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٣٧ .

2 - انظر : مجلة التاريخ القديم ، موسكو ١٩٦٢ ، العدد٢ ، ص ١٧٤ .

3 - انظر : زراعة القمح ، توكوديدس ١ ، ٢ ، ٢ .

4 - SELTMAN , WIN IN THE ANCINT WORLD , LONDON 1975 .

عند الإغريق وقد كان له دور كبير في حياتهم الاجتماعية والدينية [1]. وبمرور الزمن ارتبط اسم ديونيسيوس (*DIONISIOS*) بالخمر حتى صار إله النبيذ، ونرى صورته على الأواني الفخارية مقرونة بغصون الكروم. وقد حصل الخمر المنتج في هذه المناطق على شهرة واسعة ممتازة في مناطق البحر الأبيض المتوسط من حيث الجودة والمذاق، وكان من المواد الرئيسية المعدّة للتصدير إلى البلدان المجاورة والنائية[2].

ويعطينا **هوميروس** في ملحمته (*الأوديسة*) صورة عامة لبساتين الكروم والحدائق من خلال وصفه لمدينة *الفاكيانس* (*PHAEACIANS*) حيث اعتنى بها كل العناية وهي مخصبة جداً ومحسنة التنسيق بقوله :

(إنك ترى قرب الممشى غابة جميلة من أشجار الحور مقدسة للآلهة الربة ، وفي وسطها ينبوع يفيض ماؤه وتحيطها المراعي من جميع الجهات .. وعرش أبي قريب منها وهو يجلس هناك يحتسي الخمر كأنه إله الخمر) [3] .

وفي مكان آخر يصف **هوميروس** أحد البساتين بقوله :

(وكان في البستان كرم مثمر ، وكانت في جزء منه قطعة دافئة من الأرض المستوية يجفف فيها بعض العنب في الشمس، بينما يُجمع البعض الآخر ويوطأ تحت الأقدام) [4] .

وأما عن الزيتون، فكان زيته يقوم في حياة الإغريق مقام الزبد والصابون والغاز، أي كان يستعمل للطهو والغسل والإضاءة فضلاً عن استعماله كمرهم

---

1 – انظر : ألفرد زيمرن ، الاقتصاد عند الإغريق في القرن الخامس ق.م ، ترجمة عبد المحسن الحشاب ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٤٧ .

2 – انظر : خليل سارة، دراسات في الاقتصاد اليوناني في القرنين الخامس والرابع ق.م، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٨ ، ص ٥٢ .

3 – انظر : هوميروس، الأوديسة، النشيد السادس .

4 – انظر : هوميروس، الأوديسة، النشيد السابع .

عطري مستحب في المناخ الجاف . لقد كان أساس الوجبة الغذائية الإغريقية يتألف من الخبز والزيتون أو الخبز والجبن المصنوع من لبن الماعز [1] . وكان الزيت يستعمل في كل طعام تقريباً. ولم يعرف الإغريق الصابون، بل كانوا يدلكون أجسامهم بالزيت، فإن لم يود الغرض المطلوب، أضافوا إليه بعض العطور [2] . وكانت وسيلة الإضاءة الوحيدة هي مسارج الزيت،وكان الزيتون يعصر في معاصر خاصة، *والعصرة الأولى ينتج منها زيت الطعام، ومن الثانية زيت الاستحمام، ومن الثالثة زيت الإضاءة*، وما يتبقى بعد ذلك من قشر فكان يستعمل كوقود [3]. وأن أول احتكار (CORNER) سجل في تاريخ الإغريق هو الذي تكلم عنه الفيلسوف (*تاليس*) عن معاصر الزيتون ويروى عنه (*أنه عرف بسبب رصده الفلك أن الزيتون سيخصب ، فحصل قليلاً من المال وهو في قلب الشتاء واستأجر بسعر زهيد ، إذ لم يلق منافساً جميع معاصر الزيتون في ميليتوس ، ودفع العربون عنها ، فلما حان أوان الزيتون وكثر عليه الطلب، سعّره (تاليس) كما يشاء وجمع أموالاً طائلة ، وبرهن أن الفلاسفة إذا ما اهتموا بذلك ، يسعهم إحراز الثروات بسهولة كاملة، إلا أن إحراز الغنى ليس موضوع نشاطهم*) [4] . *وفي الأساطير الإغريقية أن الربة أثينة هي التي أدخلت شجرة الزيتون في إقليم أتيكة*، في وقت لم تكن قد نبتت بعد في أي جهة أخرى من بلاد الإغريق. وكان إكليل الزيتون البري هو الجائزة الإغريقية المفضلة منذ الدورة الأولى للألعاب الأولمبية

---

1 - انظر : ألفرد زيمون ، ص ٤٨ ، ثم هيرودوت هو عمل جبن البقر ٤ ، ٢ .

2 - انظر : هوميروس ، الإلياذة ١٨ ـ ٥٩٥ ، حول استعمالهم الزيت في حفظ الملابس وطراوتها .

3 - انظر : ألفرد زيمون ، ص ٤٩ .

4 - انظر : أرسطو ، السياسة ١ ، ٤ ، ٥ ، ١٢٥٩ أ .

في عام ٧٧٦ ق.م [1]. وقد تنمو هذه الشجرة في أي جزء من بلاد الإغريق تصلح فيه التربة لزراعته، ولكنها ازدهرت بوجه خاص في أتيكة، حيث أصبح الزيت أهم سلع التصدير، ***حتى إن صولون (SOLON) عندما حرّم تصدير كل المنتجات الزراعية استثنى زيت الزيتون*** [2]. ولثمة حقيقة هامة تتصل بالزيتون، فهو لا ينضج إلا بعد مدة طويلة من غرس أشجاره التي لا تعطي محصولاً كاملاً إلا بعد ستة عشر أو ثمانية عشر عاماً، وقد لا تعطي أجود محصول إلا بعد أربعين عاماً [3]. ولهذا كانت أشجار الزيتون، كالغابات، من العسير زراعتها إلا تحت ظل حكومة مركزية قوية وعند قوم أوتوا من الصبر قدراً كبيراً. وهذا يفسر التقدم البطيء الذي أحرزته زراعة الزيتون في الأيام الأولى [4]. وكذلك الصعوبات التي لقيها كل من صولون وبسستراتوس عندما شجعت الحكومة انتشاره، ومن المحتمل أن زراعته ما كانت لتنتشر انتشاراً واسعاً لولا أن بسستراتوس منح ملاّك الأراضي قروضاً زراعية[5]. ولثمة ملاحظة أخيرة عن الزيتون، وهي أنه كان نعمة أسبغتها الطبيعة على أتيكة، ولكنه كان نقمة عليها في بعض الأحيان، ذلك أن إتلاف مزرعة من مزارع الزيتون لا يعني — كما يحدث في حالة حقل من القمح — ضياع دخل سنة واحدة، بل ضياع رأس المال كله، ولهذا أصيبت أتيكة بأضرار فادحة بسبب

---

1 – ومن ثم أصبح غصن الزيتون رمزاً للسلام، بمعنى أنه يحتاج إلة فترة سلام طويلة تحت ظل حكومة قوية تكفل الأمن.

2 – انظر : بلوتارخوس، صولون ٢٤.

3 – انظر : ألفرد زيمرن، ص ٥٢.

4 – انظر: زراعة الزيتون، هيرودوت ٥ /٨٢، حيث غرس أول زيتونة للآلهة أثينة على الأكروبول.

5 – انظر : أرسطو، الدستور الأثيني ١٦، ٢.

التخريب الذي أحدثه الفرس بأراضيها في الحروب الميدية (٤٩٠ ـــ ٤٦٧ ق.م) والإسبرطيون في الحرب البلوبونيزية (٤٣١ ـــ ٤٠٤ ق.م) [1].

وإلى جانب محاصيل *ثالوث البحر الأبيض المتوسط يعرّفنا هوميروس* على مجموعة أخرى من المحاصيل وردت في ملحمته (*الأوديسة*) من خلال وصفه لأحد بساتين الفاكيانس بقوله :

(*كان هناك بستان واسع خارج الفناء مساحته أربعة أفدنة، وهو يمتد إلى الأبواب الخارجية وله سور من الشجيرات على كلا الجانبين، وكانت فيه أشجار باسقة خضراء كأشجار الكمثرى، والرمان، والتفاح، المثقلة بالثمار اللامعة الملساء والتين الحلو المذاق، والزيتون الوفير، وأثماره لا تنقطع لا في الصيف ولا في الشتاء*)[2]، كما وجدت بعض الزراعات التي تدخل في الصناعة *كالكتان والقنب* [3].

وأما تربية المواشي، فقد شغلت حيزاً رئيسياً في الاقتصاد الوطني، بسبب وفرة المراعي في السهول وسفوح الجبال *كالماعز* في أتيكة، *والغنم* في الجزر [4]، نظراً لوفرة بعض مراعي الغابات مثل *الصنوبر والحور والبلوط، وشجيرات الغار*

---

1 – انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٤١ ، ثم توكوديدس ٣ ـــ ٢٦ ـــ ٣ حول قطع أشجار الزيتون في الحرب البلوبونيزية بين أثينة وإسبارطة حيث يقول: (إنهم دمروا ما قد نبت منه في الأجزاء التي دمروها من قبل.

2 – انظر : هوميروس ، الأوديسة ، النشيد السابع ، ثم انظر : الغابة عند توكوديدس ٤ ـــ ٦٩ ـــ ٢ ثم ١ ـــ ١٠٨ ، ٢ ثم هيرودوت ١ /١٩٣ حيث الكروم، أيضاً ، الأوديسة ١١ ـــ ٥٨٨ (حول الأشجار الباسقة) .

3 – لم تعرف بلاد الإغريق القطن والكتان، إلا بمقادير قليلة. وأما عن الفواكه فقد عرفت منها بلاد الإغريق التين، والتفاح، والكمثرى، والرمان، وأشجار البرتقال والليمون والطماطم لم تكن معروفة، وأما المشمش والخوخ فلم يُعرفا إلا بعد الإسكندر. انظر : ألفرد زيمرن ، هامش ص ٥٤ .

4 – انظر : ألفرد زيمرن ، ص ٤٢ .

والصمغ والدقل والآس، وكانت هذه المواشي تمد الإغريقي بكميات قليلة من اللحم ليقيم أوده، وبالجلود لصناعة الأحذية، وبالصوف لعمل الملابس، إذ اشتهرت أتيكة، وميليتوس، وإيتولية، وبيوتية، وأركادية، وميحارة بالأنواع الجيدة من أصواف الغنم [1] .

أما تربية *الخيل* فقد اشتهرت بها كل من تسالية، وإبربسة، وأكارنانية، وإيتولية، أما في أركادية فقد كان هناك اهتمام خاص بتربية دواب الجر *كالثيران والبقر*. إضافة إلى الاهتمام بتربية **أسراب النحل** التي كانت تجد في المراعي غذاء وفيراً وتنتج العسل اللازم الذي كان ضرورياً لحياة الإغريق، فالعالم المادي الإغريقي الكبير (*ديمقريطس*) عندما سئل عن سر عمره الطويل الذي امتد مائة وتسعة أعوام أجاب: (*بأنه كان يأكل عسل النحل في كل يوم، وأنه كان يستحم بالزيت*)[2]. ومن جهة أخرى، فإن العسل كان يقوم عند الإغريق مقام السكر في الوقت الحاضر .

وقد عني كل بيت بتربية الخنازير، وانتشرت تربيتها في أتيكة، وميحارة، وبيوتي، وأكارنانية، ويمكن القول أخيراً، إن الظروف الطبيعية والمناخية لبلاد الإغريق هي التي حددت اختصاص كل منطقة زراعية .

رابعاً : أثر البيئة الجغرافية في تكوين المواطن الإغريقي :

ذكرنا سابقاً، أن الظروف الجغرافية التي جزأت بلاد الإغريق إلى مناطق منعزلة أو شبه منعزلة، هي التي أدت إلى ظهور المجتمعات القبلية الممزقة، ممثلة في دويلات المدن الإغريقية (*POLIS*)، ولكن ظاهرة انقسام بلاد الإغريق نتيجة

---

1 – انظر: سارة ، دراسات اقتصادية ، ص ٥٢ .

2 – انظر : **ول ديورانت** ، قصة الحضارة ، ص ٢٠٤ .

للعوامل الجغرافية إلى مناطق تكاد كل منها أن تكون منعزلة عن الأخرى لها ***عوامل ايجابية وسلبية*** :

وتتمثل ***العوامل الايجابية***، في أن الدويلات التي قامت في هذه المناطق كانت كل منها، صغيرة في حجمها، وفي عدد السكان الموجودين فيها، وهو عدد كان لا يزيد كثيراً في أفضل الأحوال على ٣٠ ألف شخص .. وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا الوضع هي توافر الفرصة للاحتكاك الدائم أو حتى اليومي بين هؤلاء المواطنين، وكان هذا الاحتكاك مجالاً خصباً لمناقشة كل الأمور المتعلقة بالمجتمع في جوانب نشاط مختلفة تتناول فيه الفئات والطبقات المختلفة هذه الجوانب بالرأي والرأي الآخر، والنتيجة الطبيعية لكل هذا هي، تبلور ***الرأي العام*** في كل من هذه المجتمعات الصغيرة بسرعة لا تتوافر في مجتمعات الدول الكبيرة، كما كان الحال في الممالك والإمبراطوريات الشرقية على سبيل المثال، وقد كان تبلور هذا الرأي العام هو، ***العامل الذي أدى إلى التطور السريع في نظم الحكم أو النظم السياسية في بلاد الإغريق، بحيث عرفت هذه البلاد سلسلة من هذا النظم المتطورة دائماً انتقلت بها في حدود زمنية بسيطة من النظام الشعبي أو الديمقراطي كما سنرى لاحقاً***.

وقد استمسكت الدويلات الإغريقية كلّها، ***بحياة الاستقلال***، وأشاد مفكرو الإغريق بهذا النظام وعدوه النظام الوحيد الذي يستطيع أن يعيش في ظله الإنسان الحر وأنه يمثل أرقى نموذج للمجتمع الإنساني المتحضر .. وقد ساعد الانقسام السياسي والتنافس بين الدويلات الإغريقية، ***على نضوج الفكر السياسي بين الإغريق وازدهار الحضارة الإغريقية***.

وتتمثل ***العوامل السلبية*** في أن انقسام الإغريق مثلما كان مبعثاً لنضجهم ونبوغاً لعبقريتهم، كان مصدراً لضعفهم، ذلك أنهم بددوا جانباً كبيراً من طاقاتهم في منازعات وحروب داخلية كان مصدرها هذا التنافس .. فما حصل في البلاد

الإغريقية كلّها كان يحصل ضمن كل دويلة بمفردها .. وأكثر الدول عند الإغريق تتكون من ثلاث مناطق مختلفة هي *الشواطئ، والسهول، والجبال .. وسكان كل منطقة لهم طراز خاص في معيشتهم وتفكيرهم . فالسهول كان يسكنها أصحاب الأراضي وأتباعهم من الفلاحين، وعلى الشواطئ يكثر التجار وأصحاب السفن وصيادو الأسماك والعمال والبحارة، وفي الجبال يعيش الرعاة والحطابون وأصحاب الكروم وعمال المناجم*[1] .

إن كل قسم من هؤلاء السكان يؤلف طبقة اجتماعية معينة تتعارض مصالحها الاقتصادية وآراؤها السياسية مع مصالح وآراء الطبقات الأخرى . وقد كان النزاع محتدماً بين هذه الطبقات ولاسيما في دويلة أثينة، حيث انتظمت في أحزاب سياسية مختلفة وظل المشرّعون يحاولون تأمين التوازن بينها وإخضاعها لنظام دستوري يكفل حقوقها جميعاً، ويضمن الرخاء والحرية لأفرادها، ومن هنا نشأت لدى فلاسفة الإغريق، *فكرة البحث عن المثل الأعلى للمدينة الفاضلة* .

من كل ما سبق ، *يمكننا أن نستنتج*، أن توفر المناخ الملائم لحوض البحر الأبيض المتوسط، والامتيازات التي أغدقتها الطبيعة على هذا الحوض، قد ولّد عند الإغريق روح الإقدام والمغامرة، وبفضل هذه الامتيازات الطبيعية، فقد أصبح الإغريق قراصنة بحازفين، وبحارة قديرين، وتجاراً ماهرين، وقد انكشف ذكاؤهم وتفتحت أذهانهم في الأسفار البحرية والمغامرات التجارية، فتعرّفوا إلى البلاد المعمورة، واختلطوا بالأمم المتمدنة، وتعلموا فن الملاحة وبرعوا في صناعة السفن .. ويُعرف عن الإغريق قدرتهم على الدمج بين الحياة البسيطة والتفكير الرفيع. فالمناخ الملائم والصيف الجميل، دفع بالناس إلى الحرية الخلوية وجعلهم على اتصال وثيق مستمر

---

[1] . انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ١٣ /٤ .

بالطبيعة، فكان الناس سواء في الريف أو في المدينة يقضون جانباً كبيراً من نهارهم خارج البيت، وقد أتاح ذلك لهم ، فرصة الالتقاء المستمر سواء في الحقل أو السوق العامة (AGORA) أو في المحكمة (DIKASTERION) أو في الجمعية الشعبية (EKKLESIA) أو مجلس الشورى (BOULE) أو النادي الرياضي الثقافي (GYMNASIUM) حيث يمارسون مهنهم أو يؤدون واجبهم أو يروّحون عن أنفسهم. وجميع هذه المنظمات الرئيسية في الحياة الإغريقية كانت تنعقد في الخلاء بما فيها المسرح الإغريقي (THEATRON) ، ولم يكن الإغريقي يأوي إلى منزله إلا في ساعات الأكل والنوم، ولم يكن يركن إلى بيته وأسرته وقتاً طويلاً حتى في فصل الشتاء الذي كان عند الإغريق فترة توقف نسبي عن النشاط، إذ أن الإغريق نظموا حياتهم، وفقاً لجو الصيف لا لجو الشتاء حيث كانوا يتوقفون عن القتال ويتجنبون ركوب البحر .

وكانت أهم المنظمات الرئيسية التي تجذب اهتمام المواطن الإغريقي وقضاء جلّ يومه فيها هي *(الآجورا) التي تعني الساحة العامة، وهي بكل بساطة، مركز الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في دويلة المدينة الإغريقية بعد أن تشكلت، ليس من أجل المنافسة والجدل فحسب ، ولكن من أجل البيع والشراء* .. وإن تلك الساحة لم تكن وليدة فترة محدودة ، وإنما كانت وليدة تطور حضاري وسكاني نشأ بنشأة المدن وتطورها حتى في مراحل تكوينها الأولى منذ فترة تكوين مجتمعات القرى، وفيها وجد الإغريق المتنفس الوحيد، لاستعراض آرائهم وأفكارهم بعضهم مع بعض، *وأخذوا من الساحة العامة موقعاً مميزاً لعرض مبادئهم ونظرياتهم الفلسفية، مما أوجد روح الجدل والمنافسة بين المواطنين الإغريق الذين تبارزوا في عرض نظرياتهم الفلسفية والجدل في صحتها .. وفي هذه الساحات العامة بدأ انتشار الشعر والأدب وتكاثرت أماكن الشعراء والأدباء، وتطور عن*

ذلك ظهور المسرح النقدي التراجيدي والكوميدي الذي بدأ يظهر مساوئ الأنظمة الحاكمة بوساطة المسرحيات الهزلية والنكات الهادفة ، ثم بدأت مرحلة الخطابة تأخذ مجراها عبر الساحة العامة داخل المدن الإغريقية بشكل حماسي، مما جعل من الضروري على الفرد أن يلمّ بشؤون مدينته السياسية والاجتماعية ، وفي الحق أن الإغريقي لم يكن رجل أسرة، بل كان كما سماه أرسطو، حيواناً مدنياً (POLITIKON ZOON) [1] ، أي شغوفاً ليس في حياة المدينة فقط، بل بالوقوف على أحوالها والمشاركة في تدبير شؤونها ومناقشة سياستها .

---

١ - انظر : أرسطو ، السياسة ١ ، ١ ، ٩ ، ١٢٥٣ آ .

الفصل الثالث

مصادر تاريخ الإغريق

تمهيد :

إن تاريخ الإغريق أو تاريخ أي منطقة أخرى، ليس مجرد تاريخ أفراد، وإنما هو تاريخ مجتمع بأكمله، بأفراده وطبقاته، يتناول العلاقة بين هؤلاء الأفراد وهذه الطبقات وبين هذه الطبقات بعضها مع بعض، بكل ما يدور بين هذه الأطراف المتعددة من حوار وعلاقات ومعاملات واحتكاكات، و لم يقتصر ذلك على النشاط السياسي فقط، وإنما هو يتناول إلى جانب ذلك نواحي أخرى من النشاط، وبعضها ثقافي أو فني أو ديني أو فكري، بل أكثر من ذلك فإننا لكي نتعرف على أي مجتمع لابد أن نكون على علم بعاداته وتقاليده والأدوات التي كان يعتمد عليها في حياته اليومية والأسلحة التي كان يستخدمها للدفاع عن نفسه أو الإغارة على غيره والملابس التي يرتديها أفراده . . فكل هذه تعيننا على تفهم اتجاهات هذا المجتمع وعلى نوع الحضارة التي كان يعيشها، فالحضارة هي في الواقع سجل نشاط المجتمع في كل جوانب حياته ومحصلة التفاعل بين هذه الجوانب جميعاً .

ونحن في محاولتنا أن نعرف تفاصيل النشاط الذي كان يدور في المجتمع الإغريقي في جوانب حياته المختلفة نلجأ إلى نوعين من المصادر أولهما : ***المصادر الوثائقية*** ***(DOCUMENTRY SOURCES)*** وثانيهما : ***المصادر الأدبية*** ***(LITERARY SOURCES)*** سواء أكانت تاريخاً أم فكراً أم أدباً أم علوماً، مما دونه لنا المعاصرون للفترة التي نريد التأريخ لها أو من جاؤوا في عصر لاحق، وكانت لديهم المعلومات

التي نستطيع أن نثق بها فيما يخص الفترة المذكورة، بحيث نستطيع أن نعتمد عليهم بالدرجة الثانية بعد الكتّاب المعاصرين .

أولاً : المصادر الوثائقية (DOCUMENTRY SOURCES) :

تُعد المصادر الوثائقية بالغة الأهمية في تحري مجرى الأحداث التاريخية، وتتضمن هذه المصادر عدة فروع هي : *علم الآثار، والنقوش، وورق البردي، والمسكوكات، وقطع الشقف الفخارية* .

١ ـ علم الآثار (ARCHEOLOGIE) :

لقد ظهر علم الآثار الإغريقي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدءاً من عام ١٨٧٠م بالتحديد على يد الأثري الألماني (*شليمان*) (H . SHLIEMANN) وكان ما دفع *شليمان* إلى القيام بحفائره في الطرف الشمالي الغربي من آسية الصغرى، ثم في شبه جزيرة البلوبونيز بعد ذلك، هو انشغاله بمصدرين أدبيين كانا يحتلان مكانة كبيرة عند الإغريق وهما (*الإلياذة والأوديسة*)، اللتان تنسبان إلى شاعر الإغريق (*هوميروس*)، واعتقاده بأن الحرب التي تروي الإلياذة أحداثها، وهي حرب طروادة، قد وقعت حقيقة، كما تملكته رغبة قوية للكشف عن مدينة طروادة .. ولقيت حفائره في موضع طروادة أكبر النجاح والتوفيق .

وقد جاء من بعده عالم الآثار الإنكليزي (*آرثر إيفانس*) (A . EVANS) الذي قام بحفائره الرائعة التي كشفت عن حضارة جزيرة كريت عام ١٩٠٠ م . ومنذ ذلك الوقت تتابعت على المنطقة الإيجية البعثات العلمية المختلفة من مختلف الدول للتنقيب عن الآثار في المدن الإغريقية .. ليس في بلاد البلقان وبحر إيجة وآسية الصغرى فحسب ، بل في مصر وإيطالية وصقلية وكثير من مناطق البحر الأبيض المتوسط .

ولقد أجريت الحفائر في عشرات المدن التي كشفت عما احتوته من فخار وأدوات وأوان وحلي وتماثيل وصور تلقي أضواء باهرة على الحضارة الإغريقية وانتشارها وتطورها منذ أقدم العصور .. وتعكس صورة صادقة للحياة عن تلك الفترة، وبدون تلك المخلفات الأثرية كان يتعذر معرفة شيء عن الفترة الباكرة من تاريخ الحضارة الإغريقية، والواقع أن المخلفات الأثرية هي مصدرنا الوحيد عن الإغريق إلى أن بدؤوا شيئاً من تدوين تاريخهم نحو عام ٧٠٠ ق.م .

وتشمل دراسة علم الآثار مختلف المباني والأطلال والمنشآت من منازل وقصور ومسارح ومعابد ومقابر وأروقة وأسوار وحمامات .. إلخ وكل ما يعثر عليه في هذه المباني من تماثيل وصور وأوان وأدوات ، ولذلك فإنه يدخل في مجال هذه الدراسة فنون العمارة والنحت والتصوير والفخار، وكلها لا غنى عنها في دراسة الحضارة الإغريقية، فهي تمدنا بمعلومات قيّمة عن الفن والديانة والحياة الاقتصادية والاجتماعية، بل تُعد أيضاً مصدراً تاريخياً له قيمته في أحيان كثيرة، حين تلقي أضواء على أحداث عسكرية أو توضح نظماً سياسية .

فعلى سبيل المثال، يمكننا أن نتعرف من معبد **البارثنون** (*PARTHENON*) الموجود في **الأكروبوليس** (*AKROPOLIS*) في أثينة على الكثير من المعتقدات الأسطورية الإغريقية ، فنحن نجد عدداً من المناظر التي تمثل هذه المعتقدات منفّذاً عن طريق النحت البارز على امتداد المساحات المربع (*METOPES*) التي تلي واجهة المعبد إلى أسفل . كذلك نستطيع أن نتعرف من خلال الفخامة التي تتمثل في بقايا هذا المعبد الذي اكتمل في عام ٤٣٨ ق.م ، على مدى الازدهار الفني التي عرفته الفترة التي شهدت اكتماله ، وهو بدوره يعكس رخاء كبيراً عرفته هذه الفترة التي مرت بها أثينة تحت زعامة **بريكليس** (*PERIKLES*) . والطريقة نفسها نستطيع أن نطبقها على المسرح الذي لا تزال أغلب أقسامه قائمة في مدينة **أبيداوروس**

(EPIDAUROS) (في شبه جزيرة البلوبونيز) . إن مدرجات المشاهدين في هذا المسرح، وكلها موجودة حتى الآن، تتسع لأربعة وعشرين ألف مشاهد، ***وهو أمر يدلنا على المركز الذي كان يحتله النشاط المسرحي بين اهتمامات المجتمع الإغريقي*** . كذلك يذكّرنا المذبح الذي لا يزال قائماً في الساحة التي كان يطلق عليها اسم الأوركسترا (***الساحة التي كان أفراد الجوقة يؤدون فيها رقصاتهم وأناشيدهم***) بالصفة الدينية التي انبثق منها هذا النشاط (***وهي صفة كانت تتعلق بأعياد الإله ديونيسيوس (DIONYSIOS)***) . كما نستطيع أن ندرك قيمة الفن المعماري المسرحي بالذات إذا أدركنا أن أقل صوت كان يصدر في هذه الساحة كان (***ولا يزال***) يُسمع بوضوح في كل أرجاء المسرح على امتداد المدرجات الصاعدة تدريجياً من الساحة المذكورة حتى آخر صف في هذه المدرجات، وهو أمر يدعونا إلى النظر إلى الموقع الذي كان يتم اختياره لبناء المسرح وإلى الاتجاه الذي يتخذه هذا البناء حتى يتم تردد الصدى بالصورة التي تؤدي إلى هذه النتيجة السمعية، وهكذا .

والشيء نفسه ينطبق على الأواني الفخارية، إن هذه الأواني والمصنوعات كانت تشكل في العصور القديمة سلعة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها في الحياة اليومية، فمنها كانت تصنع أدوات الطعام وأوعية الاستخدام والمباخر والمزهريات وكان يعبأ فيها الزيت والنبيذ للتخزين أو للتصدير .. ***ومن المناظر التي كانت ترسم على المزهريات الإغريقية — على سبيل المثال — نعرف الشيء الكثير عن الحياة اليومية الإغريقية في أغلب جوانبها : الملاحة، الصيد، الرياضة، والتمثيل وغيرها*** . كذلك فإن اللقى الفخارية الإغريقية إذا وجدت بكثرة في منطقة غير إغريقية فإنها تشير إلى صلة تجارية تبادلية مع هذه المنطقة والعكس صحيح .. وفي هذا الصدد فإن الأواني الفخارية الإغريقية التي يرجع طرازها إلى القرن الخامس

ق.م، والتي وجدت بكثرة على سواحل البحر الأسود وفي مصر وصقلية وإيطاليا تشير إلى ازدهار التعامل التجاري بين بلاد الإغريق وهذه المناطق في ذلك القرن، بينما يشير اختفاء الفخار الأتيني في جنوبي (فرنسة الحالية) في أواسط القرن الرابع ق.م (بعد أن كان موجوداً بكثرة قبل ذلك) وحلول الفخار الإيطالي محله معناه، إلى أن التبادل التجاري الإيطالي مع هذه المنطقة بدأ يطغى على التبادل التجاري الإغريقي .

كل هذه الآثار أو المخلفات الأثرية تعطينا صورة طبيعية صادقة عن المجتمع الإغريقي، ولاسيما إذا تجمع لدينا عدد وافر منها لقطاع كامل من المجتمع بكل طبقاته .. ومن هذه الصورة نستطيع أن نستنتج أحوال هذا المجمع ومدى ما وصل إليه من تقدم أو ما كان يعانيه من تأخر أو انحدار، ونستطيع أن نرى مدى انعزاله عن المجتمعات الأخرى أو اتصاله بها سواء أكان هذا الاتصال تأثيراً أم تأثراً، سيادة أم تبعية أم مجرد تعادل على قدم المساواة، ونستطيع أن نلمس ملامح الطبقات داخل هذا المجتمع والعلاقة بينها بكل ما تستتبعه هذه العلاقة من تقارب أو تنافر من عدل أو استغلال إلى آخر ما يمكن أن يثور بين طبقات أي مجتمع من أمور مختلفة .

وبقي أخيراً أن نقول في هذا المجال، إن علم الآثار الذي نشأ وترعرع خلال القرنين الأخيرين ، قد وضع في يد المؤرخين لا نوعاً جديداً من شواهد الماضي فحسب، وإنما النوع الأكثر انتشاراً من هذه الشواهد، وأقلها تعرضاً للخراب والزوال، وأقدرها على الوصول إلينا سالمة وصحيحة ، لأن هذا النوع يحتوي كعنصر أساسي فيه، أدوات كان يستخدمها الإنسان الماضي في حياته العادية، ومن ثم فإنه صنعها من مواد أشد مقاومة لعوامل التلف من تلك التي تصنع منها المواد المكتوبة . فالمعدن، والحجر، والفخار، مواد أكثر قدرة على تحدي الزمن من البابيروس، والرق، والورق .

٢ ــ علم دراسة النقوش (EPIGRAPHY) :

تُعد النقوش ثاني المصادر الوثائقية بعد الآثار، وهي ملموسة قاطعة في الحدث التاريخي، وتنقسم إلى قسمين *نقوش بارزة، ونقوش غائرة* .

وتشمل النقوش كل الرسومات والكتابات المدونة على مواد صلبة كالحجر أو الرخام أو المعادن خاصة البرونز أو الخشب أو الصلصال، سواء كانت هذه الكتابات محفورة على أطلال مبان أم جذاذات كانت مطمورة في باطن الأرض وأخرجها علماء الآثار، أم مدونات على القبور (EPITAPHES) التي توضح، اسم الشخص المتوفي، وتاريخ وفاته، أو جملاً ترجم على المتوفي، أو تثني عليه. كما قد تكون المدونات أهداءات للآلهة، أو مدونات شرفية تمنح ألقاباً شرفية أو تمجد مواطنين، أو غرباء، أو مدناً ..إلخ . وقد تقوم *(المدينة) أو (السلطة) أو (الأفراد)* بهذا التدوين على جدران المدن أو المعابد أو المنازل وغيرها . ويمكن أن تكون المدونات *(أعمالاً عامة) أو (خاصة) أو (قرارات)* أرادت السلطة أن تكون عامة، أو معلومة من الشعب أو الجمهور . فتدوينها على الحجر، أو المعدن، هو وسيلة نشر عامة لها، وفي الوقت نفسه أداة تثبيت لها في أذهان الأجيال اللاحقة . فهناك مثلاً معاهدات بين الدول وقرارات حكومية، وقوانين قد نقشت على جدران المعابد، أو الأسوار، أو المسارح أو غيرها من المباني العامة.

والنقش الكتابي هو دائماً تقريباً وثيقة أولى، وشاهد مباشر، وهي تصلنا دون وسيط، فالباحث الحديث يقرأ الوثيقة بشكلها نفسه الذي قرأها معاصروها .

وتُعد النقوش الإغريقية قليلة في بداية القرن الخامس ق.م (أي ما قبل وقوع الحرب الفارسية ــ الإغريقية). أما نقوش فترة النصف الثاني من هذا القرن، ولاسيما فيما يتعلق بمدينة أثينة، فالنقوش متعددة. أما القرن الرابع ق.م، فنقوشه

قليلة فيما عدا الربع الأخير منه، حيث تتوافر لدى الباحث في عصر إمبراطورية الإسكندر وممالك خلفائه نقوش متعددة، ثم يزداد عدد النقوش المتعلقة ببقية مراحل التاريخ الإغريقي اللاحقة بصورة واضحة.

ويلاحظ أن النقوش الإغريقية مبعثرة بين عدة متاحف في برلين وباريس ومكتبة المتحف البريطانية بلندن، ومتحف الأكروبول في أثينة، وفي المتحف الروماني بالإسكندرية، ودار الآثار المصرية بالقاهرة. وهذا إلى جانب مجموعات أحتفظ بها في الأماكن التي عثر عليها كمجموعات إليوسيس (*ELEUSIS*) ودلفي (*DELPHI*) وأولمبية (*OLYMPIA*) ولقد ساهم العلماء في محاولة وضع أسس وقواعد لعلم دراسة النقوش (*INSCRIPTION*) لفترات طويلة تناولها علماء ناهون قدموا الكثير لفك رموز هذه النقوش، بصورة أصبحت مقننة مدروسة.

ويجب أن ننوه إلى أن النقوش يمكن أن تتراوح في الطول ما بين عبارة قصيرة على شاهد من شواهد القبور وبين نقش مطوّل، وسواء أكانت النقوش قصيرة أم مطوّلة فهي ذات قيمة كبرى ليس للمؤرخ فحسب، بل لدارسي اللهجات الإغريقية واللغويات والصوتيات، وتطور رسم الأبجدية الإغريقية وشكل حروف الهجاء ولدارسي الديانة الإغريقية من حيث شعائرها وطقوسها وتنبوات آلهتها، ومن حيث تأسيس المعابد وإدارتها وتمويلها ونظام الكهنة وغيرهم من الموظفين الدينيين ونظام الجمعيات، وكذلك لدارسي الأدب الإغريقي حيث تمدهم النقوش بآلاف الأدبيات من الأشعار الدينية ومرثيات القبور وبعدد لا يحصى من القطع النثرية القصيرة وسجلات من المسابقات التي تجري بين كتّاب المسرح وأسماء الفائزين في هذه المسابقات.

أما بالنسبة إلى المؤرخ، فالنقوش أكثر ما تكون له قيمة، ولاسيما تلك النقوش الرسمية والمتعلقة بالحكام وأعمالهم، أو بالدول ونظامها وقوانينها وتندرج تحت هذه النقوش العامة عدة أنواع منها:

أ ـ *السجلات التاريخية* : وهي تتناول بطولات وأحداثاً تاريخية واقعية تلقي أضواء على ملامح التاريخ الإغريقي مثل النقش المعروف باسم (*سجل باروس*) الذي عثر عليه في جزيرة (*باروس*) في بحر إيجة، والنقش تسجيل لأحداث التاريخ الإغريقي مرتباً منذ عهد ملك أثينة الأسطوري *كيكروبس (CECROPES)* حتى عهد حاكمها *دياجنيس (DIAGENES)* أي حتى عام ٢٦٤ / ٢٦٣ ق.م، ولا يعرف من هو كاتب هذا النقش الذي يزعم أنه استمد معلوماته من كل أنواع الوثائق والتاريخ .

ب ـ *قرارات مجالس التشريع والحكام* : وهي قوانين تشريعية وإدارية أصدرها مختلف المدن الإغريقية وأهمها القوانين الخاصة بمدينة أثينة على وجه الدقة دون غيرها نظراً للعدد الكبير الذي وصلنا منها .

ج ـ *القوانين والتنظيمات* : ومن أمثلتها النقش المطوّل الذي يتضمن قوانين مدينة (*جورتين*) الكريتية وما تتضمنه من وراثة وتبني ورهونات وكفالات وبعض الحقائق من القانون العام .

د ـ *قوائم الضرائب* : وهي تسجل الأنصبة المالية التي كانت أثينة تتلقاها من حلفائها من المدن الإغريقية التي اشتركت معها في حلف (*ديلوس*) أو بالأحرى التي خضعت لزعامتها في هذا الحلف .. وتُعد هذه السجلات الأساس في دراسة النظم المالية في أثينة في القرن الخامس ق.م .. كما أنها تلقي كثيراً من الضوء على علاقات أثينة بحلفائها على فترات مختلفة .

هـ ـ *نصوص المعاهدات وهيئات التحكيم والعلاقات الدولية* : وهي التي تسجل المعاهدات وغيرها من الاتفاقات ذات الطابع الدولي بين مختلف المدن الإغريقية .. وكانت نصوص هذه المعاهدات تنقش على الحجر أو البرونز وتقام في الأماكن العامة في المدن المتعاهدة، أو في المراكز الدينية العامة في بلاد الإغريق مثل أولمبية ودلفي .

٣ ــ علم دراسة البردي (PAPYROLOGY):

يُعد علم البردي أحد المصادر الوثائقية المهمة ، وهو مصدر ملموس وقاطع الجزم في الحدث التاريخي ، كما أنه يُعد من أهم الوثائق التي تصور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والبردي في حد ذاته نبات كان ينمو وسط أحراش الدلتا بمصر، وفي بعض جهات الفيوم، وقد عرفت مصر الفرعونية صناعة الورق من اللباب اللزج الموجود في ساق هذه النباتات المثلثة منذ أيام الدولة القديمة .. ولما كانت مصر قد احتكرت صناعة هذه الأوراق، فإن طقسها الجاف من ناحية أخرى قد أتاح للفائف البردي المطمورة في أرضها فرصة النجاة من البلل والتلف، إذ اكتشفت الغالبية العظمى من الأوراق البردية في مصر خلال العصر البطلمي والروماني. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد البحث الوحيد لدينا الآن من جملة بحوث الفيلسوف الإغريقي الشهير (*أرسطو*) والبالغ عددها مائة وثمانية وخمسين بحثاً قد عثر عليه في مصر عام ١٨٩٠ م، وهو البحث المعروف باسم (*دستور الأثينيين*) .. كذلك عثر في مصر على لفائف بردية مطوّلة تضم مؤلفات شاعر (*الملهاة*) العظيم (*سوفوكليس*) والشاعر الغنائي (*مينالدروس*) وغيرهما .

ومن الناحية العملية يُعد البردي من أهم المصادر القديمة إذا ما قيست بباقي المصادر الأخرى الوثائقية أو الأدبية، لأن المادة الغزيرة التي كانت تدون على لفائف البردي كانت وافرة الغزارة في مادتها العلمية إذا ما قيست بباقي المصادر الأخرى، ولاسيما أن ظروف الكتابة على البردي كانت من السهولة والوضوح الذي كان يمكن معه عرض أية مسائل أو مشكلات أو موضوعات معينة في شتى مراحل الحياة العامة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية .. هذا من ناحية، *ومن ناحية أخرى فإن المساحة الكبيرة التي يدون عليها على ورقة البردي كانت تسمح بعرض جميع*

أو معظم جوانب أي موضوع بصورة شبه كاملة، وهذا ما يتعذر بالنسبة لباقي المصادر الوثائقية لصغر حجمها أو لصعوبة الكتابة عليها .

ولا يفوتنا أن ننوه أن البردي كان مصدراً وثائقياً مهماً في مجال العلوم المختلفة *كالآثار، والدبلوماسية، والديانة، والطب، والتاريخ، والرياضيات، والقانون*. وجميع هذه العلوم كانت غزيرة في مادتها العلمية وأمدتنا بكثير من صور الحضارة الإغريقية.

٤ ـ علم دراسة النقود أو علم النميات (NUMISMATICS) :

إن كلمة **النميات** منبثقة من الإغريقية (*نوميسما NOMISMA*) ومن اللاتينية (*نوميسما NUMISMA*). *وهو علم يعالج وصف (النقود) وتاريخها وكذلك (الميداليات) . وهو يقدم شواهد ثمينة للجغرافية، وللتاريخ، ولعلم الصور (إيقونوغرافيا)، وتاريخ الديانات، والعادات، وتاريخ الفن* . وهو علم مساعد مهمّ للتاريخ إذ هو مصدر للمعرفة التاريخية. فقد يكون الوحيد أحياناً الذي يكشف عن وجود ملك، أو مدينة، أو يشير لأثر، أو لحادث تاريخي. والنقود بما سك عليها من صور لملوك وملكات، أو لمظاهر اجتماعية، أو دينية، تهم الباحثين في (*علم الجمال*) و (*تاريخ الفن*). لأن تلك الرسوم والأشكال ترسم منحنياً للتطور الفني يمكن تتبعه بدقة، بينما في مجال علم الآثار (*الأركيولوجيا*) لا يكون أمام الباحث إلا خرائب ومخلفات جزئية من الصعب تركيب كل منها، وقد تكون النقود الإغريقية في هذا المنحى نموذجاً شبه كامل[1] .

وبالإضافة إلى هذا، فإن معظم أحداث التاريخ الكبرى قد سجلت بتأريخها على النقود منذ اختراع هذه الوسيلة في التعامل في القرن السابع ق.م، وفي منطقة

---

1 ـ انظر : هيرودوت ، ترجمة عبد الإله الملاح ، الكتاب الأول ، ص ٧٦ .

ليدية على شاطئ آسية الصغرى وفق قول هيرودوت (... *والليديون كما بلغنا أول أمة تسك النقود بالذهب والفضة*)[1] . وفي بلاد الإغريق سُكت أول عملة إغريقية في جزيرة أيجينة الدورية (*AEGINA*) في القرن السابع ق.م .

و على سبيل المثال، إن قطعة من العملة تستطيع أن تقول لنا الشيء الكثير، فنحن قد نعرف منها شعاراً لإحدى المدن الإغريقية، أو إلهاً لهذه المدينة أو آلهة لها .. كما نعرف من وزنها ومن المعدن الذي صنعت منه (*سواء أكان ذهباً أم فضة أم برونزاً*)، وبالمقارنة مع معلومات من مصادر أخرى، القيمة الشرائية لهذه العملة ومستوى تكاليف المعيشة في المنطقة التي تنتمي لها. كما نعرف من نوعية المعدن المستخدم في هذه العملة مثلاً من الذهب أو الفضة دليلاً على توافر هذين المعدنين لدى الدولة صاحبة العملة، ومن ثم شاهد على ثرائها، بينما إذا كان من النحاس أو من معادن غير ثمينة أخرى، فإن هذا يدل على ضعفها الاقتصادي. ووجود مجموعة من قطع العملة الإغريقية في منطقة خارج بلاد الإغريق يشير، على الأرجح، إلى علاقات تجارية بين بلاد الإغريق وهذه المنطقة .

كما أن الصور المضروبة على النقود مهمة في دراسة تطور الفن الإغريقي، بفرض أن النقود مواد مؤرخة يمكن ترتيبها، في معظمها، ترتيباً زمنياً. وقد حفظت لنا النقود مجموعة من الصور الشخصية للملوك والحكّام، وهذه الصور مفيدة في إبراز ملامح شخصيات من أصدروها، ولاسيما إذا قورنت بما ذكرته المصادر الأدبية عن خصالهم، كذلك يفيد المؤرخ أن يدخل في حسبانه أماكن العثور على النقود الإغريقية، لأن هذا يشير إلى مجال تداولها في العالم القديم، ويمكن أن يستنبط منه امتداد نفوذ مدينة أو دويلة، وإن لم يكن من المحتم أن يكون هذا النفوذ نفوذاً سياسياً .

1- GUY . BEAUJOUN LE TEMPS HISTORIQUE DANS . L.HISTOIREET SES METHODES P . 361 .

٥ ــ علم دراسة الشقافات (OSTRAKA) :

علم دراسة الشقافات من العلوم الوثائقية الحديثة التي كان من المتعذر دراستها سابقاً، وذلك لعدم معرفتها أو الاهتمام بها . وتُعد دراسة الشقافات من الأهمية بمكان، ولاسيما أنها تُعد من المصادر الوثائقية المهمة التي نستطيع أن نستقي من خلالها معلوماتنا التاريخية .

ومما يجدر بالملاحظة أنه في بلاد الإغريق كانت الشقافات لا تستخدم عادة للكتابة عليها، إلا في أثينة حيث كانت تستخدم للإدلاء بالأصوات الانتخابية في الجمعية الشعبية، وبسبب كثرة الشقافات وسهولة الحصول عليها شاع استخدامها في كتابة مختلف أنواع الإيصالات وتحرير الخطابات .. وكان تلاميذ المدارس يستخدمونها بكثرة في التدريب على الكتابة وعلى مختلف التمارين المدرسية .. وقد عثر على كميات هائلة من الشقافات في منطقة طيبة بمصر البطلمية . وبذلك تكون (الأوستراكا) قد ألقت ضوءاً اجتماعياً على المجتمع الإغريقي إلى جانب النواحي الأخرى [1] .

ثانياً : المصادر الأدبية (LITERARY SOURCES) :

وتشمل كتابات المؤرخين والخطباء والشعراء والفلاسفة، وهي مصادر ثانوية غير قاطعة أو جازمة في الحدث التاريخي، وذلك لتأثرها بميول كاتبيها وظهور النزعة الشخصية والمؤثرات النفسية وعدم الثقة، مما يجعلنا نتناولها بحذر .. وهي تُعد مكملة للمصادر الوثائقية في بناء الحدث التاريخي السليم .

---

[1] ــ انظر : ببليوغرافية نقوش المصادر الوثائقية في : عاصم أحمد حسين ، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٧ ــ ٢٩ .

ونظراً للأهمية العظمى التي تحيط بكتابات المؤرخين في مجال المصادر الأدبيـــة، وقبل الدخول في خضم هذا المجال، يجدر بنا قبل كل شيء، ***أن نقدم فكرة موجزة عن نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند الإغريـــق، وإبـــراز الملامـــح والظـــروف الأساسية التي أدت إلى نشوء علم التاريخ .***

ثمة فارق بين التاريخ والفكر التاريخي، فالتاريخ في أبسط معانيه، يعني التقليد الفطري لدى كل إنسان في حرصه على معرفة ماضيه وتذكره. ويمكننا أن نقول إن الإنسان عرف (*التاريخ*) بهذا المعنى منذ أن عرف الكتابة، وراح يســجل أحـــداث حاضره وأخباره، ليقرأها في المستقبل أناس لا يعرفهم، بمعنى أن تسجيل الأخبار يتم بنظرة مستقبلية، وكأن الإنسان يحاول عن طريق التسجيل أن يخلد ذكـــره ليقـــرأه اللاحقون من بعده. هذا هو الدافع الذي جعل الشعوب والمجتمعات القديمة تحـــرص على تسجيل أخبارها منذ أن عرفوا الكتابة. ولعل أسبق وأقدم هذه الشـــعوب مـــا سجله سكان العراق ومصر منذ نهايات الألف الرابـــع ق.م، ثم لحقتـــهما ســـائر الشعوب في سورية وإيران والأناضول واليونان والصين والجزيرة العربية .

ولكن هذه السجلات وأمثالها كثير، ***لا تمثل في الواقع سوى مادة تاريخيـــة، ولكنها ليست تاريخاً أو فكراً تاريخياً***، *لأن المقصود بـــالفكر التـــاريخي يتمثـــل في الموقف العقلي الذي يتخذه أو يلتزم به المؤرخ في تعامله مع المادة التاريخية بين يديه وفي تناوله لموضوعه التاريخي. وكلما ازداد المؤرخ في موقفه العقلـــي نقـــداً للمادة التاريخية، ازداد فكره التاريخي وضوحاً واستقلالاً، وأعانه ذلك علـــى أن ينفذ إلى جوهر الحقيقة التاريخية، وهي منـــزلة رفيعة يصعب الوصـــول إليهـــا.*

ونظراً لاختلاف المؤرخين في قدرهم العقلية على ممارسة النقد الصـــارم والالتـــزام بالحياد الكامل، فقد اختلف فكرهم التاريخي تبعاً لذلك منـــزلة ونضجاً. *ويتضـــح من ذلك أن الشرط الأول لنشأة الفكر التاريخي*، *هو توافر ملكة النقـــد لـــدى*

المؤرخ ، وعلى ذلك فجميع الكتابات التي لا تمثل موقفاً نقدياً لا نتوقع أن نجد فيها فكراً تاريخياً. ويبدو أن هذا الموقف النقدي بدأ يتضح ويتبلور بين سكان المدن الإغريقية على الساحل الغربي لآسية الغربية في القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م، وهو نتيجة لظهور الفكر الفلسفي الأول في تلك البلاد، ولصحوة العقل الإغريقي بتأثير العلم والنزعة العقلية . فنجد على سبيل المثال (*كسينوفانس*) *XENOPHANES* الفيلسوف الطبيعي المعروف ينتقد، ما ورد عند كل من *هوميروس وهسيودوس* من روايات متوارثة عن قصص الآلهة القديمة فقال (*لقد نسب هوميروس وهسيودوس إلى الآلهة كل ما هو شائن ومعيب بين البشر من سرقة وزنى وخداع بعضهم بعضاً*) [1] . ونجد صدى هذا الموقف النقدي يتردد بين كتّاب آخرين من غير الفلاسفة كما فعل (*هيكاتايوس HECATAEUS*) الملطي، وهو من بين رواد من ارتحلوا ووصفوا حوض البحر الأبيض المتوسط، مزج فيه بين الجغرافية والتاريخ، كما وضع كتاباً في الأنساب، افتتحه بهذه العبارة التي تنم عن درجة عالية من الثقة والنقد وهي قوله : (*إني أكتب هنا ما أعتقد أنه صحيح ، لأن قصص الإغريق كثيرة وتدعو إلى السخرية*) (١٤٣/٢) .

وفي القرن السادس ق.م، كان المؤلفون الإغريق ينقسمون إلى فريقين : فريق ينظم معلوماته شعراً (*EPOPOIOI*) وفريق ينتظم معلوماته نثراً (*LOGOPOIOI*) بصرف النظر عن موضوع اهتمامه أو تخصصه. *وكان اختيار كتابة الموضوع نثراً هي الأوفق والأنسب لمعظم المؤلفين، باعتبار أن الكتابة (نثراً) تنمو بالكتابة التاريخية النمو الطبيعي إلى أرقى مدارجها*، حتى إذا كان النصف الأول من القرن الخامس ق.م، مرت بلاد الإغريق بامتحان عصيب ومحنة قاسية، وهي تعرضها

1- G . S , KIRI , J . E , RAVEN THE PRESOCRATICPHILOSOPHERS, CAMBRIDGE, 1966 , NO 169 .

للاحتلال الفارسي الذي أخضع لسلطانه آسية الغربية بأسرها بما فيها مجموعة المدن الإغريقية على ساحلها الغربي ، ثم تجاوز الفرس الشاطئ الأسيوي وعبروا إلى بلاد الإغريق واحتلوا مدينة أثينة نفسها، ولكن الأثينيين، بفضل قوتهم البحرية مع حلفائهم، تداركوا الموقف وحققوا انتصاراً حاسما على الفرس في معركة *سلاميس* عام ٤٨٠ ق.م، وتمكنوا من طرد الفرس نهائياً من بلادهم ، وتابعوهم حتى حرروا المدن الإغريقية على ساحل آسية الصغرى أيضاً كما هو معروف في التاريخ. هذه التجربة القاسية الكبرى هزت الوجدان الإغريقي هزة عنيفة، وتركت فيه أثراً عميقاً جداً ظل ماثلاً في الوعي الإغريقي أمداً طويلاً .وذلك في وقت كانت بلاد الإغريق قد أخذت تخطو خطوات عملاقة في مجالات المجد السياسي والنبوغ الحضاري فكراً وأدباً وفناً، وأدّت أثينة دوراً قيادياً في كل ذلك، ففي السياسة قادت أثينة حركة التطور السياسي بمقدرة مذهلة نحو الممارسة الديمقراطية كانت، وما تزال تثير الإعجاب والدهشة معاً. وفي مجال الثقافة في القرن الخامس ق.م، نبغ في الفلسفة (**بروتاجوراس**) بفلسفته الإنسانية المشككة و(**سقراط**) بفكره الإيجابي الحاد حول المعرفة والفضيلة، وفي الأدب تألق رواد التراجيدية والكوميديسة من أمثال (*إيسخيلوس وسوفوكليس ويوروبيدس*) من التراجيديين، و(*أرستوفانس*) من الكوميديين. وفي الفن هناك (*فيدياس*) والمنتمون إلى مدرسته الذين أبدعوا روائع فن النحت وإقامة التماثيل، مما تمثل في معبد (*البارثنون*) بين آثار الأكروبول في أثينة[1].

ونظراً للأهمية العظمى التي تحيط كتابات المؤرخين الإغريق في مجال المصادر الأدبية، سنتعرض إلى أبرز هؤلاء المؤرخين وهم أربعة (*هيرودوت، وثوكوديدس*،

---

[1] - انظر : **مصطفى العبادي**، نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند اليونان، مجلة عالم الفكر، مجلة علمية محكّمة دورية، العدد ١، المجلد ٣١، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٢، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص ٧ – ١٠ .

وكسنوفون، وبوليبيوس) لمساهماتهم الفعالة في تطور علم التاريخ، ولما يشكلونه من مصدر كبير وهام في تعرفنا على أحوال المجتمع الإغريقي في كل جوانبه المختلفة .

أولاً ـ المؤرخون :

١ ـ هيرودوت (HERODOTOS ٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق.م)

أ ـ حياته ومنهجه في كتابة التاريخ :

حركت تجربة الحروب الفارسية في خضم تلك النهضة الحضارية الكبرى، عبقرية تاريخية خلدت التجربة بكل أبعادها، وتقصد بذلك شخصية هيرودوت . وقد أطلق عليه الخطيب والسياسي الروماني (شيشرون) لقب (أبي التاريخ PATER HISTORIAE) [1]، وما زال هذا اللقب يتداول حتى عصرنا الحاضر، ولهذا السبب فإن هيرودوت يستحق منا وقفة متأنية، لما يمثله من نقلة كبرى في كتابة التاريخ عامة، ولأنه يُعد أول مؤرخ من دون أدنى شك، يتبلور لديه فكر تاريخي واع وناضج، رغم اختلاف الرأي وتباين الأحكام بشأن كتاباته .

ولد هيرودوت في مدينة (هاليكارناسوس HALICARNASSUS) على ساحل آسية الصغرى الغربي في السنوات الأخيرة من الحروب الفارسية (٤٨٤ ق.م)، وأمضى حياته الأولى في موطنه الأصلي إلى أن قام بها طاغية يدعى (ليجداميس)، اصطدم بأسرته التي كانت لها مكانة مرموقة في المجتمع، وموسرة محبة للعلم والشعر والأساطير، تتعاطى السياسة وتنادي بالحرية والخلاص من ظلم الطغاة، ولهذا السبب تعرض بعض أفرادها للاضطهاد والتنكيل حتى الموت على يدي الطاغية، مما أدى إلى فرار هيرودوت من وطنه إلى جزيرة (ساموس حوالي ٤٥٥ ق.م) ، ويبدو أنه في

---

[1] ـ شيشرون من أبلغ خطباء روما (١٠٦ ـ ٤٣ق.م)، أسهم في حياة روما السياسية خلال القرن الأول ق.م .

هذه المرحلة، قد بدأ يكتسب شهرة بعلمه واهتمامه بدراسة الحروب الفارسية، وتنقل في أكثر من مدينة إغريقية للمحاضرة وتتبع الأخبار في موضوع اهتمامه، وكان من الطبيعي أن يذهب إلى أثينة الخصم الأول للطغاة وقطب التحرك الديمقراطي، فرحل إليها وهي في أوج الديمقراطية في عصر فترة زعامة (بريكليس *PEREKLES*)، وفي عام ٤٤٣ ق.م رافق البعثة الأثينية لتأسيس مدينة (ثوري *THURII*) في جنوب إيطالية. وقد امتد به العمر فشهد بداية الحروب البلوبونيزية بين أثينة وإسبرطة عام (٤٣١ ق.م) وربما كانت وفاته بعد ذلك بقليل (٤٢٥ ق.م) في ثوري ودفن فيها. وفي حدود هذا الإطار العام، يجتهد الدارسون في توزيع رحلاته الكثيرة التي اشتهر بها في أنحاء بلاد الإغريق نفسها وخارجها في آسية الصغرى وسورية وبلاد النهرين ومصر وصقلية وبرقة وغيرها، ***وقيل إن المسافة التي قطعها في رحلاته بلغت ١٧٠٠٠ ميل ودامت أسفاره نحو ١٧ عام، لذا سماه البعض ماركوبول العصور القديمة*** [1]. فلهذا كان هيرودوت على قدر عظيم من الحيوية والنشاط حتى أمكن له أن يقوم بهذه الأسفار، وأنه كان على جانب كبير من الثراء للإنفاق على رحلاته، وإن اختلفت وسائل النقل ليأتي لنا بهذا التاريخ العظيم.

وكان هدف هيرودوت من هذه الرحلات، هو جمع المعلومات لكتابة تاريخه المشهور (*تاريخ الحروب بين الإغريق وفارس*)، لذلك كان يحاول التحري وتقصي المعلومات بنفسه، وذلك بالسفر والرحلة إلى كل بلد يستطيعه في الشرق والغرب له صلة بأحداث الحروب الفارسية.

وكان السبب الذي أطلق على هيرودوت لقب (أبي التاريخ) من أنه بدأ كتابة تاريخه منتهجاً نهج الإخباريين، ثم اكتمل نضجه العقلي فيما بعد ليصبح ذا فكر تاريخي متميز وتصور عام لحركة التاريخ. فالكتاب كما وصلنا يتضمن فصولاً شائقة من نوع (*أخبار الشعوب*) وتتبع فيها منهج الإخباريين مثل فصوله

---

[1] – انظر : مقدمة المترجم لتاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، ص ٢١ .

عن مصر وليبية وسكيثيا وغيرها، كما أن هناك أجزاء يتمثل فيها فكر تاريخي واضح ومنهج متميز. ويبدو أن هذه الأجزاء (*تاريخية المنهج*) كُتبت بعد الفصول الأولى في وصف الشعوب، ثم أعاد تنسيق العمل كله ليتخذ الصورة التي وصلتنا. والأرجح أن افتتاحيته المشهورة كتبها هيرودوت في مرحلة متأخرة، ربما بعد أن اكتمل العمل كله أو كاد [1]. ونحن بدورنا نؤيد هذا الرأي نظراً لعدم التطابق المنهجي بين الافتتاحية وبداية ما بدأه من كتابة عن أحوال ووصف الشعوب. ولعل من المناسب، أن نقرأ في شيء من الإمعان هذه الافتتاحية التي تُعد أشهر افتتاحية كتبها مؤرخ على الإطلاق، كما أنها تطلعنا مباشرة على فكر هيرودوت التاريخي.

(***هذه نتيجة أبحاث HISTORI هيرودوت الهاليكارناسي التي يقوم بنشرها حتى لا يطوي النسيان بفعل الزمن ما حدث في ماضي الإنسانية، وحتى لا تفقد نصيبها من المجد والشهرة الأعمال الجليلة والباهرة التي أنجزها الشعوب الهللينية والشرقية، وبصفة خاصة الأسباب التي أدت بدورها إلى نشوب الحرب بين الجانبين***) (١/١).

يمكن أن نستخلص من هذه الافتتاحية ثلاث نقاط أساسية تفسر لنا الفكر المنهجي التاريخي عند هيرودوت.

النقطة الأولى : أطلق هيرودوت على عمله اصطلاحاً جديداً لم يسبق أن استخدمه أحد قبله في مجال الكتابة التاريخية، فبدلاً من ألفاظ (***LOGOI***) أو (***LOGOGRAPHIA***) بمعنى أخبار أو روايات، نجده يستخدم كلمة (***HISTORIA***) ومعناها (*بحث*) أو (*دراسة*). ويبدو أن هيرودوت قد أراد بهذه الافتتاحية أن ينبه قارئه إلى أن عمله نوع جديد من الكتابة يختلف عن كل ما سبقه، فهو ليس مجرد

---

[1] – انظر : مصطفى العبادي، ص ١١.

سجل لأخبار الماضي وأحداثه، وإنما هو (*دراسة*) و (*بحث*) يهدف إلى التعرف على الحقيقة التاريخية. ومن هذا الاصطلاح الجديد الذي استخدمه هيرودوت لأول مرة في افتتاحيته قد التصق بالكتابة التاريخية من هذا الوقت واقتصر عليها تقريباً، ويكون هيرودوت أول شخصية في التاريخ القديم منح دراسة الماضي اسمها (***HISTORIA***) الذي تُعرف به في كثير من اللغات. ولعل هذا هو المقصود أساساً من اللقب الذي اشتهر به هيرودوت وهو (*أبو التاريخ*).

النقطة الثانية : وهي أن هذا العمل جديد أيضاً، لأنه يتصدى لمحاولة دراسة ماضي الإنسانية جمعاء والإنجازات الجليلة للشعوب الهيللينية والشرقية على السواء، وهو بهذا المعنى يُعد أول تاريخ إنساني على الإطلاق.

النقطة الثالثة : وهي أهم النقاط جميعاً، وفيها يوضح هيرودوت السبب الذي أدى إلى اندلاع تلك الحرب العالمية بين الجانبين المتصارعين. وفي الفصول الأولى التي تلي الافتتاحية مباشرة، نجد الفكرة الأساسية التي حركت هيرودوت، وهي أن الحروب الفارسية حلقة في سلسلة من الصراع المستمر في العالم بين أوروبة وآسية، أو بين الغرب والشرق. ويدل على ذلك بسلسلة من الأحداث السابقة، أهمها وأخطرها الحرب الطروادية، التي يعدها هيرودوت مرحلة مبكرة من ذلك الصراع، حين قام تحالف الشعوب الهيللينية (*أوروبة*) بمهاجمة طروادة في (*آسية الصغرى*)، ونجده في هذه الفصول يوجه نقداً لاذعاً ضد الروايات الأسطورية القديمة التي أوردها (*هوميروس*) سبباً لنشوب الحرب الطروادية مثلاً قوله : (*إن إثارة نزاع حول اختطاف امرأة ضرب من ضروب الحماقة، فالعقلاء من الناس لا يشغلون أنفسهم بمثل تلك النساء، إذ من الواضح أنه ما كان لأحد أن يحملهنّ على ما لا يرضين به، فعندما اختطف الإغريق نساء الآسيويين لم يأبه هؤلاء بالواقعة، أما الإغريق فإنهم من أجل امرأة إسبارطية واحدة حشدوا جيشاً عرمرماً، واجتاحوا*

آسية ودمروا مملكة بريام، ومنذ ذلك الحين والآسيويون يكنون العداء للإغريق) (١/ ٣ ــ ٥) .

هذه من غير شك فكرة رائدة لا نعرف لها وجوداً قبل هيرودوت ، فهي تمثل الموقف النقدي اللاذع (*هوميروس*) ، وتكشف لنا مثل هذه الصورة النقديـــه عـــن تصور جديد لجانب من حركة التاريخ العام في العلاقة بين الشرق والغرب ([1]) .

وتتكشف أيضاً طبيعة ومنهجية هيرودوت من بعض ما ذكره هو عن نفســـه حيث يقول: (*إلى هنا كان اعتمادي في كل ما ذكرت على المشاهدة الشخصـــية وتحكيم العقل ومواصلة البحث، ومنذ الآن سوف أشـــرع في قـــول مـــا رواه المصريون لي، مضيفاً إليها شيئاً مما شاهدته بنفسي*) (٢/٩٩). وفي مكـــان آخـــر يقول: (*إني مضطر إلى أن أقص عليكم ما يُنقل إليّ، ولكني غير ملزم بتصـــديقه ، وأحب أن يُصدق هذا القول على كل قصة أرويها في هذا التاريخ*) (٧/١٥٢).

هذه العبارات المقتضبة تلخص منهج هيرودوت في العمل ، وتتفق تماماً مـــع كثير من الموضوعات التي عرض لها في كتابه. فالمشاهدة والملاحظة لكل مـــا يقـــع تحت عينيه صفة يتميز بها هيرودوت قبل كل شيء، مستعيناً على فهم ما يراه بفكره المجرد *أولاً* ، ثم بمتابعة البحث بقصد فهم حقيقة الذي شاهده *ثانياً* . ويمكننـــا أن نلخص هذه المرحلة الأولى من أخباره بالتجربة الشخصية المباشرة. أمـــا المجموعـــة الثانية من الأخبار التي يوردها فهي حكايـــات عجيبـــة تبلـــغ حـــدود الخرافـــة والأسطورة. فهو يورد ــ على سبيل المثال ــ *قصة الطفل الـــذي حكـــم عليـــه بالموت ولكنه ينجو ليغدو ملكاً، وهو قورش، وهذه قصة شائعة في أنحاء العـــالم، كما نقرأ قصة اللص المصري الظريف الذي يُفشل كل المحاولات للإيقـــاع بـــه،*

---

[1] – انظر : المرجع السابق ، ص ١١ ــ ١٢ .

وينتهي أمره بالزواج من ابنة الملك، كما يورد لنا أن عظام جماجم الفرس رقيقة بحيث إن لمس الحصاة لها يمكن أن يحدث ثقباً فيها، في حين أن جماجم المصريين كانت قاسية لدرجة يكاد من المستحيل إحداث كسر فيها ولو ضربت بالحجارة، ويعود ذلك إلى أن المصريين يعرضون رؤوسهم إلى الشمس التي تكسب عظام جماجمهم القساوة، أما الفرس فإنهم يلبسون قلنسوة من اللباد لتقي رؤوسهم أشعة الشمس (٣/٣) .

كذلك يلاحظ المرء عند هيرودوت اهتماماً بالغرائب والخوارق، على اختلاف أنواعها وأشكالها الطبيعية والاصطناعية، *مثل الأفاعي الطائرة، وهو الجراد القادم من المنطقة العربية، أو الأهرامات المصرية، ومعبد هيرا في ساموس، وهي من ابتكار البشر* .

فلذلك كان من الواجب على كل من يقرأ تاريخ هيرودوت، أن يميز بين هذين النوعين من الأخبار أو المعلومات التي يعرض لها. *فالنوع الأول* عادة ما يكون دقيقاً وصحيحاً، في حين يتضمن *النوع الثاني* كثيراً من القصص والمبالغات والخرافات. وما من شك في أنه قد قدّر قيمة كل ما يروى من أخبار، ومبلغ ما فيها من صدق وكذب. وليس أدل على أنه كان مدركاً لمقدار الصدق أو الكذب في الأخبار التي كان ينقلها عن قائلها. أنه في كثير من الأحيان كان يعبر عن شكه أو رفضه لصحة الخبر فمرة يقول: (*يدعي المصريون ... ولكنهم في ذلك يجانبهم الصواب*)(٢/٣). وفي موقف آخر يقول (**قد سمعت رواية أخرى ولكني، لا أصدقها**) (٤/٣) . وكان يعرض الروايات كما تروى له ، ويشير في كل رواية عن محدثه مثلاً (*مثلاً يقول الفرس .. ويقول المصريون.. ويعارض الأثينيون .. والفرد الإسبارطيون بالقول*) فكان دوره في هذه الروايات ـــ كما ذكر عن نفسه سابقاً ـــ بأنه يقتصر على نقل ما يقال، ويذكر بأنه يورد الأخبار ولا يوافق على

صحة الكثير منها، وهو في مطلق الأحوال يروي نقلاً عن غيره مما قد سمع من روايات أهل البلاد .

ومع ذلك فقد حرص هيرودوت على ذكر جميع هذه الروايات لفكرة أعم وأشمل، وهي أنه كان حريصاً على تقديم صورة متكاملة للمجتمعات التي عرفها بجوانبها المختلفة الإيجابية والسلبية، في عاداتهم، وتقاليدهم، وأنماط حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فلذلك كان هيرودوت حريصاً على حسم التناقض بين الروايات بأن يوردها كما هي، تاركاً للقارئ أو السامع حرية اختيار ما يشاء أو استخلاص ما يشاء استخلاصه .

وعلى هذا فنحن ، يجب أن نعتمد في كتاباته في شيء من الحذر ، ونحاول أن نحققها بالمقارنة مع الآثار الموجودة، ومع المعلومات التي نستطيع أن نحصل عليها من مصادر أخرى، أو على أضعف تقدير نضعها موضع التحليل المنطقي بحيث نرى إذا كانت مرجحة أو محتملة أو غير ممكنة على الإطلاق .

ب ــ الفكر السياسي عند هيرودوت :

يمكننا أن نسلط الضوء على جانب آخر من تفكير هيرودوت، ***وهو فكره السياسي***، وليس هناك من ريب في أن ثمة دافعاً سياسياً كان يحركه في كتابة التاريخ، ***هذا الدافع السياسي هو اقتناعه بالزعامة الأثينية، وإيمانه بالديمقراطية .***

وكل من يقرأ الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه (جـ ٧ و ٨ و ٩) عن الدور الذي كان لأثينة في كل مرحلة حتى تحقق النصر النهائي على الفرس، وتحرير مجموعة المدن الإغريقية على ساحل آسية الصغرى الغربي، يرى أن هيرودوت كان مقتنعاً بأن هذا الدور هو الذي أهّل أثينة للزعامة بين الإغريق. وهو في كل ذلك يصطنع أسلوباً ماهراً شائقاً، فيجعل الأحداث تتحدث بذاتها، من دون أن يفصح هو عن رأيه بطريق مباشر .

وكذلك الأمر في موقفه المؤيد للديمقراطية، فنحن لا نسمع هيرودوت يشيد أو يمجد نظم الإثينيين الديمقراطية. ولكنه يصطنع أسلوباً غير مباشر، ويختلق موقفاً في داخل دولة فارس لا يتصور أحد أنه حدث فعلاً، ولكنه يسمح لهيرودوت أن يقول ما يريد في الحياة السياسية. هذا الموقف يتعلق بأخبار مؤامرة حدثت في فارس ضد مجوسي كان قد تمكن من قتل الملك (قمبيز) واغتصب العرش لنفسه. وبعد أن نجحت المؤامرة في القضاء على المجوسي المغتصب، اجتمع المتآمرون للتداول في الموقف وهم سبعة من النبلاء وأعضاء الأسرة الملكية، ومنهم (دارا) الذي سيؤول إليه العرش. وحسب الرواية التي ينسبها هيرودوت إلى مصادره الفارسية، تناقش المتآمرون في شكل نظام الحكم، وحسب تلك الرواية يورد هيرودوت مضمون الآراء التي تقدم بها عدد من المتآمرين، فنجد أحدهم ويسمى *أوتانيس وهو يناصر حكم الشعب (الديمقراطية)* فيقول :

(يجب أن يكون توجيه الحياة السياسية بيد الشعب كله، ولا ينبغي أن نخضع لحكم رجل واحد يستبد علينا، وحكم الفرد الواحد ليس صالحاً ولا مقبولاً ... ويرد ذلك إلى سببين : أحدهما أن الحاكم المطلق بإمكانه أن يفعل ما يحلو له، ولكنه غير مسؤول أمام أحد عما يفعل، والسبب الثاني هو أن هذا الحاكم المطلق مهما كانت اتجاهاته الطيبة، فهو لا بد أن يكتسب طريقة في النظر إلى الأشياء تختلف عن طريقة الرجل العادي. فهو من جهة يصيبه الغرور بسبب ما في يده من سلطة وثروة، ومن جهة أخرى يصيبه الشك في تصرف المحيطين به. فهم إذا ما عارضوا ما يقدم عليه بسبب غروره أثار ذلك غضبه، وإذا وافقوه عليه شك في ولائهم. وهذا الوضع يؤدي به في النهاية إلى تصرفات غير متزنة وغير مأمونة. فالذلك أن خير نظام هو ذلك الذي يكون فيه تصريف الأمور في يد الشعب (TO PLETHOS) ، أي المواطنين جميعاً، لأنه أولاً : يتمتع

بأحسن الأوصاف ـــ المساواة أمام القانون ـــ وثانياً : لا يقوم الأشخاص الذين يتولون الحكم بالأفعال التي يقوم بها الملوك . ففي حكومة الشعب يعين الناس من يحكمهم ويعتبرونه مسؤولاً عن تصرفاته في أثناء فترة توليه مهام منصبه، وجميع المسائل تطرح للنقاش العام. ولهذه الأسباب أقترح أن نستغني عن الملكية وأن نسلم السلطة للشعب . ذلك أن الحكومة والشعب مصطلحان مترادفان).

ومن بعده تحدث ميجابيزوس ، واتجه إلى مناصرة حكم الأقلية ، وبدأ بهجوم على انتقاد حكم الشعب (*الديمقراطية*) وانتهى إلى أن قال :

(دع أعداء الفرس يأخذون أنفسهم بالنظام الديمقراطي . أما نحن ، فأرى أن نختار من مجموع المواطنين عدداً مناسباً من فضلائهم ، ونعهد إليهم بالحكم . فبهذه الطريقة سوف نكون نحن من بين الحكام . وما دامت السلطة في يد أفضل الرجال ، فمن المنتظر أن تسود في الدولة أيضا أفضل الآراء). واضح من قوله ، أن أعداء الفرس هم الأثينيون في المقام الأول ، وهم الذين أخذوا بالنظام الديمقراطي . ولعل هيرودوت قد تعمد صياغة هذه العبارة مجاملة للأثينيين الذين حققوا انتصارهم الأكبر على الفرس في ظل نظامهم الديمقراطي .

وأخيرا تحدث الأمير (دارا) وناصر في آرائه الحكم الفردي (*النظام الملكي*) وقال :

(إن الحكم الفردي هو خير أنواع الحكم جميعاً، لأن حكم الأقلية، في رأيه، ينفشي بين أفراده عادة الصراع على السلطة، وتنشب النزاعات فيما بينهم ، وهذا يمكن أن يؤدي إلى حروب أهلية، ومن ثم إلى سفك الدماء ، أما نظام الحكم الشعبي، فإنه ينتهي عادة بأن تصبح الأمور في يد مجموعات لا تمثل خيرة الشعب، وإلى انتشار نوع من الممارسات السيئة وأخطرها الفساد المستشري بين المسؤولين الذين سيتعاضدون ويتكاتفون وسيؤيد بعضهم بعضاً ويسّيرون أمور

الحكم بذلك الاتجاه. فلذا من الأصوب أن نختار أفضل رجل على الإطلاق. فالإنسان الأفضل سوف يحقق سياسة أفضل) (٣ / ٨٠ ــ ٨٨).

لهذا النص أهمية خاصة في تاريخ علم السياسة، ويتناول نظم الحكم الثلاثة المعروفة وهي حكم الفرد (*النظام الملكي*) وحكم الأقلية (*النظام الأرستقراطي*) وحكم الشعب (*الديمقراطية*)، مع بيان إيجابيات كل منها وسلبياتها.

وبصرف النظر عن نصيب هذا الحوار من الصحة التاريخية، إلا أن هيرودوت يعرض من خلاله، دون شك، الأفكار السياسية التي كانت سائدة في عصره، والتي كانت في حد ذاتها نتيجة لتفتح الأذهان الذي واكب الحركة الثقافية الإغريقية في القرن الخامس ق.م. ورغم أن المؤرخ الكبير لا يقحم رأيه مباشرة في الأفكار التي ينسبها إلى هؤلاء المتحدثين الثلاثة. إلا أن الاتجاه الذي يسير فيه فكره السياسي يبدو واضحاً طوال الوقت. فهو حين يروي موقف المتحدث الأول من الحكم الشعبي الذي يضع تصريف الأمور في يد المواطنين جميعاً بفسول ــ على لسان المتحدث ــ إن هذا الوضع يصدق عليه وصف (**المساواة**). وهذا الوصف يتفق في الواقع مع اتجاهاته التي نستطيع أن نستنتجها من حياته أو طريقة كتابته. فهو يمقت نظام الحكم الفردي من واقع تجربته الشخصية (*وقد سبق أن رأينا كيف اضطر إلى الفرار من مدينته نتيجة للحكم الفردي المستبد الذي كان يسودها*). كذلك فنحن نجده يسهب ويفيض في كل مناسبة يدور فيها الحديث عن سقوط الحكام الفرديين ويبين المصير السيء الذي آلوا إليه. فالمساواة عند هيرودوت، هي (*نقيض الاستبداد*)، وهكذا يكون المقوّم الأساسي للدولة عند هيرودوت هو (*المساواة*).

ج ــ مؤلفات هيرودوت :

إن عظمة هيرودوت وشهرته بالنسبة إلينا مبنية على كتابه (*تاريخ الحروب بين الإغريق وفارس*) ووسمه هيرودوت بعبارة (*HISTORIA*) والتي تعني (*الفحص*)

أو (*البحث*)، وهذه الكلمة جمع هيرودوت معلومات جغرافية وتاريخية ودينية وقصصية في كتابه. فهو بالتالي كتاب عالمي، يتناول قصة جميع الأمم التي زارها هيرودوت. وقد كتب تاريخه في تسعة أجزاء، وقسمه إلى هذه الأجزاء عدد من النحويين الإسكندريين في فترة ازدهار مكتبة الإسكندرية في مصر القرن الثالث ق.م. وكل جزء ينسب إلى عرائس العلوم والفنون من بنات زيوس التسع [1]. أما هيرودوت نفسه فقد كان يشير إلى أجزاء كتابه بعبارات عامة يسميها بالأحاديث الليبية أو الروايات الآشورية. وظهرت للكتاب طبعات كثيرة منذ عام ١٤٥٠م باللغتين اليونانية واللاتينية، كما ظهرت للكتاب طبعات أخرى باللغات الأوروبية وكان آخرها الطبعة العربية في عام ٢٠٠١ بإشراف مشكور من المجمع الثقافي في أبو ظبي.

ويقسم كتاب هيرودوت إلى تسعة أجزاء — كما ذكرنا سابقاً — على الشكل التالي :

١ — *الجزء الأول ويحمل اسم كليو (CLIO) ربة التاريخ*، وشعارها بردية منشورة أو صندوق يحتوي لفافات بردية. ويستهل هيرودوت هذا الجزء بالأسطورة بغرض التمهيد للموضوع الأساسي لكتابه وهو (*توسع الإمبراطورية الفارسية في القرن السادس ق.م وذكر حروبها*).

٢ — *الجزء الثاني ويحمل اسم يوتربي (EUTERPE)*، ربة العزف على المزمار، وشعارها المزمار. وهذه الربة هي التي يحمل اسمها الكتاب الثاني من تاريخ

---

١ — ربات الفنون التسع (MUSAE)، كنّ ربّات أو ملهمات الشعر والأدب والموسيقى والرقص، وبعدئذ أيضا الفلك والفلسفة وكل الجزئيات الفكرية، وفي آخر العصر الروماني تحدد اختصاص وشعار كل ربة منهنّ.

هيرودوت وهو (**وصف مصر**) وفيه يصف هيرودوت أحوال مصر عند منتصف القرن الخامس ق.م، طبيعتها، ومناخها، وسكانها، وأجناسها، وتقاليدها، وعقائدها، وعاداتها .

٣ ـ *الجزء الثالث ويحمل اسم تاليا (THALIA) ربة الكوميدية* ، شعارها القناع المضحك أو إكليل اللبلاب، وفيه يشرح هيرودوت الأسباب التي دفعت الفرس لغزو مصر .

٤ ـ *الجزء الرابع ويحمل اسم ملبومين (MELPOMENE) ربة التراجيدية*، وشعارها القناع أو عصا هيراكليس أو السيف. وفيه يشرح هيرودوت غزو دارا الأول لبلاد السكيث ويصف عاداتهم وقبائلهم، ويتحدث عن القارات الثلاث آسية وأوروبة وإفريقية، ويصف، في هذا الجزء ليبيا، طبيعتها، وبلدانها، وقبائلها، وعاداتها .

٥ ـ *الجزء الخامس ويحمل اسم تربسيخوري (TERPSICHORE) ربة الرقص والغناء الجوقي*، وشعارها القيثارة وريشة العزف على أوتارها. وفيه يشرح هيرودوت حملة دارا على أوروبة، وتحرير أثينة من حكم لطغاة، واستخدام الإغريق للأبجدية الفينيقية، ثم يذكر تاريخ أثينة ومشاركتها الأيونيين في محاربة الفرس وحرق ساردس عام ٤٩٧ ق.م .

٦ ـ *الجزء السادس ويحمل اسم إيراتو (ERATO) ربة الشعر الغنائي*، وشعارها القيثارة أي الربابة. وفيه يعرض هيرودوت تفاصيل موقعة (**ماراثون**) التي انتصر فيها الإغريق عام ٤٩٠ ق.م .

٧ ـ *الجزء السابع ويحمل اسم بوليهيمنيا (POLYHIMNIA) ربة فن التمثيل*، وليس لها شعار. وفيه يشرح هيرودوت ردود فعل دارا ملك الفرس إزاء هزيمة (**الماراثون**) وتجهيزاته لإرسال حملة كبيرة إلى بلاد الإغريق .

٨ ــ *الجزء الثامن ويحمل اسم أورانيا (URANIA)* ربة الفلك، وشعارها عصا تشير إلى الأبراج السماوية. وفيه يشرح هيرودوت المواجهات البحرية بين الفرس والإغريق عند رأس (*أرتميسيوم*) وظهور القائد الإغريقي (*ثيمستوكليس*)، ثم يتناول معركة (*سلاميس*) التي انتصر فيها الإغريق على الفرس .

٩ ــ *الجزء التاسع ويحمل اسم كاللّيوبي (CALLIOPE) ربة الشعر الملحمي*، وشعارها اللوحة والقلم . وفيه يشرح هيرودوت تفاصيل معركة (*بلاتية*) و(*موكالي*) في عام ٤٧٩ ق.م بين الإغريق والفرس، واحتلال أثينة من قبل القائد الفارسي (*ماردونيوس*)، ثم قتل (*ماردونيوس*) وعودته إلى بلاده، وتحرير المدن الأيونية في آسية الصغرى وطرد الحكام الفرس منها .

وأخيراً يمكن القول، إن هيرودوت بدأ كتابه بتسجيل أحداث الصدام بين بلاد الإغريق والفرس، بقيادة (*داريوس*) الكبير و(*اكسركس الأول*)، وخاصة أن ذكرى تلك الحرب ما تزال حية في نفوس الإغريق. ضمن هذا الإطار سجل هيرودوت نشوء الإمبراطورية الفارسية وتتبع مراحل تطورها وتوسعاتها منذ عهد الملك (*قورش الكبير*) وسجل أيضاً خطوطاً مهمة في تواريخ مصر وإفريقية، وبالتالي كان أول من وضع بلاد الإغريق ضمن التاريخ العالمي، وقد اعتمد في كتابه على ذكر تاريخ بلاد الإغريق معتمداً على النقوش والكتابات الإغريقية المتوافرة في بلاد الإغريق، إضافة إلى ما أخذه من روايات وحكايات عن الحروب الفارسية الإغريقية عن أناس شاركوا فيها، وأورد معلومات مهمة عن تاريخ الشعب الإغريقي وهجراته والمستعمرات التي أسسها وأعماله التجارية ومنجزاته في ميادين الفنون والدين والتشريع، وعالج في كتابه أنماطاً متباينة من البشر وعدداً وفيراً من الديانات ونظماً مختلفة للحكم. واهتم المؤرخ العظيم بالمياه الصالحة للملاحة، لذا أورد معلومات قيّمة عن وسائل المواصلات خاصة في نهري النيل والفرات، كما

أشار إلى الأوزان والمقاييس والبضائع، وذكر معلومات جغرافية ودينية واقتصادية مهمة. ولذا فإن تاريخه يُعد أعظم ما خلّفه المؤرخون الإغريق على مر تاريخهم .

٢ ــ توكوديدس (THUKYDIDES ٤٦٠ ــ ٣٩٩ ق.م) :

آ ــ حياته ومنهجيته في كتابة التاريخ :

يُعد توكوديدس أحد أشهر المؤرخين الإغريق، وأرجح الاجتهادات أنه ولد وتوفي في الفترة المذكورة أعلاه، استنادا إلى قوله : (*أنه بدأ كتابة تاريخ الحروب البلوبونيزية فور نشوبها*) (١/١). وفي موضع آخر يقول : (*لقد عشت سنوات الحرب كلها، وكنت في سن ناضجة*)، كما يضيف هنا أنه حدث أن تولى القيادة في معركة (*أمفيبوليس AMPHIPOLIS ٤٢٤ ق.م*) وهزم، مما أدى إلى نفيه من أثينه لمدة عشرين عاما (٢٦/٥)، فإذا علمنا أن السن القانونية لتولي تلك القيادة هي ثلاثون عاماً على الأقل، فنستنتج من ذلك أنه ولد قبل عام ٤٥٥ ق.م والأرجح في عام ٤٦٠ ق.م، وبالتالي يمكن القول، إنه عاصر الحرب التي كتب عنها وشاهد أحداثها ووقائعها .

أما عن أسرته ونسبه ، فهو ينتمي إلى أسرة أثينية أرستقراطية تنتسب أيضاً إلى إحدى العائلات النبيلة الثرية في إقليم تراقية في شمال بلاد الإغريق. فوالده (*أولوروس*) كانت له في تراقية أراض فيها مناجم للذهب، ورثها توكوديدس عن أبيه. وكان والده يرتبط بصلة النسب مع (*ملتيادس*) (*القائد والسياسي الأثيني المعروف الذي خلّد اسمه بانتصاره عام ٤٩٠ ق.م في معركة ماراثون الشهيرة في الحروب الفارسية*). وكان توكوديدس يُعجب أشد الإعجاب بالزعيم الديمقراطي

الأثيني (بريكليس) [1]، الذي قاد أثينة إلى أعلى مدارج المجد السياسي والحضاري في فترة منتصف القرن الخامس ق.م ، وهي فترة شباب توكوديدس نفسه. وهذا يعني أنه عاش في الفترة الذهبية من تاريخ أثينة التي تكاملت قوتها واستخدمت مواردها لإغناء الحياة فيها وإضفاء البهاء عليها، فلذلك يمكن القول، إن عصر توكوديدس كان عصراً غنياً بالمنجزات الفنية والفكرية، وأن ثراء مدينته الفني والفكري وغناها بكل المعطيات الحضارية خلقاً منه إنساناً واسع الثقافة، عميق الاطلاع إذا ما قيس بمقاييس عصره، وعلى الرغم من ذلك فإن توكوديدس لا يشير في كتاباته إلى هذه المنجزات إلا بقدر ما لها من صلات مع موضوع بحثه .

وفي عام ٤٢٤ق.م، حدث تحول مهم في حياة توكوديدس، وفي فترة الحرب البلوبونيزية بين أثينة وإسبارطة التي استعرت أوارها سبعة وعشرين عاماً (٤٣١ — ٤٠٤ق.م) إذ عينه الأثينيون قائداً لإحدى حملاتهم العسكرية والدفاع عن مدينة (أمفيبوليس) إلا أن توكوديدس فشل في تنفيذ المهمة المسندة إليه وسقطت (أمفيبوليس) بيد الإسبارطيين، مما أدى إلى نقمة الأثينيين عليه وقرروا معاقبته بنفيه خارج أثينة، وبقي في منفاه مدة عشرين عاماً، ولم يعد إلى وطنه إلا بعد نهاية الحرب عام ٤٠٤ق.م. وقد أتاح له نفيه الابتعاد عن أجواء أثينة السياسية فرصة أفضل للتفرغ لدراسة الأحداث التاريخية التي كانت تجري في عصره، والتي دونها لنا فيما بعد، وهو يشير إلى هذه الحادثة وكيف أفاد منها في متابعة عمله التاريخي فيقول:

---

1 - رجل دولة أثيني شهير، كان رئيساً للحزب الديمقراطي عام ٤٣٥ ق.م، وقد أقام على أسس صلبة القوة البحرية الإثينية، وأدخل أثينة في حرب البلوبونيز، شجع الآداب والفنون، وزين أثينة بأبنية فخمة، حتى غدا عصره أزهى عصور الإغريق في منتصف القرن الخامس ق.م (سنتعرض بالتفصيل لهذه الشخصية لاحقاً) .

(وفي فترة النفي هذه .. تمكنت من أن أطلع على مجريات الأمور بين الجانبين الأثيني والإسبرطي، وأن أتفرغ للدراسة الحرب) (٥/٢٦) .

وعلى الرغم، من أن توكوديدس شهد الحرب بين أثينة وإسبارطة من بدايتها إلى نهايتها (٤٣١ — ٤٠٤ق.م) وعاش بضع سنوات بعدها، نجده لم يكمل تاريخه ويتوقف فجأة عند عام ٤١١ق.م من تاريخ الحرب، *ويختلف الدارسون في تفسير ذلك كل حسب اجتهاده، فمنهم من يرى أن توكوديدس كان شديد المراجعة لكل ما يكتب، وأن ذلك كان يستغرق وقتاً طويلاً، وهناك من يرى أن السبب، ربما يكمن في شخص توكوديدس وما كان ينتابه من توتر قاس بسبب تطور أحداث الحرب وظروف الوطن على نحو مخالف كل ما كان يتوقعه* [1] .

ومهما يكن من أمر، فإن عدم اكتمال هذا العمل لم يؤثر في أهمية تاريخ توكوديدس وقيمته، باعتباره نقلة كبرى في تطور علم التاريخ ومنهج تناوله، فنحن نقف أمام عقلية جادة تتميز بدرجة عالية من الاستقلال في التفكير، ولقد توافرت لهذه العقلية الفذة عدة عوامل مكنتها من أن تؤدي المهمة التي نذرت لها نفسها على نحو يكاد يقترب من الكمال، ولعل أهم هذه العوامل هي إعداده العقلي والفكري، فقد تعلم في أثينة في ظل ظاهرتين اثنتين على جانب كبير من الخطورة والأهمية معاً، إحداهما ثقافية، والثانية سياسية .

الظاهرة الثقافية: هي ازدهار حركة فلسفية هزت الحياة الثقافية هزة عنيفة، ونقصد بها الفلسفة السفسطائية في مرحلتها الأصيلة المبكرة على يد (*بروتاجوراس*)، الذي نادى بالتزام اتخاذ موقف الشك العقلي من كل ما يحيط بالإنسان ومن كل تراث الماضي، *وكانت عقيدة هذه الفلسفة تنص على أن الإنسان هو مقياس*

---

[1] - انظر : مصطفى العبادي، ص ١٠٦ .

جميع الأشياء، فعقل الإنسان هو المقياس الصحيح، وكل مالا يثبت للإنسان صحته، فهو غير صحيح، وهذا العلم نفسه قابل للتغيير بتغيير حالة الإنسان من الجهل إلى العلم [1] . ومن هنا أدرك توكوديدس هذا الموقف الفلسفي إدراكاً كاملاً ، وحاول أن يطبقه على المعرفة التاريخية، ونلحظ هذا واضحاً من الفقرة الأولى في كتابه حيث يقول :

(لقد وجدت بسبب تقادم العهد ، أنه من المستحيل أن نعرف معرفة يقينية حقائق الماضي السحيق وربما أيضاً الماضي القريب) (١/١) .

ويؤكد تشككه في معرفة الماضي بقوله :

(تلك هي نتائج أبحاثي في دراسة الماضي، على الرغم أنه يصعب في هذا المجال مصداقية كل ما ورد من الشواهد والأدلة ، فالناس يتقبلون الواحد من الآخر، كل ما يروى عن أحداث الماضي، بما في ذلك أحداث بلادهم، ليس فقط من الماضي الذي لا نعيه ذاكرة، ولكن أيضاً عما هو قائم الآن)(١/٢٠) .

هذه العبارات تمثل نقداً لما فعله هيرودوت في تاريخه ، كما تمثل تحذيراً لمعاصريه حتى لا يستعيدوا أخطاء الماضي عن غير وعي . ونظراً لعدم ثقة توكوديدس في إمكان دراسة الماضي أو معرفته معرفة يقينية، نجده يقرر لمعاصريه وللأجيال التالية نموذجاً من الدراسة التاريخية التي يمكن أن يوثق في صحتها، وهي التصدي للكتابة عن التاريخ المعاصر مباشرة .

---

[1] - الفكرة التي دعا إليها (بروتاجوراس) هي أن الإنسان مقياس كل شيء في الوجود، ومن ناحية الفكر السياسي يصبح معنى هذا : أن المواطن هو مركز الدولة، ومن ثم فليس هناك نظام سياسي طيب بالطبيعة أو سيء بالطبيعة، فالمواطن هو الذي يضع النظام، والمواطن هو مقياس لحكم عليه . وعن تفصيل لآراء (بروتاجوراس) راجع: أفلاطون، بروتاجوراس ٣٠٩ — B ٣٢٥ .

الظاهرة السياسية: وهي ظاهرة تكوين (*الإمبراطورية الأثينية*) التي نشأت ونمت تحت زعامة أثينة الديمقراطية. هذه الظاهرة المزدوجة — *النمو الإمبراطوري والتطور الديمقراطي معاً* — رآه توكوديدس تجربة جديدة على العالم الإغريقي وفريدة في عنصرها الديمقراطي في العالم القديم، فأثارت إعجابه وشدّت فكره التاريخي، وهو الذي شهد في شبابه أوج نمو الإمبراطورية تحت زعامة (*بريكليس*)، ولعله أراد في بداية الأمر، أن يؤرخ لهذه التجربة السياسية الفذة، ثم لاحظ ما نشأ بين أثينة وإسبارطة، أكبر قوتين في العالم الإغريقي، من منافسة تزداد حدة بسرعة متزايدة يوما بعد يوم، إلى المواجهات السافرة ونشوب الحرب في عام ٤٣١ق.م، وهو في سن الشباب الناضج في نحو الثلاثين من عمره [1].

أما من حيث منهجه في كتابة تاريخه المشهور، فهو يؤكد لنا في أكثر من مناسبة، أنه قرر أن يتصدى لكتابة تاريخ الحرب بين أثينة وحلفائها في جانب وهي تمثل الجانب الديمقراطي، وإسبارطة وحلفائها وهي تمثل الجانب الأرستقراطي العسكري في جانب آخر، بمجرد نشوبها، ملتزماً بتسجيل أحداثها أولاً فأولاً حسب وقوعها صيفاً وشتاءً (١/١ ؛ ٢٦/٥). وقد فعل ذلك بمنهجية علمية نقدية وقاسية، وهذا ما أدى به إلى أن يحدثنا عن مقدار الصعوبات التي واجهها في هذا المجال فيقول:

(فيما يتعلق بحقائق الحرب المادية، لم أقنع بقبول أول رواية تصلني أو حتى انطباعاتي الشخصية، فأنا لم أكن شاهد عيان بنفسي، فكنت أتقصى بكل دقة ممكنة كل معلومة بلغتني من شخص آخر، وهي عملية غاية في المشقة، إذ حدث، أن شهود العيان للحادثة الواحدة أدلوا بروايات اختلفت باختلاف ميولهم أو باختلاف قوة ذاكرتهم) (١/٢٢).

---

[1] – انظر: مصطفى العبادي، ص ١٧ — ١٨.

ويمكننا أن نستنتج من هذه الفقرة، أن توكوديدس لم يدّخر وسعاً أو جهداً في الحصول على شهادات الشهود، ما أمكنه من المناسبات ذات العلاقة بالأحداث، وإن لم يستطع ذهب وارتحل إلى كل من اعتقد أن لديه معرفة وثيقة بما حدث . وفي كل مرة لم يقنع بانطباعاته الشخصية، ولا برواية واحدة ، في هذه الحالة - من أنه تجمع لديه كم ضخم جداً من الأخبار المتعارضة حيناً، والمتفقة حيناً آخر عن كل حادثة أو معلومة تتصل بالحرب وبجرياتها . ويمكننا أن نجد وجه شبه من حيث العمل وجمع الأخبار بين توكوديدس وهيرودوت، بمعنى أن كل منهما كان يقوم في تجميع المعلومات .

ولكن وجه الشبه يتوقف عند هذا الحد ، وفيما عدا ذلك يختلفان الواحد عن الآخر اختلافاً كبيراً:

أولاً : اختلاف موضوع كل منهما، أدى بالضرورة إلى اختلاف نوعية المعلومات وقيمتها ، هيرودوت تحدث عن الماضي الذي انتهى وعُرفت نتائجه، بينما جعل توكوديدس موضوعه دراسة حاضر ما زال يحدث وهو يسجله ولا يعرف مستقبله أو نتائجه .

ثانياً : كان هيرودوت مؤرخاً للحضارة بأشمل معانيها، حضارة الشرق وحضارة الغرب، فقد قدّم لقرائه صورة حية متكاملة عن المجتمعات التي شاركت في الحروب مباشرة أو بطريق غير مباشر، كما حرص في كل ذلك على إثبات مصادر معلوماته، مميزاً بين ما هو معرفة شخصية شاهدها أو شهدها بنفسه، وما أخذه أو سمعه من الآخرين، معرّفاً عادة مَنْ هؤلاء الآخرون . أما توكوديدس فقد التزم بالحدود الضيقة التي فرضها على موضوعه، وهو الصراع بين الأثينيين والإسبرطيين، الذي رآه بالدرجة الأولى صراعاً سياسياً بين نظامين سياسيين، ديمقراطية الأثينيين وأوليجاركية الإسبرطيين، (***وهو حكم النخبة الأقلية في المجتمع***)

لذلك كان تاريخه تاريخاً سياسياً بالدرجة الأولى، *وهناك من يعده مؤسس التاريخ السياسي* .

ولهذا السبب، يُعد توكوديدس مبتدع الطريقة العلمية في التاريخ، ويفخر بما بذله من الجهد والعناية المركزة، ويقول ذلك وكأنه يشير من طرف خفي إلى هيرودوت :

(إن النتائج التي استخلصتها من البراهين التي سقتها، يمكن فيما أرى الاطمئنان إلى صحتها، فهي أثبت من أن تزعزعها أناشيد الشعراء الذين يلجؤون إلى المبالغة وليس إلى الإقناع، ولا مؤلفات الإخباريين التي تتجه إلى إقناع المستمع، وليس إلى تقديم الحقيقة التاريخية، فالموضوعات التي يتناولونها لا يقوم عليها دليل، وقد سلبها تقادم الزمن صفة الصدق التاريخي وحوّلها إلى عالم الأساطير، واعتقد أن ما توصلت إليه مستمد من شواهد ذات دلالة صريحة) (٢١/١) .

وما من شك ، في أن من القيود التي فرضها توكوديدس على نفسه ، *تعمد استبعاد القصص والأساطير والآلهة وقوى ما وراء الطبيعة* . وبعبارة أخرى ، ليس للآلهة دخل في أحداث التاريخ، فالتاريخ نتاج جهد إنساني ولا سبيل إلى فهمه إلا بأعمال العقل والبحث عن العوامل الإنسانية التي تؤثر وتتأثر به، ويبدو أنه فعل ذلك عامداً متعمداً حتى لا يكرر ما عابه هو على هيرودوت، فقد رفض أن يصبح تاريخه مصدر متعة أو موضوعاً للتسلية وتمضية الوقت، وهو يدرك عاقبة ذلك فيقول في عبارة مشهورة :

(ما من شك في أن خلو كتابي من الطابع القصصي سوف يفقده شيئاً من الجاذبية لدى قارئه، ولكن حسبي أن ما أقوله سيجده أولئك الذين يحرصون على أن يفهموا فهماً صحيحاً حقيقة ما مضى من أحداث، لأن من المحتمل أيضاً أنها

سوف يتكرر حدوثها ثانية، ولو على نحو مشابه، بمقتضى ثبات الطبيعة البشرية. فهذا العمل لم يُكتب ليحقق فوزاً مؤقتاً، ولكن ليبقى تراثاً خالداً (١/٢٢) .

هذه عبارة لها أهميتها في تاريخ توكوديدس، لأنها تطلعنا مباشرة على موقفه العقلي ومنهجه في دراسة التاريخ. وتتضمن العبارة ملاحظة هامة جداً في أن من الممكن أن يكون للتاريخ فائدة عملية تطبيقية، يمكننا بها أن نسترشد بتجارب الماضي في مواجهة المستقبل سواء بالاستفادة من إيجابيات ما سبق أو بتجنب أخطاء الماضي وسلبياته، وهكذا نجد أن هذه العبارة تقدم لنا أقدم ذكر نعرفه عن الفكرة التي كانت شائعة، ولا تزال تتردد أحياناً، *وهي أن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه* .

أما عن الأسلوب المنهجي الذي اتبعه توكوديدس في تدوين الخطب، فقد كان على عكس أسلوب هيرودوت الذي كان يدوّن خطبه باللهجة العامية الدارجة التي كان يتحدث بها الناس، أما توكوديدس فكان يقول في هذا الصدد :

(*أما فيما يتعلق بالخطب التي أُلقيت قبيل قيام الحرب أو أثناءها ، فقد وجدت من العسير عليّ تذكر نصوص كلماتها كما سمعتها حين أُلقيت أو كما نقلها إليّ الذين سمعوها، لذلك دونت هذه الخطب بروحها لا بكلماتها، وبما يناسب المقام الذي قيلت فيه وإن كنت قد بدلت بعض كلماتها*) (١/٢٢) .

ويعترف توكوديدس أن لغة هذه الخطب هي من صوغه وليست من صوغ الذين قالوها، ويعتذر بأنه لم يتمكن من إيراد الخطب بنصها ولفظها، وبعبارة أخرى لم يلتزم مبدأ الدقة (*AKRIBEIA*) عند استشهاده بالخطب، وهو موقف يختلف كل الاختلاف عن موقفه من التزام الدقة في تناوله أحداث التاريخ. *وربما يعود السبب في ذلك برأينا، إلى عدم توافر أدوات ووسائل الكتابة في تلك الفترة التي تتيح للكاتب أن يكتب مباشرة ما يسمعه من الآخرين كما هو معروف في عصرنا الحاضر*. وبكل الأحوال، فإن توكوديدس — من هذه الناحية — وبالقياس إلى

منهجه العلمي المتطرف، كان أقل تمسكاً بالحقيقة التاريخية فيما أورد من خطب سياسية. ومهما يكن من أمر، فإن هذا النقص الحاصل في منهجيته — *ربما لظروف خارجة عن نطاق إرادته* — لا يقلل من العمل العلمي الجاد لتوكوديدس، ولا يزال يعتبر أرقى مستوى حققته الكتابة التاريخية في التاريخ القديم على الإطلاق .

ب — *مؤلفات توكوديدس :*

إن عظمة توكوديدس وشهرته بالنسبة إلينا مبنية على كتابه التاريخي المشهور (*تاريخ الحروب البلوبونيزية بين أثينة وإسبارطة ٤٣١ — ٤٠٤ ق.م*) وفيه يحدد توكوديدس في مقدمة تاريخه غرضه من تأليف هذا الكتاب والمبادئ التي اتبعها في تأليفه ، والتي كانت على درجة عالية من الالتزام بالمنهج التاريخي الذي أخذ به نفسه وقدراً من الموضوعية قلما نجده عند غيره من المؤرخين . وهنا تتجلى مقدرة توكوديدس الفذة على التحليل السياسي للأحداث والدوافع والعوامل التي تحرك الأفراد والجماعات في المواقف المختلفة — فعلى سبيل المثال — فهو يعرض للأسباب الحقيقية للحرب من خلال تحليله للأحداث التي سبقت الحرب وتبيان مواقف جميع الطرفاء المعنيين في الحرب ، حتى لا يكون هناك أدنى شك في عقل أي إنسان ، كيف وقعت هذه الحرب الكبرى التي ابتلي بها الإغريق فيقول :

(*أما السبب الحقيقي للحرب في رأيي ، فربما لا يتضح فيما يعلن من تصريحات، لأنني أعتقد أن الخوف الذي أصاب الإسبرطيين من ازدياد قوة الأثينيين، جعل الحرب أمراً لا مفر منه*) (١/٢٣). وبعد ذلك يقدم تفصيلات النزاع .

ومن أروع الفصول التي كتبها توكوديدس، تلك التي وصف فيها (**داء الطاعون**) الذي ابتلي به الأثينيون مع بداية الحرب (٢/٤٧ — ٥٤)، ويبدو أن تجربته مع الطاعون تجربة شخصية مضاعفة، بمعنى أنه شهد وشاهد ما حاق بالأثينيين من

كوارث ومعاناة، كما مرّ هو نفسه بالمحنة، فأصيب بالطاعون، وعانى كل آلامه وخاطره، لولا أنه قدّر له أن ينجو منه (٢/٤٨) ، فاكتسب مناعة مكنته من أن يحرص على مخالطة المرضى والعناية بهم. *فهو يعرض لبدايات المرض ونشأته، وأعراضه وتأثيره في المرضى، وتأثيره على الحالة المعنوية في المجتمع الأثيني* [1] .

لذلك يُعد ما كتبه توكوديدس في هذا الموضوع، أرفع وأدق ما استطاع مؤرخ أن يصوّر به محنة الطاعون على مدى التاريخ، وأظهر قدرته الفائقة على الملاحظة والمتابعة والتحليل والتفسير للسلوك البشري ــ الفردي والجماعي ــ مع بيان ردود الفعل المادية والنفسية. كل ذلك بعقلية هادئة معلمنة لا تنجرف مع تيار الانفعالات، على الرغم من أنه كان يشعر شعوراً كاملاً بهول الكارثة ويدرك كل أبعادها وآثارها المعقدة . وكان من خلال ذلك يخاطب عقل القارئ ولا يحاول مجرد تحريك عواطفه.

وفي *الكتاب الثاني* من تاريخه، يمكننا أن نلحظ مقدار إعجاب توكوديدس بشخصية (*بريكليس*) الزعيم الديمقراطي الأثيني وفلسفته السياسية في الخطبة الشهيرة له في تأبين الشهداء من ضحايا العام الأول من الحرب، وسميت تلك الخطبة لأهميتها عند معظم المؤرخين (*مرثاة الشهداء*) *والتي تُعد من أشهر الخطب السياسية في التاريخ القديم على وجه الإطلاق* [2] .

في هذه الخطبة على لسان (*بريكليس*) صوّر توكوديدس دولة أثينة الديمقراطية في صورة الدولة المثالية بكل معاني الكلمة. فبعد تحية الأسلاف وتمجيد الآباء الذين

---

[1] – حول النص الكامل لوصف (**داء الطاعون**) عند توكوديدس انظر : كتابنا ، دراسات في تاريخ الإغريق ، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠١ ، ص ٣٥٥ ــ ٣٦٠ .

[2] – حول النص الكامل لخطاب (بركليس) على لسان توكوديدس في شهداء حرب البلوبونيز (**مرثاة الشهداء**) انظر : كتابنا السابق ، ص ٣٤٦ ــ ٣٥٤ .

تمكنوا من تكوين ما يشبه المعجزة ـــ *وهي الإمبراطورية في ظل الديمقراطية* ـــ هذه الثنائية في اقتران الإمبراطورية بالديمقراطية، هي التي كان توكوديدس معجباً بها أشد الإعجاب، وراح يؤكد معنى الديمقراطية : *تحقيق مصلحة الأكثرية، المساواة أمام القانون للجميع، الحرية والتسامح في الحياة العامة والخاصة، حب الجمال في غير بذخ، تثقيف العقل في غير ضعف، استخدام الثروة فيما هو نافع، ضرورة مكافحة الفقر، اختلاف الرأي شرط القرار الحكيم .*

ويقسّم تاريخ توكوديدس إلى ثمانية كتب يبحث كل منها في مرحلة من مراحل الحرب البلوبونيزية التي هي موضوع الكتاب .

ـــ *الكتاب الأول يتحدث عن أسباب الحرب البلوبونيزية وقد بدأه بمقدمة عامة .*

ـــ *الكتب الثاني والثالث والرابع يبحث في أحداث ثلاث سنوات من الحرب .*

ـــ *الكتاب الخامس يبحث أحداث السنة العاشرة وفترة السلم المؤقت التي أعقبت هذه السنة .*

ـــ *الكتابان السادس والسابع، خصصهما المؤلف لأخبار الحملة الصقلية .*

ـــ *الكتاب الثامن يبحث في الأحداث الأخيرة من الحرب التي تعرف باسم الحرب الأيونية التي تنتهي سنة ٤١١ ق.م .*

ويتجه الرأي إلى أن تقسيم الكتاب إلى ثمانية أجزاء أو كتب قد جرى في القرن الثالث أو الثاني ق.م في الإسكندرية من قبل بعض الذين وقع في يدهم المخطوط الأصلي .. واضطروا تسهيلاً لاستعماله لتقسيمه إلى كتب أو أجزاء حسب الموضوعات . وأخيراً ظهرت الطبعة العربية لهذا المؤلف العظيم سنة ٢٠٠٣، بإشراف مشكور أيضاً من قبل المجمع الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة في أبوظبي .

ويبدو أن النسخة الأصلية التي كتبها توكوديدس كانت كلاً أو وحدة لا تقسيم فيها، سوى تقسيم الحروب إلى فترات صيف وشتاء، بسبب أن العمليات الحربية كانت تتوقف في الشتاء توقفاً تاماً وتعود من جديد في الصيف .. وكان الصيف أو فصل الحروب يبدأ بشهر نيسان، وينتهي بنهاية شهر تشرين الأول حين تتوقف الحروب حتى آذار لتبدأ من جديد في مطلع شهر نيسان وهكذا .

وباختصار شديد وبشكل عام ــ يمكن القول ــ أن توكوديدس جاء ليبرهن فيما كتب، أن (المعرفة التاريخية) قد نمت، وأن التاريخ قد غدا يافعاً . فقد تميز بسعة معلوماته ودقتها، وبمحوه لذاته أمام الوثائق : فهو يقدمها للقارئ بأصالتها، هذا إلى جانب تركيب تاريخي محكم، فسّر فيه الحوادث بالظروف الجغرافية، والاقتصادية، والنفسية، وتجاوز فيه طريقة السرد العادي البسيط للأحداث . فبفضله غدت (الحروب البلوبونيزية) أكثر إدراكاً، إذ قدّم لها تفسيراً عقلانياً، ودل على أنه تلميذ حقيقي للسفسطائية، وممثل للعقلانية الإغريقية وهي في أوجها .

ج ــ الفرق بين هيرودوت وتوكوديدس :

باعتبار أن الفروقات بين هيرودوت وتوكوديدس من حيث المنهجية التاريخية كثيرة ومتنوعة ــ رأينا أنه من الأفضل ــ وتسهيلا لفهم الطالب، أن ندونها مجدولة في جدول خاص، لأن تدوينها كتابة قد تُوقع الطالب في بعض المغالطات والخلط بين الأفكار . فلذلك كان من الأجدر بنا أن نوضح في هذا الجدول، كل صفة منهجية تاريخية تتبع هيرودوت، ما يقابلها من صفة منهجية تاريخية تتبع توكوديدس . وذلك على الشكل التالي :

	منهجية هيرودوت	منهجية توكوديدس
١	كتب عن تاريخ مناطق متعددة مثل بلاد الإغريق ومصر وفارس وبلدان أخرى، وكل ما استطاع أن يعرف أو يسمع عنه شيئاً .	ركز كتابته حول موضوع واحد، فلذلك كانت كتابته محيطة بكل تفاصيل الموضوع .
٢	لم يكن معاصراً لما كتب عنه، فكتب عن أحداث سبقت عصره وزمانه .	كان معاصراً معاصرة كاملة لما كان يكتب عنه، بل أنه اشترك في بعض مراحل الحرب اشتراكاً مباشراً .
٣	أسلوبه المنهجي جزل ومهلهل غير متماسك .	أسلوبه المنهجي في بعض الأحيان معقداً وغامضاً يجمع فيه بين الإيجاز والدقة .
٤	يضحي باللغة في سبيل الأفكار لأجل جاذبية القارئ، وجزالة الأسلوب .	يضحي بالأفكار في سبيل اللغة، لا يبغي تسلية القارئ، بل يهدف من كتابته ليمد مؤرخي المستقبل بالمعلومات .
٥	يتنقل من مكان إلى مكان، ومن عصر إلى عصر .	يضغط قصته في إطار جامد من الفصول والسنين .
٦	يكتب عن الأشخاص أكثر مما يكتب عن الأحداث، لأنه كان يحس أن الشخصيات هي التي تؤثر في الأحداث .	كان يكتب لتدوين الأحداث أكثر مما يكتب لذكر الأشخاص، ويبحث في علل الحوادث وتطوراتها ونتائجها .
٧	تمتاز كتابته روح المرح والفكاهة .	كان صارماً في كتابته وتنقصه روح المرح والفكاهة .
	كان يتحدث عن النظم السياسية للبلدان التي زارها، وعن نظم دويلات المدن الإغريقية .	لا يتحدث بشيء عن دساتير المدن الإغريقية، أو عن حياة المدن، أو نظم المجتمعات .

	يتحدث كثيراً عن النساء والآلهة .	يتجنب الحديث عن ذكر النساء والآلهة، وينبغي أن يكون لهن موضع في كتابه .
١٠	تتضمن كتابته كثيراً من القصص الخرافية والأساطير والمعجزات .	تخلو كتابته من القصص الخرافية والأساطير والمعجزات .
١١	طريقته في كتابة التاريخ تعتمد على الروايات الشفهية، وعما شاهده وما لم يشاهده، ويكتب دون التحقق من الإثبات، فكانت تنقصه دقة الملاحظة .	طريقته في كتابة التاريخ فيها احترام للحقائق، ودقة في الملاحظة، ونزاهة في الحكم، وجزالة في اللفظ، وسحر في الأسلوب، وعقل قوي سديد عميق .
١٢	تنقص كتابته تحليل الحوادث والمواقف والشخصيات .	امتاز بأن حلل الحوادث والمواقف والشخصيات تحليلاً اجتماعياً ونفسياً عميقاً، وكان بذلك أول مؤرخ يتبع المنهج العلمي التحليلي في كتابة التاريخ .

٣ ــ كسنوفون (XENOPHON ٤٣٠ ــ ٣٥٤ ق.م) :

آ ــ حياته ومنهجيته في كتابة التاريخ :

ولد كسنوفون مع بداية الحرب البلوبونيزية نحو عام ٤٣٠ ق.م، أي أنه عاصر سنوات توكوديدس الأخيرة، كما شهد وهو مدرك، المرحلة الأخيرة من الحرب البلوبونيزية وما تلاها من أحداث القرن الرابع ق م حتى وفاته في كورنثة عام ٣٥٤ق.م. ولقد نشأ كسنوفون في أسرة محافظة على جانب من الثراء، ونجده يتأثر بهذه النشأة وينحاز إلى حزب الأقلية (OLIGARCHY)، ولكن الأمر الذي أساء إلى كتابته التاريخية هو انحيازه وحماسه الكامل إلى جانب إسبارطة في غير تردد أو

اعتدال، وقد نُفي من أثينة لميوله الإسبارطية أو لصداقته سقراط، فعاش معظم حياته في إسبارطة، ثم أصبح صديقاً شخصياً لملك إسبارطة (*أجيسيلاوس*) الذي أعطاه قطعة أرض في البلوبونيز بالقرب من أولمبية. وقد التحق بالجيش الإسبارطي عام ٣٩٦ق.م، واشترك معه في معركة كورونيا (*CAURANEA*) بإقليم بويوتية حيث انتصر الإسبارطيون انتصاراً غالي الثمن على طيبة وحلفائها عام ٣٩٤ق.م ، ولما عادت أثينة إلى محالفة إسبارطة صدر قرار بالعفو عنه عام ٣٦٩ق.م، فأعاد أسرته إلى أثينة وكان يتردد عليها من وقت لآخر، وتوفي في كورنثة .

لم يكن كسنوفون على مستوى توكوديدس في المنهج التاريخي ، إذ انخفضت على يديه مستوى الكتابة التاريخية ووصلت إلى حد السطحية والسرد البسيط الذي لم تراع فيه الدقة أو عمق التحليل والتعليل للمواقف السياسية، والبعيد أيضاً عن محاولة فهم تفاعل النفس البشرية وانفعالها للأحداث التاريخية، وعلى الرغم من أنه صحب سقراط فترة وتتلمذ على يديه، لكن تأثير الفكر الفلسفي فيه كان محدوداً، ولا يكاد ينعكس في كتاباته إلا في ملاحظات أخلاقية أشبه بتعاليم النصح والإرشاد. وهو الذي تولى تكملة (*تاريخ توكوديدس*) من حيث انتهى في عام ٤١١ق.م، ولكن شتان ما بين السالف واللاحق. فعلى الرغم من كونه معاصراً للأحداث التي تعرض لها، فإن كتابته، فضلاً عن أنها لا تزيد على أن تكون سرداً سطحياً، فهي ليست أهلا للثقة، وخاصة فيما يتعلق بإسبارطة. ويكفي للدلالة على مستوى فكره التاريخي، أن نقرأ تعليقه على نتائج معركة مانتينيا (*MANTINEA*) عام ٣٦٢ق.م، بين إسبارطة وطيبة في تلك المعركة، غير أن كسنوفون يصوّر الأمر على نحو غريب مختلف فيقول :

(*إن نتيجة المعركة كانت على خلاف ما توقع الجميع . . لأن الله شاء أن يعلن كل جانب بشائر النصر، واستعاد كل جانب قتلاه من الأعداء، رمزاً لانتصاره*) (٧/٥/٢٦ــ٢٧) .

هذا التصوير الغامض يشوّه معنى الأحداث ويضعف من القيمة التاريخية لكتابته، وإذا كانت الآلهة قد اختفت من تاريخ توكوديدس، إلا أن وجودها قوي واضح عند كسنوفون، كما أنها ملجوء الوحيد لتفسير الأحداث بدلاً من أن يحاول هو تعليل الأحداث وتفسيرها .

تمتاز كتابات كسنوفون بأنها متعددة الموضوعات ، ولكنه أقل في تدقيقه وتحقيقه من توكوديدس، رغم أنه كان معاصراً لما كان يكتبه، بل إنه مثل توكوديدس اشترك في بعض الأحداث التي كتب عنها اشتراكاً مباشراً . . ويمكن أن نصفه بلغة العصر بأنه مراسل صحفي ممتاز يعطي معلومات طريفة ومتعددة الجوانب، *ولكنه لا يرقى إلى مستوى الكتابة التاريخية العلمية* .

ب ــ الفكر السياسي عند كسنوفون :

كان كسنوفون على قدر من الثقافة دفعه إلى الاهتمام بالكتابة في عدد من الموضوعات كان من بينها كتابات في التاريخ وفي بعض المسائل السياسية أو المتعلقة بالاقتصاد السياسي. وإذا كان اهتمامه بالكتابة التاريخية والسياسية قد جعله يبدي آراءه بشكل مباشر أو غير مباشر في المسائل المتعلقة بشكل الدولة ومقوّمات الحكم، *إلا أن الذي أثر في هذه الآراء بشكل ظاهر هو صفته العسكرية كقائد عسكري في المقام الأول* .

ومن هنا ليس من المستغرب أن نجده ينظر إلى مشكلة الحكم على أنها مسألة تتعلق بالقدرة على إشاعة النظام في الدولة والمحافظة عليه، أو أن نجده ينظر إلى المواطن الصالح نظرته إلى الجندي أو الرجل العسكري المنضبط، وهو يعبر عن هذه الآراء بشكل واضح في دراستين: *الأولى* تحت عنوان (**تنشئة قورش**) (***KYROPAEDIA***) وقد تحدث فيها عن شخصية الملك الفارسي قورش الأول مؤسس الإمبراطورية الفارسية، الذي اتخذه الكاتب مثلاً أعلى للحاكم . *والدراسة الثانية*

تحت عنوان (**نظام الإسبارطيين**) (***LAKEDAEMONION POLITEIA***) وفيها تحدث عن النظام السياسي لإسبارطة والتنظيم الاجتماعي والتربوي لتنشئة المواطنين الذين وجد الكاتب فيهم مثالاً للمواطنين الصالحين أيام كانوا لا يزالون متمسكين بتعاليم نظامهم الذي وضعه المشرّع ليكورجوس (***LYKOURGOS***) .

والنظام المثالي للدولة في رأي كسنوفون يقوم على قاعدة من المواطنين الذين يتبعون، على مستوى المجتمع بأكمله، نظاماً أخلاقياً صارماً ينمي فيهم صفات الرجولة أو المروءة (***KALOKAGATHIA***) التي وصلت بإسبارطة في أيامها الأولى إلى ما يمكن أن تصل إليه الدولة القوية المنظمة [1]. ومن الطبيعي أن القلة فقط هم الذين سيصلون إلى تحقيق هذه الصفات، ولكن مع ذلك فالمواطنون جميعاً يجب أن يتخذوا منها هدفاً لهم .

والجانب الأساسي الذي كان يستأثر اهتمام الكاتب هو قيادة هؤلاء المواطنين. وفي هذا الصدد يرى أن يكون نظام الحكم فردياً تتركز فيه السلطات في يد حاكم واحد يكون له على المواطنين حق الطاعة. ولما كان من طبيعة هؤلاء إلا يستمروا على الولاء والطاعة إلى غير نهاية، فإن قيادتهم والحصول على طاعتهم يتوقف على ما للحاكم من هيبة وشخصية قوية وقدرة على الإقناع.

وفي رأي كسنوفون أن هناك عدداً من مقوّمات الشخصية التي يجب أن يتمتع بها الحاكم، ***ومن هذه المقوّمات العمل الجاد الدائب وتحقيق الإنجازات بشكل مستمر ولاسيما في بعض الجوانب العسكرية، ومن بينها كذلك أن يكون الحاكم وطنيا وكريما وأن يأخذ نفسه بالحزم والنظام الصارم وأن يقدّر مواقف الآخرين ومصالحهم***، فإن هذه الصفات من شأنها أن تجعل منه قدوة للجميع، وبذلك يستطيع أن يستقطب ولاء المواطنين، ومن ثم يحصل على طاعتهم. ومن العوامل المساعدة

1- **XENOPHON** : LAKEDAIMONION . POLITEIA, VIII _ X .

التي من شأنها أن تساند الحاكم – *برأي كسنوفون* – مظهريات الحكم التي تحيط الحاكم بهالة من الرهبة ومن ثم تسهم في تسيير الأمور بالنسبة لقيادته، ولكن هذه المظهريات يجب ألا تحتل حيزاً أكبر من حجمها الطبيعي الذي يجب أن يكون ثانوياً بالمقارنة مع الشخصية الحقيقية للحاكم، ثم هناك مساعدو الحاكم، وهم أهل الثقة بالنسبة له وهؤلاء تكون صفاتهم أقرب ما تكون إلى صفاته ومن ثم يصبحون (*أعين الحاكم وآذانه*) [1].

ج ــ *مؤلفات كسنوفون* :

كتابات كسنوفون كثيرة متعددة في مجالات مختلفة، ولكنها لا تدخل في عداد الكتابة التاريخية المباشرة، وأهم مؤلفاته هي :

آ ــ *التاريخ الهيللينى* (*HELLENICA*) : الذي يبدأ من حيث توقف توكوديدس في عام ٤١١ق.م، وينتهي عند عام ٣٦٢ق.م وهو تاريخ معركة (مانتينيا) في سهل أركادية حيث انتصر إبامينونداس، زعيم طيبة وقائدها الكبير، على إسبارطة انتصاراً غير حاسم ولقي مصرعه، ويكشف الكتاب عن تحيزه الكامل لإسبرطة ضد طيبة .

ب ــ *حملة قورش* (*ANABASIS*) : ويعني *الانسحاب*، وهو أمتع كتبه، وفيه وصف للحملة التي شارك فيها مع الأمير الفارسي (قورش) عام ٣٩٦ق.م في صراعه على العرش ضد أخيه الأكبر، وبعد أن قُتل الأمير (قورش)، وفشلت الحملة التي كانت مكونة من نحو عشرة آلاف من الجنود المرتزقة من الإغريق، الذين اضطروا إلى الانسحاب أو الفرار من وجه الجيش الفارسي وسلكوا في سبيل عودتهم طرقاً صحراوية وجبلية وعرة حتى وصلوا إلى سواحل البحر الأسود ومنه إلى

1- XENOPHON , KYROPAEDIA : I.1.2, 6.7_24 , VII, 5 , 58 _68 .

أوطانهم. وقد كان لكسنوفون في رحلة العودة هذه دورٌ قيادي حتى بلغ هم بر الأمان. والكتاب برمته يتصف بالحيوية والطرافة، فهو أشبه بكتب الرحلات والمغامرات وليس من كتب التاريخ، ولكنه ممتع للقراءة ولا يخلو من فائدة.

ج ـ *تربية قورش (CYROPAEDIA)*: وهو كتاب عن سيرة *(قورش الأكبر)* (٥٥٩-٥٢٩ق.م)، مؤسس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، الذي اتخذه الكاتب مثلاً أعلى للحاكم.

د ـ *نظام الإسبارطيين (POLITEIA LAKEDAIMONIAN)*: وهو بحث في دستور الإسبارطيين، وفيه يتحدث الكاتب عن النظام السياسي لإسبارطة والتنظيم الاجتماعي والتربوي لتنشئة المواطنين الذين وجد الكاتب فيهم مثالاً للمواطنين الصالحين أيام كانوا لا يزالون متمسكين بتعاليم نظامهم الذي وضعه المشرّع *(ليكورجوس)*.

هـ ـ *مذكرات عن سقراط (MEMORABILIA)* : وهو دفاع عن سقراط ضد السفسطائيين، والكتاب في أربعة أجزاء كتبه كسنوفون ليدافع عن سقراط وما اتهم به من إلحاد وإفساد لأفكار الشبيبة.. وللمؤرخ كتاب آخر في الموضوع نفسه بعنوان *(الدفاع)* *(APOLOGIA)* يشرح فيه لماذا لم يدافع سقراط عن نفسه أثناء محاكمته دفاعاً أفضل.

و ـ *الاقتصاد المنزلي (OECONOMICUS)* : ومعناه الحرفي إدارة المنزل والأرض أو *(المزرعة)* : وعلى هذا الأساس فقد أطلق عليه بعض المؤرخين تسمية *(التدبير المنزلي)*. وهو كتيب رائع وجذاب، وفيه يعرض كسنوفون آراءه ونصائحه في تدبير شؤون المنزل على هيئة حوار بين سقراط وإيسخوماخوس أحد كبار الملاّك الزراعيين. *ويتبين من هذا الحوار استعراض عام لآراء كسنوفون وعلى لسان إيسخوماخوس حول واجبات الزوجة في مساعدة زوجها في أعمال المنزل والحقل، وانجاب الذرية، وتدريب الأرقاء والحفاظ على صحتهم*

وسلامتهم، وواجباتها تجاه أولادها وتطييب خاطر زوجها . ويقارن إيسخوماخوس الزوجة بملكة النحل، إذ عليها مراعاة التدبير الإداري والمالي في المنـــزل دون إسراف بحيث لا تستهلك في شهر ما ينبغي استهلاكه في عام، ومراعـــاة حســـن التنســـيق والنظام وسلامة الذوق في ترتيب أدوات وأجهزة المنـــزل ووضع كـــل شـــيء في مكانه المخصص. *ولا ريب أن حسن النظام، وسلامة الذوق عند الزوجة المثاليـــة شيء ممتاز جداً في حد ذاته*، وهذا ما يعجب كســـنوفون بقولـــه علـــى لســـان إيسخوماخوس (*جميل أن ترى الأحذية مرتبة في صف حسب أنواعها، وجميـــل أن ترى الثياب والأغطية مقسمة حسب منافعها، وجميل أيضاً أن ترى أواني الطـــبخ مرتبة بذوق وتنسيق، أجل إن الأشياء جميعها بلا استثناء يزداد جمالها إذا لـــقت وصفت بانتظام. فهذه الأواني كلها تبدو حينئذ كأنها مجموعة متناســـقة يكمّـــل بعضها بعضا ومركزها المتكوّن منها جميعاً يخلق فيها جمالاً ورتابة*)[1] .

وعلى نحو عام، يكشف لنا هذا الكتيب الرائع عن مدى إحســـاس الإغريـــق بالجمال فيقول أحد المدعوين من الإغريق إلى وليمة غذاء عند كســـنوفون (*لســـماً بالآلهة جميعاً، إني لو أعطيت كل ما لملك الفرس من ســـلطان لفضـــلت عليـــه الجمال*[2]، وعن مدى اهتمامهم بأهمية الشكل والتناسق، والدقـــة والوضـــوح، والتناسب والنظام في مجرى حياتهم العامة .

ويتصل بهذا البحث كتاب آخر يتضمن مقترحات لتنمية موارد أثينة الماليـــة بعنوان المداخيل (*PERI PRON*) .

ز ــ *حديث مائدة الشراب* (*SYMPOSIUM*) وهو بمنـــزلة نـــدوة تخيليـــة يعقدها بعض الضيوف حول مائدة الشراب في منـــزل كالليـاس (*CALLIAS*) .

ح ــ *بحث في الفروسية* (*PERI HIPPIKES*) وهو أقدم بحث كامل عن هذا الموضوع .. وبحث آخر بعنوان (*HIPPACHIEUS*) عن واجبات ضابط الفرســـان،

---

1 ـ انظر : كسنوفون ، الاقتصاد ٨/ ١٩ .

2 ـ انظر : كسنوفون ، مائدة الشراب ٤ /٢ .

مشفوعاً بمقترحات لتحسين سلاح الفرسان، وللمؤرخ أيضاً بحث في الصيد بعنوان (CYNEGETICUS) ولاسيما صيد الأرانب البرية، ومن الغريب أن يقحم فيه هجوماً عنيفاً على السفسطائيين الذين لا يفيدون أحداً من الناس .

٤ ــ بوليبيوس (POLYBIUS ٢٠٠ ــ ١١٨ ق.م) :

آ ــ حياته ومنهجيته في كتابة التاريخ :

يُعد بوليبيوس من مؤرخي القرن الثاني ق.م، ولد ونشأ في أسرة نبيلة في مدينة (ميجالوبوليس MEGALOPOLIS) الإغريقية في البلوبونيز ، وهو إغريقي، عاصر بلوغ روما أوج قوتها بعد انتصارها على (قرطاجة)، وكان والده ليكورتاس (LYKORTAS) من الزعماء السياسيين ذوي المكانة على مسرح السياسة الإغريقية، وهكذا وجد بوليبيوس الطريق أمامه ممهداً، فنال أعلى ثقافة ممكنة في وقته، كما أحسن إعداده ليشق طريقه إلى الزعامة السياسية والقيادة العسكرية في تحالف ضم مجموعة من المدن الإغريقية في البلوبونيز عُرف بالحلف الآخي (نسبة إلى إقليم أخيا ACHAEA) المتحالف مع مقدونية، وحين اصطدمت روما بدولة مقدونية بعد موقعة بيدنا (PYDNA) عام ١٦٨ق.م فرضت على مدن الحلف الآخي عدة عقوبات، منها تقديم ألف من شباب الأسر النبيلة ليكونوا رهائن في روما ضماناً لاستمرار ولائهم، فذهب بوليبيوس إلى روما بين هؤلاء الرهائن، ولكن من حسن حظه انه أُلحق بأسرة سكيبيوس الشهيرة في تاريخ روما (وسكيبيوس هذا أحد قادة الجمهورية في روما) الذين عرفوا قدره، وقرروا أن يستفيدوا من مهاراته الفكرية والعقلية، وذلك بتشجيعه على كتابة تاريخ شامل لدولة روما .

وهكذا قُدّر لبوليبيوس أن يُخلد نفسه باعتباره مؤرخ دولة روما العالمية : ويبدو أنه كان مهيأ لهذه المهمة على أكمل وجه، فثقافته الشخصية في الفلسفة المشائية (الأرسطية) والرواقية، وتجربته السياسية والعسكرية في بلاد الإغريق، ثم إقامته الممتدة

بعد ذلك في روما في كنف أسرة (سكيبيوس)، ورحلاته في أرجاء الإمبراطورية الرومانية: كل ذلك هيأه ليحسن فهم قضايا العصر في الشرق والغرب على السواء، كما أتيحت له فرصة الاطلاع على الوثائق الرسمية في مكتبات أسرة سكيبوس من نشر النص الحقيقي للمعاهدات بين روما وقرطاجة، وكذلك الأمر، الاطلاع على مكتبة مجلس الشيوخ الروماني المعروف باسم (*السيناتوس*)، إذ كانت مكتبته تضم أغنى أرشيف للوثائق الرسمية في العالم في ذلك الوقت. وفضلاً عن رحلاته السابقة في وطنه إلى أرجاء المدن الإغريقية، كما ذهب إلى مصر زمن الأسرة البطلمية (١٨١ ــ ١٨٠ ق.م)، فإنه بعد أن استقر في روما، سافر كثيراً في أرجاء إيطالية وفرنسة وإسبانية وسواحل الأطلسي البرتغالية والإفريقية وشمال إفريقية ثم مصر وآسية الصغرى وسورية. ونحن لا نعرف مؤرخاً آخر في التاريخ القديم هيئت له كل هذه الأسباب كما هيئت لبوليبيوس. لذلك لم يكن غريباً أنه استطاع أن يهب نفسه كلية لهذه المهمة، وانتهى إلى وضع كتاب (**التاريخ العالمي**) الذي يتكوّن من أربعين جزءاً، يتناول فيه تاريخ روما وحوض البحر الأبيض المتوسط من ٢٢٠ ــ ١٤٥ ق.م، وصلتنا منها الكتب الخمسة الأولى كاملة، وفصول مطوّلة من سائر الكتب مقتبسة من مؤرخين لاحقين اقتطفها *ليفيوس، وديودوروس، وأبيانوس، وبلوتارخوس*.

وقبل أن نعرض لمضمون فكره التاريخي، ينبغي أن نسجل نقطتين مهمتين وأساسيتين في تناوله وفهمه للتاريخ. *النقطة الأولى هي اقتناعه بمبدأ عالمية التاريخ، والثانية هي اقتناعه المطلق بأهمية التجربة الرومانية في التاريخ، باعتبارها تجربة فريدة ليس لها سابقة في التاريخ القديم على الإطلاق، ولذلك رآها جديرة بالدراسة والتأمل التاريخي*[1].

ويمكننا أن نتعرّف مباشرة معالم فكر بوليبيوس وغايته من دراسة التاريخ في الفصول الأولى التي قدّم بها عمله الكبير، *فهو يرى منذ البداية أن لدراسة التاريخ*

---

1 ــ انظر : مصطفى العبادي ، ص ٣٥ .

فائدة عملية، فهي تعلم العقل وتهذب النفس، لأن التاريخ هو العلم الذي يهيئ العقل للحياة السياسية، كما أن أعمال العقل فيما ألّم بالدول من مصائر هو خير معين على مواجهة صروف القدر بنفس مطمئنة، بعد هذا التقديم العام عن القيمة التعليمية والأخلاقية للتاريخ، يزداد بوليبيوس تحديداً بالنسبة لموضوعه وهو دولة روما وقصة تحقيقها الدولة العالمية فيقول :

(أي عقل، مهما تكن طبيعته ـــ لا يستثيره الشغف ليعرف كيف حدث ان خضع العالم بأسره تقريباً لسلطان روما المفرد خلال فترة لا تتعدى ثلاثة وخمسين عاماً، وأي نظام سياسي يرجع إليه الفضل في تحقيق مثل هذا الانجاز الذي يمثل ظاهرة لا مثيل لها في سابق التجربة البشرية) (١/١ ـــ ٢/٦) .

في هذه العبارة الموجزة نجد أنفسنا أمام مورخ سياسي تحركه الدوافع السياسية بالدرجة الأولى وذلك على محورين أساسيين، وهو قد يتشابه في ذلك مع توكوديدس في هذا المجال من التفكير، ولكنه يختلف عنه في ساحة الخريطة الجغرافية التي يتحرك عليها، *توكوديدس مشدود إلى حدود إقليمية محدودة ببلاد الإغريق، أما بوليبيوس فآفاقه تمتد إلى آفاق خريطة العالم،* كما كان معروفاً في عصره، فهو مأخوذ بالتجربة السياسية الرومانية لأنها حققت فكرة قيام الدولة العالمية مع قدرتها على البقاء والاستمرار. *وإذا كان توكوديدس يرى ان الحرب بين أثينة وإسبارطة كانت من أجل السيادة على بلاد الإغريق، فقد اعتقد بوليبيوس أن الصراع بين روما وقرطاجة كان من أجل السيادة على العالم.* وعلى ذلك فتاريخه تاريخ عالمي من وجهة نظره، وهو شديد الإدراك لهذه الفكرة والإصرار عليها باعتبارها المحور العام والرئيسي الذي من أجله استمر يعمل طوال حياته، وفي ثنايا الجزء الخامس من تاريخه، يعود فيذكر قارئه في شيء من التفاخر بقوله :

(أعتقد أن سبق لي أن شرحت، أنني لا أقوم بتسجيل مجموعة محدودة من الأحداث، ولكنني أعرض لأحداث وقعت في شتى أنحاء العالم، وليس من المبالغة

في شيء أن أقول إنني أتناول في عملي التاريخي هذا، مساحة أكثر اتساعاً من أي مؤرخ قبلي)(٥/٢١) .

وهو مقتنع أيضاً بأن وحدة تاريخ العالم قد تحققت نتيجة لقيام دولة روما العالمية: فإن نقطة التحول الأساسية في هذا الاتجاه هي انتصار روما على هانيبال عام ٢٠٢ق.م، وبوليبيوس شديد الإحساس بأن العالم قد أصبح يعيش في عصره تجربة جديدة هي تجربة وحدة تاريخ العالم فنجده يقرر :

(أن في العصور السابقة كانت أحداث التاريخ منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض في أسبابها ونتائجها بقدر انفصال أقاليمها، ولكن منذ ذلك التاريخ فصاعداً، اكتسب التاريخ وحدة عضوية: فأحداث إيطالية وإفريقية أصبحت متشابكة مع ما يحدث في اليونان وآسية، وكان تاريخ العالم قد أصبح يتجه إلى مصير واحد) (١/٣) .

ومن أجل أن يمهد للأحداث التي انتهت إلى قيام الدولة العالمية، التي هي نتيجة مباشرة للصراع بين روما وقرطاجة، فقد رأى أنه من الأصلح أن يكتب تقديما يعرض فيه (*ما كان لدى كل من الرومان والقرطاجيين من دستور سياسي وإمكانات وإنجازات، فقد حرصت على أن أحيط القارئ علماً مسبقاً بأساليب السياسة الرومانية وقراراتهم العسكرية والاقتصادية*)(١/٣) .

هذا هو الإطار العام والمحور الأساسي الذي أقام عليه تاريخه العالمي وتصوره لحركة التاريخ ضمن الإطار الزمني الذي حدده لنفسه، فيما بين الربع الأخير من القرن الثالث ومنتصف القرن الثاني ق.م. *في حدود هذا الإطار الزمني نجد أن بوليبيوس لم يلتزم التزاماً صارماً بالمعاصرة في دراسة التاريخ، على نحو ما فعل توكوديدس، كما لم يوغل في القدم كما فعل هيرودوت، ولكنه عاد إلى الوراء قليلاً بمقدار جيلين تقريباً قبل أن يشرع في إعداد عمله الكبير.*

أما المحور الثاني الذي سار عليه بوليبيوس في بناء تصوره التاريخي، فهو مكمل للأول، ويدل على عمق نظرته للتاريخ السياسي. ***فقد أثار إعجاب بوليبيوس بالتجربة الرومانية أنها نجحت، فيما فشل فيه الإغريق.*** أما مظهر هذا النجاح، فهو أنها تمكنت أولاً من توحيد إيطالية كلها تحت قيادتها، ومن مركز القوة في إيطالية استطاعت بعد ذلك أن تتحرك خارجها وتفرض سلطانها على جميع أقطار البحر الأبيض المتوسط وبقاع أخرى وراءه وخاصة في أوروبة. وهو يعرف من تجربته في بلاد الإغريق كيف فشلت المدن الإغريقية الواحدة بعد الأخرى في توحيد الإغريق في تكوين سياسي قوي يكفل لهم الاستقرار والاستمرار. فسعى إلى معرفة السبب الحقيقي وراء النجاح الروماني والفشل الإغريقي. وهداه تفكيره إلى أن مكمن القوة في بناء دولة روما يتركز أساساً في أن العقلية الرومانية التي استطاعت منذ فترة مبكرة من تاريخهم أن تقيم لروما نظاماً سياسياً محكماً اعتبره بوليبيوس يمثل أكمل أنواع الدساتير السياسية، وأطلقوا على نظامهم اسم (*RESPUBLICA*) وهو ما يترجم عادة (*بالجمهورية*) على سبيل التبسيط، والذي وضعوا أساسه منذ ٥٠٩ق.م بعد أن تخلصوا من النظام الملكي الذي ساد في بداية الأمر.

ويفرد بوليبيوس لشرح الدستور الروماني جزءاً كاملاً من تاريخه، هو الجزء السادس، وينبّهنا في مطلعه إلى ما سبق قوله في المقدمة من أن تناول الدستور محور ضروري أساسي في فهم التجربة التاريخية الرومانية (٦/٢). وفي شرحه للمعالم البارزة من الدستور الروماني نجده دائماً حريصاً على أن يقارن بينه وبين دساتير الإغريق والقرطاجيين، ***وفي كل مرة يؤكد إيجابيات دستور روما وسلبيات الدساتير الأخرى.*** ونجده يقرر ابتداء أن الكتّاب المختلفين يتفقون في أن نظم الحكم الأساسية ثلاثة: ***الملكية والارستقراطية والديمقراطية***. ثم يختلفون فيما بينهم في تفضيل أحدها على غيرها. ***أما بوليبيوس فيرفض هذه النظم جميعاً، ويعلن***

أن أفضل الدساتير هو ذلك الذي يشتمل على عناصر النظم الثلاثة (٦/٢). وهو موقف أشتهر به أرسطو من قبل وينتهي إلى (*أن الدستور الروماني يشتمل على العناصر الثلاثة ، فسلطات الدولة موزعة في أنصبة متكافئة ومتعادلة بين النظم المختلفة، بحيث يصعب على أي فرد أن يحدد بدقة هل هذا الدستور أرستقراطي أو ديمقراطي أو ملكي ، ذلك أن الملكية ممثلة — في رأيه — في منصب القنصلية، والأرستقراطية ممثلة في مجلس (السناتوس)، والديمقراطية ممثلة في الجمعيات الشعبية ومنصب تربيون العامة*) (٦/١١ — ١٤).

ومع ذلك ، فمن الواضح أن بوليبيوس كان منحازاً إلى نظام الحكم الأرستقراطي، وأن ذلك هو السبب الرئيسي في إعجابه المفرط بروما ودستورها، ويتضح هذا الانحياز الكامل للنظام الأرستقراطي، عندما يعرض لبعض النظم الإغريقية، فهو يبدي إعجابه أيضاً بدستور إسبارطة الأرستقراطي والذي يُنسب للمشرّع ليكورجوس، فوصفه بوليبيوس (٦/١٠، ٣ ، ٤٥—٥٦ ، ٥٠) بأنه دستور مختلط تتمثل فيه نظم الحكم الثلاثة، وحين يذكر دستور أثينة الديمقراطي يسخر منه سخرية لاذعة قائلاً: (*ما أشبه الأثينيين بسفينة بلا ربان يقودها*)(٦/٤٤) .

ونلاحظ أن بوليبيوس استخدم في تاريخه ألفاظ : *القدر، والقانون الطبيعي، والمشيئة الإلهية*، باعتبارها مفردات لسلطة علوية أو قوة مقدسة هي التي تتحكم في نهاية الأمر في مصائر الدول والشعوب، ونلحظ روحه المحافظة وميوله الدينية حين يتخذ موقف الواعظ وعندما يتحدث ناقداً الديمقراطية، فيقول :

(*لا يكفي أن نقيم ديمقراطية بأن يصبح مجموع جمهور المواطنين الحق في أن يفعلوا ما يشاؤون وما يريدون، ولكن إذا رأيت تقوى الآلهة، وتبجيل الآباء، وطاعة القوانين، عندئذ إذا سادت إرادة الأغلبية، يصح لنا أن نطلق اسم الديمقراطية على مثل هذا النظام من الحكم*) (٦/٤) .

ونظراً لفكرة استمرارية التاريخ عند بوليبيوس، فإنه يدعو المشتغلين في التاريخ من المحترفين لكتابة التاريخ أو قراءته (*ألا يقصروا اهتمامهم على ما يعالجون من أحداث فقط، ولكن خير لهم أن يمعنوا النظر فيما سبق، وما واكب من أحداث لكي يكون ذات قيمة في المستقبل*)(٣/٣١) .

وأخيراً يمكن القول، إن بوليبيوس مؤرخ المؤرخين ويأتي في المرتبة الثانية بعد توكوديدس، (*لأنه يصر على أن التاريخ ينبغي أن يكتبه أولئك الذين رأوا بأعينهم، أو استشاروا غيرهم ممن رأوا بأعينهم ما يصفونه من حوادث، فلهذا أراد أن يجعل من تاريخه دقيقاً بقدر ما تسمح به (ضخامة عمله) والطريقة الشاملة التي عالجه بها*)(١٦/٢٠) . وكان يعدّ التاريخ أحسن وسيلة لتعليم الفلسفة بواسطة العبر والأمثلة التي قدّمها، وقد انطلق بوليبيوس من هذا المفهوم في تدوين التاريخ، فاعتمد على صدق الحقائق التاريخية أكثر من أي شيء آخر .. وأن أكثر ما يهمه هو الحقائق المجردة التي يقبلها عقل الإنسان السوي ويفيد منها .

وهكذا فإن مفهوم (*بوليبيوس*) من التاريخ وطريقته العلمية الدقيقة في جمع معلوماته التاريخية توهلانه لأن يحتل مكاناً مرموقاً بين المؤرخين، وقد خلا ما كتبه الباحثون عن بوليبيوس من أي شيء في نزاهته وأمانته، فكان في كتابه نزيهاً وحيادياً ودقيقاً، ولعل النقد الوحيد الذي وجهه القدماء لبوليبيوس هو إهماله للزخرف اللغوي في كتاباته واستعماله أسلوباً جافاً ينفر القارئ، ولكن هذا النقد لا يقلل من قدرة بوليبيوس ولا يحط من قدره كمؤرخ علمي محقق .

ب ـــ مؤلفات بوليبيوس :

أهم مؤلفات بوليبيوس ـــ كما ذكرنا ـــ (*التاريخ العالمي*) منذ عام ٢٢٠ حتى ١٤٥ق.م .. ويبدأ هذا الكتاب بنظرة عاجلة على الحرب البونية الأولى .. ويتبع ذلك بوصف الأوضاع في كل من روما وقرطاجة وشرق البحر الأبيض

المتوسط في الفترة من ٢٢٠ ـــ ٢١٦ق.م، ثم يسرد الأحداث في مختلف مسارحها، فيتناول الحرب البونية الثانية فالحرب السورية، فالحرب المقدونية الثالثة، ثم نجاح روما في إتمام فتح إسبانية وقهر قرطاجة وبسط السيطرة الرومانية على بلاد الإغريق، دون أن يفوته في خلال ذلك تحليل الدستور الروماني والإعراب عن إعجابه بما فيه من توازن بين مؤسساته الدستورية.. مما كفل لروما الاستقرار وبناء قوتها. ***ويبدو أن بوليبيوس، كان يهدف إلى إقناع الإغريق بأن سيطرة روما عليهم كانت أمراً لا مفر منه، لأنه كان النتيجة المنطقية القدرية لقوة روما، واضطراب أحوال الإغريق.***

وقد رأينا أن نكتفي بهذا القدر من الحديث بالتفصيل عن مناهج وأفكار أربعة فقط من المؤرخين الإغريق، فيما بين القرنين الخامس والثاني ق.م. ***والسبب في ذلك، أن هؤلاء المؤرخين وخاصة ثلاثة منهم: هيرودوت وتوكوديدس وبوليبيوس، يمثلون ذروة ما بلغه (علم التاريخ) في العصور القديمة على الإطلاق.*** ولا تقتصر أهميتهم، مثل غيرهم، على كونهم مصدراً مهماً وأساسياً لمعلوماتنا التاريخية عن الفترات والعصور التي أرّخوا لها ولكن ـــ بدرجة أعلى من غيرهم ـــ لأن كتاباتهم ما زالت تمثل قيمة باقية في مفهوم علم التاريخ ومتعة فعلية للمؤرخ والقارئ الحديث على حد سواء.

ثانياً: الخطباء:

هناك مصدر أدبي آخر بدأ يتوافر لدينا عن التاريخ الإغريقي منذ أواخر القرن الخامس ق.م، ***وهو خطب الخطباء الإغريق***، وقد كانوا كثيرين، والتي كانوا يتحدثون فيها أمام المجالس الشعبية وأمام الهيئات السياسية والقضائية وغيرها في القضايا السياسية والاجتماعية والقومية التي كانت واردة في المجتمع الإغريقي آنذاك.

ومنها نعرف الشيء الكثير عن العلاقات بين أفراد المجتمع وطبقاتـه، وعـن المسائل التي كان يدور حولها الدفع والجذب بين هؤلاء الأفراد وهذه الطبقات، وعن انعكاس ذلك كله على المجتمع الإغريقي. وأبرز وأهم هؤلاء الخطباء على الإطلاق اثنان وهم حسب ترتيبهم الزمني: (*إيسوقراط*) و (*ديموسيثنس*).

١ ـ إيسوقراط (ISOCRATES ٤٣٦ ـ ٣٣٨ ق.م) :

افتتح إيسوقراط في عام ٣٩١ق.م، أعظم مدارس البلاغة نجاحاً في أثينـة، ***وساعد اختلاف أصول الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإغريقـي ونظـرتهم إلى الحياة على تكوين فلسفته الهيللينية*** [1]، لأنه كان يقصد من الفصاحة بحد ذاتهـا، كتهذيب فكري و أخلاقي. وكان هدف إيسوقراط من خلال ذلـك هـو *فـن الخطابة*، لأن الجدل هو الذي كان وقتئذ يحكم الدولة الأثينية.

وكان إيسوقراط يلقي خطبه على شكل نشرات طويلة موجهـة للزعمـاء السياسيين، فابتدع بذلك على غير علم منه، المقالة بوصفها فناً من فنون الأدب..

---

[1] – إن جوهر الهيللينية ليس جغرافياً أو لغوياً، بل هو اجتماعي وثقافي، ويعني انضواء الشعوب التي لم تكن ذات أصول إغريقية أو التي لم تتكلم الإغريقية تحت لواء الحضارة الإغريقية. وكان الرومان من أعظم الشعوب التي جذبتها الحضارة الهيللينية. وقد اصطبغت بالحضارة الهيللينية شـعوب أخـرى لا تتكلم الإغريقية قبل الرومان أنفسهم مثل المسابيين والأبوليين والأتروسكيين في إيطالية، واليـهود في آسية الصغرى. وفي الطرف الجنوبي من الساحل الغربي لآسية الصغرى كانـت شـعوب الكـاريين والليكيين الذين كانوا أعضاء قدامى في المجتمع الهيللينيّ. ومن الشخصيات البـارزة التي خضـعت للحضارة الهيللينية، **الإسكندر الأول** ملك مقدونية، و**إسكوليس** أمير القبائل الرحل في إسـكيثيا (في جنوب روسيا) في القرن الخامس ق.م، و**فلامينيوس** القائد الروماني، و**يشوع** الكـاهن اليهـودي في القرن الثاني ق.م.

وحول جوهر الهيللينية في جميع مظاهرها المختلفة انظر: **أرنولد توينبي**، تاريخ الحضارة الهيللينية، ترجمة رمزي عبدة جرجس، القاهرة ١٩٦٣.

وقد بقي لنا تسع وعشرون من خطبه التي تُعد من أكثر ما بقي من الأدب القديم إمتاعاً، وكانت خطبته الأولى العظيمة المعروفة باسم الجمعية العامة (البانيجركس) (PANEGYRICUS) مفتاح تفكيره كله[1]. والذي كان يدعو من خلالها دعوة بلاد الإغريق إلى نبذ التفرقة والانقسام والاندماج في دولة واحدة. وكانت أكثر هذه الخطب يوجهها إلى صديقه فيليب الثاني ملك مقدونية يدعوه فيها لاستخدام كل سلطانه لأجل وحدة بلاد الإغريق والثأر من البرابرة الفرس[2]، وتحرير المدن الأيونية في آسية الصغرى من الحكم الفارسي والسيطرة عليهم بحق سمو الحضارة الإغريقية على ما عداها. وظل يلقي الخطاب تلو الآخر بخصوص وحدة بلاد الإغريق ومقارعة الفرس حتى وفاته عام ٣٣٨ ق.م بعد أن بلغ ثمانية وتسعين عاماً.

٢ ــ ديموسيثنس (DEMOSTHENES ٣٨٤ ــ ٣٢٢ق.م) :

يُعد ديموسيثنس أحد كبار خطباء الإغريق ومن أشدهم بلاغة، عمل في مجال السياسة، وكان على العكس من سلفه إيسوقراط مناهضاً لمقدونية إذ كتب خلال (٣٥١ - ٣٤٠ق.م) مجموعة خطب، أشار فيها إلى الخطر الذي يمثله المقدونيون

---

1 - سميت كذلك لأنها كانت موجهة إلى (البانيجركس) أو الجمعية العامة في الدورة الأولمبية المائة .

2 - لفظة (برابرة أو أعاجم)، لم تكن تتضمن بالضرورة معنى الاحتقار، فكثير من الإغريق كانوا معجبين بقوانين الفرس وبحكمة المصريين. والإغريق لم ينسوا الدين المادي والفكري والفني الذي كان عليهم لشعوب الشرق. ومع ذلك فقد كانوا يعتبرون هذه الشعوب (برابرة) أي أجانب، ليس مجرد أن تلك الشعوب لم تتكلم الإغريقية، بل أن عدم تكلمهم الإغريقية كان حقيقة تدل على اختلاف أبعد من ذلك، فهي تدل على أنهم لم يكونوا يفكرون كالإغريق، أي أن كل موقفهم تجاه الحياة كان يبدو مختلفاً، والإغريقي مهما كان إعجابه أو حسده للبربري كبيراً بسبب أو آخر، فإنه لم يكن يملك إلا أن يدرك هذا الاختلاف.

وحول ذلك انظر : كيتو ، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسرى، مراجعة محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٢ .

على الديمقراطية في بلاد الإغريق، بعد تسلّم فيليب الحكم في مقدونية وعمله على تقوية مملكته. وكرّس منذ ذلك الوقت كتاباته في هذا المجال، وخلّف لنا منها عددا باسم (*الفلبيبيات*) وتوقف عن ذلك أثناء فترة الهدنة بعد موقعة خايرونية (*CHAERONEA*) في عام ٣٣٨ق.م، والتي سيطر فيها فيليب على كل بلاد الإغريق.

وكان ديموسيثنس من حيث المنهج الخطابي أقدر على الكتابة منه على الكلام، لأنه كان ضعيف الجسم، ***وفي بعض الأحيان كان يعد دفاعاً لكلا الطرفين المتنازعين***. وأصبح بعد جهود مضنية دامت عدة سنين أغنى المحامين في أثينة، يعرف دقائق هذا الفن ويُقنع المستمعين إلى خطبه.. وكان يتناول أجوراً عالية من الأفراد نظير تقديم بعض القوانين للجمعية والدفاع عنها.

على أننا في اعتمادنا على هذه الخطب السياسية وغيرها، ونحن في صدد التأريخ للمجتمع الإغريقي، يجب أن نكون حريصين كل الحرص، فالخطيب السياسي لا يتحرى الدقة الكاملة فيما يقول دائماً، لأنه غالباً ما يكون مدافعاً عن قضية أو مهاجماً لقضية مضادة. ومن هنا فهو يبحث عن كل ما يدعم قضيته ولا يذكر الجوانب السيئة والقائمة المحيطة بها.. بينما نجده يذكر كل التفاصيل التي تسيء إلى قضية خصمه وتضعف موقفه، ونحن نحسن صنعاً إذا أقبلنا على قراءة هذه الخطب وفي ذهننا أننا نرى فيها جانباً واحداً من الحقيقة، أو على الأقل نوعاً من المبالغة التي قد تتخذ شكل التهويل أو شكل التهوين في عرض الحقائق.

ثالثاً ـــ الفلاسفة :

تُعد الفلسفة السياسية الإغريقية مصدراً أصيلاً لدراسة نظام الحكم لدى الإغريق، وهي على قدر عظيم من الأهمية في التراث الفكري الذي خلّفه الإغريق،

ومن المعلوم أن الفلسفة الإغريقية ولدت في أوائل القرن السادس ق.م في أيونية بآسية الصغرى على يد (تاليس) وكانت للفلسفة وقتئذ صلة بالعلم.

وبعد *سقراط* (*SOCRATES* ٤٦٩ ــ ٣٩٩ ق.م) أستاذ الفلسفة في العالم القديم، ويرجع إليه الفضل في تحويل الاتجاهات الفكرية التي ظهرت قبله إلى فلسفة واضحة المعالم، وبالرغم من أنه لا سبيل إلى الشك في أن بعض المبادئ السياسية التي طرحها *أفلاطون* (٤٢٩ ــ ٣٤٧ق.م) تلميذه في كتابه (*الجمهورية*) كانت من فكر أستاذه سقراط .

وبناء على ذلك يبدو أن الفلسفة السياسية الإغريقية، بدأت بأفلاطون والتي تناولها بصورة مباشرة في (*الجمهورية*) التي كتبها في صدر شبابه، وكذلك في محاورة (*القوانين*) التي كتبها في شيخوخته، ثم محاورة (*السياسي*) التي ترجع إلى فترة ما بين الجمهورية والقوانين، وفي هذه المحاولات الثلاث يبرز نظام (*دولة المدينة الحرة*).

أما *أرسطو* (*ARISTOTEL* ٣٨٤ ــ ٣٢٢ق.م)، وهو صاحب المصنفات المتعددة في شتى فروع المعرفة، فإن فكره السياسي يتجلى في كتابه الخالد (*السياسة*)، وهذا الكتاب يشتمل على ثماني مقالات، تبحث *أولاها* في تعريف الدولة وتكوينها، *وثانيها* في وصف الجماعات السياسية التي كانت قائمة، وتهتم المقالة *الثالثة* بتصنيف النظام السياسي من الملكية بأنواعها والديمقراطية والأوليجاركية (*حكم الأقلية*)، وتبحث المقالة *الرابعة* في النظم الدستورية الرئيسية، *والخامسة* في الثورات وأسبابها العامة، *والسادسة* في تأليف الحكومات الديمقراطية والأوليجاركية، *والسابعة* في الخير الأسمى للفرد والدولة، *والثامنة* في النظم المثالية للتربية. وكذلك درس أرسطو النظم الدستورية لعدد من المدن الإغريقية يزيد على المائة والخمسين، لكن لسوء الحظ ضاعت كل بحوث أرسطو عن الدساتير الإغريقية، ولم يصلنا منها إلا بحث واحد هو (*نظام الأثينيين*) الذي عثر عليه في بردية مطوّلة في

مصر عام ١٨٩٠ م، ولعل هذا البحث هو أهم بحوث أرسطو عن هذه الدساتير، وتُعرف مدرسة أرسطو الفلسفية باسم (*مدرسة المشائين*)، وفي عام ٣٠٠ق.م تقريباً أنشأ (*زينون*) المدرسة الفلسفية التي عُرفت باسم (*مدرسة الرواقيين*).

رابعاً ـــ الأدب الإغريقي :

إذا كان المؤرخون والخطباء يُعدّون من المصادر الكتابية المباشرة، ***فإن الأدب الإغريقي يُعد من المصادر الأدبية الكتابية غير المباشرة.*** وهذا النوع من المصادر يضم كل إنتاج الأدباء من أغان ومسرحيات وأشعار، وبكل ما تتضمنه هذه من أفكار وحقائق وخيالات وأوهام وخرافات وأساطير، وبما تصوّره من مشاعر وعواطف وانفعالات وأحاسيس، وبما يظهر فيها من لوحات حية للقوة والبطولة والتضحية والنبل والسيطرة والعنف والخنوع والجبن والنذالة، ومن صور السعادة والبؤس والأمل والرجاء، كل ذلك يمثل جوانب أساسية صادقة التصوير والتعبير في حياة المجتمع الإغريقي.

ويأتي في مقدمة هذه الآداب الأدب الملحمي أو ما يسمى (***بالشعر الحماسي***)، والملحمة رواية أسطورية أو شبه أسطورية مكتوبة بالشعر. وأولى وأهم الملاحم الإغريقية هما ملحمتا (***الإلياذة والأوديسة***) المنسوبتان إلى شاعر اعتقد الإغريق أن اسمه (*هوميروس*)، وثاني هذه الآداب (***الشعر التعليمي***)، وعلى رأسه شاعر إغريقي آخر اسمه (*هسيودوس*) كتب ملحمتين في هذا الشعر الأولى هي (***الأعمال والأيام***) والثانية (***أنساب الآلهة***).

ونظراً لأهمية هذه الملاحم من الأدب الإغريقي في دراسة المجتمع الإغريقي، سنتعرض إلى كل ملحمة بشكل موجز دون الدخول في التفاصيل المتعلقة بكل ملحمة، وسنقتصر على ما يفيده المؤرخ من هذه الملاحم لدراسة جميع الجوانب المتعلقة بالمجتمع الإغريقي.

١ ــ الشعر الحماسي (EPICAL POETRY) :

يُعد هوميروس (HOMEROS) من أبرز رموز هذا الشعر، وكتب لاسمه الخلود ونال شهرة عالمية، وهناك شكوك وآراء كثيرة حول ولادته والعصر الذي عاش فيه، ويحيط باسمه وبنسبه شيء كثير من الغموض. وبكل الأحوال ــ وحسب آراء أغلبية المؤرخين ــ يُعتقد أن هوميروس عاش في القرن التاسع أو الثامن ق.م.

وتُنسب إلى هوميروس أعظم ملاحم الشعر العالمي وهما : ملحمتا (الإلياذة والأوديسة) وتدور أولاهما (الإلياذة) حول مهاجمة القوات الإغريقية المحاربة لمنطقة طروادة (على الساحل الشمالي الغربي لآسية الصغرى) وتدور الثانية (الأوديسة) حول المغامرات والأهوال التي واجهها أحد أبطال الإغريق في هذه الحرب، هو الملك أوديسيوس (ODYSSEUS) في طريق عودته من طروادة بعد أن أسقطها وأحرقها الإغريق إلى بلده ومقر ملكه إثاكة (ITHAKA) على الساحل الغربي لبلاد الإغريق.

ولكن وسط كل الغموض الذي يحيط بناظم هاتين الملحمتين وبالعصر الذي عاش فيه، نجد أنفسنا أمام حقيقة ثابتة وهي : إن تغني الإغريق بهذا الشعر وتخليدهم إياه، إنما يدل على أن هذا الشعر كان شعبيًا ومحبوبًا، بل لقد بلغ من حب الإغريق لهذه الأشعار، أن مجدوا هوميروس، رغم كل الغموض الذي أحاط شخصيته، وتوارثوا هذا التمجيد جيلاً بعد جيل، كما يظهر ذلك من مظاهر عديدة، من بينها ادعاء عدد كبير من المدن الإغريقية سواء تلك الموجودة في بلاد الإغريق الأصلية، أو التي أنشأوها في مهاجرهم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، نسبة هوميروس إليها، حتى عدّت هذه الأشعار (الجيل الإغريق) على حد قول كثير من المؤرخين لأنها شكلت الرابطة القومية الثقافية التي تجمع بين الإغريق أينما كانوا وأينما حلوا وتوحد كلمتهم وصفوفهم، ودليلنا على ذلك أن أشعار هاتين الملحمتين كانت تشكل الدروس الأولى التي يجب أن يتعلمها ويتدرب عليها الناشيء

الإغريقي، وقد كان هذا الأمر سارياً في كل العصور التي نعرف من خلالها شيئاً عن المجتمع الإغريقي .

ولكن ما الذي يمكن أن يفيده المؤرخ من هذه الأشعار لدراسة جميع الجوانب المتعلقة في حياة المجتمع الإغريقي . ***ولأجل أن نزيد الفكرة أو الإجابة وضوحاً – رأينا – أن نقسم ما ذكره هوميروس إلى أقسام أربعة نستطيع على هديها أن نؤرخ للمجتمع الإغريقي .***

القسم الأول : وصف القيم الوطنية التي يتصف بها المجتمع الإغريقي من خلال ما كان يتحدث به هوميروس، ***عن البطولة والقوة والتضحية ، وعن الخنوع والذل والجبن .*** فالإلياذة ملحمة حرب، وملحمة رجال، وتغني بشجاعة الأبطال الذين يُقتلون ويقتلون، وبتضحية من يدافعون عن بلدهم بأرواحهم عن طيب خاطر، وعن حب المجد الذي يرفع الإنسان إلى مصاف الآلهة، وعن حب الحياة، وعن شرف الإنسان الذي هو أسمى من الحياة وأقوى من الآلهة . فلذلك كانت الإلياذة أول ملحمة شعرية عند الإغريق تمثل الإنسان في حالة الحرب . ***ومن هذا المنطلق وصفت الإلياذة (بالشعر الحماسي) .***

القسم الثاني : وصف الحياة اليومية للإغريق سواء أكان ذلك في البيت أم في المرعى أم في السوق أم في ميدان القتال، مما يأتي عرضاً في أثناء هذا من وصف لأدوات وأسلحة وولائم واحتفالات واستعداد للحرب .

القسم الثالث : وصف الحياة الاجتماعية للإغريق ونظرتهم إلى القيم الاجتماعية مثل مركز المرأة في المجتمع ونظرتهم إلى الدين والآلهة ومدى اعتقادهم بوجود هؤلاء وقدرتهم، ، ومثل موقفهم من القانون وما كان يسودهم من تنظيم سياسي واقتصادي وبين تعايش طبقي واجتماعي . ويظهر هذا القسم في صورة

قصص أو مناظر أو لوحات نستطيع أن نتخذها كأمثلة رمزية نستنتج منها الأوضاع أو المواقف التي نريد دراستها.

القسم الرابع : وصف القيم المثالية التي يريدها المجتمع الإغريقي ، وما يتعلق بآمالهم وأمانيهم وبأفكارهم عن المجتمع المثالي الذي يبتغونه، وما كان سائداً فعلاً وما كانوا يتمنونه أو يرون أنه ينبغي أن يكون. وقيمة هذه الأفكار ، هي أنها تعكس لنا فكرة الإغريق عن مجتمعهم ومدى قبولهم للتيارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تسوده، ومن ثم فهي بداية جذرية للفكر السياسي الذي وصل إلى قمته بعد ذلك في القرن الرابع ق.م .

٢ ـــ الشعر التعليمي *(DIDACTICAL POETRY)* :

يرمي هذا الفن إلى تعليم الناس الشؤون الدينية والدنيوية ، وإلى تزويدهم بمختلف الحقائق المتعلقة بالفرد والمجتمع والطبيعة وما وراءها. *فهو يعرض للأخلاق والعقائد والعبادات والتاريخ والعلوم والصناعات*، ويعالج هذه البحوث لتعزيز ما ينبغي أن يعرفه الناس بصددها. ومن يظهر الفرق بين الشعر الحماسي والشعر التعليمي، *فالأول شعر وبلاغة أكثر منه شيء آخر. على حين إن الشعر التعليمي حقائق وتاريخ أكثر منه شيء آخر. ومجمل القول، أن الشعر التعليمي يرمي إلى التعليم أكثر مما يرمي إلى بلاغة القول وسحر البيان.*

ويعرض الشعر التعليمي لثلاثة مسائل أساسية وهي : *مسائل الأخلاق، ومسائل الفنون الزراعية والصناعية، ومسائل التاريخ السماوي والأرضي.*

وكان من *أبرز شعراء الشعر التعليمي هسيودوس* *(HESIODOS)* وله عدة قصائد في مجال هذا الشعر وأهمها قصيدتان *أولاهما (الأعمال والأيام ERGA KAI HEMERA)* وهي تمثل القسمين الأولين من هذا الفن (*مسائل الأخلاق ، ومسائل*

الفنون)، *وثانيهما* (*أنساب الآلهة THEOGONIA*) التي تمثل القسم الثالث (*مسائل التاريخ السماوي والأرضي*) [1] .

وكما اختلف مؤرخو الأدب في عصر هوميروس، اختلفوا في عصر هسيودوس — *ولكن أقرب الآراء إلى المعقول* — تشير إلى أن هسيودوس عاش بعد عصر هوميروس بقرن أو أقل، أي خلال النصف الأول من القرن الثامن ق.م.

وكان السبب الذي أثر في تفتق قريحة هسيودوس وظهور كامن نبوغه وعبقريته، هو وفاة والده المزارع وهو من طبقة العامة [2]، واقتسام المزرعة بينه وبين أخيه (*برسيس*) وقد رأى هسيودوس نفسه مظلوماً في هذه الصفقة، فرفع أمره إلى القضاء [3]، لكن القضاة لم ينصفوه وحكموا بالقسم الأكبر من المزرعة لأخيه لما قدّمه لهم من رشوة، فشعر هسيودوس أن القضاة انحرفوا عن جادة العدالة في حكمهم، مما أثار غضبه، وقوّى من كراهيته للظلم، ووقفته لسوء الخلق. فلذلك أطلق هسيودوس لسانه بحكم القول، ورقى خياله الشعري، ونهض بحياته الأدبية، ووجهها شطر الإرشاد والتعليم، وقد تمخض ذلك كله عن فن جديد هو (*الشعر التعليمي*) .

ولذلك تألف القسم الأكبر من قصيدته الخالدة (*الأعمال والأيام*) وهي أول قصيدة ألّفها في هذا الفن الجديد، *من حِكم وعظات وقواعد خلقية تنفر من الظلم والاعتداء على حقوق الغير، وعالج في قصيدته النواحي المتعلقة بالعمل الشريف والكدح في كسب العيش*، فنراه في هذا الصدد ينصح أخيه (*برسيس*) بالعمل وكسب العيش بطريقة شريفة فيقول :

---

1 – (THEOGONIA) كلمة مؤلفة من كلمتين إغريقيتين (THEOS) بمعنى إله و (COMOS) بمعنى نسب أو نسل .

2 – عن حالة والد الشاعر انظر : هوميروس، الأعمال والأيام ٣٧ – ٣٩ ، ٦٣٦.

3 – كان القضاة في ذلك العهد يتألفون من رؤساء القرى وكانوا يسمونهم الملوك .

(إذا كنت تصبو إلى الثروة، فطريقك إلى تحقيق ذلك هو أن تنكب على العمل ثم العمل) (٣٨١ ــ ٣٨٢). وفي مكان آخر من الملحمة ذاتها يحضّه على أن *(يشمّر ليبذر، ويستمر ليفلح الأرض، ويشمّر ليحصد)* (٤٠٧ــ ٤١٤).

وبرأي هسيودوس أن العمل وحده، لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجته المرجوة إذا كانت العلاقة بين الطبقات لا تتركز على مقوّم سليم- *وهذا المقوّم السليم هو العدالة*- فالعدالة برأيه، هي الأساس الأخلاقي للتعامل بين الطبقات، حين يضع القضية في إطار إلهي مقدس عندما يقول :

(إن العدالة العذراء، هي ابنة زيوس (كبير الآلهة) الذي تمجده وتحترمه الآلهة جميعاً . . وإن زيوس لن يشن الحرب القاسية على من يسير في طريق العدالة، ولكن من يمارسون التجبر لن يفلتوا من عقابه . . إن هؤلاء سيصيبهم الجوع والوباء، ويهلك رجالهم، وتعقم نساؤهم، وتتقلص أعداد بيوتهم، وسيحطم الآلهة زيوس جيشهم الكبير، وجدران مدينتهم، وسفنهم في البحر) (٢٣٨ ــ ٢٤٧).

وهكذا يتبع هسيودوس كل الطرق ليبرز *قيمة العدالة* كركن آخر، إلى جانب *قيمة العمل* في قيام *(المجتمع الطيب)* كمثل أعلى يدور حوله الفكر السياسي عند الإغريق.

ولذلك يمكن أن نعدّ قصيدة *(الأعمال والأيام)* من أهم الوثائق عن التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العصور الأولى من تاريخ الإغريق، وكانت أول صوت ارتفع في تاريخ الإغريق من صفوف طبقة المزارعين، يدعو إلى الاهتمام بشؤون هذه الطبقة البائسة. وإن لم يكن في هذا الصوت شيء من الثورة - *إلا أنه في حقيقة الأمر - كان تمهيداً للثورات الشعبية في العصور التالية من تاريخ الإغريق.*

أما فيما يخص قصيدة (*أنساب الآلهة*) والتي تمثل القسم الثالث الأخير من الشعر التعليمي، فهي محاولة قيمة هدف بها مؤلفها إلى ترتيب الآلهة الأقدمين في سلسلة مترابطة منسجمة. والواقع أن هسيودوس بهذه المحاولة جدير بأن يلقب بالمنظم الأول لأساطير الإغريق المشوّقة، الحلوة الخيال الرائعة المعنى والمغزى. وتتناول هذه المنظومة الآلهة، *فتوضح لنا تاريخ نسبهم ومصادر نشأتهم وتقلبات الدهر التي مرت بأسرهم*، ولذا فهي تخلو من الخطط الدرامية، ولكن عنصر الوحدة فيها ظاهر للعيان، فالآلهة مرتبة فيها ترتيباً زمنياً، ولا ينقل الشاعر إلى سرد تاريخ جيل منهم قبل أن يفرغ من سرد كل ما يتعلق بالجيل السالف متناولاً أبناؤه واحداً واحداً بالتفصيل ذاكراً كل ما يتعلق بتاريخ حياة هذا الإله. ولعل أبرز ما في هذه المنظومة من حوادث ثلاث منها: *أولها* : نشأة الحياة باتحاد الفراغ والأرض وولادة السماء، ثم إنجاب الأرض أوائل المخلوقات. *وثانيها*: تمرد هذه المخلوقات واعتلاء أصغرها وهو خرونوس عرش أبيه وإشرافه على الكون بأسره. أما آخر فقرات منظومة هسيودوس فتحتوي قائمة بأسماء الآلهة الذين أنجبتهم زوجات وعشيقات زيوس المتعددات وكذلك أسماء أبناء أنجبتهم بعض الربّات للمختارين من البشر. وبشكل عام عرض الشاعر فيها وكما يدل على ذلك اسمها ، *لتاريخ الآلهة ، فتبين نشأتهم وأنسابهم وأصولهم وشعبهم، وتترجم لكل منهم، فتفصل وظائفه وأعماله، وتاريخ حياته، فهي من أقدم المصادر عن العقائد الدينية وتطورها عند الإغريق.*

٣ ــ المسرح التراجيدي (TRAGAIDIA):

تكمن الأصول الأولى للمسرح الإغريقي في الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في المناطق المختلفة من بلاد الإغريق، والتي كانت تدور حول عقيدة الإله *ديونيسيوس* (DIONYSIOS) *الذي كان إلهاً للحصاد والثمار والكروم، وإن كان قد اشتهر بصفته إلهاً للخمر*. والإغريق كانوا يقومون بهذا النوع من الاحتفالات

كمظهر من مظاهر الابتهاج والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة، إذا كان المحصول وافراً، أو كمظهر للابتهال أو التضرع لهذه القوى الإلهية إذا قصّر المحصول عن الوفاء المنتظر.

ولم تكن هذه الاحتفالات في الحقيقة بدعة اقتصرت على بلاد الإغريق، وإنما عرفتها مجتمعات أخرى من بينها مصر وسورية على سبيل المثال لا الحصر. *ففي سورية كانت تقام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول وتمجّد عودة الحياة، تدور حول الإله بعل أو (أدونيس) الذي قتله خنزير بري، ثم حاولت زوجته الآلهة عشتار أو (عشتروت) إعادته للحياة حتى تعود الحياة للطبيعة التي ماتت في الشتاء.*

وفي بلاد الإغريق استهدفت هذه الاحتفالات تصوير أسطورة هذا الإله، وهي الأسطورة التي اعتقد الإغريق أنها تعبر عن آلامه وأفراحه. *فقد كانت تصور الظواهر المتعاقبة التي تمر بشجرة الكروم، فشجر الكرم يبدو فاقداً للحياة حزيناً في الشتاء، ثم تعود إليه الحياة في الربيع وكأنما يعود إليه المرح، فتتفتح البراعم التي تمتد منها أغصان جديدة لا تلبث أن تغطيها نضرة الأوراق، ومع مجيء الصيف وحرارته تظهر الثمار ثم تنضج مع اقتراب الخريف وبعد أن تُجمع وتُعصر، تمتلئ بعصيرها الخوابي والدنان. وفي هذه المراحل المتعاقبة كان الإغريق يرون مراحل يمر بها ديونيسيوس من الألم والحزن إلى الفرح والمرح، ثم الانتصار.*

وهكذا كان ما يحدث في احتفالات هذا الإله هو خليط من الشعائر التي تتخذ شكلاً جاداً ينشد فيه المحتفلون قصة الإله. ومن الانطلاق الذي يعبر به المحتفلون عن تصوراتهم بأشكال مختلفة من بينها الرقص والغناء والفكاهة الخشنة التي تتعلق بالإخصاب أو الجنس بطريقة أو بأخرى. *وقد كان هذا العنصران هما الأصول الأولى للمسرح الإغريقي.*

وتُعد المسرحية التراجيدية في الواقع، البداية الحقيقية للفن المسرحي الإغريقي، لأنها كانت تحقق الشفافية عند الأفراد، وهو ما عُرف عند أرسطو بعملية التطهير (CHATHARIS) لأنها تطهّر نفسية البشر من كل الانفعالات المكبوتة [1]. وكانت في بداياتها الأولى بسيطة وملتزمة بأن يكون موضوعها ذا صلة بالإله ديونيسيوس فقط، والحوار لا يتعدى ممثلاً واحداً يقوم بتقمص دور كل الشخصيات التي يرد ذكرها في المسرحية، والجوقة هي العنصر الرئيسي في المسرحية، وكانوا أفرادها جميعا يلبسون جلد الماعز أثناء العرض، والجائزة التي تفوز بها أحسن مجموعات الإنشاد أو أحسن الممثلين، كانت عنزاً، ومن هنا أصبح اسم المسرحية التي من هذا النوع (تراجيدية) (TRAGAIDIA) (وهي كلمة إغريقية مركبة من كلمتين (TRAGOS) بمعنى العنز و (OIDIA) بمعنى أغنية أو الأغنية العنزية).

ولكن منذ أوائل القرن الخامس ق.م، شهدت المسرحية التراجيدية تطوراً سواء في المضمون أم في الشكل والأداء. فمن حيث المضمون لم يعد موضوع المسرحية يدور حول ما يتصل بالإله ديونيسيوس، وإنما أصبح يدور عموماً حول الصراع بين الآلهة والإنسان، أو بين القدر والإنسان، أو بين الخير والشر، أو حول موضوعات أخرى من هذا القبيل. ومن حيث الشكل تطور عدد الممثلين من ممثل واحد وربما أربعة، كما ظهرت تحسينات أخرى تتصل بالإخراج ومستلزمات المسرح عموماً [2].

وقد تم هذا على يد عدد من الشعراء التراجيديين وهم على التوالي حسب أقدميتهم الزمنية ثلاثة:

---

1 – انظر : عاصم أحمد حسين ، ص ٤٣ .

2 – للمزيد من التفاصيل حول المسرح الإغريقي انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، بيروت ١٩٧٩م ، ص ١٨٩ — ٢٢٤ .

آ ـ إيسخيلوس (AESCHYLUS ٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق٠م) :

يعدّ الكاتب المسرحي الإغريقي (*إيسخيلوس*) *أبا للتراجيدية الإغريقية*، وإليه يرجع الفضل في وصول التراجيدية الإغريقية إلى الصورة التي نعرفها بها٠٠ فقد تخطى مبدأ الممثل الواحد ليدخل في مسرحياته ممثلاً ثانياً، وهو أمر أدى إلى زيادة عنصر الحوار على حساب الغناء أو الإنشاد عند الكورس مما مكّن من تضمين المسرحية مواقف يبرز فيها الصراع بين وجهات النظر المختلفة أو المتعارضة٠٠ هذا إلى جانب اهتمام إيسخيلوس بتطوير الأقنعة (*التي كانت لازمة طالما كان الممثل الواحد يقوم بدور عدد من شخصيات المسرحية رجالاً ونساء*) بحيث تعطي تعبيراً دقيقاً عن ملامح الشخصية وصفتها الأساسية (*البطولة أو الشراسة أو النذالة ٠٠ إلخ*)٠ وإلى جانب اهتمامه بثياب الممثلين حتى تتناسب مع الأدوار التي يقومون بها٠٠ وقد استطاع إيسخيلوس أن يعبر من خلال كل هذا عن القيم والمعاني الكبيرة التي ضمنها مسرحياته والتي كانت تدور في أغلبها حول الإرادة الإلهية كقيمة تشير إلى الخط السليم وربط الصراعات التي يزخر بها المجتمع ٠

وثمة اختلافات بين المؤرخين حول عدد المسرحيات التي كتبها إيسخيلوس، فبعضهم يقدّرها بتسعين مسرحية وبعضهم بسبعين، غير أن ما هو موجود منها كاملاً سبع مسرحيات فقط[1]. وكانت من أهم مسرحياته (*ثلاثية بروميثيوس*) التي بقي منها (*بروميثيوس مقيداً* (PROMETHEE ENCHENE) وكُتبت في عام ٤٦٥ق٠م، و (*ثلاثية أورستيا*) التي كُتبت في عام ٤٥٨ق٠م وتضم مسرحيات

---

[1] ـ انظر : هوانينج (فرانك م)، المدخل إلى الفنون المسرحية، ترجمة مجموعة من الدارسين، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٥ ٠

(آجاممنون AGAMEMNON) و (حاملات القرابين LES CHOEPHORES) و(آلهات الرحمة LES EUMENIDES) [1] .

وقد اقتبس إيسخيلوس معظم أحداثه من الشعر القصصي الحماسي، ومن ثم كان يقول (*إنني لأقتنع بما يتساقط من مائدة هوميروس*) لأنه اقتبس معظم قصصه من الأساطير المتداولة في جميع بلاد الإغريق .

أما من حيث المنهج العلمي الذي اتبعه إيسخيلوس في مسرحياته، فهي كانت مسرحيات سهلة في تراكيبها وأساليبها ودلالاتها يفهمها المثقفون، كما يفهمها عامة الناس، فهي مجردة من كل صبغة فلسفية، وليس فيها أي مسحة للجدل العلمي ولا للبحث العميق. أما موضوع هذه المسرحيات، فقد كان إيسخيلوس يتجه في جميع مسرحياته إلى تمثيل ضعف الإنسان أمام قوة الآلهة وقوة القضاء، وكان يحاول أن يظهر إرادة الإنسان ضئيلة سيئة النظر في مصائر الأمور . . وقد حمله على ذلك على أن يجعل للآلهة أو للقضاء المكانة الأولى في المسرحية .

ب ــ سوفوكليس (SOPHOKLES ٤٩٦ ــ ٤٠٦ ق.م) :

وبعد سوفوكليس ثاني هؤلاء الشعراء المسرحيين الكبار الذين أسهموا في تطوير التراجيدية الإغريقية، وقد تمثل إسهامه في هذا التطوير بإضافة ممثل ثالث، مما فتح بالضرورة مجالاً أوسع لإمكانيات الحوار ومن ثم خدمة مواقف الصراع التي تحتويها المسرحية، كما شمل هذا الإسهام زيادة سرعة الحركة وسهولتها في المسرحية على حساب بعض العناصر التقليدية التي كانت تعوق هذه السرعة (*مثل الإطالة في المقطوعات التي كان ينشدها الكورس*) وإدخال فكرة تلوين المنظر الذي كان بمثابة خلفية خاصة للممثلين .

---

[1] – انظر : علي عبد الواحد وافي ، الأدب اليوناني القديم ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

ويذكر المؤرخون القدامى، أن مسرحيات سوفوكليس بلغت مئة وثلاثاً وعشرين مسرحية، *وثمانين منها نالت إعجاب الجمهور*، وحصل على أولى جوائزه وهو في الثانية والعشرين، وعلى آخرها وهو في الخامسة والثمانين، وظل يسيطر على المسرح الأثيني ثلاثين عاماً.

ولم يبق لنا من آثار سوفوكليس إلا سبع مسرحيات نرتبها فيما يلي حسب تاريخ تمثيلها : (*أجاكس ، انتيجوني، الكترا، أوديب ملكاً، التراكينيات، فيلوكتيت، أوديب في كولونس*) .

أما من حيث المنهج العلمي الذي اتبعه سوفوكليس في مسرحياته، فقد كان على العكس من سلفه إيسخيلوس .. *فمسرحيات سوفوكليس فيها كثير من مظاهر التأثر بالفلسفة والجدل والخطابة، كما تسمو في لغتها وتراكيبها ودلالاتها عن مستوى العامة من الناس. . أما موضوعها العلمي فكان إبراز عنصر البطولة في الإنسان، وإثبات أن الإرادة الإنسانية تملك حظاً وافراً من حرية الاختيار، واعتراف بالشخصية الإنسانية، وتحرير لها من ربقة الآلهة والقضاء* [1] .

ج ـ يوروبيدس (EURIPIDES ٤٨٥ ـ ٤٠٦ ق.م) :

ثم يأتي ثالث هؤلاء الشعراء وهو يوروبيدس، الذي كان أبرز ما أسهم به في تطور المسرح التراجيدي يتعلق أساساً بمضمون المسرحيات الذي اعتنى به عناية خاصة، وعالج على عكس سلفيه إيسخيلوس وسوفوكليس موضوعات جديدة على المجتمع الإغريقي تتصف بالابتكار والتجدد لا تزال تشغلنا حتى الآن مثل: *إحساسه بمشكلات الجنس البشري، تقصي القوانين الأخلاقية والبواعث التي تحدد سلوك بني الإنسان، الدعوة إلى الإصلاح السياسي، الدعوة إلى السلم ونبذ الحروب،*

---

[1] ـ انظر : المرجع السابق ، ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ .

الدعوة إلى الإنصاف في الحق بين الأقوياء والضعفاء، الدعوة إلى محاربة الرق والرجعية الفكرية، وإلى نبذ الماضي والتعصب الأعمى للقديم، وإلى نبذ العوائق التي تقف في وجه تحرير المرأة، ونبذ الخرافة والتعصب أو التزمت في الدين، فكان ثائراً ومجدداً وواقعياً.

ويذكر مؤرخو العصور القديمة، أن يوروبيدس قد كتب اثنتين وتسعين مسرحية، ولكن لم يبق منها إلا تسع عشرة مسرحية كاملة، والمعروف منها يقينا في العصر الحاضر ثماني مسرحيات وهي على الشكل التالي حسب تواريخ تمثيلها : *(ألسست، ميدية، هيبوليت متوّجاً، الطرواديات، هيلانة، أورست، إيفجينيا في أوليس، الباخوسيات)*. وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول: إن يوروبيدس في حربه الشعواء ضد الرجعية الفكرية، وضد التعصب الأعمى للقديم، راح يبشر بولادة عصر جديد.. وليس من العسير علينا، أن نتصور يوروبيدس في حياته كان رجلاً يكرهه الناس لآرائه السابقة للزمن.. وإن لم ينل وهو حي سوى أربع جوائز أولية، ولكنه أصبح بعد موته أشهر روائي أثيني.. وكان يوروبيدس بوصفه رجلاً مشككاً واقعياً، يميل إلى مواساة الذليل ونصرة المظلوم، وهو بوصفه مفكراً عميقاً، استطلاع سر أغوار الطبيعة الإنسانية. وهذا مما دعا كبار المفكرين الحديثين إلى التساؤل *(هل انجبت أمم الأرض بعد يوروبيدس كاتباً مسرحياً جديراً بأن يخلفه)*[1]، والجواب عن هذا أنها لم تنجب أكثر من كاتب واحد والمقصود بذلك *(شكسبير)*.

٤ ــ المسرح الكوميدي : *(COMEDY)* :

نشأ لفظ كوميدية *(COMEDY)* من كلمتين يونانيتين هما *(كوموس- أودي) (COMES _ ODE) أي الأغنية الريفية)*، بما فيها من ضحك وصخب، ثم تطورت حتى أصبحت فناً رفيعاً يعرف كيف ينتزع الضحكات من الجمهور بعد تفهم نفسيته ومزاجه، وكانت الكوميدية سيدة هذا النوع من الأدب بلا منازع.

---

1. MURRAY . G : EURIPIDES AND HIS AGE N . Y 1913 .

وتتميز الكوميدية عن التراجيدية، في أن الكوميدية لم تتخذ موضوعاتها من الأساطير أو قصص الأطفال أو الصراع بين الآلهة والإنسان، أو بين القدر والإنسان، أو بين الخير والشر، أو حول موضوعات أخرى من هذا القبيل كما هو الحال في التراجيدية، بينما تستمد الكوميدية موضوعاتها من المفارقات التي كانت تنطوي عليها حياة المجتمع نفسه في جوانبه المختلفة . كنقد كل ما هو حديث من النظم والتقاليد والأوضاع واستهجانه وعرضه في صور هزلية مضحكة، ومحاربة النظريات الفلسفية الحديثة التي أخذ السفسطائيون في ذلك العهد ينشرونها بين الناس، بل إلى محاربة الدراسات الفلسفية على الإطلاق لاختلافها مع المناهج القديمة للتفكير الإغريقي، وإلى محاربة ما استحدث من وسائل الترف والرفاهية عند ذوي اليسار من الناس، وإلى محاربة جميع ما استحدث من وسائل الإصلاح والتهذيب والرقي في النواحي المادية من حياة الأفراد والجماعات .

واتجهت كذلك الكوميدية الإغريقية، ولاسيما في المراحل التي نعمت فيها بحرية واسعة إلى نقد رجال الحكم والسخرية بهم ، وتضمينهم زلاتهم وأخطائهم، واستهجان ما يسيرون عليه من مناهج في إدارة شؤون البلاد .. وبذلك كانت تتجاوب الكوميدية الإغريقية مع الروح السائدة في ذلك العهد عند جمهور الشعب في شؤون السياسة . ولما كان نظام الحكم حينئذ هو **النظام الديمقراطي**، فإن نقد الكوميدية للمسؤولين عن تنفيذه ومبالغتها في استهجان ما يسيرون عليه من مناهج يجعلها تبدو بمظهر المستهجن للنظام الديمقراطي نفسه، والحقيقة أنها ما كانت تهدف إلى مثل هذه الأغراض العميقة، وأن معظم همها كان يتجه إلى السخرية والتسلية والإضحاك، وأن نقدها كان ينصب على أفراد الحكام لا على أصول الحكم ونظم السياسة .. ومع ذلك فإن نقد أفراد الحكام في أمور تتعلق بمهماتهم ووظائفهم، وإن كان القصد منه إثارة الضحك والسخرية، وإن كان بعيداً عن قصد

التعرض للنظم السياسية في الحكم، كان ينطوي على نقض لبعض المناهج العامة المتبعة في شؤون الإدارة وطرائق التنفيذ، ولاسيما إذا كان مؤلف الرواية من ذوي البصر العميق، كما هو الشأن في **أريستوفانس** وكثير من زملائه شعراء الكوميدية في القرن الخامس ق.م .

وقد كانت اللغة السائدة في حوار ممثلي الكوميدية وغناء جوقتها اللغة السهلة المتداولة، التي لا تعنى بالبلاغة والزخرف والعبارات الطنانة، ولكنها تستخير الجمل المؤثرة وعبارات النقد اللاذع، وأشد الألفاظ إثارة للضحك والتسلية .

ومما ساعد على وصول المسرح الكوميدي إلى قمته في هذه الفترة، أن أثينة كانت قد وصلت في تلك الفترة إلى ذروة تطورها الديمقراطي الذي أتاح الفرصة الكاملة للمواطن الأثيني في التعرض لمشكلاته بهدف إلقاء الضوء عليها بالصورة التي تروقه، وكان من أبرز شعراء الكوميدية (**أريستوفانس**) الذي سنتعرض له بشكل موجز .

أريستوفانس (ARISTOPHANES ٤٥٠ ــ ٣٨٥ق.م) :

بلغ المسرح الكوميدي هذه القمة على يد (**أريستوفانس**)، الذي لمع اسمه كشاعر مسرحي كوميدي في هذه الفترة، وقد كتب ما يربو على أربعين مسرحية وصلت إلينا منها إحدى عشرة مسرحية في صورها الكاملة، وفي هذه المسرحيات يوجه هذا الشاعر المسرحي انتقاداته صريحة مرة، مقنعة مرة ولكنها ساخرة لاذعة دائماً، إلى التناقضات التي زخرت بها حياة الأثينيين آنذاك سواء في ذلك ما يتعلق بالنظام الديمقراطي أم بالانحرافات الثقافية أم بالأفكار الاشتراكية التي سادت لبعض الوقت (*ولاسيما في أعقاب الحرب البلوبونيزية وما نتج عنها من هوة اجتماعية بين قلة مترية زادت ثراء، وكثرة فقيرة زادت فقراً*)، أو بالتأرجح بين اتجاهي الحرب والسلام، أو غير ذلك .. *وقد أبدع أريستوفانس في كل هذا فوجه أشد*

النقد للأوضاع والشخصيات، وكان ذلك في فكاهة تجعله مقبولاً لدى المشاهدين، وساق كل موقف من مواقفه بقدرة لا تنضب على المعالجة، تظهر مرة على صورة مشهد هزلي يضج به الممثلون حركة وحواراً، ومرة على صورة نشيد يفيض عذوبة يتغنى به المنشدون من أفراد الكورس، وتظهر مرة ثالثة في رد أو تعليق لا يتجاوز جملة واحدة أو بضع كلمات ولكنه يلخص بطريقته الخاصة موقفاً كاملاً بكل جوانبه .

والمسرحيات الإحدى عشرة التي وصلت إلينا كاملة - كما ذكرنا سابقاً- هي على الشكل التالي: (*الأكارنانيين، والفرس، والزنابير، والسلم، والسحب، والطيور، وليسستراتا، وأعياد ديميتر، والضفادع، وجمعية النساء، وبلوتوس*)[1].

وقد تركت الآراء التي بثها أريستوفانس في مسرحياته آثاراً عميقة في اتجاهات الشعب الأثيني ومواقفه حيال ما كان يسير عليه من نظم ، ويؤمن به من عقائد، ويقدم إليه من فلسفات.. *وبفضل أريستوفانس بلغ التمثيل الكوميدي عند الإغريق أقصى درجة أتيح له أن يبلغها في سلم الرقي والكمال .*

وفي نهاية حديثنا عن المصادر الكتابية غير المباشرة في (*الأدب الإغريقي*) لا يسعنا إلا أن نقول: إننا لا نستطيع أن نعتمد على الأشخاص أو الحوادث التي تجيء في هذه المسرحيات على أنها أشخاص أو حوادث حقيقية، ولكن مع ذلك فهناك شيء ما صادق في المسرحية. وهو تصوير كاتب المسرحية للفكرة التي يعرضها والتي لا بد أنها تمثل فكرة واردة في تصور المجتمع الذي يعيش فيه، سواء أكانت واردة على نطاق واسع، أي بين صفوف أكبر قسم من المجتمع، أم على نطاق ضيق في قسم محدود من هذا المجتمع .. كذلك فإن التفاصيل الصغيرة للتصرفات التي

---

[1] - انظر تفاصيل موضوع كل مسرحية في: **علي عبد الواحد وافي**، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٩ .

تقوم بها الشخصيات والتي تخص أعمالهم وحركاتهم وتصوراتهم وعاداتهم المباشرة اليومية الصغيرة، هي تفاصيل صادقة لأن الكاتب لا يمكن أن يخترع لأبطال مسرحيته عادات غير عادات البيئة التي درج فيها، فالكاتب هو ابن بيئته دائماً مهما كانت الأفكار التي يريد أن يعرضها .

٥ ـ علم دراسة الأساطير (MYTHOLOGY) :

آ ـ أصل الأسطورة :

لاشك أن الأسطورة هي عمل إبداعي إنساني محض ، ولكن هذا الإبداع قد تم بطريقة لا شعورية، أي لم يكن العقل الذي أبدع الأسطورة واعياً بالخيال الذي تخلقه ، فلذلك يجب التعامل مع الأسطورة على أساس أنها مادة إنسانية لا تخضع لمناهج التقنين والتجريب كالقوانين العلمية، لأن الأسطورة لا تقبل التصنيف أو التعميم أو التبسيط، ولا تبحث عن خصائص الأشياء التي تحاول وصف ظاهرة طبيعية ، ومن هنا يختلف الفكر العلمي عن الفكر الأسطوري، فالأول يقوم بوصف ظواهر الطبيعة والمسببات التي تكمن وراء هذه الظواهر وصفاً موضوعياً بحتاً، يمكن إخضاعه لمناهج التقنين والتجريب، أما الفكر الأسطوري فهو يصف الطبيعة بأحاسيس الإنسان وتخيلاته وتصوراته [1].

فالأسطورة علم مبكر، وعلى الرغم من ذلك فإنها نالت قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين والعلماء وأهمهم جميعاً (*توماس بلفنش ١٧٩٦ ـ ١٨٦٧م*) في كتابه (*عصر الأساطير*)، وفيه يعيد أصل الأسطورة إلى أربع نظريات أساسية :

---

١ ـ انظر : سعد عبد العزيز، الأسطورة والدراما، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢، ص ٧ ـ ١١ ، ثم انظر: حسين الشيخ ، اليونان، القاهرة ١٩٩٧ م، ١٠١ ـ ١٢٤ .

١ ــ *نظرية الكتب المقدسة* : وهي التي تذهب إلى أن جميع القصص الأسطورية مقتبسة من روايات الكتب المقدسة، عرفتها الشعوب على فترات طويلة ووردَ ذكرها عند كل شعب في كتبه المقدسة، وهذا هو سبب التشابه بينها عند مختلف الشعوب، فأسطورة (*ديوكاليون* (*DEUCALION*) اليونانية تقابل قصة الطوفان عند السومريين، وأعمال البطل (*هيراكليس* *HERACLES*) تقابل أعمال شمشون الجبار .

٢ ــ *النظرية التاريخية* : وهي التي تذهب إلى أن جميع الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الأساطير كانوا يوماً ما كائنات بشرية حقيقية، ملوكاً أو زعماء أو قادةً عاشوا على الأرض وقاموا بأعمال عظيمة فنسج الخيال الشعبي قصصاً تمجيداً لهم ورفعهم إلى مصاف الآلهة أو أنصاف الآلهة اعترافاً بفضلهم مثل (*أيولوس* (*AEOLUS*) إله الرياح الذي كان في الأصل ملكاً يحكم عدة جزر في البحر التيراني، علّم رعاياه كيف يستعملون الأشرعة ويستخدمون السفن واتجاه الريح من ملاحظة الظواهر الجوية، ويزعم المؤمنون بهذه النظرية أن (*كادموس* (*KADMOS*) *الذي تزعم الأسطورة أنه ذهب للتفتيش في بلاد اليونان عن أخته التي اختطفها زيوس ، وأنه بذّر الأرض بأنياب الثعبان الذي قتله ، ومنها نبت محصول الرجال*) لم يكن في الواقع، إلا مهاجراً من فينيقية استحضر معه إلى بلاد اليونان معرفة حروف الهجاء وعلمها للأهالي وبنى فيها مدينة طيبة، ولكن على مر الزمن، كما يزعم أنصار هذه النظرية أقحم على هذه القصص بعض الزيادات والزخارف في عهود لاحقة حتى أصبحت على ما هي عليه الآن .

٣ ــ *النظرية المجازية* : وتفترض هذه النظرية أن كل أساطير الأقدمين مجازية ورمزية وجدت لتعلم الناس بعض الحقائق الحياتية والأخلاقية، واحتوت على بعض الحقائق الأدبية أو الدينية أو الفلسفية، أو على الواقع التاريخي بشكل مجازي، ولكن بمرور الزمن استوعبها الناس على أساس ظاهرها الحرفي، وعلى هذا فإن (*هيراكليس*) نصير المظلومين يمثل الحق، و(*باريس*) الوسيم يمثل التهور والغرور

و(*هيلليني*) تمثل مغريات الحياة. وغير ذلك من الأساطير التي ترمز إلى وقائع حياتية معروفة كأسطورة (*بروميثيوس*) الشهيرة .

٤ ـــ ***النظرية الطبيعية*** : وبمقتضاها كانت عناصر الطبيعة مثل الهواء والنار والماء محط العبادة الرئيسة، وكانت الآلهة الرئيسة مشخصات من قـوى الطبيعـة. ويعتقد العلماء الطبيعيون سهولة التحول من فكرة تشخيص العناصـر ، إلى فكـرة تسليط الكائنات الخارقة على مختلف قوى الطبيعة وحكمها، ولعل اليونانيين من بين جميع أمم الأرض ذات التراث الأسطوري بحكم خصب خيالهم، جعلوا من الطبيعـة بأكملها مأهولة بكائنات لا مرئية، وجعلوا لكل عنصر من عناصر الطبيعة إلهاً معيناً، ومن هنا كان (*زيوس*) إلهاً للصواعق، و (*بوسيدون*) إلهاً للبحر، و (*هيفايستوس*) إلهاً للبراكين .

وباختصار شديد، هذه هي أهم النظريات المتعلقة بالأساطير القديمة، ***ولكـن ليس من شك في أن جميع هذه النظريات تحتوي على نصيب من الحقيقة، ولكـن ليس فيها ما يمثل الحقيقة برمتها***، وكلها غير صالح ولا يستقيم العمل بـه إذا مـا تناولنا كل نظرية على حدة، ولذلك فمن الأصح أن يقال إن أساطير أمة مـا، قـد انبثقت من جميع هذه المصادر مجتمعة لا من مصدر واحد معين، ولنا أن نضيف أيضاً أن ثمة أساطير كثيرة برزت من رغبة الإنسان في تفسير بعض مظاهر الطبيعة الـتي لم يدرك كنهها، كما أن عدداً غير قليل من الأساطير قد ظهر من رغبة ماثلة في تعليل أسماء بعض الأشخاص والأماكن .

ب ـــ تفسير الأسطورة :

أشرنا إلى، أن جميع النظريات المتعلقة بالأساطير القديمة تحتوي على نصيب من الحقيقة، ولكن ليس الحقيقة برمتها. ***لذا يجب التعامل مع الأسطورة بحذر ودقـة شديدين***، إذ أنه من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ الأسطورة، بمعنى أول ظهـور لهـا كنص كتابي، ونفس الصعوبة تظهر عند محاولة تحديد المكان الـذي نشـأت فيـه

الأسطورة، لذا يجب التعامل مع الأسطورة من خلال منهج محدد، يتلخص في الجوانب الأربعة التالية :

١ ـ ***الأسطورة هي رمز لحقيقة فلسفية قديمة***، يمكن الوصول إليها عن طريق دراسة الأسطورة وتحليلها مع مقارنتها بالظروف البيئية والتاريخية التي نشأت فيها، لأن الأسطورة بكل ما تتضمنه من صور ورموز لا بد أن تحمل مضموناً فلسفياً عميقاً، وإذا أخفقت الأسطورة هذا المعنى فمهمة الفلسفة أن تقوم بعملية التفسير لهذه الصور والرموز .

٢ ـ ***الأسطورة هي انعكاس لعمليات وظواهر طبيعية***، لم يستطع الإنسان القديم تفسيرها، كظواهر الحمل والولادة ودورة النبات والزلازل والبراكين والفيضانات ومواسم القحط وغيرها، مما دعا به لتقديسها ونسج العديد من الروايات حولها .

٣ ـ ***الأسطورة هي انعكاس للظروف النفسية التي يحياها الإنسان من خلال احتكاكه بالبيئة المحيطة به***، ومحاولته المستمرة للتواؤم مع هذه البيئة، وفي حالة فشله في إحداث هذا التوافق تظهر الأسطورة كنوع من التعويض عن هذا الفشل.

٤ ـ ***الأسطورة هي وصف وسرد لحقائق ومواقف وأحداث تاريخية موغلة في القدم وذات طابع منفرد***، وبمرور الزمن تتحول هذه الحقائق إلى أساطير[1] . وكان (*ابوهيميروس*) الذي كتب في نحو القرن الرابع ق.م، أول من نادى بأن الأسطورة ما هي إلا حادثة تاريخية قديمة حدثت بالفعل، ثم بمرور الوقت ودخول العديد من الإضافات التي غالباً ما تحدث نتيجة لنقل الحادثة عن طريق الرواية الشفهية، أن تحولت الحادثة التاريخية إلى أسطورة .

ويختلف المؤرخون المحدثون من دارسي الأساطير، اختلافاً جذرياً في نظرتهم حول طبيعة الأساطير القديمة وتفسيرها، فهناك الذين ينظرون إليها كأنها روايات وهمية خرافية، ويناقضهم في ذلك أولئك المؤرخون الذين يؤمنون بأن أساطير العالم

1- _ ROSE . H . J . GREEK MYTHOLOGY . METHUEN . 1953 . P 9 _ 10 .

القديم، إنما تمثل واحدة من أعمق منجزات الروح الإنسانية، وهناك مجموعة أخرى ممن يجادلون بأن الأسطورة القديمة، إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناسك والشعائر، وأن الأسطورة صورة عاكسة لذلك[1] .

ومع أن المؤرخين المحدثين قد تناولوا الأساطير بأسلوب حديث وعالجوا مضمونها ومصادرها، إلا أنها مازالت لم تُعالج المعالجة الدقيقة، كمصدر من مصادر التاريخ اليوناني القديم [2] .

وللأسطورة أهمية خاصة في دراسة أي مجتمع ، إذ أنها تفسّر الكثير عن حقائق هذا المجتمع بكل جوانبه المادية والمعنوية والروحية ، ***فالأساطير الإغريقية على سبيل المثال*** ، تفسّر لنا الكثير في هذا المجال فيما يخص المجتمع الإغريقي في عصره الباكر . فلذلك نرى أن معظم الكتّاب والمؤرخين والفنانين حديثاً وقديماً تأثروا بالأساطير الإغريقية، ولا نجد عملاً أدبياً أم فنياً يخلو من تأثيرها، وملحمتا هوميروس في (***الإلياذة والأوديسة***) أكبر دليل على ذلك، لما احتوته على صور عديدة من الأساطير الإغريقية، وعرّفتنا على نواحٍ كثيرة، وحقائق موضوعية تخص هذا المجتمع لما تتضمنه من أفكار وحقائق وخيالات وأوهام، وبما تصوّره من مشاعر وعواطف وانفعالات وأحاسيس، وبما تظهره لنا من لوحات حية للقوة والبطولة والتضحية والنبل والسيطرة والعنف والخنوع والجبن، ومن صور السعادة والبؤس والأمل واليأس والرجاء ، كل هذه جوانب أساسية صادقة التصوير والتعبير عن حياة المجتمع الإغريقي .

وباختصار يمكن القول، إن الأساطير الإغريقية تلقي أضواء لافتة على ما كان عليه الإغريق، وتعرّفنا على الاتجاهات العامة الذي كان يعيشها هذا المجتمع في

---

[1] – انظر : **صموئيل نوح كريمر** ، أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٧ وما بعدها .

[2] – انظر : **عبد المعطي شعراوي**، أساطير إغريقية، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١١ وما بعدها .

مختلف جوانبه . ولذلك فأنه من أجل فهم التراث الإغريقي أو دراسته أو تذوقه يجب الإلمام بالأساطير ، ولا أدل على أهميتها في نظر القدماء من استعانة كثير من مؤرخي التاريخ الإغريقي القديم أمثال (*هيرودوت*) و شعراء المسرح التراجيديين (*أيسخيلوس*) و (*سوفوكليس*) و (*يوروبيديس*) والكوميديين مثل (*أريستوفانس*) بكثير منها في كتاباتهم ، بل البحث في مضمون أحداثها ودلالاتها .

وأخيراً وعلى الرغم من أن الأسطورة ، في حد ذاتها صورة خيالية لكاتبها ، إلا أنها تعكس كثيراً من صور الحياة الاجتماعية والسياسية ، وكانت تمثل جزءاً من التراث الشعبي ، فإنه من الممكن عدّ الأسطورة مصدراً أدبياً يمكن الاستعانة به ، إذا كان مطابقاً لأي مصدر وثائقي أو أدبي .

ج ــ مصادر دراسة الأساطير الإغريقية :

اعتمدت معظم الأساطير الإغريقية بدرجة كبيرة جداً على الشاعر الروماني (*أوفيد* (*OVID*) الذي قام بالكتابة خلال حكم أوغسطس (٦٣ق.م ــ ١٢ م) ولا يمكن أن يُقارن أوفيد في هذا المجال بأي كاتب قديم آخر ، لأنه قام برواية كل الأساطير التي نعرفها من خلال الأدب والفن ، فكان شاعراً جيد الأسلوب وقاصاً مبدعاً قادراً على تذوق الأساطير . ولكن الغريب عند (*أوفيد*) أنه كان يمقت الأساطير وينظر إليها نظرة ازدراء واستخفاف ، وكان بعيداً عنها كل البعد أكثر منا نحن في هذه الأيام وهو الذي كتب :

من الشعراء القدامى اقتطفت أكاذيب المولات
ما لم يدركه عقل ، ولا رأته عين بشر

ويقول لقارئه في الخاتمة (*لا تتصور كم هي سخيفة ، سوف ألبسها لك حلل الجمال حتى أحببها لك*) . ويعتبر مؤلفه (*التحولات*) مصدراً رئيسياً للأساطير اليونانية والرومانية ، ويتعرض فيه بشكل مباشر لفكرة التغيير الذي قد يطرأ على الكائنات سواء بشرية أو غير بشرية ، إضافة إلى بعض الأعمال الأخرى المليئة بالأساطير مثل (*فن الحب*) و (*علاج الحب*) و (*الأعياد*) .

ويأتي على رأس قائمة الكُتّاب الكبار الذين عن طريقهم وصلتنا الأساطير (*هوميروس*) كاتب الملحمتين العظيمتين (*الإلياذة والأوديسة*) اللتين تحتويان على أقدم ما نملك من أساطير يونانية ، وقام (*هوميروس*) بكتابتهما في العام الألف الأول ق.م على وجه التقريب .

ويلي (*هوميروس*) في الأهمية والترتيب الزمني شاعر آخر من القرن الثامن ق.م وهو(*هيسيودوس*) في ملحمتيه (*الأعمال والأيام*) و (*أنساب الآلهة*) ، وتعرّض في *الأولى* إلى توجيه النصائح وتعليم الفلاحين كونه فلاحاً بسيطاً ، العمل الشريف والكدح في كسب العيش ، وشرح فيها حقوق الفلاحين وواجباتهم . أما في *الثانية* ، فقد عرض فيها — وكما يستدل من اسمها — لتاريخ الآلهة ، فبين نشأتهم ، وأنسابهم ، وأصولهم ، وشعبهم . وترجم لكل منهم وفصّل وظائفه وأعماله وتاريخ حياته . ولذلك تعتبر هذه الملحمة من أقدم المصادر عن العقائد الدينية وتطورها عند الإغريق .

ويلي أشعار(*هيسيودوس*) في الأهمية (*القصائد الهوميرية*) ، وهي عدد من القصائد تقدّر بثلاث وعشرين نظمها عدد من الشعراء في القرنين الثامن والسابع على غرار أشعار هوميروس فعرفت بذلك الاسم . ولعل أهم هذه القصائد من الناحية الأسطورية القصيدة الأخيرة التي يعتقد بعض العلماء بأنها تعود إلى القرن الخامس أو الرابع ق.م .

وبعد ذلك يأتي (*بندار*) الطيبي ، وهو أحد أشهر الشعراء الغنائيين عند الإغريق وعاش في نهاية القرن السادس ق.م ، كتب القصائد والأناشيد على شرف الفائزين في الألعاب الأولمبية الإغريقية، ويروي لنا في كل قصيدة من قصائده الأساطير أو يشير إليها . ويقسّم مؤرخو الأدب الإغريقي قصائد (*بندار*) إلى أربع مجموعات من القصائد هي : *مجموعات القصائد الأولمبية ، والقصائد البيثية ، والقصائد النيمية ، ثم مجموعة القصائد الأسثمية* .

أما المسرحيون التراجيديون أمثال (*ايسخيلوس*، *وسوفوكليس*، *ويوروبيدس*) الذين عاشوا كلهم في القرن الخامس ق.م، كتبوا جميع مسرحياتهم من الأساطير، بالإضافة إلى الكوميدي (*اريستوفانس*) الذي عاش في نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م، ترك لنا ثروة من المسرحيات الكوميدية تتضمن معلومات عن أشهر الأساطير اليونانية المعروفة.

وفي منتصف القرن الثالث ق.م، عاش الشعراء الإسكندريون، وقد سموا بالإسكندريين لأنهم عندما كتبوا، كان المركز الأدبي قد انتقل من بلاد الإغريق إلى الإسكندرية في مصر، وأهم هؤلاء الشعراء (*أبولونيوس الرودوسي*). ولكن هؤلاء الشعراء افتقدوا بساطة هيسيودوس، وإيمان بندار بالآلهة، وذهبوا بعيداً عن عمق جاذبية نظرة الشعراء التراجيديين في الدين، بيد أنهم مع ذلك لم يغالوا في استخفافهم للدرجة التي وصل إليها الشاعر الروماني (أوفيد).

وكتب في الأساطير أيضاً (*أبولودوروس*) الإغريقي، الذي كان أعظم كاتب قديم في الأساطير بعد أوفيد، لكنه كان محدوداً جداً، على غير ما كان أوفيد. ثم يأتي (*باوسانياس*) الإغريقي أيضاً، الذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد، وهو رحالة ومؤلف كتاب (*وصف العالم*) ويحدثنا فيه كثيراً عن الأحداث الأساطيرية، التي يزعم أنها وقعت في الأماكن التي زارها، وكتب عنها بكل جدية.

ومن بين الكتّاب الرومان يأتي (*فرجيل*) في مقدمتهم، الذي لم يؤمن بالأساطير أكثر من أوفيد ولكنه اكتشف فيها الطبيعة البشرية، وهذا ما لم يفعله أحد من التراجيديين اليونانيين. ثم يأتي الشاعر (*كاتولوس*) الذي روى عدداً من القصص، ولكنها ليست بذات أهمية كبيرة بالنسبة للميثولوجيا اليونانية. وبكل الأحوال كانت الأساطير بالنسبة للكتّاب الرومان أشبه بظلال، على عكس زملائهم اليونانيين الذين كانوا يؤمنون بما يكتبون، وكانوا أهم مرشد لمعرفة الميثولوجيا اليونانية.

Damascus University

الفصل الرابع

تاريخ الإغريق الباكر

(١) الحضارة الإيجية

إنّ قدم الحضارة الهيللينية (HELLENIC CIVILIZATION) في بلاد الإغريق، لم يبدأ إلا مع أول ألعاب أولمبية عام ٧٧٦ق.م[1]. مع هذا فإن علم الآثار قدّم معلومات جديدة ألقت أضواء على حضارتين إغريقيتين باكرتين فاقتا الحضارة الهيللينية قدماً وعراقةً، ومهدتا السبيل لظهورها قبل هذا التاريخ بعصور عديدة، *والحضارتان الرئيسيتان في هذا المجال لم تكن أولاهما إغريقية، وإن كان تأثيرها قد امتد إلى بلاد الإغريق وهذه هي الحضارة الإيجية* (AGEAN CIVILIZATION) . *والثانية كانت إغريقية وبدأت في قلب بلاد الإغريق ، وانتشرت خارجها وهذه هي الحضارة الميكينية* (THE MYCENEAN CIVILIZATION) . ولنبدأ بالحديث عن أولى هاتين الحضارتين، وهي الحضارة الإيجية نسبة إلى (*بحر إيجة*) التي تسمى كذلك باسم الحضارة الكريتية نسبة إلى (*جزيرة كريت*) وهي أقوى مراكزها ، *أو الحضارة المينوية* (MINON CIVILIZATION) (*نسبة إلى بيت مينوس* MINOS) *وهو البيت الحاكم الذي سيطر على جزيرة كريت لفترة طويلة* .

---

[1] – كانت الأحداث التاريخية تشكل نقطة الانطلاق لكثير من الشعوب ، فالإغريق حددوا بداية الألعاب الأولمبية عام ٧٧٦ق.م منطلقا لتأريخهم ، والرومان عام تأسيس (مدينة روما) عماد تقويمهم ويعادل عام ٧٥٣ق.م، واتخاذ المسيحية ميلاد السيد المسيح بداية لما نسميه اليوم (بالتقويم الميلادي) ، واعتبار المسلمين عام هجرة الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، أول تقويمهم الذي يطلق عليه اسم (التقويم الهجري)، وكان ذلك بالنسبة للتقويم الميلادي في عام ٦٢٢ م .

أولاً : اكتشاف الحضارة الإيجية (الكريتية أو المينوية) :

كانت (كريت) أقوى مراكز هذه الحضارة ومركزها الرئيسي ، **وتُعد خامس جزيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط من حيث المساحة بعد صقلية وساردينية وقبرص وكورسيكة** ، وكانت حضارة مستقلة ذات طابع خاص ابتدعها أهل كريت الذين كانوا لا ينتمون إلى الأسرة الهندية ـــ الأوروبية. وكانوا قد وفدوا إلى كريت - على ما يرجح - من آسية الصغرى في العصر النيوليثي (العصر الحجري الحديث) (٣٥٠٠ - ٢٠٠٠ق.م) واستقروا في الشرق والشمال ، كما وفد في أعقابهم - على ما يبدو - قوم آخرون من جهة أخرى ، يُظن أنها ليبيا واستوطنوا جنوب الجزيرة [1] . وكانت كريت تتمتع بموقع ممتاز ، ويصفها **هوميروس** في الأوديسة بأنها (*أرض في وسط البحر الداكن تسمى كريت، أرضها جميلة، مياهها وافرة ، يقطنها أناس لا يحصى عددهم وفيها تسعون مدينة*). وكذلك الأمر كانت كريت تتمتع أيضاً بموقع وسطي جغرافي ملائم يجعلها على اتصال بالشرق والجنوب والشمال. ويصف أرسطو هذا الموقع بين فينيقية وإيطالية ومصر وبلاد الإغريق ويقول: (*إن ذلك مما ساعد ملوك مينوس على السيطرة في بحر إيجة*). ولهذه الأسباب الجغرافية الملائمة ، فقد تلاقت في كريت التيارات الحضارية الآتية من هذه الجهات، وعلى الأخص من الشرق الأدنى، ونشأت فيها حضارة رائعة اكتشفها عالم الآثار الإنكليزي (*آرثر إيفانس*) في عام ١٩٠٠م. وكان من أبرز معالم هذه الحضارة اكتشاف قصر (*كنوسوس*) الذي يعبر عن معالم حضارة عصر البرونز(١٩٠٠ - ١١٠٠)، وأطلق (*إيفانس*) على هذه الحضارة اسم (*الحضارة*

---

[1] - انظر : عبد اللطيف أحمد علي، ص ٨٩ .

المينوية) نسبة إلى ملكها الأسطوري (*مينوس*) [1] . وكانت ألمع مظاهر هذه الحضارة في منطقتين اثنتين : *أولاهما مدينة كنوسوس (KNOSSOS) التي تقع في وسط الساحل الشمالي للجزيرة على التل الذي سميت المدينة باسمه على بعد كيلو مترات بسيطة من شاطئ البحر . وثانيهما مدينة فايستوس (FAESTOS) التي تقع على مسافة بسيطة من وسط الساحل الجنوبي للجزيرة .*

ثانياً : أدوار تاريخ كريت :

من خلال المقارنة التي قام بها (*إيفانس*) للآثار والموجودات التي اكتشفها في القصر، مع ما يقابلها من آثار مشابهة لها في الشكل والموضوع، والتي وجدت في أماكن أخرى معروف تاريخها مثل مصر وبلاد ما بين النهرين، استطاع أن يقسّم

---

[1] – عن نشأة مينوس يروي الأسطورة التالية : كان لأجينور (AG ENOR) ملك مدينة صور ابنة تدعى يوروبي (EUROPE) وهي التي سميت باسمها قارة أوروبا ، وقد رآها زيوس مرة وهي تستنزه فأغرم بها ، ولكي يفوز بها تقمص شكل ثور وديع لطيف ، وأخذ يقفز من حولها قفزات رشيقة وهي تمشي على الساحل الفينيقي، وأخيراً تمكن من إغرائها بالركوب فوق ظهره ، وفجأة قفز في البحر حاملاً حبيبته إلى كريت، وهناك أنجبت منه ثلاثة أولاد ذكور من خيرة الأبناء وهم مينوس (M INOS) ورددامانثوس (RAHDAMANNTHUS) وساربيدون (SARPEDON) وقد أصبح الأخير ملكاً على ليكية (بآسية الصغرى) .. ولحده مشتركاً في الحرب الطروادية ضد الإغريق ويلقى مصرعه على يد باتروكلوس الإغريقي .. وكان ردامانثوس رحلاً مستقيماً انتقل لذلك وفقاً لرواية هوميروس في الأوديسة إلى الإليزيوم (E LYSIUM) أو إلى حزر المباركين حيث كان يعيش الأبطال الخالدون — عيشة كلها نعيم ورخاء — ولا يذوقون أبداً طعم الموت .. ولكن في الأساطير التالية نرى ردمانثوس نُصب بفضل نزاهته قاضياً في عالم الموتى ، وأما مينوس فقد أصبح ملكاً على كريت .

ومن الجدير بالذكر، أن ما يثير دهشة هيرودوت أن تحمل كتلة واحدة من الأرض اسم ثلاث نساء بقوله: (أن معظم الإغريق يحسبون أن ليبيا (وهي ما كانت تُعرف بإفريقية سابقاً) اكتسبت اسمها من امرأة من أهل البلاد، وأن آسية سميت كذلك نسبة إلى زوج بروميثيوس آسية، وأما أوروبسا إنما كانت امرأة آسيوية (صورية)، ولم يسبق لها أن حطت في البلد الذي نسميه اليوم أوروبا، وتقتصر حكايتها أنها أبحرت من بلاد الفينيقيين إلى كريت)، انظر : هيرودوت، الكتاب الرابع، ص ٣١٠ .

الحضارة الإيجية إلى ثلاثة عصور، وتقسيم كل عصر إلى ثلاثة أدوار على النحو التالي:

١ ــ العصر المينوي القديم :

ويمتد من عام (٣٠٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق٠م) وينقسم إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول (٣٠٠٠ ــ ٢٨٠٠)

الدور الثاني (٢٨٠٠ ــ ٢٤٠٠)

الدور الثالث (٢٤٠٠ ــ ٢٠٠٠)

وقد شهد العصر المينوي القديم ذروة الانتقال من حضارة العصر الحجري الحديث (*NEOLITHIC AGE*) إلى عصر النحاس والبرونزي (*BRONZE AGE*) ويُحدد تاريخ ذلك التحول في عام ٢٤٠٠ ، وبذلك يبدأ عصر البرونز في كريت .

ومن مظاهر هذا العصر، اعتماد كريت على استيراد معظم حاجياتها من المعادن ، واعتمادها على المؤثرات الخارجية من الحضارات الأخرى كالحضارة المصرية وحضارة الشرق القديم، وخاصة الصناعات النحاسية والبرونزية وعملت على تطويرها وتصنيعها ومن ثم تصديرها إلى كل البلدان ، وبذلك ازدهرت تجارة كريت وازدادت فيها الثروة، واستطاع حكامها أن يبسطوا سيطرتهم على بحر إيجة وأن يحافظوا على هذه السيطرة مدة ألف عام .

٢ ــ العصر المينوي الوسيط :

ويمتد من عام (٢٠٠٠ ــ ١٥٨٠ ق٠م) وينقسم أيضاً إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول (٢٠٠٠ ــ ١٩٠٠)

الدور الثاني (١٩٠٠ ــ ١٧٥٠)

الدور الثالث (١٧٥٠ ــ ١٥٨٠)

وقد شهد العصر المينوي الوسيط ، انتقال أهم المراكز الحضارية إلى وسط الجزيرة ، وسيادة موجة من الرخاء والترف ، وظهور طبقة من التجار الأغنياء ، يدل على ذلك كثرة القصور التي بنيت على نمط قصر كنوسوس، وكذلك ظهور عدد

من المدن المهمة مثل (*كنوسوس*) العاصمة و (*فايستوس*) و (*توليسوس*) واحتواء هذه المدن عدداً من دور صناعة الأواني الخزفية التي بلغت درجة عالية من التقدم نحو عام ١٧٥٠ق.م .

ولكن نحو عام ١٧٥٠ ق.م ، حلت بكريت كارثة دمرت قصورها ومراكزها العمرانية ، ولم تتضح الأسباب بدقة فيما إذا كانت هذه الكارثة غزو من الخارج، أو زلزال تعرضت له الجزيرة . وأياً كان السبب، فلم تلبث كريت أن أفاقت من الصدمة بسرعة ، ونهضت من كبوتها ، وأعادت ترميم القصور في فترة لاحقة (*بعد نحو خمسين عاماً*) على مقياس أوسع ، وبصورة أفخم كوجود مسارح التمثيل والمبارزة .

٣ ـ *العصر المينوي الحديث :*

ويمتد من عام (١٥٨٠ ـ ١٢٠٠ق.م) وينقسم أيضاً إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول (١٥٨٠ ـ ١٤٥٠)

الدور الثاني (١٤٥٠ ـ ١٤٠٠)

الدور الثالث (١٤٠٠ ـ ١٢٠٠)

وكانت هذه الفترة من أهم فترات التطور، كالاتصال الخارجي ولاسيما مع مصر الفرعونية في فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة وبناء الإمبراطورية المصرية . وهذا ما تثبته الصور الجدارية على بعض المعابد المصرية في الفترة نفسها، ويبدو أن قوة الإمبراطورية المصرية ، والأمن الذي فرضه الفراعنة على منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، قد مكّنت التجار الكريتيين من العمل بحرية أكبر في مقابل اعترافهم بالسيادة المصرية، *وهذا ما أكده امتداد مصالحهم إلى رودوس وقبرص وأوغاريت وجبيل*، وكذلك تركيز معظم الأساطير الإغريقية المعاصرة لهذه الفترة ، الحديث عن عظمة كريت وسطوتها بسلطة مركزية قوية ممثلة بملكها (*مينوس*) الذي

بسط نفوذه على الأصقاع المجاورة من خلال أسطول قوي يدين لـه بالطاعـة [1]، وهذا ما يؤكده (توكوديدس) أعظم المؤرخين الإغريق بقوله :

(كان مينوس أول من أنشأ أسطولاً، وكانت له السيطرة علـى الجـزء الأعظم مما يطلق عليه اليوم اسم البحر الهيلاسيني (بحـر إيجـة) وكـان يحكـم سيكلاديس، وهو الذي عمّر معظمها بالمستوطنات، وأقام أبناؤه حكاماً عليها بعد طرد الكاريين. ولنا أن نفترض أنه بذل قصارى جهده لقمع القرصنة ليضـمن الحفاظ على ما بلغه من الموارد) [2].

ويعتقد بعض العلماء، أن الحضارة الإيجية بلغت ذروة مجدها وعصرها الذهبي (١٤٥٠ ــ ١٤٠٠ ق.م)، وفيها كان سلطان مينوس رمزاً لوحدة البلاد وإرادتها. *وكان من الممكن لو استمرت هذه الحالة، أن تتحول الحضارة المينوية من حضارة إقليمية إلى إمبراطورية، إلا أن القدر كان يمهّد لظهور حضارة أخرى، إذ سرعان ما أدى غزو خارجي قام به الميكينيون إلى اندثار الحضارة المينوية، وإلى أن يحمـل الميكينيون لواء الحضارة الإغريقية.*

ثالثاً : أهم مظاهر الحضارة الإيجيـــة :

لقد كانت للحضارة الإيجية مظاهرها البارزة من الناحية العرقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والحضارية، خـلال فتـرات تاريخهـا المتطـورة، ومعلوماتنا عن أهم مظاهر تلك الحضارة مستمدة معظمها من المصادر الوثائقية مـن نقوش وآثار برزت من قصر كنوسوس، أفادت المؤرخين كثيراً في التأريخ للحضارة الإيجية في جميع مراحلها الزمنية، والتعرف على جميع جوانبها الحضارية، لذا يتوجب

---

1 ــ انظر: سيد أحمد الناصري (الإغريق) ط٢، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٤٠ وما بعد .

2 ــ انظر : توكوديدس (تاريخ الحرب البلوبونيزية)، ترجمة دينا الملاح ــ عمرو الملاح، إصدار المجمع الثقافي في أبو ظبي ٢٠٠٣ م ، الفصل الأول ص ٢١ .

علينا أن نلقي الضوء على أهم هذه المظاهر من خلال المكتشفات الأثرية في قصر كنوسوس باعتباره كأهم مصدر لهذه الحضارة الإيجية العريقة .

١ ــ المظهر الأسطوري للحضارة الإيجية :

في الحقيقة لا يمكننا إذا ما أردنا فهم الحضارة الإغريقية من جذورها أن نغفل دراسة أهم الأساطير الإغريقية وهي أسطورة *ثيسيوس (THESEOS)* و*المينوتوروس (MINOTAUROS)* ، وذلك لأنها تحمل فكرة حضارية وشواهد تاريخية التبس على مؤرخي القرن الماضي أمرها وعدّها الكثيرون من نسج الخيال الهيليني، والحقيقة أننا إذا كنا لا نؤيد كل ما جاء فيها، فإننا لا نستطيع أن ننفي بالتالي بعض ما جاءت به أيضاً، لأن معلوماتنا عن الأساطير ولاسيما الأساطير الإغريقية، واحتواء هذه الأساطير الكثير من الخيال والقليل من الحقيقة، تفتح أمامنا مجالاً للمحاكمة العقلية لكل ما أتت به المصادر الإغريقية من أساطير أمدتنا بكثير من الشواهد التي كنا نفتقر إليها في حديثنا عن بعض أصول الحضارة الإغريقية ومميزاتها .

وجاء في الأسطورة (أن مينوس بعد أن صار ملكاً على كريت، بدأ أعماله بأن أراد أن يثبت تلبية الآلهة لكل دعواته، ومن ثم رضاهم عنه، وجدارته بالحكم، فدعا الإله بوسيدون أن يبعث إليه من البحر ثوراً واعداً يذبحه قرباناً، وعندما جاء الثور استجابةً لدعائه، وجد مينوس أنه حيوان عظيم فخم الصورة يسر الناظرين، ومن ثم أشفق من ذبحه، وآثر أن يحتفظ به لينتج له سلالة من الثيران على شاكلته، ونحر حيواناً آخر عادياً، لكن بوسيدون أصاب الثور بالهياج أو الجنون، وزاد الطين بلّة أن باسيفائي (*PASIPHAE*) زوجة الملك مينوس، تولدت في نفسها رغبة شاذة نحو هذا الثور . وتصادف في تلك الأثناء وجود ديدالوس (*DAEDALUS*) في كنوسوس، وكان صانعاً ماهراً جداً برع في النحت والعمارة، لكنه حقد – عندما كان لا يزال في أثينة ــ على أحد تلاميذه وهو ابن أخيه في الوقت نفسه، حقداً شديداً لأن التلميذ أظهر من المهارة ما كان يفوق به أستاذه، لذلك قتله ديدالوس،

مرتكباً إثماً كبيراً، وهو قتل المحارم، وقبل المحاكمة هرب ديدالوس إلى كريت حيث رحب به مينوس لإعجابه بمواهبه الفنية، وقد رأت باسيفائي الفرصة سانحة لإشباع نزواتها الشاذة فأقنعت ديدالوس بمساعدتها، فصنع لها تمثال بقرة في حجم البقرة الطبيعية، ويكاد ينبض بالحياة، ثم أخفى الملكة فيه، وبذلك تمكنت من مجامعة الثور، وأنجبت منه وحشاً رهيباً، عجيب الشكل نصفه إنسان ونصفه الآخر ثور، ونظراً لخطورة هذا المولود العجيب، فقد التجأ الملك إلى ديدالوس مناشداً إياه أن يشيد بناء يخفي فيه هذا الثور، فبنى له قصراً عُرف بقصر اللابيرانت (*LABYRINTHOS*) وهو قصر "*التيه*" الذي سمي كذلك لكثرة حجراته وتداخل ردهاته، والتواء ممراته حتى ليتعذر على المرء بعد دخوله أن يخرج منه فيضل طريقه ويتوه. وقد أصبح هذا القصر يرمز إلى مبنى معقد، وتعني كلمة (*لابيرانتوس*) مكان أو "قصر البلطة المزدوجة".

وكان مينوس قد فرض على الأثينيين جزية سنوية قدرها سبعة فتية وسبع فتيات، انتقاماً من الأثينيين الذين قتلوا ابنه أندروجيوس (*ANDROGEOS*)، فقد حدث أن ذهب أندروجيوس إلى أثينة للاشتراك في حفلات عيد الباناثينيا (*PANATHENAEA*) الرياضية، وتبارى مع بعض الأثينيين، وفاز عليهم في مختلف الألعاب، وحقد عليه آيجيوس، ملك أثينة، وقتله .. وأياً كان السبب فإن مينوس كان يحبس الرهائن الأثينيين من بنين وبنات في قصر اللابيرانت "*قصر التيه*" ليموتوا جوعاً أو ليفتك بهم الوحش الرهيب "*مينوتاوروس*"، وكان الهلاك دائماً مصيرهم، لأنه لم يكن هناك سبيل إلى الخروج من قصر كالذي وصفناه .

كان البطل "*ثيسيوس*"، ابن آيجيوس ملك أثينة، قد استاء من هذا الوضع المهين، وقرر أن يضع له حداً، فتطوع ذات مرة ليكون واحداً من بين الرهائن المرسلة إلى كريت، ولما نزل بالجزيرة التقى الأميرة الجميلة أريادني (*ARIADNE*) ابنة الملك مينوس، التي أعجبت بوسامته وبسالته ووقعت في حبه، فأعطته سيفاً ليقتل به الثور، وخيطاً ليسترشد به عند خروجه من قصر التيه، وأنجز "*ثيسيوس*" مهمته

بنجاح، وقتل الوحش وأنقذ زملاءه من براثنه وخرجوا جميعاً سالمين، ثم هرب مع أريادني وركب البحر، وما إن بلغ جزيرة "*ناكسوس*" حتى كان قد تنكّر لأريادني أو نسي حبها فهجرها هناك، وقد التقاها فيما بعد، "*ديونيسيوس*" إله النبيذ، واقترن بها، وتابع "*ثيسيوس*" رحلة العودة إلى وطنه، وعندما اقترب من ساحل أتيكة نسي مرة أخرى، أن ينشر الشراع الأبيض فوق مركبه "*كما اتفق مع أبيه آيجيوس قبل رحيله كعلامة على عودته سالمًا من رحلته الخطرة*"، وكان أبوه ينتظره على الساحل في قلق، فلما شاهد الشراع الأسود منشوراً حسب ابنه قد هلك فألقى بنفسه في البحر حزناً عليه، ومن هنا جاءت تسمية هذا البحر "*بالبحر الإيجي*" واعتلى ثيسيوس عرش أثينة بعد أبيه، وإليه ينسب توحيد أتيكة السياسي (*SYNOIKISMOS*) كما تنسب إليه أعمال أسطورية أخرى .

وأما عن ديدالوس، فقد أراد أن يرحل عن كريت، لكن مينوس حاول منعه إما لرغبته في الاحتفاظ به والانتفاع بمواهبه، وإما لرغبته في معاقبته وسجنه لأنه كان متعاوناً مع "*باسيفائي*" عندما ساعدها على إشباع غريزتها البهيمية، لذلك احتجزه هو وابنه إيكاروس (*ICARUS*)، ورغم إحكام الرقابة وسد جميع منافذ الهرب، فإن ديدالوس لم يعدم حيلة للفرار، إذ صنع أجنحة من الريش وثبتها بالشمع في جسمه وجسم ابنه، وطار الاثنان هاربين من كريت، غير أن *إيكاروس* استخفه الطيران، فحلّق عالياً جداً حتى اقترب من الشمس فذاب الشمع من شدة الحرارة، وتساقط جناحاه، وسقط المسكين في البحر ومات غريقاً، لذلك عُرفت هذه الناحية من البحر باسم "*بحر إيكاروس*" تخليداً لذكراه، وأما ديدالوس فشق طريقه عبر الفضاء وهبط سالماً في صقلية، وراوغ الملك وتظاهرت بناته بمساعدة الضيف الملكي عند اغتساله "*وهو ما يرمز عند هوميروس إلى أقصى مظاهر تكريم الضيف*"، وفي الحمام صبت عليه البنات ماء مغلياً فقضى نحبه (*وترمز هذه الحادثة في رأي بعض*

الباحثين إلى حملة قامت بها كريت ضد صقلية وانتهت بالفشل الذريع أو بكارثة كبيرة)[1].

والآن بماذا خرجنا من هذه الأسطورة التي سميت فيما بعد - *أسطورة ليسيوس والمينوتاوروس* - وما الذي يمكن أن نستنتجه منها من حقائق تاريخية تفيدنا إلى حد ما في التأريخ للحضارة المينوية ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، ومن خلال الدراسة المتأنية لهذه الأسطورة وبعد إخضاعها للتحليل التاريخي بالمقارنة مع المصادر الأدبية الأخرى، بإمكاننا أن نستخلص ثلاث حقائق تاريخية مهمّة :

الحقيقة الأولى : يُفهم من هذه الأسطورة بوجود تنافس تجاري شديد، أو حدوث توتر سياسي بين كريت المينوية، وبعض ممالك بلاد الإغريق أثناء العصر الهلادي الحديث الثاني، بدليل فرض مينوس سيطرته على أثينة وفرض جزية محددة عليها، ومحاولة أثينة التخلص من هذه الجزية. وهذا دليل واضح على قوة السيطرة البحرية لكريت في أرجاء بحر إيجة والمتوسط، والدلائل كثيرة على ذلك من خلال ما ذكره *توكوديدس* ــ كما أوردنا سابقاً ــ *عن سيطرة مينوس البحرية وامتلاكه أسطولاً قوياً استطاع من خلاله أن ينشئ عدة مدن بحرية، وإنشاء نقاط حراسة أو محطات بحرية كريتية هناك*، كذلك يعطي فرار المهندس النابغة ديدالوس انطباعاً قوياً عن شدة الخصومة بين كريت وأثينة [2] .

---

[1] - عن حقيقة ليسيوس والمينوتاوروس انظر: **عبد المعطي شعراوي**، ص ١٩٧ وما بعدها، ثم **عبد اللطيف أحمد علي**، ص ٩١ وما بعدها ، ثم انظر :
KUPFER , LEGENDS OF GREECE AND ROME , LONDON 1929 PP. 116 – 120 .

[2] - انظر : توكوديدس ١ ، ٤ ــ ٨ وكذلك استرابون ١ ، ٣ ــ ٢ .

الحقيقة الثانية : أن تطوع ثيسيوس نفسه للذهاب إلى كريت وقتل المينوتاوروس وتخليص الرهائن وتحرير وطنه من السيطرة المينوية، لم تتعدّ مغامراته هذه ، إطار غارة عسكرية وليست غزواً لكريت، التي لم تكن هناك قوة أكبر منها تستطيع أن تقوم بغزوها، ولكن بكل الأحوال ساعدت هذه الغارات على إضعاف قوة كنوسوس وإهاكها.

الحقيقة الثالثة: لقد تواترت بين الإغريق في العصر التاريخي قصة أخرى عن نهاية مينوس ومملكته في كريت، ومفادها أن هذه النهاية نجمت عن كارثة منيت بها حملته العسكرية ضد صقلية التي كان سببها الرئيسي هو فرار ديدالوس إلى صقلية التي أعطاه ملكها حق الالتجاء، لعل هذا السبب ينطوي على قدر من الواقع التاريخي، لأن ميكيناي قد اهتمت منذ وقت مبكر بالتجارة مع المنطقة الوسطى من حوض البحر الأبيض المتوسط مثيرة بذلك ـــ فيما يرجح ـــ قلق كريت، أو لعل امتداد النفوذ الميكيني نحو الشرق، قد أرغم كريت على البحث عن منافذ أو أسواق أخرى في الغرب، حيث من المعروف أن مستعمرة "تويانـدا" المينوية في رودوس، انهارت في الوقت نفسه الذي انهارت فيه كريت، غير أن كل ما نعرفه على وجه اليقين، هو أن سقوط كريت جعل الطريق ممهداً أمام ميكيناي لتمارس نشاطها التجاري على نطاق واسع.

٢ ـــ *المظهر الاجتماعي للحضارة الإيجية* :

ينتسب الكريتيون بصورة عامة إلى *عرق البحر الأبيض المتوسط*، جاؤوا إليها مؤخراً من جنوب غرب آسية ـــ *كما ذكرنا سابقاً* ـــ ومن النوع الذي

يتصف باستطالة جماجمه، ولغتهم لا تنتمي إلى أسرة اللغات الهندية الأوروبية [1]. وإنما هي لغة قريبة من لغة اللوكيين (سكان مقاطعة لوكية في آسية الصغرى). وكان من البديهي أن مجتمعاً من هذا القبيل كان يحتاج إلى الكتابة على الأقل في المعاملات التجارية وغيرها من المعاملات الأخرى. فقد عثر (إيفانس) في قصر كنوسوس و هاجياتريادا وغيرهما من المدن الكريتية على نماذجين من الألواح الطينية المدونة بكتابة مقطعية (SYLLABIC). وقد أطلق على الفئة الأولى اسم الكتابة الهيروغليفية (A) وعلى الفئة الثانية الكتابة الهيروغليفية (B). وعرّف إيفانس فيما بعد رموز المجموعة الأولى بالكتابة التخطيطية (LINEAR A) ورموز المجموعة الثانية بالكتابة التخطيطية (LINEAR B). ويبدو أن هذه الكتابة الخطية حلت محل التصويرية، وهي تؤرخ في القرن الثامن عشر ق.م .

وما زالت الجهود تبذل حتى اليوم لقراءة كتابات المجموعة الأولى (A)، ولاسيما بعد أن توصل العلماء إلى حل مقبول نسبياً لرموز المجموعة الثانية (B) في عام ١٩٥٢م التي كشفت عن معرفة المينويين بالحساب، وأنها لا تعدو أن تكون قوائم بأسماء سلع كالقمح والتين والزيتون والنبيذ والزيت والأواني، وأمتعة منزلية أو معدات عسكرية، وبيان بتوزيع قوات حربية، وبيان آخر بالمواد التموينية التي صرفت لخدم القصر وأتباعه أو بالهدايا القربانية التي أرسلت إلى محاريب الآلهة

---

1 – مجموعة لغات الأسرة الهندية – الأوروبية هي : (الإغريقية، السنسكريتية، الفارسية، الأرمنية، السلافية، البلطيقية، اللاتينية التي تفرعت منها بعض لغات حديثة (كالإيطالية والإسبانية والرومانية) ومجموعة اللغات الكلتية مثل (الإيرلندية) واللغات الجرمانية . وعدة لغات ميتة كانت قديماً حية كالحثية، والفريجية، والإللورية).

ومعابدهم. ولقد اعتقد فريق من العلماء، دونما أن يتمكن من إثبات ذلك بشكل حاسم، أن للكتابات المعنية بالأمر (B) علاقة ما باللغات السامية.

ورغم أننا لا نعرف الشيء الكثير عن الحركة الفكرية ومدى التقدم العلمي والأدبي في الجزيرة، يعتقد بعض العلماء اليوم، بأن الكتابة لم تكن وقفاً على الكهان، أو على طبقة خاصة من الكتّاب الرسميين، كما كانت الحال في مصر، بل أن الجميع كانوا يستطيعون تعلمها سواء في ذلك التجار أم العمال أم الفلاحون، مما يدل على تقدم الثقافة في البلاد.

ويستدل من الآثار المكتشفة في قصر كنوسوس، أن حياة أهل كريت كانت حافلة بالمرح والبهجة، وتؤكد التحف الثمينة المصنوعة بأناقة بالغة والأحجار المنحوتة بدقة في شكل حيوانات بحرية *ولع المينويين بالطبيعة، وكانوا يمارسون العاباً رياضية مختلفة كالملاكمة، والمصارعة، واستدراج الثيران (للقفز فوق ظهورها) وكانت هذه ألعاباً محببة للجمهور. وكانت الساحة العامة التي اكتشفت بالقرب من القصر — على ما يرجح — مخصصة للرقص في الحفلات الدينية والاجتماعية الرسمية.*

وكان *الرجال* يلبسون قماطاً حول الوسط ومبدعة (مريلة) ويغطون رؤوسهم بقبعة، ويستبدلون بها في الحرب خوذة معدنية أو جلدية. وكان الأب في المجتمع المينوي أساس الأسرة وله مطلق السلطة، ولقد صوّرت لنا المكتشفات الأثرية في قصر كنوسوس في منازلها المتناثرة صوراً للأب والأم والأبناء، ومدى العلاقة بينهم في العمل والتعاون واحترام رب الأسرة الذي كان عماد وشكل المجتمع. أما النساء فكن يرتدين أثواباً تشابه الأثواب المعاصرة (*جونيلات أو تنورات*) طويلة مزركشة بأشرطة وصدريات مفتوحة من الأمام، ويتزين بالقبعات والمجوهرات لدرجة أن بعض علماء الآثار، أطلقوا على صورة امرأة كريتية عثر عليها على أحد جدران

القصر اسم (*الباريسية*) لفرط أناقتها وجمالها. والمرأة الكريتية كانت تتمتع بمكانة اجتماعية مساوية للرجل، إن لم تكن أعلى منه، وكانت تقوم بالأعمال المنزلية كنسج الثياب وطحن القمح وعجن الخبز، وتشارك زوجها في أعمال الحقل وصناعة الخزف وغير ذلك من المهن، ويتبين من الرسوم الكثيرة المكتشفة في القصور، أن المرأة كانت تخرج إلى الصيد وتركب عجلات السباق وتشترك في الألعاب البهلوانية، وكانت المقاعد الأمامية في المسارح والملاعب تخصص للنساء.

وملخص ذلك أن المرأة الكريتية كانت تقوم بدور السيدة المحترمة التي يقابلها الجميع بالإجلال، حيث كانت تنفرد من دون غيرها بالأشراف على المعابد الخاصة بالآلهة وإقامة الشعائر فيها.

وكانت منازل الكريتيين فسيحة غير مرتفعة ومستطيلة الشكل، ومسطحة الأسقف، وبمرور الزمن بنيت منازل من عدة طوابق. وكان الطابق السفلي يبنى من كسارة الحجر ويتخلله الباب، وأما العلوي فكان من الطين المطبوخ في الشمس وتتخلله النوافذ. وكان هيكل البناء من الخشب. وكان المنزل يطلى كله بالجص، وكانت الحجرات تضاف أحياناً كيفما اتفق، فقد نشأت الحاجة إلى الأفنية ومساقط النور لينفذ منها الضوء والهواء. وكانت هذه الأفنية والمساقط إحدى الخصائص اللافتة للنظر في قصور الفترة اللاحقة (كما سنرى لاحقاً).

وأبرز ما أشارت إليه الحفريات الأثرية — ***ولاسيما في المنازل والمقابر*** — التي أجريت على مستويات متفاوتة من أرض كريت، إلى أن الكريتيين القدماء كانوا كغيرهم من بناة الحضارات البدائية المغلقة، يعيشون حياة اجتماعية قبلية بكل معانيها وارتباطاتها، وأن هذه الحياة القبلية قد بدأت بالتفكك منذ بداية العصر المينوي الوسيط، أما العصر المينوي الحديث فقد شهد بداية سيطرة النزاعات الفردية في

المجتمع وتكوين الأسر الصغيرة، وهذا ما أظهرته الحفائر من اكتظاظ الشوارع والأزقة في مدن كريت بالمنازل الصغيرة .

ثم من جهة أخرى، *نلاحظ الظاهرة نفسها في المقابر*، فقد كشفت الحفريات عن مقابر تضم عدداً كبيراً من الهياكل العظمية وأوانٍ من أدوات مختلفة، بينما شهد العصر المينوي الحديث على مقابر لا تضم في أكثر الأحوال عن ثلاثة هياكل عظمية.

ومن خلال ما سبق ، بإمكاننا أن نستخلص حقيقة مهمّة هي أن المجتمع في كريت كان في بادئ الأمر يتألف من أسراب كبيرة من النساس، وأن الرابطة القبلية قد تفككت على مر العصور، حتى أصبحت الأسرة الصغيرة هي الحجيرة الأساسية في المجتمع، وبتعبير آخر، فإن التطور الاجتماعي قد قضى على العصبية القبلية والعائلية وانتهى إلى سيطرة الروح الفردية .

٣ ــ المظهر الاقتصادي للحضارة الإيجية :

كانت التربة الصالحة للزراعة في كريت قليلة، إذ تحتل الجبال القسم الأكبر من الجزيرة ، وتشير أغلب المراجع، إلى أن إنتاج الحبوب إبّان عصر الازدهار لم يف بحاجة السكان، *في حين كان إنتاج الكرمة والزيتون يفيض على الحاجة ويصدّر بعضه* .. وكنتيجة حتمية لشهرة كريت بزراعة الكرمة والزيتون، *فقد تطلّب هذا شهرة مماثلة في إنتاج الأواني الفخارية والخزفية لتعبئة الزيت والنبيذ وإعداده للتصدير*. ويؤيد هذا الاعتقاد اكتشاف المعامل الملحقة بالقصور ومدينة أصحاب الحرف التي عثر عليها في أقصى الخليج القائم إلى الشمال الشرقي من الجزيرة .

كذلك عرف الكريتيون *تربية المواشي* ولاسيما الأبقار، كما استخدموا *الحمار*، وبعد ذلك *الحصان* منذ الألف الثاني ق.م، ولكن على نطاق ضيق، وكان الصيد ناشطاً لسد بعض الحاجات الغذائية، وكذلك للحصول على أصداف (*الأوركس*) التي كان يستخرج منها الأرجوان .

وبرعوا أيضاً في الصناعات المعدنية، *ولاسيما البرونز والنحاس وطريقة صهره وسبك المعادن الأخرى وتعدينه ، كما برعوا في صناعة الأسلحة من الحديد.* وتدل الآثار المكتشفة على مدى ما كان أهل كريت يتمتعون به من مهارة في صناعة *الحلي وأدوات الزينة وتطعيم المصنوعات الذهبية بالفضة، والصناعات الدقيقة من الأحجار الكريمة، إضافة إلى صناعة السفن الصغيرة المتطورة التي تلائم شكل سواحلهم البحرية لأجل الانتقال وممارسة التجارة بين الجزر الأخرى التابعة لكريت في بحر إيجة أو على شواطئه مثل جزيرة (ميلوس) وجزر أخرى من مجموعة جزر الكيكلاديس في بحر إيجة.*

وقد قطعت كريت في مجال التجارة الخارجية شوطاً لا بأس به، فقد كشفت الآثار عن نقاط اتصال بينها وبين مصر، وهذا مما يعبر عن مدى التقائها مع الحضارات الأخرى التي قامت في الشرق، وهي الاتصالات التي ساعدت الأثريين والمؤرخين على تحديد الامتداد الزمني لمراحل الحضارة الإيجية .

فقد كانت مصر المنطقة الرئيسية لهذه الاتصالات الحضارية المذكورة، فقد عثر في كريت على أوان من أحجار صلبة مستوردة من مصر، وعلى تمثال صغير من حجر الديوريت لموظف مصري يسمى (*أوسر*)، منقوش عليه اسمه بحروف مصرية بين مخلفات أحد القصور الملكية في كنوسوس، ويدلنا طراز هذا التمثال على أنه صنع في عهد الأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة *(أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ق.م)* . وعثر أيضاً في مصر العليا على أوان كريتية من طراز (*كاماريس*) (*KAMARES*) ، وكلها تؤرخ بالعصر المينوي الوسيط الأول والثاني، وهو ما يقابل تقريباً عصر الدولة الوسطى والأسرة الثانية عشرة على وجه التخصيص (٢٠٠٠ ــ ١٧٨٥ق.م) . ورغم أن العلاقات التجارية بين كريت ومصر ، قد بدأت منذ عهد مبكر بشكل عابر أو متقطع ، إلا أنها لم تصل إلى درجة

كبيرة من الانتظام ، ***إلا في بداية عصر الدولة الحديثة في عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٠ق٠م)*** .. وظلت هذه العلاقات في جوهرها تجارية اقتصادية حتى عام ١٤٠٠ق٠م ، عندما اختفت كلمة (كيفيتيو) ***(الاسم الذي أطلقه المصريون على أهل كريت) من النصوص المصرية*** [1]، ومنذ عصر (تحوتمس الثالث ١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق٠م) ، أي مع بداية انطفاء بريق الحضارة الإيجية وبداية صعود نجم ميكيناي .

وتذكر لنا النصوص المصرية أن ملوك بلاد (الكيفيتيو) وجزر البحر العظيم كانوا يحضرون الهدايا والقرابين للملوك العظماء من الأسرة الثامنة عشرة، وربما كان هذا النص يشير إلى اتساع ونفوذ المصريين وامتداده إلى منطقة بحر إيجة في تلك الفترة وبخاصة في عهد تحوتمس الثالث [2] .

٤ — المظهر السياسي للحضارة الإيجية :

تدلنا المكتشفات الأثرية في مختلف المدن الكريتية ، على أن السلطة السياسية في الدور الأول من العهد المينوي الوسيط ، ***كانت بأيدي رؤساء القبائل والأسرات الكبيرة الذين كانوا يحكمون البلاد حكماً إقطاعياً*** . ولكن الحالة تبدلت في العهد المينوي الحديث ، ***وأصبحت السلطة تتركز في النظام الملكي ممثلاً بالملك (مينوس) الذي وطّد الأمن في البلاد ، وسيطر على البحر بأسطول قوي مما دفعه إلى الاستغناء عن بناء الأسوار وتحصين المدينة والقصر .***

---

1 - كلمة كيفيتيو (KEFITIU) — وهي اسم كريت بلغة القدماء المصريين — ظهرت في النصوص المصرية لأول مرة عند أواخر عصر الدولة القديمة في (ممفيس) أي نحو عام ٢٢٠٠ق٠م ، وهو تاريخ يقابل أواخر العصر المينوي القديم ٢١٠٠ق٠م .

2 - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٦٥٨ — ٦٦٠ .

وكان النظام الملكي هو النظام الذي شمل معظم جوانب الحضارة المينوية بمراحلها المختلفة ، وأنه لا توجد أي دلائل واضحة لوجود أنظمة سياسية أخرى سواء في شكل حكم الأقلية أو حكم الأرستقراطية أو حكم الطغاة أو الحكم الديمقراطي .

وتعطينا الرسوم والنقوش المختلفة ، ***دليلاً قاطعاً على صفة الحكم الملكي المطلقة في شؤون الجيش وإعلان الحرب وإبرام المعاهدات السياسية وإرسال البعثات السياسية والكشفية، كما أنه كانت له معظم الحقوق المدنية والسيطرة الداخلية والبت في المنازعات ، وله صفة الحكم المطلق .***

ويبدو أن سلطة الملك (*مينوس*) كانت — كما في معظم ممالك العصور القديمة — مستمدة من الإله كما في مصر وبابل ، وكان يُعد ممثل الإله بين رعاياه من البشر ، وكان ملزماً بتجديد مباركة الإله لسلطته مرة كل تسع سنوات ، وذلك بأن يصعد إلى الجبل المقدس ، ويدخل مغارة الإله ويتصل به ، وفي هذه الفترة يجتمع الناس عند مدخل المغارة يصلون ويقدمون الضحايا، فإذا كان الملك قديراً وكريماً يخرج من المغارة إلى الشعب وقد أصبح مقدساً لدورة جديدة ، أما إذا كان على العكس ، فإن أثره يزول ويتولى غيره العرش .

ورغم أن المصادر لم تسعفنا بالشكل الدستوري للحكم الملكي ، إلا أنه من المرجح أن كنوسوس كانت لها نظمها السياسية المميزة للمدينة الحرة من وجود مجلس للحكم يساعد الملك في النواحي الاستشارية والتشريعية والتنفيذية .

وكانت القوة العسكرية للملك تتشكل من أسطول قوي — كما ذكرنا سابقا — وجيش دائم سلاحه الحراب والأقواس ، إذ اشتهروا ببراعتهم في استخدام هذا السلاح ولاسيما في حرب الجبال ، وتخلو المصادر من وجود الخيالة ، وإنما بعض العجلات الحربية .

٥ ــ المظهر الديني للحضارة الإيجية :

لم يعرف أهل كريت المينوية المعابد الكبيرة كما في مصر وبابل ، بل كانوا يتعبدون غالباً في محاريب على قمم الجبال . وكان المينويون يعتقدون ، بأن آلهة الطبيعة يعيشون في العمدان والأحجار ، وأن الإنسان في وسعه أن يناديهم بواسطة الرقص والشعائر الدينية الأخرى . لذلك نجد بالمنازل الخاصة حجرات تحتوي على عمدان قصيرة ، وكانوا يقدسون ***الثيران والأفاعي بصورة خاصة لما تتصف به من القوة التناسلية والقدرة الخلاقة*** ، لذلك فإنهم بدؤوا يمثلون القوى الإلهية في صورة إنسانية اتخذوا رمزاً لها (***الربة الأم الكبرى***) التي يبالغون في إبراز ثدييها ويحيطونها بمجموعة كبيرة من الأفاعي والزواحف تتلوى على ذراعيها وتتسلل إلى ثدييها وتختلط بشعرها وتبرز من رأسها . . ***فالربة الأم في نظرهم منبع كل حياة سواء في النبات أو الحيوان أو البشر*** .

وفي سبيل إرضاء الربة كان الكريتيون يلجؤون إلى الأدعية والتعاويذ ، ويقومون بشعائر خاصة تحت إشراف الكاهنات ، كما كانوا يستخدمون البخور ليطردوا الأرواح الشريرة .

وكان من أبرز المنحوتات التي اكتشفت في القصور الملكية ، تمثال صغير يمثل (***الربات الأفاعي***) والمنحوت من العاج ، ويمثل امرأة ممسكة في يديها بثعابين ذهبية ومتشحة بثوب مزخرف بحلية ذهبية . هذا التمثال الصغير الذي يرمز إلى ربة من ربات التناسل ــ ***على ما يرجح*** ــ يكشف عن تقاليد عريقة في النحت ، ويؤرخ بالعصر المينوي الحديث الثالث ، وهو مودع الآن بمتحف بوسطن .

وكانت ***الأفعى*** في نظر أهل كريت بمنزلة حارسة للبيت وجالبة للحظ السعيد . ويستخلص من رسوم (**الإفرسك**) التي وجدت على جدران قصر

كنوسوس ، كثير من صور الرقصات الشعائرية الدينية التي تقوم بها النساء مما يعطينا صورة حقيقية عن الدور الهام الذي كنّ يقمن به في الديانة المينوية .

٦ ــ المظهر الفني للحضارة الإيجية :

يمثل قصر كنوسوس (***وهو قصر اللابيرات أو الثيه في الأساطير***) أرقى درجة بلغتها الحضارة المينوية ، فقبيل عام ٢٠٠٠ق.م ، ضُمت المباني المتفرقة حول أحد الميادين العامة وسوّرت ليتألف منها ذلك القصر ، لكن بعد عام ١٧٠٠ق.م حدث زلزال دمر القصر فأعيد بناؤه، ومعنى هذا أن القصر مر بأطوار مختلفة ، وأنه يمثل في صورته الراهنة فترات متعددة ، ***والقصر بناء ضخم يقوم حول ساحة واسعة طولها (٦٠) متراً وعرضها (٣٩) متراً ويرتفع عدة طوابق يصعد إليها بدرج واسع من الحجارة*** . ويتألف القصر من بيوت للحرس وملاجئ للخدم ومخازن للأغذية واللوازم ومحلات للصنّاع ومكاتب للموظفين وغرف للانتظار وقاعات كبيرة للاستقبال وهو واسع للعرش وردهة عظيمة لشارة البلطة المزدوجة ومعبد وحجرات للنوم وحمامات ، ثم إلى جانب ذلك مسرح حوسقان . وتبين في الطابق الأرضي دعائم ضخمة من الحجارة رفع عليها السقف، بينما استخدمت لهذه الغاية في الطوابق العليا أعمدة من أشجار السرو . ***وليس بالقصر من وسائل دفاعية سوى برج وحصن جانبي في شماله، وقد يستخلص من ذلك، أن ملوك كنوسوس لم يكن يساورهم الخوف من الثورات الأهلية أو الغزوات الأجنبية، ويؤيد ذلك بعض الروايات التاريخية (على نحو ما ذكرنا في رواية توكوديدس سابقاً) التي تقول إن مينوس، أقدم ملوك كريت، كان يمتلك أسطولاً قوياً أحرز به السيادة على البحر الإيجي، وسيطر على جزر الكيكلاديس، وطهّر البحر من القراصنة .***

كان قصر كنوسوس بما يحتويه من معصرة لزيت الزيتون ، وترسانة وحجرة مدرسية ، ومصانع ومخازن ، أشبه ما يكون بالقرية المكتفية بذاتها ، كما كانت

الدهاليز الطويلة وجدرانها المزينة بالرسوم الحية والصور الزاهية (وهي ما تعرف بالإفرسك) (*FRESCOES*) والحجرات الفخمة ، وأفنية السلالم العريضة، والحمامات (*وعلى الأخص حمام الملكة الذي يمتاز بترتيبه البديع ونقوشه الجميلة*) الذي كان يحوي من وسائل الراحة والرفاهية والترف ما لم يتوفر للملكات القرن السابع عشر بعد الميلاد على حد قول أحد المؤرخين الحديثين [1] . ودورات مياه (بغض النظر عن التجهيزات والأثاثات التي اندثرت) بالغة الأناقة ، سامية الذوق، وتكفل لسكان القصر كل أسباب الراحة .. وكانت غرف القصر الرئيسية في طابق علوي، وإن لوحظ أن الجانب الغربي من الفناء كان يحتوي حجرات خاصة ببعض كبار موظفي الدولة، وفي هذا الطابق بنيت في العصر المينوي الحديث الثاني، قاعة العرش المزينة بصور جدرانية أخّاذة لحيوانات خرافية كالعنقاء مرسومة على خلفية لونها أحمر قانٍ وعلى جانبي العرش صفت مقاعد كانت مخصصة لمستشاري الملك ، وقد طليت بجص أحمر وأبيض، ويتصل بقاعة العرش حجرة أخرى بها حوض للتطهير (*LIBATION*) وهو ما يحمل على الاعتقاد بأن القاعة كانت تستخدم لإقامة الشعائر الدينية ، وأن الملك كان يقوم بدور الكاهن وبمثابة (*الربة الأم الكبرى*) وخلف قاعة العرش، أقيمت المخازن حيث كانت تودع القدور الضخمة المليئة بالزيت والنبيذ والقمح، التي يحتمل أنها كانت ضرائب عينية يجبيها الملك لتصديرها في مقابل ما يستورده من سلع أجنبية .

وقد روعي في بناء القصر عدم بناء حجرات خارجية تجنباً للحرارة وللموجات الباردة التي تتعرض لها كريت في مختلف الفصول، وكانت مياه الأمطار تتجمع في مساقط النور تُصرف في بالوعات تدل على وجود نظام متقن لصرف المياه حتى اليوم . ويذكر العالم الأثري (*موسمر*) أنه بينما كان ذات يوم يزور أطلال القصر في مدينة (*هاجيا تريادا*) هطلت أمطار غزيرة فانتظر حتى تنقطع، ثم أراد أن يفحص حالة المجاري ، فرأى أنها ما زالت تؤدي وظيفتها ، وأنها قد ابتلعت

---

[1] – انظر : محمد كامل عباد ، ص ٦٠ .

كل المياه التي تجمعت في القصر ، ويضيف (موسسو) إلى ذلك قائلاً : (*إنني أشك في وجود شبكة من المجاري غير هذه يمكن أن تحافظ على حالتها مدة أربعة آلاف عام*) [1] . وبجوار القصر مباشرة كانت تقوم المنازل الخاصة بالأمراء والموظفين ذوي الجاه ، ولعل أكثرها فخامة (*القصر الصغير*) و (*الفيلا الملكية*) التي هي أصغر منه حجماً، وكلاهما مجهز بغرف استقبال ودورات مياه وقاعات ومساقط نور وسلالم ، وهذه كلها قرائن قوية على الأمن والرخاء ، وهي ليست مقصورة على كنوسوس ، إذ وجدت على نطاق أضيق في مدن أخرى مثل زاكرو (*ZAKRO*) وتيليسيوس (*TYLISSOS*) وفايستوس (*PHAESTUS*) .

يُفترض من كل هذه المخلفات الأثرية الرائعة ، *أن عاهلاً واحداً ، وهو ملك كنوسوس ، كانت بيده السلطة العليا الرئيسية* . وتشهد الطرق المعبدة ، والجسور وقنوات الماء المعلقة (فوق القناطر) ، والحائط البحري بالمرفأ المتاخم لكنوسوس ، والتجارة الواسعة، (*والتي تستدل على وجودها من كثرة المحطات التجارية التي أقامها مينوس في البحر الإيجي*) ، *كل هذه الآثار تشهد هي وغيرها لا بكفاءة فائقة في الهندسة والتنظيم وحسب ، بل بقيام زعامة قديرة قوية أيضاً .*

رابعاً : تأثير الحضارة الإيجية (المينوية) في الحضارة الميكينية (الإغريقية) :

كانت علاقة كريت بميكيناي في بلاد الإغريق ، ذات أهمية بالغة من الناحية التاريخية ، وقد توثقت هذه العلاقة وبلغت ذروتها في القرن السادس عشر ق.م (١٥٥٠ ــ ١٥٠٠ق.م) . ولا مراء في أن ميكيناي وقعت تحت تأثير الحضارة الإيجية (*المينوية*) ولاسيما في مجالات السياسة والفن والدين والطرز المعمارية وطريقة الكتابة والحرف الصناعية مثل صناعة (*الحراب ، والسيوف ، والخناجر ، وزخرفة*

---

[1] ــ انظر : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

التيجان والحلي الذهبية ، والأدوات المعدنية ، والفخارية ، والأختام الذهبية) .

وفي الحق أن كريت ظلت مصدر إلهام مستمراً لفناني بلاد الإغريق ، ليس ذلك على هذا المستوى فحسب ، وإنما على المستوى الأدبي أيضاً، إذ قدمت لنا الأساطير الكريتية المعروفة — بعد التأكد من صحة شواهدها — وملاحظات هوميروس في خالدتيه (*الإلياذة والأوديسة*) عوناً كبيراً وأمدتنا بمعلومات مهمة عن حضارة كريت ، *عندما يتكلم هوميروس عن العصر الذهبي القديم الذي كان البشر فيه أكثر مدنية والحياة أكثر رفاهية مما أصبحوا عليه في عصره المضطرب* . يضاف إلى ذلك ، أن بعض المؤرخين القدامى مثل *هيرودوت وتوكوديدس* ، قد أشادوا في كتاباتهم خلال القرن الخامس ق.م ، بالدور الذي قدمته كريت للتراث الإغريقي عامة، كما تحدث عنها *بوليبيوس* بعد ذلك بثلاثة قرون، وأشار إليها المؤرخ والجغرافي الإغريقي *استرابون* .. ولعل ما وجده فلاسفة الإغريق في كريت من نماذج حية لمعظم دراساتهم السياسية والاجتماعية ولاسيما *أرسطو* ، الذي يذكر أن (*ليكورجوس*) *مشرّع إسبارطة ، قد زار مرة جزيرة كريت وأبدى إعجابه بقوانينها ومؤسساتها ، وقرر أن يقتبس بعضها إلى إسبارطة في بلاد الإغريق* .

ويتكلم *أرسطو* عن موقع كريت الممتاز في البحر الأبيض المتوسط عندما يقول: *(إن الطبيعة كوّنت تلك الجزيرة، وبوأتها مكاناً ملائماً للسيطرة على بلاد الإغريق)*[1]. وكذلك الأمر *صولون* المشرّع الأثيني الذي أبدى إعجابه بقوانين كريت واتخذ منها قدوة ونموذجاً له من خلال مجموعة القوانين المكتشفة والتي تسمى (*بمجموعة جورتينا*) (*CODE OF GORTYNA*) وهي مجموعة نصوص قانونية تخص مدينة (*جورتينا*) ثالث مدن كريت بعد العاصمة كنوسوس وفايستوس[2]،

---

1 – انظر : *أرسطو* ، السياسة ٢ ، ٧ ، ٢ ، ١٢٧١ ب ، ثم *هيرودوت* ، الكتاب الأول ، ص ٤٥ .

2 – وهي مجموعة قانونية عثر على أول نقوشها في عام ١٨٥٧ م على حجر من أحجار طاحونة ، وتتألف المجموعة كاملة من اثني عشر عموداً نقشت بشكل دائري على جدار يعتقد العلماء، بأنه كان

ويعود تاريخها إلى أوائل القرن الخامس ق.م وتنم عن تقدم كبير في الحضارة والتفكير ، إذ لا يستبعد أن تكون هذه القوانين قد أثرت في التشريع الإغريقي الذي وضعه صولون في أثينة. كل ذلك دفع معظم مؤرخي التاريخ القديم إلى الاتفاق على أن كريت قدمت للحضارة الإغريقية تراثاً دينياً وفنياً ظل فترة طويلة من الزمن عمادا جذرياً من جذور هذه الحضارة خلال العصر الكلاسيكي وبعده .

هذا الامتزاج بين الخصائص الإغريقية والمينوية ، يفسره بعض الباحثين ، بأنه كان نتيجة لامتداد سيطرة كنوسوس المينوية على ميكيناي(MYCENAE) في بلاد الإغريق . لكن هذا التفسير، يبدو لأول وهلة تفسيراً معقولاً ، ولكن في الواقع لا يمكن إقامة الدليل على صحته. ذلك لأن طريقة دفن الموتى ليست مينوية، فالمقابر في ميكيناي تشير إلى نوع من البذخ البدائي- تختلف عن طريقة الحياة الكريتية- التي كانت في تلك الفترة قد وصلت إلى قدر كبير من النضج. وثمة اختلاف كبير بين مظهر الميكينيين الذي يتبين من أقنعة وجوه موتاهم الذهبية أن لحاهم كانت مرسلة، وبين المينويين الذين كانوا حليقي اللحى، وبين إسرافهم في ملء مقابرهم بالحلي وأدوات الزينة عن ذوق بربري بالقياس إلى ما نعرفه عن بساطة ذوق المينويين وسلامته. كما يبدو تركيز الميكينيين على المناظر الحربية، ومناظر الصيد في القطع الفنية، بعيداً عن روح الفن المينوي الذي أولع بالطبيعة والمناظر الطبيعية الجميلة التي توحي براحة النفس وطمأنينة البال، كما أن الخوذة

جزءاً من مبنى محكمة، ويتألف النقش من ٦٠٠ سطر مكتوبة بالطريقة الهرائية B (OUSTROPHEDON) القديمة جداً، رغم أن تاريخ النقش لا يتجاوز أواسط القرن الخامس ق.م. وعلى أية حال، فإن هذه المجموعة ألقت أضواء مناسبة على حضارة كريت في الفترة المينوية ، وكانت انعكاساً لبعض جوانب الحياة الاجتماعية وأسس السلوك الاجتماعي لإحدى مدن كريت ، وحول قصة الكشف على نقوش المجموعة القانونية (جورتينا) انظر :

سيد أحمد الناصري ، الإغريق تاريخهم وحضارتهم ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ٤٧ .

التي كان الخارب الميكيني يغطي بها رأسه، ليس لطرازها ما يناظرها في كريت . وهكذا يبدو أن تفسير ظاهرة الأثر الكريتي على ميكيناي وغيرها من بلاد الإغريق بإرجاعه إلى سيطرة كريتية على المنطقة، تعترضه بعض الصعوبات . ومن هنا يبرز الاحتمال ، بأن هذا الأثر الحضاري الكريتي ، يرجع إلى انتقال بعض الفنيين من أصحاب الحرف من كريت إلى ميكيناي ، ربما على أثر الزلزال الذي سبق — أن أشرنا — إلى أنه دمر كنوسوس في فترة من فترات تاريخها .

خامساً : انهيار الحضارة الإيجية (المينوية) :

في عام ١٤٠٠ ق.م انهارت كريت بسبب ما أصاب قصورها ومدنها من دمار وتخريب وتحريق . وتتباين نظريات العلماء في هذا المجال ، فمنهم من يقول أن الدمار كان نتيجة هزة أرضية ، ويؤيدون رأيهم بأن هناك مدناً أخرى أصابها الدمار في الوقت نفسه . وهناك نظرية ثانية تقول ، باحتمال نشوب ثورة وطنية كان هدفها الإطاحة بالحكم ، ولكن لو صح هذا الرأي، لأصبح من العسير أن نفهم لماذا انتكست كريت بعد هذه الانتفاضة الوطنية وبقيت قليلة الشأن والأهمية خلال العصور التالية. ولكن بكل الأحوال، ومهما كانت أسباب الدمار، هو أن قصر كنوسوس والقصور في المدن الأخرى لم يجدد بناؤها كما حدث في العصور السابقة، وأن مملكة مينوس زالت وحضارة كريت قد قضي عليها، حيث نرى أن الكتابات المصرية بعد هذا العهد لا تذكر شيئاً عن شعوب (الكيفتيو)، وإنما تتكلم عن سكان شواطىء بحر إيجة .

ولعل أرجح النظريات اليوم في تعليل أسباب انهيار الحضارة الإيجية ، تلك التي تقول بأن إغريق ميكيناي نفسها هم الذين دمروا هذه القصور والمدن، وحطموا قوتها ، وانكمشت كريت وانزوت ، وهيأ ذلك للميكينيين فرصة مد نشاطهم ونفوذهم من البحر الإيجي إلى سائر أنحاء شرقي البحر الأبيض المتوسط — ونحن بدورنا نميل إلى تأييد صحة هذه النظرية — لأنها تتناسب مع ما جاءت به المكتشفات الأثرية وتتطابق مع الواقع التاريخي ، بدليل ظهور خصائص فنية تدل

على أن ميكيناي بدأت تطبع حضارة كريت بمؤثراتها الخاصة في منتصف الألف الخامس عشر ق.م، وأن شعباً غريباً بدأ يطغى على السكان الأصليين اعتباراً من منتصف هذا القرن ، إذ نجد الجماجم المستطيلة التي كانت أكثرية ساحقة في العصور السابقة تصبح أقلية إلى جانب الجماجم المستديرة ، وأن حكام كنوسوس في هذه الفترة كانوا إغريق آخيين من ميكيناي، وليسوا مينويين . وهناك دلائل أثرية أخرى أثبتت صحة هذه النظرية من أهمها: بناء حجرة العرش في قصر كنوسوس في هذه الفترة – وهي ظاهرة لا نلتقي بها في قصور كريت الأخرى ، وهذا مؤشر إلى بداية قيام نظام حكم جديد في كريت، وتتضمن الألواح الطينية نفسها قوائم رجال بعتادهم المكوّن من عجلات حربية وخيول ودروع، وهذا دليل ينم عن روح عسكرية جديدة على المجتمع المينوي. إضافة إلى اكتشاف مقابر بعض المحاربين تتضح منها مهنة الجندية – وهي مهنة غير مينوية – نظراً لاحتوائها السيوف والخناجر ورؤوس الحراب المدفونة مع الجثث، وإحدى هذه المقابر تحتوي على خوذة برونزية مطابقة في شكلها لخوذات المحاربين في ميكيناي المصنوعة من ناب الخنزير البري.

من خلال ما سبق ، يمكن أن نستنتج أن قبائل الآخائيين في بلاد الإغريق (**ميكيناي**) كانت تريد الخلاص من سيطرة مينوس على بحر إيجة نتيجة للمنافسة الاقتصادية بين كريت وميكيناي (***قد أشرنا إلى ذلك في تحليلنا لأسطورة ثيسيوس والمينوتاوروس***) وقد شعرت هذه القبائل منذ فترة القرن الرابع عشر ق.م ، أنها أصبحت على درجة من القوة تستطيع معها مهاجمة جزيرة (**كريت**) غير المحصنة، وهيأ ذلك للميكينيين فرصة مد نشاطهم التجاري ونفوذهم من البحر الإيجي إلى سائر أنحاء شرقي البحر الأبيض المتوسط .

الفصل الخامس

تاريخ الإغريق الباكر
(٢)
الحضارة الميكينية

أولا : اكتشاف ميكيناي :

الحضارة الميكينية هي الحضارة الكبيرة الثانية التي وجدت في العصر الباكر في العالم الذي انتشرت فيه الحضارة الإغريقية في العصر التاريخي، وهي تختلف عن سابقتها الحضارة الإيجية، في أنها كانت حضارة إغريقية الأصل من جانب، وفي أنها أتت متأخرة عنها من جانب آخر، فقد بدأت بين ١٦٠٠ ق.م أي في بداية الدور الثالث من الحضارة المينوية، وانتهت نحو ١١٠٠ ق.م أي بعد تدهور الحضارة المينوية بمائة عام .

لقد ظل علماء الآثار والمؤرخون الحديثون حتى منتصف القرن التاسع عشر يعدّون أشعار هوميروس في ملحمته (*الإلياذة*) التي تتكلم عن الآخائيين (*الميكينيين*) وقصورهم في ميكيناي، ثم عن حروبهم في طروادة من الأساطير الخرافية . وهكذا استمر الأمر إلى أن اكتشف عالم الآثار الألماني هاينريخ شليمان(*SHLIEMANN , H*) آثار مدينة طروادة في عام ١٨٧٠ م ، ثم في مدينة (*ميكيناي*) في عام ١٨٧٦م مسترشداً بكتاب المؤرخ الإغريقي (*باوسانياس*) (*وصف بلاد الإغريق*) حيث يصف رحلته إلى بلاد الإغريق عام ١٦٠م مكان مدينة ميكيناي ويبدي استغرابه من ضخامة أطلالها، وما إن أعلن شليمان عن اكتشافاته الرائعة في مواقع طروادة وميكيناي وغيرهما من المدن الأخرى، حتى أدرك جميع المهتمين بالتاريخ الإغريقي،

أن هناك جذوراً حقيقية وراء الأشعار الهومرية (*الإلياذة والأوديسة*) والتي بقيت في نظرهم ردحاً من الزمن كغيرها من الأساطير الإغريقية خالية من أي شواهد تاريخية منطقية . فقد كشفت حفريات شليمان عن قسم من سور المدينة، الذي يضم ساحة القصر نفسه الذي كان يشغل قمة التل الرئيسية. حيث إن القصور في ميكيناي — *على نقيض نظائرها الكريتية* — كانت تشيد عند مواقع القلاع الحصينة، ولا تزال بوابة الدخول إلى قصر ميكيناي الرهيبة محتفظة بفخامتها، إذ تتكون من حجر واحد وتعلوها صور أسود منقوشة في الحجر الجيري ، ويؤدي إليها طريق محفوف بجدارين شاهقين . وفي زاوية من السور يقع أحد مداخل المدينة المشهور (*بوابة الأسدين*) حيث نرى تمثالي لبوتين نحتا على صخرة عظيمة ، ولكن رأسيهما قد تحطما ، وتم اكتشاف قاعة القصر الكبرى ، والتي اصطلح العلماء على تسميتها بالمجارون (*MEGARON*) نظراً للتشابه بينها وبين قاعات القصور الوارد ذكرها في الملاحم الهومرية ، وهي خاصة تتميز بها القصور الميكينية ، حيث لا نجد نظيراً لها في الطرز المعمارية المينوية . وهذه القاعة الكبرى (*المجارون*) كانت نواة القصر كله ونقطته المركزية . أما **المقابر الملكية** فقد كانت من ضمن السور، وتشير محتوياتها الفخمة من المجوهرات الذهبية والأواني الخزفية وقدور البرونز والقطع الفضية ثم الخناجر والسيوف المرصعة، على أن هذه المقابر الملكية بنيت في أثناء حياة أصحابها من الحكام، كان القصد منها — *على خلاف قبور الغرف الأسرية* — أن تكون نصباً تذكارياً لهؤلاء الزعماء ، وقد أنفقوا في تشييدها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً ومالاً طائلاً ، وهي تتضمن معنى تمجيدهم إلى أقصى حد، وهذا مما يدل على معنى الرخاء الاقتصادي الهائل . ومن أبرز المقابر الملكية كانت (*خزانة أتريوس*) في ميكيناي والتي تنسب إلى القرن الرابع عشر ق.م، والتي كانت بحالتها الأصلية ورونق عمارتها وضخامتها أكثر تأثيراً في نفوس المشاهدين وكان يحف بمدخلها من جانبيه أعمدة منقوشة وزخارف بارزة من الحجر، وكانت أبوابها الضخمة ذات هياكل برونزية، وكان سطح القبة مزيناً بزخارف برونزية . ويشهد اسم (*خزانة*)

الذي اقترن بهذه الفترة منذ أيام الرحالة (*باوسانياس*) (١٣٨ ـــ ١٨٠م) بفخامة محتويات المقابر الملكية .

كل هذه الآثار التي عثر عليها في ميكيناي، هي بقايا حضارة قديمة انتشرت في بلاد الإغريق وجزر بحر إيجة، وتدل جميع هذه الظواهر على أن أهم مركز لهذه الحضارة كان في مدينة ميكيناي، لذلك أطلق عليها العلماء اسم (*الحضارة الميكينية*) (*THE MYCENEAN CIVILIZATION*) .

ثانياً : موقع مدينة ميكيناي :

يعود تأسيس مدينة ميكيناي ـــ حسب الأساطير الإغريقية ـــ إلى الملك برسيوس (*PERSEUS*)[1] وتقع المدينة فوق تل يرتفع عن سطح البحر بنحو ٩٠٠

---

[1] – يُعد برسيوس طبقاً لشهادة باوسانياس (٢،١٥،٤) وأبوللودوروس (٢،٢ ـ ٢،٤) مؤسس ميكيناي، ويعود برسيوس بسلالته إلى داناؤس المصري، حيث تذكر الأساطير الرائجة في العصر الكلاسيكي (القرن الخامس ق.م) أن داناؤس (DANAUS) جاء من مصر إلى بلاد الإغريق ونزل بمدينة أرجوس حيث أصبح ملكاً عليها فيما بعد، ونقل إلينا هذه القصة الشاعر التراجيدي الكبير أيسخيلوس في مسرحية (المستجيرات) حيث يوصف داناؤس لاجئ من مصر وقام بتوحيد مملكة أرجوس تحت سيطرته، ثم لقي مصرعه على يد ابن أخيه لينكيوس (L YNCEUS) الذي ارتقى العرش مكانه في أرجوس، ثم خلفه من بعده ابنه أباس (A BAS) الذي أنجب ولدين توأمين هما أكريسيوس (ACRISIUS) وبروتيوس (PROETUS)، وتولى أكريسيوس حكم أرجوس بعد موت أبيه، وكان له ابنة تدعى دانائي (DANAE) ونصحته النبوءة بالتخلص من ابنته التي قد تنجب ولداً يقضي عليه، ولكن زيوس أنقذها وعاشرها وأنجب منها البطل برسيوس .

ويقول هيرودوت، أنه شيد لبرسيوس ولد داناؤس في مصر (قرب نيابوليس في طيبة) معبداً محاطاً بأشجار النخيل، ويدعي أهل مصر أن برسيوس ينتمي إلى بلدهم أصلاً، ذلك أن داناؤس ولينكيوس كانا من أهل مصر قبل إبحارهما إلى بلاد الإغريق، انظر هيرودوت، الكتاب الثاني، ص ١٧٢ .

وتتباين نظريات علماء الآثار والتاريخ في حقيقة هذه الرواية وتطابقها مع الواقع التاريخي، فمنهم من يقول بعدم قبول هذه الرواية بعذافيرها، ومنهم من يقول إن هذه الرواية تتضمن بعض وقائع

قدم، وهي بموقعها هذا تُعد محصنة تحصيناً طبيعياً، كما أن الارتفاع يجعلها تطل وتسيطر بالطبيعة على سهل أرجوس الذي تقع في شماله الشرقي، كما يجعلها تتحكم في الطرق المؤدية إلى المضيق أو المنفذ الأرضي الذي يصل شبه جزيرة البلوبونيز بالقسم الشمالي من بلاد الإغريق، كما أن المنطقة التي حولها تمكنها من أن يكون لديها بصفة دائمة المياه اللازمة لها في الزراعة، ومن هنا هُيأ لها منذ البداية دعامة اقتصادية قوية تصلح كنقطة بدء للانبثاق الحضاري .

ولم تكن هذه القلعة الميكينية في العادة مقراً ملكياً فحسب، بل كانت أيضاً معقلاً عسكرياً، حيث كانت المنطقة المحصنة تشتمل على رقعة فسيحة خالية من المباني لكي تحمي - على ما يرجح - مكاناً كافياً لإيواء السكان اللاجئين إليه في ساعات الخطر والهاربين مع ماشيتهم من الريف، أو لحشد قوات إضافية. كما يُلاحظ اتخاذ تدابير احتياطية لتسهيل الحصول على المياه في حالة تعرض المدينة للحصار الطويل، فقد وُجدت ممرات خفية محفورة في الصخر ومدارج تؤدي إلى صهريج. لكن من الواضح أن السواد الأعظم من السكان، كانوا في وقت السلم يعيشون خارج القلعة، وعلى مقربة من حقولهم ومواقع أعمالهم، ويشير موضع المقابر في ميكيناي إلى أن أهل المدينة كانوا يعيشون في مجمعات أو وحدات سكنية متفرقة .

ثالثاً : التقسيمات الزمنية للحضارة الميكينية (الهلادية) :

اصطلح علماء الآثار على تسمية الحضارة الميكينية الأصلية في بلاد الإغريق — ***بالحضارة الهلادية*** — نسبة إلى (***هلاس***) (***HELLAS***) أي بلاد الإغريق ، وقسموا هذه الحضارة كزمن الحضارة المينوية إلى ثلاثة عصور تكاد تكون متقاربة زمنياً في

= يرجح أنها صحيحة، ومنهم من يقول، أن برسيوس- **على خلاف داناؤس**- معروف **لهوميروس** الذي يشير إليه في الإلياذة (ك ١٤، ب ٣١٩) ولما كانت والدته **داناني** (أي امرأة من الدناويين) وأبوه هو زيوس، فإن سيرته تبدو متسقة مع سير الفاتحين الأبطال من مؤسسي المدن أو الممالك، ومثل هذا النمط كان سائداً عند الإغريق. انظر : **عبد اللطيف أحمد علي**، ص ٧١٨ .

الحالتين. كما قسموا كل عصر بدوره إلى ثلاث فترات . فيقولون ***العصر الهلادي القديم، والهلادي الوسيط، والهلادي الحديث*** . ويقسمون كل عصر من هـذه العصور إلى ثلاثة أدوار كما هو الحال في العصر المينوي . وتتكـوّن التقسـيمات الزمنية لحضارة بلاد الإغريق بشكل عام على الشكل التالي :

١ ــ العصر الهلادي القديم (قبل ٢٥٠٠ ــ ١٩٠٠ ق.م) .

٢ ــ العصر الهلادي الوسيط (١٩٠٠ ــ ١٥٥٠ ق.م) .

٣ ــ العصر الهلادي الحديث (١٥٥٠ ــ ١١٥٠ ق.م) .

ويمكن أن نسمي هذه العصور الثلاثة التي تبدأ من قبـل ٢٥٠٠ ــ ١١٥٠ ق.م ***بالعصر الباكر لتاريخ الإغريق*** ، ويقسم العلماء كل عصر بدوره إلى ثـلاث فترات ، ونكتفي هنا بتقسيم العصر الهلادي الحديث :

آ ــ العصر الهلادي الحديث الأول (١٥٥٠ ــ ١٥٠٠ق.م) .

ب ــ العصر الهلادي الحديث الثاني (١٥٠٠ ــ ١٤٢٥ق.م) .

ج ــ العصر الهلادي الحديث الثالث (١٤٢٥ ــ ١١٥٠ق.م) .

وقد ازدهرت الحضارة الهلادية في العصر الهلادي الحديث وبلغت ذروتها في الفترة المتأخرة من ذلك العصر أي في العصر الهلادي الحديث الثالـث (١٤٢٥ – ١١٥٠ ق.م) .

وعلى ذلك (***فالحضارة الميكينية***) هي الحضارة الهلادية عند بلوغها الذروة في ميكيناي. ولمة ملاحظة أخرى وهي أن (***الحضارة الهلادية***) ليست سوى مصطلح علمي (***مشتق من هلاس بمعنى بلاد الإغريق***) نستعمله للتمييز بينها وبين حضـارة بلاد الإغريق اللاحقة .

ويلي عصر الحضارة الهلادية عصر نسميه (***بالعصر الإغريقي الوسـيط أو المظلم***) (١١٠٠ – ٧٥٠ق.م)، ثم يأتي عصر (***الحضارة الهيلينيـة***) (٧٥٠ – ٣٥٠ ق.م) ولكن هذا العصر ينقسم إلى قسمين: العتيق (ARCHAIC) ***أو (مسا قبـل***

الكلاسيكي) (*٧٥٠ - ٥٠٠ق.م*) *ثم الذهبي أو الكلاسيكي* (*٥٠٠ - ٣٥٠ق.م*)، *ولو أن بعض المؤرخين يقصرون صفة العصر الذهبي على القرن الخامس في أثينا* (٥٠٠ - ٤٠٠ ق.م) وبعد ذلك تسمى الحضارة الإغريقية بمصطلح آخر وهو (*الحضارة الهيللينستية*) التي تبدأ في أواخر القرن الرابع ق.م (*بعد معركة خيرونية ٣٣٨ ق.م*) أو بعد الإسكندر المقدوني وفتوحاته في الشرق وامتزاج الحضارة الإغريقية بالحضارة الشرقية (منذ عام ٣٢٣ ق.م) وتستمر الحضارة الإغريقية تسمى بالحضارة الهيللينستية حتى القرن الأول قبل الميلاد أو ما بعد ذلك .. وعندئذ يمكن أن نسمي الفترة التي تحت سيطرة روما باسم الحضارة (الإغريقية - الرومانية) .

رابعاً : أصل الشعب الميكيني :

قامت الحضارة الميكينية على أكتاف سكان البلاد الأصليين الذين يسميهم الإغريق بيلاسكي (*PELASGI*) ومن المحتمل أن يكون هذا الاسم مشتقاً من كلمة بلاغوس (*PELAGOS*) أي البحر، فهو لذلك يفيد معنى (*شعوب البحر*). ومن المؤكد أن بناة هذه الحضارة الهلادية القديمة كانوا قوماً *لا ينتمون إلى الأسرة الهندو - أوروبية* . وقد وفدوا إلى البلاد التي ستعرف ببلاد الإغريق من جنوب غرب آسية الصغرى، وكانوا يمتون بصلة عنصرية إلى السكان المعاصرين لهم من الكيكلاديس وكريت، وتنتمي إلى لغتهم كلمات منتهية بلواحق معينة غير إغريقية الأصل مثل ميكيني وجمعها ميكيناي، ولا يبدو أن هؤلاء القوم دخلوا شبه الجزيرة كغزاة فاتحين، ولكن في عام ١٩٠٠ق.م اقتحم البلقان أول فوج من الهندو - أوروبيين، والذين وفدوا - على ما يرجح - من حوض نهر الدانوب أو من شمال أوروبا الشرقي أو من منطقة أبعد من ذلك، *وكانوا يتكلمون اللغة الإغريقية من أسرة اللغات الهندو - أوروبية* . وينبغي التنبيه إلى أن هؤلاء لم يأتوا دفعة واحدة أو

في فوج كبير واحد، ولا في شكل حملة استعمارية منظمة، بل جاؤوا كغزاة متسللين في عدة أفواج خلال فترة طويلة من الزمن استغرقت ما يزيد على ثمانية قرون.

هؤلاء الوافدون الجدد الهندو — أوروبيون الذين اقتحموا البلقان في العصر الهلادي الوسيط، كانوا الطليعة الأولى من الجنس الهيليني التي حضرت إلى بلاد الإغريق، وقد تمت تسميتهم (بالآخيين) اقتداء بهوميروس الذي يطلق هذا الاسم على جنودهم التي كانت تحاصر طروادة عند أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الثاني عشر، وأن كان يسميهم بغير هذا الاسم في بعض الأحيان [1]، وقد امتزجوا بالسكان القدامى البلاسجيين [2]، وفرضوا عليهم سيطرتهم ولغتهم، ورغم تعدد الشعوب واللهجات فإنه في هذا العهد أخذت تسود بين الجميع اللغة الإغريقية وكونوا أحد عناصر ذلك الخليط الجنسي اللاحق الذي يستحق عن جدارة أن يسمى بالإغريق أو اليونان.

خامساً : مظاهر الحضارة الميكينية :

تظهر مظاهر الحضارة الميكينية من خلال مصادرها التي انحصرت في الكتابة الخطية ((B ومن الألواح الطينية المكتشفة في بيلوس (PYLOS) بإقليم مسينيا غرب البلوبونيز [3]، وهي خارج قلعة المدينة في ميكيناي، حيث عثر العلماء على نحو ٦٠٠ لوحة وسط أنقاض حجرة بالقرب من مدخل القصر، وقد أطلق عليها علماء

---

1 – كما يسميهم أحياناً (بالأرجويين) نسبة إلى أرجوس المتاخمة لميكيناي، وأحياناً (بالدانايين) نسبة إلى دانايوس وهو جد مصري أسطوري، (والأخاليين) نسبة إلى منطقة (آخيا) التي تقع جنوب شرق إقليم تساليا، وهذا الاسم الأخير لا يقصد به كل بلاد الإغريق، وإنما قسمها الشمالي فقط حيث توجد (آخيا).

2 – انظر : سيد أحمد الناصري، أضواء على الحضارة الميكينية، مجلة كلية آداب القاهرة، المجلد التاسع والعشرون ١٩٧٣ م، ص ١٠٦. كذلك الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص ٤٨ وما بعدها.

3 – اسمها الحديث آنو أنجليانوس (A NO ENGLIANOS) وتقع على الطرف الشمالي من خليج بيلوس.

الآثار حجرة السجلات (ARCHIVE ROOM) ويبدو أنها كانت مكتباً إدارياً صغيراً ملحقاً به [1]. وكان الغرض الرئيسي من كتابة هذه الألواح – كما يتضح من محتواها – تدوين المسائل المتصلة بالعمل اليومي، كقوائم بأسماء أشخاص يوضح وظائفهم أو حرفهم أو يشير إلى استئجارهم الأراضي والمستحق عليهم من ناتج المحصول، وبيان بالمواد التموينية التي صُرفت لخدم القصر وأتباعه أو بالهدايا القربانية التي أرسلت إلى محاريب الآلهة ومعابدهم، وعلى قوائم جرد أدوات وأمتعة منزلية أو معدات عسكرية، وبيان بتوزيع قوات عسكرية، وتمدنا ألواح قصر بيلوس بصورة حية للقصر نفسه وكل من كانوا يخدمون فيه من الرجال والنساء والأطفال .

ومن خلال هذه الألواح والمعلومات التي قدمتها لنا، بإمكاننا أن نستخلص بعض مظاهر المجتمع الميكيني في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفنية ، ومن خلالها نكون قد تعرفنا على جزء هام وكبير على أحوال المجتمع الميكيني في الفترة التي نؤرخ لها .

١ ــ المظهر السياسي :

كان نظام الحكم في ميكيناي ملكياً، ويلقب الملك بكلمة وناكس (WANAX) ويأتي في مقدمة رجال الدولة. ويعكس هذا اللقب صفة دينية للملك ككاهن أعظم إلى جانب مهماته السياسية (كإعلان الحرب والسلم وإبرام المعاهدات). ويلي الملك من ناحية السلطة قائد الجيش لاواجيتاس (LAWAGETAS) وكان من أصحاب المراتب الرفيعة في الدولة، ويليه في المرتبة أصحاب الضياع من النبلاء

---

١ – عثر على هذه الألواح عالم الآثار الإمريكي بليجن (BLEGEN . B) وزملاؤه في قصر بيلوس عام (١٩٣٢ ــ ١٩٣٩م) .

(*TERETA*) الذين كانوا يتمتعون بحصانة دينية كبيرة، بعد ذلك يأتي الاتباع (*BEQUETAI*) الذين كان يتألف منهم الجيش .

وفي هذا المجال يجب أن نوضح حقيقة سياسية مهمة بالنسبة للميكينيين، ***وهي أن الشعب الميكيني كان يميل إلى الحرب والقتال ، ويظهر ذلك من خلال الرسوم التي صورت على جدران القصور في ميكيناي ، التي لا تصور مناظر الطبيعة أو الحيوانات أو النباتات أو مشاهد الحياة العادية كما في قصر (كنوسوس) في كريت ، بل تمثل الجنود وساحات الحرب*** .. إن الحضارة الميكينية لم تكن على درجة من الرقي والترف حتى يمكن مقارنتها بحضارة (كريت) .. فالمجتمع الإغريقي كان لا يزال في حالة بدائية والسكان كانوا منصرفين إلى الصيد والحرب وإلى صناعة الأسلحة بالدرجة الأولى . ***وكان للأسطول دوره الكبير في حياة الميكينيين السياسية والحربية*** ، ولا سيما أن طبيعة بلاد الإغريق الساحلية البحرية قد أملت على حياة الإغريق أهمية الأسطول في الدفاع والغزو السريع، مما جعل بلاد الإغريق كافة تعمل من أجل التنافس على بناء أحدث وأقوى الأساطيل من أجل السيادة والبقاء وفرض نفوذهم بالقوة واستغلالهم لموارد عديد من شواطئ المدن الإغريقية الأخرى مثل استغلالهم مناجم القصدير في شبه جزيرة (*ايبريا*) واستعمارهم لمدينة (*ميليتوس*) وجزيرة (*لسبوس*) .

٢ ــ *المظهر الاقتصادي* :

كان المظهر الاقتصادي للحضارة الميكينية سماته المميزة في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، التي كانت تعكس صورة صادقة لحياة الإغريق الاقتصادية . فالزراعة كانت حجر الزاوية في دعائم الحضارة الميكينية حيث كان يقوم بها معظم أفراد عامة الشعب . وكانت منطقة بيلوس بمنزلة ضيعة شخصية للملك وتعد من حصته الخاصة المسماة (*TEMENOS*) فكانت هذه الحصة- فيما يُظن- يؤجرها للغير

وينتفع بما يحصله من إيجار لسد حاجاته الشخصية. وكان نظام ملكية الأراضي معقداً، فيمكن أن نتبين من خلال - *ألواح بيلوس* - نوعين من أنواع الملكية العقارية: أحدهما الأراضي العامة التي تمتلكها الدولة (*KEKEMENA*) والآخر، الأراضي الخاصة التي يمتلكها الأفراد (*KITIMENA*). وكانت الأراضي العامة (أي أراضي الدولة) يتصرف فيها الملك وفق إرادته ويقتطع منها لذويه وقواده أمثال قائد الجيش (لاواجيتاس) وأتباع الملك، وكذلك حصص ولاة المدن التابعة الذين قد يطلق عليهم أحياناً لقب (*BASILEES*) أي ملوك المدن [1].

وتمدنا - *ألواح بيلوس* - بأنه كانت هناك قوائم لتسجيل مقدار المحاصيل المختلفة بأنواعها ونصيب القصور ومعابد الآلهة منها، كما تشير الألواح إلى أن القمح والشعير كانا من أهم الحاصلات، كما اهتم الميكينيون مثل باقي سكان الإغريق بزراعة الزيتون والكروم بالقدر الذي تسمح به رقعتهم الزراعية [2].

أما الصناعة فقد ارتبطت بالزراعة ارتباطاً وثيقاً مثل صناعة الزيت من الزيتون والمنسوجات الصوفية من أغنام المراعي، والتي كانت تعد من أهم صادرات المجتمع الميكيني إلى حوض البحر الأبيض المتوسط وحجر الأساس للتجارة الخارجية. *وأكثر الصناعات تقدماً في ميكيناي هي صناعة المعادن، ولاسيما الذهب والفضة وقد وجدت منهما كميات كبيرة، إضافة إلى الصناعات الفخارية والحديدية والنحاسية ولاسيما السبائك النحاسية التي استخدمت كوحدات للتعامل بدلاً من النقود.*

وتكشف لنا - *ألواح بيلوس* - عن وجود تخصص صناعي مهني دقيق - *فنلتقي على سبيل المثال- بنجارين وبنائين وصنّاع سفن وسباكي برونز وصانعي*

---

1 - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٧٥٥ .

2 - انظر : سيد أحمد الناصري ، ص ٦١ .

فخار وصائغي ذهب، وهم أصحاب حرف لفترض وجودها من واقع المخلفات الأثرية [1] .

وأما التجارة، فيرجع امتداد السيطرة التجارية الميكينية إلى عدد من مناطق بلاد الإغريق. ففي البلوبونيز مثلاً، انتشرت مظاهر التجارة الميكينية في تيرنس، وكورنثة، وأميكلاي (إسبارطة فيما بعد) وبيلوس. وفي إقليم أتيكا انتشرت في مدن أثينة وإليوسيس وأورخومينوس. أما فيما يخص اتصالاتها التجارية خارج بلاد الإغريق، نجد أن انتشار الآنية الخزفية الميكينية يرسم أمامنا طريق انتشار قوة ميكيناي والحضارة التي كانت تمثلها. وقد وصلت حدود هذا الانتشار غرباً إلى صقلية وجنوبي إيطالية ومالطة. وفي الشرق امتد النفوذ الميكيني إلى الساحلين الغربي والجنوبي لآسية الصغرى كما هو الحال في ميليتوس التي عثر فيها على أوان فخارية ميكينية ترجع إلى العصر الهلادي الثالث. وفي طروادة عثر أيضاً على أوان فخارية مستوردة من ميكيناي ومعظمها من أواني المائدة مثل كؤوس الشراب وما شابه ذلك. وامتد النفوذ الميكيني شرقاً حتى شمل أيضاً جزيرتي رودوس وقبرص، والساحل الشمالي لسورية وفينيقية، وبلغت آثارهم فلسطين ومصر حيث وجدت أوانٍ ميكينية في تل العمارنة ترجع إلى الربع الثاني من القرن الرابع عشر ق.م .

وبفضل سيطرة الميكينيين على جزيرة النحاس الكبيرة (قبرص) وتأسيسهم مستعمرات مستقلة هناك امتد نشاطهم التجاري إلى الساحل الشمالي لسورية حيث تقع أوغاريت (UGARIT) (رأس شمرا الحالية) حيث أسس الميكينيون فيها مستعمرة تجارية مهمة في القرن الثالث عشر ق.م قوامها مهاجرون آخيون ميكينيون من

---

[1] - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٧٥٥ .

قبرص، وأصبحت *أوغاريت* بمنـــزلة مخفر أمامي للميكينيين على الساحل السوري، وتغلغل نفوذهم في داخل سورية وظهرت لهم آثار ترجع إلى الفترة نفسها تقريباً في مملكة *آلالاخ (ALALAKH)* *(تل عطشانة الحالية)* التي كانت تقع في الشمال مـــن ثنية نهر العاصي، ثم جاء الميكينيون وأسسوا - على ما يرجح - مستعمرة في مرفئهـــا بوسيدون *(POSEIDEION)* *(الميا البيضا الحديثة)* الذي كان متصلاً بوساطة القوافل التجارية بالفرات وأعالي أرض الرافدين، *وقد بلغت أوانيهم الفخارية أماكن أخرى في سورية مثل قطنة وقادش وما وراء حماة .*

ولم يلبث أن تابع الميكينيون مد نفوذهم جنوباً مترسمين - كدأبهم - خطـــوات المينويين من قبلهم، ووصل هذا النفوذ إلى بيبلوس *(BYBLOS)* *(جبيل الحاليـــة)* في فينيقية، ولقيت تجارهم رواجاً في المنطقة الساحلية الممتدة من بيبلوس إلى خليج عكا، *ويبدو أن التجار الميكينيين أنشؤوا أيضاً في القرن الثالث عشر ق.م مستودعاً للبضائع في تل أبو حوام بالقرب من يافا إذ عثر فيها على فخار مستورد من بلاد الإغريق .. وكشفت معاول الأثريين عن آنية فخاريـــة ميكينيـــة الصـــناعة في القطّاع الساحلي لفلسطين في عسقلان وتل العجول على مقربة من غـــزة، وفي أماكن أخرى داخل جنوب فلسطين، وتغلغل التأثير الميكيني حتى بلـــغ أريحـــا في وادي نهر الأردن* .. وكان هذا التغلغل الحضاري الهائل معاصـــراً لتغلغلـــهم في أوغاريت، لكن هذا القطّاع الأخير الذي امتد إليه تأثير الميكينيين كان يقع حينئـــذ تحت حماية الفراعنة وكان النفوذ المصري قد توطد في الساحل الفينيقي، ولاسيما في مدن بيبلوس (جبيل) التي كانت مركزاً حيوياً لتصدير الأخشاب إلى مصر.

كانت ميكيناي تصدر كل هذه الأواني الفخارية معبأة أحيانـــاً بالزيـــت أو بالعطور، وأحياناً فارغة كأوان مطلوبة لذاتها وقيمتها الجمالية .. وأما السلع الـــتي كانت تستوردها بلاد الإغريق من تلك الجهات، فليس بالإمكان التعرف إلا علـــى

جانب منها بطريق الاستنتاج ، ومن بينها النحاس الذي لا شك في أنه كان أحد الأسباب التي أثارت اهتمام الميكينيين بقبرص .. وكان يصدر إلى بلاد الإغريق كسبائك كبيرة على شكل جلد الثور المدبوغ، ***ولعل ميكيناي كانت تستورد من مصر الذهب الذي كان يستخرج من مناجم وادي العلاقي بالنوبة، وكانت تستورد العاج من سورية حيث تشير بعض شواهد مصرية قديمة إلى وجود الفيلة في منطقتها الوسطى .***

ويستدل من الدنان الفينيقية (***AMPHORAE***) التي عثر عليها في أماكن ميكينية، على استيراد بلاد الإغريق للنبيذ من فينيقية، ولعل الأقمشة المرسومة كانت هي الأداة التي انتقلت بوساطتها الأساليب الزخرفية (كصور الحيوانات) من الفن الشرقي إلى الفن الميكيني [1] .

٣ ــ *المظهر الاجتماعي :*

كان الملك يشرف على كل أوجه نشاط الطبقة الاجتماعية التي كان هو نفسه على رأسها، وكان المجتمع مقسماً إلى طبقات والطبقات إلى طوائف مهنية (***كما أشرنا سابقًا إلى طوائف المهن الصناعية***)، ولكل طبقة بل لكل طائفة اسم يميزها عن غيرها، ولكل منها نصيب معين من القوت يوزع عليها بكل دقة، ولكل منها تخصص دقيق معروف في العمل .

ويجب الإشارة، إلى أن الأسرة كانت أساس المجتمع الميكيني وكيانه، وكان الأب عماد الأسرة وله حق التصرف في شؤونها وتدبير أمورها، بما في ذلك الأبناء وأبناء الأبناء، وللأب الحق في توزيع الثروات الخاصة بالأسرة .. وإن كان الابن الأكبر له أفضلية وحق إرث ممتلكات الأسرة بعد وفاة الوالد .. وربما تعطينا المصادر صورة واضحة عن ضعف شخصية المرأة إلى جانب الرجل، وربما وجد من

---

[1] – للمزيد من التفاصيل حول الانتشار الحضاري والصلات الخارجية لميكيناي انظر : المرجع السابق ، ص ٧٥٩ ــ ٧٨٠ .

صور ونقوش على قصور وجدران الميكينيين ما يعطينا دليلاً على ذلك .. كذلك فقد عرف المجتمع الميكيني نظام العبيد حيث أمدتنا الألواح بدلائل وجود طبقة العبيد في المجتمع الميكيني بصورة شائعة ، وأن بعضهم كان مملوكا للأفراد من الأسر النبيلة .

٤ ـ المظهر الديني :

هناك بعض المصادر الأدبية التي تشير إلى حقيقة مهمة بالنسبة للحياة الدينية للحضارة الميكينية، وهي تشابهها بالحياة الدينية للحضارة المينوية في كريت .. وربما هذا ما دفع بعض الباحثين إلى إطلاق اسم مشترك على الديانتين ***MINOAN (MECENEAN RELIGION)*** حيث يلاحظ أن أدوات العبادة وشعائرها تكاد تكون واحدة بين الحضارتين، وأن المناظر الدينية المصورة لتقديم القرابين للآلهة كانت متشابهة إلى حد كبير، ***مما يشير إلى أن هناك ديانة كانت مشتركة بين كريت وميكيناي***. وأن تعدد الآلهة- ***كما هو واضح من ألواح بيلوس***- كانت صورة بارزة في الديانة الميكينية، إذ يرد فيها أسماء بعض آلهة أوليمبوس الذين عبدوا فيما بعد، ومن بينهم زيوس وهيرا وبوسيدون وأرتميس وهرمس، ويتردد في الألواح ذكر ربة كبيرة الشأن، ولكنها لا تذكر بالاسم بل بلقب ***(POTNIA)*** بمعنى السيدة أو ربما ***(الآلهة الأم)*** كما في كريت[1]، هذا فضلاً عن آلهة وإلهات صغيرات قليلات الشأن[2] .

ولم تكن تعرف ميكيناي أماكن العبادة الضخمة التي كانت متوافرة في العصور الكلاسيكية، فكانت لها سماتها البارزة من خلال آثار مدينة ميكيناي، وتشير ملامح الآثار والصور إلى أن الملك الميكيني بلقبه ***(وناكس)*** كان يدير المراسيم الدينية بنفسه .

---

1 - G . E , MYLONAS , MYCENAE AND MYCENAEAN AGE (PRINCETON -1966) P . 159 .

2 - ويمدنا الأدلة المستمدة من أنقاض الآثار والمعابد على عبادة آلهة أخرى مثل سيدة الحيوانات، وربة الثعبان ، وربة البركة ، وربة الشجرة ، وربة الحرب .

٥ ــ المظهر الفني :

لا شك أن حفائر مدينة ميكيناي وغيرها من مدن البلوبونيز تعكس لنا صورة صادقة لبراعة الفن الميكيني .. وربما يظهر ذلك الفن بصورة كاملة في قصر الملك الحاكم باسم (*وناكس*) .

كذلك يتجلى في الحضارة الميكينية البراعة المعمارية للمدن الميكينية التي أقامها الميكينيون على قمم التلال حيث قاموا بتحصينها دفاعياً وأقاموا حولها الأسوار المنيعة المدعمة بالقلاع .. هذا إلى جانب براعتهم في إنشاء شبكات الطرق ، فتطالعنا الألواح الطينية عن عنايتهم البالغة في إنشاء وبناء شبكات الطرق التي تربط بين المدن ومراكزها التجارية وبين مدن أخرى .. ولنا أن نضيف حقيقة أخرى وهي أن عناية الميكينيين بالطرق كانت نابعة أساساً من حرصهم على تسهيل مهمة الجيش في تنقلاته الحربية السريعة .

وربما كان لفن بناء القصور الميكينية صورة عاكسة لمدى ازدهار فن العمارة القديم، ونذكر على سبيل المثال قصر (**بيلوس**) الذي ينسب إلى أسرة نستور (***NISTOR***) والذي مجّده هوميروس ويُعد إحدى الشخصيات الطريفة في الإلياذة، ويحوي القصر عدداً كبيراً من الحجيرات الصغيرة من غرف نوم وحمامات ومكاتب وأنواع مختلفة من المخازن التي حوت عدداً كبيراً من الجرار الفخارية التي كانت تستخدم في خزن الغذاء والزيوت والنبيذ، هذا إلى جانب العثور على سجلات مكتوبة بالخط (***LINEAR B***) في حجرة تقع إلى يسار مدخل القصر، هذا إلى جانب قصور ميكيناي وتيرنس .

ويجب ألا نغفل فن النحت الميكيني على كثير من صور جدران القصور وأسوار المدن مثلما ظهر على بوابة الأسود في ميكيناي حيث صوّرت البوابة يعلوها أسدان منحوتان على قطعة واحدة من الحجر يتوسطهما العمود المقدس .

ولنا هنا أن نوضح حقيقة مهمة وهي أن الميكينيين قد اقتبسوا كثيراً من خصائص المعمار المينوي .. ولاسيما طريقة البناء، واستخدام الأعمدة كعنصر زخرفي .

كما اقتبس الفنان الميكيني النماذج الزخرفية المينوية ورسمها على الفخار، كما وجدت أشكال أخرى من الأواني الخزفية تبلغ من التشابه حداً يتعذر معه معرفة ما إذا كانت مينوية أو ميكينية إلا بعد الفحص الدقيق .

ولكن يجب الإشارة هنا إلى معلومة مهمة، وهي أن الفن الميكيني بدأ يتخلص من الأثر الكريتي واتخذ طابعاً مستقلاً بعد ذلك منذ العصر الهلادي الحديث الثالث، وأصبحت موضوعات الرسم والتصوير والزخرفة ميكينية الطابع وعلى الأخص في بلاد الإغريق الأصلية . ففي ميكيناي نلتقي بمنظر معركة حربية يهاجم فيها المقاتلون أحد المباني، وبينهم فريق من الجنود المسلحين ومعهم خيولهم، وفي تيرنس نلتقي بمنظر لصيد الخنزير البري ويظهر فيه حملة الحراب وكلاب الصيد المرقطة وهي تطارد حيواناً جريحاً، وفي بيلوس اكتشفت مناظر تمثل أسوداً ووحوشاً خرافية (*تصفها في شكل السبع ونصفها الآخر في شكل الطير*) ورجلاً يعزف بالقيثارة الصغيرة، كما نستطيع أن نميز هنا صفة معمارية انفردت بها الحضارة الميكينية وهي (*مقابر خلية النحل*) المستديرة ذات القباب (***TOHOLOS TOMBS***) وهي مرحلة متطورة لمقابر ميكيناي (البئرية) حيث تم العثور على تسع من هذه المقابر في ميكيناي كان يدفن فيها أفراد الأسرة المالكة .

فمثل هذه الصور لم تكن مألوفة في المجتمع المينوي . ومن هنا نرى كيف بدأت الحضارة الميكينية تتخلص من الأثر الكريتي لتنفرد بشخصية متبلورة مستقلة .

سادساً : انهيار الحضارة الميكينية :

بدأت قوة ميكيناي في الاضمحلال والتدهور منذ أواخر القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الثاني عشر ق.م . ونجد مظاهر ذلك في انكماش الاتصالات التجارية الإغريقية مع الشرق ، وتضاؤل الجاليات الإغريقية المستوطنة في كثير من

المناطق في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ثم انعدام أثرها . ومما يشير إلى ذلك ، إننا نجد ميكيناي في القرن الثالث عشر ق.م تزيد تحصيناتها الدفاعية والاهتمام بحماية مواردها المائية، ولعل ما حدث في حالة ميكيناي حدث مثلـه في أماكن أخرى من بلاد الإغريق، إذ نشاهد في هذه الفترة استعدادات تحصينية تشابه حصن الأكروبوليس في أثينة .

وفي هذه الفترة من الغروب أو التدهور ، نستطيع أن نضع من الناحية التاريخية *حصار إغريق ميكيناي لطروادة الذي خلده هوميروس شاعر الإليسادة والأوديسة كومضة أخيرة من ومضات الصراع الإغريقي الميكيني في سبيل القوة الخارجية وبنفس الوقت كان آخر منجزات الحضارة الميكينية .*

ويبدو أن صراع إغريق ميكيناي مع طروادة قد أرهقهم وفتت قواهم أكثر مما زاد في سيطرتهم وصلابتهم، وفي الحقيقة فإن استمرار الحرب مدة عشر سنوات كان من شأنه أن ينهك قواهم ويضعف شوكتهم، وفي أثناء عودتهم إلى بلادهم بعد انتهاء الحصار، غرقت منهم سفن كثيرة، ومات منهم الكثير، وأصبحت بلاد الإغريق في حالة فوضى واضطراب، *ولعل خير دليل على ذلك هو أن هوميروس في ملحمتيه السابقتين، لا يذكر لنا أن إغريق ميكيناي أو كما يسميهم (بالآخيين) حققوا بقاء إغريقيًا في طروادة، وإنما عادوا أدراجهم إلى بلادهم متفرقين كل بطريقته الخاصة، ليس هناك أي وحدة ما تجمعهم كما جمعتهم وحدة التصميم على غزو طروادة وإسقاطها قبل ذلك، وحاول كل منهم أن يرتب أموره في دولته دون أن يدري عن الآخرين شيئًا، ودون أن يعنيه من أمر الآخرين شيء*[1] .

في ذلك الوقت الذي انتهى نحو عام ١١٠٠ق.م، استغلت قبائل (*الدوريين*) فرصة ضعف الإغريق وانقسامهم وتفتيت كلمتهم ووحدة صفهم، وبدأت قبائلهم تتدفق على بلاد الإغريق (*الواقعة في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان*) على

---

[1] - انظر : هوميروس ، الأوديسة ١، ٢٨٤ - ٢٨٨ ثم ٣ ، ١٨٤ - ٢٠٠ .

شكل موجات عارمة كغزاة ومهاجرين مسلحين من الشمال وانقضوا على أماكن الحضارة الميكينية وعلى ما تبقى من مراكز الحضارة المينوية، ***فدمروا وحطموا ودفعوا أمامهم كل شيء ، فخربوا المدن وأحرقوا القصور وقتلوا من السكان ما استطاعوا ، وفرضوا العبودية على بقية السكان*** . وكان هؤلاء الدوريون من المحاربين الأشداء، لأنهم ما زالوا في طور البداوة يعيشون من الصيد ورعي الحيوانات وقلما كانوا يعملون في الزراعة، وكانوا يستعملون أسلحة من الحديد، فاستطاعوا أن يتغلبوا بسهولة على الميكينيين الذين كانت أسلحتهم ما زالت تصنّع من البرونز ، وقد اضطر الميكينيون الذين استطاعوا الإفلات منهم إلى الهجرة فانتقل أكثرهم إلى جزر بحر إيجة وشواطىء آسية الصغرى واستقروا هناك .

ثم تابع *الدوريون* هجومهم فاتجهوا إلى كريت، وهدموا ما بقي من مدنها وقصورها، ثم استولوا على جزيرة ***ميلوس وقوس وكنيدوس ورودوس*** وفرضوا على سكانها سيطرتهم وسيادتهم .

وقد كان من جراء هذا الغزو الدوري الذي استمر حتى عام ١٠٠٠ ق.م ، وما ترتب عليه من القضاء على مراكز الحضارة الإيجية والميكينية، أن دخلت المنطقة في عصر من الظلام نسيت فيه منجزاتها الفنية والثقافية ، حتى حروف الكتابة التي كانت تستخدمها، وخرجت السيطرة البحرية في بحر إيجة من يد الإغريق إلى يد الفينيقيين، وتخلخلت سلطة البيوت الحاكمة القديمة، وأصبح النظام السائد في المجتمع الإغريقي على أساس التجمعات السكانية القبلية أو القروية، وقد امتدت هذه الفترة من عهود الظلام من ١٠٠٠ - ٨٠٠ ق.م، ومن هنا جاءت تسمية هذا العصر بالعصر المظلم .

الفصل السادس

الحرب الطروادية
بين
ميكيناي وطروادة

أولاً : اكتشاف طروادة :

إن المدينة المعروفة في العربية باسم (*طروادة*) غالباً ما تسمى في إلياذة هوميروس باسم إليوس (*ILIOS*) . وتقع طروادة في إقليم ميسيا (*MYSIA*) في شمال غرب آسية الصغرى (*الأناضول*) حيث يحدها من الغرب بحر إيجة، ولا تبعد عن مدخل الدردنيل أكثر من أربعة أميال .

وقد أجريت عدة حفائر أثرية للكشف عن طروادة الوارد ذكرها في إلياذة هوميروس ، وبدأها **شليمان** الألماني في القرن الماضي (١٨٧٠ — ١٨٩٠م) وتابعها من بعده تلميذه **دربفلد** (*DREPFELD. W*) (١٨٩٣ — ١٨٩٤م) وفي القرن الحالي أجرى **بليجن** (*BLEGEN .C*) تنقيبات هناك باسم جامعة سنسناتي الأمريكية (١٩٣٢ — ١٩٣٨م) ، وقد تبين من الكشوف الأثرية أن موقع طروادة (**المقابل الآن لتل يسمى حصارلك** (*HISSARLIK*) في تركيا) كان مركزاً عمرانياً سكنه الناس قديماً في فترات زمنية متعاقبة، كما تبين أن الأنقاض المتراكمة التي تغطي التل ويصل عمقها إلى نحو ٥٠ قدماً تشتمل على تسع طبقات أثرية رئيسية، ومعنى هذا أنه نشأت بالموضع نحو تسع طروادات يعلو بعضها بعضاً . وكشفت معاول الأثريين عنها وهي مطمورة واحدة تحت أخرى، وبديهي أن أقدم هذه

الطروادات هي السفلى، وإذ درج الأثريون على بدء الترقيم من أسفل فقد أعطوها رقم (١) فعرفت (*بطروادة الأولى*) ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرونز (بعد عام ٣٠٠٠ق٠م) وقد حسب شليمان أن طروادة رقم (٢) التي تعلو السفلى ويرجع تاريخها إلى نحو (٢٥٠٠ ــ ٢٢٥٠ق٠م) هي طروادة هوميروس، لكن لم يلبث دربفلد أن أوضح خطأ شليمان بعد وفاته وساق أدلة كثيرة يثبت أن طروادة رقم (٦) التي ازدهرت فترة طويلة (١٨٠٠ ــ ١٣٠٠ق٠م) هي طروادة الحرب الشهيرة. وقد ظل رأيه سائداً عدة سنوات ولا يزال له أنصار حتى اليوم، لكن البعثة الأثرية الأمريكية استطاعت في الثلاثينات بما توافر لديها من إمكانات وما عقدته من مقارنات بين الأدلة الأثرية في مختلف المراكز الحضارية أن تقنع جمهرة العلماء بأن طروادة رقم (٧) التي يرجع تاريخها إلى نحو عام ١٢٠٠ق٠م هي طروادة التي حاصرها الأخيون (*الميكينيون*) تسع سنوات ثم هبوها بعد سقوطها في السنة العاشرة وأضرموا فيها النيران.

ثانياً: حصار طروادة:

دارت حول طروادة رحى الحرب الطروادية بين الإغريق (*الميكينيين أو الأخيين*) والطرواديين نحو عام ١٢٠٠ق٠م. وترى الأساطير الإغريقية، أن برياموس (*PRIAMOS*) ملك طروادة أرسل ذات يوم ابنه باريس (*PARIS*) وهو أجمل أولاده، إلى بلاد الإغريق لاسترجاع عمته **هسيوني** (أخت الملك برياموس) التي سباها الإغريق واسترقوها، وجهز له أسطولاً صغيراً لهذا الغرض ــ كما قيل ــ وأبحر باريس مع رفاقه إلى البلوبونيز في جنوب بلاد الرافدين، ثم اتجه إلى إسبارطة حيث نزل ضيفا على ملكها منيلاوس (*MENELAUS*) وزوجه هيلليني (*HELLENE*) اللذين رحبا بهم وأقاما لهم في قاعة القصر الكبرى مأدبة فاخرة، وخلال المأدبة وقع باريس في حب هيلليني زوجة الملك الإسبارطي منيلاوس، وبدأ باريس يلاحقها

طوال الوقت بنظراته الجريئة وغمزاته الفاضحة وتنهداته المسموعة، واستغل فرصة سفر منيلاوس إلى كريت للمشاركة في جنازة جدته، حيث أتيحت لباريس الفرصة لإغواء هيلليني التي وجدت نفسها مسلوبة القوى أمام إغرائه، ولم تلبث أن قبلت الهروب معه في الليلة نفسها وأقلعت السفينة عائدة بالعاشقين إلى طروادة، ويقال إن السفينة لم تتجه إلى طروادة مباشرة بل قذفتها الأمواج العاتية إلى مصر وفينيقية، تاركة وراءها ابنتها (هرميوني) وحاملة معها معظم كنوز القصر . وفي طروادة رحب بها بريأموس كزوجة لابنه بعد أن راعه جمالها الأخاذ، ولم يستهجن مسلك ابنه معتبراً اختطاف هيلليني بمنزلة رد على أسر الإغريق لأخته (هسيوني) واحتجازها عندهم .

ولما عاد منيلاوس إلى إسبارطة، وجد أن باريس قد غدر به ، فمادت به الأرض وأظلمت الدنيا في عينيه، وملكته رغبة جامحة في الثأر لشرفه، فهرع إلى أخيه (*آجاممنون*) ملك ميكيناي وناشده المساعدة، واستخدام نفوذه لحشد قوات الإغريق، وتجهيز حملة تأديبية ضد طروادة ، ووافق آجاممنون على اتخاذ هذه الخطوة ثأراً لشرف أخيه ولشرف الإغريق عامة، وجمع أسطولاً كبيراً مؤلفاً من ١٢٠٠ سفينة وجيشاً ضخماً يبلغ مائة ألف مقاتل تحت قيادته وألقوا الحصار على طروادة. وعلى ما يبدو أن آجاممنون كان على درجة كبيرة من المنعة والقوة حتى تيسر له هذا الحشد الهائل من القوات ويؤيد ذلك *توكوديدس* بقوله : (*لا ريب في أن آجاممنون — على ما يبدو لي — كان أقوى الحكام في زمانه، وهذا ما حمله — في رأيي — على إنشاء الجيش والمسير به إلى طروادة، وكان لديه في الوقت نفسه أسطول أقوى مما توفر لأي حاكم آخر .. ويبدو أنه كان بأمرة آجاممنون — إذا أخذنا برواية هوميروس — عدد من السفن لم يتوافر مثله لأي حاكم آخر، بالإضافة إلى*

أنه زود الأركاديين في الوقت نفسه بأسطول آخر)[1]. وقد اشترك في هذه الحملة أكثر ملوك الإغريق وأمراؤهم وأبطالهم أمثال (*أوديسيوس*) (*ODYSSEUS*) ملك جزيرة إيثاكا، و (*أخيللوس*) (*ACHILLEUS*) أشجع أبطال الإغريق، و (**منيلاوس**) الزوج الحزين المنكوب، و (*ديوميدس*) (*DIOMEDES*) أحد خطّاب هيلين السابقين[2]، و (*أياس*) (*AIAS*) وهو الشهير بالمقاومة الباسلة، و (*نستور*)

---

[1] – انظر : **توكوديدس**، الكتاب الأول، الفصل الأول، ص ٢٤. حيث يوافق توكوديدس على قوة جيش (آجاممنون) وأسطوله، إلا أنه – **وهو المعروف بشهرته في تعليل الحقائق التاريخية** – يفند الأرقام التي أوردها هوميروس في تعداد الأسطول والجيش، ويفند – عما يقال – **أن هذه الحملة من أضخم الحملات التي عُرفت في الماضي**، لأن هوميروس بالغ في عظمتها وضخامتها، فهو استسلم لفن الشعر. والحقيقة أن تلك الحملة كانت دون الحملات التي جرت حتى عصر توكوديدس. فيذكر هوميروس أن عدد السفن كان ١٢٠٠ سفينة، وعلى متن كل سفينة بوبوتية ١٢٠ بحاراً، وطاقم السفينة الفيلوكتيتية ٥٠ بحاراً، وأن هوميروس في هذه الحالة – **على حد قول توكوديدس** – أعطى الحدين الأعلى والأدنى لمختلف مجموعات السفن، غير أنه لا يقدم لنا أرقاماً عن عدد البحارة على ظهر السفن الأخرى. زد على ذلك أن هؤلاء البحارة لا يكتفون بالتجديف، بل يحاربون في صفوف الجيش أيضا كرماة، إذا ما استدعى الأمر ذلك. وكان في الأسطول عدا الملوك وكبار القادة الكثير من الرجال من غير البحارة، ولاسيما أن هذه السفن لا مقدمة لها، وإنما بنيت على النمط القديم المعهود في سفن القراصنة. فإذا حسبنا المتوسط – **حسب قول توكوديدس** – بين أضخم السفن وأصغرها، لوجدنا أن تلك الأرقام مبالغ فيها، آخذين بالاعتبار أن تلك القوة تعكس جهداً شاركت فيه كل بلاد (**هيلاس**) أي (**بلاد الإغريق**).

[2] – عندما بلغت (**هيلين**) سن الزواج، كان جمالها الباهر قد ذاع إلى درجة أن كل أمراء ذلك العصر من الشبّان حضروا إلى إسبارطة طالبين يدها من والدها، **وكان منهم منيلاوس وأوديسيوس ملك إثاكا**.. إلا أن والدها (**تيندايوس**) لم يكن سعيداً بهذا الجمع الغفير من الخطّاب، إذ وجد نفسه في حيرة واستعصى عليه اختيار واحد من بينهم ليكون زوجاً لابنته، فقد خشي أن يؤدي شعور الأمراء الآخرين فتثور بينهم اشتباكات أو يتعرض لمشكلات هو في غنى عنها.. وعمل في آخر الأمر بمشورة أوديسيوس الذي اقترح أن يترك لهيلين حرية اختيار الرجل الذي ترغب في الزواج منه، على أن يقسم

(*NESTOR*) ملك بيلوس وهو الشيخ الحكيم الهادئ . كذلك سارعت الشعوب الحليفة المجاورة لطروادة ، وأرسلت الجيوش لنجدتها وتولى قيادة الجيش البطل (هكتور) (*HECTOR*) أحد أولاد الملك برياموس وشقيق باريس الغادر، ومن أبطالهم (آينياس) (*AENEAS*) وهو أحد الشخصيات البارزة في طروادة، و(آنيتور) (*ANETOR*) أحد شيوخ طروادة المتزنين، و (ساربيدون) (*SARPEDON*) ملك الليكيين وأخ الملك مينوس (*ملك كريت*)، و (جلاوكوس) (*GLAUCUS*) أحد حلفاء طروادة البارزين .

وبعد حصار دام عشر سنوات[1]، أدرك الإغريق في النهاية أن طروادة لا يمكن أخذها بالقوة، ولا مناص من الالتجاء إلى الخدعة. ويقال إن **أوديسيوس**- وهو أحد أشهر أبطال الإغريق- دبر حيلة ماكرة أدت إلى سقوط طروادة، إذ صنع الإغريق بإيعاز منه حصاناً خشبياً هائل الحجم مجوّفاً من الداخل يتسع لإخفاء مائة محارب من أشجع المحاربين الإغريق، وكان من بينهم أوديسيوس، وتظاهر الإغريق

كل الخطّاب اليمين باحترام قرارها ومساندة من تختاره زوجاً لها بموافقة الجميع. فاختارت هيلليني مينلاوس الأشقر زوجاً لها، وكوفىء أوديسيوس على نصيحته السديدة بزواجه من امرأة فاضلة هي (بينيلوبي) ابنة أخي تينداريوس .

1 - يعلل توكوديدس سبب طول مدة الحصار إلى شح المؤن التي يحتاجها الجيش، وعوضاً عن ذلك أخذوا في زراعة الأرض وممارسة السلب والنهب عوضا عن قلة المؤن، وكان من شأن تشتت قواهم على هذا النحو أن يمكن الطرواديون من الصمود طوال عشرة أعوام، طالما كان الوضع يسمح لهم بالتفوق دائماً لدى تعاملهم مع تلك الأقسام من جيش الإغريق التي كانت تبقى في الميدان. ولو كان (آجاممنون) يتمتع بوفرة من المؤن واستمر في استخدام كامل القوات المتوفرة لديه ودون الحرب دون انقطاع، ودون التوقف للنهب والسلب وزراعة الأرض، لتيسر له النصر بسهولة في وقت أقصر وبجهد أقل . فلذلك نجد عند التمحيص في حقيقة أمر هذه الحملة بالشواهد والأدلة، أنها لم تكن بالأهمية التي ظهرت عليها، والتي ما يزال الاعتقاد سائداً بأنها من أكبر الحملات بوحي من الشعراء (ويقصد بذلك هوميروس) انظر : توكوديدس ١ ، ١ ، ص ٢٧ .

بالعودة إلى بلادهم، بينما هم في الواقع كانوا على مقربة من ساحل طروادة في جزيرة تنيدوس. ولما بزغ الفجر لاحظ الطرواديون أن الإغريق قد انسحبوا إلى بلادهم، ووجدوا بين حطام المعسكر الإغريقي الحصان الخشبي واقفاً وحده، واختلف الطرواديون في أمر هذا الحصان، فمنهم من قال بأنه (*هدية قربانية*) ومنهم من قال (*أنه فخ وشرك*) وبين هذا الرأي وذاك انتصر الرأي الأول ورأى بضرورة إدخال الحصان إلى المدينة .

وإحكاماً للخدعة فقد ترك الإغريق رجلاً من رجالهم يدعى *سينون* (*SINON*) وكلّفوه بتعمد الوقوع أسيراً في يد الطرواديين وتلفيق قصة لتضليلهم قائلاً لهم : *إنه هرب من بطش أوديسيوس الذي كان ينوي قتله، فلذلك رأى أن يضع نفسه تحت تصرف الطرواديين ورحمتهم، وكشف لهم عن سر الحصان الخشبي، أنه هدية قربانية مكرسة للآلهة أثينة، وأن وجوده في قلب مدينتهم يجعلها منيعة عسيرة المنال بفضل حماية الآلهة أثينة لها، وانطلت على الطرواديين مثل هذه الخدعة، ونقلوا الحصان الخشبي إلى المدينة، وقد هدموا جزءاً من السور لتيسير دخوله نظراً لضخامة حجمه* .

وفي هذا الوقت، انبرت (*كاسندرا*)، ابنة برياموس لتحذير الطرواديين من خدعة الحصان الخشبي، بما أوتيت من القدرة على الرجم بالغيب، لكن تحذيرها لم يجد أذناً صاغية و لم يصدقها أحد[1] . وهكذا أصبح الحصان الخشبي موضع التكريم

---

[1] - كان (أبوللون) إله النبوءة قد أغرم حباً (بكاسندرا) وغمرها بعطفه وأغدق عليها الكثير من الامتيازات، وكان من بين ما وهبه لها القدرة على التنبؤ بالغيب، لكن (كاسندرا) امتنعت عليه ورفضت في النهاية الاستسلام له، فانتقم منها أبوللون بطريقة مدهشة، إذ أبقى لها القدرة على التنبؤ لكنه جعل من هذه القدرة نقمة عليها بدلاً من أن تكون نعمة . ذلك لأن أبوللون لم يدع أحداً من الناس يصدّق (كاسندرا) أبداً على الرغم من أنها كانت لا تنطق إلا بصادق التكهنات .

في طروادة بوصفه إهداء قربانياً للآلهة وكللت رأسه بالورود والأغصان الخضراء عند حوافره، وطفقوا يرقصون ويغنون ويشربون احتفالاً بالنصر، ورفعت الحراسة عن الأسوار والشواطئ، وناموا ليلتهم بأمان وهدوء ولأول مرة منذ عشر سنوات.

وفي وسط الليل الدامس في الظلام، أزاح أبطال الإغريق وجنودهم القابعون في جوف الحصان المزاليج الداخلية، وانطلقوا خارجين من بطن الحصان الخشبي، وكان *سينون* الجاسوس، قد مضى إليهم جلسة وعاونهم في الخروج منه، في حين كان الأسطول الإغريقي بقيادة (*أجاممنون*) يعود من جزيرة تنيدوس إلى الساحل الطروادي حسب الخطة الموضوعة، وزحفوا عبر السهل متجهين صوب طروادة. وقام أوديسيوس وزملاؤه بفتح بوابات المدينة لهم، والتأم شمل الإغريق جميعاً، فاكتسحوا المدينة، وأخذوا الطرواديين على حين غرة وهم نيام، من القتل والنهب والتدمير في مختلف أنحاء طروادة التي سقطت أخيراً في يد الإغريق بعد قتال ضار حول المنزل الذي تقبع فيه هيلليني، التي لم تتوقع من زوجها أي لين ورحمة، لكن اقتادها برفق خارج البيت، وعاملها بلين وكان شهماً متسامحاً ولا يزال يحبها، كما كانت هيلليني أجمل امرأة في العالم، ومن ثم فقد غفر لها مينلاوس زلتها وصفح عنها وعادوا معاً إلى إسبارطة حيث عاشا في وئام وسعادة سنوات طويلة [1].

عن (كاسندرا) انظر : **الإلياذة** ك ٣ ب ٣٦٥ ، حيث نصفها بأنها أجمل بنات برياموس، وعن قدرتها على التنبؤ انظر : **عبد اللطيف أحمد علي** ، ص ٣٧٣ .

[1] – كان هناك سبب رئيسي أرغم هيلليني على الفرار مع باريس، بدايته قصة التفاحة الذهبية التي نوجزها على الشكل التالي : حصل أن اختلفت ثلاثة من كبريات الآلهة فيما بينهنّ : **وهنّ أثينة ربة النصر، وهيرا ربة الزواج المقدس، وأفروديتي ربة الحب والجمال حول أجملهنّ** . وحصل هذا النزاع وسط حفل زفاف بسبب أن الآلهة (إيريس) ربة الخصومة والنزاع ، ألقت وسط الحفل تفاحة ذهبية كُتب عليها (**إلى أجملهن**)، بهدف إثارة القلقلة والشقاق انتقاماً لعدم دعوتها إلى الحفل، فذهبت كل من الآلهات الثلاث إلى أنها أجمل من زميلاتها، ولما اشتد بينهنّ النزاع اقترحت إحداهن

ثالثاً : موضوع الإلياذة الرئيسي :

تعد الإلياذة أول إنتاج أدبي عظيم عند الإغريق، وتمثل ذروة الشعر الإغريقي .. فهي ملحمة حرب، وملحمة رجال، وملحمة الأبطال الذين يدافعون عن بلدهم بأرواحهم عن طيب خاطر، وبحزن النساء، ووداع الآباء لأبنائهم، وضراعات الشيوخ. وتتحدث عن أشياء كثيرة أخرى: مطامع الزعماء وجشعهم وصلفهم، ومنازعاتهم وما يتبادلونه من شتائم وسباب، وعن الخسة والخيلاء، وعن البسالة والصداقة والحنان، وعن الرحمة التي هي أقوى من التعطش للانتقام، وعن حب المجد الذي يرفع الإنسان إلى مصاف الآلهة .. لكن هذه الملحمة التي تفوح منها رائحة الدماء ويزين عليها شبح الموت تتحدث أيضاً عن حب الحياة ، **وعن شرف الإنسان الذي هو أسمى من الحياة وأقوى من الآلهة . وإنه لأمر طبيعي أن**

أن يحتكمن إلى باريس بن برياموس، ملك طروادة، فقبلن الاقتراح، وذهبن جميعاً إلى باريس وعرضن عليه موضوع نزاعهن وحكمنه فيه . فحكم باريس لأفروديتي بالتفاحة الذهبية والتفوق على أثينة وهيرا في قضية الجمال، باعتبارها وعدته إن حكم في مصلحتها ستعمل على زواجه من أجمل امرأة في العالم، اعترافاً بجميله واعتزازاً بسداد رأيه . وبإيحاء من أفروديتي ذهب باريس إلى إسبارطة واختطف هيلين لتكون زوجة له، أما هيرا وأثينة فقد حقدتا على باريس وعلى أهل طروادة أجمعين وأقسمتا ألا تدخرا وسعاً في دحرهم وإذلالهم.

ومن الجدير بالذكر، أنه لا يرد عند هوميروس ذكر لقصة الاحتكام إلى باريس في قضية الجمال، فهي قصة شعبية ابتدعها على ما يبدو مؤلف (**القصيدة القبرصية**) (**CYPRIA**) لكن هوميروس يشير إلى قصة لباريس مع الإلهات مختلفة يقول فيها (**الإلياذة ك ٢٤ ، ب ٢٨-٣٠**) إن باريس سخر من الإلهتين (هيرا وأثينة) عندما جاءتا إلى فناء داره ، لكنه امتدح الآلهة (أفروديتي) التي وهبته فحوراً مدمراً، ولا يرد عنده ذكر لمسابقة في الجمال، ولعل هذه الإشارة العابرة عند هوميروس إلى أسطورة ضائعة سلك فيها باريس سلوكاً مهيناً لهيرا وأثينة هي التي أوحت إلى كاتب آخر، بابتداع قصة تحكيم باريس في قضية الجمال .

يحتل هذا الموضوع ـ الإنسان في حالة الحرب ـ أول ملحمة شعرية عند الإغريق الذين كانت الحروب تمزق شملهم باستمرار .

لقد بلغ هوميروس- في وصفه هذه الحرب- هدفه الفني على أحسن وجه، واستطاع أن يبدع أجمل أثر في تاريخ آداب الأمم الغربية كلها التي ما زالت حتى اليوم تقتدي في موضوعاتها وأسلوبها، فهي بما فيها من جمال وروعة وفن ، منبع الإلهام الشعري حتى وصل الأمر بعالم الآثار الألماني شليمان مكتشف طروادة عام (١٨٧٠م) إلى أن أفسد حفلة تعميد ابنيه بوضعه نسخة من الإلياذة على رأسيهما أثناء المراسيم الدينية وبقراءته بصوت عال مائة بيت من شعر هوميروس ، وقد سمى ابنه باسم بطل الإلياذة (*أجاممنون*) وابنته باسم (*أندروماخي*) زوجة البطل الطروادي هكتور ، *وذلك لأن المواقف التي يصفها هوميروس لا بد أن تثير أعمق العواطف في كل إنسان من أي شعب كان ومهما كانت درجة ثقافته سواء في ذلك الفلاح الساذج أم العالم الناقد ، إن موضوعها هو روح الإنسان وما يختلج فيها من مشاعر ، فلذلك هو موضوع الشعر الخالد .*

ويذكر المؤرخون الإغريق أن أشعار هوميروس كانت تتناقل شفهيا من شخص إلى آخر حتى القرن السادس ق.م ، إذ جمع دكتاتور أثينة *بيستراتوس* (*BSISSTRATOS*) بين سنة ٥٤٦ ـ ٥٢٧ ق.م لجنة من العلماء لكتابة هذه الأشعار وتثبيتها بصورة نهائية وأمر باتخاذها كتاباً مدرسياً في بلاد الإغريق يتخذه الأساتذة أساساً ليس لتعليم اللغة والأدب والتاريخ فحسب، بل كذلك لتلقين الناشئين مبادئ الأخلاق والديانة، وفي الحقيقة فإنها قد قامت لدى الإغريق مقام الكتب المقدسة عند الأمم الأخرى[1]، *وأدّت دوراً كبيراً في توحيد اللهجات*

---

[1] - انظر : كيتو ، الإغريق ، ص ٥٣ .

والمحافظة على فصاحة اللغة ثم في خلق مثل عليا أخلاقية ودينية مشتركة بين الإغريق ، فساعدت بذلك على توجيه الأجيال وتقوية الرابطة القومية .

وتتركز حبكة الإلياذة الرئيسية في موضوعين اثنين هامين : *أولهما* غضب أخيللوس ، *وثانيهما* موقف الآلهة من الحرب .

١ ــ غضب أخيللوس (ACHILLEUS) :

في السنة العاشرة من الحرب ازدادت الأحداث خطورة ، وتتمركز حبكة الإلياذة في هذه الأحداث حول (*غضب أخيللوس*)، حيث تدور حوله الملحمة وتتماسك أجزاؤها كونه أشجع أبطال الإغريق، واستطاع أن يستولي على اثنتي عشرة مدينة على الساحل الآسيوي، وإحدى عشرة أخرى في الداخل. وعند توزيع الغنائم والسبايا- كعادة الإغريق بعد الانتصار- كانت هناك فتاة جميلة من نصيب أخيللوس اتخذها أسيرة ومحظية له اسمها **بريسيس** (*BRISEIS*) بعد أن كان قد صرع أباها وأخويها، ولقد أحبته حباً صادقاً كما شغف بها حباً هو الآخر . وكانت **بريسيس** سبباً في إثارة نزاع عنيف بين أخيللوس وآخائيون وانشقاق خطير في صفوف الإغريق .

وكان آخائيون بدوره قد أسر إحدى فتيات مدينة **ليرنسوس** في منطقة طروادة تدعى **خريسيس** (*CHRYSEIS*) والدها كاهن أعظم في معبد أبوللون يدعى خريسيس (*CHRYSES*) وكان ذا مكانة رفيعة وثرية في بلده، واعتصر قلبه حزناً على ابنته، فاتجه إلى معسكر الإغريق ليطلب ردها إليه مقابل استعداده لدفع فدية سخية، وناشدهم إطلاق سراحها حتى يرضى عنهم أبوللون فينصرهم على أعدائهم، غير أن آخائيون رفض ذلك وأصر على أنها ستبقى في حوزته حتى سقوط طروادة، وطرد الكاهن من مجلسه الذي خرج مهرولاً كسير القلب حزناً على ابنته .

وشكا الكاهن أمره إلى أبوللون، وتضرع إليه باكياً أن ينقذ ابنته من يد الإغريق، واستجاب له وصب جام نقمته على الإغريق، وأخذ يحصد حيولهم وبغالهم ورجالهم حتى أصبحوا مهددين بالفناء، واضطر الإغريق- في هذه الحالة- إلى استشارة أحد العرافين بما ينبغي عمله حتى ينكشف عنهم هذا البلاء، فأخبرهم العرّاف ***كالخاس***، بأن أبوللون غاضب على الإغريق لأن الملك آجاممنون رفض إعادة ابنة كاهنه وطرده مستهزئاً به، وأن أبوللون لن يرفع غضبه عنهم حتى ترد الفتاة إلى أبيها دون مقابل أو فدية .

وما إن سمع آجاممنون هذا الكلام حتى تجهم وغضب على كالخاس الذي جعله سبب كل البلاء على الإغريق، وقال ملوّحاً بذراعه وفي غضب شديد (***فليسترد الكاهن ابنته، على ألا أكون سبباً في هلاك الإغريق .. وإني كفائدكم جميعاً وأعظم ملك بينكم، وليس من اللائق أن أحرم وحدي من السبية التي كانت من نصيبي، لسوف أدع خريسيس تذهب لأنه لا مناص من ذلك ، لكني سوف آخذ عوضاً عنها سبية من سبايا رجل آخر، وربما من سبايا أنت ياأخيللوس***) [1] . لأن أخيللوس هو السبب في انعقاد المجلس ودعوة العرافين لمناقشة ذلك، ***وغضب أخيللوس*** من طلب آجاممنون وحدثت فتنة بين الاثنين تبادلا فيها الشتائم والسباب، ونددَ أخيللوس بمسلك آجاممنون ولا سيما عند توزيع الأسلاب متهماً إياه بالأثرة والجشع واستغلال النفوذ، وبأنه لا يترك لغيره من الزعماء سوى الفتات من الغنائم، ولم يلبث أن امتشق سيفه الفضي وهمّ في ثورة غضبه أن يثب على آجاممنون ويصرعه على مرأى من الإغريق جميعاً، ولكن ***باترو كلوس*** صديقه الحميم تمكن من كبح جماح صديقه بمساعدة الآلهة أثينة التي

---

[1] - انظر : الإلياذة ، الفصل العاشر ، ص ٧٠ — ٨٠ .

حضرت على الفور وناشدت أخيللوس بأن يهدئ من ثائرته وثورة غضبه، فأغمد سيفه في جرابه مذعناً للأمر الإلهي. وقال موجهاً كلامه إلى آجاممنون في موجة من الغضب العارم *(إني لم أعد — أيها الملك آجاممنون — أعترف بسلطتك بعد اليوم، تعال خذ مني الفتاة إذا شئت فلن أمنعك)*. وفي هذه الحالة أعاد آجاممنون خريسيس إلى أبيها الكاهن في بلدته، وقدّم الإغريق قرابين لأبوللون فرفع غضبه عنهم وكف آذاه وزال الوباء وانكشف البلاء. بعدئذ أرسل آجاممنون رسولين وعُهد إليهما بالذهاب إلى كوخ أخيللوس لإحضار *محظيته بريسيس*، وقام باتروكلوس بتسليمهما الفتاة، التي تشبثت بذراعه باكية لأنه كان رقيقاً معها يوم وقعت أسيرة، وأخيراً رضخت ورحلت مع الرسولين، ولم تكف عن التلفت خلفها بينما كانت عيناها طافرتين بالدموع.

ونتيجة لمسلك آجاممنون الجائر انسحب أخيللوس من المعركة وذهب باتجاه البحر وجلس حزيناً غاضباً وهناك ابتهل إلى والدته أن تأتي لمواساته. ومن أعماق البحر سمعته (تيتس) حورية البحر الخالدة والدته وجلست إلى جانب ابنها تواسيه، ثم صعدت إلى قمة أوليمبوس حيث كان زيوس يتربع على عرشه الشامخ، وهناك ارتمت عند قدميه ضارعةً إليه أن يرد لابنها اعتباره بمعاقبة آجاممنون على غطرسته وذكرته بما أدته له من خدمات جليلة، وسألته أن يرد لها الجميل من أجل ابنها أخيللوس، وناشدته أن ينصر الطرواديين طالما كان أخيللوس ممتنعاً عن القتال وأن يخذل الإغريق، واستجاب زيوس إلى مطلبها بعد تردد، عرفاناً بسابق فضلها عليه وأومأ برأسه إيماءة الرضى والقبول.

وبدأت الصواعق والنوازل والنكبات تنهال على الإغريق وتتوالى انتصارات الطرواديين، ولم يعد أخيللوس إلى المعركة بأي شكل من الأشكال رغم كل توسلات حكماء الإغريق ومن بينهم صديقه *باتروكلوس* ومناشدته إياه العودة إلى

المعركة ومناصرة أبناء قومه. ولكن لما سمع بأن بطل طروادة **هكتور** قد قتل صديقه الحميم ***باتروكلوس***، وضع أخيللوس كفه على وجهه وارتمى على الأرض يتلوى من الحزن وكاد أن يقتل نفسه من فرط ألمه لموت صديقه، حينئذ قرر العودة إلى ميدان القتال، ***وبذلك تبدأ المعركة في الإلياذة***، وينهزم الجيش الطروادي قتلاً وغرقاً في النهر حيث دفع بهم أخيللوس، ويخرج هكتور وحده لمبارزته، وبهذه المبارزة الفردية بين أخيللوس وهكتور تبلغ الملحمة ذروتها، ويقاتل هكتور ببسالة وقد امتلأ قلبه بحب زوجته وابنه ووطنه، ***لكن أخيللوس هو الأقوى***، حيث كان يعرف نقطة الضعف في سلاح خصمه لأنه كان في الأصل سلاحه وكثيراً ما تقلّده من قبل، وتخلت الآلهة أخيراً عن هكتور، ويستطيع منه أخيللوس ويقتله ويمتهن جثته ثم يشدها إلى مؤخرة عربته ويلهب ظهور جيادها بالسوط لتركض ركضاً، ويدور ثلاث مرات (***حول جثة باتروكلوس***) ساحباً جثة هكتور إلى معسكر الإغريق لتكون بمنزلة نصر تذكاري لانتصاره (***وهنا تنتهي ملحمة الإلياذة***).

ولكن في اليوم الذي ظن فيه أخيللوس أن طروادة قد أصبحت سهلة المنال وشيكة السقوط، كمن له باريس أخ هكتور وراء بوابة إسكايا، وراح يراقبه حتى رآه قادماً في طليعة الإغريق، فشد قوسه ورمى أخيللوس بسهم بمعاونة أبوللون فأصابه في كعبه، وهو ذلك الموضع الوحيد الذي كان عرضة للإصابة [1]. وهكذا سقط أخيللوس قتيلاً عند البوابة، وانقض الطرواديون على جثة أخيللوس محاولين

---

1 – أخيللوس هو ابن حورية البحر (تيتس) من البطل (بيليوس)، وحفل زفافهما هو نفسه الحفل الذي ثار فيه النزاع بين الآلهات الثلاث على التفاحة الذهبية. ولقد أحبت تيتس ابنها الوحيد (أخيللوس) حباً جماً، فاشتد حرصها على أن تجعله خالداً. ولذلك غمرته وهو طفل في مياه نهر (ستيكس) وهو نهر مقدس، لتضمن له الخلود. لكنها نسيت أن تغمس بالماء كعبه الذي كانت تمسكه منه. وهكذا اكتسب جسمه كله حصانة أبدية ما عدا كعبه الذي بقي وحده عرضة للإصابة.

جرّها إلى داخل أسوار مدينتهم، إلا أنهم فشلوا في ذلك بعد قتال عنيف مع الإغريق الذين تمكنوا من إنقاذ جثة بطلهم وحملوها إلى السفن حيث أرقدت على نعش قرب الشاطئ. وأقيمت مناحة على أخيللوس استمرت سبعة عشر يوماً، وفي اليوم الثامن عشر حرق الإغريق جثته فوق كومة حطب ووضعوا عظامه مع عظام باتروكلوس تنفيذاً لرغبة أخيللوس وأحالوا عليه التراب مقيمين ربوة عالية مقبرية فوق لسان من الأرض مطل على البحر .

أما باريس الذي كان سبباً في نشوب الحرب كلها، فهو بدوره أيضاً أصيب بسهم قاتل رماه به أحد أبطال الإغريق اسمه (فيلوكتيتيس) وأصيب من جراء ذلك بجرح قاتل، ولم يوجد بطروادة وقتذاك طبيب قادر على مداواته، لذلك طلب باريس من خدمه أن ينقلوه إلى جبل (إيدا) لكي تتولى علاجه (أوينوني) وهي تلك الحورية التي أحبها قديماً وأحبته، ثم هجرها بعد أن وعدته أفروديتي بأجمل امرأة في العالم. وكانت (أوينوني) خبيرة بكل الأعشاب الطبية وبمداواة كل الجروح، ولما جاءها رسل باريس يعلنونها بقرب حضوره لعلاجه من جرحه، أعرضت عنهم وطردتهم إذ كانت لا تزال ناقمة على ذلك العاشق الذي غدر بها وتخلى عنها بكل خسة. وأدرك باريس أنه هالك لا محالة فطلب من خدمه العودة به إلى طروادة حيث ودّع أباه وأمه وهيلينيي، وفاضت روحه وهو مسجى على فراشه. لكن ما إن فاضت روحه حتى كانت (أوينوني) قد جاءت مهرولة إلى المدينة، نادمة على رفضها مداواته، ومبدية استعدادها- بعد أن رق قلبها وتغير رأيها- لأن تستخدم كل خبرتها لإنقاذ حياته، لكنها وصلت بعد فوات الأوان، إذ قضى باريس نحبه، ويبدو أنها كانت لا تزال تحبه على الرغم من هجره لها وجفائه. وما إن وقعت عيناها على جثمانه حتى طعنت نفسها بخنجر وسقطت جثة هامدة بجواره . وأما هيلينيي فقد ازداد إحساسها بالوحدة والوحشة، وانتابها شعور بالندم الشديد على هجرها

لزوجها مينلاوس وبيتها في إسبارطة، وراحت تلتمس العزاء والحماية لدى أحد أخوة باريس وانتقلت إلى منزله لتعيش في كنفه [1] .

٢ ــ موقف الآلهة من الحرب :

انقسم آلهة أوليمبوس على أنفسهم في تلك الحرب الضروس ففريق كان يناصر الإغريق، وفريق آخر كان يناصر الطرواديين. لقد وقفت هيرا بداهة في صف الإغريق لأنها لم تنس لباريس الطروادي إهانته لها يوم حكم بإعطاء أفروديتي التفاحة الذهبية. ولهذا السبب نفسه وقفت الآلهة أثينة أيضاً في صف الإغريق على الرغم من أنه كان لها في طروادة نفسها معبد وتمثال مقدس قديم، وهو البلاديوم (*PALLADIUM*) الذي يشتق اسمه من لقبها (*بللاس*)[2] . وكانت أثينة ربة محاربة وخبيرة بالخطط العسكرية وتقاتل بقسوة وشراسة. وكان بوسيدون إله البحر عدواً للطرواديين فهو لم ينس حنث لاؤميدون، ملكهم القديم، بوعده وامتناعه عن إعطائه أجره بعد أن ساعده في بناء أسوار طروادة .

وأما *أفروديتي* فكانت تناصر الطرواديين لعدة أسباب. كان بساريس الطروادي قد حكم لها بالتفاحة الذهبية بأنها أجمل الآلهات بعد ما وعدته بأجمل امرأة في العالم، وكانت ربة شرقية مختصة بالحب والحرب. وكان موقف *أبوللون* يشد

---

1 – انظر : عبد اللطيف احمد علي ، ص ٦١٦ .

2 – (بللاس) من ألقاب الآلهة أثينة الشائعة، وكان شائعاً منذ هوميروس شيوعاً يشير إلى أنه لم يكن مجرد لقب، بل كان اسماً آخر للربة أثينة. وفي أغلب الظن معنى (بللاس) في الإغريقية (فتاة) أو (شابة) وشابة قوية . وهذا يرجح الاحتمال بأن الإغريق كان عندهم ربة عذراء ولعلها كانت ــ تمشياً مع ظروف حياتهم ــ ربة حرب ذات صفات عسكرية، وتظهر في الإلياذة كإلهة خبيرة في الخطط العسكرية، ومقاتلة شديدة المراس (ضد الطرواديين بسبب حكم باريس في غير مصلحتها في قضية التفاحة الذهبية) .

من أزر طروادة، ولكنه-كان على عكس أقرانه من الآلهة الأخرى- عزوفاً عن القسوة والأذى، مليئاً بالشفقة على من يصيبهم القدر بالشقاء والعذاب، وقد نشأ بينه وبين هكتور نوع من الألفة والصداقة وكان يبادله الثقة والاحترام. وكانت *أرتميس*، أخته التوأم تساعد الطرواديين وإن كان دورها في الحرب ضئيلاً بوجه عام. وأما **أريس** إله الحرب، فكان متقلباً لا يعنيه من يكسب الحرب ومن يخسرها إنما كان يعنيه فقط استمرار القتال وسقوط القتلى، فكان تارةً يقاتل بجانب الطرواديين لأنه كان من عشاق أفروديتي، وتارةً أخرى يقاتل بجانب الإغريق إذ كان ابناً لهيرا من زيوس .

وأخيراً ماذا عن *زيوس- رب الأرباب ورئيس مجمع الآلهة في أوليمبوس*- كان زيوس في هذه الحرب مشتت الفكر موزع النفس. كان بوجه عام يعطف على الطرواديين لتقواهم وحرصهم على تقديم القرابين له، غير أن هيرا أخته وزوجته، كانت تلح عليه إلحاحاً في أن يساعد الإغريق ويمكنهم من غزو طروادة . فلذلك وقف زيوس موقفاً وسطاً فساند هذا الفريق تارةً، وتارةً أخرى ذاك الفريق. وظل كذلك دون أن يتخذ قراراً نهائياً حتى نهاية الحرب .

ومن الجدير بالذكر أن هوميروس لا يتناول بالوصف سوى ما حدث في الأسابيع الأخيرة من السنة العاشرة لحصار طروادة على يد الإغريق الذين يسميهم غالبا (*بالأخيين*) .. ولا يبدأ هوميروس الملحمة من بدايتها الطبيعية بل يبدؤها بحادثة غضب أخيللوس (كما رأينا) وهي حادثة تقع قرب نهاية الحرب ويجعل من هذا الغضب محوراً رئيسياً تدور حوله بقية الأحداث، ولا تستغرق أحداث الإلياذة سوى أسابيع لا تزيد على سبعة، لكن الشاعر يعود بالقارئ إلى الوراء ويسنجح في إعطائه صورة كاملة لقصة حرب طروادة، ولتحقيق ذلك يلجأ إلى عدة طرائق من بينها الاستطراد في وصف واقعة معينة (*كالنزاع بين أخيللوس وآجاممنون*) إلى

وصف مشاهد تفصيلية عن المعارك التي دارت في الحرب نفسها، وبذلك يصوّر كيف استعرت الحرب تسعة أعوام، وكيف سئم الإغريق القتال في النهاية وتاقت أنفسهم إلى السلم بل ساورتهم فكرة الانسحاب، وكيف تحتم عليهم ابتكار وسائل جديدة لإلهاب الحماس بين جنودهم ومتابعة القتال.

ولا يختتم هوميروس الإلياذة بسقوط طروادة، بل يختتمها بمصرع هكتور على يد أخيللوس، وإجراء مراسم دفن البطل الطروادي (كما رأينا سابقاً)، وإنما تكملها أشعار أخرى نظمت بعدها *كالأوديسة* نفسها، وقصائد (*الحلقة الملحمية*) وملحمة (*الأينيادة*) للشاعر الروماني فرجيليوس، *فهذه الأشعار اللاحقة هي التي تروي قصة الحصان الخشبي، وسقوط طروادة، وإضرام النار فيها، وهلاك أمراء طروادة وأميراتها أو وقوعهم في الأسر، ونجاة آينياس الطروادي وحده، وتروي مصير الأبطال الإغريق، من هلكوا قبل العودة مثل أخيللوس، ومن نزلت بهم الكوارث أثناء العودة براً وبحراً، ومن ضلوا طريقهم أو عادوا إلى الوطن سالمين أو عادوا ثم لقوا مصرعهم بعد العودة مباشرة.*

رابعاً : صور إنسانية رائعة من الإلياذة :

١ ــ باريس وهيلليني :

ليست شخصيات الإلياذة كلها جنوداً، ففيها نساء وشيوخ، وليس فيها كل الجنود بواسل: هناك *باريس الجبان* [1]. الذي أغوى هيلليني وأغراها بالفرار معه. وكان هو السبب الأول للحرب الطروادية، وتسبب أيضاً في موت أخيللوس إذ رماه بسهمه فأرداه قتيلاً. وأياً يكن الأمر فإن هوميروس- بملكته القصصية الدرامية

---

[1] - يحمل باريس اسم غير يوناني ، وقد لقبه الإغريق (بالإسكندر) وكان باريس من دعاة الحرب ، ويقال أنه هو الذي حرّض بني قومه على رفض مطلب الإغريق بإعادة (هيلليني) وما حملته من ثروة .

الفذة- قد جعل من باريس شخصية متناقضة تماماً لشخصية أخيه (هكتور) مؤكداً ما بين الأخوين من تعارض من بداية الملحمة إلى نهايتها. ويمثل هكتور البطولة الخالصة، وهو درع طروادة الواقي ويصفه هوميروس (*بأنه كان يقصف بين الصفوف ويرعد، ويرغي بين المحاربين الصناديد ويزبد*) [1].

وأما باريس فهو وبال على بلده ونقمة، ويكاد يمثل الجبن الخالص، وكان أخيه (هكتور) يوبخه على ما هو عليه من حالة *الجبن* قائلاً (*أنت، أنت يا باريس بن بريامو س، عجباً وزيوس الأكبر، أنت هنا تلهو وتلعب وتدع ضحاياك تنافح عن آثامك تحت أقدام إليوس وتذوق الردى بجريرتك*) [2]. . وكان الطرواديون يحنقهم أن باريس الذي جر عليهم كل ذلك الكرب، وكان السبب العظيم لهذه الحرب، يقر في مخدعه الوثير يداعب (*هيلليني*) المنحوسة ويلاعبها ويساقيها كؤوس الهوى وتساقيه، غير آبهٍ لما يغص به قومه من كؤوس الردى[3].

ولما سمع باريس أن الناس يلفظون ويتلفظون اسمه بألسنة الهوان والتحقير فثارت ثائرته وفارت حماسته وأقسم بأنه سيكون مثلاً في الشجاعة، وطلب من أبناء قومه بأن يكون أول المبارزين من أبناء طروادة بموجب اتفاق حصل مع الإغريق الذي سيمثلهم (*مينلاوس*) في هذه المبارزة توطئة لإنهاء الحرب وإحلال السلام. ونظر مينلاوس إلى باريس قبل المبارزة، أنه ليس سوى الإنسان الغادر المختال الذي اعتدى كأحقر الجبناء على عرضه، ولطّخ بوحل الفضيحة شرفه . . ثم تذكر كيف فرت زوجته معه تحت جنح الظلام . . ذليلة لذاتها، أسيرة هواها . . فثارت في قلبه زوبعة من الجنون وتفجر في رأسه بركان من الغضب، واتقدت في عينيه النقمة

---

[1] - انظر : **الإلياذة**، النشيد ١٢، ص ١٠١.

[2] - انظر : **المصدر السابق**، ص ١٠٢.

[3] - انظر : **المصدر السابق**، النشيد ١١، ص ٨٨.

واندفق الدم يغلي في ساعديه وانقض على خصمه فأوشك أن يحطمه، غير أن أفروديتي ربة الحب والجمال التي كان باريس قد حكم لها بالتفاحة الذهبية في قضية الجمال، *لم تكن لتدع باريس يلاقي مصرعه، فبادرت إلى إنقاذه ولفته بضبابة كثيفة أعمت خصمه عنه*، ثم حملته في لمح البصر إلى مخدع الحب والجمال بقصره، حيث جلس مذهولاً شارد اللب، وقد امتلأ قلبه بالفرح لنجاته بمعجزة من هلاك محقق ولم يفهم مينلاوس شيئاً مما حدث، وملكته الحيرة إذ توارى خصمه عن نظره بغتة.

وبينما (*هيلليني*) تترقب المبارزة من برج الحراسة همست الربة (*أفروديتي*) في أذنها وأعلمتها بأن (*باريس*) ينتظرها في البيت، فاعترتها الدهشة وملكها العجب، وعادت إلى البيت لتجد باريس في غرفة نومه، وجلست دون أن تنظر إليه ثم قالت غاضبة (*لقد هربت اليوم من رجل أفضل منك، مع أنك كثيراً ما تبجحت بما سوف تفعله لو التقيت به في المعركة، لقد انسللت اليوم من بين يديه ناجياً بحياتك*). ولكن (*باريس*) استماحها أن تدع حديث الحرب إلى حديث الحب قائلاً: (.. *تعالي يا هيلليني ولا تلوميني، لقد نصر الآلهة مينلاوس هذه المرة، فلعلهم ينصرونني في المرة التالية .. فتعالي نستمتع سوية فإنه لم تتملكني الرغبة فيك مثلما تتملكني اليوم، ولم أحبك كما أحبك الآن*).

وكان العهد بين بريامو ملك طروادة وآخائيون قائد الإغريق، أن يطرح المغلوب السلاح ويرضى بالأمر الواقع. فلما فر باريس من المبارزة تقدم آخائيون وطلب أن يسلم الطرواديون هيلليني، وأن يقدموا دروع باريس وسيفه وفرسه وجميع عدته الحربية، لتكون أثراً خالداً يحتفظ به الإغريق ويتوارثونه رمزاً لجدهم الحربي وتذكاراً لفوزهم وغلبهم.

بيد أن الطرواديين رفضوا هذا العرض بحجة (*أن أحداً من المتبارزين لم يظفر بالآخر، ولأن قطرة من الدماء لم تصبغ أديم الأرض فتكون شاهد النصر*)[1]. وعلى الرغم من كون باريس جباناً كما يصوره هوميروس — *غير أن هذا الجبن ليس جبناً مطلقاً*، فهو يشعر بما للشجاعة من قيمة واعتبارها المثل الأعلى للرجال في زمانه، فهو يود أن يكون شجاعاً، *ولكن بشرط أن يحرزها بثمن بخس بواسطة قوسه وسهامه*، لأن القوس والسهم يجنبانه الاشتباك المباشر ومواجهة خصمه عن قرب، فلذلك كان يحتدم في صدره صراع بين الخوف من الموت، وبين الرغبة في المجد. لكن قوة (أفروديتي) قادرةٌ تماماً على ملء فراغ ضعفه، لقد اكتشفت في استسلامه للإرادة الإلهية ضرباً من (*القدرية*) يعفيه من بذل الجهد ويخلصه من تأنيب الضمير.

وتختلف شخصية (*هيلليني*) عن شخصية (*باريس*) اختلافاً كلياً، بل تبدو على طرفي نقيض. فأحداث الإلياذة تظهر، أن هيلليني أميل بسليقتها إلى الحب العاطفي الروحي منه إلى الحب الحسي الجسدي، هي امرأة ترغب في التمسك بالأخلاق في وجه عاشق لا تعنيه الأخلاق، وتقاوم تلك الرغبة أو الشهوة التي ابتلتها بها الربة (*أفروديتي*)، *والتي أعطت باريس موهبة خطرة من شأنها أن تجعل كل امرأة يريدها تشتهيه*. وأحداث الأوديسة ترينا أن هيلليني كانت تتنصل من فضيحة فرارها مع باريس، فادّعت أنها كانت مسوّقة إلى ذلك برغمها لأن الربة أفروديتي كانت قد سحرتها عن نفسها (*لما وعدت به باريس أنها ستهبه أجمل امرأة في العالم*) إذا هو قضى لها بالجمال. وكانت هيلليني تود أن ترفض المتعة التي ترغمها الربة على المشاركة فيها فتقول (*واخجلتاه لقد أذرى بي أن أفر راغمةً فاهجر فراش الطهور*

---

[1] - انظر : المصدر السابق ، النشيد ١٢ ، ص ٩٢ — ٩٤ .

وطفلتي اليافعة إلى بلاد قاصية لا ناقة لي فيها ولا جمل)[1]. وكانت هيلليني تشعر شعوراً عميقاً بوضعها الشاذ كزوجة شرعية لرجلين في مكانين مختلفين، ولعلها كانت تتعزى وتجد السلوى لو كان باريس رجلاً باسلاً ولديه إحساس بالكرامة مثل زوجها مينلاوس الذي أبدى بسالته في وجه باريس. *فلسيس في هيلليني ذات الإحساس بالمعاني الخلقية ما يجعلها تميل إلى الظهور في دور الزوجة الزانية التي تجلب خيانتها الدمار على أمتين*. فأفروديتي أحكمت قبضتها على هيلليني لتظهر قدرتها على كل شيء في ميدان الحب، وأخضعت ضحيتها لقدرها المزدوج : جمالها الباهر، والرغبة الجامحة التي تشعلها في قلوب الرجال. وبذلك تكون هيلليني صورة من أفروديتي نفسها. ولا يلقي برياموس ملك طروادة تبعية ما حدث بشكل مباشر على هيلليني فكان يقول لها (*إني لا ألومك، بل ألقي الآلهة تبعية ما حدث*) فلم يكن لهيلليني السيطرة على عواقب جمالها، فهي لم ترغب في هذا الجمال، ولم تعمل على زيادته، لقد تلقته كنعمة بقدر ما هو نقمة من السماء، وجمالها هو مرهون بقدرها، وقدرها مرهون بجمالها[2].

٢ ـ *أخيللوس وهكتور* :

أخيللوس الإغريقي *وهكتور* الطروادي هما نجما الملحمة الكبيران، ومن هذين النجمين يوضح لنا هوميروس نمطين أو أسلوبين جوهريين من أساليب الحياة

---

1 - انظر : المصدر السابق ، النشيد ٤ ، ص ٣٨ .

2 - تصف الإلياذة جمال (هيلليني) على الشكل التالي : (لها فم شتيت حلو، أودعت فيه السماء أسرارها، وصيغته عرائس الفنون بحمرة الفتنة .. فهو دائماً يبتسم، وكل ابتسامة تحي وتميت، ثم عنقها البلوري الطويل الشفاف، وجيدها الممتلىء الخصب، وجسدها الرخص المرمري، وساقاها الملتفتان يختلط في بشرتهما بياض الندف بحمرة الورد) انظر : الإلياذة ، النشيد الرابع ، ص ٢٨ .

الإنسانية. *فأخيللوس يمثل صورة حية للشباب والقوة، فهو لا يـزال في مقتبـل العمر لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره*، فهذا ما يؤكد اندفاعـه وفـوره، وحدة طباعه، وسرعة غضبه، فهو فتى لم يرّوض بعد، و لم يعرف بعد ضوابط الحياة الاجتماعية، فالشباب والقوة ملك يديه، وهي قوة الواثق بنفسه، قوة صلبة لا تلـين ولا تتزحزح، وصلابتها قاتلة للإغريق ومثار دهشتهم وانهزامهم أثناء غيابه عنـهم. وهذا ما تؤكده الإلياذة من خلال الأهوال والصواعق التي حلت بالإغريق في حـال غياب أخيللوس. فهوميروس يعرض لنا شخصية أخيللوس وكأن مستقبل الإغريـق وانهزامهم يتوقف على قوته وعنفوانه، ويصوره كجيش جبار بحـد ذاتـه ينتـزع الانتصار من لبد السماء والأرض. وتعطينا الإلياذة أبدع مشاهد ثورة الغضب عند أخيللوس عندما وصلته أنباء مصرع صديقه الحميم (*باتروكلوس*) علـى الشـكل التالي: (*لقد صرخ أخيللوس صرخة اضطرب لها البحر وماد الشاطئ وتجاوبت لها جنبات الجبال، ثم بكى فاربد أديم السماء واعتكر واحتلك الضحى، وشاعت في العالم ظلمة أشد من ظلمة القبور، وما كاد الأعداء يستيقنون أن الصـيحة صيحة أخيللوس، حتى ارتعدت فرائصهم وولوا على أعقابهم مدبرين، وكانـت خيولهم المذعورة تولي هي الأخرى فتطأ الفرسان هنا وهناك، وتسقط في الخنادق المحيطة بطروادة، فتلقي فيها حتفها بمن عليها*)[1].

فالمفتاح الأول في تصورات هوميروس لمعرفة شخصية أخيللـوس يتمثـل في *عواطف قوية تنفرج بأفعال قوية*. فعندما كانت تنطلق عاطفة قوية عنده كالغضب أو الحزن من عقالها، فإن هذه العاطفة كانت تتحول إلى فعل مدمر أهـوج، فإنهـا تطمس إحساسه بالشرف وتدفعه إلى القسوة الوحشية. فعندما يناشده هكتور، وهو

---

[1] - انظر : المصدر السابق ، النشيد ١٦ ، ص ١٢٨ ، ١٣٢ .

يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد الهزامه، أن يعيد فقط جثمانه إلى ذويه، متوسلاً إليه في ضراعة ممزقة لنياط القلوب على نحو لا نظير له في الإلياذة يجيبه أخيللوس قائلاً *(اطمئن يا هكتور، فكلانا لا تستطيب إلا جزر الأبطال، وستكون لها وليمة فاخرة، فها هو رأس أبيك بريامووس لو ملأ هذه الدنيا كلها ذهباً، على أن أخلي بينه وبينك، ليعود بك إلى إليوس، ما رضينا به بديلاً)* [1].

وفي الحق أن أخيللوس يحب الحياة ويحبها حباً جماً، لكنه يحبها في المعركة والقتال. ولا يفكر في الموت إطلاقاً، وليس للموت وجود بالنسبة له. وبقدر ما كان أخيللوس متأهباً دوماً للقتل والغضب والحزن، بقدر ما كان متأهباً أيضاً للشفقة. ويتبين لنا ذلك المشهد في أبدع مشاهد الإلياذة، إذ يكشف فيه أخيللوس عن عميق إنسانيته على نحو آخر. ففي إحدى الأمسيات بعد أن جر جثة هكتور خلف عربته وعاد بها إلى كوخه، وفي وسط السكون الشامل، يظهر له بريامووس ملك طروادة والأب المكلوم على ابنه هكتور مخاطراً بحياته ثم يرتمي عند قدميه، ويقبّل يديه ويناشده بأن يعيد إليه جثمان ابنه هكتور حتى يمكن دفنه في احتفال جنائزي لائق قائلاً له (*صدرت إليك يا أخيللوس من أمر السماء، أرجوك في هكتور أن تسلمه إليّ حتى تؤدى له فرائض الآلهة وطقوس الموت، وما أحسبك إلا ملبياً لندائي الحزين، حتى تسبح للآلاف المؤلفة من جنوده وذويه وزوجه وابنه أن يبكوه جميعاً، وأن يشيّعوه للدار الآخرة بما رضيت أن تؤديه لبعض أصحابك حتى تقرّ روحه ويؤذن لها فتلج إلى مستقر الأموات*) [2].

وتأثر أخيللوس تأثراً عميقاً لدى سماعه تلك الكلمات الحزينة، فيساعد الرجل العجوز برفق على النهوض، ولللحظات قليلة يبكي الاثنان معاً: أحدهما من أجل

---

1 - انظر : المصدر السابق ، النشيد ٢٠ ، ص ١٦٥ .

2 - انظر : المصدر السابق ، النشيد ٢٢ ، ص ١٨٥ .

باتروكلوس، والآخر من أجل ابنه هكتور، ويعده أخيللوس بتسليم جثمان ابنه حيث *أمر الخادمات فغسلن هكتور بالماء الساخن المعطر بدهن الورد والفنه في مدارج بأكملها من كنان مصر، وتقدم هو فوضعه على وسادة الموت، وأشار إلى جنوده فرفعوه إلى آرائه، ثم أخذ يهوّن على بريامو‌س ويواسيه، ودعاه إلى تناول العشاء معه، فلبى الشيخ وهو يعول ويبكي بكاء يفتت الأكباد ويذيب نياط القلوب*) [1].

وسار الركب في هدأة الفجر باتجاه طروادة، وهناك يأمر الملك بريامو‌س بنشر الجند يجمعون الوقود من كل فج، حتى تكوّن كومة عالية، ووضع الجثمان المبكسى فوقها، ونُصب الخمر تحية لإله الموت وتكرمه وتستعر النار ضراماً [2].

هكذا يكمل هوميروس — في مشهد فياض بالغ الإبداع بالشفقة الإنسانية المثيرة للانتباه لأنها غير متوقعة من أخيللوس — يكمل صورة البطل الصلب القاسي، بطل الغضب والعظمة.

أما هكتور — فهو قوي وشجاع مثل أخيللوس — ويستعمل هوميروس في وصف قوته وشجاعته وبسالته تشبيهات مشرقة غير ملطخة بالدماء، فهو شجاع ولكن من صنف آخر، *فشجاعته ليست فطرية بل عقلية، وتمثل انتصاراً على طبيعته، فأخيللوس يجد في الحرب ما تطرب له نفسه، وأما هكتور فيكره الحرب*، وأخيللوس لا يحتاج إلى التفكير كي يكون شجاعاً، أما هكتور فشجاعته ناتجة عن تفكير وتأمل وحوار مع نفسه، والمنابع التي يستمد منها شجاعته أعمق من ذلك. إن الشرف عند هكتور ليس تصوّراً ذهنياً أو مثلاً أعلى، بل هو قتال دفاعاً عن الوطن الذي يحبه، وموت عند الضرورة، وقتال لإنقاذ أسرته من القتل أو العبودية،

---

1 - انظر : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

2 - انظر : المصدر السابق ، ص ١٧٨ . (وهنا تنتهي إلياذة هوميروس بحرق جثمان هكتور).

فشجاعته ليست شجاعة الحكماء ـ بل هي على النقيض من ذلك ـ تتغذى بالحب الذي يكنه لأهله ومدينته ووطنه (طروادة المقدسة) وما أشد التناقض بينهما. فأخيللوس زعيم لقبيلة مشتبكة في حرب تبعدها كثيراً عن روح المدنية، بل تهبط بها أحياناً إلى درك البربرية. وأما هكتور فهو ابن المدينة الذي يدافع عن وطنه، والذي تفرض عليه المدنية حتى في الحرب ـ الطاعة والنظام ـ أخيللوس إذن فوضوي متكبر، أما هكتور فمدني متحضر. ويريد أخيللوس أن يقتل في هكتور الشخص الذي يكرهه، وأما هكتور فيريد فقط أن يقتل عدو طروادة اللدود، والحب عند هكتور لا يستمد جذوره من حبه لوطنه طروادة وأسوارها وقلاعها فحسب، وإنما من حبه لزوجته وابنه. فأندروماخي زوجته وسكمندروس ابنه هما أوضح صورتين للوطن وأكثرهما تسليطاً على ذهنه. وتكشف لنا الإلياذة عن أقدم قصة حب مثالي بين زوجين متحابين في الأدب الأوروبي كله، ولاسيما عندما تقول أندروماخي لزوجها هكتور وهو يودعها قبل خروجه إلى منازلة أخيللوس وتناشده ألا ينزل إلى المعركة حتى لا تتعرض حياته للخطر وتتحدر الدموع من عينيها قائلة: (هكتور هذه أشباح القتلى الأعزاء من بني وطني، تحدثني عن مأساة أبي، وأخوتي السبعة، والمائتين من أهلي، قتلهم أخيللوس الجبار بيده السفاحة، جعل من جثثهم كومة عالية تقص على القرون تاريخنا الحزين، هكتور .. كل هذه النوازل هدت نفسي، وحطمت قلبي، وأخمدت مشاعري، وجعلتني يائسة تعيسة موهونة لا حول لي .. لولا أنك إلى جانبي تأسو جراحي، وتؤنس وحشتي .. فأنت لي اليوم أب ونعم الأب، وأم ونعم الأم، وأخ ونعم الأخ، بل أنت كل شيء في هذه الدنيا .. هكتور ابق إلى جانبي، فأنا لا أستغني عنك بأب، وأم، أو

اخ أو بملكة بزين مفرقي تاجها المشرق، ويشد بميني صولجانها الرنان، ابسق إلى جانبي، وارع هذا الطفل، ولا تسلمه وتسلمني لليتم والشقاء) [1].

ويتضمن هذا الحديث الأخير بين الزوج وزوجته، معنى المساواة التامة في الحب الذي يكنّه أحدهما للآخر، فهما يتبادلان الحديث والحب على قدم المساواة. إن هكتور لا يحب زوجته أندروماخي وابنه سكمندروس حبه لتاج بملكه، إنما يحبهما كمخلوقين متساويين معه قيمةً وقدراً. وهذان الشخصان (الحبيبان) هما اللذان يدافع عنهما هكتور حتى آخر قطرة من دمائه.

وعلى هذا النحو يعرض علينا هوميروس - في شخص هكتور- صورة رجل صادقة سامية، وصيحته هي صيحة رجل يكابد من أجل مجتمع إنساني أفضل. *وليس التناقض بين أخيللوس وهكتور تناقضاً بين مزاجين فقط، بل أيضاً بين مرحلتين من مراحل تطور الإنسان. وتستمد عظمة أخيللوس أضواءها من نيران العالم الذي كان في طريقه إلى الزوال الحافل بالحروب وغارات السلب والنهب، وأما هكتور فيبشر بعالم المدنية والمجتمع الذي يدافع عن أرضه وحقوقه، ويوصي مقدماً بحكمة عقد المعاهدات، كما يعبر عن التعاطف الأسري الذي هو صورة من الإخاء الإنساني بين البشر* [2].

خامساً : موضوع الأوديسة الرئيسي :

سميت *بالأوديسة* نسبة إلى بطلها الأساسي *أوديسيوس*، وإذا كانت الإلياذة تتألف من ستة عشر ألف بيت شعر، فإن الأوديسة تقل عن الإلياذة ببضعة آلاف من

---

1 - انظر : المصدر السابق ، النشيد ١٣ ، ص ١٠٧ .

2 - انظر: عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٥٢٨ ، ٦٢٨ ، ٦٥٠.

الأبيات .. وقد قسمها علماء الإسكندرية - كما فعلوا بالإلياذة - إلى أربع وعشرين قصيدة لتسهيل دراستها .

وتتناول الأوديسة بعض ماالحق أوديسيوس ***(أحد أبطال الإغريق في حرب طروادة)*** في أثناء عودته إلى بلده ***(إيثاكا)*** بعد انتهاء هذه الحروب، وبعض ما تعرضت له زوجه الوفية بينيلوبي ***(PENELOPE)*** وولده الصغير تليماخوس ***(TELEMACHOS)*** في أثناء غيابه عنهما .

وذلك أنه في أثناء عودة الإغريق إلى بلادهم بعد انتصارهم في حرب طروادة غضب عليهم آلهة كثيرون، وأخذوا يتربصون بهم الدوائر، وكان أشدهم نقمة الإله بوسيدون ***(POSEIDON)*** إله البحار، فقد أرسل عليهم عواصف هوجاء، وأثار عليهم أمواجاً كالجبال، فحطم سفنهم، وأغرق منهم من أغرق، وضلل بعضهم في البحار فظلوا يتخبطون فيها خبط عشواء، وكان أوديسيوس من أشقى أفراد هذا القسم الأخير، وأحقهم بعذاب بوسيدون، فقد اعتدى يوماً على أحد أبناء هذا الإله ولطمه على عينيه لطمةً أفقدته البصر، فأخذ بوسيدون يكيل له على سطح البحر من صنوف العذاب ما لم يخطر ببال . وقد انقطعت أخباره عن أفراد أسرته، فظن معظمهم أنه قد لقي حتفه، ***ولكن زوجه بينيلوبي لم ينقطع أملها في عودته طوال عشرين عاماً من الغياب المستمر، وظلت وفيةً لعهده، أمينةً على حرمته . وأبدت في هذه الفترة الطويلة، أشد العهود وفاءاً وشرفاً وحباً لزوجها الذي لم ينقطع أملها في عودته، فكانت الزوجة المثالية، ومثال الإليادة في الآداب والأخلاق والتربية، حتى كانت عنوان الأدب الأوروبي كله في جميع جوانبه***، لأنها تعامت عن كل الإغراءات وقاومت كل وسائل الإيقاع بها لأجل أن تتزوج من أحد أمراء المملكة وأكثرهم غنى وأفضلهم شرفاً ونسباً أثناء غياب زوجها وفقدان الأمل في عودته . فظلت وفيةً على حرمته حتى لو فقدت الأمل في عودته فكان حبها له حباً

روحياً وجسدياً، تتجسد فيه علائم المودة الأبدية والحب الأبدي العاطفي الذي هو أقوى من كل الإغراءات، وأقوى من جبال الإغريق كلها بتضاريسها المعقدة والجميلة في عروقها ومعادنها الثمينة.

بيد أن جمالها الفاتن [1]، وطول غياب زوجها قد أغريا بها طائفة من العشاق ممن ينتمون إلى طبقة النبلاء في المملكة، وأخذ كل منهم يريدها لنفسه، فلم يزدها هذا إلا وفاءً لزوجها والتمنزازاً من مخافتهم، ولكنها رأت إن هي فاجأتهم بالرفض قد تدعوهم إلى الفتك بها وبابنها الصغير، فآثرت مصانعتهم وخداعهم لتأمن شرهم حتى يعود زوجها أو يشتد ساعد ابنها.

ولما طال بها الأمر وضاقت ذرعاً، ورأت أيديهم تمتد إلى ثروة زوجها، طلبت إلى ولدها تليماخوس أن يغادر المدينة ويذهب مفتشاً عن أبيه علّه يعثر عليه .. وجاءته الأهلة أثينة نفسها (*آلهة الحكمة التي أخذت على نفسها حمايته وحماية أبيه وأمه*) في صورة شخص غريب وحببت إليه ركوب البحر للبحث عن أبيه. وطلبت إلى والدها (*زيوس*) أن يساعده في البحث عن أبيه. وقد لبى زيوس رجاء ابنته أثينه

---

[1] - يصف هوميروس جمال *بينلوبي* بكلمات رائعة الوصف قائلاً (الزهرة التي تهتز للندى، وترقص خيوط الشمس الذهبية، وتغني مع الأطيار، ويسكر النسيم إذا داعب خديها .. قبلة الحب الخالد على خدود الجمال الطليق، وابتسامة السماء الضاحكة في قلوب المحبين المعذبين .. بينلوبي الوديعة كالأطفال، الحلوة كالرضا، الصافية كقطرة الندى بين أوراق الورد، المرحة كسطور الغرام في خطاب الحب .. بينلوبي التي تفخر الأرض بأنها تحملها .. والهواء بأن تستنشقه .. والسماء بأنها تظللها وتشرف عليها، والجبل بأنها تنظر إليه .. والبحر بأنه يغسل قدميها المعبودتين .. بينلوبي .. ذات الفم العطري والخد اللامع المورّد، والجبين الناصع الوضاح، والعنق الناهضة الجيداء .. ربيبة الآلهة .. ونحة الأوليمتوس وبندورا الثانية). انظر : الإلياذة، النشيد ٥ ، ص ١١٢ .

التي أرسلها إلى مكان وجود أوديسيوس التي قادته إلى بلاده بسلام بعد أن عصمته المقادير من غضب بوسيدون، ولمسته بيدها، فبدلته إلى شحاذ بائس ليخفي أمره على أعدائه، فتتاح له سبل كثيرة للانتقام منهم، وسار أوديسيوس متخفياً حتى بلغ منزل إيميوس (*EUMEE*) الذي كان راعياً لدوابه واستضافه ورحب به، واستطاع أن يعرف منه تفاصيل ما حدث لزوجه وابنه في أثناء غيابه عنهما .

وحينئذٍ هبطت أثينة على تليماخوس وهو في إسبارطة عند مينلاوس وقادته إلى منزل هذا الراعي حيث التقى بأبيه وتعارفا واتفقا على كتمان الأمر عن جميع الناس ودبروا حيلة للقضاء على أعدائه .

واصطحبا معهما الراعي *ايميوس* إلى القصر الملكي حيث تقيم بينيلوبي زوج أوديسيوس، وقد خفي أمر أوديسيوس عن جميع أهل القصر وحاشيتهم. وفي القصر أوعزت الآلهة أثينة إلى بينيلوبي أن تعرض على الأعداء قوس زوجها وتعد بزواج من يستطيع الرمي به وإرسال قذيفته من خلال اثني عشرة حلقة إلى هدف منصوب، فعجزوا جميعاً حتى عن مجرد تسديده .

وعندئذٍ قدم أوديسيوس في صورته المستعارة، فطلب تليماخوس أن يدفع إليه بالقوس فقد يأتي ما عجز عنه هؤلاء ، وأمسك أوديسيوس بالقوس، فحركه ورمى به فاخترق سهمه الحلقات وأصاب الهدف، ثم كرّ على الأعداء، فأعمل فيهم سهامه حتى أبادهم جميعاً، وحينئذٍ ظهر في صورته الحقيقية، وفاجأ زوجه بأمره، وتعانقا طويلاً، وبث كل منهما للآخر أشواقه وشكواه .

وحملوا جميعاً حملة صادقة، بمساعدة الآلهة أثينة والإله زيوس على عشائر الأعداء وأتباعهم فهزموهم شر هزيمة، وبذلك استتب الأمر لأوديسيوس .

سادساً : الأسباب الحقيقية للحرب :

يبدي هيرودوت الشك في أن تكون هيلليني قد ذهبت إلى طروادة وصارت سبباً للحرب، وظلت تشجع باريس على القتال في سبيلها فترة عشر سنوات، ونجده يوجه نقداً لاذعاً ضد الروايات الأسطورية القديمة التي أوردها هوميروس سبباً لنشوب الحرب الطروادية (٢/١١٩ ــ ٥) ، وهذه من غير شك فكرة رائدة لا نعرف لها وجوداً قبل هيرودوت، لأن مثل هذا النقد التاريخي أعانه على أن ينفذ إلى جوهر الحقيقة التاريخية . فيقول هيرودوت استناداً إلى رواية الكهنة المصريين الذين عندهم علم كاف بأحوال حرب طروادة *(أن باريس أثناء عودته إلى طروادة ومعه عروسه هيلليني اضطرته أحوال الطقس العاتية إلى النزول على الشاطئ المصري، وفي مصر تم اعتقاله مع عروسه وسفنه وخدمه ومسروقات القصر الملكي في إسبارطة، ومثل أمام ملك مصر (بروتيوس) الذي أصدر الحكم عليه، بعد أن علم من خدمه كلّ ظروف مجيء باريس ونزوله على الشاطئ المصري وما حمله من مسروقات وامرأة مختطفة . وجاءت حيثيات هذا الحكم على لسان بروتيوس مايلي : إني ولو لم يسبق لي أن حكمت بالموت على غريب اضطرته أحوال الطبيعة للالتجاء إلى ساحلنا، حق عليّ أن أنزل بك عقاباً، جزاءً وفاقاً على ما ارتكبت من الإثم في حق مضيفك الإغريقي، فإنه لجريمة ما بعدها جريمة، أن تقابل من استضافك وبذل لك من كرمه، بعمل هو الشناعة بعينها، فالحق إنك إنسان غير ذي خلق، سافل ومنحط، فقد أغويت زوج صاحبك، ثم حملتها فوق هذا على الهرب مستغلاً الهوى الذي أوقدته في فؤادها، وفوق هذا لم تتورع عن سرقة بيت صديقك، ولأن كنت لا أملك أن أنزل بغريب عقوبة الموت، فلست أستطيع أن أسمح لك بالإفلات، بما كسبت إثماً وعدواناً، وحكمي في هذا أن تبقى هذه المرأة والكنز أمانة لدينا، حتى إذا شاء الإغريقي صاحبهما المطالبة بهما*

أدّينا الأمانة، أما أنت وصحبك فلكم ثلاثة أيام لترحلوا عن أرضنا – وتلقوا المرساة بعدئذ أينما شئتم، أما إذا انقضت الأيام الثلاثة ولم تغادروا كنتم عندي من الأعداء)[1] .

ويتابع هيرودوت قوله : (أن الإغريق بعد أن علموا باختطاف هيلليني، وجهوا قوة كبيرة إلى طروادة، وهناك طالبوا بعودة هيلليني والكنز الذي سرقه باريس، والمطالبة بتعويضهم عما أصابهم ، فأجابهم الطرواديون مراراً وتكراراً، بل ويقسمون أحياناً على صحة ما يقولونه، إجابة تنكر وجود هيلليني وكنزها عندهم، وتفيد بوجودهما في مصر، والمطالبة بالتعويض ليست من الإنصاف في شيء طالما أن ما يطالبون به في عهدة الملك بروتيوس بمصر، لكن الإغريق لم يقتنعوا بهذا الرد ووجدوا فيه احتيالاً، فما كان منهم إلا أن أنزلوا جندهم وأحكموا حصار المدينة حتى سقطت في أيديهم، ولكنهم لم يعثروا على هيلليني فيها، وما دام الطرواديون مثابرين على إجابتهم، فلم يكن أمام الإغريق في النهاية سوى تصديقهم، فبعثوا مينلاوس في سفارة إلى بروتيوس في مصر، وهناك روى للملك حقيقة ما حدث، فأكرمه وأعاد له كنوزه وهيلليني التي ظلت بريئة من الإثم)[2] .

تلك الرواية التي سمعها هيرودوت من الكهنة المصريين، ويصفها بأنها رواية حديث العارف الموثق والصادق، فلذلك يجنح إلى قبولها وتصديقها للسبب التالي: (فلو كانت المرأة في المدينة لسلّمت للإغريق، سواء وافق باريس أم عارض، فليست أعتقد أن برياموس أو أياً من أهله الآخرين به مس من الجنون يدفعه

---

1 – انظر : هيرودوت ، الكتاب الثاني ، ص ١٨٢ .

2 – انظر : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

للمجازفة بحياته أو حياة أبنائه وسلامة مدينته، ليعم باريس بالحياة مع هيلليني. وبعد، فلو كانت هذه نزعتهم حيث بدأت المشكلة، فمما لا ريب فيه أن الطرواديين كانوا سيعيدون المرأة إلى أهلها لاحقاً بعد ما تفاقمت الأحوال، وأخذوا يخسرون المعارك إذا صدقنا ما جاء في الملحمة من أن بريامو كان يخسر ولدين أو ثلاثة في كل جولة. ومن المؤكد، في ظل ظروف كهذه، بأنه لو كانت هيلليني زوجاً لبريامو نفسه، فسيسلمها للإغريق قطعاً لدابر الشر الذي أتت به الحرب. وبعد، فإن باريس لم يكن بذي شأن لتتكبد البلد في سبيله ما تكبدت، فهو ليس وريثاً للعرش، إذ أن ذلك من نصيب شقيقه الأكبر هكتور الذي كان يقوم بالولاية في عهد والده العجوز، كما يتمتع بمزايا لا يجاريه فيها باريس، وما كان ليحتمل سوء مسلك أخيه، خاصة أنه السبب في هذا الضيق الذي حل به وبالطرواديين جميعاً. وإذن فالحقيقة هي أن هيلليني لم تكن بينهم، وقد صدقوا فيما قالوه للإغريق، ولست أتردد في القول إن رفض الإغريق تصديق رواياتهم كان بإيحاء من الآلهة ليكون دمارهم عبرة للبشرية، وأن اقتراف الكبائر يأتي بالعواقب الوخيمة. ذلكم هو إذن، تفسيري لتلك الأحداث)[1].

ونحن بدورنا نميل إلى الاعتقاد بصحة رواية هيرودوت **أولاً** : لأنه من غير المنطق والعقل السليم قبول الرأي القائل باستمرار الحرب مدة عشر سنوات من أجل امرأة مختطفة. **وثانياً** : أن هيرودوت في أماكن أخرى من كتابه يورد لنا أحداثاً مماثلة في اختطاف النساء حدثت بين الإغريق والفينيقيين، وبين الإغريق وبعض الممالك الآسيوية لم تسبب حروب أو إثارة نزاعات إلى حد إعلان الحرب. وهنا يعقد هيرودوت المقارنة في هاتين الحالتين : حالة اختطاف نساء آسيويات من قبل

---

[1] - انظر : المصدر السابق، ص ١٨٥.

الإغريق، وحالة اختطاف هيلليني من قبل الطروادين فيقول: (*أما اختطاف النساء، فقد قالوا في شأنه أنه أمر لا يقدم عليه إلا مجرم فظ، وإن إثارة نزاع حول اختطاف امرأة ضرب من ضروب الحماقة . فالعقلاء من الناس لا يشغلون أنفسهم بمثل تلك النساء ، إذ من الواضح ما كان لأحد أن يحملهنّ على ما لا يرضينّ به . فعندما اختطف الإغريق نساء الآسيويين لم يأبه هؤلاء بالواقعة ، أما الإغريق فإنهم من أجل امرأة إسبارطية واحدة حشدوا جيشاً عرمرماً واجتاحوا آسية، ودمروا مملكة برياموس، ومنذ ذلك الحين والآسيويون يكنون العداء للإغريق*) [1].

ومن جهة أخرى، فإن الشاعر الإغريقي (*يوروبيدس*) يبدي الشك بدوره أيضاً في أن تكون هيلليني سبباً للحرب ، ويعلل حرب طروادة بأنها نتيجة لتضخم السكان في بلاد الإغريق وحاجتهم إلى التوسع، ورأينا أن تعليل يوروبيدس يعكس جزءاً من الحقيقة وليس الحقيقة كلها . إذ أن هناك عوامل أخرى أكثر أهمية دعت الإغريق لمثل هذه الحرب نوجزها كما يلي :

تتميز طروادة بموقع استراتيجي مهمّ في السيطرة على بحر مرمرة (*PROPONTIS*) وإشرافها على مدخل المضائق . ومثل هذا الموقع الفريد أدى بها إلى فرض إتاوات ورسوم جمركية على السفن الإغريقية المارة عبر المضائق باتجاه البحر الأسود، ولاسيما أن الظروف الطبيعية في تلك المنطقة كانت عائقاً أمام الملاحة البحرية لكثرة التيارات البحرية العنيفة التي كانت تطيح بعدد كبير من السفن في هذه المنطقة. ومن جهة أخرى كثيراً ما كانت السفن تضطر للالتجاء إلى الشاطئ بسبب الرياح الشديدة التي تعصف من حين إلى آخر، مما دفع بالكثير من

---

[1] ـ انظر : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

التجار إلى تفريغ بضائعهم في الخليج الصغير المواجه لجزيرة تنيدوس (*TENEDUS*) ثم نقل البضائع عبر البر إلى الخليج الواقع على الجانب الآخر . ولما كانت طروادة تسيطر على هذا الطريق البري ، فقد كانت تفرض المكوس الجمركية على التجارة المارة بأراضيها، هذا الموقف أثار نزعة الإغريق في الاستيلاء على طروادة ، باعتبارها أصبحت المنافس الأول للتجارة الإغريقية عبر بحر مرمرة ، إضافة إلى ذلك أن طروادة كانت تتحكم في محصول القمح المصدّر إلى بلاد الإغريق باعتبارها كانت المورّد الثاني للقمح بعد مصر ، فكانت تتحكم في استغلاله وأسعاره ، كل ذلك كان حافزاً للانتقام والسيطرة على طروادة .

وأمام ذلك فإننا نعزو سبب قيام هذه الحرب إلى (سبب *اقتصادي*) فعّال، وأما اختطاف هيلليني فهو (سبب *عاطفي*) وكان الذريعة المباشرة لهذه الحرب ، وأن اتحاد الإغريق في تحالف عسكري بقيادة (آجاممنون) كان له دافعه الخفي والحقيقي للقضاء على طروادة التي كانت عائقاً لاقتصادهم وتجارهم الشرقية عبر بحر إيجة .. وبسقوط طروادة فتح أمام الإغريق آفاق واسعة لتجارهم عبر منطقة الدردنيل والبحر الأسود، ومرحلة جديدة لاستعمارهم لساحل آسية الصغرى [1] .

سابعاً : أصل الطرواديين :

تدل جميع الظواهر بشكل عام إلى أن سكان طروادة كانوا خليطاً من مختلف الشعوب القاطنة على شواطئ آسية الصغرى ، ويحتمل أن يكون هؤلاء قد جاؤوا إليها من تراقية . ويدعي (*استرابون*) أن هؤلاء قد جاؤوا من كريت وسكنوا طروادة ، وذلك على الأغلب بعد سقوط كنوسوس . ومما يؤيد هذا الرأي وجود جبل مقدس في طروادة يحمل اسم (*ايدا*) مثل الجبل المقدس في كريت . ثم نجد بين

---

[1] – انظر : محمد كامل عياد ، عاصم أحمد حسين ، ص ١١٢ .

السكان أيضاً قسماً من (*القاريين*) و (*الليكيين*) و (*والكيليكيين*) . وتدل المكتشفات الأثرية على أن حضارة طروادة كانت مزيجاً من حضارة كريت وميكيناي مع عناصر من الحضارات الآسيوية. إذن من المحتمل أن الطرواديين كانوا فرعاً آخر من الشعوب الهندية- الأوروبية التي وفدت إلى ميكيناي في بلاد الإغريق بعد عام ١٩٠٠ق.م ، ويأتي في مقدمة هذه الشعوب (*الآخيون*) - ***ولكن لا نستطيع أن نقطع بصحة ذلك*** - لأن كل المظاهر تشير في أغلب الظن أن لغة الطرواديين لا تختلف عن لغة الآخيين، لأن هوميروس الذي يحرص على تسجيل أي اختلاف في اللهجات ، لا يذكر شيئاً عن اختلاف لغوي بين الطرواديين والآخيين، كما أن العادات واحدة باستثناء تعدد زوجات بريامو س ، ملك طروادة ، وهي عادة ربما اكتسبها من الشعوب الشرقية المواجهة لمملكته ، كما نجد أن الأسماء متشابهة فيما عدا اسم بريامو س إذ يبدو أنه غير إغريقي . ونرى أنه عندما اتخذت ميكيناي من أثينة (*إلهة*)، أصبحت هي الربة الحارسة لكل من أثينة وطروادة . ولكن منشأ الاختلاف كان مردّه أن الطرواديين كانوا محاطين بشعوب شرقية . ولكنها ذات اتجاه حضاري وتجاري إغريقي، لأن طروادة كانت دائماً تولي وجهها شطر الإغريق [1].

ثامناً : أشعار هوميروس والمجتمع الإغريقي :

يتضح لنا مما سبق، أن هوميروس لم يعاصر حرب طروادة خلال القرن الثاني عشر ق.م ، بل إنه كتب عنها بعد ذلك بفترة طويلة خلال القرن التاسع ق.م . .

---

[1] - يُلاحظ أن هوميروس لا يشير إلى وجود أي مترجمين بين الطرواديين والإغريق، وأن الفريقين كان التفاهم يتم بينهما من دون وسيط انظر :

. H . WADE : GERY, THE POET OF THE ILIAD (1952) pp 35 , 80 , N , 86 .

فلذلك يمكننا أن نضع أشعاره في مصاف المصادر الأدبية غير القاطعة والجازمة في الحدث التاريخي ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمتها كمصدر له أهميته نستطيع أن نستقي منه معلوماتنا عن تاريخ الإغريق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والحضاري ولكن بحذر، ولاسيما بعد أن ثبت لدينا أن أشعار هوميروس لم تكتب أثناء وقوع الحدث، بل كُتبت بعد ذلك بفترة طويلة، ومن ثم تخللها كثير من التحريف والزيادات وضاع كثير من حقائق الحرب، التي أدارها هوميروس في ملحمته بصورة أدبية عكست كثيراً من خيال ومرئيات الشاعر ، هذا إلى جانب نزعته الفردية وميوله إلى إظهار حقائق وإغفال أخرى .

فمن الناحية السياسية، استطعنا أن نستقي من أشعار هوميروس صوراً لحياة الإغريق السياسية، حيث ظهر المظهر السياسي في ظل النظام الملكي، الذي كان أول الأنظمة السياسية لتلك المجتمعات القديمة، بينما ظهرت بلاد الإغريق في ظل أنظمتها السياسية للمدينة الحرة (*POLIS*) أو نظام دولة المدينة حيث لم تكن هناك وحدة سياسية لبلاد الإغريق، بل أنها كانت مقسمة سياسياً إلى دول صغيرة .. وتعطينا أشعار هوميروس أكبر دليل على ذلك التقسيم، وعلى الرغم من توحد الإغريق تحت قيادة (*أجاممنون*) لإغاثة أخيه (*مينيلاوس*) ملك إسبارطة- إلا أن هذه الوحدة كانت مؤقتة ما كانت لتذيب الأنظمة السياسية المفتتة، بل إنها كانت مشاركة عسكرية فقط لمساعدة أحد ملوك الإغريق للقضاء على طروادة .

ولقد كان للملك سلطات واضحة ظهرت من خلال الأحداث مثل : *قيادة الجيش، وإعلان الحرب والسلم، واختيار القواد*، وإلى جانب سلطات الملك كان هناك مجلس استشاري يعاون الملك في اتخاذ القرارات وهو ما عرف لدى الإغريق باسم (*مجلس الشيوخ*) (*BOULE*) الذي يتألف من المستشارين وشيوخ القبائل

والأرستقراطيين ، ثم تعرض القرارات أخيراً على (**الجمعية العامة**) التي يمثلها الشعب للموافقة عليها، ولكن دون حق الاعتراض .

ومن الناحية الاقتصادية، فقد أمدتنا هذه الأشعار بمعلومات قيّمة عن حياة الإغريق الاقتصادية في ذلك الوقت، وربما كان إعلان الحرب صورة عاكسة لتحديد إمكانات وموارد الإغريق الاقتصادية، إذ يعطينا (*كتالوج السفن*) (*NEOM KATALOGOS*) الوارد في الكتاب الثاني مسن الإلياذة (*أبيات ٤٨٤ ـ ٨٠٦*) معلومات عن عدد السفن والقوات التي أسهمت بها كل مدينة، حيث يتبين لنا الوضع الاقتصادي لبلاد الإغريق خلال تلك الفترة، وأن حالة المدن الإغريقية كانت متفاوتة اقتصادياً، حيث نجد أن المدن الثرية كانت تقدم عدداً كبيراً من السفن، وأما الدويلات الفقيرة فكانت تشارك بتقديم سفينة واحدة ، كذلك تمدنا أشعار هوميروس بعدد من صور الحياة الاقتصادية من حيث استعمال العملة وأنواعها الذهبية والفضية والبرونزية .. كذلك قدمت لنا الأشعار صوراً للصناعات المختلفة وبراعة الإغريق في صناعة الأسلحة بأنواعها، وصناعة الفخار وتنوعه طبقاً لاختلاف استعمالاته، وكذلك صناعة الصوف ومدى تقدم الإغريق في تلك الصناعة الفريدة نتيجة لاشتغالهم بحرفة رعي الأغنام التي كانت تجد في طبيعة بلاد الإغريق المسرح الطبيعي لانتشارها .

ومن الناحية الاجتماعية، يصف لنا هوميروس الحياة اليومية للإغريق سواء في البيت أم السوق أم الحقل أم المرعى أم ميدان القتال ، وعن السمات الشخصية للإغريق من حيث الوطنية ، والإخلاص ، والشجاعة ، والجبن ، والنذالة، وعن حب المجد والشرف الذي هو أسمى من الحياة وأقوى من الآلهة ، ونظرة الإغريق إلى القيم الاجتماعية ومركز المرأة في المجتمع ، ونظرهم إلى الدين والآلهة والرق والأسرة

وموقفهم من القانون والطبقات، كذلك الأمر عن آمالهم في المجتمع المثالي، وما يتمنونه أو يريدونه في هذا المجتمع .

ومن الناحية الدينية، فقد أشرنا سابقاً أن الآلهة كانت تتنافس وتتحارب فيما بينها من خلال إظهار مهاراتها الفردية في أحداث الحرب، وأن الآلهة كانت تتحكم في تسيير أحداث الحرب ، وكانت في مباراة حقيقية، فقد انقسمت الآلهة إلى فريقين وقف كل واحد منهما إلى جانب أحد الطرفين المتنازعين .. ويصوّر لنا هوميروس مدى الحزن والأسى الذي ينتاب الآلهة المهزومة، فقد كانت الحرب قائمة بين البشر، إلا أن أوارها واشتدادها كانت تحدث من خلال مساعدات ومهارات الآلهة.

ومن الناحية الحضارية، تعطينا أشعار هوميروس صورة واضحة عن المظهر الحضاري لبلاد الإغريق خلال أحداث الحرب الطروادية، عن الفن والعمارة ، وبناء المدن والقصور والأسوار. هذا إلى جانب براعة الإغريق في فن المعابد بأنواعها المختلفة، وكذلك الأمر في بناء السفن ذات المهمات المختلفة ، ومعرفتهم في علم الفلك ، ووضع أسس علم الجغرافية البحرية .

وأخيرا يمكن القول، إن الحرب الطروادية كانت من أخطر الحوادث الغابرة في نظر الإغريق وأبقاها أثراً في نفوسهم. ومن أشد الأدلة- وقعاً في النفس- على أن الحرب الطروادية حدثت بالفعل، *هو ايمان الإغريق جميعاً بحقيقتها وتسليمهم بتاريخيتها، وعدم ظهور كاتب في أمتهم المليئة بالشكاك، ساوره الشك في صحتها التاريخية . وتثبت الوثائق الحثية ، والآثار الطروادية ، وكتالوج السفن الإغريقي والطروادي ، فضلاً عن الأدلة الاستنباطية الأخرى كل ذلك، مما تجعلنا أميل إلى الاعتقاد بأن الحرب الطروادية حقيقة تاريخية .*

الفصل السابع

أصل الإغريق
وأحوالهم وهجراتهم

أولاً : أصل التسمية :

يُطلق هوميروس اسم *الأخائيين* (*ACHAIOI*) على جميع الإغريق الذين اشتركوا في حرب طروادة، ولم يكن لهم اسمٌ آخر من وقت مجيئهم إلى شبه جزيرة البلوبونيز (*في القرن التاسع عشر ق.م إلى وقت تأليف الإلياذة في القرن التاسع ق.م*) . ولم يقصد بهذا الاسم كل بلاد الإغريق ، بل قسمها الشمالي فقط حيث توجد منطقة في جنوب شرق إقليم تسالية عُرفت باسم أخيا (*ACHAIA*) أو أخيا أفثيوتيس (*ACHAIA PHTHIOTES*) وهي موطن (*أخيللوس*) بطل ملحمة الإلياذة[1] . ويسميهم هوميروس أحياناً باسم (*الأرجوسيين*) نسبة إلى مقاطعة (*أرجوس*) (*ARGOS*) وهي إحدى مدن إقليم (*أرجوليس*) في شبه جزيرة البلوبونيز المتاخمة لمدينة ميكيناي عاصمة مملكة (آجاممنون) القائد الأعلى للحملة الطروادية، وليس نسبة إلى أصلهم وعرقهم ، وأيضاً (*بالداناويين*) نسبة إلى (*داناوس*) وهو جد أسطوري مصري .

أما اسم بلاد (*هللاس*) (*HELLAS*) لم يُطلق إلا على منطقة صغيرة متاخمة لمملكة أخيللوس السالفة الذكر في جنوب شرق تسالية، ولا اسم (*الهيلينيين*) إلا

1- CF , A . AYMARD , LES ASSEMBLES DE LA CONFEDERATION ACHAIENNE. 1938.

على سكان هذه المنطقة. ويؤيد توكوديدس ذلك بالقول (*أن هوميروس لم يستخدم اسم الهيلينية في الإشارة إلى الجيش الذي سار إلى طروادة ، فقد احتفظ بهذا الاسم لاتباع أخيللوس الذين قدموا من أخيا افثيوتيس وكانوا في الواقع هم الهيلينيين الأصليين .. ويضيف توكوديدس أن اسم بلاد هللاس لم يُعرف في ذاك الوقت قبل هيللين بن دوكاليون (كما سنرى لاحقاً) ، فالمناطق كانت تُعرف باسم العشائر المختلفة التي تسكنها ، وكانت نسبة البلاسجة منهم هي الغالبة، وبعد أن ازدادت سطوة هيللين وأولاده في (أخيا افثيوتيس) وحالفتهم الدول الأخرى ، وازدادت صلات تلك الدول بأسرة (هيللين)، بدأت كل منها بمعزل عن الأخرى تنسب إلى (الهيلينية)، وأخذت مدينة تلو مدينة هذا الاسم نتيجة للغة المشتركة فيما بينهم، ثم أصبحوا جميعاً يُعرفون بهذا الاسم المشترك (الهيللينيين). لكن نسبة (الهيلينية) لم تُرسخ وتطغى على التسميات الأخرى إلا بعد عهد طويل*)[1] . ويقدّر المؤرخون المحدثون ذلك بدءاً من أوائل القرن السابع ق.م في عهد الشاعرين أرخيلوخوس وهسيودوس [2] .

وأما الإغريق (*GRAECI*) فهو اسم أطلقه عليهم الرومان فيما بعد نسبة إلى قبيلة (غرايكوي) ، وهم جماعة من شرق إقليم بوبوتية ببلاد الإغريق ، وأسسوا مستعمرة كوماي (*CUMAE*) على الساحل الغربي لإيطالية . وهي أقدم المستعمرات الإغريقية هناك (٧٥٠ — ٧٢٥ق.م) ، ولم يلبث الرومان أن أطلقوا على جميع سكان تلك المستعمرة اسم (*الإغريق*) ومن هذا الاسم اشتقت كلمة غريس (*GRECCE*) وأطلقوها على الإغريق عامة، ثم انتقلت الكلمة في عهد الرومان إلى

---

1 – انظر : توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٢٠ — ٢١ .

2 – انظر : عبد اللطيف أحمد علي، الجزء الأول ، ص ٨ .

سائر الأمم الأوروبية ، وكذلك إلى العرب الذين أصبحوا يطلقون على هؤلاء اسم (*الإغريق*) .

وأما عن اسم (*اليونان*) أو (*اليونانيين*) الشائع في اللغة العربية، فهو تحريف للفظ (*أيونيين*) (*IONES*) وكان الأيونيون وهم إحدى قبائل الإغريق التي هاجرت إلى منطقة (*أيونية*) التي تقع في القسم المتوسط من ساحل آسية الصغرى (في تركيا حالياً) بفعل الغزوة الدورية (*كما سنرى لاحقاً*) استوطنوا هذا القسم وأصبح له مكانة عالية وشهرة واسعة. وكانوا هم أول إغريق احتكت هم ممالك الشرق الأدنى القديم، ومن ثم فقد أطلقت عليهم شعوب هذه الممالك ولاسيما *الفينيقيين* اسم (*ياونيين*) ثم إلى (*يونان*) وأطلق اسم (*يونانيين*) على كل الإغريق.

وهنا يجب أن نذكّر مرة ثانية، وكما أشرنا في الحاشية الأولى من هذا الكتاب، أن الصفات (*هيلليني*) و (*إغريقي*) و (*يوناني*) تستعمل كلها في هذا الكتاب بمعنى واحد .

ومن الجدير بالذكر في نهاية هذه الفقرة ، أن نشير إلى أهمية موقع (*أيونية*) *التي تعتبر من أجمل بقاع الأرض قاطبة من حيث اعتدال المناخ وجمال الطبيعة والطقس على حد قول هيرودوت* [1] . ويبلغ طول شاطئ *أيونية* تسعين ميلاً وعرضه لا يزيد على ثلاثين ميلاً. ويتصف هذا الشاطئ بأفضل صفات البحار في العالم ، *كهدوء البحر ، والمياه الدافئة ، والتيارات المائية المساعدة للملاحة، ووجود الخلجان التي تهدي السفن والبحارة ، وكثرة الجزر* . فعلى ضفاف هذا الشاطئ انتشرت المستوطنات الإغريقية ، نظراً للظروف الجغرافية الجيدة والملائمة لحياة الإغريق ، هرباً من الغزوة الدورية ، أو من ضيق أرضهم ، وفقر بلادهم الذين بدؤوا بالنزوح منها منذ القرون الأولى للألف الأولى ق.م ، ولاسيما القرن الثامن والسابع والسادس ق.م ، *حيث وفرت لهم هذه المنطقة العمل في الصيد ،*

---

[1] – انظر : هيرودوت، الكتاب الأول، ص ٩٨ .

والملاحة ، والتجارة ، وصناعة السفن ، ووفرت لهم أيضاً الاتصال مع الحضارات الشرقية ، وسهّلت لهم التبادل التجاري والفكري مع الأمم الأخرى . فكانت هذه المنطقة بالذات هي السبب في ازدياد الرغبة عند الإغريق للمعرفة والتبادل الحضاري مع الأمم الأخرى، حيث أخذوا كثيراً من الأفكار العلمية عن المصريين والبابليين والفينيقيين، وفي أيونية امتزجت علوم الكلدانيين السحرية بأساطير هسيودوس الشعرية، وحكمة المصريين بنظرات الفينيقيين الطبيعية ، وتجارب التجار الإغريق الاقتصادية واشتركت جميعها في تكوين الفلسفة الأيونية، فاتسع أفق الخيال عند الإغريق مما ساعدهم على تقوية الاتجاه العملي إلى جانب البحث النظري، وبذلك تهيأت الأسباب لانكشاف التفكير المبدع عند الإغريق وتنمية الروح القومية عندهم ، وظهور الشعر والأدب ، ونشأة العلوم الرياضية والفلسفية ، وبروز أول الخطباء والمؤرخين . ومن هذه المنطقة بالذات ، انتقل ميراث الحضارات الشرقية إلى الإغريق ، الذين نقلوا بدورهم حضارتهم — ومن أيونية بالذات — إلى العالم كله .

وفي أيونية حدث أول تبادل تجاري مع الفينيقيين والإغريق ، وكان الفينيقيون هم أول من أطلق على الإغريق تسمية (*ياوون*) ثم (*يونان*) (*كما رأينا سابقاً*) تيمنا باسم هذه المنطقة . وليس أدل على ذلك — من أن هذه المنطقة — شهدت أهم الأحداث التاريخية العالمية ، وهي انطلاق أول شرارة حرب عالمية بين الفرس والإغريق بين عامي (٤٩٩ — ٤٩٢ق.م) *والتي وصفها هيرودوت ، أول مظهر للنزاع بين الشرق والغرب* ، وأدت بالنتيجة إلى تحرير العالم الإغريقي والمدن الإغريقية في آسية الصغرى من الاحتلال الفارسي .

وخلاصة القول، إن أيونية شكلت مركز الحضارة الإغريقية في آسية الصغرى ، فمن خلال هذا المركز تم تبادل الثقافات والأفكار بين الحضارات، وتم اللقاء والتعارف بين الأجناس والشعوب ، وتم تبادل البضائع والنقود على مستوى الاقتصاد العالمي ، ونشأت الفلسفة والعلوم والآداب بمختلف أشكالها ، ومن هذا المركز ظهر علماء الإنسانية الأوائل أمثال : تاليس ، وفيثاغوراس، وآناكسيماندر ، وكسينوفانس ، وهيراقليتوس ، وآناكزيمين ، وهيرودوت،

وهيكاتابوس ، وسافو الشاعرة المغنية وصاحبة أول مدرسة لتعليم الشعر في التاريخ ، وفي هذا المركز كانت إحدى عجائب العالم السبع (معبد الإلهة أرتميس في مدينة (إيفيزوس) [1] . وتعطينا هذه النبذة المقتبسة من النشيد الهوميري الموجه للإله (أبوللون) فكرة عن المستوى الرفيع لحضارة (أيونية) إذ تقول (غير أنك يا أبوللون تجد أعظم متعة في جزيرة ديلوس (إحدى الجزر الأيونية) المقدسة التي يجتمع فيها الأيونيون هم وأولادهم وزوجاتهم وهم يجرون ثيابهم وراءهم ، وأن اشتغالهم بالملاكمة والرقص والغناء، حين يأتي يوم المهرجان ليبعث في نفسك السرور .. ولو أن إنساناً أقبل على الأيونيين وهم مجتمعون لقال : أنهم لا تدركهم الشيخوخة ولا الموت ، لأنه يرى لديهم جميعاً قسطاً كبيراً من الرقة والرشاقة، وأنه ليسرّه منظر الرجال والنساء في ثيابهم الجميلة، كما يبتهج بمشاهدة سفنهم السريعة وممتلكاتهم العظيمة (كيتو ، ص ١٠٩) .

ثانياً : أصل الإغريق :

نشأت بلاد الإغريق أول ما نشأت في العصر النيوليثي، أي العصر الحجري الحديث (NEOLITHIC AGE) والذي يحدد تاريخياً من (٣٥٠٠ ـ ١٩٠٠ق.م) وجاء بعده عصر البرونز (BRONZE AGE) الذي انتهت حضارته على وجه التقريب عام ١١٠٠ق.م . وكان قد وفد إلى شبه الجزيرة الإغريقية أثناء العصر النيوليثي مهاجرون من الصعب تحديد جنسيتهم ، وإن كان الإغريق أطلقوا عليهم فيما بعد اسم البلاسجيين (PELASGIANS) [2] . ومن المرجح أن هؤلاء وفدوا من جنوب

---

1 – أما العجائب الأخرى فكانت : الجنائن المعلقة في بابل ، منارة الإسكندرية ، التمثال العظيم في جزيرة رودوس ، تمثال زيوس في أولمبية من صنع النحات فيدياس، ضريح الملك موسولوس في مدينة هاليكارناسوس ، أهرامات مصر .

2 – أو الكاريين نسبة إلى إقليم كاريا (CARIA) بآسية الصغرى أو الليليجيين (LELEGEIS) وهو اسم أطلقه الكتّاب الإغريق فيما بعد على شعب آسيوي كان يحتل جزر البحر الإيجي وأجزاء من بلاد الإغريق نفسها قبل قدوم الأخيين (الهيلينيين) وكانوا يحتون بصلة قرابة للكاريين ويعرفون جميعاً باسم (البلاسجيين) الذين يظهرون في الإلياذة كحلفاء لطروادة .

غرب آسية الصغرى ، ودخلوا شبه الجزيرة من سواحلها الشرقية والجنوبية ، ولعلهم كانوا يمتون بالصلة للسكان الأوائل في كريت وجزر البحر الإيجي، وكانت حضارتهم زراعية الطابع ، ولم تكن لغتهم تنتمي إلى أسرة اللغات الهندية-الأوروبية. ويقول هيرودوت في لغة هؤلاء : (... *ولست أملك أن أجزم بحقيقة لغة البلاسجة .. ولكن عليّ القول إنهم ينطقون بلغة بربرية ليست مألوفة فيما عُرف عن السنة جيرانهم .. وأما البلاسجة فيغلب عندي أن عددهم لم يزد كثيراً*)[1] .

ولكن من خلال الأبحاث عن التكوين الفيزيولوجي للسكان الأصليين في القرن الثاني عشر ق.م، وعن أسماء الأمكنة المختلفة أثبتت أن هذه البلاد لم تكن دوما إغريقية الأصل .وهناك قصة تقرّن بين (*بيلوبس*) و (داناؤس) و (كادموس) بوصفهم جميعاً أجانب: *الأول من آسية الصغرى ، والثاني من مصر، والثالث من فينيقية*. إذ ساد الاعتقاد بين الإغريق عامة أن (*بيلوبس*) جاء غازياً من ليدية أو من فريجية أو غيرهما من أقاليم آسية الصغرى. ويسلّم المؤرخ النابه *توكوديدس* أن (*بيلوبس*) كان شخصية تاريخية، ويتحدث عن خلفاء (*بيلوبس*) الذين قدّر لهم أن ينتقلوا إلى (*أرجوليس*) ويصبحوا حكاماً على ميكيناي ويتزعموا كل بلاد الإغريق[2] . ولكن إذا كان هناك خلاف حول تاريخ مجيئه ، فلا خلاف حول أصله الآسيوي ، *لأن أسانيد الخبر قوية كما ورد عند هيرودوت* حين يقول على

---

1 – انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٤٠ .

2 – كان تنتالوس هو الجد الأول لهذه الأسرة ، وقد أنجب ابناً يدعى **بيلوبس** وبنتا تدعى **نيوبي**، وأنجب بيلوبس بدوره ولدا اسمه (أتريوس) وكان للأخير ولدان هما : **آجاممنون ومينلاوس** . وفي هذه الحالة يكون بيلوبس جداً لآجاممنون الذي قاد الحملة الإغريقية على طروادة عند أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الثاني عشر ١٢٣٠ أو ١١٨٠ ق.م ، وعلى ذلك يكون بيلوبس قد جاء إلى بلاد الإغريق قبل تاريخ الحرب الطروادية بنحو مائة عام على أكثر تقدير . *ولي رأي كثير من الباحثين أن بيلوبس جاء من آسية الصغرى في مستهل القرن الثالث عشر ق.م*

لسان الملك الفرسي (اكسركس) مخاطباً قواده قبل غزوه لبلاد الإغريق بقوله (*إننا حين نهزم الأثينيين وجيرانهم الفريجيين في البلوبونيز نحقق مدى أوسع لملك فارس حتى تبلغ حدود السماء*) [1] . ويستند توكوديدس بدوره إلى رواية موثقة من البلوبونيز قائلاً: (*أن بيلوبس قدم من آسية حاملاً معه ثروة طائلة ، وبما أنه استقر في أرض فقيرة ، فقد تحققت له سطوة بالغة جعلت الأرض كلها تنسب إليه، بالرغم من أنه كان غريباً فيها، وأصبح أبناؤه أكثر غنى منه ، ومن بينهم آتريوس الذي عُرف عنه القوة والبأس، ومن ثم تولى الحكم بعد والده بيلوبس* [2] .. *وهكذا طغى سلطان أبناء بيلوبس على أولاد برسيوس .. وكانت تلك هي الإمبراطورية التي ورثها آجاممنون عن جده بيلوبس ووالده اتريوس .. وقد وصفه هوميروس ملك أرجوس كلها والكثير من الجزر*) [3] .

ومثل هذه الأساطير عن الغزو الأجنبي لا يمكن أن تكون خيالاً محضاً، لأنه حتى لو سلمنا بأن (*داناؤس*) (*الذي لا يذكره هوميروس بالاسم*) ليس سوى شخصية رمزية اختلقها كاتب أو عالم أنساب في وقت لاحق ، فلا مناص من أن نعتبره على الأقل شخصية اصطنعت لتجسيد حادثة كان لها سند من الواقع التاريخي، هذا الواقع ليس له تفسير، إلا هجرة (*داناؤس*) وأتباعه إلى أرجوس

---

1 - ، انظر : **هيرودوت** ، الكتاب السابع ، ص ٤٩١.

2 - كانت منطقة الجنوب في بلاد الإغريق تُعرف باسم (شبه جزيرة البلوبونيز) (PELOPONNESUS) ومعناها جزيرة (**بيلوبس**) نسبة إلى الملك (**بيلوبس**)، وهي الآن تُعرف باسم شبه جزيرة المورة .

3 - انظر : توكوديدس، الكتاب الأول، ص ٢٤ ، *وهنا تتناقض كلياً شهادة توكوديدس المعروف بشهرته في تعليل الحقائق التاريخية، مع المقولة القائلة إن (الأخائيين) ومن بينهم قائدهم (أجاممنون)- حسب آراء بعض العلماء- ربما وفدوا من منطقة حوض الدانوب أو من شمال أوروبة الشرقي ، وهذا مما يعزز الفرضية القائلة إن أصول (الأخائيين) ترجع إلى أصول آسيوية ، وليست هندو-أوروبية كما هو متعارف عليه عند بعض العلماء .*

استغرقت فترة طويلة من الزمن ، إذ تتفق المصادر الأدبية فيما بينها من حيث زمان الحادثة، فهي تقول أن (*داناؤس*) ينتسب إلى فجر عصر البطولة في أرجوس ، فنرى الإلياذة ـــ على سبيل المثال ـــ تسمي قسماً من المحاربين (*بالدانائيين*) الذين تروي الأساطير الإغريقية بأن جدهم (*داناؤس*) جاء من مصر وسكن في بلاد (*أرجوس*) حيث أصبح ملكاً عليها فيما بعد . وينسبه الكتّاب الذين توافقوا على الأخبار المتواترة وتأريخها إلى القرن السادس عشر ق.م ، وهذا ما يتطابق مع المكتشفات الأثرية في ضوء النقش المعروف باسم سجل باروس الرخامي (*MARMAR PARIUN*) الذي عُثر عليه في جزيرة (*باروس*) إحدى جزر مجموعة الكيكلاديس في بحر إيجة، والنقش تسجيل لأحداث التاريخ الإغريقي مرتباً منذ عهد ملك أثينة الأسطوري (*CECROPS*) حتى عهد حاكمها (*DIAGENES*) أي حتى عام ٢٦٤ / ٢٦٣ق.م . إذ ينسب هذا النقش (*داناؤس*) إلى عام ١٥١١ق.م ، ولكن لا يعرف من هو كاتب النقش الذي يزعم أنه استمد معلوماته من كل أنواع الوثائق والتاريخ .

أما فيما يخص أسطورة (*كادموس*) الذي جاء من فينيقية إلى بلاد الإغريق وأسس فيها مدينة (*طيبة*) تقول الأسطورة (*أنه لما اختطف زيوس يوروبي ، أرسل والدها (أجينور) ملك صور أخوتها للبحث عنها، وأمرهم ألا يعودوا ما لم يعثروا عليها وكان أحدهم هو (كادموس)، وبدلاً من أن يذهب إلى هنا وهناك، ذهب توّاً إلى (دلفي) ليسأل أبوللون أين يجدها، فأخبره الإله ألا يتعب نفسه عنها وأن عليه فور خروجه من دلفي أن يتبع عجلة يراها في طريقه ، وأن يبني مدينة في المكان الذي تستريح فيه*) . وهذه الطريقة أسست طيبة والبلاد التي حولها وسميت بويوتية (*BOEOTIA*) حيث استقر في طيبة التي تُعرف في أساطير عصر البطولة *كادميا* (*CADMEIA*) أي مدينة *كادموس* نسبة إلى *كادموس الفينيقي* .

ومع بداية عصر البرونز أي نحو عام ١٩٠٠ ــ ١٠٠ق.م ، بدأ يدخل شبه الجزيرة قوم جدد *لا يعرف على وجه اليقين مصدر نزوحهم* ، ويتفق العلماء من ذوي الميول الأوروبية الغربية على أن هؤلاء الوافدين الجدد، *ربما وفدوا من منطقة حوض الدانوب (سهل المجر) أو من شمال أوروبة الشرقي ، أو من منطقة شرق بحر قزوين وأواسط آسية ، ثم دخلوا البلقان من شماله أو سواحله الشرقية*، وكانوا يجهلون الكتابة ، *ولكننا نعلم علم اليقين أن هؤلاء المهاجرين الأوائل لم يكونوا هم الإغريق بل كانوا قوماً يتكلمون الإغريقية وسيصبحون فيما بعد أحد عناصر ذلك الخليط الجنسي اللاحق الذي يستحق عن جدارة أن يسمى بالإغريق*، ولم يُعرف الاسم الذي كانوا يطلقونه على أنفسهم حتى الآن في فترة مجيئهم إلى شبه الجزيرة الإغريقية. *ولكن باتفاق آراء بعض العلماء ، أنهم كانوا ينتمون إلى أسرة الشعوب الهندية- الأوروبية ويتكلمون لغة هذه الشعوب*[1]، وأنهم كانوا قوماً محبين للقنص والفروسية والقتال ويحملون أسلحة مصنوعة من البرونز. ولعل ذلك الدمار الذي لحق بعدد كبير من المراكز العمرانية (*في آخر العصر الهلادي القديم*) وشمل منطقة واسعة تمتد من غرب شبه الجزيرة إلى أرجوليس، يرتبط بمجيء هؤلاء القوم. *وينبغي التنبيه إلى أن هؤلاء لم يأتوا دفعة واحدة أو في فوج كبير واحد، ولا في شكل حملة استعمارية منظمة، بل جاؤوا*

---

[1] – من خلال نظام مقارنة الأفعال في السنسكريتية (وهي لغة الآريين وتعني ، (النظيفة) أو (الصافية) ، واليونانية ، واللاتينية ، والفارسية ، والألمانية ، توصل العالم (فرانزبوب) إلى أن أصل هذه اللغات ذات أصل واحد . وأن اللغة الهندو- اوروبية الأصلية الأولى قد يكون تكلمها (الشعب الهندو- أوروبي) الواحد في الألف الثالث ق.م، قبل أن يتفرق في أنحاء العالم، وقبل أن يعمل كل فريق على تطويرها بحسب ظروفه . انظر : فرانز بوب (١٧٩١ ــ ١٨٦٧ م) له مؤلفات عديدة في مقارنة اللغات، توصل إلى معرفة العلاقات العامة بين اللغات الهندو- أوروبية، والمبادئ المشتركة في تكوينها .

كغزاة متسللين في عدة أفواج خلال فترة طويلة من الزمن استغرقت ما يزيد على ثمانية قرون من عام ١٩٠٠ ــ ١١٠٠ ق٠م . وثمة شيء آخر عن هؤلاء القوم، هو أن حضارتهم لم تكن بأرقى من حضارة سكان البلاد الأصليين الذين كان أغلبهم فلاحين يمارسون مهنة الزراعة. لكن مع توالي مجيء قبائل جديدة من هؤلاء المهاجرين، طغوا على السكان القدامى - *وإن تأثروا بحضارتهم* - وأصبحوا هم الطبقة الحاكمة بفضل تفوقهم في التنظيم العسكري ، والفروسية ، وفنون القتال . لكن فترة طويلة بعد ذلك من التعايش السلمي والتعاون المثمر كانت كفيلة بتحقيق الامتزاج بين القدامى والجدد . ولم يأت منتصف القرن السادس عشر (*نحو ١٥٥٠ ق٠م*) حتى كان سكان شبه الجزيرة خليطا يتألف من عنصرين أو سلالتين: *سلالة الصعود - الأوروبيين ، وسلالة سكان البحر الأبيض المتوسط* .

هؤلاء القوم الجدد الذين امتزجوا بالقدامى خلال بضعة قرون، ثم قاموا بالحملة على طروادة في آخر القرن الثالث عشر أو مستهل الثاني عشر ق٠م، يسميهم هوميروس (في القرن التاسع ق٠م) غالباً (*بالأخائيين*) (*ACHAIOI*) .

كان هؤلاء (*الأخائيون*) طوال القامات، وحضارتهم زراعية الطابع ، والأرض ملكاً للعشيرة أو الأسرة وليس للأفراد، وتعتبر ملكية عامة لكل الجماعة. ويُفهم من كلام *هوميروس*، أن اقتصاد السوق لم يكن قد ظهر بعد، لأن مجتمعهم ما زال ريفياً، محلياً، والمدن قليلة التي لم تكن في الواقع سوى مجموعة من القرى تتحد برئاسة ملك أو أمير حول قصر حصين. *وكان الاقتصاد السائد عندهم هو الاقتصاد العيني، إذ لم يعرفوا النقود، بل كانت الثيران وحدة قياسية للتبادل*[1]. ويستخدمون وسائل الحديد أو البرونز أو الذهب كبضاعة، والثروة عندهم تقاس

---

[1] - انظر : هوميروس ، الإلياذة ٦ ، ٢٣٦ .

بقطعان الماشية وعدد رؤوسها، وحياهم بدائية لم يعرفوا طرق دفن الموتى إلا بحرق الجثث من موتاهم ويجهلون الكتابة ، والقرصنة عندهم تعتبر مهنة محترمة كما جاء في وصف *توكوديدس* لهم حيث يقول : (*ففي تلك الأيام الخوالي- حين أصبح الانتقال بالبحر أيسر- غدت القرصنة لذلك مهنة شائعة عند الهيلينيين والأجانب الذين يسكنون الساحل والجزر، وكان قادة القراصنة قوماً ذا بأس وسطوة امتهنوا القرصنة ليجنوا لأنفسهم المكاسب ويؤازروا الضعفاء من بني قومهم ، وكان هؤلاء القراصنة يهاجمون المدن التي ليس فيها أسوار تحميها والتي لا تزيد في الواقع على مستوطنات متناثرة، وبذلك يكسبون رزقهم بنهب مثل هذه الأماكن . وكانت هذه المهنة تُعد يومذاك مهنة شريفة، وليس فيها ما يضير صاحبها . وما زالت هذه النظرة شائعة حتى يومنا هذا، ويأخذ بها بعض سكان البر الذين يعتبرون القرصنة سبباً للفخر والاعتزاز، كذلك نطالع عند الشعراء القدامى السؤال المعتاد الذي يطرح على القادمين بطريق البحر : هل أنتم من القراصنة ؟ ولم يكن يخطر ببال أحد أن في هذا السؤال إحراجاً لمن يُسأل ، فيتفادى الإقرار بحقيقة أمره ، أو أن السائلين يقصدون التأنيب بسؤالهم*)[1].

والمجتمع عند الأخائيين قائم على أساس السلطة الأبوية المطلقة، ويحق لرب الأسرة أن يتصرف بأولاده وأسرته كما يشاء، ونظام الحكم قائم على سيطرة القبيلة، ويقصد بها مجموعة من الأفراد ينتسبون إلى جد واحد ويخضعون لرئيس مشترك.

إذن، كانت *الطليعة الأولى* من الوافدين الجدد تتألف من قبائل (*الأخائيين*) الذين سكنوا في بادئ الأمر جنوب تسالية قبل أن ينتقلوا إلى شبه جزيرة البلوبونيز ويستولوا على كريت ويستعمروا قسماً من جزر بحر إيجة. وفي شبه جزيرة

---

[1] - انظر: توكوديدس ، الكتاب الأول، ص ٢١ ــ ٢٢ ثم هوميروس، الأوديسة ٩، ٢٥٢ - ٢٥٥ .

البلوبونيز أسسوا (ميكيناي) و (ميدية) و (بيلوس) و (أورخومينوس) بإقليم بيوتية. وشرعوا في بناء حضارة بدأت في الازدهار منذ عام ١٥٥٠ حتى عام ١١٥٠ ق.م، وهو ما يُعرف (بالعصر الهلادي الحديث) أو (العصر الميكيني). وقد انعقد لواء الزعامة لمدينة (ميكيناي) التي تقع في سهل أرجوليس في البلوبونيز، إذ استطاعت هذه المدينة أن تبني قوة سياسية واقتصادية وتفرض سيطرتها على جانب كبير من البحر الإيجي، وقامت بالتعاون مع المدن الأخية الأخرى بالحملة الشهيرة على طروادة نحو عام ١٢٠٠ ق.م أو بعده بقليل.

ثم بعد ذلك تسربت تدريجياً قبائل (الأيوليين) و (الأيونيين) وقد اختلطت هذه القبائل جميعها بسكان البلاد الأصليين وفرضت عليهم سيادتها ولغتها بعد أن اقتبست عنهم بعض مظاهر الحضارة. ويفسر هيرودوت الأصول الأولى للأيونيين ويؤكد على عدم نقاء دمهم الإغريقي بقوله: (هو من السخف الإدعاء بأن الأيونيين أكثر عدداً وأنقى دماً من سواهم عموماً. ذلك أن قسماً كبيراً من هؤلاء من الأبانتيين الذين جاؤوا من إيبويا. وما هم من الأيونيين بأي حال. فضلاً عن خليط من الميناي الذين قدموا من أورخومينوس والكادميين والداريوب والفوس القادمين من مختلف مدن منطقة الفوسيس والمودوش والبلاسج الأركاديين والدوريين من الأبيداوروس والكثيرين سواهم. بل إن أولئك الذين قدموا من مبنى المجلس في أثينة ويظنون أنهم يحملون أصفى الدماء الأيونية لم يصطحبوا النساء معهم حين حلوا في البلاد. وإنما اتخذوا زوجات من بنات الكاريين الذين قتلوهم. وبما أن تلك النساء قد قسرن على الزواج من قاتلي آبائهن وأزواجهن وأبنائهن لذلك تعاهدن على ألا يجلسن إلى الطعام مع أزواجهن، وألا يخاطبن الزوج باسمه ونقلنها إلى بناتهن وحفيداتهن وكان ذلك في ملطية)[1]. وهذا مما يعزز بعض الفرضيات الحديثة القائلة بأصول الإغريق

[1] - انظر: هيرودوت، الكتاب الأول، ص ١٠٠.

الأسيوية ، ولا تمت بأي صلة إلى الشمال أو نهر الدانوب . أما الموجة الأخيرة في أواخر القرن الثاني عشر فإنها كانت أشد عنفاً من الموجات السابقة . وقد جاءت بقبائل (*الدوريين*) الذين كانوا لا يزالون في دور الهمجية ، فخربوا كل شيء في طريقهم، ولم يتركوا أثراً لمظاهر الحضارة القليلة التي نشأت في العهد الميكيني، ولمواجهة هذه الموجة اضطر (*الأخانيون*) و (*الأيوليون*) و (*الأيونيون*) إلى تغيير مراكزهم والهجرة إلى جزر بحر إيجة وشواطىء آسية الصغرى، ثم إلى مختلف الأنحاء في حوض البحر الأبيض المتوسط .

إن هذه القبائل تختلف في لهجاتها وفي الكثير من عاداتها ، ولكنها قريبة بعضها من بعض ، وهي ترجع كلها إلى أصل واحد ، وتجمع بينها عادات وعقائد متشابهة ولغة واحدة [1] . وقد أدركت جميعها هذه الروابط بعد احتكاكها بالشعوب الأخرى الغريبة عنها في اللغة والعرق والعادات والعقائد ، فعرفت أنها أمة واحدة واتخذت لنفسها اسم (*الهيلينيين*)، بينما أطلق على الأقوام الأخرى كافة اسم (**برابرة**) أي أعاجم لا يتكلمون اللغة الإغريقية. ويتجلى هذا الشعور بالوحدة القومية في أسطورة (*دوقاليون*) (*DEUCALION*) وخلاصة الأسطورة أن زيوس (*ZEUS*) كبير الآلهة غضب من برميثيوس (*PROMETHEUS*) ومعناها (*المتبصر أو المتروي*) ، وكان صانعاً ماهراً شديد المكر واسع الحيلة .. وقد خدع زيوس نفسه عند توزيع الذبائح المشوية التي كانت تقدم كقربان للآلهة ، فكان يموه عليه ويعطيه الشحم منها دون اللحم، فأخفى زيوس النار عن الإنسان، ولكن (*بروميثيوس*)

---

[1] – لقد ظلت الإغريقية مدة طويلة (حتى عام ٣٠٠ ق.م) لغة متعددة اللهجات .. لكن الاختلافات في جوهرها كانت تقتصر على النطق والهجاء ، وليست في الألفاظ أو النحو أو الأعراب ، ولا جدال في أن هذه الاختلافات كانت كبيرة، ولكنها لم تكن إلى الحد الذي يجعل فهمها مستعصياً على الإغريقي أيا كانت لهجته .

سرق النار وأعادها إلى الأرض لينتفع بها البشر، وثار غضب كبير الآلهة، فقيده بسلاسل عند جبل القوقاز وأطلق عليه نسراً ينهش من كبده الذي كان يتجدد كل يوم لأنه كان خالداً كسائر جسده ، فكان ينمو منه بالنهار ما ينهشه النسر بالليل، وأخيراً أنقذه هيراكليس (HERACLES) من هذا العذاب .. ويُعد برميثيوس أول معلم للناس ، وأول نصير للبشرية ، وصديق الإنسان وحليفه ضد طغيان زيوس . كذلك نقم الإله على البشر فأرسل إليهم الطوفان الذي قضى عليهم جميعاً عدا (دوقاليون) ابن برميثيوس فقد نجا مع زوجته (بيرها) (PYRHA) في سفينة رست بهم على جبل (بارناسوس) (PARNASSUS) الشاهق (٨٢٠٠ قدم)، في آسية الصغرى، وكان هذا الجبل مركزاً لربات الفنون التسع . ولما انحسرت المياه قام (دوقاليون) بإتمام رسالة والده في إعمار الأرض .

والإغريق ينتسبون إلى (هيللين) (HELLEN) ابن (دوقاليون) ثم كان لهيللين ولدان هما (دوروس) و (أئولوس) وحفيدان هما (أيون) و (أخيتوس) . ومن هؤلاء تنحدر القبائل الإغريقية الأربع وهي (الأخائيون) و (الأيونيون) و (الأيوليون) و (الدوريون) .

وقد اعتاد المؤرخون القدماء عند تعليل وحدة العرق واللغة عند الأمم ، أن ينسبوا كل شعب وجميع القبائل التي يتألف منها إلى حد معين وإلى أولاده وأحفاده، فكانوا يقبلون الأساطير المتعلقة بذلك كأنها حقائق تاريخية ، ونحن إنما نهتم بهذه الأساطير لما لها من قيمة أدبية أولاً، ثم لما تتضمنه من عقائد وتصورات كانت سائدة في المجتمعات البشرية يمكن أن تساعدنا على معرفة بعض الحوادث التاريخية .

رابعاً : الغزو الدوري :

كانت الموجة الرابعة والأخيرة من القبائل الهندو - أوروبية ، تُعرف (بالغزو الدوري) الذي وفد من مقدونية وإيليريه، ودخل شبه جزيرة البلوبونيز عند نهاية

عصر البرونز ١١٥٠ ق.م وبداية عصر الحديد ١١٠٠ق.م ، ويحدثنا المؤرخ الأثيني الكبير **توكوديدس** (***أنه في السنة الثمانين من بعد الحرب الطروادية غزا الدوريون بقيادة أبناء هيراكليس منطقة البلوبونيز***) [1] . واستناداً إلى كلام توكوديدس يمكن تحديد هذه الفترة في العام ١١٠٤ ق.م ، فيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الحرب الطروادية التي انتهت في العام ١١٨٤ ق.م ، وبعض الكتّاب الحديثين يؤخر هذا التاريخ مدة عشرين أو ثلاثين سنة . وتُعرف هذه الحادثة في الأساطير الإغريقية باسم (***عودة أبناء هيراكليس***) الذين جاؤوا إلى بلاد الإغريق لاسترداد إرثهم القديم في ميكيناي، وهي تتفق وفترة الانتقال بين عصر البرونز وعصر الحديد .

وتقول الأسطورة ، أنه كان لأحد أشراف طيبة الذي يدعى أمفيتريون (***AMPHITYON***) زوجة في غاية الجمال والجاذبية اسمها الكمين (***ALCMENE***) ولدت ذكراً - بينما كان زوجها في الحرب- قيل أن والده الحقيقي هو الإله (***زيوس***)، وقد أثار ذلك غيرة الإلهة (***هيرا***) التي لم تكن لتروق مثل هذه الزلات من زوجها الإله، فأرسلت حيّتين لقتل الصبي في مهده، ولكنه قبض على رأس كل واحدة منهما بإحدى يديه وخنقهما، فأطلق عليه اسم هيراكليس (***HERAKLES***) لأنه اكتسب المجد عن طريق الإلهة (***هيرا***) [2] .

---

1 - انظر : توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٢٧ .

2 - ينسب الإغريق (هيراكليس) إلى زيوس الذي أنجبه من امرأة آدمية (من البشر) وهي الكمينى زوجة ملك طيبة (***أمفيتريون***) التي كانت حفيدة لبرسيوس ملك أرجوس وفي هذه الحالة يكون برسيوس جد هيراكليس، وبرسيوس كان بدوره سليلاً لداناؤس المصري الذي جاء غازياً من مصر (كما ذكرنا سابقاً) وأصبح ملكاً على أرجوس . ومن هنا نشأ ارتباط (هيراكليس) بمدينة طيبة وقيامه في إقليمها (بويوتية) بعدد من أعماله الخارقة . وقد زعمت طيبة تبعاً لذلك أنه أحد أبنائها . وأصبح بعد موته بعيد كبطل، وأحياناً كإله . ويتناقل اسم (هيراكليس) في عصرنا الحاضر تحت اسم (هرقل) .

ولما شب (**هيراكليس**) وأصبح عملاقاً جباراً قام بأعمال بطولية خارقة في (**تيرنس**) الذي خدم ملكها مدة اثني عشر عاماً، وقام بالأعمال التي طلبها منه الملك مثل : قتل الأسد، والقضاء على الأفعى ذات تسعة الرؤوس، ووضع صخرتين متقابلتين عند مدخل البحر الأبيض المتوسط عُرفتا بعد ذلك (**بعمودي هرقل**) . وعندما عاد إلى طيبة قام بكثير من الأعمال العظيمة، فساعد الآلهة على الحرب ضد العمالقة[1]، وحرر (**بروميثيوس**) من سلاسل زيوس، واشترك في الهجوم على طروادة وخربها قبل مدة من حادثة حصارها وتخريبها [2] .

وكون الكمبي والدة هيراكليس وأبوه زيوس ليس من البشر وبنفس الوقت كونها هي حفيدة برسيوس الذي يرجع بأصله ونسبه إلى داناؤس المصري. **يزعم هيرودوت، أن الإغريق هم الذين خلعوا هذا الاسم (هيراكليس) نقلاً عن المصريين، وليس العكس. وهذا قول يمكن البرهان عليه في أن والدي هيراكليس : أمفيتريون والكمبي أصلهما مصري.** انظر : **هيرودوت** ، الكتاب الثاني ، ص ١٥٣ . وفي مكان آخر يقول **هيرودوت** أن ما يبرر قوله (**أنه منذ عهد برسيوس، وليس أبعد من ذلك ، أنه ليس لدى برسيوس أب من البشر ينسب إليه (أبوه زيوس)** . **ومن جهة أخرى ، إذا أردنا تتبع سلسلة نسب (دانالي) ابنة اكريسيوس ووالدة (برسيوس)، فلسوف نجد أن الزعماء الدوريين هم من المصريين الأقحاح، وهذه هي الرواية التي يجمع عليها الإغريق بشأن سلسلة نسب العائلة المالكة في إسبارطة، وتتفق مع الرواية الفارسية التي تؤكد على أن هؤلاء مصريون)**. انظر: **هيرودوت** ، الكتاب السادس، ص ٤٤٨.

1 – العمالقة (**GIGANTES**) وهم مخلوقات متوحشة اصطرعوا هم الآخرون مع زيوس وآلهة أوليمبوس صراعاً دامياً بالصخور وجذوع الأشجار، وكانوا يلقون حتفهم ويدفنون تحت رماد البراكين المنتشرة في بلاد الإغريق وإيطالية .

2 – تتلخص أعمال (**هيراكليس**) الاثنا عشرة كما يلي : **العمل الأول** قتل أسد في نيميا، **والثاني** قتل أفعى ذات تسعة رؤوس تدعى (هيدرا) في ليرنا، **والثالث** القبض على وعل بقرنيه الذهبيين في غابات سيرنسيا وإحضاره حياً، **والرابع** أسر خنزير بري ضخم في جبل أريمانتوس، **والخامس** تنظيف زريبة أوجياس من مخلفات آلاف القطعان في يوم واحد بعد أن كان هذا العمل يستغرق عدة سنوات، **والسادس** إبادة الطيور الستيفالية المصابة بالطاعون، **والسابع** إحضار الثور المتوحش الجميل الذي أهداه بوسيدون لمينوس، **والثامن** الحصول على الخيول السريعة من الملك التراقي ديوميدس، **والتاسع** الحصول على حزام هيبوليتا ملكة الأمازونيات، **والعاشر** استعادة قطيع جيريون الذي كان وحشاً بثلاثة أجساد

وبعد أن مات (*هيراكليس*) صار يُعبد كبطل ، وبما أنه اشتهر بعلاقاته مع عدد كبير من النساء ، فقد أخذت قبائل كثيرة تنتسب إليه .

وقد طرد ملك (*تساليا*) أولاد (*هيراكليس*) من مقاطعته خوفاً من نقمتهم عليه لمواقفه من والدهم، فالتجؤوا إلى أثينة التي هاجمهم ملكها ولكنهم هزموا جيشه وقتلوه، ولما سار ملك الأخائيين الذين كانوا يحتلون البلوبونيز في ذلك الوقت إلى ممر إشموس (*ممر كورنثة*) لصد الغزاة، أعلن (*هيللوس*) وهو أحد أولاد (*هيراكليس*) أنه ليس من الضروري أن يجازف الجيشان بأرواح جنودهم في قتال شامل، واقترح أن يكفي أن يختار جيش البلوبونيز أحد أبطاله ليلاقيه في معركة فردية وفق شروط يتفق عليها ، فقبل البلوبونيزيون العرض ، وتعهدوا ، إذا ما فاز (*هيللوس*) أن يسمحوا لأسرة (*الهيراكليين*) أن تحتفظ بحقوقها المعتادة منذ قديم الزمن في (*ميكيناي*)، أما إذا انهزم فيتوجب عليهم الانسحاب بجيشهم، وألا يعودوا للاعتداء على البلوبونيز طوال مائة عام . وكان الرجل الذي وقع عليه الاختيار ليمثل جيوش البلوبونيز هو (*إخيموس بن ايروبوس بن فيجيوس*) ، وكان قد تطوع بدوره للقيام بهذه المهمة، فاشتبك مع (*هيللوس*) وقتله . وقد سار أتباع (*هيللوس*) إلى المنفى، ولما انقضت مدة المائة سنة جاء أحفاد (*هيراكليس*) يطالبون بحقهم واضطروا إلى استخدام العنف تجاه الذين أرادوا منعهم من الرجوع إلى شبه جزيرة البلوبونيز [1] .

ليس من المستبعد أن يكون لهذه الأسطورة (*قصة الهيراكليين*) نصيب من الصحة، فيما إذا أخذنا بعين الاعتبار قول *توكوديدس* سابقاً (*غزا الدوريون بقيادة*

يعيش في إربثيا، وفي طريقه وكذكرى لرحلته أقام صخرتين ضخمتين سميتا (**عمودي هرقل**) عند مضيق جبل طارق الآن، **والحادي عشر** جلب التفاحات الذهبية للهسبريدات، **والثاني عشر** تحرير (ثيسيوس) من سلاسل زيوس وإحضار سربيروس الكلب ذي الرؤوس الثلاثة . وحول أعمال (هيراكليس) الخارقة، انظر: **أديث هاملتون**، الميثولوجيا، ترجمة حنا عبود ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٩٠ ، ص ٢٤٧ — ٢٦٨ .

[1] - انظر : هيرودوت ، الكتاب التاسع ، ص ٦٥٤ .

أبناء هيراكليس منطقة البلوبونيز) ، هذا القول يعطي انطباعاً، أنه من الممكن أن يكون أولاد (*هيراكليس*) قد التجؤوا إلى قبائل الدوريين في شمالي (تسالية) ثم حرضوهم على مهاجمة (الأخائيين) في (ميكيناي) ، وتولوا بأنفسهم قيادة المحاربين وإرشادهم إلى المراكز التي تسيطر على البلاد . إذ تشير المراجع الحديثة ، إلى أن (هيراكليس) في أغلب الظن إنساناً لا إلها ، بدليل أنه يحمل اسماً من أسماء البشر ، ويرجح أنه كان شخصية حقيقية لا خيالية، وأنه كان أحد أبناء شعب (أرجوليس) الذي كانت (هيرا) ربتهم الرئيسية. وهذا الرأي يتسق تماماً مع الرواية الراسخة التي تقول ، أن (هيراكليس) كان من (أرجوليس) وربما من مدينة (تيرنس) على وجه التحديد . *وينتسب ـ على ما يبدو ـ إلى الفرع الأصغر من عائلة برسيوس المالكة* . وفيما إذا كان (هيراكليس) الحقيقي أميراً على مدينة (تيرنس) ، فلعل ملك (أرجوس) أو (ميكيناي القريبة) كان سيداً عليه، وطلب منه القيام ببعض الأعمال الخارقة [1]، التي اشتهرت في الأدب والفن باسم (*أعمال هيراكليس الاثنا عشرة*) (*PRAXEIS*) فضلاً عن قيامه بأعمال جانبية أخرى متنوعة (*PARERGA*) . وكانت هذه الأعمال هي النواة الأولى التي بنيت عليه شهرته الواسعة كبطل قوي ذي قوى خارقة ، وشجاع فائق الشجاعة .

وبكل الأحوال، فإن سير الحوادث يشير إلى أن الغارة لم تقتصر على انتقال قبائل بدائية ضاقت بها أرضها إلى أمكنة جديدة صالحة تستقر بها، بل كانت تستهدف قبل كل شيء القضاء على (الأخائيين) ، ومهما كانت أسباب الغارة وبواعثها فقد كانت لها نتائج خطيرة جداً في تاريخ الإغريق ، ولذلك يجب التعرض إلى هذا الموضوع .

---

1 – انظر : عبد اللطيف أحمد علي . ص ٧٢ .

يجدر بنا الإشارة إلى بعض الظروف التي توفرت وساعدت (*الدوريين*) على مهاجمة (*الأخائيين*) في (*ميكيناي*) ومن أهمها : أن انتصار الأخائيين في طروادة بعد عشر سنوات ، كان ضربة قاضية لهم . إذ أهلكت هذه الحرب قواهم وأضعفت شوكتهم ، وهذا ما يتفق مع وصف *توكوديدس* لأحوالهم بعد الانتصار في طروادة قائلا : (*كانت بلاد هلاس — حتى بعد ما وضعت حرب طروادة أوزارها — في حالة من القلق والهياج ، وهذا ما دفع الأقوام إلى تغيير أماكن استيطانها بشكل دائم ، وهكذا لم يكن أمامها أية فرصة للنمو في سلام ، كذلك كان قد انقضى زمن طويل قبل أن يعود الجيش من طروادة ، وهذه بدأت أدت إلى تغييرات كثيرة ، وعم الصراع بين الأحزاب في المدن كلها تقريباً ، وأسس أولئك المنفيون مدناً جديدة*)[1] . وتذكر لنا (*الأوديسة*)، المصاعب والأهوال والمخاطر التي لاقاها هؤلاء الأخائيون حين عودهم إلى أوطانهم ، وتذكر لنا كيف غرقت سفن كثيرة كانت تحمل الظافرين إلى أوطانهم ، وكيف مات منهم الكثيرون ، فاختلت لذلك إدارة الحكومة ، وأخذت دولة الأخائيين في الانهيار . وهذه عوامل ترمز إلى حالة الاضطراب والفوضى التي صارت إليها دولة الأخائيين بعد حرب طروادة ، إضافة إلى ذلك أن (*الدوريين*) كانوا يستعملون أسلحة حديدية في حين أن الأخائيين كانوا يستعملون أسلحة برونزية، حتى دعت مثل هذه المتغيرات هيرودوت إلى القول (*أن كثيرين من الإغريق صاروا يعتقدون بأن اكتشاف الحديد كان نقمة على البشر*). ودخلت المنطقة في عصر من الظلام نسيت فيه منجزاتها الحضارية والثقافية والفنية، وخرجت السيطرة البحرية في بحر إيجة من يد الإغريق إلى يد الفينيقيين، وتخلخلت الأنظمة الحاكمة القديمة ،وأصبح النظام السائد في المجتمع

---

[1] - انظر : توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٢٧ .

اليوناني على أساس من التجمعات السكانية القبلية أو القروية ، وقد امتدت هذه الفترة من *عهود الظلام من ١٠٠٠ إلى ٨٠٠ ق.م* .

كان هؤلاء (*الدوريون*) ، طوال القامات ، ذوي جماجم مستديرة ، محاربين أشداء ، لأنهم ما زالوا في طور البداوة يعيشون من الصيد ورعي الحيوانات ، وقلما يشتغلون بالزراعة ، وقد خربوا المدن ، وحرقوا القصور ، وقضوا على كل آثار الحضارة الميكينية في شبه جزيرة البلوبونيز ، وقتلوا كل من وقع في أيديهم من الأخائيين ، وفرضوا العبودية على بقية السكان . وقد اضطر (*الأخائيون*) الذين استطاعوا الإفلات منهم إلى الهجرة فانتقل أكثرهم إلى جزر بحر إيجة وشواطىء آسية الصغرى ، والتجأ قسم منهم إلى مقاطعة أتيكة ، وحاول الدوريون أن يتعقبوا هؤلاء ولكنهم صدوا عنها ، فاتجهوا إلى حيث توسع انتشارهم إلى (*كريت*) وهدموا ما بقي من مدنها وقصورها ، ثم استولوا على جزر ميلوس وكوس وكنيدوس وكرباثوس ورودوس ، وبلغت هجرتهم أخيراً جنوب ساحل آسية الصغرى الذي عُرف باسم دوريس (*DORIS*) ومعنى هذا ، أن (*الدوريين*) انتشروا من بلاد الإغريق الأصلية عبر البحر الإيجي إلى نقطة تواجه نقطة بداية هجراتهم ، وكان الأيوليون والأيونيون قد فعلوا نفس الشيء .

كانت غارة *الدوريين* أعظم كارثة حلت ببلاد الإغريق، وهي التي قضت على كل آثار الحضارة الإيجية في شبه الجزيرة الإغريقية وفي الجزر التي بلغها *الدوريون* . وقد انتشرت الفوضى في كل البلاد وتأخر تطورها عدة عصور، فاختل الأمن وتوقفت أعمال الزراعة والتجارة البرية والبحرية، واشتعلت نيران الحروب ، وعم الفقر والبؤس في كل مكان .

وعلى الرغم من ذلك ، وإن صحب *الغزو الدوري* انقلاب في أحوال البلاد السياسية والإطاحة بمراكز الحضارة الميكينية ، لم يحدث توقف فجائي في التطور

الحضاري ، فظلت الحياة في جوهرها على ما كانت عليه، وإن أصبحت أكثر بساطة وأقل مستوى من ذي قبل. إضافة إلى ذلك ترتب عن *نتائج الغزو الدوري اتساع بلاد اليونان اتساعاً عظيماً* ، إذ اضطر قسم كبير من السكان إلى الهجرة أفواجاً فسكن البعض في جزر بحر إيجة ، وأسس آخرون مستعمرات دائمة على شواطئ آسية الصغرى ، وامتدت الهجرة بعد ذلك إلى إيطالية وصقلية وإفريقية الشمالية وإلى شواطئ البحر الأسود حتى أصبحت المستعمرات الإغريقية أوسع بكثير من شبه جزيرة الإغريق نفسها. ويصف *توكوديدس* نتيجة هذا الاتساع بقوله : *(لقد مرت سنوات عديدة، واجهت خلالها بلاد هللاس مصاعب كثيرة ، قبل أن تتمتع بأي قدر من السلام أو الاستقرار ، وتحظى بانتهاء عهد ارتحال الأقوام ، ثم جاءت بعدئذ فترة إقامة المستعمرات ، فاستعمر الأثينيون أيونية ومعظم الجزر، وقام البلوبونيز بتأسيس المستعمرات في إيطالية وصقلية ، وبعض الأجزاء الأخرى من بلاد هللاس ، وهذه المستوطنات جميعها قامت بعد حرب طروادة)* [1] .

كانت أهم مراكز دول المدن التي سيطر عليها (*الدوريون*) تقع في شبه جزيرة البلوبونيز التي تُعرف الآن باسم *شبه جزيرة المورة* . وأهم هذه المدن *كورنثة وسيكيون وأقاليم آخيا وإيليس وأرجوليس ومسينية* وكانت *لاكونيا* التي كانت أشهر هذه الأقاليم بما أجادت عليها الطبيعة بذلك السهل الخصيب في وادي نهر *يوروتاس* (*EUROTAS*) الجميل ، إذ تميز هذا السهل بإنتاج وفير من المحاصيل الزراعية يكفي لاستيعاب عدد كبير من السكان . ومن ناحية أخرى يعد إقليم *لاكونيا* الدوري وعاصمته (*إسبرطة*)، أكثر أقاليم بلاد الإغريق انعزالاً ، حيث أشاع *الدوريون* روحاً خاصة في كثير من أنحاء بلاد اليونان وعلى الأخص في

---

[1] – انظر : نفس المصدر السابق .

(إسبرطة) فقد ظلوا دوماً يتمسكون بالنظام العسكري الصارم والعنجهية الأرستقراطية ، ويفضلون المفاهيم البسيطة الثابتة على النواحي الفكرية واللغوية والفنية .

ووسط الجمود الحضاري الذي خيم على بلاد الإغريق وجزر بحر إيجة عقب *الغزو الدوري* ، انبثق فجر نهضة عمرانية جديدة ساهم فيها *الدوريون* بشكل متميز، وإن كانت طريقة حياتهم صورة باهتة عن صور الحضارة الميكينية ، فالحفائر الأثرية أثبتت عن اكتشاف معدن الحديد الذي أحضره *الدوريون* معهم إبان غزوهم، إذ ساعد هذا المعدن على تسهيل عملية قطع الحجر من محاجره ونحته وتزيينه . ولما كان *الدوريون* من الأقوام البدائية ذات الأذواق البسيطة والبعيدة عن ترف الحضارات القديمة ، فقد اعتنقوا نموذجاً واحداً في فن البناء واتخذوه أساساً في كل ما ابتكروا ودأبوا على تحسينه وتجميله ، وهذا النموذج هو *الرواق المحمول على الأعمدة* والذي يتلاءم وطبيعة بلاد الإغريق المشمسة طوال فترة طويلة من السنة . ومن هنا وجد *(النظام الدوري)* الذي يعتمد في التعبير على القوة والصلابة . *ويتألف هذا النظام من الأعمدة الدورية وتيجانها* . ولعل أهم ما يميز *العمود الدوري* أنه يستند إلى أرض المعبد مباشرة دون قاعدة ، وأن شكله مخروطي وينتهي برأس مربع لا زخرف فيه . ويُعد مثل هذا الطراز من أقدم الطرز التي ظهرت في المعابد الإغريقية ، وتفاصيل هذا الطراز وأصول نشأته ابتكار إغريقي محلي صرف يعتمد على هندسة معمارية مادتها الخشب لا الحجارة .

ومن أشهر وأقدم المعابد *(الدورية)* معبد *(أبوللون)* في مدينة كورنثة *(على الخليج المعروف باسمها جنوب بلاد اليونان)* ومعبد *(هيرا)* في أولمبية في مقاطعة *(إيليس)* (على الطرف الغربي للبلوبونيز) . وفي هذه المقاطعة كان يقوم المعبد الرئيسي للإله (زيوس) وتمثال هذا الإله الرائع الذي صنعه النحات الأثيني الشهير

فيدياس (HEIDIAS) وطعّمه بالذهب والعاج . ولا شك أن معبد زيوس كان أهم المعابد المنتشرة في مدينة أولمبية التي كانت تعتبر مركزاً رياضياً وروحياً كبيراً يقصده الإغريق من جميع مناطق سكناهم للتبرّك والعبادة .

خامساً ـــ تعريف الحضارة الهيللينية :

نشأت الحضارة الإغريقية وبعبارة أصح - الحضارة الهيللينية- قرب أواخر الألف الثاني ق.م وظلت قائمة حتى منتصف القرن الرابع ق.م . وظهرت أولاً في حوض البحر الإيجي وانتشرت من هناك إلى المناطق الواقعة حول سواحل البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط ، ثم امتدت عبر القارة شرقاً إلى آسية الوسطى والهند، وغرباً إلى سواحل شمال أفريقية وأوروبة المطلة على المحيط الأطلسي . ومن الخطأ أن نظن أن الحضارة الإغريقية هي بلاد الإغريق الأصلية وحدها ، لأن الأخيرة لم تكن إلا مركزاً واحداً من مراكزها العديدة المتناثرة في منطقة البحر المتوسط، حيث نقل الإغريق معهم إلى هذه المراكز المنتشرة ، عاداتهم وتقاليدهم وديانتهم الأصلية ، بحيث أصبحت هذه المراكز صورة طبق الأصل عن المدن الإغريقية الأم (كما سنرى لاحقاً) فعلى سبيل المثال، أن ساحل آسية الصغرى الغربي بما فيه من مراكز إغريقية كمستعمرتي ميليتوس وإفسوس ، تشكل مركزاً رئيسياً للحضارة الإغريقية مع أنه لا يقع في بلاد الإغريق بالمعنى المألوف ، بل يقع على ساحل تركية الحديثة .

ونحة ملاحظة جديرة بالانتباه، وهي أن اللغة الإغريقية والحضارة الهيللينية لم تتفقا دائماً سواء من حيث العصر الذي ازدهرتا فيه أو من حيث مدى انتشارهما . ونجد اليوم بعد مضي نحو ألف وثلاثمائة عام على اندثار الحضارة الهيللينية ، أن الإغريقية لا تزال حية، حيث دخلت هذه اللغة إلى البلقان نحو عام ١٩٠٠ق.م أو بعده يختلف الباحثون في تقدير مداه ، أي مع بداية عصر البرونز، ويتفق ذلك مع

دخول الآخيين إلى بلاد الإغريق لأول مرة . وأياً كان الأمر، فإن اللغة اليونانية كان لها تاريخ أطول من تاريخ الحضارة الهيللينية، إذ سبقت اللغة الإغريقية هذه الحضارة إلى الوجود، كما عمّرت بعدها زمناً طويلاً . وليس ذلك فحسب، أن الفترة التي تعاصرت فيها اللغة الإغريقية والحضارة الهيللينية لم تتطابق مناطق انتشار إحداهما ومناطق انتشار الأخرى ، فكانت هناك شعوب تتكلم الإغريقية دون أن تكون أعضاء في المجتمع الهيللييني، كالشعوب المتكلمة بالإغريقية في قبرص، وفي بعض السهول الساحلية على امتداد الشاطئ الجنوبي لآسية الصغرى ، لم تصطبغ تماماً بالصبغة الهيللينية حتى القرن الرابع ق.م ، وهناك شعوبٌ أخرى لا تتكلم الإغريقية، وإنما اصطبغت بالحضارة الهيللينية كالمسابيين ، والأبوليين ، والأتروسكيين في إيطاليا، والليديين في آسيا الصغرى . وفي الطرف الجنوبي من الساحل الغربي لآسية الصغرى كانت هناك شعوب أخرى لا تتكلم الإغريقية وهم الكاريون، والليكيسون الذين كانوا أعضاء قدامى في المجتمع الهيللييني. وكان الرومان من أعظم الشعوب التي جذبتها الحضارة الهيللينية إلى حظيرتها سواء أكانت شعوباً تتكلم الإغريقية أم لم تتكلمها ، ولكنهم لم يعتنقوا الهيللينية إلا في وقت متأخر .

هذه هي بعض الأسباب التي تبين خطأ تسمية الحضارة الهيللينية ، وأن نقرنها بالحضارة الإغريقية البحتة. والدليل على ذلك، اقتران الألعاب والمباريات الرياضية، اكتساب الصفة الدولية ، ضمن نطاق العالم الهيللييني فقط ، إذ أن قبول أي شخص للمشاركة في هذه الألعاب بمنزلة معيار لقبوله عضواً في المجتمع الهيللييني ومثال ذلك، أن الإسكندر الأول ملك مقدونية ، الذي خضع مكرهاً للإمبراطور الفارسي، والذي نقل معلومات قيّمة إلى القيادة العليا للجيوش الهيللينية المؤتلفة أثناء الغزو الفارسي لبلاد الإغريق عامي ٤٨٠ و ٤٧٩ ق.م ، قد كوفئ على خدماته بأن سُمح له بالاشتراك في مسابقات الألعاب الأولمبية، لا لأن لغة آبائه المقدونيين هي

اليونانية ، بل استناداً إلى نسب الأسرة المالكة المقدونية الذي جاء في الأساطير أنه ينحدر من أرجوس في شمال شرق البلوبونيز وكانت من أقدس مدن هلاس قاطبة(١٦) . وكان من نتائج هذه المكافأة ، بأن أخذت الأسرة المالكة في مقدونية تدعي بأنها إغريقية، وتقلّد الإغريق في اللغة والعادات والتقاليد ، وتعمل على نشر الثقافة اليونانية بواسطة الأساتذة والمدرسين الذين تستقدمهم من اليونان [1] .

وباختصار يمكن القول حول تعريف الحضارة الهيللينية ، إن جوهر الهيللينية ليس جغرافياً أو لغوياً ، بل هو اجتماعي وثقافي ، فكانت الهيللينية أسلوباً مميزاً من أساليب الحياة ، وكل إنسان استطاع أن يتأقلم مع الحياة على النسق الذي تجري داخل بلاد الإغريق كان يُعد هيللينياً بغض النظر عن نشأته وتربيته ، ومن أمثلة هؤلاء الإسكندر الأول ملك مقدونية ، وفلامينيوس القائد الروماني ، ويشوع الكاهن اليهودي الأكبر في القرن الثاني ق.م [2] . إلا أنه يجدر بنا الانتباه إلى أن معظم المؤرخين الحديثين يقحمون اسم الإسكندر الأول من ضمن من انضووا تحت لواء الهيللينية . ولكن *هيرودوت* يوضح لنا على العكس من ذلك ، ويؤكد أن أفراد أسرة الإسكندر الأول يتحدّرون من الإغريق ، ويؤكدون هم أنفسهم على ذلك وهذا ما سوف أظهره بوضوح وأبرهن عليه وأقول : (*لقد اعترف منظمو الألعاب الأولمبية بصحة نسب الإسكندر إليهم ، فحينما أراد الإسكندر المشاركة في المباريات وحاول منافسوه الإغريق استبعاده منها على أساس أن المشاركة تقتصر على الإغريق وحدهم دون سواهم . ولكن الإسكندر*

---

1 – انظر : محمد أسد الله صفا ، الإسكندر المقدوني الكبير، بيروت ١٩٨٥ م، ص ٢٨ .

2 – حول فرض الثقافة الهيللينية والنظم الإغريقية على (أورشليم) فترة حكم البطالمة ثم السلوقيين، انظر: ول ديورانت، قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد الثاني (حياة اليونان) ، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ٥١ ــ ٥٩ .

الأول أثبت انتسابه للأرجوس ، وبذلك تم القبول به باعتباره من الإغريق ، وسُمح له بالاشتراك بسباق الجري فكان الأول) [1] .

---

[1] - انظر : هيرودوت ، الكتاب الخامس ، ص ٣٨٠ . وفي مكان آخر يذكر هيرودوت أن الإسكندر بن أمينتاس كان سفيراً بين القائد الفارسي ماردونيوس والقادة الإغريق أثناء الحرب الفارسية ـ الإغريقية وكان اختيار ماردونيوس للإسكندر وهو مقدوني يعود إلى سببين : الأول صلته بالبيت الفارسي بطريق المصاهرة ـ إذ كانت أخته (جيجايا) زوج (بوباريس) الفارسي وأنجبت منه ولداً سُمي (أمينتاس الثاني) تيمناً بجده لأمه . وكان مقيماً في آسية ، حيث ولاه الملك مدينة (آلاباندا) الفرجية المهمة . والثاني لعلمه أن للرجل علاقة رسمية وودية بأثينا لأنه كان يدعي بنسبه للعائلة الإغريقية، ويقلد الإغريق في اللغة والعادات والتقاليد ويعمل على نشر الثقافة الإغريقية بواسطة الأساتذة والمدرسين الذين يستقدمهم من بلاد الإغريق . لأن هؤلاء الإغريق كانوا ينظرون إلى المقدونيين نظرة فيها شيء من الذل والاحتقار ويشيرون إليهم باسم (برابسرة الشمال) . إلا أن هيرودوت وحسب تسلسل الأنساب يعيد نسب المقدونيين إلى الإغريق ويؤكد على ذلك بقوله (كان الإسكندر هذا من الجيل السابع من أحفاد (بردیكاس) الذي فاز بالسيادة بين المقدونيين على نحو ما أنا مفصل هنا : كانوا ثلاثة أخوة وهم : جاونيس ، أيروبوس ، بردیكاس ، منحدرين من (تيمينوس) [وهي إحدى المستوطنات الأيولية الإغريقية في آسية الصغرى كما وردت عند هيرودوت في الكتاب الأول ، ص ١٠١] ، طردوا من (أرجوس) فلجؤوا إلى إيلليرية، ثم انتقلوا بعدئذ إلى مقدونية، ونزلوا في بلدة (ليبايا) وهناك عملوا في خدمة الملك . ثم مضوا إلى بقعة أخرى في مقدونية واستقروا بالقرب من مكان يدعى (حدائق ميداس) ويقيم فوق هذه الحدائق جبل (بيرميوم)، وقمته صقيع لا يقوى إنسان على ارتقائها . ولذلك اتخذ الأخوة الثلاثة من سفوحه منطلقاً لغزو المناطق المجاورة، حتى استولوا على بقية أرجاء مقدونية . ومن بردیكاس صاحب هذه القصة ينحدر الإسكندر بن أمينتاس بن ألكيتاس بن أيروبوس بن فيليب بن أرجايوس بن بردیكاس، وهو أول من تولى ملكاً) . انظر : هيرودوت ، الكتاب الثامن ، ص ٦٣٧ ـ ٦٣٨ .

الفصل الثامن

الديانة الإغريقية

تمهيد :

لا يقتصر التاريخ على دراسة الأحداث المادية والأنظمة ، *فهدف دراسته الحقيقي هو النفس البشرية* ، وعليه أن يتطلّع إلى معرفة ما كانت تؤمن به هذه النفس وتفكر فيه وتشعر به في مختلف عصور حياة الجنس البشري .

من هذا المنطلق ينبغي علينا، أن نبين الأسس والمبادئ التي قام عليها المجتمع الإغريقي في العصور الأولى لنشأته ، وعن تصوراته عن الحياة ، وعن الموت ، وعن الحياة الأخرى، وعن الجوهر الإلهي. فإننا نلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذه الآراء أو التصورات الدينية، وبين القواعد القديمة للمجتمع الإغريقي وقانونه الخاص الذي ينظم حياته وعاداته، بين الشعائر المشتقة من هذه العقائد، وبين الأنظمة السياسية القائمة .

ومن خلال مقارنتنا بين هذه العقائد الدينية القديمة ، وبين القوانين والأنظمة السياسية السائدة في تلك الفترة ، *نرى أن الديانة كانت القاعدة والركيزة الأساسية لأي تنظيم اجتماعي وسياسي*. فالديانة هي التي كونت الأسرة، وأقامت الزواج ، وأباحت السلطة الأبوية ، وحددت درجات القرابة ، وقدّست حق الملكية وحق الإرث. وأن هذه الديانة هي نفسها التي وسّعت الأسرة وكوّنت جماعة أكبر منها هي المدينة التي وقعت تحت سيطرة الديانة أيضاً ، وقد تلقت المدينة بعد أن تكونت ، مبادئها وقواعدها وعاداتها ومناصب الدولة فيها وفقاً لأحكام الديانة .

وباختصار يمكن القول، *إن الديانة تدخلت في كل فروع الحياة الاجتماعية والسياسية والخاصة والعامة ، من أعلى سلطة سياسية كالملك، والجمعية العامة ، ومجلس الشيوخ ، والجيش ، حتى الفروع الصغرى في الأسرة الاجتماعية الصغيرة كالزواج ، والطلاق ، والتبني والتحرير ، وحق الملكية والإرث ، وفي الأخلاق العامة للأسرة* .

لكن مثل هذه العقائد القديمة التي كوّنت الأسرة والمجتمع والدولة لم تبقَ على حالها، بل تبدلت مع الزمن أو زالت ، وتبدل معها القانون الخاص للمجتمع والأنظمة السياسية بفعل سلسلة الانقلابات والتحولات الاجتماعية ، وأخذت تتبع تحولات الإدراك العقلي والفكري بعيداً عن الديانة وعقائدها القديمة ، كما سنلاحظ في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب .

ومصادر معرفتنا بالديانة الإغريقية مختلفة ومتوافرة في أكثر نواحيها ، لأنها مصادر أدبية وفنية ونقوش أثرية ، ومجموعة النقوش التي انتهت إلينا عن عبادة الأفراد والجماعات والتي تكشف عن شعائر العبادات والأدعية ، ونظام العبادة ، هي مجموعة ضخمة وبازدياد مستمر ، إلا أن الأدب والفن الإغريقيين من بين هذه المصادر المختلفة ، تعيننا أكثر من غيرها على التعمق في إدراك الشعور الديني .

لذا يجدر بنا قبل كل شيء ، أن ندرس عقائد هذا المجتمع من خلال هذه المصادر . وأقدم هذه العقائد هي التي تهمنا معرفتها أكثر من سواها، لأن الأنظمة السياسية والعقائد الدينية التي نجدها في الحقبات الزاهرة من تاريخ الإغريق، ما هي إلا تطور للعقائد والأنظمة السالفة، ويجب البحث عن أصولها في الماضي السحيق .

ونتيجة هذه التطورات التي حدثت مع مر الزمن يتبين لنا ، أن هناك ديانتين أساسيتين في المجتمع الإغريقي *الأولى* : ديانة موضوعها *الأسلاف* ورمزها الأساسي *الموقد* وتوصف *(بديانة الأسرار أو الأسلاف)* وهي التي كوّنت الأسرة الأولى .

والثانية : ديانة قائمة على *آلهة الطبيعة المادية* ، وتوصف (*بديانة الطبيعة المادية*) وهي التي كانت شخصياتها الرئيسة زيوس ، وهيرا ، وأثينا ، وألخ . . أي ديانة مجمّع أوليمبوس . وربما كانت العناصر الأولى لهذه الديانة تضاهي عبادة الأسلاف في القدم . ولكن بما أنها كانت تقابل أفكاراً أعم وأسمى من سابقتها ، فقد كان لا بد لها من وقت أطول لكي تثبت في صورة مذهب واضح .

وكانت *الديانة الأولى* ، فردية أسرية *وسرية* فهي تنسع لكل فرد من أفراد الأسرة فقط سواء أكان حراً أو عبداً . أما *الثانية* ، كانت جماعية *علنية* ، فهي لم تكن تقبل إلا أعضاء المجتمع . *وكانت الأولى تبشر بتعاليم البعث والميلاد والخلود، أما الثانية فلم تكن تبشر بشيء ، بل كانت متخصصة بتكريم أعضاء المجتمع الخالدين الذين لا تدركهم الأبصار ، فكانت مذاهبهما الدينية مختلفة اختلافاً كلياً* .

وقد كانت هاتان الديانتان مستمرتين ، لكن لم تحارب إحداهما الأخرى ، بل عاشتا في شيء من حسن التفاهم وتقاسمتا السيطرة على الإنسان ، لكنهما لم تختلط إحداهما بالأخرى ، لقد كانت لهما دائماً تعاليم منفصلة كل الانفصال ، وفي الغالب متناقضة ، واحتفالات وشعائر مختلفة اختلافاً مطلقاً، فلم يكن هناك شيء ما فقط مشتركاً بين عبادة آلهة (*الأسرار أو الأسلاف*) وعبادة آلهة (*أوليمبوس*) .

أما أي هاتين الديانتين كانت الأولى في التاريخ ، فهو شيء لا نستطيع أن نقوله . بل لم نستطع أن نجزم أن إحداهما كانت سابقة على الأخرى . إنما المؤكد أن إحداهما وهي *ديانة الأسرار أو الأسلاف*، وبعد أن ثبتت في عصر بعيد جداً، بقيت راسخة على الدوام في شعائرها ، بينما كانت قواعد مذهبها تزول شيئاً فشيئاً . *أما الثانية ، وهي ديانة الطبيعة المادية* ، فقد كانت أكثر ميلاً للتقدم وتطورت تدريجياً وبحرية أكثر خلال العصور التالية، وأخذت مذاهبها تقوى شيئاً فشيئاً بلا انقطاع في سيطرتها على الإنسان .

وعلينا أن نبحث أولاً ، دراسة الديانة الأولى ، وهي ديانة الأسرار أو الأسلاف ، وثانياً : ديانة الطبيعة المادية .

أولاً : ديانة الأسرار أو الأسلاف :

١ ــ عقيدة الروح والموت :

كانت هناك مجموعة من الأفكار والعادات ترجع بكل تأكيد إلى عصر سحيق جداً، والتي ما زالت حتى الفترة الأخيرة من تاريخ الإغريق . ومن هذه الأفكار نستطيع أن نعلم ما هي الآراء التي كوّنها الإنسان في البدء عن طبيعة ذاته وعن روحه: عن سر الموت .

فالجنس الهندو ــ أوروبي الذي تُعد الشعوب الإغريقية أحد فروعه (*كما يقال*)، لم يفكر مطلقاً في أن كل شيء ينتهي بالنسبة للإنسان بعد هذه الحياة القصيرة . فكانوا يعتقدون ــ قبل أن يوجد الفلاسفة بزمن بعيد ــ بحياة أخرى بعد هذه الحياة ، ولم تواجه الموت بوصفه انحلالاً للكائن ، بل بوصفه تبديلاً يسيراً أو بسيطاً للحياة .

فالروح ــ في ــ رأيهم ــ أي في أقدم عقائد الإغريق ، *لم تكن لتذهب إلى عالم غريب منفصل عن هذا العالم لكي تمضي فيه وجودها الثاني ، بل كانت تبقى قريباً من الناس وتستمر تعيش تحت الأرض*، أي أن الروح تبقى مرتبطة بالجسم في ذلك الوجود الثاني ، فلا يفصلها الموت عنه . وترينا شعائر الدفن مثل هذه العقائد بوضوح من خلال وصف الشاعر الروماني *فرجيليوس* لإحدى الاحتفالات الدينية بمنتهى الدقة والأمانة عندما يقول (*إننا نحبس الروح في القبر*) [١] .

1- VIRGILE . EN III, 67 .

فكانت العادة عند نهاية الاحتفال الجنائزي، أن تدعى روح الميت ثلاث مرات بالاسم الذي كان يحمله وكانوا يتمنون لها أن تعيش سعيدة تحت الثرى .. ثلاث مرات يقولون لها (*كوني بعافية*) أو (*ليكن الثرى خفيفاً عليك*)[1]. وكانوا يكتبون على القبر أن الإنسان يستريح هناك ، وقد ظل مثل هذا التعبير ينتقل من قرن إلى قرن حتى وصل إلينا، وما زلنا نستعمله، إضافة إلى ذلك كانوا يريقون على قبر الميت خمراً لتجنبه العطش، والأغذية لتجنبه الجوع[2]، ويذبحون خيلاً وعبيداً اعتقاداً منهم، بأن هذه الكائنات إذا ما حبست مع الميت قامت بخدمته، كما كانت تخدمه في حياته[3] .

وكان الدفن أمراً ضرورياً لأجل استقرار الروح ، فالروح التي لا قبر لها، لا مقر لها فهي روح هائمة وسرعان ما تصبح شريرة تعذب الأحياء وترسل عليهم الأمراض وتتلف محاصيلهم وتثير الذعر بينهم بظهورها بمظهر الأشباح[4] . فبدون الدفن تكون الروح بائسة، وبالدفن تصبح سعيدة إلى الأبد. فيقول هيرودوت: (.. *أما في الولاية فإنهم يدفنون الميت وسط الضحك والفرح ، مرددين قولهم ، أن الرجل تخلص من المحن والآلام وبات ينعم بأتم السعادة*)[5]. فالاحتفال الجنائزي لم يكن لإعلان الألم ، بل لراحة الميت وإسعاده[6] .

---

1 – انظر: الإلياذة ٢٨ ، ٢١١، يوروبيدس، الكستيس ٤٧٩ ، باوسانياس ٢ ، ٧ ، ٢ .

2 – انظر: يوروبيدس، إيفجينيا في أولس ١٦٣، فرجيليوس: الأينيادة ٥ : ٧٦ – ٨٠ ، ٦ : ٢٢٥ ،

3 – انظر : الإلياذة ٢١ : ٢٧ ــ ٢٨ ، ٢٣ : ١٦٥ ــ ١٧٦ ، فرجيليوس : الأينيادة ١٠ : ٥١٩ ــ ٥٢٠ ، ١١ : ٨٠ ــ ٨٤ ، ١٩٧ .

4 – انظر : يوروبيدس : الطروادبات ١٠٨٥ ، فرجيليوس ٦ : ٣٧١ ــ ٣٧٩ .

5 – انظر : هيرودوت : الكتاب الخامس ، ص ٣٧٤ .

6 – انظر : الإلياذة ٢٢ : ٣٥٨ ، الأوديسة ١١ : ٧٣ .

وأثناء الدفن ، كان لا بد من مراعاة شعائر تقليدية والنطق بصيغ معروفة، وبدون هذه الشعائر تبقى روح الميت هائمة ، وتظل تظهر للأحياء حتى تدفن طبقاً للقواعد. *فقد كانت خشية الموت أقل من خشية الحرمان من الدفن الذي كان يُعد فقداناً للراحة والسعادة الأبدية* [1] . *فلا تغلبنا الدهشة إذن ، عندما نرى الأثينيين يعدمون القواد الذين أهملوا دفن موتاهم بعد انتصار بحري ، ومن المحتمل أن هؤلاء القواد، وهم من تلاميذ الفلسفة، كانوا يفرقون بين الروح والجسد ، وبما أنهم لا يؤمنون بأن مصير أحدهما مرتبط بمصير الآخر ، فقد بدا لهم أنه لا يهم الجثة كثيراً أن تتحلل في الأرض أو في الماء، فلم يعرّضوا أنفسهم للعاصفة من أجل إجراء لا جدوى فيه كالتقاط الموتى ودفنهم، لكن الجمهور الذي بقي متمسكاً بالاعتقادات القديمة حتى في أثينة اتهم قواده بالكفر وأعدمهم . حقاً لقد انقذوا أثينة بانتصارهم ، لكنهم أضاعوا آلافاً من الأرواح بإهمالهم ، فجاء أقارب الموتى إلى المحكمة بملابس الحداد ، وهم يفكرون في العذاب الطويل الذي سيحيق بهذه الأرواح وطالبوا بالانتقام من هؤلاء القواد* [2] .

وكان القانون ينزل بكبار المجرمين أو المذنبين عقاباً عظيماً، *وهو الحرمان من الدفن* [3] فيكون بذلك عذاباً قاسياً لروح المذنب يكاد يكون سرمدياً.

وبما أن الروح كانت تلازم الجسد وهي في القبر ، فكان من الواجب على أهل الميت، أن يقدموا له الطعام في أيام معينة من السنة ، وهو نوع من اللبن والخمر يراقان على ثرى القبر من خلال حفرة أو شق لإيصال الأغذية الصلبة حتى مضجع

---

1 – انظر : كيهو ، الإغريق ، ص ١٦ ، حاشية ٢ .

2 – انظر : كسنوفون ، الميلليكا ١ : ٧ .

3 – انظر : أيسخيلوس : السبعة ضد طيبة ١٠١٣ ، سوفوكليس ، أنتيجونة ١٩٨ ، يوروبيدس، الفينيقيات ١٦٢٧ — ١٦٣٢ ، ليسياس ٧ — ٩ .

الميت. وفي حال تقديم الأضاحي، فإن جميع لحمها كان يُحرق حتى لا يحصل أي حي على نصيب منها ، وكانوا يتلون صيغاً مقدسة معينة لدعوة الميت للطعام والشراب، وكان يحظّر على أسرة الميت أن تمس هذه الأغذية إطلاقاً، وعند العودة كانوا يتركون قليلاً من اللبن وبعض الكعك في أوان لاستخدامها من قبل الميت، وكان من الكبائر أن يمس أحد الأحياء هذه المؤونة الضئيلة المخصصة لحاجات الميت.

تلك هذه العقائد كانت بالغة في القدم ، وتبدو لنا على درجة كبيرة من السخرية ، ومع ذلك فقد كانت سلطاناً على الإنسان خلال فترة طويلة من الزمن، فسيطرت على النفوس والجماعات حتى إن معظم أنظمة القدماء الأسرية والاجتماعية إنما أتت من هذا المنبع .

٢ ــ عبادة الموتى :

كان الموتى في اعتقاد الإغريق كائنات مقدسة، وقد خلع القدماء عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً، *فكانوا يسمونهم الطيبين والقديسين والسعداء*، وكانوا يكنون لهم كل التبجيل الذي يستطيع الإنسان أن يكنّه للمعبود الذي يحبه ويخشاه .. فكان كل ميت في فكرهم إلهاً [1] .

ولم يكن هذا التأليه مقصوراً على عظماء الرجال، إذ لم يكن هناك تمييز بين الأموات، فلم يكن من الضروري أن يكون المرء من ذوي الفضيلة ، فكان الخبيث يصبح إلهاً على قدم المساواة مع أهل الخير، وإنما يحتفظ في ذلك الوجود الآخر بكل ميول الشر التي كانت تصيبه في الحياة الأولى .

وكانوا يطلقون على الموتى اسم الآلهة السفليين ، فها هو *ايسخيلوس* يدعو ابن أبيه المتوفى هكذا : (*أنت الذي هو إله تحت الأرض*)، فكانوا يرجونه

---

[1] ـ انظر : أيسخيلوس ، حاملات القرابين ٤٧٥ (أيها السعداء القاطنون تحت الثرى اسمعوا دعائي ، هلموا إلى نجدة أبناءكم وامنحوهم النصر).

ويلتمسون تأييده وعندما يجد أحدهم في طريقه قبراً كان يقف ويقول : (*أنت الذي هو إله تحت الأرض كن عطوفاً علينا*) [1] . ويؤكد *توكوديدس* على أن المنفيين في إحدى معارك حرب البلوبونيز الذين التجؤوا إلى كورسيرا لصلة القربى التي تجمعهم بهم ـ *أشاروا إلى قبور أجدادهم هناك* ـ وتوسلوا إليهم أن يساعدوهم للعودة إلى موطنهم [2] .

فلذلك فالموت كان أول الأسرار ، وهو الذي وضع الإنسان في طريق الأسرار الأخرى ، ورفع فكره من المرئي إلى الخفي ، ومن الطارئ إلى الخالد، ومن البشري إلى الإلهي .

٣ ـ *النار المقدسة* :

يحوي كل بيت إغريقي أو روماني مذبحاً يوجد فيه قليل من الرماد وفحم متقد [3]، وكان لزاماً مقدساً على رب كل منزل أن يعنى بالنار بشكل دائم وتغذيتها ببعض الغصون وأنواع خاصة من الأشجار يمكن أن تستعمل في هذا الأمر، ويجب ألا تنقطع النار عن التوهج على المذبح، إلا عندما تفنى الأسرة بأكملها، *وكانت عبارتا (نار خابية) و(أسرة فانية) مصطلحين مترادفين عند الأقدمين* [4].

وتفرض الديانة أن تبقى هذه النار طاهرة على الدوام [5]. أي أنه يجب ألا يلقى في النار بأي شيء قذر، وألا يرتكب أي إثم في حضرتها. وكان في السنة يوم

---

1 ـ انظر : يوروبيدس : الكستيس ١٠٠٤ ـ ١٠١٦ ، (فالناس كانوا يعتقدون أنهم إذا لم يعيروا اهتماما للموتى وأهملت عبادتهم، فإنهم يلحقون الأذى، وبالعكس يؤدون لنا خيراً إذا استعطفناهم بقرابيننا) انظر أيضاً القوانين ، أفلاطون ٩ ، ص ٩٢٦ ـ ٩٢٧ .

2 ـ انظر : توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٣٧ .

3 ـ وكان الإغريق يسمون هذا المذبح بأسماء مختلفة ومنها (إستيا) وهو الذي ساد استعماله في النهاية، وأصبح اللفظ الذي أطلق فيما بعد على الآلهة وستا (WESTA).

4 ـ انظر : الأناشيد الهومرية ٢٩ ، الأناشيد الأورفية ٨٤ ، أيسخيلوس، أجاممنون ١٠٥٦ ، يوروبيدس ، هيراكليس ٥٠٣ ، ٥٩٩ ، أرسطوفانس ، بلوتوس ٧٩٥ ، فرجيليوس ، الأينيادة ٢ : ٥١٢ .

5 ـ انظر : يوروبيدس ، هيراكليس الهائج ٧١٥ .

هو عند الرومان أول مارس، يجب فيه على كل أسرة أن تطفئ نارها المقدسة، وأن توقد أخرى فوراً، وكان إيقاد النار الجديدة غير مسموح به إلا بوسائل خاصة، *وهي تركيز حرارة أشعة الشمس على نقطة ما، أو حك قطعتين من الخشب من نوع معين حكًا سريعًا لتخرج منهما الشرارة.*

فكان الإغريق يعتبرون النار شيئًا إلهيًا، فكانوا يعبدونها، ويؤدون لها شعائر مقدسة، ويتقربون إليها ويلتمسون حمايتها، ويوجهون لها أدعية حماسية لكي يحصلوا منها على تلك الأغراض الأبدية للرغبات البشرية: الصحة، والثروة، والسعادة [1].

والنار حسب عقائد الإغريق والرومان *إلهًا قويًا*، يحمي المنزل والأسرة، وعندما كانوا يواجهون أي خطر كانوا يبحثون عن ملاذ بالقرب منه .. ولما اقتحم العدو قصر بريامو س ملك طروادة، جذبت (**هيكابي**) زوجته الملك الشيخ إلى جوار الموقد وقالت له : (*إن أسلحتك لن تستطيع الدفاع عنك، ولكن هذا الموقد يحمينا جميعًا*) [2].

ولم يُنظر للنار في تلك العقائد السحيقة في القدم، على أنها أحد عناصر الطبيعة المادية الذي يدفئ، ويُحرق، ويحوّل الأجسام، ويصهر المعادن، ويجعل من نفسه الأداة القوية للصناعة البشرية، بل على العكس من ذلك، كانوا ينظرون إليها على أنها نار طاهرة لا يمكن إحداثها إلا بمعونة شعائر دينية مقدسة، ولا يمكن تغذيتها إلا بأنواع معينة من الخشب، وكانوا يطلبون منها الثراء، والصحة، وطهارة القلب، والاعتدال في الشهوات والحكمة.

فكانت هذه العقيدة البدائية، تخرج عن نطاق جوهر الطبيعة المادية، فهذا الجوهر كان يستقر في العالم الصغير الخفي، *ألا وهو الإنسان*.

---

1 – حول هذا الخصوص انظر : الأناشيد الأورفية ٨٤ .

2 – انظر : فرجيليوس : الأينيادة ٢ : ٥٢٣ .

٤ ـ الديانة المنزلية :

كانت القواعد الأولى في العرف الديني للإغريق، تقضي بأن كل أسرة هي التي تختص في عبادة موتاها الذين ينتسبون إليها بالدم، وهي نفسها التي تقوم بالجنازة، وتقديم الطعام الجنائزي الذي يتحدد في كل فترة، ويجب أن يقصى بعنف كل غريب عن ممارسة هذه الطقوس الدينية الخاصة بكل أسرة [1] .

فالعقيدة الدينية عند الإغريق، تقضي بأن الميت لا يقبل القربان، إلا من ذويه وأسرته التي تنحدر من ذريته . وحضور أي غريب من خارج الأسرة كان يقلق راحة الأرواح، لذلك كانت القوانين تحرّم على الغريب الاقتراب من أي قبر من القبور لا يمت بأي صلة إلى ذريته أو أسرته [2] .

ومن نتائج ذلك، أنه كان واجباً على الابن أن يريق السوائل، وأن يقدم القرابين لروح والده وأرواح جميع أجداده، والتقصير في هذا الواجب هو أخطر وزر يمكن ارتكابه، باعتباره يقضي على سعادة الموتى، وليس سوى قتل حقيقي للآباء والأجداد بقدر ما للأسرة من أسلاف .

وكانت الأضاحي تقدم دائماً طبقاً للشعائر، والأطعمة تحمل إلى القبر في الأيام المحددة . فلذلك فإن السلف يصبح إلهاً حامياً، *ومن هنا نشأ تبادل خدمات بين الأحياء والموتى من كل أسرة . فالسلف يتلقى من ذريته سلسلة الوجبات الجنائزية، وهي المتع الوحيدة التي يستطيع الحصول عليها في حياته الثانية، ويتلقى الخلف من السلف، العون والقوة اللتين كان يحتاج إليهما في هذه الحياة، فلم يكن في استطاعة أحدهما الاستغناء عن الآخر . ومن هنا قام رباط وثيق بين جميع الأجيال من أبناء الأسرة الواحدة وجعل منها هيئة متماسكة إلى الأبد .*

---

1 ـ كان قانون صولون يحرّم السير باكياً وراء نعش شخص من غير الأقرباء الظر : بلوتارخوس، صولون ٢١ (وبنفس الوقت لم يكن يسمح للنساء بمصاحبة الميت إلا لدرجة بنات العم) .

2 ـ انظر : بلوتارخوس ، صولون ٢١ . .

وكان لكل أسرة قبرها، يجمع أفرادها من الأموات التي تربطهم معاً رابطة الدم، وكان موقع كل قبر في ممتلكات الأسرة نفسها غير بعيد عن مترل الأسرة، لكي يقابل الأبناء آباءهم كل مرة يدخلون فيها المترل أو يخرجون منه، حتى يوجهوا الدعوات إليه في كل مرة.

كل هذه الديانة كانت تنحصر في نطاق المترل، *فكانت سرية غير علنية*، وجميع الاحتفالات تجري في وسط الأسرة دون سواها، ولم يكن الموقد يوضع خارج المترل إطلاقاً، ولا على مقربة من الباب الخارجي، لكي لا يستطيع الغريب أن يشاهده تماماً، فالسرية كانت لازمة لكل شعائر هذه الديانة، ونظرة الغريب إلى إحدى حفلاتها الدينية تفسد هذه الحفلات وتضطرب وتتلوث بمجرد هذه النظرة وحدها.

إذن، يمكن القول إنه كان لكل أسرة استقلالها التام، وليس هناك أي سلطة خارجية لها حق في تنظيم عبادتها وعقيدتها، والأب هو الكاهن الأعلى للأسرة، ولم تكن هناك رئاسة فوق رئاسته، ولكل أسرة احتفالاتها وأعيادها الخاصة بها، وصيغ أدعيتها وأناشيدها، والأب هو المفسر الوحيد لديانتها وحبرها الأعظم، وله سلطة تعليمها لابنه الأكبر فقط، وكانت كل شعائر الأسرة ميراثا وملكاً مقدساً دون غيرها من الأسر الأخرى، بل كان محرماً عليها الكشف عن هذه الشعائر لغيرها من الأجانب.

والمنزل كان هو المعبد، فلكل واحد منه آلهته، ولم يكن كل إله يحمي غير أسرة واحدة، ولم يكن إلها إلا في منزل واحد، فكانت الأسرة مهدها، وكل أسرة صنعت آلهتها لنفسها.

٥ ــ آلهة المدينة :

وكما كان لكل أسرة عبادتها وموقدها الخاص، كان لكل مدينة عبادتها ومذبحها الخاص أيضاً، والذي يعد مشتركاً عاماً بين القبائل التي تجمعت لتكوين المدينة بأن توقد ناراً مقدسةً، وأن تتخذ ديانة مشتركة، ومذبح المدينة يقع ضمن

سور مبنى يسميه الإغريق *بريتانيون* (PRYTANEE) [1]. وهذه العبادة لها سريتها أيضاً كسرية العبادة المنزلية، إذ لا يحق لأحد أن يشهد القرابين إلا من بين مواطني المدينة نفسها، ومجرد نظرة إليها من أجنبي غريب كانت تدنس العمل الديني .

وكانت آلهة المدينة عادة، من نفس طبيعة آلهة الديانة المنزلية، وما هي إلا أرواح بشرية ألهها الموت. ولما أن عظام هؤلاء كانت مرتبطة بأرض المدينة، فكانوا يسهرون عليها من أعماق قبورهم، وكانوا يحمونها ورؤسائها وسادتها وهم في قبورهم. ويقول وحي وجه إلى صولون (*مجد بالعبادة رؤساء البلاد، الموتى الذين يسكنون تحت الثرى*)[2]. *وكان يصبح إلهاً للمدينة كل رجل أدى لها خدمة جليلة، من مؤسسها إلى من أحرز لها نصراً، أو أدخل تحسيناً على قوانينها، بل لم يكن من الضروري أن يكون رجلاً عظيماً أو محسناً، وإنما يكفي أن يؤثر على عقلية معاصريه تأثيراً قوياً، وأن يجعل نفسه موضوعاً لإثارة شعبية لكي يصبح بطلاً أي ميتاً قوياً ترجى هبته ويخشى غضبه*[3].

---

[1] – كان بيت النار (البريتانيون) هو قبل كل شيء المبنى الذي يحوي الموقد ، إذ أن لكل مدينة موقدها الخاص انظر : ديونيسيوس الهاليكارناسي ٢ ، ٢٣ ثم توكوديدس ٢ ، ١٥ وهيرودوت ٥ ، ٦٧ وباوسانياس ٢ ، ٣٥.

[2] – انظر : بلوتارخوس ، صولون ١٠.

[3] – لقد حرص الإغريق على تمجيد أبطالهم وتخليد ذكراهم ، فنصبوا لهم التماثيل والهياكل والمعابد وأقاموا لتكريمهم أعياداً دينية ، وتقربوا إلى أرواحهم بتقديم القرابين ، وأنزلوهم منزلة التقديس لا تقل كثيراً عن منزلة الآلهة ، وألفوا في الإشادة بتفصيل حروبهم وانتصاراتهم وما كان لهم من فضل على البلاد ، وما امتازوا به على سائر الخلق من صفات مكتسبة وموهوبة .. وألفوا في كل ذلك قصائد ممتعة تكوّن منها فرع هام من فروع آدابهم وهو الأدب الحماسي واستأثرت بقسط كبير من نشاطهم العقلي والاجتماعي ، وكما أشرنا آنفاً إلى هوميروس في ملحمتيه (الإلياذة والأوديسة) .

وكان الموتى أياً كانوا، حماة للبلاد على شرط أن تقدّم لهم العبادة، وكانت أثينة تعبد *أوريسثيوس* (*EURYTHEE*) باعتباره أحد حماتها بيد أنه كان من أرجوس، ويفسر لنا *يوروبيدس* منشأ هذه العبادة، عندما يظهر على المسرح أوريسثيوس مستعداً للموت وهو يقول للأثينيين (*ادفنوني في أتيكة فساكون عطوفاً عليكم ، وساكون في باطن الأرض ضيفاً حامياً لكم*)[1].

وكان هؤلاء الآلهة الموتى يجهدون أنفسهم من أجل حماية مدينتهم، وكان الانتصار على أية مدينة أخرى لا بد من إخراج الآلهة منها أو استمالتهم إلى جانب المدينة الأخرى برشوهم بالهبات والعطايا، وكما نقرأ في بلوتارخوس (*أن صولون أراد أن تكون أثينة سيدة جزيرة سلاميس الصغيرة التي كانت عندئذ تتبع ميجارة، فاستشار الوحي فأجابه " إذا أردت الاستيلاء على الجزيرة فإنه لا بد أن تحصل أولاً على عطف الأبطال الذين يحمونها والذين يسكنون فيها " فأطاع صولون، وباسم أثينة قدّم القرابين لأبطال سلاميس الوثنيين، ولم يقاوم الأبطال الهبات المهداة لهم وانتقلوا إلى جانب أثينة، ولما حُرمت سلاميس من حماية أبطالها استولوا عليها*)[2].

وكان لكل مدينة هيئة كهنتها الخاصة، ولم يكن هناك أية رابطة بين كهنة مدينتين ولا أية صلة أو تبادل في التعليم أو الشعائر فكل مدينة مستقلة بحد ذاتها، ولها قوانينها الخاصة، وسيادتها القضائية، وأعيادها الدينية، وتقويمها الشهري والسنوي الذي يختلف من مدينة لأخرى، وعملتها الخاصة التي تحمل رمزها الديني، وأوزانها ومقاييسها، إذ لم يكن هناك شيء واحد مشترك بين مدينتين، حتى إن الزواج كان ممنوعاً بين مدينتين مختلفتين. فكل مدينة أقامت حول حدودها خطاً فاصلاً من الحدود المقدسة، وكان هو أفق ديانتها القومية وآلهتها، وفيما وراء هذا الخط كانت تتحكم آلهة وعبادة أخرى[3].

---

1 - انظر : يوروبيدس ، الهيراكليين ١٠ ، ٣٢ .

2 - لم تكن هناك عبادة مشتركة في عدة مدن إلا في حالة الحلف .

3 - انظر : بلوتارخوس ، صولون ٩ .

من خلال ما سبق، نستنتج أن الطبيعة الجبلية مزّقت بلاد الإغريق، وكان لها أثرها الكبير في تاريخ هذه الشعوب، لكن عقائد الإنسان كان لها أثرٌ أعظم سلطاناً، فقد كان بين أي مدينتين شيء أكثر من الجبال استعصاءً على العبور: ***الا وهو سلسلة الحدود المقدسة، واختلاف العبادات، والحاجز الذي أقامته كل مدينة مع غيرها من المدن الأخرى .***

إذن تبدو لنا كم هذه العقائد الدينية خافية جداً، لكنها كانت عقائد شعب هو أكثر شعوب ذلك الزمن روحانية، وكان لها على هذا الشعب، فعل بلغ من قوته أن أكبر جزء من قوانينه وأنظمته وتاريخه قد صدر عن هذه العقائد نفسها وكما سنرى في الفقرات التالية.

٦ ــ *ارتباط القانون بالديانة :*

كان القانون عند الإغريق في بادئ الأمر جزءاً من الديانة، وكان يشكل مجموعة من الشعائر (***RITUELS***) والفرائض الدينية والأدعية والنصوص الشرعية في آن واحد. فالقوانين العتيقة لم يشرّعها رجل واحد، وإذا كان المقصود *بالمشرّع* (***LEGISLATEUR***) رجلاً يبتدع قانوناً بقوة عبقريته ويفرضه على الآخرين، فإن هذا المشرّع لم يوجد عند قدماء الإغريق إطلاقاً. كما أن القانون العتيق لم يخرج من تصويت الشعب كما هو الحال في المجالس الشعبية والنيابية في الوقت الحاضر، لأن فكرة عدد الأصوات التي تستطيع أن تخلق قانوناً لم تأت إلا متأخرة وبعد قيام الثورات السياسية والاجتماعية. وحتى ذلك الوقت كانت تبدو القوانين كشيء عتيق غير قابل للتعديل وله حرمته، فهي قديمة قدم المدينة. فلذلك يقول الإغريق، إن قوانينهم أتت من الآلهة، فعلى سبيل المثال لم يكن الكريتيون ينسبون قوانينهم لمينوس (***MINOS***) بل لزيوس (***ZEUS***) والإسبارطيون لم يكن مشرّعهم (***LYCOURGOS***) بل أبوللون ((***APOLLON***) ، ***فالمشرّع الحقيقي عند القدماء لم يكن الإنسان، بل العقيدة الدينية التي كان يحملها الإنسان في ذاته .***

فاحترام القوانين والتمسك بها كانت أمراً محتوما ، وهو ما حافظ عليه القدماء زمناً طويلاً، ***لم يروا في القوانين عملاً بشرياً، فقد كان لها أصل مقدس .***

ولم يكن غريباً أن يقول أفلاطون أن إطاعة القوانين هي إطاعة الآلهة. فمخالفة القوانين إذن كانت إثماً كبيراً، لم يكن للقانون حيثيات قط، أنه لم يكن ملزماً بإبداء الأسباب، أنه موجود لأن الآلهة هي التي صنعته، أنه لا يناقش بل يفرض، أنه عمل من أعمال السيطرة، والناس يخضعون له لأنهم يأمنون به.

لم تكن القوانين مكتوبة خلال أجيال طويلة، بل كانت تنتقل مع العقيدة وصيغة الدعاء من أب لابن. وسواء أكانت هذه القوانين مكتوبة أو غير مكتوبة، فقد كانت مصوغةً في قالب أوامر موجزة جداً، وعلى شكل أناشيد (*TRADITION*) مقدسة، مما يدل على أن كلمات القانون كانت منغمة[1]. ويقول أرسطو (**أنه قبل الزمن الذي كتبت فيه القوانين كانوا يرتلونها**)[2]. وهذه الأناشيد المقدسة كانت نصوصاً لا بديل لها، وتغيير حرف منها أو نقل كلمة أو تبديل النغم ليس إلا إخلالاً للقانون نفسه بإتلاف الصورة المقدسة التي نزل بها على الناس. فكان القانون كالدعاء الذي لم يكن المعبود يقبله إلا بشرط أن يتلى بالضبط، والذي كان يصبح إثماً إذا بُدّلت منه كلمة واحدة. فالمظهر والنص الحرفي هو كل شيء في الشرع البدائي (*DROIT*)، ولا مجال للبحث عن معنى القانون أو روحه. لم تكن قيمة القانون مستمدة من المبدأ الخلقي الساكن فيه، بل من الألفاظ التي تحويها صيغته، قوته في الكلمات المقدسة التي كان يتألف منها .

وفكرة الحق عند القدماء كانت ترتبط ببعض ألفاظ مقدسة، فأي تعاقد أو اتفاق بين رجلين كان على الأول أن يقول (*DARI SPONDES*) وعلى الآخر أن يجيب (*SPODEO*) فإذا لم يتلفظا بهذه الألفاظ فلا عقد هناك، وعبثاً يطالب الدائن بسداد دينه، إذ أن المدين لم يكن مديناً بشيء. فإن الملزم للإنسان في هذا الشرع العتيق لم يكن الضمير ولا الشعور بالعدالة، بل بالصيغة المقدسة، فإذا ما تلبث هذه

1- - ILIANUS, 2 : 39.
2- - ARISTOTELES , PROBILIA, 19 , 28

الصيغة بين رجلين، فإنها كانت تقيم بينهما صلة شرعية، وحيث لا توجد الصيغة لا يوجد الشرع [1].

وباعتبار القانون، نصاً مقدساً، والعدالة مجموعة شعائر، كان على كلا الخصمين المتحاكمين أن يتمسكا بمنطق القانون ولكن بحذر شديد، أي لكي يكون القانون في جانب أياً منهما كان على كلا الخصمين، أن يعرف عبارات القانون، وأن ينطقها نطقاً مضبوطاً، فلو تلفظ بكلمة بدل أخرى لانعدم القانون وعجز عن الدفاع عنه، كالرجل الذي اجتث جاره كرومه، فتلفظ بالقانون، لكن القانون كان يقول أشجاراً، وقال هو كروماً، فأضاع قضيته [2].

وبما أن القانون كان جزءاً من الديانة، *فقد كان يتصف بالسرية*، كسرية صيغ العبادة المنزلية. فكان الأجنبي والعبد مقصيّين عن القانون، وصيغه بعيدة عن متناول يديهما، لأن عرف الديانة ينص على أنه لا قانون لمن ليس له عبادة منزلية أو قومية. والقانون كان مقتصراً على *مواطني المدينة* نفسها، وعلى من يحوز ديانتها، ويمجد آلهتها، ويشهد أعيادها، بعكس الأجنبي الغريب الذي لا منفذ له إلى الديانة، ولا تحميه آلهة المدينة، وليس له حق دعائهم، ومحرّم عليه دخول معابدهم، وحضور الاحتفالات الدينية، ولا يستطيع أن يكون مالكاً أو وارثاً أو وصياً، ولا أن يعقد عقداً من أي نوع، ولا أن يمثل أمام محاكم المواطنين العادية، وإن حدث أن كان دائناً لمواطن في أثينة، فإنه ما كان يستطيع أن يقاضيه لدفع دينه لأن القانون لم يكن يعترف بعقد صحيح من الناحية الشرعية، وإذا ما ارتكب جريمة عومل معاملة العبيد، وعوقب من غير أجراء محاكمة لأنه لا حق له في عدالة المدينة[3].

وكانت المدن القديمة تعاقب مواطنيها على أخطائهم التي يرتكبونها تجاه مدينتهم، بتجريد المذنب من صفة المواطن، وبذلك يفقد كل حقوقه المدنية

---

1 - انظر : فوستيل دي كولانج ، ٢٦١ .

2 - انظر : المرجع السابق نفسه .

3 - انظر : أرسطو ، السياسة ٣ ، ١ ، ٣ ، ١٢٥٩ ا ثم انظر : أفلاطون ، القوانين ٦ .

والسياسية، فلا يستطيع أن يكون عضواً في المحاكم، ولا أن يتكلم في المجامع، وإذا غُبن لا يسمح له أن يتقدم بشكوى ويمكن ضربه من غير عقاب [1]، وقوانين المدينة لا تحميه، ولم يعد له الحق في الشراء والبيع، ولا عقد من أي نوع [2]. فيكون بذلك قد فقد كل حقوقه المدنية والسياسية.

وكان ***النفي*** هو العقاب المألوف على الجرائم الكبيرة، ولم يكن النفي مقتصراً على الحرمان من الإقامة في الوطن، بل يتناول في الوقت نفسه الحرمان من العبادة الذي يعني الحرمان من كل الحقوق المدنية والسياسية، إذ لم يعد له حق الملكية لا في أرضه ولا في أملاكه التي كانت تصادر لمنفعة الآلهة أو لمنفعة الدولة [3]، ولما تعد لـه عبادة، فإنه لم تبق له أسرة ولم يعد زوجاً وأباً وأبناؤه لم يعودوا في سلطته، وزوجته بإمكانها أن تتخذ زوجاً آخر على الفور [4]، وإذا توفي لا يمكن دفنه في ثرى مدينته ولا في قبر أسلافه [5]. لقد أصبح أجنبياً، ***فلذلك كان النفي بالنسبة لهم، أكثر وطأة من الموت*** [6]، ***وكان كثيراً من الفقهاء ما يسمونه عقاباً بالإعدام.***

٧ ـ الديانة والحياة العامة :

كان الخوف من الآلهة يسيطر على كل إغريقي، فإن هذه الشعوب التي كونتها الديانة في بادئ الأمر، قد حافظت ردحاً طويلاً على سمة تربيتها الأولى.

---

1 – انظر : بلوتارخوس، أجيسيلاوس، ٣٠.

2 – في إسبارطة لم يستطيع المذنب أن يشتري أو أن يبيع أو أن يعقد زواجاً، أو أن يزوج ابنته لمواطن انظر : توكوديدس ٥، ٣٤ ثم بلوتارخوس، أجيسيلاوس ٣٠.

3 – انظر : توكوديدس ٥،٦٠ ثم بلوتارخوس، ليسندر ٢٥.

4 – انظر : ديونيسيوس الهاليكارناسي ٨، ٤١ حول وداع كوريولانوس لزوجته (لم يعد لك زوج، ليتك تجدين زوجاً آخر أسعد مني) ويضيف أن أبناؤه لم يعد لهم أب، ولم تكن هذه العبارات تصدر عن خطيب بليغ، بل عبارات الشرع القديم.

5 – نظر : توكوديدس ١، ١٣٨.

6 – انظر : يوروبيدس، إلكترا ١٣١٥، الفينيقيات ٣٨٨، أفلاطون، كريتون ص ٥٢.

فالإسبارطي كان يتردد في البدء بقيام أية غزوة قبل أن يبلغ البدر تمامه [1]. ولا ينفك يضحي بالأضاحي ليعرف ما إذا كان قد حان وقت القتال . فعلى سبيل المثال في معركة بلاتاية (PLATEES) عام ٤٧٩ق.م ، يقول هيرودوت (*اصطف الإسبارطيون وكل منهم في موضعه للقتال . على رأس كل واحد منهم تاج، ويسمعهم النافخون في المزمار الأناشيد الدينية ، والملك يذبح الأضاحي خلف الصفوف بقليل ، لكن الأحشاء لم تعط العلامات الموافقة ، فلا بد من إعادة القربان ، فضحى بضحيتين ثم بثلاث وأربع على التوالي . وفي خلال ذلك، اقتربت فرسان الفرس ورمت بسهامها وقتلت عدداً كبيراً من الإسبارطيين ، وبقي الإسبارطيون بلا حراك ، والتروس موضوعة عند أقدامهم، حتى دون وقاية أنفسهم من ضربات العدو ، إنهم ينتظرون إشارة الآلهة . وفي النهاية أظهرت الضحايا علامات الموافقة من جانب الآلهة ، وعندئذ رفع الإسبارطيون تروسهم وانتضوا سيوفهم وقاتلوا وكانوا من المنتصرين*) [2] وكان الإسبارطيون ينثنون عن أحسن الخطط تدبيراً وأكثرها لزوماً ، لأن نبوءة تخيفهم . وتجمع المصادر القديمة على مدى اهتمام الأثينيين في الشؤون الدينية فيقول كسنوفون (*أن للأثينيين من الأعياد الدينية أكثر مما لأي شعب إغريقي آخر*) [3]. ويقول أرسطوفانس (*ما أكثر الأضاحي المقدمة للآلهة ، وما أكثر المعابد وما أكثر الأصنام ، وما أكثر المواكب المقدسة ، ففي كل لحظة من السنة ترى ولائم دينية وأضاحي*

---

1 – انظر : هيرودوت ٦ ، ١٠٦ . (عندما جاء الخبر بنزول الفرس إلى الشاطئ رأى للإسبارطيين أن ينجدوا الأثينيين ، لكنه تعذّر عليهم أن ينجدوهم فوراً ، ولم يريدوا أن ينعدوا القاعدة الدينية، وقالوا أنهم لم يبدؤوا الحملة إلا اليوم الذي يبلغ فيه البدر تمامه) . في هذه الحالة علينا أن نحكم على القدماء وفقاً لأفكارهم وليس لأفكارنا .

2 – انظر : هيرودوت ٩ ، ٦١ — ٦٢ .

3 – انظر : كسنوفون ، الهلينيكا ٣ ، ٢ . (ويقول سوفوكليس في أوديب في كولونس ١٠٠٧ ، أن الأثينيين كانوا أكثر تنبهاً من الشعوب الأخرى فيما يختص بعبادة الآلهة) .

متوجة)[1]. ويقول أفلاطون (*نحن الذين نقدّم أكثر القرابين عدداً ، ونعمل للآلهة أكثر المواكب بهاء وقداسة*)[2] . وتكتسي مدينة أثينة وإقليمها بالمعابد والمحاريب ، فمنها ما هو لعبادة المدينة ، ومنها ما هو لعبادة القبائل والأحياء (*DEMEOS*) ومنها ما هو لعبادة الأسرة ، وكل بيت هو معبد ، ويكاد كل حقل أن يكون فيه قبر مقدّس .

والأثيني الذي كان مفرطاً في التقلب والأهواء والتحلل في الفكر يشعر على العكس ، باحترام فريد للسنن والشعائر القديمة ، وديانته الرئيسة التي تنال من لدنه أشد أنواع الحماس الديني هي ديانة الأسلاف والأبطال (*HEROS*) وعبادة الموتى (*CULTE DES MORTS*) ، ويلزمه أحد قوانينه بأن يقدّم لهم كل عام بواكير محصوله ، ويحرّم عليه قانون آخر أن يتلفظ بكلمة واحدة من شأنها أن تثير نقمتهم[3] . وكل ما يمس العصور العتيقة مقدّس عند الأثيني ، وعنده مجموعات قديمة دونت ولا يتحول عنها قط[4] . ولأثينة مجموعات وحيها القديم ، ففي كل خطوة من شوارعها متكهنون وكهنة (*DEVINS*) ومفسرو أحلام[5] ، ويعتقد الأثيني في الفأل فيوقفه العطاس أو طنين الأذن فيما شرع به[6] ، ولا ينزل سفينة قط دون أن يستنبئ الاستخارات (*AUSPICES*)[7] ، ولا يفوته أن يستوحي طيران الطيور قبل أن يتزوج[8] ويؤمن بالأقوال السحرية ، وإذا مرض وضع تمائم حول عنقه[1] ،

---

1 – انظر : أريستوفانس ، السحب ٣٠٥ ــ ٣٠٩ .

2 – انظر : أفلاطون ، الكيبيادس ٢ ص ١٤٨ .

3 – انظر : بلوتارخوس ، صولون ٢١ .

4 – انظر : إيسوقراط ، خطبة البانيجركس ٢٩ ــ ٣٠ .

5 – انظر : توكوديدس : ٢ ، ٨ .

6 – انظر : أريستوفانس ، الطيور ٧٣١ ، يوروبيدس ، إيون ١١٨٩ .

7 – انظر : أريستوفانس ، الطيور ٥٩٦ .

8 – انظر : أريستوفانس ، الطيور ، ٥٩٦ ، ويقول كستوفون (ويعتقدون في الكهانة ويستنبئون الطيور والأصوات والعلامات وأحشاء الضواحي) وكان كستوفون نفسه

وتتفرّق الجمعية العامة إذا ما أكد أحدهم أنه ظهرت في السماء آية لحسس [٢]، وإذا اختل القربان لإعلان خبر سيئ وجبت إعادته [٣]، ولا يبدأ الأثينيين حملة دون أن يدعو الحظ السعيد أولاً [٤]، وعلى المنبر يؤثر الخطيب أن يبدأ بدعاء الآلهة والأبطال الذين يسكنون الإقليم ويقودون الشعب بتلاوة الوحي له ، ولكي يقوّي الخطباء آراءهم كانوا يكررون في كل لحظة : هكذا أمرت الآلهة [٥] .

لم يكن هناك عمل واحد من أعمال الحياة العامة إلا ويدخلون الآلهة فيه ، فالشعب لم يكن يجتمع في مجامعه (*ASSEMBLEE DU PEUPLE*) إلا في الأيام التي تسمح له الديانة فيها بذلك ، وكان مجلس الشيوخ الأثيني (*SENAT*) يحتوي على قاعة تتضمن مذبحاً وموقداً ، وكانوا يقومون بعمل ديني عند ابتداء كل جلسة ، فكان كل شيخ عند دخوله يقترب من المذبح ويتلو دعاء [٦] .

وكانوا لا يجلسون للقضاء في المدينة ، إلا في الأيام التي تبين أنها من أيام القبول ، وليست من أيام النحس (*JOURS NEFASTES*) وفي أثينة كانت تعقد جلسة المحكمة بجوار مذبح وتبدأ بقربان[٧] .

سيعتقد اعتقاداً كبيراً في الخرافة ، وكان يؤمن بالأحلام انظر : أناباسيس ٣ : ١، ٤ ، ٣ وكان يستحوذ أحشاء الضواحي ٤ ، ٣ ويحيط به المتكهنون ٥ : ٢ ، ٩ ، ٦ ، ٤ ، ١٣ . ثم انظر مشهد المطلس ٣ ، ٢ .

1 – انظر : بلوتارخوس ، بريكليس ٣٧ .

2 – انظر : أريستوفانس ، الأكارنسانيين ١٧١ ، هسيودوس ، الأعمال والأيام ٧١٠ ، هيرودوت ٦ ، ١٠٦ .

3 – انظر : بلوتارخوس ، ثيسيوس ٢٢ .

4 – انظر : أريستوفانس ، الطيور ٤٣٦ .

5 – انظر : أريستوفانس ، الفرسان ٩٠٣ ، ٩٩٩ ، ١١٧١ ، ١١٧٩ .

6 – انظر : كسنوفون ، الهللينيكا ٢ :٣ : ٥٢٠ .

7 – انظر : أريستوفانس ، الزنابير ٨٦٠ ــ ٨٦٥ ، هوميروس ، الإلياذة ١٨ : ٥٠٤ .

وكان للديانة من السيطرة في الحرب بقدر ما كان لها في السلم على الأقل، فالجيش أثناء المعركة يمثل صورة للمدينة وديانتها تلاحقه ، وكان اليونانيون يحملون معهم تماثيل معبوداتهم . وكان كل جيش يوناني يحمل معه موقداً ويغذي ناره المقدّسة ليل نهار [1]. وكانوا يقدمون قرباناً بعد كل انتصار ، وذلك هو موكب النصر (*TRIUMPHUS*) . وهذه العادة هي نتيجة الرأي الذي كان ينسب النصر لآلهة المدينة ، فقبل المعركة يوجه لهم الجيش دعاء شبيهاً بذلك الذي نقرؤه في أيسخيلوس :

(أعدكم أيها الآلهة الذين تسكنون أرضنا وتملكونها
أعدكم إذا سعد سلاحنا ونجت بلدتنا
أن أروي مذابحكم بدم الشاة
وأضحي لكم بالثيران
وأعرض في معابدكم المقدسة الغنائم التي كسبتها رماحنا) [2]

ويمقتضى هذا الوعد كان على المنتصر أن يقدّم قرباناً ، ويتوجه إلى المعبد في موكب طويل وهو يغني نشيداً مقدّساً [3].

وهكذا كانت الديانة تتدخل في جميع الأعمال في زمني السلم والحرب ، كانت حاضرة على الدوام ، محيطة بالإنسان . فكل شيء تحت سيطرة ديانة المدينة: ***الروح ، والجسد ، والحياة الخاصة ، والحياة العامة ، والموالد والأعياد ، والمجامع، والأحكام ، والقتال ، والسلم والحرب ، ومجلس الشيوخ ، والجمعية العامة .***

---

1 – انظر : **هيرودوت** ٩ ، ١٩ .

2 – انظر : **أيسخيلوس** ، السبعة ضد طيبة ٢٥٢ – ٢٦٠، **يوروبيدس**، المنيفيات ٥٧٣ .

3 – انظر : **ديودور الصقلي** ، المكتبة التاريخية ، مجلد ١ ــ ٥ ، ٤ : ٥٠ .

كل ذلك كانت تنظمه الديانة وتتصرّف في جميع أعمال الإنسان ولحظات حياته ؛ كانت تحكم الكائن البشري بسلطان مطلق بلغ من أمره ، أنه لم يبق أي شيء خارجاً عنها .

مما هو جدير بالملاحظة ، أن مثل هذه المعتقدات الدينية المتزمتة لم تكن ذات مفعول مؤثر إلا في العصور العتيقة لنشأة المدن الإغريقية ، ولكن هذه المعتقدات والإحساسات بدأت تضعف كثيراً بمضي الزمن وتقريباً منذ بداية القرن السابع ق.م، بفعل التحولات الاجتماعية والانقلابات الجذرية في المجتمع الإغريقي، إذ أخذ الإدراك العقلي والفكري يسيطر تدريجياً على هذا المجتمع بفضل ظهور أفكار جديدة، وفلسفات واضحة ، وقادة جدد ، ومفكرين عظام كما سنلاحظ في الفصول اللاحقة .

ثانياً : آلهة الطبيعة المادية :

رأينا سابقا أن أقدم عقائد الشعوب الإغريقية كانت (*ديانة الأسرار أو الأسلاف*) ورمزها الأساسي الموقد ، وهي التي كوّنت الأسرة وأقامت القوانين الأولى . لكنه كان لهذا الجنس في جميع فروعه ديانة أخرى وهي (*ديانة آلهة الطبيعة المادية*) والتي كانت شخصياتها الرئيسية (*زيوس*) و (*هيرا*) و (*أثينا*) أي ديانة جبل (*أوليمبوس*) .

وكانت الأولى من هاتين الديانتين تتخذ آلهتها من (*النفس البشرية*) والثانية تتخذ آلهتها من (*الطبيعة المادية*) ، أي كان هناك مسلكٌ آخر للشعور الديني عند الإغريق . وقد تكوّن هذا المسلك نتيجة شعور الإغريق ، بأن الإنسان منذ العصور الأولى كان في مواجهة أهوال ومكائد الطبيعة بلا انقطاع ، فقد كان ينظر إلى السحاب الممطر الذي يتوقف عليه محصوله ، ويخشى العاصفة التي تستطيع أن تحبط عمله وأمل عام بأكمله . فقد كان يشعر في كل لحظة بالضعف أمام الطبيعة وقوتها التي لا نظير لها ، وينتابه الخوف بشكل دائم نحو هذه الطبيعة الجبارة .

وإزاء ما سبق ، ***فالإنسان عند الإغريق لم يدرك أن هناك إلهًا واحدًا هو الذي يدير الكون*** ، إذ لم تكن لديه عندئذ فكرة الكون ، ولم يكن يعلم أن الأرض والشمس والكواكب أجزاء من مجموع واحد يهيمن عليها كائن واحد ، فقد تصوّر الإنسان العالم الخارجي على شكل جمهورية مشوّشة تتحارب فيها قوات متنافسة ، فلذلك رأى في كل جزء من الخليقة ، في الأرض ، وفي الشجرة ، وفي السحابة ، وفي ماء النهر والبحر ، وفي الشمس والقمر أشخاصاً يشبهون شخصيته، فنسب إليهم الفكر والإرادة واختيار الأفعال ، ولما كان يشعر بأنهم أقوياء وأنه خاضع لسيطرتهم فقد اعترف بتبعيته لهم وتضرّع إليهم ، وعبدهم وجعل منهم آلهة، واتخذ من مكانهم في جبل (*أوليمبوس*) وتصورهم في صورة البشر ورسمهم في صورة الإنسان شكلاً وقواماً، وإن تميزوا كلهم تقريباً بالقوة الخارقة والقوام البديع والجمال الرائع ، وكانوا كالبشر يحتاجون إلى النوم ويأكلون ويشربون ، وإن اقتصر طعامهم على ***الأمبروسيا*** (*AMBROSIA*) وشرابهم على ***النكتار*** (*NECTAR*) وهما طعام وشراب مقصوران على الآلهة دون سواهم .. وكانوا يحبون ويكرهون ويفرحون ويحزنون . كانت بالأجمال تساورهم المشاعر نفسها التي تساور بني البشر، ويتزوجون وينجبون أولاداً ويعقدون علاقات مشروعة وغير مشروعة مع الآلهة وبني البشر، وقد يستبد بهم الغضب الجنوني وتنهش قلوبهم الغيرة العمياء ، بل كانوا لا يتورعون أحياناً عن النفاق والمداهنة والكذب والختال .. ويسود الوئام بينهم أحياناً وأحياناً أخرى يشيع الخصام ، لكنهم كانوا يتميزون عن البشر في شيء جوهري، وهو أنهم كانوا يعيشون أبداً في شباب دائم فلا تتقدم بهم السن ولا يهرمون .. كانوا خالدين لا يذوقون طعم الموت . وكان (*زيوس*) أكثرهم قوة وهيبة وأعلاهم شأناً ومكانة بوصفه رباً للآلهة والناس . ولذلك كان بقية الآلهة يدينون له بالطاعة ويمتثلون لأوامره ويخشون بأسه وبطشه. وبكل الأحوال، كان تفوق **زيوس** الكبير على غيره من الآلهة بمثابة خطوة أولى على الطريق الطويل نحو التوحيد . وقد أصبحت الأسرة الإلهية فوق جبل (*أوليمبوس*) تتألف من زيوس وأخوته الخمسة

(هيرا) و (هاديس) و (ديمتر) و (بوسيدون) و (هستيا) وأبنائه الستة (هيفايستون) و (أثينايا) و (أريس) و (أفروديتي) و(أبوللون) و (أرتميس) و(هرمس) . غير أن الإغريق درجوا على تقدير عددهم باثني عشر إلها وآلهة، وكانوا يتحدثون دائماً عن الآلهة الاثني عشر ، ويقيمون المعابد للآلهة الاثني عشر ، ويقسمون اليمين بالاثني عشر . ومنذ القرن الرابع ق.م أصبح كل واحد منهم يُقترن ببرج من الأبراج السماوية الاثني عشر ، بل إن (أفلاطون) اقترح أن يُقرن كل واحد من هؤلاء بشهر من شهور السنة . ويرجع هذا الفرق في الحساب (بين ١٣ و ١٢) إلى أن الإغريق غالباً ما كانوا يسقطون (هاديس) من القائمة ، لأن هاديس إله العالم السفلي أو عالم الموتى ، كان إلهاً رهيباً بغيضاً، بل كان إلهاً خفياً لا يعيش مع أسرته فوق جبل أوليمبوس، بل يعيش محتجباً في مملكته في باطن الأرض، بل كان على من يتقدم إليه بقربان في معبده أن يشيح بوجهه عن المذبح أثناء تقديمه للقربان، وفي بعض الأحيان كان يسقط اسم إله آخر من بين الثلاثة عشر مع بقاء العدد ثابتاً عند اثني عشر .

وسنبدأ بدراسة كل واحد من هؤلاء الثلاثة عشر متحدثين عن اختصاص كل واحد منهم :

١ ـ زيوس وأخوته :

آ ـ زيوس (ZEUS) :

يأتي في مقدمة أرباب أوليمبوس ، واسم زيوس مشتق من لفظ بمعنى الضياء واللمعان أو السماء أو السماء الصحو ، فهو إله السماء أو هو السماء نفسها أو يسكن السماء التي يرسل منها المطر والبرق والرعد وينزل الصاعقة ويسيطر على الظواهر الجوية وعلى الطقس كله . فهو أيضاً رب الجو، ويصفه هوميروس بأنه

جامع السحب [1]، وبوصفه محركاً للرعد والصاعقة المخيفة فقد خلعت عليه ألقاب يتفق جرسها ورنينها مع هذه الصفة .

وكإله لهذه الصفة ، كان من الطبيعي أن يعتبره الإغريق الإله الأعلى ، ويتصوروه في شخصية حاكم مهيب ، لقد كان رب الصاعقة هو الإله الأعلى عند الشعوب البدائية . فلذلك أن الصورة الرئيسية التي انطبعت في أذهانهم هي صورة زيوس كحاكم وأب ، فكلا الصفتين كانت تجتمع عادة في رئيس القبيلة البدائية . إذن ، أن زيوس هو أبو الآلهة والناس ، وهو الحاكم بين كل الخالدين ، وأمامه يقف الإنسان كمخلوق من طبقة أدنى ، *وزيوس* خالد والإنسان فان ، وهو قوي كل القوة والإنسان ضعيف ، ويعيش زيوس في عالم خارجي أو بعيد عن الإنسان تماما ، ولكي يتصل به الإنسان أو يتقرّب على الوجه السليم ، فمن الضروري أن يسلم أولاً بسيادة زيوس ثم يعمل على استرضائه بالقرابين والعبادة .

كان الصولجان شعاره ، والنسر طائره الذي يحلق في الأعالي (*ملك الطيور*) والصاعقة سلاحه الرهيب . وكان درعه (*AEGIS*) شيئاً لا تحسر العين على النظر إليه ، إذا هزه انطلقت العاصفة والزوبعة (*KATAIGIS*) وتمثل الدرع سحابة الرعد المقبل .

كان معبد زيوس في بلدة *دودونا* (*في أبيروس*) كان أقدم مركز للنبوءة (*ORACULUM*) في بلاد الإغريق . وكانت الإجابات على أسئلة السائلين يحصل عليها عن طريق تفسير حفيف الرياح في شجرة بلوط قديمة موجودة هناك (*باعتبار هذه الشجرة مقدسة عند زيوس*) . كان الإله إذن ، يكشف عن إرادته بحفيف أوراق البلوط الذي تتولى الكاهنات تفسير معناه . وفي بعض الأحيان كانت تعلق

---

[1] وهو جوبيتر (*JUPITER*) عند الرومان . وكان من أروع تماثيل زيوس ذلك التمثال الذي صنعه له النحات الأثيني الشهير (*فيدياس*) في القرن الخامس ق.م في بلدة أولمبية، مركز الدورة الأولمبية الرياضية التي أنشئت هي الأخرى تمجيدا لزيوس في عام ٧٧٦ق.م (*ويعد هذا التمثال احد اعاجيب العالم السبع*) .

في الشجرة أوان نحاسية لتجعل الأصوات أكثر رنيناً ووضوحاً. وكان التعرّف على مشيئة الإله يتم أحياناً عن طريق تفسير هديل اليمام في الأغصان أو خرير المياه في الينابيع . ولكن سرعان ما حجبت نبوءة أبوللون في دلفي نبوءة زيوس في دودونا ، وصارت أهم نبوءة في كل العالم الهيللينى .

وتصوره كثير من الأساطير إلهاً يقع في حب نساء عديدات أكثرهن إلهات وقليلات منهن آدميات . فنسمع عن زواجه بأكثر من واحدة غير (*هيرا*) زوجته الشرعية المستديمة . ومن ثم يخوض كتّاب الأساطير في سيرته متذرعين بمنازعاته المستمرة مع هيرا بسبب مسلكه المعيب الذي لا يليق بأرفع الآلهة مقاماً، ويصورون (*هيرا*) كزوجة (*نمور*) حائرة تنفق معظم وقتها في مراقبة زوجها والتجسس عليه لكشف حيله وألاعيبه ، وفضح سلوكه في السماء قبل أن يُفضح في الأرض .

وأما عن زيجات زيوس بآلهات ، فليست كلها من نسج خيال الشعراء والأدباء ، كان بعض هذه الزيجات له أساس ديني ، ويسمى هذا النوع من الزواج بين إله وإلهة بالزواج المقدس (*HIEROS GAMOS*) ، ولم يكن وليد الخرافة الإغريقية فقط ، بل كان مظهراً لعقيدة وعبادة قديمتين عند الإغريق . كان بعض هذه الزيجات في الواقع يعكس الاعتقاد السائد باقتران السماء بالأرض الذي يُخصّب الأرض . فالأرض تمثل عنصر (*الأنوثة*) ، والسماء تمثل عنصر (*الذكورة*) الذي يلقح الأرض بالمطر والبلل ، فكان زيوس في نظر الإغريق هو إله السماء الذكر .

ب ـ هيرا (*HERA*) :

كانت ربة قديمة في بلاد الإغريق ، ولا يُعرف اسمها الأصلي قبل مجيء الأخيين ، لكن اسمها الإغريقي (*هيرا*) يعني *السيدة* [1] ، وقد جعل الإغريق منها أختاً لزيوس وزوجة شرعية . ويبدو أن (*أرجوس*) كانت أقدم بلد عُبدت فيه هيرا . وكان أشهر معبد لها يقوم في بلدة اسمها هيرايوم (*HERAEUM*) على بعد نحو ستة

---

[1] – وهي جونو (*JUNO*) عند الرومان .

أميال شمالي أرجوس . وكان أعظم وأشهر مركز لعبادتها بعد أرجوس هي جزيرة ساموس (*SAMOS*) حيث ولدت هيرا - على ما يروى- وعُبدت منذ زمن مبكر .

كانت هيرا برغم متاعبها الزوجية بسبب عدم وفاء زيوس لعهد الزواج ، وبرغم أنها لم تنجب منه إلا إلهاً أوليمبياً واحداً ، ***ربة الزواج وراعية النساء وكل ما يتصل بحياتهن الجنسية كالحمل والولادة والرضاعة*** . وكانت بوصفها ربة للزواج تُلقب بألقاب مناسبة مثل زوجيا (*ZUGIA*) أي التي تربط الرجل والمرأة برباط الزواج ، وجاميليا (*GAMELIA*) أي راعية الزواج الشرعي المصحوب بالمراسم الدينية . وكان يوجد عند الأثينيين شهر مقدس لها يسمى جاميليون (*GAMELION*) أي (*شهر الزواج*) *ويقابل تقريباً يناير / كانون الثاني* ، وفيه كان يقام احتفال يسمى عيد الزواج المقدس (*HEIROS GAMOS= THEOGAMIA*) وكانت هيرا — على ما ذكرنا — راعية للنساء وحياتهنّ الجنسية وولادتهنّ . ولقد قيل أنها كانت ***ربة للقمر*** ، لكن الصحيح هو أنها اكتسبت بعض صفات ربات القمر لأن القمر — على ما يظن — له تأثير على دورة النساء الشهرية [1] .

ورأى الكاتب الإغريقي الرحالة (*باوسانياس*) في القرن الثاني للميلاد ، في أرجوس معبداً لهيرا ذات الزهور أي ربة الزهور (*HERA ANTHEIA*) ، وقيل عن الربة إنها كانت تهوى السوسن بوجه خاص ، *حيث يتألف الإكليل الذي يزين رأس هيرا من ازهار السوسن* . وكانت بعض الأزهار مقدسة للربة باعتبار أن هذه الأزهار تحتوي على خصائص طبية ذات أهمية خاصة للنساء إذ تنظم مجيء الدورة الشهرية أو تستعمل كعلاج العقم .

---

1 - كانت (*جونو*) عند الرومان تُلقب بلقب لوكينا (*LUCINA*) أي (*ربة النور*) لأنها كانت تساعد على أن يرى الأطفال نور الدنيا . ولعل ارتباط (*جونو*) بالولادة والنور ، هو ما جعل بعض القدماء والمحدثين يعتقدون بأنها كانت (*ربة القمر*) أو كان لها على الأقل صلة بالقمر .

لكن من الغريب أن هيرا ربة الزواج التي تساعد غيرها من النساء على الوضع لم تنجب هي نفسها من زيوس سوى إله أوليمبي واحد هو (أريس) (إله الحرب) ، وهو إله لا يقوم بدور كبير في الإلياذة ، بل كان إلها بغيضاً ومبغضاً حتى من أبويه . وأما (هيفايستوس) فقد أنجبته هيرا دون شريك ذكر أي دون معاونة زيوس، وكان إلهاً مشوّهاً ولد قبل موعد ولادته حيث تبرأت منه أمه وتبرأ هو منها .

وقد اشتهرت هيرا بعداوتها لطروادة والطرواديين، وبذلت قصارى جهدها لإلحاق الهزيمة بهم وتدمير مدينتهم . ولعل كراهيتها للطرواديين ترجع إلى قصة التفاحة الذهبية ، لأن باريس ابن برياموس ملك طروادة حكم أو قضى بأن تكون (التفاحة الذهبية) لأفروديتي دون أثينة وهيرا مثيراً بذلك على بلده وأهله غضب هيرا وحقدها الدفين .

ج ـــ هاديس (HADES) :

كان زيوس إله السماء والفضاء والضوء ، وكان أخوه **هاديس** [1] ، **إله العالم السفلي المظلم حيث كانت تذهب أرواح الموتى وفقا لتصور الإغريق** . واسم هاديس معناه غير المنظور أو الخفي الذي لا تراه العين . واسم هاديس هو اسم الإله نفسه ، وأما اسم عالم الموتى فيسمى (بيت هاديس) . وقلما كان هاديس يغادر مملكته الموحشة ليزور أهله في أوليمبوس ، ولا كان هناك من يدعوه إلى زيارته إذ كان ضيفاً ثقيلاً وزائراً غير مرغوب فيه وكان يُلقب بمضيف الأرواح الكثيرة (POIYDEGMON) . وكان الإغريق يشيرون إلى الموتى بكلمة (الراحلين) أو المباركين (MAKARITAI) . وقلما كان اسم هاديس يرد على الألسنة فهو نذير شر، فضلاً عن أنه لم يكن له دخل أو صلة بالأحياء اللهم عندما يتوسل الأحياء إليه من أجل أقاربهم الموتى ، ويتبين من وصف الأدباء والشعراء أنه كان إلهاً متجهم الوجه،

---

[1] ـ وهو عند الرومان بلوتون (PIOUTON) أو بلوتو (PLUTO) .

جامد القسمات ، صارماً لا يرحم . وكان عقابه شديدا على المجرمين ، وأنه يحكم مملكة الموتى بحزم بل بقبضة من حديد فلا يسمح لأحد بالخروج من مملكته بعد دخوله ولا بدخولها إلا لقلة قليلة من المصطفين . ولم تكن له تحت اسم هاديس عبادة في بلاد الإغريق إلا في إيليس وحدها .

وأما عن لقبه الآخر (**بلوتون**) أي (**الغني**) فهو مشتق من لفظ **بلوتوس** (PLOUTOS) الإغريقي بمعنى ثروة أو ثراء ، **وقد لقب كذلك لأنه ملك باطن الأرض** ، مصدر الثروة الزراعية ولا سيما القمح . **فكانت له وظيفتان كلتاهما كانت مرتبطة بالأخرى . فالإله (بلوتون) أو الثري خازن ثروة الأرض النباتية، وهو نفسه هاديس (إله الموتى) أو خازن أرواح الموتى** . وكانت زوجته هي ابنة (**ديميتر**) ربة القمح التي كانت تُعرف باسم (**كوري**) (KORE) أي الفتاة أو الصبية، وهذه الصفة كانت ترمز للحياة الشابة للزهور المتفتحة والثمار النابتة .

وكانت (**كوري**) بارعة الجمال ووحيدة أمها . وتذكر الأساطير قصة زواجها مع هاديس ، بأنها كانت تلعب يوماً ما مع الربتين أثينة وأرتميس اللتين كانتا عذراوين مثلها . كنّ يلعبنّ في أحد المروج النضرة قرب بلدة **إنا** (ENNA) [1] ، بوسط جزيرة صقلية ، وكنّ يقطفنّ الزهور : البنفسج والسوسن والزنبق والزعفران . وقد فتنت (**كوري**) بجمال السوسن واستهواها شذاه ، فابتعدت مسافة عن رفيقاتها وهمّت باقتطافه بكلتا يديها . وفجأة انشقت الأرض عن هاديس (**إله الموتى**) وهو راكب عربته التي تجرها جياد سوداء داكنة وحملها في عربته عنوة . وقد انفطر قلب **ديميتر** حزنا على ابنتها فهامت على وجهها تبحث عنها في كل مكان وغمرها حزن شديد ، وعمّ الأرض جدب جديد ، فلم تثمر ولم ينبت قمح أو زرع ، وتهدد الدنيا القحط والمجاعة . وبعد تسعة أيام أطلعها (**هيليوس**) إله الشمس على الحقيقة كاملة ملقيا التبعة على عاتق زيوس نفسه الذي تواطأ مع أخيه،

---

[1] - تسمى الآن كاسترو جاني (CASTRO JANNI).

وسمح له أن يتخذ من (كوري) زوجة لتشاركه عرش مملكة الموتى . وقد توسط زيوس في الأمر ، وأصرّت ديمتر على استرداد ابنتها ، وتم التوصل إلى حل وسط، وتم الاتفاق على أن تعيش (كوري) مع هاديس ثلثاً من السنة ، وتعيش الثلث الآخر — *وهو فصل نضوج القمح وإيناع الثمر* — مع أمها فوق سطح الأرض ، وأما بقية السنة فقد تُرك لها أمر التصرف فيها حسبما تهوى . ولم تعد (كوري) عذراء كأرتميس وأثينة، ولم تنجب من هاديس أبداً، فظل زواجهما عقيماً كالموت نفسه .

د — ديمتر *(DEMETER)* :

هي إلهة قديمة من أعظم الإلهات ، كانت عبادتها موجودة في بلاد الإغريق منذ زمن بعيد أي قبل قدوم الآخيين[1] . ولعل اسمها أصلاً كان ديو *(DEO)* ثم أضاف إليه الإغريق لفظ ميتر *(METER)* أي الأم . وأما معنى (*ديو*) فهو موضع خلاف بين علماء اللغة، فيقول بعضهم إنه بمعنى (*الأرض*) وإن اسم الربة بذلك يكون (*أم الأرض*) أو (*ربة الأرض*) . والبعض الآخر يقول إن معناه (*القمح*) ، ويرى فريق ثالث أن معناه (*الشعير*) . وأياً كان التفسير فإن عبادة ديمتر كانت قديمة في بلدة إليوسيس *(ELEUSIS)* بإقليم أتيكة التي لا تبعد عن أثينة بأكثر من ١٢ ميلاً، وترجع جذور عبادتها أصلاً إلى جزيرة كريت .

كانت ديمتر ربة ثمار الأرض ، *ولاسيما ربة القمح دون المحاصيل الزراعية الأخرى*، وكربة للأرض والقمح فقد ارتبطت بباطن الأرض . ومن هذا الارتباط نشأ في إليوسيس الاعتقاد بأن ديمتر كانت إلهة لا تعطي فقط الخصب للأرض ، بل تهب الخلود للروح الإنسانية . لقد منحت ديمتر الناس شيئين : *أولهما* معرفة الزراعة التي لولاها ما قامت الحضارة ، *وثانيهما* الأمل في حياة أفضل بعد الموت : ويتحقق الثاني بالاشتراك في طقوس عبادتها السرية في إليوسيس *(MYSTERIA)* . *وكان ذلك*

---

1 - وهي عند الرومان كيريس *(CERES)* بمعنى غلال أو حبوب .

يمثل خطوة رئيسية في طريق تطور الفكر الديني ولاسيما فيما يتصل بوجود حياة أخرى بعد الموت أي بفكرة البعث وجزاء الأطهار الأخيار وعقاب المجرمين الأشرار ، وتدل هذه الخطوة على أنها كانت تتضمن منذ البداية الحث على الاستقامة في الحياة الدنيا .

وكان من أشهر أعياد ديميتر وأوسعها انتشاراً عيد ثيسموفوريا (*THESMOPHORIA*) أي عيد الربة (*جالبة الكنوز*) . ففي أثينة كانت النساء يحتفلن به في شهر بيانوبسيون (*نوفمبر / تشرين الثاني*) لمدة ثلاثة أيام (١١ — ١٣) وكان يشتمل على طائفة من الشعائر معظمها سحري ، وتقوم به النساء من أجل خصب الأرض . وتُرسم ديميتر في الفن مرتدية ثوباً كاملاً وقوراً، وتزين رأسها بإكليل من سنابل القمح ، وتمسك في يدها بصولجان من سنابل الحنطة ، وكذلك بشعلة وسلة وكلتاهما من الأدوات التي كانت تستعمل في الاحتفال الكبير بالشعائر السرية الإليوسية .

هـ — بوسيدون (POSEIDON) :

كان بوسيدون إله البحر[1] ، وحسب اعتقاد أغلب الباحثين أنه هيللييني الأصل ، ومعنى اسمه (*زوج الأرض*) (*POSIS DAS*)[2] ، وذلك بوصفه إلهاً للماء ، والماء هو مخصّب الأرض . وكان شعاره حربة الصيد ذات الأشواك الثلاثة (*TRIDENS*) . وكان من يُغضب هذا الإله يقع عندما يكون في البحر تحت رحمته فيذيقه صنوف العذاب مثلما تبين لأوديسيوس الذي ناصبه بوسيدون العداء لأنه قتل

---

1 – وهو عند الرومان نبتونوس (*NEPTUNUS*) .

2 – وهذا هو تفسير العلامة والمؤرخ الإلماني فيلامسوفيتز (*WILAMPWITZ*) ويُعد أقرب التفاسير إلى العقل .

ابنه الوحش (*بوليفيموس*) . وكان كل ملاح وكل صياد يبذل قصارى جهده لاسترضاء هذا الإله وملاطفته ، ويقدم له القربان المناسب بمجرد عودته سالماً من رحلته . ***هذا هو الاختصاص الأول والرئيسي لبوسيدون . أما الاختصاص الثاني فهو محرك الزلازل*** (ENNOSIGAIOS) ***أو مزلزل الأرض ، فالزلازل من صنعه . والاختصاص الثالث أنه كان إله الخيل*** (HIPPIOS) ***وكان قديما في هيئة الحصان نفسه*** . وبهذه الهيئة كان بوسيدون يُعبد في أنحاء كثيرة من بلاد الإغريق ، ولا سيما في أركاديا حيث نشأت أسطورة معاشرته وهو في شكل حصان لديميتر عندما كانت تطوف بالبلاد باحثة عن ابنتها (*كوري*) . ومن هذه القصة اكتسب بوسيدون لقب هيبيوس أي (*رب الخيول*) ، ولهذا السبب كان تمثال ديميتر في أركاديا يُصنع في شكل امرأة لها رأس الحصان .

ولم يكن بوسيدون إلها للبحر الملح فقط ، ***بل إلها للماء العذب أيضاً***، ويعزى تفجر كثير من الينابيع إلى ضربات من حربته المثلثة الأشواك ، وأشهرها الضربة التي فجرت الينبوع في صخرة الأكروبول الذي قيل عنه أنه تدفق تحت وطأة حافره . إذن كان بوسيدون محتضناً الأرض أو زوجاً للأرض ، لأنه كان يعيش في الأرض، ومن الأرض كان يفجر ينابيع وأنهاراً لتخصيب الأرض .

لقد اقترن بوسيدون ***بأمفيتريتي*** (AMPHITRITE) وهي زوجته الشرعية التي أصبح بزواجه منها سيد البحر . كانت أمفيتريتي تُعد سيدة البحر وتملك زمام أمواجه وتسيطر على وحوشه. وقد روي أن بوسيدون أبصر بها وهي ترقص مع عرائس البحر من بنات نيريوس في جزيرة ناكسوس فاغتصبها عنوة [1] ، ولم تلبث

---

[1] – أحب نيريوس من دوريس خمسين عروساً من عرائس البحر كنّ يعشن معه في أعماق اليم . ومن بينهنّ كانت (ثيتس) (*THETIS*) التي أرغمت على الزواج من *بيليوس* (*PELEUS*) ، ولم ترضخ له إلا بعد أن اصطرعت معه وغلبها على أمرها ، ***وقد أنجبت منه أخيللوس بطل الإلياذة.***

أمفيتريتي أن فرت منه إلى الطرف الأقصى من غرب البحر . وقد تعقب بوسيدون أثرها طويلاً ، وأخيراً دلته الحيتان على مكان اختفائها . وفي الحق أن حوتاً هو الذي قادها إلى فراشه . وقد كوفئ الحوت بأن رُفع إلى السماء ليحتل مكانه بين الكواكب فأصبح (*برج الحوت*) .

ومع أن بوسيدون شاد لنفسه قصراً فاخراً في أغوار اليمّ ، إلا أنه كان غالباً ما كان يقيم كأخوته من الآلهة على قمة جبل أوليمبوس . وبإذنه كانت تهب العواصف وبإذنه كانت تسكن . وكان مزواجاً كأخيه زيوس له عدة عشيقات . فقد تزوج كثيرات من (*عرائس البحر*) (*NEREIDES*) و(*حوريات الينابيع*) (*NAIADES*) و (*الجنيّات*) (*NYMPHAE*) ولم يكن من بينهم أبطال فحسب ، بل كان منهم مخلوقات متوحشة قهرها الأبطال . ولنضرب مثلاً بواحد منهم وهو الكيكلوبس *بوليفيموس* (*POLYPHEMUS*) ابن بوسيدون [1] ، الذي سمل أوديسيوس (*بطل ملحمة الأوديسة*) عينه الوحيدة المستديرة مثيراً بذلك غضب بوسيدون عليه وانتقامه منه ، فوضع العراقيل في وجهه أثناء عودته بحراً (*بعد الحرب الطروادية*) إلى وطنه (*إيثاكا*) . وحسبنا أن نتكلم هنا عن أبناء بوسيدون من أمفيتريتي أو عن اثنين من أكثرهم شهرة وهما (*تريتون*) (*TRITON*) الإله الرهيب وكان مخلوقاً نصفه إنسان ونصفه الآخر سمكة أو حوت ، والربة (رودوس) ابنة بوسيدون التي سميت باسمها جزيرة (رودوس) المعروفة .

---

[1] - *الكيكلوبس* (*CYCLOPES*) هم مخلوقات كان لكل منهم — كما يتبين من اسمهم — عين واحدة مستديرة في وسط جبهته . وعددهم ثلاثة ، وكانوا وفقا لهوميروس وحوشا يعيشون في المراعي النائية حيث لا حكومة ولا قانون . ولكنهم كانوا وفقا لهسيودوس صنّاعا مهرة في صناعة الصواعق وأسماؤهم على التوالي : *الراعد* ، *والبارق* ، *والمضيء* . وكثيرا ما كانوا يشتركون في بناء تحصينات المدن .

(ومن أشهر القصص الرائجة عن بوسيدون ، قصة الحصان الأول الذي خلقه عندما تنازع مع الربة أثينة على سيادة أتيكة والوصاية على مدينة أثينة . وقد اتفق حسماً للنزاع بين الإلهين على أن يظفر بالسيادة من يقدم للمدينة هدية أقيم من منافسه ، وضرب بوسيدون الصخر بحربته المثلثة الأسنان ، فتفجرت منها عين ماء ملح أجاج . لكن الرواية الأصح تقول إنه انبثق منها الحصان ، وهو حيوان نافع . وتقدمت أثينة فضربت الأرض بقدميها فأنبتت شجرة الزيتون لأول مرة . والزيتون نبات أنفع للإغريق من الحصان ، ولذلك صدر الحكم في صفها وآلت إليها السيادة على المدينة التي تشتق اسمها من اسم هذه الربة) ، فهو في نفسه في حالة الجمع (ATHENAI) أو كما يرى بعض علماء اللغة الآن أنه حالة ظرف المكان المطابقة في شكلها لحالة الجمع .

و ــ هستيا (HESTIA) :

هي أخت زيوس ، ولعلها كانت أخته الكبرى مثل أثينة وأرتميس ربة عذراء، ورفضت كل عروض الزواج التي تقدم بها الآلهة والبشر ، وأقسمت برأس زيوس أن تظل عذراء إلى الأبد . ولهذا السبب استجاب زيوس إلى رغبتها في أن تكون الذبيحة الأولى من نصيبها في أي حفل عام للقرابين ، وأن تحتل في أي منزلة مكانه الأوسط . وبذلك أصبحت هستيا[1] ــ كما يتبين من اسمها ــ ربة الموقد ، رمز الحياة العائلية ، وما يسودها من تضامن وسلام وهناء . لقد كان إضرام النار في العصور القديمة (كما رأينا سابقاً) عملية شاقة تستغرق وقتاً طويلاً ، ولذلك أصبح إبقاؤها مشتعلة أمراً مرغوباً فيه . لقد كانت النار ترادف الحياة تقريباً . كان استمرارها يرمز إلى استمرار الحياة في الأسرة والدولة . ومن ثم أصبحت عبادة الموقد الجماعي أو الموقد المقدس عامة .

---

1 ــ هي عند الرومان فستا (VESTA) .

وكانت هستيا تبسط حمايتها على من يستجيرون بالموقد المقدس سواء في منزل خاص أم في مكان عام . وحول موقد المنزل كان يطاف بالمولود الجديد في اليوم الخامس من ولادته ، وهو يوم الاحتفال بتسميته حتى يُعترف به عضواً في بطن (*PHRATRIA*) القبيلة التي تنتمي إليها الأسرة . وفضلا عن ذلك فإن كل وجبة من وجبات الطعام كانت تبدأ بتقديم القرابين لها . وكان اسمها أول ما يذكر عند الصلاة وأول ما ينطق به غالبا عند القسم . وكما كان في كل بيت موقد لهستيا ، كان لكل مدينة موقد عام موقوف على الربة في قاعة البريتانيوم (*PRYTANEUM*) ، وهي بمنزلة دار الرئاسة (*أو دار البلدية*) حيث كان يُستقبل الضيوف والأجانب . وكذلك الأمر كان لها موقد في معظم قاعات مجلس الشورى (*BOULE*) . وكثيراً ما نوديت باسم بوليا (*BOULAIA*) أي المشيرة وصاحبة الرأي السديد . وكان المهاجرون عند تأسيس أي مستعمرة إغريقية (*APOIKIA*) يحملون معهم قطعاً من فحم موقد المدينة الأم (*METROPOLIS*) لكي يشعلوا به نار موقد المستعمرة الجديدة . ولقد روي أن كومة الفحم المتخلف تحولت في دلفي إلى صخرة مقدسة اشتهرت باسم (*أومفالوس*) أي (*السرة*) ، وهي التي توهم الإغريق أنها مركز العالم وكثيراً ما تشاهد في زخارف المزهريات الخزفية [1] .

---

1 - كانت *الأومفالوس* (*OMPHALOS*) أي السرّة اسما يطلق على الصخور أو الأحجار التي في شكل السرّة . ومثل هذه الأحجار كانت مقدسة ومرتبطة بالعبادات في الديانات البدائية بمنطقة البحر الإيجي . وكان أشهر حجر في شكل السرّة هو الموجود في قدس أقداس (*ADYTON*) معبد أبوللون في دلفي . وكان مقدسا منذ أقدم العصور ، ثم أصبح فيما بعد مركزا لعبادة أبوللون وموضع نبوءته الشهيرة . ويُرسم أبوللون في الفن الإغريقي جالسا فوق هذا الحجر . وكان كل مكان في موضع مركزي يسمى (*أومفالوس*) أي (*سرّة المنطقة*) . هكذا ساد الاعتقاد بأن حجر معبد دلفي ، القائم في وسطه ، هو علامة تميز مركز الأرض . وثمة أسطورة طريفة لتعليل ذلك تقول : أراد زيوس يوما ما أن يعرف مركز الأرض، فأطلق في الجو نسرين متعادلين في السرعة في نفس اللحظة، أحدهما من الطرف الشرقي للدنيا ، والآخر من طرفها الغربي . فالتقى النسران عند دلفي . وقد أدى ذلك إلى وضع تمثالين

٢ ـــ زيوس وأبناؤه :

أ ـــ هيفايستوس (HEPHAESTUS) :

كان هيفايستوس في الأصل إلهاً آسيوياً لنار البراكين ، وبعدئذ أصبح إلـه النار ولاسيما نار الحدادة ، وأخيراً إلهاً للحدادة[1] . ويوصف عند هوميروس بأنه ابن زيوس وهيرا ، وعند هسيودوس بأنه ابن هيرا التي أنجبته وحدها بمعجزة انتقاماً من زيوس الذي أنجب أثينة من رأسه . وقد ولد هيفايستوس قبل أوانه أي قبل مدة اكتمال مدة الحمل الطبيعية ، فجاء إلى الدنيا بعاهة العرج لا في قدم واحدة بل في قدمين ، إذ كانت كل منهما معكوسة ، أصابعها في الخلف وعقبها في الأمام. ويظهر هذا التشويه واضحاً في رسوم الأواني الفخارية الإغريقية .

ويظهر هيفايستوس في أشعار هوميروس محاطاً بكل مظاهر الإجلال والتوقير. ومن البديهي أن عاهته كانت تجعله دائما ثقيل الحركة وتمنعه من مزاولة مهنته كالزراعة أو القنص أو الزج بنفسه في القتال ، فكان من الأوفق أن يزاول حرفة كالحدادة لا تستلزم التنقل ، مستغلاً قوة ساعديه . وعقب ولادته أحضرته هيرا مشوّهاً إلى جزيرة ناكسوس حيث عهدت به إلى بعض الكيكلوبيس لتربيته وتعليمه حرفة الحدادة . ولذلك كان هيفايستوس هو الذي يصنع مختلف الأدوات والمساكن والأثاث والأسلحة والدروع للأبطال والآلهة ، وكان من أشهر ما صنعه درع أخيللوس بطل الإغريق في حرب طروادة .

وكان هيفايستوس إلهاً خيّراً داعياً للسلام محبوباً في الأرض والسماء. وكان كالربة أثينة، يقوم بدور مهمّ في حياة مدينة أثينة. فكلاهما كان راعياً للصناعة التي تعتبر هي والزراعة دعامة الحضارة. وقد قام هو برعاية صناعة المعادن والأواني الفخارية،

لمسرين من الذهب بجانب الأومفالوس فيهما فيلوميلوس ، القائد الأعلى لقوات فوكيس في (الحرب المقدسة الثالثة) عام ٣٥٦ق.م.

[1] – هو عند الرومان فولكانوس (VULCANUS) .

بينما قامت هي برعاية صناعة النسيج بوجه خاص، وفضلاً عن ذلك، كان هو الإله المشرف على الاحتفالات الخاصة بإدماج الشباب في هيئة مواطني المدينة.

ب ــ أثينة *(ATHENE)* :

كانت الإلهة أثينة في الأصل ربة مينوية وبعدئذ ربة ميكينية[1]، وسميت بهذا الاسم تيمناً بهضبة أو صخرة الأكروبول *(ACROPOLIS)* لأن الربة في الأصل هي الصخرة، *أي كانت ربة من ربات الجبال على نمط أمهات الجبال المألوفات في الأناضول*. ووصفت أثينة *(بالعذراء)* *(PARTHENOS)*، *ولكن هذا الوصف لا ينطبق عليه كالوصف الحديث بمفهومنا الآن، وإنما وصف (العذراء) كان يعني البكارة المتجددة ونضارة الشباب والقدرة التي لا تنضب على الحمل والإنجاب*[2]. وبوصفها ربة من ربات الجبال وربة صخرة الأكروبول، فإنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل ما ينبت في الصخرة من نبات وما يسكن من حيوان، ومن ثم أصبح هذان الصنوان *(الحيوان والنبات)* موضع تقديس بوصفه آية من آيات الربة نفسها. وذلك يفسر اقتران أثينة بالزيتون والثعبان والبومة، وكلها من سكان الأكروبول وجحوره. فلذلك فإن مثل هذا الالتحام الوثيق بين تاريخ الربة أثينة وتاريخ مدينتها الحبيبة أثينة، *هو الذي جعل اسم الربة أثينة تُسمى باسم المكان بدلاً من تسمية المكان باسمها*.

ومن ألقاب أثينة الشائعة *(وكما ذكرنا سابقاً)* لقب *بلاس* *(PALLAS)* ومعناه *(فتاة)* أو *(شابة)* وشابة قوية. *ومن هنا يُرجح الاحتمال بأنها كانت ربة حرب ذات صفات عسكرية*، وتحولها إلى ربة عذراء في العصر الكلاسيكي تنفر من الحب وتعزف عن الزواج.

---

1 ــ هي عند الرومان *مينرفا* *(MINERVA)*.

2 ــ انظر: *سبتينو موسكاتي*، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، ص ١٢٨، حيث يقول: *أن عنت وعشتروت كانتا إلهتين تجمعان بين صفتي البكارة والأمومة*.

وكان أشهر معبد لها بأثينة في مكان قصر قديم يرجع إلى العصر الميكيني ويُعرف في الإلياذة باسم بيت إريختيوس (ERECHTHEUS) [1] . وغالباً ما تظهر صورتها على العملة الأثينية حيث كانت من ضمن أهم آلهة جبل أوليمبوس وهو ثلاثة : *زيوس وأثينة وأبوللون* .

وهناك قصة غريبة عن مولدها إذ تقول : *إن زيوس اشتهى ميتس (METIS) وهي ربة بدائية من (الجبابرة) اشتهرت بالحكمة ، وهي ابنة أورانوس إله السماء وجايا إلهة الأرض ، غير أنها تنكرت في صور مختلفة حتى تتهرب منه ، لكنه تمكن منها في آخر الأمر وحملت منه ، وأعلنت نبوءة الأرض أن (ميتس) ستلد ذكراً ليطيح بعرش أبيه مثلما أطاح زيوس بكرونوس وأطاح كرونوس بأورانوس . واحتاط زيوس للأمر ، فأخذ يغوي ميتس بكلام معسول حتى استكانت له، وبغتة فغر فاه وابتلعها، هكذا كانت نهاية ميتس . ونسي كبير الآلهة الحادث ومضت أيام وشهور، وبغتة أصابه صداع شديد بينما كان يسير على شواطىء بحيرة تريتون (TRITON) حتى أحس بأن رأسه على وشك أن ينفجر ، فأخذ يعوي*

---

[1] – هناك أسطورة إغريقية تتحدث عن سبب تسمية الإلياذة لهذا المعبد (*بيت إريختيوس*) حيث تقول : إن الإله هيفايستوس الأعرج ، رغب في الزواج من الإلهة (*أثينة*) بدعوى أنه كان له فضل كبير في ميلادها ، أو في مقابل أسلحة صنعها لها في الحرب الطروادية ، لكن أثينة رفضت الزواج منه وامتنعت عليه ، فانقض عليها يريد اغتصابها ، وثار بينهما صراع ونزاع عنيف ، سقط خلاله لقاح الإله على ساقها، فنفضته عنها في اشمئزاز بقطعة من الصوف ، فسقط على الأرض ، فأنبتت الأرض طفلا نبذته (*ربة الأرض*) ، فاحتضنته أثينة وتكفلت به، وأسمته (*إريختيوس*) الذي يصفه هوميروس بأن ابن (*ربة الأرض*) . ولما شب الطفل عن الطوق وصار شابا يافعا ، ارتقى عرش المدينة في أثينة وأدخل عبادتها ، وعلّم مواطني المدينة استعمال الفضة ، وابتكر العجلة الحربية ذات الجياد الأربعة . ولهذا قبل أن صورته ظهرت في السماء بين الكواكب باسم *أوريجا* (*AURIGA*) أي (*السائق*) .

كالجنون عواءً مدوياً ترددت صداه في كل الأرجاء ، وهرع إليه هرمس الذي أدرك من فوره سبب آلمه وشكايته ، وحدّث أخاه هيفايستوس بالأمر وأقنعه بتخليص أبيهما من عذابه . وعندئذ هوى هيفايستوس بفأسه على رأس زيوس وشجها فانبثقت منها أثينة ، وقد خرجت الربة منها وهي مدججة بالدرع تصيح صيحة الحرب التي ارتجت لها الأرض والسماء ، وارتاع منها الآلهة أنفسهم ، وزلزل جبل أوليمبوس ، وهاج البحر وماج .

وقد أصبحت أثينة بعد مولدها العجيب، أحب الأبناء إلى قلب أبيها، حتى أنه كان يعهد إليها أحياناً بحمل درعه المخيف وترسه الرهيب وصاعقته المهلكة ، وكانت أثينة زعيمة الربّات الثلاث اللائي لم يتزوجنّ أبداً، حتى إنها لقبت بالفتاة العذراء ، وعُرف معبدها في أثينة بالبارثنون (PARTHENON) أي (معبد العذراء) ووصفت أيضاً بالأم (METER) فإن هذا ربما لا يعني سوى أن الأمهات كنّ يتعبدنّ لها مثلما كانت هيرا زوجة زيوس ، أو لعله أنها كانت في الأصل، أي في الفترة قبل التاريخية ربة أماً، وهذا هو الأرجح ، ولكن الأثينيون طمسوا هذه الحقيقة لأنهم جعلوا من عذرية أثينة رمزاً لاستحالة قهر مدينتهم . لذلك كانت أثينة (ربة دولة المدينة) (POLIAS) وربة أثينة خاصةً، على أنه من الخطأ الاعتقاد بأن أثينة وحدها كانت مدينتها المقدسة، فقد كانت أرجوس وإسبارطة وطروادة نفسها مدناً مقدسة لدى هذه الربة .

إلا أن أبرز اختصاصات أثينة كان في ميدان القتال ، ومن ثم فقد اعتبرت أحياناً مبتكرة لبعض معدات القتال كالعجلة الحربية وبوق الحرب واللجام الذي روّض الإنسان به وكبح جماحها . ولما كانت أثينة ربة لمدينة أحرزت تقدما ملحوظا في الصناعة ، فقد أصبحت أيضاً راعية للحرف والصناعات ، ولاسيما صناعة الغزل والنسيج والخزف والأشغال المنزلية النسوية عامة . لا عجب إذن

أن لقبت أثينة *براعية المهن الصناعية* (ERGANE) وتداخلت اختصاصاتها إلى حد ما واختصاصات هيفايستوس ، الأمر الذي يفسر ارتباطها به في الأساطير . وكان من الطبيعي أن تتطور أثينة بوصفها راعية الحرف الفنية ، إلى *ربة الحكمة* (SOPHIA) في الأجيال التالية . كذلك ارتبطت أثينة *بربة النصر* (NIKE) ذات الجناحين — *وهي فكتوريا* (VICTORIA) *عند الرومان* — وما تزال أطلال معبد هذه الربة قائمة فوق الأكروبول مثلما لا تزال موجودة على أفريز (*البارثنون*) صورة مولد أثينة العجيب .

ج — أريس (ARES) :

كان أريس إله الحرب عند الإغريق [1] . وهو الإله الأوليمي الوحيد الذي أنجبه زيوس من زوجته الشرعية هيرا . ويحدثنا هوميروس بأن أبويه كانا يمقتانه ، ويصوّره إلهاً بغيضاً في الإلياذة ، لأنه كان إلهاً قاسياً متحجر القلب لا يرحم ، ويندد به فيصفه بالقاتل الملطخ بالدماء ، وأنه لعنة على البشر (ARA) وبالإله الجبان الذي يصرخ من الألم عندما يصاب بجراح . ولم يكن أريس على — *مستوى ناظره إله الحرب مارس* (MARS) *عند الرومان* — الذي كان له شأن كبير ومكانة سامية في الديانة الرومانية ، وإلها مهيبا لامع الدرع برّاق السلاح لا يقهر . أما أريس فلم يكن بالإله المحارب الذي يقود قومه — *مثل مارس* — للمعركة بل كان مجرد تأليه للروح العسكرية في عصر البطولة ، وليس هناك ما يدل على أنه كان معبوداً عند الإغريق الأوائل ، ولم يكن كمثيله مارس يتمتع بشعبية محبوبة ، بل إنه لم يكسن ذا أهمية إلا في طيبة .

---

1 — هو عند الرومان *مارس* (MARS) .

ويعتقد بعض العلماء ، أن أريس تراقي الأصل ، و لم تتطور عبادته أبداً لتصبح على مستوى عبادة زيوس وأبوللون . ***فهو لا يظهر في الأساطير إلا كمحرّض على القتال ، ميالاً للعنف ، متقلباً لا يعنيه من يكسب الحرب ومن يخسرها ، إنما كان يعنيه فقط استمرار القتال وسقوط القتلى*** (***كما كان في الحرب الطروادية***) فكان تارة يقاتل بجانب الطرواديين ، لأنه كان من عشّاق أفروديتي ، وتارة أخرى يقاتل بجانب الإغريق إذ كان ابنا لهيرا من زيوس . فقد كان مندفعاً أهوج، محارباً أرعن سيئ التدبير والخطط . ومعظم أبنائه كانوا مثله على قدر كبير من الشراسة والعنف واشتهروا بالشر والإغارة على أملاك الغير أو قطع الطرق على المسافرين . وتذكر الأساطير ، بأن أريس هام حباً بأفروديتي التي بادلته الحب نفسه ، وأنجب منها (***هرمونيا***) زوجة كادموس الصوري الأصل ، ومؤسس طيبة .

د ــ أفروديتي (APHRODITE) :

كانت ***أفروديتي*** [1] (***وفقاً لرواية هوميروس***) ابنة زيوس من ديوني (***DIONE***) [2] . وهي عشيقة له أو زوجة سابقة على هيرا . أما أفروديتي (***وفقاً لرواية هسيودوس***) تقول إنها انبثقت من زبد البحر الذي اختلط به عضو ذكورة أورانوس إله السماء ، عندما مزّقه أبناؤه إرباً للتخلص منه [3] . حدث ذلك قرب

---

1 – هي عند الرومان *فينوس* (***VENUS***) .

2 – اسم (*ديوني*) هو في الواقع مؤنث زيوس ومعناه (ربة السماء) .

3 – وبصورة أوضح تقول الأسطورة : أن أورانوس (رب السماء) كان يجيء زوجته (جايا) (ربة الأرض) في كل مساء ويسترخي بجوارها . وكان يكره أبناؤها الذين أنجبهم منها خوفا على عرشه منهم ، فكان يبادر إلى إخفائهم بعد ولادتهم مباشرة ويقذف بهم في جوف الأرض . أما (جايا) فكان يحزنها مثل هذا الوضع وتبرّمت من (أورانوس) وغضبت عليه ، فدبرت مكيدة له ، وأحضرت منجلا من حديد ، ودعت أبناؤها الجبابرة وفي مقدمتهم (كرونوس) الذي كان أصغرهم سنا وأخته (ريا) وناشدتهم في الانتقام من أبيهم وتخليصها من شروره ، وأرى كرونوس استعداده للكيد بأبيه والتربص به في كمين . وعندما جاء

(*كيثيرا*) جنوب البلوبونيز، حيث خرجت أفروديتي من البحر عارية ناضحة الأنوثة فاتنة الجمال . لكنها لم تلبث أن رحلت إلى قبرص حيث شيّد لها في مدينة بافوس (*PAPHOS*) أقدم معبد في كل العالم الإغريقي . أما الحقيقة فإن كلتا الروايتين غير صحيحة . لأن أفروديتي تتبع عبادتها من *أصل شرقي* وإنما تمثل الربة (*عشتر*) ربة البابليين والأشوريين ، والتي عُرفت (*بعشتروت*) عند الكنعانيين، وشهدت كل من صور وصيدا عبادتها ، وأقيمت لها المعابد أيضاً في قبرص . ويرد اسمها في العهد القديم مفرداً (*عشترت*) وبحالة الجمع (*عشتروت*) [1] . وعلى ذلك فإن اسم أفروديتي ما هو إلا تحريف إغريقي للاسم السامي (*عشتروت*) . وكان (*عشتر*) أو (*عشتروت*) عند شعوب الشرق القديم هي ربة الخصب (*خصب الأرض وخصب المرأة*) وبالتالي (*ربة الحب والجمال*) ، إذ كانت ترمز للدورة الطبيعية في حياة النبات وخصوبة الأرض ، وترمز لاستمرار الحياة عن طريق التناسل .

ولما كانت قبرص هي أقرب جزء في العالم الإغريقي إلى الساحل الفينيقي ، فقد اقتبس الإغريق اسم (*عشتروت*) من الشرقيين وحرّفوه فصار (*أفروديتي*) التي

(أورانوس) مشتاقاً إلى (جايا) والاستلقاء معها ، وعندما أرخى الليل سدوله ، انقض (كرونوس) من مخبئه بالمنجل وخصا أباه فاذفا بعضو ذكورته (*PHALLUS*) إلى مسافة بعيدة . وتسرب الدم الذي نزف من (أورانوس) إلى رحم جايا (ربة الأرض) ، فأنبتت (ربات الانتقام) وكذلك (العمالقة أو العماليق) . وأما عضو تناسل الذي سقط في البحر حيث اختلط به زبد الموج (APHROS) الذي انبثقت منه أفروديتي (ربة الخصب والحب والجمال) فلقبت باسم (البمارزة من الأمواج) (ANADYOMENE) وأعقب كرونوس حكم أبيه أورانوس وتربع على عرش الكون .

[1] – انظر : العهد القديم ، سفر ملوك أول ١١ ، ٥ : سفر القضاة ١٠ ، ٦ إذ شهدت عبادة (عشترت) انتشاراً هاماً في أرض كنعان ، وتغلبت على عبادة يهوة وتسربت إلى قلب سليمان ، مما أغضب يهوة ودعا إلى تمزيق مملكة سليمان والابتعاد عن عبادتها . انظر : سفر القضاة ٢ : ١٣ ، ١٠ : ٦ وسفر صموئيل الأول ١٢ : ١٠ ، سفر ملوك أول ١١ :٣٣ ثم سفر ملوك ثان ٢٣ : ١٣ .

اشتهرت عند الإغريق باسم (*القبرصية*) . وللدليل على أصل أفروديتي الشرقي ، فإن الكتاب الإغريق (*كهيرودوت وباوسنياس*) كانوا يدأبون على الإشارة باستمرار إلى أصل أفروديتي الشرقي حيث يقول هيرودوت (*بأن ديانة أفروديتي بلغت الفرس عن طريق الأشوريين والعرب : وهي عند الأشوريين ميليتا ، واللات عند العرب ، وميترا عند الفرس*)[1] .

وتظهر أفروديتي في أساطير الإغريق *كإلهة للخصب والنبات والحب والجمال*، وهذه هي نفس خصائص عشتروت ، إلهة الساميين ، وانتشرت عبادتها خاصةً في جزيرة قبرص وكيثيرا — حيث ولدت — وفي كورنثة . فقد أصبحت في بعض المدن كأثينة وطيبة وميجالوبوليس (*ربة الشعب كله*) (*PANDEMOS*) بجميع طبقاته . وكان ذلك يمثل في الواقع أقصى ما أصابته عبادتها من نجاح سياسي ولاسيما في أثينة .

ومن عجب الإغريق أنهم زوجوا أفروديتي من هيفايستوس ، ابن هيرا وحدها، القميء الأعرج ، إله النار والحدادة ، بينما هي ربة الحب والجمال ، وقد اتخذت لها عدة عشّاق من آلهة خالدين وبشر . وكان العشيق الذي ارتبطت به أكثر من غيره هو (*أريس*) (*إله الحرب والدمار*) وارتبطت بإله آخر هو *هرميس* رسول الآلهة ومرشد أرواح الموتى إلى (*العالم السفلي*) . أما من البشر فقد وقعت أفروديتي في حب (*أدونيس*) وراجت قصة عشقها لهذا الفتى في أقطار الشرق كله بما في ذلك قبرص ، وأنخيسيس (*ANCHISES*) وهو أمير طروادي حيث مرق حبه في قلبها مروق السهم .

---

[1] – انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٩٤ .

وقد تفنن المثّالون الإغريق والرومان في تصوير أفروديتي عارية أو متـــدثرة ، وكان أبدع تمثال لها عرفه العالم ، تمثالها الذي نحته النحات الشـــهير براكســـيتلس (*PRAXITELES*) في منتصف القرن الرابع ق.م . وكان الناس يأتون من كل مكان إلى مدينة كنيدوس (*CNIDUS*) في آسية الصغرى للتمتع بمشاهدة هذا التمثال الذي تظهر فيه الربة وهي تضع ثيابها بعد أن تجردت منها فوق جرّة الماء قبل الاستحمام . وكان هذا التمثال هو النموذج الذي صُنعت على غراره كثير من تماثيل أفروديتي في العصر الهيلينستي والروماني . ولعل أشهر هذه التماثيل هو ما كشف عنه في جزيرة ميلوس (*MELOS*) بالبحر الإيجي ويُعرف الآن باسم (*فينوس ميلوس*) .

هـــ أبوللون (*APOLLON*) :

كان *أبوللون* أكثر آلهة أوليمبوس تجسيداً للروح الهيلينية [1] . وكان يقـــوم بدور بارز في السياسة الهيلينية الدولية ، فهو لم يكن في الأصل إلهاً إغريقياً، بل كان إلهاً أجنبياً. إذ هناك إجماع من العلماء على أن أبوللون إله أجنبي وفد من الخارج إلى بلاد الإغريق . وتتضارب الآراء حول موطنه الأصلي ، ويمكن إجمال هذه الآراء في رأيين رئيسيين أحدهما يقول : *إن أبوللون جاء من الشمال ، والثاني أنه جاء أصلاً من آسية الصغرى (الأناضول) . ويتزعم العلامة السويدي الكبير نيلسون (M . P . NILSSON) الرأي الأخير* [2] ، والذي يُعد من أقوى الآراء اتجاهـــاً والقائلـــة إن أبوللون أتي إلى بلاد الإغريق من آسية الصغرى، ويسرد كثيراً من الأدلة التي تعـــزز رأيه في أن أبوللون *شرقي الأصل* . ومن أوضح هذه الأدلة الـــتي يســـتند إليهـــا (*نيلسون*) ، في أن هذا الإله يرتبط برقم سبعة إذ ولد في اليوم الســـابع ، وكانـــت

---

1 – هو عند الرومان أبوللو (APOLLO) .

2- W . K . C . GUTHRIE , THE GREEKS AND THEIR GODS (BOSTON) 1951 . PP. 73 _ 183 .

أعياده تقام عادة في هذا اليوم ، ورقم سبعة رقم مقدس عند البابليين كما يتبين من التقويم البابلي وهو يوم السبت . ولا يستبعد نيلسون أن تكون عبادة أبوللون قد نشأت أصلاً في بابل ثم انتشرت من هناك إلى آسية الصغرى فبلاد الإغريق . ونلتقي في الإلياذة بكثير من الإشارات التي تشير إلى أصل أبوللون الأناضولي ، إذ أن أعياده الدينية كانت قليلة نسبياً في بلاد الإغريق ذاتها ، بينما كانت أعياده كثيرة في الجزر وساحل آسية الصغرى حيث كانت توجد معابده الكبرى في مدن ***باتارا (في ليكيا)، وديديما (في كاريا) وكلاروس (في أيونية)*** [1] . وجميع هذه المدن تقع على ساحل آسية الصغرى الغربي (***الإغريقي الحضارة***) . ولم ينقل الإغريق عبادة أبوللون إلى آسية الصغرى ، وإنما نقلوها من داخل آسية الصغرى إلى الساحل الأيوني ومن ثم إلى بلاد الإغريق نفسها . غير أن معابده التي اكتسبت أوسع شهرة بين الإغريق كانت تقع في أقدم مستعمرات أنشؤوها على ساحل آسية الصغرى الغربي .

ومن أكثر ألقاب واختصاصات أبوللون هو الإله الواقي من الشر ، ***أي إله الشفاء*** (***APOTROPAIOS***) سواء من الأذى البدني كالمرض أو أي أذى آخر غير ملموس ، ***وإله التطهير*** (***KATHARSIOS***) والطهارة عند أبوللون ليست مسألة مظهرية كغسل البدن فقط أو ممارسة الطقوس الشكلية ، ***بل هي في الأساس طهارة***

---

[1] – كانت ديديما إحدى المدن الإغريقية التي تقع على الساحل الأيوني ، على بعد أحد عشر ميلا من (**ميليتوس**) . وقد أحرق الفرس معبد أبوللون فيها عام ٤٩٤ ق.م (أثناء الثورة الأيونية التي أدت إلى قيام الحروب الفارسية) وبعد فتح الإسكندر لمدينة ميليتوس عام ٣٣٤ ق.م أعيد تنظيم عبادة أبوللون في ديديما حيث شيّد أهل ميليتوس أضخم معبد له في العالم الهيللينى . ومنذ ذلك الوقت أصبحت ميليتوس تشرف على شؤون العبادة في هذا المعبد إشرافا مباشرا .

أما (**كلاروس**) فهي أيضا بدورها تقع على ساحل أيونية بالقرب من مدينة كولوفون ، وكان يقوم فيها منذ القدم معبد لأبوللون الذي أزداد نشاطه في القرن الرابع ق.م ، وأصبح أكثر نشاطا واتساعا في عصر الإمبراطورية الرومانية . وغير هذه المعابد ، كانت له معابد أخرى في إقليمي ليكيا وطسروادة بالأناضول .

الروح ، وأن النية قد تكون أهم من الفعل ، أو كما نقول نحن (إنما الأعمال بالنيات) وبذلك تكون ديانة أبوللون ، قد بلغت أعلى مستوى خلقي في العالم الوثني القديم ، *وإله النبوءة* . ويلقب *(بالديلي)* نسبة إلى جزيرة ديلوس التي ورد في الأساطير أنه ولد فيها هو وأخته التوأم أرتميس *(ربة الصيد)* ، ويلقب أيضاً *(بالبيثي)* نسبة إلى بيثيا وهو اسم آخر لدلفي ، أشهر مركز لعبادته ونبوءته ، وتيمناً باسم كاهنة المعبد بيثيا ودورة المهرجانات الرياضية *(البيثية)* و *(بالليكي)* نسبة إلى إقليم ليكيا بآسية الصغرى . ويُعد أبوللون *المفسر القومي للقوانين (PATRIOS EXEGETES)* . ولعل أشهر مثال على مجال أبوللون في مجال التشريع القانوني هو *(دستور إسبارطة)* الذي قيل إنه وضعه للمشرّع ليكورجوس *(LYCURGUS)* . ويتضح ذلك من خلال الشاعر الإسبرطي *(تيرتسايوس)* ، وكذلك من تاريخ *هيرودوت* الذي يقول : *(كان ليكورجوس من ممتازي إسبارطة ، زار معبد أبوللون في دلفي ذات مرة طلباً لنبوءة العرّافة ، وما كادت قدماه تطأ رواق المعبد حتى سمع الكاهنة تصرخ بأعلى صوتها : أهلا بليكورجوس العظيم الذي جاء يزور مقري البديع الأثير عند زيوس وجميع الآلهة في أروقة أوليمبوس .. وقد ذكر البعض أن الكاهنة أعطت ليكورجوس بعد تلك النبوءة ، كل ما يلزم الإسبرطيين من الشرائع والقوانين)* [1] . ومع هذا نجد أفلاطون يؤكد في كتابه *(القوانين)* الأصل الإلهي للدستور الإسبرطي ، إذ يعزوه إلى أبوللون وفقاً لرواية الإسبرطيين أنفسهم مثلما يعزو دستور كريت إلى زيوس . وعندما كتب *(بلوتارخوس)* بعد ذلك ببضعة قرون (القرن الثاني م) سيرة ليكورجوس عزا أيضاً الدستور الإسبرطي إلى نبوءة دلفي . ويتضح من ذلك أن أبوللون كان *(إله الشرائع الدينية)* ، وكانت سلطته تشمل وضع قواعد إنشاء العبادات الرسمية وممارستها في كل بلاد الإغريق .

---

[1] – انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٤٥ .

أما فيما يخص معبد أبوللون في دلفي (*DELPHI*) كإله للنبوءة ، كان من أقدم معابد الإغريق وأقدسها ، إذ يرجع تاريخه إلى الألف الثاني ق.م . وكان أشهر مركز للنبوءة في العالم الهيليني ، وتقع دلفي على السفح الجنوبي الغربي من جبل برناسوس الشاهق (٨٢٠٠قدم) ، وعلى بعد نحو ستة أميال من الخليج الكورنثي . وأن تنظيم احتفالات (*الدورة البيثية الرياضية*) كان مرتبطاً بهذه النبوءة في شكل دورة هيللينية جامعة أي دورة دولية في عام ٥٨٢ق.م . وكانت هذه (*الدورة البيثية*) تُعقد مرة كل ثلاث سنوات ، وتوافق دائما السنة الأولى منها السنة الثالثة من الدورة الأولمبية وذلك في خلال شهر أغسطس / سبتمبر ، وكانت تلي مباشرة الدورة الأولمبية في الأهمية .

وقد تصوّر *هيكاتايوس* (*HECATAEUS*) دلفي مركز القرص للأرض . وفي الحق أنها كانت في نظر الإغريق مركزاً للدائرة بلادهم ، إذ كانت بلاد الإغريق نفسها تحتل مركزاً وسطاً بين طرفي العالم القديم ، فقد اشتهرت دلفي أو بالأحرى الحجر المقدس في معبدها بأنه (*سرة الأرض ، الأومفالوس*) (*كما رأينا سابقاً*) .

وفي هذا المكان كانت كاهنة أبوللون المسماة (*بيثيا*) (*PYTHIA*) هي التي تعطي الإجابات عن أسئلة المتسائلين في المستقبل ، وكانت الكاهنة تجلس على مقعد ذي ثلاثة قوائم يسمى *تريبوس* (*TRIPOUS*) (*طرابيزة في عصرنا الحاضر*) ثم تروح فيما يشبه الغيبوبة بطريقة خافية ، ولعلها كانت تمضغ أوراق الغار أو تشرب سائلاً معيناً لا نعرف كنهه ، وتتقمصها روح الإله أبوللون فتهذي بالإجابات . وكان المستفسرون عن المستقبل يتطهرون أولا ويقدمون القرابين قبل التقدم نحو مكان النبوءة ، وكان هناك كاهن يتلقى أسئلتهم ثم يأتي لهم بإجابة الكاهنة (*بيثيا*) ويفسرها لهم . وكانت الأسئلة تدوّن كتابة وكذلك الإجابات التي كانت تعطى كأبيات منظومة شعراً (*من البحر المسمى بالسداسي HEXAMETRON*) وغالبا في

اليوم السابع من الشهر ، وهو عيد ميلاد أبوللون [1] . وكان الناس يأتون إلى هذا المكان المقدس من كل فج عميق . كان يحج إليه الأشخاص العاديون التماساً لمشورة الإله قبل الإقدام على أي مشروع كالزواج والصفقات التجارية ، بل أسباب العقم . وكذلك كانت دول المدن نفسها تبعث بوفود رسمية (THEOROI) إلى دلفي لاستشارة نبوءة الإله قبل الإقدام على مشروعات كبيرة أو خطيرة وفي مقدمتها تأسيس المستعمرات ودخول الحرب [2].

و ــ أرتميس (ARTEMIS) :

كانت أرتميس ربة غير إغريقية [3] ، وهي إحدى الإلهات الكبريات ، بل كبرى المعبودات اللواتي عبدهن سكان البلقان وقبل مجيء الإغريق ، وسكان الأناضول، وأهل كريت المينوية . ومن المرجح أنها ولدت في إفسوس (EPHESUS) على ساحل الأناضول ، حيث تلتقي في الإلياذة بالربة ليتو وابنيها أبوللون وأرتميس مشتركين في معبد واحد بطروادة مما يدل على أصلها الأناضولي ، ووجدت أقدم صورة مرسومة لها على خاتم كريتي ، والرسم البارز المنقوش على قطعة من العاج اكتشفت في أسميرنا (*ازمير الحالية*) أو بالقرب منها . وكانت تُعرف بأسماء كثيرة

---

[1] – أبوللون هو ابن زيوس من الجبارة (ليتو) ولد بجزيرة ديلوس ، وقد سبقته أخته التوأم أرتميس ربة الصيد بيوم واحد .

[2] – كان يمكن عتق العبيد بنذرهم للإله أبوللون في دلفي ، أو بيعهم له بيعاً صورياً ويصبحون عتقاء (APELEUTHEROI) إذ يصبح الإله ضامناً لحريتهم. وكانوا من يُعتقون بهذه الطريقة يُعرفون أحياناً في العصر الهللينستي باسم (عبيد المعبد) (HIERODOULOI).

[3] – هي عند الرومان ديانا (DIANA) .

لأنها عُبدت في مناطق مختلفة يتكلم سكانها لغات مختلفة . فكانت تُعرف في فريجيـــة ـــ على سبيل المثال ـــ باسم *كيبيلي* (*CYBELE*) وتعني (*الأم الكبرى*) .

كانت أرتميس ربة للحيوانات البرية وتحمل لقب أجروتيرا (*AGROTERA*) *أي سيدة البراري* ، وهو لقب نلتقي به في الأدب الإغريقي منذ الإليـــاذة ، فهـــي كانت تشمل ـ خاصة ـ صغار الحيوانات برعايتها ، وترفق بصغار الحيوانات التي ترضع من ضروع أمهاتها الهائمة في القفار . وكانـــت أرتميس بوصـــفها راعيـــة للحيوانات البرية ، *راعية أيضاً للصيادين* ـــ وهذا يبدو لأول وهلة علـــى تنـــاقض شديد ـــ بين كونها راعية للحيوانات البرية ، وكونها مـــن جهـــة ثانيـــة راعيـــة للصيادين، والمقصود بكونها (*راعية للصيادين*) يعني السماح في الصيد في الوقـــت المناسب وبالطريقة الصحيحة . وكثيراً ما كان أصحاب الضياع يتحـــدثون عـــن (*حفظ*) الصيد والإبقاء على ما في أرضهم من حيوانات يودون الحفاظ عليها. وفي عصرنا الحديث يفرض القانون جزاءً معيناً على مخالفي قواعد الصيد . ونلتقـــي في كتاب الصيد (*CYNEGETICUS*) للكاتب كسنوفون بملاحظة مفادها ، أن الأرانب البرية دون سن معينة يدعها هواة الصيد وشأنها بوصفها مقدسة للربة (*أرتميس*)[1].

وكون أرتميس راعية لصغار الحيوانات من كل نوع ، كان مـــن شـــأنها أن تكون أيضاً *راعية للمواليد من بني الإنسان* حيث كانت تعد في الأصل أمـــاً لهـــم وتلقب بحاضنة الأطفال (*PAIDOTROPHOS*) وكان مظهر الأمومة إحدى مظـــاهر صفاتها ، ودليلنا على ذلك أن تماثيل أرتميس في أفسوس لا تدع مجـــالاً للشـــك في أمومتها ، ويمكن تتبع آثار أمومتها في أقليم أركاديا ، وهي أقدم مركز لعبادتهـــا في بلاد الإغريق .

---

1. XENOPHON , CYNEG . V, 104

وقد عُبدت أرتميس باسم *الربة القابلة* (LOCHEIA) التي تساعد النساء عند الوضع على الرغم من كونها عذراء (PARTHENON) على غرار مثيلاتها أثينة وهستيا ، فقد ارتبط اسمها بالقمر كما ارتبط اسم أبوللون بالشمس .

وبقي لنا أن نذكّر ، أن أرتميس ابنة لزيوس من عشيقته الجبارة (ليتو) وشقيقة أبوللون التوأم الذي مرت بنا قصة مولده في ديلوس . وقد سبقته أرتميس إلى الدنيا بيوم واحد لأنها ولدت في اليوم السادس ، بينما هو في اليوم السابع من شهر قمري، وتروي الأساطير أنها ساعدت أمها على مولد أبوللون رغم أنها ولدت قبله بيوم واحد .

ز ــ هرميس (HERMES) :

كان هرميس إلهاً قديماً موجوداً في بلاد الإغريق قبل مجيء الإغريق [1] . وترسخت عبادته في إقليم أركاديا، لكن الإغريق هم الذين أطلقوا عليه اسم أو لقب هرميس . وهذا الاسم أو اللقب مشتق من لفظ (هرما) (HERMA) بمعنى كوم من الحجارة أو نصب حجري . وكانت الأكوام أو الأنصاب الحجرية تُستخدم كعلامات على جوانب الطرق ، أي كمعالم تحديداً لها وهداية للمسافرين. فلذلك كان هرميس *يمثل روح أكوام الحجارة* (DAIMON) التي نشأت حولها كثيراً من المعتقدات الخرافية .

وباعتبار هرميس هو الروح الكامنة في أكوام الحجارة التي كانت عبارة عن أنصاب حجرية أو أعمدة قصيرة توضع على جانبي الطرق لتحديد معالمها ،

---

[1] – هو عند الرومان مركوريوس (MERCURIUS) وهذا الاسم مشتق من كلمة مركيس (MERCES) اللاتينية بمعنى سلع تجارية أو بضائع لأن هرميس كان إلهاً للتجارة والتجار .

أصبحت وظيفته الغالبة هي إرشاد عابري الطرق والمسافرين ، أي أصبح (**إلهاً للطرق**) (**ENODIOS**) وكان يتميز من خلال هذه الصفة استعداده أو قدرته على الحماية والوقاية وحراسته لقطعان الماشية . إذ كانت الحيوانات المفترسة هي الخطر الرئيسي الذي يتعرض له عابرو الطرق وقطعان الماشية في بلاد الإغريق أثناء العصور الباكرة . فلذلك كان في اعتقاد الناس أن له بعض السيطرة عليها . وفي الحق أنه كانت لديه هذه السيطرة كما يتبين من مؤلفات أدبية قديمة (**كالنشيد الهوميري لهرميس**) . حيث ورد أن هرميس كان يتولى العناية بالأبقار والخيول والبغال ، والسيطرة على الأسود الضارية والخنازير البرية ذات الأنياب الحادة ، والكلاب والأغنام . ولهذا ارتبطت عبادته في أركاديا مسقط رأسه التي كانت إقليماً رعوياً ، **فلذلك ارتبط بالرعي وحراسة الماشية والأغنام** .

وهناك ميزة أخرى تميز بها هرميس ، هي فطنته ودهاؤه ، حتى وصف بأنه (**إله مكار ومحتال**) (**DOLIOS**) ومن هنا نشأت شهرته **بالصوصية ورعاية اللصوص** ، وهي مهنة أعانته عليها خفة حركته ، ومعرفته التامة بالطرق والدروب .

وبديهي أن يصبح هرميس (**إلهاً للتجار**) مرتادي الطرق لعدة أسباب، كمعرفته الوثيقة بالطرق ، ودهائه ، فضلاً عن ارتباطه بالأسواق العامة ، وما يجري فيها من مساومات ماكرة تؤدي إلى صفقات رابحة . ومن ثم صار (**إلهاً للتجارة**) وما يقترن بها من ربح وثروة أو حظ ، فلذلك كان أيضاً (**إلهاً للحظ**) وبديهي أيضاً أن يصبح هرميس (**رسولاً للآلهة**) (**DIAKTOROS**) ولاسيما الإله زيوس الذي أرسله لكي يرشد الملك بريامو ملك طروادة إلى خيمة أخيللوس من أجل إطلاق سراح جثة ابنه هكتور ويقوده إليها بسلام في فترة الحرب الطروادية . وكان زيوس كثيراً

ما يعهد إليه بقضاء حاجاته المستعجلة وحمل رسائله إلى البشر . كان ساعياً ورسولاً ينجز المهمة الموكولة إليه على وجه السرعة إن لم يكن في لمح البصر .

كانت أكوام الحجارة أو الأعمدة القصيرة تُستخدم في غرض آخر ، كانت تقام كعلامات فاصلة بين حدود الملكيات ، ومن ثم أصبح هرميس بمنزلة رقيب على الحدود وحارس للممتلكات . وبهذه الصفة كان هرميس يقف أمام المنازل الأثينية في هيئة تمثال نصفي لحراستها ووقايتها من الشر والمكارة [1] . وقد زودوه بعضو الذكورة (PHALLUS) استجلاباً للخصب والوفرة ، ولهذا السبب أصبح اختصاصه مرتبطاً بالخصب ، ومن ثم بباطن الأرض وعالم الموتى (CHTHONIPOS) ومن ثم أصبح هرميس- كما يتبين من الأوديسة- مرشداً لأرواح الموتى (PSYCHOPOMOS) إلى هاديس أو (العالم السفلي) .

وبما أن هرميس كان إلهاً للحظ كانت تقام له التماثيل النصفية في النوادي الرياضية (GYMNASIUM) وهذا ما كان يحتاج إليه الشبّان دائما للفوز في المباريات الرياضية . وكان يُرسم في صورة شاب رشيق نحيل القوام يافع (يتراوح عمره بين السابع عشرة والثامنة عشرة) أي كأحد أفراد الشبّان المواطنين في ممارسة الرياضة والتدريب العسكري التي كانت تشكل عنصراً رئيسياً من عناصر التربية في مختلف المدن الإغريقية [2] .

---

1 - كان هرميس - على ما يبدو - قادراً أيضاً على الوقاية من السوء A (LEXIKAKOS) ونجده يعطي أوديسيوس عشباً سحرياً لوقايته من الأذى ، ويعلمه طريقة استعماله .

2 - للمزيد من التفاصيل الدقيقة والمفصلة حول الديانة الإغريقية (أساطيرها وآلهتها) انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، صفحات ١٨١ - ٤٢١ .

الباب الثاني

ظهور دول المدن الإغريقية ونظمها السياسية

الفصل التاسع: ظهور دولة المدينة الإغريقية

الفصل العاشر: الانتشار الإغريقي (دوافعه ـ مظاهره ـ نتائجه).

الفصل الحادي عشر: دولة إسبارطة والنظام الأرستقراطي

الفصل الثاني عشر: أثينة ونشأة النظام الديمقراطي.

الفصل الثالث عشر: الحروب الفارسية ـ الإغريقية (٤٩٠ ـ ٤٧٨ ق٠م).

الفصل الرابع عشر: تأسيس الإمبراطورية الأثينية

الفصل الخامس عشر: أثينة في عصر بريكلس

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل التاسع

ظهور دولة المدينة الإغريقية

أولاً : نظام دولة المدينة في مرحلة التمهيد :

تبدأ هذه المرحلة في الفترة (١٩٠٠-١١٠٠ق.م) أي مع بداية العصر الهلادي الوسيط، وهي بداية عصر الهجرات الإغريقية (*الأخائيون والأيوليون والأيونيون*). ويسمى هذا العصر (*بالعصر الباكر لتاريخ الإغريق*). وتنتهي مع فترة اندثار ميكيناي نتيجة الغزوة الدورية في عام (١١٠٠ق.م)، أي حتى نهاية العصر الهلادي الحديث الذي يتفق مع نهاية عصر البرونز وبداية عصر الحديد، حيث نرى أن العامل الأساسي الممهد لظهور دولة المدينة الإغريقية هو (*ديانة العصر الباكر*) أي ديانة الأسرار أو الأسلاف — كما رأينا سابقاً — والتي كان من أبرز خصائصها، هو الاستقلال الديني لكل أسرة من حيث، العبادة ، والشعائر، والدفن، والإله. وكانت ديانة كل أسرة تختلف عن غيرها من الأسر الأخرى[1]. فالنظام في المجتمع الإغريقي في العصر الباكر هو (*نظام الأسرات*)، وكانت الديانة تحرّم أن تختلط أسرتان وأن تمتزجا معاً، ولكن كان من الجائز أن تجتمع عدة أسرات، ولكن دون أن تضحي بدياناتها الخاصة، لتحتفل بعبادة مشتركة فيما بينها، ولتشكل فيما بعد نظام (*العشيرة*) المكوّن من عدة أسرات، والذي يسمى في اللغة الإغريقية فراتريه (*PHRATRIE*) *ويقوم هذا النظام على التوسع في الفكرة الدينية، والانتقال من العبادة الفردية إلى العبادة الجماعية لمجموعة من*

---

1. G . GROTE" A HISTORY OF GREECE" VOL. 1- 13 ,VOL., 3, LONDON 1846 -1856,P.54-55 .

وهو جورج غروت (١٧٩٤— ١٨٧١) مؤرخ إنكليزي كبير مؤلف كتاب من عدة مجلدات اسمه (تاريخ اليونان) .

الأسرات، تصوّرت عبادة أعلى من عبادتها الخاصة، ومشتركة فيما بينها جميعاً، وأقاموا لها مذبحاً وموقداً، ونظموا عبادة مشتركة فيما بينهم. وكان لكل عشيرة زعيم يسمى *فراتريارخوس* (*PHRATRIARCHOS*) وظيفته الأساسية أن يترأس القرابين، وربما كانت اختصاصاته أكبر من ذلك. *إذا، كان في هذه الحالة عبادة مشتركة للعشيرة لمجموعة من الأسرات*، وكان كل أعضاء العشيرة يتحدّرون من جد مشترك حسب قول المؤرخ الإنكليزي *جورج غروت* الشهير بدراساته حول تاريخ الإغريق إذ يقول (*أن جميع الأتراب، الأعضاء في الفراترية يعتبرون أن لهم إلهاً واحداً هو جدهم المشترك*)[1]. ولكي يكون الإنسان عضواً في عشيرة، كان لا بد أن يكون مولوداً من زواج شرعي في إحدى الأسرات التي تتكون منها العشيرة، إذ أن ديانة العشيرة، كديانة الأسرة لم تكن تنتقل إلا عن طريق الدم[2]، وكان من حق العشيرة واجب الثأر لقتل أحد أعضائها، ولذا كان يقع على عاتقها واجب ثأر الدم.

وكما كوّنت مجموعة من الأسرات (العشيرة) كوّنت مجموعة من العشائر القبيلة (*PHYLAE*) وسارت على نفس المنهج الذي سارت عليه (*العشيرة*) حيث احتفظت كل عشيرة بديانتها الخاصة، لتحتفل بعبادة مشتركة فيما بينها، ولتشكل فيما بعد نظام (*القبيلة*) المكوّن من عدة عشائر. وكانت لهذه القبيلة ديانة مشتركة أوسع شمولاً من سابقتها (*ديانة العشيرة*)، وكان إله القبيلة من نفس طبيعة إله العشيرة، وإله الأسرة، ومنه كانت تستمد القبيلة اسمها، ويسميه الإغريق (*HEROS EPONYMOS*) وكان يُخصّص له في كل عام يوم واحد كعيد له، واحتفال ديني يشترك فيه كل أعضاء القبيلة[3].

1- IBID, VOL. 3 P. 58-59.

2 – انظر: ديموستينس: ضد ماكارتاتوس ١٣- ١٥، ثم إيسايوس: ميراث فيلوكتيمون ٢١- ٢٢.

3 – حول القبائل الفلكية انظر: هوميروس: الإلياذة ٢، ٣٦٢ و ٦٨٨ ثم الأوديسة ١٩، ١٧٧ ثم هيرودوت ٤، ١٦١ ثم ٥، ٦٨ — ٦٩.

وكان لكل قبيلة زعيم يسمى *فيلوباسيليوس* (HILOBASILEUS) يُنتخب من بين النبلاء *الأوباتريد* (EUPATRIDES) وبذلك تكون القبيلة مجتمعاً مستقلاً بحد ذاته، ولم تكن هناك أي سلطة اجتماعية فوقها .

وكما اتحدت عدة عشائر وكوّنت قبيلة، كذلك الأمر اتحدت عدة قبائل لتكوّن (المدينة)، شرط أن تحترم كل قبيلة ديانة الأخرى، لأنه لم يكن في استطاعة قبيلتين أن تندمجا في قبيلة واحدة لأن ديانتهما تتعارضان في ذلك. ***فالذلك كوّنت هذه القبائل المتحدة فيما بينها ديانة عامة، وإلهاً مشتركاً يشترك في عبادته جميع أعضاء المدينة .***

نستنتج من ذلك، أن العشيرة تكوّنت من عدة أسرات، والقبيلة من عدة عشائر، والمدينة من عدة قبائل، فضلاً عن أن الأسرة والعشيرة والقبيلة والمدينة ما هي إلا مجتمعات تتشابه فيما بينها تشابهاً دقيقاً، وولدت إحداها من الأخرى عن طريق سلسلة من المحالفات. وأن كل واحدة من هذه المجموعات المختلفة لم تفقد الواحدة منها شخصيتها أو استقلالها، ***إذ كانت هناك مجموعة من العبادات الصغيرة، نشأت فوقها عبادة مشتركة، وجمهرة من الحكومات الصغيرة في وظائفها نشأت فوقها حكومة عامة مشتركة*** [1] .

هذه هي حالة المجتمع الإغريقي في المرحلة الباكرة من تاريخ الإغريق، فالديانة كانت في الأصل هي السبب في ارتباط الجماعة السياسية، وهي التي تعزز صلة النسب بين أعضاء الجماعة، وهي السبب التمهيدي لظهور دولة المدينة .

ثانياً : نظام دولة المدينة في مرحلة التكوين :

في هذه الفترة تبدأ *المرحلة الثانية* من نظام تكوين دولة المدينة الإغريقية، ***فإذا كان العامل الديني هو المقوّم الأساسي لنشوء دولة المدينة في المرحلة الأولى. فإن العامل السياسي هو المقوّم الأساسي في المرحلة الثانية والذي يبدأ مع آثار الحضارة الميكينية عام ١٠٠٠ ق.م***، حيث مرت بلاد الإغريق بحقبة من التخلخل والتخلف الذي جاء نتيجة طبيعية لغزو القبائل الدورية الذي أصاب المجتمع الإغريقي

---

[1] – انظر : فوستيل دي كولانج ، ص ١٦٨ .

بشيء من التدمير والتخلخل لمدة قرنين من الزمن حتى ٨٠٠ ق.م، وسميت هذه الفترة بالعصر المظلم (*القرنين العاشر والتاسع ق.م*) بسبب ركود الأوضاع والدمار الذي لحق بالمنطقة وغموض المصادر في هذه الفترة. ***ولكن هذا الوضع ما لبث أن بدا بالانحسار منذ القرن الثامن ق.م، بعد أن أخذت الأمور تستقر بصورة أو بأخرى في هذا المجتمع***، حيث استقر الغزاة إلى جانب السكان الأصليين من أهل البلاد، وبالتدريج أخذوا يندمجون معهم ليتوصل المجتمع الجديد إلى صيغة من التعايش والتنظيم يستطيع من خلالها أن يتابع مسيرته من حيث الحيوية والقدرة على التآلف والاستعداد للحضارة رغم جميع الفظائع التي نتجت عن الغزوة الدورية.

وقد كانت الصيغة الأولى التي استقرت عليها مناطق المجتمع الجديد هي تجمعات سكانية (*SYNOIKISMOI*) قبلية في تكوينها، وكان كل تجمع من هذه التجمعات القبلية يتكوّن من مجموعة من الملاّك الكبار للأراضي الزراعية والرعوية الذين يحيط بهم أتباعهم. ***وكان صاحب أكبر مساحة من الأراضي يرأس التجمع القبلي الذي يوجد فيه ويتخذ لقب الملك*** (*BASILEUS*). كما كان يوجد إلى جانبه مجلسان: ***أحدهما*** يضم الأعيان أو الأرستقراطيين من رؤساء القبائل والعشائر يسمى ***مجلس الشورى*** (*OULE*) ولهذا المجلس قوته وفاعليته في التأثير على سير القرارات الرئيسية، حيث نلتقي في الإلياذة أن الملك (*أجاممنون*) كان يبادر فوراً إلى دعوة مجلس الشورى ليشاوره في أمر طارئ (*كالحرب الطروادية*)[1]. فالمجلس كان يشكل العنصر الأرستقراطي في نظام الحكم، ويتخذ القرارات النهائية في القضايا العامة، ويشاور الملك بصورة متفاوتة من السلطة حسب قوة الملك أو قوة هؤلاء الزعماء[2].

أما ***المجلس الثاني*** فيتألف من سكان عامة التجمع وهو الجمعية العامة (*AGORA*) ومعنى هذه الكلمة الأصلي مركز الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية

---

1 – انظر: هوميروس، الإلياذة ٢ / ٥٣، ٨٤.

2 – حول دور زعماء العشائر في هذا المجلس انظر: **ديونيسيوس الهاليكارناسي**، تاريخ روما القديم، الكتاب الثاني، الفصل الثاني عشر.

أو (السوق العامة)، أما في هذه الحالة وفي هذه الفترة فكانت تعني المكان الذي يناقش فيه سكان المدينة الشؤون العامة لمدينتهم. وفي الحقيقة أن هذا المجلس لم يكن له أكثر من العلم بمجريات الأمور والموافقة على ما يتوصل إليه الملك ومجلس الشورى من قرارات، أي لم يكن له أي فاعلية في اتخاذ أي قرار أو اقتراح، ونلتقسي في الإلياذة على كثير من مويدات هذا الرأي [1].

أما الملك فكان يضم في يديه كل السلطات السياسية والعسكرية والكهنوتية، وهو مصدر التشريعات والقائم على الأمور التنفيذية [2]. وهو الذي يرأس التجمع السكاني، ويأخذ على عاتقه مهمة توحيد التجمعات السكانية، ويظهر في عديد من النصوص، أنه صاحب حق إلهي في العرش وكبير الآلهة هو الذي يمنحه السلطان الواسع في الحكم.

على أن الدور الأساسي الذي قام به الملوك، هو محاولة الربط بين هذه التجمعات السكانية أو القبلية بشتى الوسائل سواء بالعنف أو بالسلام، الأمر الذي مهّد الطريق لقيام المدن التي أخذ مفهومها يتطور تدريجياً. بحيث أصبح مفهوم لفظة المدينة (POLIS) لا يعني مجرد مكان أو مساحة من الأراضي تشكلها مجموعات من السكان .. وإنما هذا المفهوم بدأ يقترب كثيراً من معنى النظام السياسي الذي ينظم سكان المدينة ويحدد حقوقهم وواجباتهم والروابط التي تربط بينهم في المجالات كلّها. وقد فرض الواقع المعيشي بين التجمعات السكانية نفسه طرح مسألة الترابط بين هذه التجمعات. فبلاد الإغريق تتكوّن من مجموعة من التكوينات الجبلية والسهلية والساحلية. ومن الطبيعي أن كلاً من هذه التكوينات أو التقسيمات الداخلية له ميزاته واحتياجاته، فالأماكن الجبلية لها بحكم تكوينها التضاريسي، ميزات دفاعية وهجومية تفتقر إليها الأماكن السهلية، ولكنها في الوقت نفسه لا تصلح إلا للرعي الفقير، وتفتقر إلى المراعي الغنية والأراضي الزراعية التي تتميز بها السهول. والأماكن الساحلية، إن وجدت كانت تحتاج إلى المناطق السهلية

---

1 -- انظر : هوميروس، الإلياذة ٢/ ٢١١ ــ ٢٧٧.

2 – انظر : أرسطو، السياسة ٣، ١٠، ١، ١٢٨٥ب.

لتستكمل به مواردها المعيشية المحلية التي تقوم أساساً على الصيد وإلى النقاط الدفاعية التي تتميز بها المناطق الجبلية، وبنفس الوقت كانت الأماكن الساحلية تشكل المنفذ الطبيعي لأي هجرات أو تعامل تجاري مع الخارج وهكذا .

إذن، أن حاجة كل تقسيم إلى التقسيمات الأخرى، هو الذي طرح فكرة الاتحاد أو التوحيد بين هذه التقسيمات في كل منطقة. ***وأدى الملوك دوراً كبيراً في هذا المجال، إذ ربطوا بين هذه التجمعات وبعضها بحيث تتحول كل مجموعة من هذه التجمعات السكانية إلى مدينة صغيرة تتسع تدريجياً بتعدد محاولات التوحيد***. وكانت هذه المحاولات تمر بفترة قد تطول أو تقصر من التجربة أو الخطأ قبل أن تصل إلى تحقيق التوحيد النهائي للمنطقة .

ثالثاً : نظام دولة المدينة في مرحلة التطور :

إذا كان المقوّم السياسي لدولة المدينة الذي يدور حول توحيد التجمعات السكانية القبلية، هو الذي أدّى الدور الأول في عصر الحكم الملكي، واتسمت مرحلة تكوينه بسمات دينية وقبلية. ***فإن القرن الثامن ق.م شهد تطوراً جديداً، وبدأت تبرز إلى السطح مقوّمات اقتصادية وعسكرية***. ففي المجال الاقتصادي: إنّ الملوك بعد أن انتهى دورهم الأساسي في توحيد مجموعات القبائل في شكل مدن، وبعد أن استقر وضع هذه المدن ككيانات سياسية لم يعودوا أصحاب دور يتميزون به على غيرهم من كبار رجال المدينة، وهم زعماء القبائل والعشائر التي تكوّنت منها المدن الإغريقية. وإنما أصبح الملك في الواقع مجرد واحد من أفراد الطبقة الأرستقراطية التي تتكوّن من هؤلاء الزعماء، ولا يتميز عن بقية هؤلاء الأرستقراطيين في شيء.

وهكذا، بعد أن انتهت الفترة التكوينية لمجتمعات المدن الإغريقية، أصبح المقوّم الاقتصادي هو الذي يدفع تطورها السياسي، ***فأخذ أفراد الطبقة الأرستقراطية منذ القرن الثامن ق.م تقريباً، يزحفون على سلطات الملك بشكل تدريجي في هذه المدن ويحاولون انتزاعها الواحدة بعد الأخرى سواء أكانت هذه السلطات عسكرية أم سياسية أم تنفيذية أم قضائية، ولكن دون أن يلحقوا سلطاته***

الكهنوتية بأي أذى، لأنه كان لا بد من ملك للديانة ولسلامة المدينة. حتى إذا جاء القرن السابع ق.م، كانت الحكومات الملكية قد سقطت في أغلب المدن الإغريقية لتحل محلها حكومات جماعية أساسها الطبقة الأرستقراطية من زعماء القبائل والعشائر الذين يسيطرون على المورد الاقتصادي الرئيسي، وهو الأرض. واستعاضوا عن التنظيم السابق، بتنظيم آخر وحديد أطلق عليه المؤرخون اسم عهد *الأراخنة (ARCHINTAT)* أي *النظام الأرستقراطي*[1]. وتم إحداث ثلاث وظائف رئيسية كوّنت فيما بعد السلطة التنفيذية للحكومة، وانتقلت إليها بعض السلطات التي كان يقوم بها الملوك سابقاً، وتأتي هذه الوظائف من حيث ترتيب الأهمية *الحاكم (ARCHON)* و*القائد العسكري (LEMARCHOS)* و*الملك (BASILEUS)* ونلاحظ هنا أن الملك جاء في المرتبة الأخيرة من حيث ترتيب الأهمية، وبسلطات كهنوتية فقط، لأنه هو الذي يمثل المدينة تجاه الآلهة، ويشرف على القصور والمعابد. *وبذلك يكون لقب الملك قد فقد معناه الأصلي حيث انتزعت منه كل السلطات ما عدا الكهنوتية للأسباب التي ذكرناها، وأصبح يطلق على إحدى الوظائف الحكومية التي يُنتخب صاحبها لمدة عام مثل غيره من الحكام.*

وبما أن الزراعة تشكل عصب الحياة الاقتصادية لبلاد الإغريق بسبب فقر التربة الزراعية وضيق حيز مساحة دولة المدينة، ولم تكن الأرض تكفي حاجات المجتمع الإغريقي بصفة دائمة. فكان الحل الوحيد لمثل، *هو الاتجاه نحو البحر للبحث عن موارد جديدة تعوّض مواردهم التي باتت قاصرة عن تغطية ضرورتهم المعيشية*، وقد أدى هذا إلى هجرة جديدة من بلاد الإغريق إلى الشواطئ المختلفة للبحر الأبيض المتوسط استمرت حتى أواسط القرن السادس ق.م، وحين أطلّ القرن الخامس كانت المستوطنات الإغريقية تتناثر بدرجات من الكثافة على شواطئ البحر المتوسط والأسود وشواطئ إيطالية وصقلية، ويقول أفلاطون في هذا المجال (*وأخيراً*

---

1 - انظر: فوستيل دي كولانج، ص ٣٣٩.

إذا كان هناك فيض من المواطنين، وحرنا في أمرنا، فأمامنا ذلك التدبير القديم، وهو إرسال جالية للاستعمار)[1].

وقد دفعت هذه الهجرة بالمواطنين الإغريق إلى العمل في التجارة وشاركوا الفينيقيين في نشاطهم التجاري في البحر الأبيض المتوسط وبدؤوا يتعرفون على أسواقه، ويتعلمون أشياء جديدة نتيجة احتكاكهم بأقوام الشرق الأدنى[2] كمبادئ الرياضيات عن المصريين والبابليين، وصناعة السفن عن الفينيقيين، وهكذا بدأت التجارة تخطو خطوات واسعة نحو الازدهار، وأخذ البحر يشكل مورداً اقتصادياً أساسياً إلى جانب الأرض حيث الزراعة والرعي ويقول *توكوديدس* في هذا الخصوص (*أن شيوع السفر في البحر وازدياد المحاصيل والسلع وتخزينها فرض بناء مدن جديدة وراء أسوار تحيط بها على السواحل، وتم احتلال البرازخ لأسباب تتعلق بالتجارة والدفاع عن الممتلكات في وجه القوى المجاورة لها*)[3].

ونتيجة هذه الحالة، ظهرت في المدن الإغريقية طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة (*التجار*) الذين أصبحوا يسيطرون على هذا المورد الأساسي الجديد من موارد الإنتاج، وهو التجارة، وكان طبيعياً أن يسعى أفراد هذه الطبقة الصاعدة إلى تأمين مصالحهم المتزايدة بالسعي بجميع الوسائل إلى المشاركة في الحكم بطريقة أو بأخرى، *وهكذا شهدت بدايات القرن السادس ق.م، ظهور نوع جديد من الحكومات في المدن الإغريقية تتحالف فيها الطبقات التجارية الجديدة مع الطبقة الأرستقراطية القديمة من ملاك الأراضي، وهو ما يعرف في بلاد الإغريق باسم النظام السياسي الأوليجاركي (OLGARCHIA) أو نظام حكم الأقلية*.

وكان من نتيجة ازدهار التجارة، أن أوجد أمام الطبقات الشعبية متنفساً ومجالاً للحركة لم يكن موجوداً أمامها من قبل. وأخذ النشاط التجاري من هذه

---

1 - انظر : أفلاطون ، القوانين ٧٤٠ .

2. -N G L. HAMMOND. A HISTORY OF GREECE. 2 ND ED OXFORD, 1967, 1984, PP,125 — 135 .

3 - انظر : توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٢٣ .

اللحظة يعتمد اعتماداً كبيراً على أبناء طبقة العامة أو الطبقة الشعبية، التي أخذت تشعر بكيانها وبوزنها في مجتمعات دول المدن الإغريقية، *وبرز من خلالها المقوّم البشري كعنصر محرك لتطور النظم السياسية في هذه المجتمعات*. وقد كان المظهر الذي اتخذه هذا المحرّك الجديد، هو الشعور المعبأ الساخط على تحكم طبقة محدودة في المجتمع بأكمله باستئثارها بالحقوق السياسية التي تكفل لها الانفراد بتصريف أموره والسيطرة على مقدراته. وهكذا قامت الثورات الشعبية في المدن الإغريقية للإطاحة بالحكومات الأوليجاركية، *وحدث أن تسلل إلى قيادة الثورات أشخاص غير قليلين من غير الطبقة الشعبية، فانتفعوا بالقوة الكامنة في صفوف هذه الطبقة للإطاحة بالحكومات الأوليجاركية، وحين تم القضاء على هذه الحكومات حلوا هم محلها في مواقع السلطة، وعادوا بمجتمعات المدن الإغريقية إلى الحكم الفردي، واكتسب حكمهم في تاريخ النظم السياسية الإغريقية اسم حكم الطغاة (TYRANIA)*.

إذن، يمكن القول إن الطبقة الدنيا بدأت تقوى شوكتها تدريجياً ولاسيما في القرن السادس ق.م، عندما انبثق منبع جديد للثروة. فالأرض لم تكن كافية لكل حاجات الناس، واتجهت العناية إلى ممارسة التجارة والصناعة، واتجهت الأذواق نحو الترف والجمال والفنون، فتكوّنت الثروة المنقولة تدريجياً وتطور معها نظام سك النقود. وكان ظهور النقد يشكل ثورة اقتصادية كبيرة، أدى إلى خلق قوة اجتماعية جديدة لم يكن متوقعاً وجودها، ويقول *أنجلس* في هذا الصدد (*ولكن الناس حين اخترعوا النقد، لم يخطر في بالهم أنهم خلقوا في الوقت نفسه قوة اجتماعية جديدة، القوة الوحيدة الشاملة، التي سيترتب على المجتمع بأسره أن ينحني أمامها*)[1]. فالنقد لم يكن خاضعاً لنفس شرط الملكية التي كانت تخضع لها الأرض، فكان يمكن أن ينتقل من يد ليد دون أي أجراء ديني، وينتقل للطبقة الدنيا

---

[1] - انظر : أنجلس ، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة الياس شاهين، إصدار دار التقدم، موسكو ١٩٨٦ ، ص ١٤٧ .

من غير عائق، وأخذ يخطو خطوات سريعة في القضاء على النظام العشائري القائم على الاقتصاد العيني، ويقول انجلس (*تفاعل الاقتصاد النقدي خلال تطوره في المشاعات الريفية، مؤثراً مثل حامض يتآكل نمط حياتها التقليدي القائم على الاقتصاد الطبيعي*) [1].

ومع تطور العلاقات النقدية- السلعية، ونمو الإنتاج الصناعي والتجاري، *لم يلبث أن وجد بين أبناء الطبقة الدنيا أثرياء جدد، وهنا يكمن تغيير آخر في سلسلة التغيرات الاجتماعية الجديدة*، باعتبار أن هؤلاء لم يكن باستطاعتهم سابقاً أن، يملكوا شيئاً، ولكن منذ الآن أصبح لهؤلاء الأثرياء الجدد تلك الصفات التي ترافق عادة الثروة المكتسبة من العمل، أي الشعور بالقيمة الشخصية، والمحبة للحرية ، وتلك الروح الحكيمة التي تتمنى ضروب الإصلاح، وأذعنت العامة لقيادة هذه النخبة التي كانت فخورة بوجودها فيها، *وأصبحت الثروة من الآن فصاعداً، مبدأ لتنظيم اجتماعي جديد، لم يكن له مكان في نطاق التنظيم العشائري القديم كما سنرى لاحقا* [2].

وتبع هذه التغييرات تغيير آخر ساعد كثيراً على نمو الطبقة الدنيا، وهو الذي حدث في الفن العسكري، إذ أصبحت هذه الطبقة القوة الرئيسية في سلاح الجيش (*ARMEE*) واحتلت الصفوف الأولى في فرق المشاة العسكرية(*EGIONNAIRES* (*HOPLITES*)، وأخذ الأسطول البحري بالتوسع الذي كانت ركيزته الأساسية بحدفي السفن وهم من أبناء الطبقة الدنيا، ويقول *توكوديدس*: (*لكن لما ازدادت بلاد هللاس قوة وازدادت أهمية المال للدول، فشا الاستبداد في كل المدن تقريباً وازدهرت صناعة السفن، واتجهت المطامح إلى امتلاك القوة البحرية*)[3]. إذ شكّلت طبقة المجدّفين في الأسطول البحري قوة كبرى في المجتمع، وأصبحت تكسب

---

[1] – انظر : المرجع السابق نفسه ،ص ١٤٤ .

[2]- CHARLES SELTMAN . GREEK COIN , LONDON 1965 ,PP 24 . FF: G . K . JENKIN ANCIENTGREEK NEW YORK 1972 . PP 25 75 .

[3] – انظر :توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٢٨ .

حقوقاً وتمارس سلطة مشروعة، ***لأن الحالة السياسية والاجتماعية في أي بلد ما على صلة دائمة بطبيعة أسلحتها وتكوينها.***

وقصارى القول، إن النظام العشائري كان يقترب من نهايته، بينما المجتمع الجديد في تقدم مستمر يوماً بعد يوم، وتطورت الدولة بصورة ملحوظة، وأخذت كل الأنظمة السابقة، وبعد أن قويت شوكة الطبقات الدنيا تتهاوى تحت ضربات النظام الديمقراطي (***الذي سنقوم على دراسته بالتفصيل في فصل لاحق***).

رابعاً : تعريف وخصائص دولة المدينة الإغريقية :

تبلور مفهوم لفظة دولة المدينة بكل أبعاده السياسية في العصر الكلاسيكي فيما بين القرنين الثامن والرابع ق.م. ومن خلال تبلور هذا المفهوم، استطعنا أن نستخلص تعريف لفظة دولة المدينة (***POLIS***) كما ذكرناه سابقاً، ***من أنه يعني ببساطة أن تؤلف كل منطقة جغرافية كياناً مستقلاً قائماً بذاته له مقومات الدولة الشكلية على الأقل، ويتمحور عادة حول مدينة واحدة تحيط بها رقعة من الأرض تصغر أو تكبر حسب الظروف، تنتشر فيها مجموعة من القرى الصغيرة من بينها على الغالب ميناء بحري.***

وقد أثرت جغرافية بلاد الإغريق الأصلية تأثيراً كبيراً على الحياة السياسية لدولة المدينة الإغريقية، وأسبغت عليها خاصية ، ***الانقسام والتشرذم***، (كما رأينا في فصل جغرافية بلاد الإغريق) والذي تعود أسبابه إلى عدة عوامل، ***ويتلخص العامل الأول*** : في الجبال غير المنتظمة التي تقطع البلاد طولاً وعرضاً وتقسّمها إلى مرتفعات كثيرة، وسهول قليلة، وتجعل الاتصال بينها شاقاً إن لم يكن متعذراً، ثم البحر نفسه الذي يتوغل فيها ويجعل سواحلها مسننة، كثيرة التعاريج أو يقطّعها إلى جزر وأشباه جزر أو يقسّم البلاد كلها إلى قسمين كبيرين، فيصبح على الرغم من أنه هو الذي خلق الوحدة الاقتصادية والثقافية بين أقسام العالم الإيجي، عائقاً دون تحقيق الوحدة

السياسية التي لم تشهدها بلاد الإغريق يوماً ما إلا في شكل تحالفات فيما بينها لدرء الأخطار الخارجية[1].

أما *العامل الثاني*، فربما إلى انعدام الأمن في فترة الغزوات الدورية الطويلة، حين أصبح أمن كل مجتمع منفرداً — مهما صغر حجمه — هو شغله الشاغل، في ظروف عدم وجود سلطة مركزية كبرى قادرة على التدخل الفعال وباستمرار على مسافة بعيدة، كلما دعت الضرورة.

أما *العامل الثالث*، يعود إلى النزعة الاستقلالية التي تفشت بين الدويلات وحالت دون قيام أمة إغريقية واحدة.

وقد ترسخت قواعد هذا الانقسام السياسي في نظام (*دولة المدينة*) في العصر الكلاسيكي، بحيث طبع الفكر الإغريقي بطابعه، فتصوروه نظاماً طبيعياً لهم، وأنه يمثل أرقى نموذج للمجتمع الإنساني المتحضر[2].

ومع كل العوامل التي أدت إلى هذا الانقسام والتشرذم، إلا أن منطقة بحر إيجة التي كانت سوقاً نشطة لتبادل السلع والأفكار، وتتناثر على جزره معظم دويلات المدن الإغريقية، أسهمت إسهاماً كبيراً في بناء وحدة المنطقة الإيجية من الناحية الروحية والثقافية. إذ أدرك مواطني كل دويلة إغريقية — على الرغم من نزعتهم الاستقلالية والانعزالية — *أنهم جزء من أبناء وطن واحد، ويعتريهم الاعتزاز بالأصل الإغريقي والانتماء إليه وقد تخطى ذلك كل الحدود الجغرافية بين دويلات المدن التي ألفت إحساس واحد ورابط مشترك يربط بينهم جميعاً من نواح جنسية، ولغوية، ودينية، وثقافية*. فتقديس آلهة أوليمبوس، كان رابطة دينية حية يشترك جميع الإغريق في تقديسها وعبادتها، وعلى مختلف دول مدنهم، يجلّون نبوءة أبوللون في معبد دلفي، وكانوا جميعاً يحجون إليه لاستشارته. وكان أدب هوميروس في خالدتيه (*الإلياذة والأوديسة*) مثالاً تراثياً حياً للإغريق جميعاً،

---

1 - انظر : كيتو ، الإغريق ، ص ٨٦ .

2 - انظر : مصطفى العبادي ، ديمقراطية الأثينيين ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الثاني ، الكويت ١٩٩٣، ص ٥٥ .

ويعتبرونه معلمهم الأول، وأدبه أساس منهجهم في التربية والتعليم، *حتى اعتبر أدب هوميروس بين الإغريق جميعاً بمنزلة الكتاب المقدس لديهم، وتراث ثقافي مشترك يجمعهم في وحدة ثقافية واحدة يعتزون بها كل الاعتزاز* .

ومما هو جدير بالذكر، أن الألعاب الأولمبية التي بدأت في عام ٧٧٦ ق.م وكانت تشترك فيها جميع دول المدن الإغريقية، كانت هي وغيرها من الدورات الهيلينية (*الدولية*)، إلى جانب آلهة أوليمبوس، ونبوءة دلفي، وإلياذة هوميروس، واللغة الإغريقية، من العوامل التي ألفت بين الإغريق جميعاً على الرغم من انقساماتهم السياسية .

وكان لنجاح الهجرات التي قام بها الإغريق في القرن الثامن ق.م، واستيطانهم على الساحل الأسيوي بسبب *ضيق حيز دولة المدينة*، تأثير كبير في دعم نظام (*دولة المدينة*) على شواطئ بحر إيجة في ظروف الاستقرار والهدوء النسبي التي أعقبت الغزوات الدورية، حيث بدأت المدن الجديدة على الساحل الأسيوي تستفيد من موقعها الهام في الاتصال التجاري والحضاري مع الممالك الشرقية الكبرى من جهة، ومن جهة أخرى بعضها مع البعض الآخر رغم الانعزال السياسي الذي اتسمت به دول المدن، فكانت كل واحدة منها تسعى إلى الاستعانة بموارد الأخرى، ومن ثم نشأ فيما بينها التبادل التجاري، وقد ساعد عليه أن معظم هذه المدن كان يقع على مقربة من البحر . *وهذا التناقض بين الاستقلال السياسي، والتبادل الاقتصادي، أي تبادل المنفعة واعتماد الواحدة على الأخرى فيما يتصل بالسلع التموينية، قد حدد تطور الحياة الاقتصادية والسياسية عند الإغريق*.

وتميزت الروح الاجتماعية الإغريقية، *بالزمالة والإخاء*، والقدرة على التآلف في الظروف الجديدة، ولاسيما في مناطق الاستيطان الجديدة، حيث نقلوا معهم نظام (*دولة المدينة*) إلى بيئات جغرافية مختلفة، *لا تفرض الانقسام الذي فُرض عليهم في بلادهم الأصلية* . وكان يعنيهم أكثر مما يعنيهم في المناطق الجديدة، هو توافر الظروف الاجتماعية الملائمة لحياتهم وعاداتهم، *وأدّت السوق العامة (AGORA) والتي هي عصب حياة دولة المدينة السياسية والاقتصادية، دوراً كبيراً في هذا المجال*، ولاسيما أن دولة المدينة مجتمع صغير لا يتجاوز عدد سكانه وسطياً نحو العشرة

آلاف[1]، وهذا مما يسّهل الالتقاء المستمر بين المواطنين، فكانوا يقضون شطراً كبيراً من وقتهم في هذه الساحة، ويناقشون علناً وبكل حرية، أمور الحكم الذي كان عاملاً في تربيتهم ونشاطهم ومناقشاتهم التي كانت تتمحور عادة حول هدف واحد وهو مصلحة الدولة أو المصلحة العامة المشتركة. إن مثل هذه الحياة الجماعية كانت كفيلة بأن تخلق وعياً أو إرادة شعبية قوية، أي أن تخلق ما نسميه اليوم (*الرأي العام*) وهو العامل الذي أدى إلى التطور السريع في نظم الحكم أو النظم السياسية في بلاد الإغريق.

ولما كان العامل الرئيسي الذي حدد طبيعة الأقاليم ودول المدن الإغريقية، هو صغر مساحة أراضيها وضيق الحيز الذي تشغله كل دولة مدينة، وقلة عدد سكانها تولّد عن ذلك روح (*الرابطة الجماعية*) التي كانت تجمعهم في هدف مشترك. *إذ أدرك كل فرد منهم أن مصلحته ترتبط بمصلحة الجماعة أشد الارتباط، وأن دولة المدينة في الواقع مصلحة عامة أو مشتركة. وكانت معتقداتهم وأفكارهم وأمانيهم متماثلة، فإرادة الفرد مقيدة بإرادة الجماعة. ومنها برزت خاصية جديدة وهي، الارتباط الوثيق بين المواطن والدولة، التي كانت مظهراً من مظاهر وحدة تكاد تكون كاملة بين الحياة السياسية والحياة العامة.*

ومن جهة أخرى، فإن خاصية ضيق حيز دولة المدينة وصغر مساحتها أعطى لسكانها فرصة التعرّف على، *إمكاناتها المادية*، فاستغلوها استغلالاً كاملاً سواء في الزراعة أو في الصناعة أو في توافر مناطق السكن. وبناءً على ذلك، فإن كل جماعة

---

[1] - انتهى الفلاسفة الذين كتبوا عن الدولة المثالية، إلى أن عدد سكانها ينبغي أن يظل ثابتاً، ويحدد أفلاطون العدد اللازم لمدينته الفاضلة بواسطة حسابية، بينما يرى أرسطو *أن الدولة تنشأ بالضرورة حالما يتوافر لديها جماعة من المواطنين تحقق لها الاكتفاء الذاتي والعيش الرغيد الفاضل*) انظر: أفلاطون، الجمهورية، ٥٤٦، القوانين ٧٤٠ ثم انظر: أرسطو، السياسة ٧، ٤، ٧، ١٣٢٦ب. وفيما يخص الافتراض القائل أن عدد سكان الدول يجب أن يكون بقدر إنتاجها الغذائي انظر: هيرودوت ١، ٦٦ ثم ١، ١٣٦.

دولة مدينة، سلكت في تطورها طريقاً خاصة حددته طبيعة أرضها وطباع سكانها، واكتسبت كل دويلة شخصية قوية مستقلة عن غيرها [1].

ونتيجة للارتباط الوثيق بين المواطن والدولة، وإسباغ روح الجماعة والتعاون بين جميع المواطنين، ***لم يكن هناك وجود للضرائب المباشرة على المواطنين***، باستثناء بعض الأثرياء الذين كانت تزيد ثروتهم عن مبلغ معين، كان عليهم أن يؤدوا واجبات معينة أو بعبارة أخرى (***أعمالاً للشعب***) مثل تجهيز كل منهم سفينة حربية وإعدادها بكل مستلزماتها من بحارة وغير ذلك وله الحق في قيادتها إن شاء، أو أن يموّل كل منهم إنتاج مسرحيات تُعرض في المهرجانات، أو أن يجهز موكباً دينياً بما يلزمه. وكان المرء يحظى بالسرور والشرف إن أخرج (***للاثية***) من المسرحيات إخراجاً جديراً بالإعجاب أمام إخوانه المواطنين [2]. ***أما الضرائب الاستثنائية العامة***، فكانت تُفرض فقط في حال الاحتياجات العسكرية، ***ولا تنفذ إلا في حالات الضرورة القصوى*** [3]. ***ولم يكن ذلك إلا بعد موافقة الجمعية العامة (EKKLESIA) بإصدار تشريع خاص تُحدد فيه قيمة الضريبة*** [4]. وكان جميع المواطنين في دولة المدينة يلتزمون بقوانين وتشريعات مدينتهم ويبدون احتراماً عظيماً للقانون، لأن القانون في اعتقادهم هو روح المدينة ومصدر سعادتها وقوتها كما يقول الخطيب الإغريقي الشهير إيسوقراط في هذا الصدد (***ليس ثمة من ينكر أن شرائعنا مصدر كثير من الخير العظيم في حياة البشرية***) [5].

ونستنتج من خطاب الزعيم الديمقراطي الأثيني بيريكليس (***PERIKLES***) الذي ألقاه في عام ٤٢٩ق.م، بمناسبة تأبين شهداء أثينة في حرب البلوبونيز بين أثينة وإسبارطة (٤٣١ - ٤٠٤ ق.م) معاني وخصائص كثيرة تميزت بها دولة المدينة (***أثينة***) كعلاقة المواطن بزميله المواطن، وعلاقة المواطن بالدولة، والدولة بالأجانب الغرباء، ومما جاء

---

1 - انظر : فيما يخص ضيق حيز دولة المدينة : **عبد اللطيف أحمد علي** ، الجزء الأول ، ص ٧٥ ــ ١٠٤ .

2 - انظر : **كيتو** ، الإغريق ، ص ٩٢ .

3 - انظر: **غلوسكين ل . م** ، الضرائب العسكرية الأثينية ، مجلة التاريخ القديم ، موسكو ١٩٧٦ ، العدد ٢، ص ٢٥٧ ــ ٢٦٥ .

4 - انظر : **ديموستينس** ١٤ ، ٢٦ .

5 - انظر : **إيسوقراط** ، خطبة البانيجركس ٧٩ .

في حيثيات الخطاب (*نحن نسمي نظام الحكم عندنا الديمقراطية، لأن الإدارة هي في أيدي جماعة من الناس، لا في أيدي قلة منهم، وهاهو القانون يضمن العدالة للناس على قدم المساواة ... إننا فتحنا أبواب مدينتنا في وجه العالم فلا نطرد غريباً أو نمنعه من أن يطّلع على ثقافتنا ... ونحن الوحيدون بين الناس الذين يحسنون إلى الجار والقريب بحرية وبروح من الثقة وعزة النفس، لا على أساس المصلحة والنفع، وبكلمة مختصرة أقول،إن أثينة هي معلمة بلاد ومدرستها*)[1].

هذه عبارات تنم عن أهمية المساواة، والانفتاح، والعدالة وضرورتها للحياة السياسية في دولة المدينة (*أثينة*) التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياتها العادية، وأن بيريكليس في مدحه للبوليس (*الأثينية*) لم يمدح ما هو أكثر من الدولة والأمة والشعب فحسب، *بل يمدح أسلوباً من أساليب الحياة المعتمدة في دولة المدينة*.

وفي نهاية المطاف، بإمكاننا أن نستنتج عامة، أن أبرز خصائص دول — المدن الإغريقية الحرية (*ELEUTHERIA*) والاستقلال السياسي (*AUTONOMIA*) والاكتفاء الاقتصادي (*AUTARKEIA*) ويجدر الإشارة إلى أن هذه الدول — المدن قد مرت في مراحل تطورها بالأنظمة السياسية الخمسة من نظم الحكم الملكية (*MONARCHIA*) والأرستقراطية (*ARESTOKRATIA*) وحكم الأقلية (*OLIGARCHIA*) وحكم الطغاة (*TYRANIA*) إلى أن وصل النظام السياسي في هذه المدن في نهاية القرن السادس ق.م، أو بداية فترة حكم كليستيس (*KLEISTHENES* ٥٠٨ — ٥٠٧ ق.م)، إلى النظام الديمقراطي (*DEMOKRATIA*). ولكن هذه الأنظمة السياسية الخمسة لم تظهر في وقت واحد في جميع دول — المدن. فهناك دول — مدن لم تمر بالأنظمة الخمسة متتابعة، بل أن تطورها قد تشكل طبقاً لظروفها الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها، وهناك دول- مدن قد تطورت من النظام الملكي إلى الأرستقراطي فقط، بينما هناك دول- المدن التي استقرت في تطورها إلى حكم الطغاة، ومن الدول- المدن التي لم يحدث فيها أي تطور سياسي لظروف تكويناها الاقتصادية والاجتماعية مثل *إسبارطة*.

---

[1] - انظر : توكوديدس ٢ / ٣٥ — ٤٦.

الفصل العاشر

الانتشار الإغريقي
(دوافعه - مظاهره - نتائجه)

تمهيد :

شهدت بلاد الإغريق خلال القرون الأولى من الألف الأولى ق.م، وعلى وجه التحديد خلال القرن الثامن والسابع والسادس ق.م، عملية كان لها أكبر الأثر في حياة الإغريق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل على العالم القديم المحيط بتلك المنطقة .. هذه العملية كانت بمنزلة حركة انتشار حضاري قام بها الإغريق سواء من بلادهم الأصلية (*شبه جزيرة البلقان*) أم من مدن آسية الصغرى. وازدهرت حركة الانتشار الإغريقية بعد أن تقدم الإغريق في فن الملاحة واطلعوا على أحوال الحضارات الشرقية المحيطة بهم من النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، فلذلك بدؤوا في الانتشار وأخذوا يؤسسون المستوطنات الإغريقية في البحر الأسود وإيطاليا وصقلية وفرنسا وإسبانيا وشمالي إفريقية، ولم يتم هذا التوسع الانتشاري إلا في القرن السادس ق.م. وقد اتصل الإغريق سواء في مستوطناتهم في آسية الصغرى أو في علاقاتهم التجارية بالشعوب الشرقية القديمة، فاقتبسوا عنها أسس الحضارة بكل مظاهرها، لأن حركة الانتشار كان لها تأثير كبير في تنمية الروح القومية لدى الإغريق، إذ أن الاحتكاك بالأمم الأجنبية جعلهم يلمسون الفوارق بينهم وبين الشعوب الشرقية، ويشعرون بالروابط التي تجمع بينهم وتوحدهم، وبالتالي ساعدهم على التقارب والتفاهم. *والغريب في الأمر*، أن هذه

المستوطنات رغم اتباعها في كثير من الأحيان نظام الحكم السائد في أوطانها الأصلية، إلا أنها سبقتها في تطورها نحو الديمقراطية والسير في طريق الحضارة، إذ أن أقدم الدساتير والأنظمة التشريعية لدى الإغريق قد وضعت في المستوطنات. ومن هذه المستوطنات انطلق الشعر والأدب الإغريقيان، وفيها نشأت العلوم الرياضية والفلسفية وبرز أول الخطباء والمؤرخين والعلماء. ففي المستوطنات ولدت الحضارة الإغريقية وعن طريقها انتقل ميراث الحضارات الشرقية القديمة إلى الإغريق، كما أن الحضارة الإغريقية انتشرت في العالم عن هذه الطريق.

وربما اختلف كثير من المؤرخين حول ماهية حركة الانتشار الإغريقية ودوافعها، وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نجمع دوافع تلك الحركة وأسبابها في الآتي:

أولاً: دوافع الانتشار:

آ ــ الدافع السياسي:

يُعد الدافع السياسي من الدوافع المتشعبة والشائكة في تحليل ماهية دوافع حركة الانتشار الإغريقية. ويقسم هذا الدافع إلى شقين أساسيين خارجي وداخلي.

وتنحصر أسباب الشق الخارجي في العوامل التالية:

آ ــ تدهور إمبراطوريات الشرق القديم، وتحديداً تدهور السيطرة الفينيقية على شرق البحر الأبيض المتوسط، التي كانت تحد من نشاط الإغريق في تلك المنطقة.

ب ــ انهيار الحضارة الآرامية على يد الآشوريين.

ج ــ ضعف الإمبراطورية المصرية التي أفقدها سيادتها ونفوذها في المنطقة.

د ــ انهيار علاقات المملكة الليدية التي لم تكن على وفاق مع الإغريق لفترات طويلة.

هـ- ضعف السيطرة الفارسية على شرق البحر الأبيض المتوسط خلال تلك الفترة، مما سمح الباب مفتوحاً أمام الإغريق دون عوائق وتدخلات سياسية[1].

أما الشق الثاني من الدافع السياسي (الشق الداخلي) فيتمثل في سياسة الإغريق الداخلية وما أعقبها من توترات أثرّت في كيان المواطن الإغريقي. *فقد رأينا سابقاً*، كيف كانت *الغزوة الدورية* في الألف الأولى ق.م من أشد الغزوات عنفاً وهمجية، فخربت كل شيء ولم تترك أثراً لمظاهر الحضارة. تجاه هذه الموجة اضطر الأخائيون والأيوليون والأيونيون إلى تغيير مراكزهم والهجرة إلى جزر بحر إيجة وشواطئ آسية الصغرى، ثم إلى مختلف الأنحاء في حوض البحر الأبيض المتوسط. ويؤكد على ذلك **توكوديدس** حيث يقول: (*إن البلاد المعروفة اليوم باسم هلاس، لم تعرف في ماضيها القديم مستوطنات مستقرة، وإنما كانت عرضة لسلسلة من الهجرات من قبائل مختلفة هرباً من الغزاة الأقوى منهم، وهذا ما جعلهم دائماً على استعداد لهجرة أوطانهم الأصلية*)[2].

وفي القرنين الثامن والسابع ق.م، كانت الأوضاع السياسية في كثير من المدن الإغريقية، تدفع كثيراً من مواطنيها إلى الهجرة سعياً وراء مناطق جديدة ذات وضع سياسي أفضل. *وذلك لأن الحكم الأرستقراطي أوجد تفرقة عنصرية واضحة، وهوة سياسية كبيرة أثرت في حقوق المواطنين السياسية، وفرّقت بين المواطن كامل الأهلية من الأرستقراطيين، وناقصي الأهلية من عامة الشعب، وما تبع*

---

1 - انظر: سيد أحمد الناصري (الإغريق) تاريخهم وحضارتهم، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨١ م، ص ١٣٤ ــ ١٣٥.

2 - انظر: توكوديدس، الكتاب الأول، ص ١٩.

ذلك من نفور واضح بين الحاكم والمحكوم، ويزيد في شقة الخلاف بين الطبقات والأحزاب.

ومن جهة أخرى، كانت حركة الهجرة والانتشار من مصلحة الحكم الأرستقراطي والأوليجاركي (*حكم الأقلية*) لأن العناصر الساخطة من عامة الشعب لو بقيت في مكانها لحرّكت الثورات الشعبية في وجه الأرستقراطيين. ويبدو أن ذلك دفع الكثيرين من الأرستقراطيين إلى تشجيع هجرة تلك العناصر الساخطة، والعمل على تدعيمها وتقديم المساعدات.

ب ــ الدافع الاقتصادي :

لا شك أن العامل الاقتصادي كان من أهم الدوافع في قيام حركة الانتشار الإغريقية، وأن بلاد الإغريق بصفتها الفقيرة التي أملتها الظروف الطبيعية بسماتها، كانت الدافع الحقيقي لهجرة العديد من سكان الإغريق من أجل حياة أفضل في مناطق رزق جديدة.

وقد كان ضيق الأراضي الزراعية، بل ضيق مساحة بلاد الإغريق بسكانها في داخل المدن الصالحة للسكنى، عاملاً مؤثراً أيضاً في هجرة السكان. هذا إلى جانب أن الرقعة الزراعية الضيقة لم تكن لتفي بحاجة السكان من الغذاء، فكانوا دائماً يحاولون البحث عن أراض جديدة، وأن تزايد عدد السكان المطرد خلال تلك الفترة بالدرجة التي لا تتناسب مع المساحة المزروعة، دفع السكان إلى الهجرة سعياً وراء البحث عن الغذاء والأرض. وكانت مقاطعة أتيكا هدفاً لهؤلاء السكان المهجّرين كونها مجتمعاً مستقراً نجا من التفكك السياسي، إلا أن مساحة أتيكا الضيقة لم تكن لتسمح لمثل هذا الاستيعاب الكبير من السكان المهجّرين، ويشرح *توكوديدس* سبب ذلك بقوله : (. . *ذلك أن أقوى الأقوام التي تُطرد من أرضها في بلاد الإغريق بسبب الحرب أو الاضطرابات كانت تلجأ إلى أتينة كونها مجتمعاً*

مستقراً، ثم يغادر هؤلاء مواطنين فيها، وسرعان ما يزيدون في عدد السكان وحجم المجتمع، وهذا يؤدي إلى ضيق أتيكا بسكانها، فترسل الكثير منهم لإقامة المستوطنات في أيونية)[1] .

ويجب ألا نغفل شيئاً مهماً كانت له مؤثراته في حياة الإغريق الاقتصادية، وكان دافعاً على الهجرة، ألا وهو مساوئ النظام الاقتصادي الذي كان يفرض بقاء معظم الأرض الصالحة للزراعة في أيدي الأسر الأرستقراطية النبيلة وحرمها عن عامة الشعب، هذا بالإضافة إلى الديون التي أثقلت كاهل المعدمين من ضرائب تعسفية واستحقاقات دفعت بالكثير إلى فقد حرياتهم وتحول الكثيرين إلى عبيد، وربما كان ذلك من الأسباب الرئيسية التي دعت بالكثيرين إلى الهرب والهجرة إلى أبعد المناطق سعياً وراء الرزق وشراء لحرياتهم من نير التعسف الاقتصادي.

ولا يفوتنا هنا، أن ننوه بأن حركة الانتشار والاستيطان لم تكن وقفاً على المعدمين بل شملت بعض النبلاء الذين لم يتوصلوا إلى الحكم في بلادهم، فكثيراً ما كانوا ينضمون إلى المهاجرين. ومن جهة أخرى كان نظام الوراثة عند الإغريق يقضي بحصر حق استثمارها في أكبر الأبناء حفاظاً على حجم الملكية وعدم تقسيمها، وهذا مما دفع بالأبناء الآخرين من النبلاء الصغار للبحث عن ضياع جديدة في أراضي المستوطنات الجديدة.

نستنتج من جرّاء ذلك، أن المهاجرين الإغريق كانوا يأتون من مختلف الأماكن في بلاد الإغريق وجزر بحر إيجة وشواطىء آسية الصغرى، وهم ينتسبون إلى كل الطبقات بينهم النبلاء والمتشردون والفلاحون والتجار، أي من عامة الشعب. فقد

---

[1] - انظر : المصدر السابق ، ص ٢٠ . وهنا يجب أن نوضح أن أثينة هي العاصمة الرئيسية لمقاطعة أتيكا ، وكان مكانها لا يفوقه مكان آخر في ميزاته ، فهذه المدينة تقع داخل أوسع منطقة صالحة للزراعة وتلتقي عندها عدة طرق للمواصلات.

أخذوا في هجرتهم اتجاهين أساسيين: **فمنهم**، من كان يفتش على أراض زراعية صالحة لزراعة الحبوب والكروم والزيتون والتين، وغابات تُقطع منها الأخشاب اللازمة للتدفئة ولصناعة السفن، وفي الوقت نفسه قريبة من المياه الصالحة للشرب والري. **ومنهم**، من كان يريد اكتساب الثروة عن طريق التجارة، فيبحثون عن الخلجان الصالحة لتأسيس المرافئ، وتبادل البضائع وإيجاد الأسواق العالمية لرواج صناعاتهم المتطورة، وتصدير كميات كبيرة من الحبوب والمعادن والأخشاب والرقيق، مقابل الخمور والزيت والأواني الخزفية والأسلحة والحلي المستوردة من بلاد الإغريق.

وهناك **صنف آخر** من المهاجرين الذين كانوا يخدمون في جيوش الدول الأجنبية **كجنود مرتزقة**، فيحصلون على الغنائم والجوائز بما يظهرونه من الشجاعة والإخلاص، وكثيراً ما يستقرون في أراضي هذه الدول، فيختلطون بالسكان أو يؤسسون مدناً إغريقية خاصة بهم كما فعل الجنود الإغريق من المرتزقة الذين انضموا إلى جيش (*بسامتيخ الأول*) وأسسوا مدينة (*نوكراتيس*) عند مصب النيل في مصر.

وكانت سياسة المهاجرين تجاه سكان البلاد التي ينتقلون إليها، تختلف حسب أهداف الهجرة، فكانوا يستخدمون جميع الوسائل لاستمالتها بالهدايا النادرة وحسن المعاملة وكثيراً ما يتزاوجون مع هؤلاء السكان، كذلك كانوا يحترمون آلهة السكان فيفتشون بين آلهة الإغريق على ما يماثلها ويطلقون عليها أسماء إغريقية، ويشتركون في عبادتها، وفي كثير من الأحيان، كان المهاجرون يلجؤون إلى عقد معاهدات الصداقة والتحالف مع القبائل الأصلية في البلاد.

ج ـ *الدافع الاجتماعي*:

لقد كان المجتمع الإغريقي في جوهره مبنياً على النظام الطبقي القائم على امتلاك الثروات، وإن كثيراً من المدن الإغريقية كانت تنحصر فيها المجتمعات حول ثلاث طبقات رئيسية:

آ ـــ طبقة النبلاء والأشراف :

وهي الطبقة المميزة في المجتمع الإغريقي التي كانت تتمتع بجميع الحقوق، حيث كانت تملك معظم الثروات والأراضي.

ب ـــ الطبقة المتوسطة :

وهي الطبقة التي كانت تندرج تحتها فئات الحرفيين والمزارعين، وقد كانوا أقل من الطبقة الأولى المميزة، وكان لهذه الطبقة المتوسطة ممتلكاتها المحدودة إلى جانب دخل محدد لكثير من الحرفيين والصنّاع.

ج ـــ طبقة العامة :

وهي الطبقة المعدومة في المجتمع الإغريقي، التي كانت تمثل القاعدة العريضة من عدد السكان، وهي الطبقة التي كانت لا تمتلك سوى قوتها اليومي، وأن كثيراً من أفراد هذه الطبقة كانوا يعملون كعبيد أحرار في أرض النبلاء أو في قصورهم.

تلك الفوارق الاجتماعية أوجدت نوعاً من الحقد بين الطبقات المعدمة والطبقة المميزة التي كانت تتميز بكثير من الحقوق، تلك الهوة العميقة بين الطبقات كانت الحافز للثورة والبحث عن مناطق لمجتمعات جديدة ذابت فيها تلك الفوارق .

ثانياً : مظاهر حركة الانتشار :

تميزت حركة الانتشار بمظاهر خاصة، وهي ظاهرة التشابه القائم بين المدن والمستوطنات الجديدة وبين المدن الأم (***METROPOLIS***) الحرة في بلاد الإغريق، حيث نقل الإغريق معهم عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وديانتهم الأصلية، بحيث أصبحت المدن الجديدة صورة طبق الأصل عن المدن الإغريقية، بحيث أصبحت

المدينة الجديدة تُعرف باسم (*APOEKIA*) أي المستوطنة أو المستعمرة، قطعة من بلاد الإغريق[1].

وكان المهاجرون الإغريق لا يقطعون صلتهم بالموطن الأصلي، فكانوا يحافظون على جميع الأنماط المعيشية التي كانوا يمارسونها في أوطانهم الأصلية، وكانت الهجرة في بادئ الأمر عفوية وتابعة للمصادفات، تقتصر على خليط من المهاجرين المستائين الذين يعملون لحسابهم الخاص دون خطة معينة. وبعد أن عرف الإغريق فائدة المستوطنات أخذت الهجرة شكل (*التنظيم الحكومي*) وقامت الحكومات بتولي تنظيم الهجرة، وتشترك في تأسيس المدن.

وكانت أولى الخطوات لإنشاء المستوطنة هو اختيار قائد الجماعة (*OIKISTES*) وهو مواطن من المدينة الأم[2]، يرافقه عدد من الكهان والعرّافين والمهندسين، وكثيراً ما يهيئ مخطط المدينة الجديدة سلفاً، وتُقسّم الأراضي إلى حصص توزع بالقرعة، ويؤسسون معبداً لإله المدينة أو آلهة المدن التي جاؤوا منها، وإذا كانوا خليطاً من مقاطعات مختلفة، فإنهم يتفقون عادة على أحد الآلهة الإغريقية المشهورة ويفضلون في الغالب (*أبوللون*) أو (*هرميس*) أو (*هيراكليس*)، ثم يأخذون شعلة من الموقد المقدس في وطنهم الأصلي (*موقد هستيا*) لإشعال النار في المدينة الجديدة. كما أن اختيار المكان من السمات البارزة لمظاهر الحركة حيث كان يتحتم على الأفراد استشارة كهنة (*أبوللون*) في دلفي قبل اختيار المكان، وهم الذين فيما يبدو على علم بأهم المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية والتجارية. وكذلك الأمر كانت السوق العامة (*GORA*) أحد مظاهر المستوطنة الحديثة تحيط بها الشوارع المختلفة، والأحياء من حولها، ويحيط بالمستوطنة السور ثم الأراضي الزراعية (*CHORA*) التي تُعد أساس حياة المدينة.

---

1 – انظر : كيتو ، الإغريق ، ص ١٠٥ .

2 – انظر : سيد أحمد الناصري ، ص ١٣٧ .

وإذا أقدمت إحدى المستوطنات بدورها على تأسيس مستوطنة جديدة تابعة لها، فإنها تطلب مرشداً من المدينة الأم. ويطلق المهاجرون على الأنهار والجبال في وطنهم الجديد الأسماء التي ألفوها في بلادهم الأصلية. ونرى هذا الشعور برابطة القرابة والاحترام نحو الوطن الأصلي، حتى في المستوطنات التي تأسست بسبب اختلاف المهاجرين مع مواطنيهم أو كنتيجة للنزاع بين الأحزاب. وإجمالاً فإن الشعور الوطني كان يدعو إلى الصداقة والتعاون بين المستوطنة والمدينة الأم من أجل البقاء والانتعاش الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وقد كان سكان المستوطنة يتوحدون تحت عبادة إله واحد، ويحرصون على التمسك بفكرة العدالة (*EUMONIA*) والحرية المستمدة من هذا الإله، وكانت العلاقات الاجتماعية والحفلات الدينية صفة أساسية من صفات المدينة وحقوق المواطنة، على الرغم من أنها كانت في بداية الأمر تقتصر على النبلاء، إلا أنها أصبحت بعد ذلك تشمل عامة المواطنين الأحرار، بينما بقي النساء والأجانب والعبيد خارج نطاق المجتمع[1].

وبقي لنا أن نشير، إلى أن الحكومة التي خرجت منها المستوطنة، لم تكن تتعهد بحماية هذه المستوطنة، وبالمقابل فإن المهاجرين لم يعترفوا بسيطرتها السياسية عليهم.

ثالثاً : مناطق الاستيطان الإغريقي :

يبدو أن مناطق النفوذ الاستيطاني قد شملت كثيراً من مناطق العالم القديم، ولا سيما في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولاسيما القسم المتوسط من شاطئ آسية الصغرى الذي يبلغ طوله – كما ذكرنا سابقاً – ما يقارب التسعين ميلاً ولا يزيد

---

[1] – انظر : عاصم أحمد حسين ، ص ١٢٤ ـــ ١٣٠ .

عرضه على (٢٠ ــ ٣٠) ميلاً والذي عُـرف باسـم (أيونيـة) حيـث يقـول هيرودوت: (كان من حسن حظ طالع الأيونيين في آسية، وهم أصحاب البانيونيوم، أنهم أقاموا مستوطناتهم في منطقة تتمتع بأطيب مناخ، وليس لأيونية منطقة شبيهة في العالم، لا في جنوبها ولا في شمالها، ولا في شرقيها ولا في غربها، فغيرها من الأقاليم إما تعاني من البرد القارس، أو من الحر الشديد والجفاف. ولا يتكلم الأيونيون لغة واحدة، بل أربع لهجات مختلفة موزعة على أماكن متعددة. وأول مدن الأيونيين في الجنوب ميليتوس، تليها ميوس وبيرينة وتقع جميعها في كاريا ويتكلم أهلها بلهجة واحدة. أما مدنهم في ليدية فهي إفسوس وكولوفون وليبدوس وتيوز وكلازومناي وفوكايا، ولأهلها لهجة خاصة تختلف تماما عن لهجة تلك المدن التي سبق ذكرها. وهناك ثلاث مستوطنات أيونية أخرى، اثنتان منهما تقعان في جزيرتي ساموس وخيوس، وواحدة هي أرتيرية التي تقع على البر، ويتحدث أهالي أرتيرية لهجة واحدة. أما ساموس فيتحدث أهلها لهجة خاصة بهم لا تشاركهم فيها منطقة أخرى)[1]. ويكون عدد هذه المدن اثنتي عشرة مدينة على حد قول هيرودوت الذي يرجع سبب عددها إلى هـذا الـرقم بقولـه: (إن السبب في اختيار الأيونيين اثنتي عشرة مستوطنة لهم في آسية، هو أنهم كانوا موزعين في اثنتي عشرة دولة يوم كانوا يقيمون في الجزر البلوبونيزية)[2].

كانت (ميليتوس) وهي إحدى المستوطنات الأيونية الاثنتي عشرة، أغنى مدينة في العالم الإغريقي في القرن السادس ق.م. فهي قد بنيت في موقع ممتاز جدا على رأس ممتد في وسط البحر تقابله سلسلة من الجزر تمنع عنه الرياح ويصلح ليكون

---

1 - انظر : هيرودوت، الكتاب الأول ، ص ٩٨ .

2 - انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٩٩ .

مرفأ في كل جهاته. وقد هاجر (*الأيونيون*) إلى هذه المستوطنة قادمين من مقاطعة أتيكا نحو سنة ١٠٠٠ ق.م *وقد انضم إلى الأيونيين كثير من المهاجرين الأخائيين والكريديين والليكيين وسرت بينهم جميعاً اللغة الإغريقية وعبادة الآلهة (أثينة) والإله (أبوللون)*. وأسست ميليتوس بدورها المستوطنات في كل أنحاء البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، فبلغ عدد هذه المستوطنات الثمانين كان ستون منها على شواطىء بحر مرمرة والبحر الأسود أشهرها (*سينوب*) و(*هاسيس*) و(*طرابزون*) و (*خالكيدون*) و (*بيزنطيوم*) و (*هوكراتيس*) في مصر. إضافة إلى ذلك أدّت ميليتوس دوراً كبيراً في تاريخ الفكر الإغريقي.

أما القبائل (*الأيولية*) التي كانت تربطها أواصر الصداقة والتحالف مع الأخائيين فقد هاجرت كلها معاً إلى القسم الشمالي من شواطئ آسية الصغرى، وسُمي هذا القسم باسم (*أيوليس*) نسبة إلى الأيوليين. ويعدد *هيرودوت* تلك المدن بقوله: (*أما المدن الأيولية فهي سايمة، ولاريسا، ونيون تيخوس، وتيمنوس، وسيللا، ولوتيوم، وإيجروسا، وبيتانة، وآيجاي، ومرينا، وجرينيا. تلكم هي مدن الأيوليين الإحدى عشرة القائمة. وكانت في الحق، التي عشرة، وهي مثل عدد مدن الأيونيين، عدا واحدة منها هي (سميرنا) التي اغتصبها الأيونيون. وأرض أيولية تفضّل أيونية، إلا أن مناخها ليس بالأفضل*)[1].

هذه هي المستوطنات الأيولية على البر، عدا تلك المستوطنات القائمة عند جبل (*ايدا*) التي لا تنتمي إلى الاتحاد. ومن المستوطنات الأيولية في الجزر خمس مستوطنات في لسبوس [2].

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ١٠١ .

2 – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ١٠١ .

وقد استولى *الدوريون* على القسم الجنوبي من شواطىء آسية الصغرى المقابل لجزيرة (*رودوس*) وأطلق على هذا القسم اسم (*دوريس*).

كما أقام الإغريق مستوطنات في (*صقلية*) مثل مستوطنة (*كوماي*) و(*كاتانا*) وهي أكبر المستوطنات في جنوب صقلية، ومستوطنة (*ميجار هوملايا*) و (*زانكل*) و(*هيميرا*) و (*جيلا*).

ويبدو أن جنوب إيطالية كان مطمعاً للمستوطنين الإغريق من سكان شمال البلوبونيز، حيث أنشؤوا مستوطنات عديدة مثل (*سيباريس*) و (*كروتون*) كما أنشأت إسبارطة مستوطنة (*تارنتوم*) بحيث أصبح جنوب إيطالية يُعرف باسم اليونان الكبرى (*MAGNA GRAECIA*) لكثرة المستوطنات الإغريقية فيه.

ولا يفوتنا أن نوضح أن ازدياد حركة الانتشار الإغريقية قد بدأ يجني ثماره في إقامة المستوطنات الإغريقية في جنوب أوروبة حيث أقام الإغريق مستوطنة (*نيابوليس — نابولي الحالية*) في إيطالية و (*نيكايا — نيس الحالية*) و (*ماسيلية — مارسيلية الحالية*) و (*مونويكوس — موناكو الحالية*) في فرنسا و (*أمبريون — إمبرياس الحالية*) في إسبانيا.

أما في شمال إفريقية، فقد بدأ انتشار الإغريق إبّان القرن السابع ق.م، وأقاموا مستوطنة (*قورينة*) في شمال إفريقية [1]. كما أقام أهل (*ميليتسوس*) مستوطنة (*نقراطيس — نقراش الحالية*) في مصر على فرع النيل في عهد الأسرة السادسة والعشرين، حيث اعتمد ملوك هذه الأسرة على الجنود والتجار الإغريق.

---

[1] — انظر : **مصطفى كمال عبد العليم**، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، جامعة بنغازي ١٩٦٦، كذلك إبراهيم نصحي قاسم، تأسيس قورينة وشقيقاتها، بيروت ١٩٧٠.

كذلك توسع الإغريق في غرب بحر إيجة حيث أنشؤوا مستوطنة (*بوتيدايـة*) التي أنشأها مستوطنو كورنثة .. وتوسعوا أيضاً عبر الساحل الغربي لبلاد الإغريـق على البحر الأدرياتيكي، فأنشأت كورنثة أيضاً مستعمرة (*كـوركيرا ـ كورفـو الحالية*) ومستوطنة (*أبيدامنوس*) التي كان لها دور أساسـي في إشـعال الحـروب البلوبونيزية.

رابعاً : نتائج حركة الانتشار :

لاشك أن حركة الانتشار الإغريقية،التي بدأت منذ القرن الثامن ق.م، كانت لها نتائجها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي صبغت بلاد الإغريـق بصبغة جديدة من التطور والازدهار.

آ ـ النتائج السياسية :

أثرت حركة الانتشار الإغريقية في الأنظمة السياسية بصورها المختلفة علـى معظم بلاد الإغريق، حيث ظهرت الأنظمة السياسية بأشكالها المتطورة من النظـام الملكي إلى الأرستقراطي إلى الأقلية الأوليجاركية إلى الديمقراطية. وإن ذلك التطـور لم يظهر بصورة واضحة قبل حركة الانتشار الإغريقية.

ب ـ النتائج الاجتماعية :

كانت حركة الانتشار الإغريقية حافزاً على هجرة الكـثيرين مـن المجتمـع الإغريقي بصورة واضحة ومؤثرة في عدد السكان الذين بدأ عددهم يقل نسـبياً في المدن الأم، هذا إلى جانب أن أهم نتائج الحركة الإغريقية اجتماعياً كانـت ظهـور طبقة جديدة من الرأسماليين المعدمين من الطبقات المتوسطة التي تملكّها الثراء وأصبح لها دورها المؤثر في تاريخ الإغريق خلال تلك الفترة.

ج ــ النتائج الاقتصادية :

كان الازدهار والتطور الاقتصادي إحدى أهم سمات حركة الانتشار الإغريقية، إذ ظهرت بوضوح مظاهر تنشيط عجلة التجارة الخارجية عبر البحار، ولاسيما في إيطالية وآسية الصغرى حيث أثرى الكثير من التجار الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية في المدن الإغريقية .. هذا إلى جانب ازدياد نشاط التجارة وتقدمها الذي أدى إلى النشاط والتطور الصناعي، وأثر ذلك في الأيدي العاملة التي كانت تعتمد سابقاً على العمال الأحرار، ثم الحاجة بعد ذلك إلى استخدام العبيد الذين كانوا يُستقدمون من تراقية وسواحل البحر الأسود وآسية الصغرى في أعداد غفيرة ، بحيث أصبحت تجارة العبيد تجارة رائجة.

وبمجرد انتعاش الصناعة ومنافستها قلّت بالضرورة أهمية الأرض، وكذلك فإن تمركز السكان في المدن بفضل الصناعة وقلة أهمية الزراعة، قد أدى إلى خلق مجتمع المدينة المتطور، والذي ساعد بالتالي على تطور الأنظمة الديمقراطية، بحيث تميز النصف الثاني من القرن السابع ق.م بصراع الطبقات، ولا نغفل هنا أنه ظهرت طبقة جديدة في المجتمع الإغريقي (*طبقة الأثرياء من التجار*) كانت لها مؤثراتها الفعّالة في صراع الطبقات .

د ــ النتائج الحضارية :

لا شك أن حركة الانتشار كانت لها نتائجها الثقافية والحضارية أيضاً، بحيث ظهرت الأفكار الجديدة نتيجة لتبادل الأفكار واختلاط الإغريق بلغات وأفكار الشعوب الجديدة ، واحتكاك الثقافة الإغريقية بثقافات أخرى .. وطمعت الحضارة الإغريقية بأراضي المدن الجديدة وشعوبها فأثرت وتأثرت ، وأوجدت روح التنافس حتى بين المستعمرات الإغريقية نفسها ، فدخلت في حروب اقتصادية من أجل الثراء والسيطرة ما لبثت أن انقلبت إلى انفصالية عميقة تأصلت في حركة المدن الاستعمارية .

الفصل الحادي عشر

دولة إسبارطة والنظام الأرستقراطي

تمهيد :

يتبين لنا من النتائج السياسية لحركة الانتشار الإغريقية في بلاد الإغريق، ظهور الأنظمة السياسية الخمسة التي مرت بها بلاد الإغريق (*الملكية – الأرستقراطية – الأوليجاركية (حكم الأقلية) – حكم الطغاة – الحكم الديمقراطي*) .

ولكن يجب أن ننوّه، إلى أن هذه الأنظمة الخمسة لم تظهر متتابعة في جميع دويلات المدن الإغريقية، بل إن تطورها قد تشكل طبقاً لظروفها الاجتماعية والاقتصادية التي مرّت بها. فهناك مدن قد تطورت من النظام الملكي إلى النظام الأرستقراطي فقط، وهناك مدن تطور النظام السياسي فيها من النظام الملكي إلى النظام الديمقراطي مباشرة، بينما هناك مدن أخرى استقرت في تطورها إلى حكم الطغيان إلى أن تدهورت أو بقيت على ما هي عليه، وهناك مدن لم يحدث فيها أي تطور سياسي نظراً لظروف تكويناتها الاجتماعية والاقتصادية مثل مدينة *(إسبارطة)*. ويؤكد *توكوديدس* على ذلك بقوله: (. . *ومع ذلك فإن دستور إسبارطة كان يعود إلى عهد قديم ، ولم تخضع لحكم الطغاة أبداً، واستمر القوم على نظام الحكم الذي ألفوه منذ أكثر من أربعمائة عام بعد نهاية الحرب الأخيرة (وهو نظام حكم الأقلية)*[1]. حيث يُعرف عن إسبارطة بأنها كانت تناصب *(حكم الطغاة)* وتعمل على الإطاحة بحكمهم في المدن الأخرى .

---

[1] – انظر : توكوديدس ، الكتاب الأول ، الفصل الأول ، ص ٣٠ .

فلذلك يصعب على الدارس لتطور الحياة السياسية لبلاد الإغريق، أن يبحث تطور كل مدينة على حدة نظراً لتعددها ، ونقص المصادر وتشابه بعضها ببعضها الآخر . وهذا ما دفعنا إلى تصنيف دراستنا لتطور الأنظمة السياسية في بلاد الإغريق إلى قسمين : ***قسم تندرج تحته دول المدن غير المتطورة وعلى رأسها إسبارطة، وقسم آخر تندرج تحته دول المدن المتطورة ، وعلى رأسها أثينة .***

وبناء على ذلك، فإننا سنتناول في دراستنا لهاتين المدينتين كمثل لنموذجين سياسيين مختلفين ومتعارضين نظراً لتوافر الوثائق والمصادر التي تخص كل منهما .

أولاً : تأسيس مدينة إسبارطة :

تُعد مدينة *إسبارطة* من المدن الإغريقية العريقة التي تميزت بأسلوبها الخاص الاجتماعي والسياسي، وقد عُرفت هذه المدينة قديماً باسم (*لاكونية* *LAONIA*) أو (*لاكيدايمون* *LACEDAEMON*) و (إسبارتي *SPARTE*)، حيث استخدم الشاعر الإغريقي (*هوميروس*) الاسم الأول (*لاكيدايمون*) للإشارة إلى مملكة (*مينيلاوس*) زوج (*هيلليني*) التي حدثت بسببها حرب طروادة كما هو ظاهر في الأساطير، أما الاسم الثاني (*إسبارتي*) فهو الاسم الذي ظهر تمثيلاً للطبقة المميزة من سكان المدينة والذين عُرفوا في فترات متأخرة باسم (*الأسبرانيانيس*) [1].

وقد حادت الطبيعة على (*لاكونية*) بميزة فريدة، وهي ذلك السهل الخصيب في وادي نهر (*يوروتاس* *EUROTAS*) الجميل، الذي يتوسطها مسترخياً بين سلسلة جبل (*تايجيتوس* *TAYGETUS*) ومرتفعات أركادية، وترويه عدة جداول مائية تنساب من هذا الجبل . وإنتاج هذا السهل من الحاصلات يكفي لاستيعاب عدد كبير من السكان، ولذلك لم تحتدم في (*لاكونية*) مشكلة عدم الاكتفاء الذاتي أو مشكلة الجوع التي دفعت بالسكان في غيرها من الأقاليم إلى العمل بالتجارة أو الهجرة لإنشاء المستعمرات أو الإقدام على مغامرات سياسية خطيرة . ومن ناحية أخرى، تُعد (*لاكونية*) من أكثر أقاليم بلاد الإغريق انعزالاً، فهي تبعد مسافة طويلة عن وسط بلاد الإغريق .

---

[1] - انظر : باوسانياس (وصف بلاد الإغريق) ، ٣ ، ١١ — ٢٠ .

وعندما جاء (الدوريون في عام ١١٥٠)، قاومتهم قرية (أميكلاي AMYCLAE) الحصينة مدة طويلة، فاضطروا إلى النزول في مكان يبعد عنها أربعة أميال، وهناك أسسوا مدينة (إسبارطة SPARTA) وذلك بإدماج أربع قرى تقع في وسط السهل على الضفة الغربية من نهر (يوروتاس). وقد زاد عدد هذه القرى إلى خمس بعد إدماج (أميكلاي) [1]. ويؤكد توكوديدس على ذلك بقوله: (إن إسبارطة ليست سوى مجموعة من القرى اجتمع بعضها إلى بعض على النهج الهيللينى القديم)[2]. ومن هنا يأتي اسم (إسبارطة) الذي يفيد معنى (المشتتة)، أي من احتماع خمس قرى كبيرة اتصل بعضها بالآخر، وتم ذلك في القرن الثامن ق.م، واعتباراً من هذه الفترة، لم يعد اسم (إسبارطة) يُطلق كبديل عن (لاكيداييون) بمعنى الإقليم، وإنما أصبح يقتصر على المدينة وحدها.

وبتأسيس مدينة (إسبارطة) يبدأ تاريخها الطويل الحافل بالتناقضات والمفارقات التي تجلّت في أهم عاملين اثنين:

أولاً: سياسة الانعزال التي اتبعتها (إسبارطة) بشكل يختلف عن سائر المدن الأيونية الأخرى التي كانت تميل إلى سياسة الانفتاح على العالم وتخضع للمؤثرات الخارجية، وتظهر نشاطاً كبيراً في الأعمال التجارية والصناعية وتتقدم في طريق الحضارة، في حين كانت (إسبارطة) تنطوي على نفسها وتنعزل عن غيرها وتمنع كل تجدد وتسعى إلى المحافظة على الأوضاع السائدة، وتتحكم في رقاب المواطنين بحيث لم تدع لهم فرصة الانطلاق والابتكار والخلق في مجالات الأدب والفن والثقافة عامة، فبينما كان الفلاسفة والعلماء (الأيونيون) يكتشفون طرقاً جديدة، وإبداعات كثيرة من طرق التفكير، مسترشدين بقدرتهم الفردية على استخدام العقل، كان

---

1 - من البديهي أن إسبارطة لم تؤسس إلا بعد مجيء الدوريين عام ١١٥٠ ق.م، ولم تكن موجودة زمن الحرب الطروادية حوالي عام (١٢٠٠ ق.م). لكن هوميروس الذي عاش في القرن التاسع أو الثامن ق.م، أي بعد تأسيس إسبارطة، يعود بتاريخ تأسيسها إلى الوراء، ويحرّف التسلسل التاريخي، ويتصوّر وجودها مكان بلدة أخرى لعلها (أميكلاي) التي كانت موجودة في عصر الحرب الطروادية. وكانت - على ما يرجح - هي عاصمة مملكة منيلاوس وهيلين، وفي الحق أن آثار العصر الميكيني عثر عليها في (أميكلاي) (فافيو VAPHIO الحديثة) لا في موقع إسبارطة.

2 - انظر: توكوديدس، الكتاب الأول، الفصل الأول، ص ٢٥.

(*الإسبرطيون*) يسيرون طبقاً لآرائهم ونظرائهم التقليدية الجامدة إلى الأمور، وبينما كان المهندسون والنحاتون (*الأيونيون*) ينشدون الرشاقة والتنويع في فنهم، كان أمثالهم في (*إسبارطة*) يتقيدون بنماذج قليلة، صارمة في أشكالها، جامدة في فنها، متقشفة في تعبيرها عن الأشياء. فهذان النمطان من الأسلوبين (*الأيوني*) و(*الإسبرطي*) كانا يمثلان فكرتين متعارضتين عن الحياة: *الانفتاح والانعزال، الفكرة المتحركة والفكرة الساكنة، الفكرة الفردية والفكرة الجماعية*. ويعلل بعض المؤرخين أسباب السياسة الانعزالية التي سلكتها (*إسبارطة*) على عكس غيرها من المدن (*الأيونية*)، هو شعورهم القوي بأنهم مجتمع وثيق الارتباط بعضه ببعض، وأنهم جماعة (*دورية*) عظيمة التنظيم تشعر أنها هي التي تقرر ما تريد، إذ لم يكونوا أفراداً يريدون أن يلائموا بين أنفسهم وبين نظام موجود من أنظمة الحياة، بل كانوا مجتمعاً قد جاء ومعه نظامه الخاص الذي صُمم على أن يحتفظ به[1].

ثانياً : سياسة التفريج الطبيعي لزيادة عدد السكان، حيث كانت المدن (*الأيونية*) تعبر عن هذه السياسة بإرسال جاليات كثيرة إلى خارج بلاد الإغريق للاستيطان وإنشاء المستعمرات (كما رأينا سابقاً)، بينما (*إسبارطة*) مارست هذه السياسة ولكن بشكل قليل جداً وكانت (*تارنتم TARENTUM*) إحدى مستعمراتها القليلة في الخارج، إذ عالجت إسبارطة حاجتها الملحة إلى الأراضي بطريقة تختلف كل الاختلاف عن غيرها من بقية المدن الأيونية التي وجدت في البحر مفرجاً طبيعياً لضيق عدد السكان، بينما (*إسبارطة*) وجدت في البر هو الحل الأمثل، وذلك بالغزو والاستيلاء على أراضي الغير بالقوة، وفي هذا المجال يقول *توكوديدس*: (*إن إسبارطة لا تشغل من مساحة منطقة البلوبونيز سوى الخمسين، لكنها لا تنزعم بلاد البلوبونيز بأكملها فحسب، بل إن نفوذها يمتد إلى الكثير من الحلفاء خارج حدودها أيضاً*)[2]. ومن هنا دخلت (*إسبارطة*) في حربين مريرتين مع جارتها

---

[1] – انظر : كيتو ، الإغريق، ص ١١٤.

[2] – انظر : توكوديدس، الكتاب الأول، الفصل الأول، ص ٢٥.

(ميسينية MESSENIA) مرة في القرن الثامن (٧٢٥ ــ ٧٠٥ق٠م) ومرة في القرن السابع (٦٨٥ ــ ٦٦٨ق٠م) بغرض الاستيلاء على هذه المنطقة وهي أخصب مناطق شبه جزيرة البلوبونيز، إذ يضارع سهل (ميسينية) في خصوبته سهل (يوروتاس) وعُرف باسم الأرض المباركة (MAKARIA) حتى أصبح الاحتفاظ به مبدأ أساسياً في السياسة الإسبرطية. وكان من نتيجة السيطرة الإسبرطية على هذا السهل الخصيب، أن خضع كل سكانه للإسبرطيين وتحولوا إلى العبودية، وأصبحوا أقنان دولة (HELOTAI). ولما كان هذا المكان ملائماً لقيام مدينة حصينة، فقد نشأت عنده عاصمة باسم ميسيني (MESSENE). وبعد ذلك تم تحرير هذا الإقليم كله على يد (إبامينونداس) قائد طيبة الشهير في عام ٣٧٠ ق٠م.

ونتيجة لهذه الظروف التاريخية والاقتصادية وسياسة التوسع الإسبرطية، أن أصبح الإسبرطيون أقلية حاكمة وسط محيط من السكان المعادين لهم أو المتحفزين ضدهم أو على الأقل الساخطين عليهم، حتى يمكن القول، ***إنهم أصبحوا أقلية مهددة أشد من ذي قبل***. وفي ضوء هذا الوضع نجد الإسبرطيين يتبعون نظاماً اجتماعياً وسياسياً من شأنه أن يمكنهم المحافظة على تماسكهم وسيطرتهم وسط هذه الأغلبية المعادية، وبأهلهم لأن يكونوا ذوي أهمية خاصة عند الإغريق، حتى أصبح يُنظر إلى (*إسبارطة*) منذ نهاية القرن السابع حتى نهاية القرن الرابع ق٠م، باستثناء فترات قليلة، على أنها أقوى المدن الإغريقية، ولا سيما بعد استيلائها على إقليم (ميسينية) وسيطرتها على مساحات شاسعة من الأرض عكس غيرها من المدن الأخرى.

ثانياً : طبقات المجتمع الإسبارطي :

١ ــ طبقة المواطنين الإسبارطيين (SPARTIATES) :

وهي الطبقة الحاكمة من (*الدوريين*) أي الإسبرطيون الحقيقيون الذين يسكنون في مدينة إسبارطة، وكانت هذه الطبقة تشكل أقلية عددية بالنسبة للطبقتين الأخريين، إذ لم يتجاوز عدد أفرادها ٣٢ ألفاً ويتمتعون بكثير من الامتيازات، ***ولكنهم يكرسون كل وقتهم للتدريب العسكري***، وكانت الدولة ترعى شؤونهم

المادية والأسرية ، وذلك عن طريق إعطاء كل مواطن إسبرطي مساحة كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة، سميت هذه الأراضي (**بالأراضي الأميرية**) التي تقع حول مدينة إسبارطة مباشرة، والحصة في هذه الأراضي لا يجوز تقسيمها أو بيعها، فهي في الحقيقة ليست ملكاً خاصاً، وإنما كانت ملكاً للدولة تعطيها لرئيس الأسرة ليعيش من محصولها هو وزوجته وأولاده. وفي حال وفاة رب الأسرة تنتقل الأرض بالوراثة إلى الابن الأكبر، وإذا مات رئيس الأسرة دون أن يكون له ابن يرثه، تعود الأرض للدولة.

ولأجل أن يتفرغ المواطن الإسبرطي لأعمال التدريب العسكرية، فقد وزعت الدولة على كل منهم عدداً من العبيد (***HELOTAI***) للعمل في الأراضي الزراعية. وكان على هؤلاء أن يعطوا المواطن الإسبرطي الذين يعملون في أرضه نصف العائد من هذه الأرض، كما كان عليهم أن يقوموا على خدمته المنزلية سواء في أوقات السلم أو في الحرب. وهذا القسم من العائد الذي يقدمه العبيد لسيدهم الإسبرطي، كان جزء منه يذهب لتغطية نفقات المعيشة بالنسبة لأسرته، والجزء الآخر لتغطية نفقات عضويته في النادي الذي ينتمي إليه (***كما سنرى لاحقاً***). ***ولهذا السبب، كان ممنوعاً على جميع المواطنين الإسبرطيين، العمل في الأعمال الاقتصادية كالصناعة والتجارة، حتى في أراضيهم الزراعية، وذلك — كما أسلفنا القول — لأجل التفرغ للأعمال العسكرية***. ومما هو جدير بالذكر، أن إسبارطة في ظل هذا النظام الإقطاعي كانت بحاجة ماسة إلى مزيد من الأراضي الزراعية، ولذلك كانت تحاول دائماً أن تجد مخرجاً لهذه الأزمة بالتوسع على حساب جيرانها مثلما حدث عندما غزت (ميسينية) إلى الغرب منها ، واستولت على أراضيها وأنزلت أهلها إلى مرتبة العبودية كما ذكرنا سابقاً.

٢ — طبقة البريكوي (*PERIOEKOI*) :

تُعد هذه الطبقة هي الوسطى في المجتمع الإسبرطي ، ويقدر عددها ١٢٠ ألفاً، ***وأفراد هذه الطبقة كانوا في نظر الشرع أحراراً، وإن لم يعدوا مواطنين ، ولكن حالتهم ما عتمت أن صارت أقرب إلى حال الأرقاء منها إلى حال الأحرار***. وكانوا يعملون في الأعمال الاقتصادية ويدفعون الضرائب ويقومون بالخدمة

العسكرية في الجيش الإسبرطي في صفوف المشاة ذوي العتاد الثقيل ممن كانوا يعرفون في الجيوش الإغريقية باسم (*الهوبليت HOPLITES*) . ولكن هذه الطبقة لا تتمتع بأي حق من الحقوق السياسية، ولا يجوز لهم التزاوج مع أفراد الطبقة الحاكمة، وكانت تسكن الأراضي الزراعية التي تؤلف حاجزاً يحمي (*إسبارطة*) من أي غزو، ولذلك أطلق على هذه الأراضي اسم (*الأراضي المحيطة أو الدائرة*) وكانت الملكية في هذه الأراضي فردية (*خاصة*) يمكن تقسيمها وانتقالها وبيعها .. وثمة وضع معين أفادت منه هذه الطبقة، وهو أنه كان محظوراً على أفراد الطبقة الأولى ممارسة أي نشاط آخر إلا الخدمة العسكرية والاستعداد للحرب، فاحتكرت هذه الطبقة مثل هذا الوضع، ومارست العمل بكل حرية في الأعمال الاقتصادية وأحرزت ثراءً عظيماً جراء ذلك .

٣ ـ *طبقة المستعبدين (HELOTS) :*

وهي طبقة (*الهيلوتس*) أي الأقنان الذين يبلغ عددهم ٢٢٤ ألفاً، وتأتي هذه الطبقة في نهاية السلم الطبقي للمجتمع الإسبرطي. ويقول المؤرخ (*استرابون*) أن كلمة (*هيلوت*) مشتقة من (*هيلوس*) وهو اسم أول مدينة فرض الإسبرطيون على أهلها العبودية. *لذلك فإن مصدر هذه الطبقة هم السكان الأصليون الذين خضعوا للدوريين، أي كل من خضع لهم تحت الاحتلال، ولاسيما بعد أن سقطت (ميسينية) والهبوط بأغلب سكانها إلى مرتبة الرقيق بعد أن فقدوا حريتهم الشخصية*، وقامت الدولة بتوزيعهم على المواطنين الإسبرطيين من الطبقة الأولى للعمل في إقطاعاتهم الزراعية والقيام بالخدمات المنزلية مقابل نصف المحصول. فلذلك كانوا (*أرقاء دولة*) أي ملكاً للدولة لا للأفراد، وهذا مما يبتعد بوضعهم قليلاً عن صفة العبيد بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، وكان أفراد هذه الطبقة يشكلون أغلبية ساحقة في إسبارطة، وزاد عددهم زيادة كبيرة عقب إخضاع (*ميسينية*) في أواخر القرن الثامن ق.م ، وفي هذه الحالة، أصبح خطر الثورة من جانبهم قائماً وبالغ الخطورة على إسبارطة الذي يُعد مثل هذا الأمر بالنسبة لها أكبر من طاقتها، ولهذا فقد كان على الإسبرطيين القليلي العدد كما يقول *أرسطو* (.. *أن يكونوا على*

أهبة الاستعداد دائماً ، لأن الهيلوتس أعداء لهم يتربصون بهم الدوائر . . ويحكى أنهم على عهد ملوكهم الأوائل كانوا يشركون الأجانب بالجنسية ، كي لا يبقوا بقلة السكان ، ويضيف البعض إن الإسبارطيين كانوا يعدّون إذ ذاك عشرة آلاف مواطن ، وكان شرعهم يعفي من الخفارة من بلد ثلاثة أبناء ، ويحل من كل ضريبة من ينجب أربعة أبناء) [1] . وكانت معاملة الإسبرطيين لهذا النوع من الرقيق تتسم في الغالب بالقسوة رغم العقود التي كانوا يبرمونها معهم عند استسلامهم للرق [2]. إضافة إلى أن قوانين إسبارطة لم تكن تضمن لهم أية حماية، وتسمح للشبان الإسبرطيين أن يقتلوا (*الهيلوتس*) دونما أي سبب لأجل التدريب على القتال من جهة، حتى لا يتكاثر عددهم فيصبحوا خطراً على الدولة من جهة أخرى. ولذلك وضعتهم الدولة تحت رقابة صارمة ، وأنشئ لأجل هذا الغرض نظام عُرف باسم (كريبتيا *KRYPTEIA*) وهو يشبه إلى حد ما نظام *الشرطة السرية* . وهذا يفسر لنا كون إسبارطة في حالة استنفار دائم حتى تواجه أعداءها في الداخل والخارج معاً. *ولذلك كانت الدولة أشبه بمعسكر ضخم متأهب دائماً للقتال ، فأخضعت كل النظم التربوية والاجتماعية والاقتصادية لمقتضيات الحرب* [3] .

وأياً كان الأمر ، فإن ثمة مفارقة أخرى نلحظها في المجتمع الإسبرطي ، وهي أن السلم الطبقي فيها قد بني على أسس سياسية في بناء المجتمع ، وليس على أسس اقتصادية لامتلاك الثروات مثل باقي المجتمعات القديمة .

ثالثاً : ليكورجوس والنظام الاجتماعي والسياسي في إسبارطة :

لقد ذكرنا سابقاً، أن الاستيلاء على منطقة (*ميسينية*) والهبوط بسكانها إلى منزلة العبودية، ترتّب عنه أن المواطنين الإسبرطيين أصبحوا أقلية شديدة في بلدهم، ولاسيما أن ثورة (*ميسينية*) التي قامت في عام (٦٤٠ق.م) كانت أمراً بالغ

---

1 – انظر : أرسطو، السياسة: ٢ ، ٦ ، ١٢ – ١٣ ، ١٢٧٠ ب.

2 – انظر : إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي ١٩٦٦، ص ٤٤.

3 – انظر : نفس المرجع السابق .

الخطورة بالنسبة لإسبارطة، و لم تستطع إسبارطة القضاء على هذه الثورة إلا بعد سنوات عديدة ومضنية. فلذلك وجد الإسبارطيون أنفسهم أنهم بحاجة ماسة لنظام سياسي واجتماعي يمكنهم من المحافظة على تماسكهم وسيطرتهم في الحكم وسط هذه الأغلبية الساحقة من (البريكوي) و (الهيلوتس). ووجدوا في المشرّع (ليكورجوس LYCURGUS) ملاذهم الأخير، لأن يسنّ لهم قانوناً يضمن سيطرتهم على الحكم، ويؤمن تماسكهم ورباطة جأشهم تجاه مثل هذا الوضع الخطير.

وإزاء الأخبار التي تتضارب في الفترة التي عاش فيها ليكورجوس تتراوح بين (٩٠٠ — ٦٠٠ق.م) *إلا أن الأقرب إلى الصحة، كما يبدو في رأينا، أن ليكورجوس عاش في القرن السابع ق.م بسبب التغيرات الهائلة التي حدثت في الحياة الإسبرطية في هذه الفترة*، والتي لا بد أن تكون قوانين (ليكورجوس) هي السبب الأساسي في مثل هذه التغيرات التي أدت فجأة إلى اختفاء كل مظاهر اللطف والجاذبية من الحياة الإسبرطية التي بدأت تلوح في مظاهرها الثكنات العسكرية وقرع طبول الحرب والاستعداد الدائم للقتال. ومما يؤكد وجهة نظرنا، هو أن احتلال (ميسينية) واستعباد سكانها الذي كان سبباً رئيسياً لظهور مثل هذا النظام العسكري الإسبرطي حدث في القرن السابع ق.م، والثورة الميسينية التي وقعت بنتيجة هذا الاحتلال وعجّلت من قيام هذا النظام كانت أيضاً في القرن السابع. ولاسيما أن القرن السابع ق.م الذي ظهر فيه (ليكورجوس)، كان عصر المشرّعين أمثال (زاليوقوس) في مدينة (لوكريس LOCRIS) بجنوبي إيطالية (نحو ٦٦٠ق.م) و (دراكون DRACON) في أثينة (سنة ٦٢٠ق.م) ثم (خارونداس CHARONDAS) في (كاتانيا CATANIA) بجزيرة صقلية (نحو سنة ٦١٠ ق.م).

ويذكر هيرودوت على لسان الإسبرطيين أنفسهم حيث أكدوا له (*أن ليكورجوس قد أتى بتلك القوانين، يوم كان وصياً على ابن أخيه خاريلاوس ملك إسبارطة من جزيرة كريت، وآيتهم في ذلك أن ليكورجوس عمد بعد تولية الوصاية إلى سن قوانين ووضع أعراف جديدة بدلاً من القديمة، ثم حرص*

على أن يتّبعها الرعايا جميعهم سواء بسواء تحت مراقبته الدقيقة) [1] . ويذكر أيضاً المؤرخون الإغريق، أن ليكورجوس عندما زار جزيرة كريت أبدى إعجابه بقوانينها ومؤسساتها وقرر أن يقتبس بعضها وينقله إلى إسبارطة . وقد قبل الملك والقسم الأعظم من النبلاء قوانين ليكورجوس لإدراكهم بأنه لا غنى عنها في سبيل مصلحتهم وسلامتهم هم أنفسهم ، إذ أن تلك القوانين ضمنت للبلاد القوة العسكرية والعظمة والسيادة .

وهناك من الفلاسفة والمؤرخين من ينسبون قوانين إسبارطة إلى الآلهة ، إذ يعتقد *أفلاطون* أن قوانين إسبارطة التي سنها (*ليكورجوس*) جاءت وحياً من أبوللون [2] . أما *هيرودوت نفسه* فيقول : (*إن ليكورجوس زار ذات مرة معبد دلفي طلباً لنبوءة العرّافة .. وقد ذكر البعض أن الكاهنة أعطت ليكورجوس ، بعد تلك النبوءة ، كل ما يلزم الإسبرطيين من الشرائع والقوانين*) [3] . ويعود السبب الحقيقي، في أن ينسب الإغريق القدماء قوانينهم إلى الآلهة، *من أن المشرّعين في تلك العصور كانوا يشعرون أن أحسن طريقة لإلغاء بعض العادات والتقاليد القديمة وفرض قواعد جديدة ، هي أن ينسبوا القوانين التي يريدونها إلى الآلهة* . ومن هنا فإن هذه القوانين ظلت أربعة قرون بلا تغيير ، وكان هذا الاستقرار الطويل نفسه موضع إعجاب وتقدير *أفلاطون* ومعاصريه من ذوي النزعة المحافظة .

وهناك من المؤرخين من يشك، من أن التشريعات الإسبرطية لم تكن من وضع ليكورجوس ، وأن تلك القوانين ترجع إلى عهد أقدم من ذلك بكثير [4]. *ولكن أرجح التفسيرات لهذا الرأي، أن هذه الدساتير والقوانين ليست من وضع الأشخاص المشرّعين ، وإنما هي عبارة عن مجموعة من قواعد العرف والتقاليد الموروثة التي نقّحت ووضعت في شكل قوانين ، فأطلق عليها اسم الشخص الذي*

---

1 – انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٤٥ .

2 – انظر : أفلاطون ، القوانين ٦٣٥ – ٦٩٦) .

3 – انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٤٥ .

4 – انظر : كيتو ، ص ١٦٦ .

تولى جمعها وقام بترتيبها وكتابتها . ومثل هذه الحالة تكون- على غرار ملحمتي الإلياذة والأوديسة- عندما تنسب المؤرخون تأليفها إلى الشاعر هوميروس .

ويهدف *الشق الاجتماعي* في نظام ليكورجوس التشريعي ، إلى تنشئة الإسبرطيين تنشئة جماعية خشنة تجعل من المجتمع الإسبرطي مجتمعاً عسكرياً في المقام الأول ، بحيث يشكل الإسبرطيون جيشاً قائماً مستعداً للقتال في أي لحظة ، وعلى وجه التحديد، مستعدا لقمع أي تمرد يقوم به (*البريكوي*) أو (*الهيلوتس*)، إذ يؤكد *هيرودوت* على مثل هذا الأمر بقوله: (*أن ليكورجوس عمد إلى تنظيم قدرات الدولة لخوض الحرب وكل ما يتصل بها، فأنشأ نظام الفيالق ونظمها في فرق ميدانية وأفواج وكتائب ، ثم أقام مجلسين أحدهما للشيوخ ، والآخر للعامة، وهكذا تحول الإسبرطيين إلى شعب منضبط حسن التنظيم*) [1] . وكل ذلك (*على عكس المدن الإغريقية الأخرى التي تعتمد في قوتها العسكرية على التعبئات المؤقتة من بين المدنيين حين تدعو إلى هذه التعبئات ظروف الدفاع أو الهجوم*) .

نستنتج من كل ذلك ، أن ليكورجوس بنى نظريته الأساسية في القوة العسكرية على أن حماية الدولة لا تكون بإقامة أسوار عالية حولها ، بل بإعداد سور من الرجال الأشداء وتدريب المواطنين تدريباً عسكرياً يصبحون بموجبه آلات حربية ممتازة يتصفون بقوة الأجسام والمهارة في استعمال السلاح ، ويتفانون في الإخلاص للدولة والدفاع عن الوطن ويحافظون على شرف الجندية ويتمسكون بالنظام ويطيعون القانون ، ومن هنا كانت (*إسبارطة*) ، وعلى الرغم من عدم مناعتها الطبيعية ، ظلت على نقيض المدن الإغريقية الأخرى بغير أسوار أو تحصينات دفاعية حتى عام ٢٠٠ ق.م .

ومن المفارقات الأخرى في نظام (*ليكورجوس*) أنه منع المواطنين الإسبرطيين من الاتصال بالخارج دون موافقة الحكومة ، ومنع استيراد الأفكار والعلوم مهما كلفهم ذلك من ثمن باهظ . ولهذا نرى أن (*إسبارطة*) لم تنجب مفكراً ولا عالماً ولا فيلسوفاً ، مثل ما أنجبته (*أثينة*) وما قدمته من تراث اعتبر أحد أروع ومفاخر التراث

---

[1] – انظر : **هيرودوت** ، الكتاب الأول ، ص ٤٥ .

الإنساني العالمي . كما منع هذا النظام المواطنين من العمل في الأعمال الاقتصادية خشية نشوء طبقة من التجار الأغنياء قد تطمع في انتزاع السلطة كما حدث في (كورنثة) و(أرجوس) و (ميجارة) ولم يسمح باستيراد الفضة والذهب ، وظلت العملة النقدية في (*إسبارطة*) ، عملة حديدية قديمة ، سيئة الشكل ، محدودة المكان ، على عكس (*أثينة*) التي كانت عملتها متداولة ومقبولة في كل مكان ، فضلاً عن ذلك أنها كانت تنبئ نظام مصرفي أهلّها إلى الانفتاح على العالم الآخر . وبشكل موجز وبسيط يمكن القول إن (*ليكورجوس*) توخى من وراء نظامه التشريعي أن لا ينصرف المواطنون الإسبرطيون إلى أي عمل غير الحرب وإدارة الحكومة .

أما *الشق السياسي* في نظام ليكورجوس التشريعي أثار الدهشة ووضع الكتّاب الإغريق المتأخرين في حيرة من أمرهم ، حيث استطاع هذا النظام الجمع بين أشكال الحكم الثلاثة أي *الملكية* ، *والأوليجاركية* (*حكم الأقلية*) ، *والديموقراطية* بصورة متناسبة ، ولم يترك مجالاً لتغلب أحد العناصر على الآخرين ، ولم يترك مجالاً لهؤلاء الكتّاب فيما يسمون هذا النظام *ملكيًا أم أوليجاركيا أم ديمقراطيًا* . لقد كان بالفعل هذا النظام برأيهم نظاماً وصل إليه الإسبرطيون، دون إلغاء أي نظام قديم (*كالنظام الملكي*) ودون التوسع في شيء جديد إلى نتيجته المنطقية . حقاً كانت (*إسبارطة*) مدينة المتناقضات العجيبة التي لا يجد العقل الحديث أنه من السهل إدراكها، وأبرز هذه المتناقضات التي تثير الاستغراب أكثر من كل شيء ، أن هذه المدينة التي ثبت خواؤها بشكل بارز بين المدن الإغريقية في الشؤون العقلية والعلمية، كانت تأسر دائماً لب فلاسفة الإغريق .وهذا ما سنلاحظه من خلال دراستنا للنظام السياسي في دستور (*ليكورجوس*) .

رابعًا : النظام السياسي :

لقد ذكرنا سابقاً، أن دستور ليكورجوس أثار دهشة الكتّاب الإغريق المتأخرين من أمرهم ، من حيث إن هذا الدستور استطاع الجمع بين ثلاثة من أشكال الحكم *الملكي* ، *والأوليجاركي* ، *والديمقراطي*، من دون إلغاء لأي شكل حكم من هذه الأشكال الثلاثة ، ودون التوسع في شيء جديد إلى نتيجته المنطقية على الرغم من كل التطورات السياسية التي حصلت في بقية المدن الإغريقية .

وقد تجسدت هذه الأشكال السياسية الثلاثة من الدستور الإسبرطي في *أربع دعائم سياسية* تتمثل في هيكلية النظام السياسي لإسبارطة ، *وهذه الدعائم هي : الملكان ويأتيان على رأس الجهاز الدستوري ، ومجلس الشيوخ ، ومجلس العامة ، والمراقبون الخمسة* . ومن هنا يجدر بنا الحديث عن أهمية ودور كل من هذه الدعائم السياسية الأربعة ، وكيف استقطبت هذه الدعائم الأشكال السياسية الثلاثة من الحكم في الدستور الإسبرطي وفي الحياة السياسية العامة في إسبارطة .

١ ــ الملكان :

كانت الملكية في إسبارطة غريبة من نوعها ، فقد كان هناك ملكان ينافس أحدهما الآخر ، ويبدو أن أصل هذه الملكية المزدوجة يرجع إلى وجود قبيلتين رئيسيتين قامت مدينة إسبارطة نتيجة لاتحادهما هما قبيلة *آجيداي* (*AGEDAE*) وقبيلة *يوريونتيداي* (*EURYPONTIDAE*) وأن شرط أتفاق هاتين القبيلتين على الاتحاد هو أن يكون على رأس المدينة ملك من كل منهما . وقد كانت النتيجة المنطقية لهذا الازدواج هي أن السلطة لم تكن مركزة في يد ملك واحد ، وإنما كانت موزعة بين الملكين اللذان يرجعان بنسبهما إلى *هيراكليس* . ولا يمكن لأحد الملكين أن يباشر حقوقه إلا مع الآخر ، كما لا يعد ملكاً إلا معه . *وقد حافظ الإسبرطيون على هذا النظام لمعرفتهم بأن التنافس الدائم بين الملكين يضعفهما ويمنعهما من الاستئثار بالسلطة ، ويرون أن سلامة الدولة تكمن في نزاع ملوكهم* [1].

وكانت السلطات التنفيذية للملكين واسعة جداً في بادئ الأمر ، إذ تتركز في أيديهما السلطة المطلقة في كل شيء ، وكأنهما صاحبا حق إلهي في العرش ، وكأن الآلهة هي التي تساندهم ، وكبير الآلهة هو الذي يمنحهما صولجان الملك .

ويصف لنا *هيرودوت* امتيازات الملكين في السلطة التنفيذية بصورة ممتعة في ثلاثة مجالات أساسية وهي : *الحرب ، والسلم ، والوفاة* .

ففي حالة الحرب يقول : (*كان الملك يتمتع بسلطة إعلان الحرب على أي بلد ، دون أن يعارضه أي إسبرطي تحت طائلة العقوبة لانتهاك المحرمات . وفي*

---

[1] – انظر : أرسطو ، السياسة: ٢ ، ٦ ، ٢٠ ، ١٢٧١ أ.

الحرب يتقدم الملوك الجيش في مسيره إلى القتال ، وهم آخر من يتراجع . وأن يكون لديهم مائة حارس من الصفوة لحمايتهم . وللملوك الحرية في تقديم العدد الذي يرونه مناسباً من الأضاحي . ولهم الحق كذلك في جلود حيوانات الأضاحي وقسم من لحومها) .

أما امتيازاتهم في حالة السلم يقول : (كان الملوك أول من يجلس إلى مائدة العشاء الذي يلي تقديم القرابين في الاحتفالات الدينية العامة ، وأن يكونوا أول من يقدم لهم الطعام وتلي طلباتهم . كما يحصل كل منهم على ضعف ما يحصل عليه الآخرون . ومن حقهم قيادة الاحتفال بإراقة النبيذ ، والحصول على جلود جميع الحيوانات التي قدمت للتضحية . وفي اليوم الأول والسابع من كل شهر يقدم لكل ملك حيواناً مسمناً لتقديمه قرباناً في عيد أبوللون ، وبوشل من دقيق الشعير ، وربع جالون من النبيذ . ولهم مقاعد الشرف في كل المباريات العامة . ومن واجباتهم انتقاء وتعيين المسؤولين عن الترفيه عن الزوار الأجانب . وإذا لم يحضر الملكان الوليمة العامة يرسل إلى منزل كل منهما مقدار بوشلين من الدقيق ونصف جالون من النبيذ . أما عند حضورهما فيقدم لهما كميات مضاعفة من كل شيء . وكذلك ينفردان باتخاذ القرار في بعض الأمور القانونية المحددة وهي: أولاً : إذا ورثت إحدى الفتيات ملكية والدها ، ولم يكن قد عين من يخطبها ، فيقرر الملكان من سيكون زوجها . وثانياً : كل ما يتعلق بالطرقات العامة منوط بحكمهما . ثالثاً : إذا ما رغب أي أمرىء في تبني أحد الأطفال ، فيجب أن يتم ذلك بحضورهما . علاوة على ذلك ، لهما الحق في الجلوس في مجلس الشيوخ بأعضائه الثمانية والعشرين والتصويت على القرارات ، فإذا غابا يقوم الشيوخ الأقرب إليهما بالتصويت بدلاً منهما ، ويصبح لهما صوتان هما امتياز الملكين بالإضافة إلى الصوت الخاص بهم) .

وفي حالة الوفاة يقول هيرودوت : (أما حينما يموت الملك ، فللمناسبة شعائر خاصة ، كأن يقوم الخيالة بنقل نبأ موت الملك إلى أنحاء بلاد اللاكيداميون كلها . بينما تسير النساء في مختلف أنحاء المدينة وهن يقرعن على إبريق ، وهذه

الإشارة توجب أن يُعلن الحداد اثنان ، رجل وامرأة من الأحرار في كل منزل من منازل المواطنين ، وإذا لم يتم ذلك تغرّم الأسرة غرماً كبيراً ، ومن العادات المألوفة عند موت ملك إسبرطي يُفرض على عدد معين من الأهالي من أنحاء بلاد اللاكيداميونيين كلّها وليس من إسبارطة وحدها حضور الجنازة ، فتجتمع حشود ضخمة من عدة آلاف رجالاً ونساء وتتألف من مواطني إسبارطة وأهالي بلاد اللاكيداميون والهيلوت (وهم عبيد إسبارطة) ويقومون جميعاً بضرب جباههم بعنف والبكاء والنواح دون توقف ، وهم يعلنون على الدوام أن الملك الذي مات هو أفضل ملوكهم . أما إذا مات إبّان المعركة ، فيقيمون له تمثالاً ، ويحملونه إلى المدفن على نعش مزخرف . وبعد جنازة الملك، تتوقف الاجتماعات العامة أو الانتخابات لمدة عشرة أيام ، تستمر خلالها مراسم الحزن والحداد . وبعد موت الملك واعتلاء ملك جديد ، فإنه يُتبّع تقليداً يماثل التقليد الفارسي ، هو أن يقوم الملك الجديد بإسقاط جميع الديون المترتبة على الإسبرطيين سواء أكانت للملك أم للخزينة العامة . وهذا يشابه ما يقوم به الملك الفارسي الجديد إذ يقوم بإعفاء الدول التابعة له من دفع الضرائب) [1] .

إلا أنه منذ نهاية القرن السابع ق.م ، بدأت تتقلص سلطة الملكين إلى حد كبير ، لأن النظام الأرستقراطي المتحالف مع النظام الأوليجاركي ، أخذ يسعى بكل ثقله ليستأثر بقسط كبير من النفوذ ويعمل على تجريد الملكية من سلطاتها [2] . بسبب عاملين اثنين :

العامل الأول : هو الصفة الغريبة التي لازمت النظام الملكي في إسبارطة وجعلتها مختلفة عن غيرها من المدن الإغريقية من البداية، ونعني بهذه الصفة وجود ملكين على رأس الدولة بدلا من ملك واحد .

---

[1] - انظر : هيرودوت ، الكتاب السادس ، ص ٤٤٩ ـ ٤٥١ .

[2] - TOYNBEE . A . J :SOME PRABLEMS OF GREEK HISTORY 1969 P. P 152 .

العامل الثاني : تقليص السلطة الملكية في إسبارطة بفعل التطور الطبيعي الذي رأيناه في بلاد الإغريق عامة، والذي شهد ازدياد قوة الطبقات الأرستقراطية والأوليجاركية التي زحفت بالتدريج على سلطات الملك أو صلاحياته.

وبعد قرن من الزمان أي في نهاية القرن السادس ق.م ، *ازداد ضعف الملكية أمام الطبقة الأرستقراطية وانتزعت منها السلطة التنفيذية ، أي جميع الصلاحيات العسكرية والقضائية والسياسية ، ولم يبق للملكين إلا السلطة الدينية (الكهنوتية) فقط* . بحيث لم يعد في أيديهما إلا الفصل في عدد من القضايا البسيطة مثل حالات التبني وزواج الوريثة التي مات والدها قبل أن يزوجها. ويشرح لنا المؤرخ *كسنوفون* وظائفهم بعد هذه الضربة الموجعة بقوله **(يقوم الملوك بالقرابين العامة ، وهم خير نصيب في الأضاحي . وإذا كانوا لا يقضون في المسائل المدنية والجنائية، فإنه كان يحتفظ لهم على الأقل في بعض القضايا التي تتصل بالدين . ففي حالة الحرب يسير أحد الملكين دائماً على رأس الجيوش ويقدم القرابين في كل يوم ، ويستشير الآيات المنبئة ، وعلى مشهد من العدو ينحر الأضاحي، وعندما تكون الآيات موافقة يعطي إشارة المعركة ، وعند القتال يحيط به المتكهنون الذين يبينون إرادة الآلهة . ويقول الإسبرطيون ، إن الملك هو صاحب الأمر لأن في يديه الديانة والاستخارات ، لكن المراقبون وقادة الجيش هم الذين يديرون كل حركات الجيش)** [1].

وهذا ما يدفعنا إلى القول: إن الملكية في إسبارطة أصبحت قبل كل شيء سلطة كهنوتية لا غير ، وإن نفس الثورة التي قضت على سلطة الملك السياسية في جميع المدن الإغريقية قضت عليها في إسبارطة أيضاً وبكل الأحوال ، فإن السلطة الحقيقية في إسبارطة ، على الرغم من أن النظام الملكي ما زال قائماً، كانت في يد مجلس الشيوخ الذي يديرها والمراقبون الخمسة . لذا نرى أرسطو يقول في موضع

---

[1] – انظر : كسنوفون ، دستور الإسبرطيين ١٣ ــ ١٥ .

حديثه عن الانقلابات السياسية ، *أن السياسة في لاكيداميون (أي إسبارطة) تحولت إلى حكم الأقلية الأرستقراطية* [1] .

٢ ــ مجلس الشيوخ : (GEROUSIA) :

ويتجلى *العنصر الأرستقراطي* في مجلس الشيوخ الذي منحه الدستور أعلى السلطات ، فقد كان يتكوّن من ثلاثين عضواً من بينهم الملكان بحكم منصبهما ، وفيما عدا الملكين فقد كان سن الأعضاء الثمانية والعشرين يجب أن يكون فوق الستين عاماً وأن يمتازوا بالفضيلة . وكان الأعضاء ينتخبون من قبل الجمعية العامة لمدى الحياة .. *وقد انتقد أرسطو هذه الطريقة لأنه على الرغم من فضيلتهم ورزانتهم وتربيتهم التربية الوافية ، إلا أن إشرافهم مدى العمر على المحاكمات المهمة قابل للجدل والانتقاد لأن الفكر يشيخ كما يشيخ الجسد .. ومما لا يحمل الثقة أيضاً كونهم ينشؤون نشئة تجعل المشترع نفسه يرتاب في أمرهم ارتيابه بأناس غير منصفين* [2] .

وكانت طريقة انتخاب مجلس الشيوخ كما يصفها *بلوتارخوس* ، من أغرب الطرائق ، فعندما يشغر مكان في المجلس بموت أحد الأعضاء يُطلب إلى المرشحين أن يمروا صامتين الواحد بعد الآخر أمام الجمعية العامة ، وكان أنصار كل مرشح يصفقون له ويحيونه بأصوات عالية ، ويُعد ناجحاً المرشح الذي يصفق له أكثر من غيره [3] . وبما أن تقدير ذلك يعود إلى لجنة من كبار الموظفين تستمع إلى أصوات التصفيق والهتافات في بناء مجاور دون أن ترى شيئاً، فإنه لم يكن يُنتخب بالفعل لمجلس الشيوخ إلا رؤساء الأسرات النبيلة القوية ، على الرغم من أنه يحق نظرياً لكل مواطن إسبرطي بلغ الستين ويملك أرضاً في لاكونية وقام بالخدمة العسكرية أن يرشح نفسه .

---

1 ـ انظر : أرسطو ، السياسة : ٥ ، ١٠ ، ٣ ، ١٢٧٠ ب .

2 ـ انظر : المصدر السابق ، ٢ ، ٦ ، ١٧ ، ١٢٧٠ ب.

3 ـ انظر : بلوتارخوس ، سيرة الرجال العظام ، ف ٢٦ ، وينعت أرسطو هذه الطريقة في الانتخاب بأنها صبيانية وغير لائقة ، إذ يجب أن يلي السلطة من كان أهلاً لها ، شاء ذلك أم أبى . انظر : أرسطو ، السياسة : ٢ ، ٦ ، ١٨ ، ١٢٧٠ ب .

كان مجلس الشيوخ ينظر بالدرجة الأولى في شؤون السياسة الخارجية، كما يهيئ المشاريع التي تُعرض على الجمعية العامة .. وفي الأدوار المتأخرة أصبح يحق له أن يعترض على مقررات الجمعية العامة ويفسخها .. ومجلس الشيوخ هو الذي ينظر في الحوادث المهمة والقضايا الجنائية والجرائم التي تتعلق بسلامة الدولة ويحكم بالإعدام وتُعد أحكامه قطعية .

وبالإجمال فقد كان لهذا المجلس سلطة واسعة وتأثير كبير في إدارة الحكومة .. ويقول الخطيب الإغريقي الشهير **ديموستينيس** : (***إنه في اليوم الذي يدخل فيه رجل إلى مجلس الشيوخ يصبح مستبداً في نظر الجمهور***) [1] . وكان من الطبيعي أن تكون سياسة هؤلاء الشيوخ الطاعنين في السن محافظة ، بل رجعية .

٣ ـــ الجمعية العامة (APELLA) :

ويتجلى ***العنصر الديمقراطي*** الضعيف في دستور إسبارطة في الجمعية العامة التي هي أقرب إلى مجلس الشعب ، وتتألف من جميع المواطنين الإسبرطيين الذين بلغوا الثلاثين من العمر واجتازوا مراحل التدريب التي يفرضها القانون ، وكانت تجتمع في منتصف كل شهر قمري بدعوة من المراقبين الخمسة القائمين على إدارة الحكومة ، فتعرض عليها جميع الأمور المتعلقة بالحياة العامة والقوانين والأنظمة الجديدة لتصوّت عليها فتقرها أو ترفضها ولكن دون أي مناقشة .. ***والجمعية العامة هي التي تنتخب جميع الموظفين وأعضاء مجلس الشيوخ والمراقبين الخمسة .*** ولكن هذا من الوجهة النظرية فقط لأن طريقة الانتخاب لا تترك لها مجالاً للانتقاء وتسلبها حق الاختيار ، كما أن مقرراتها لا تصبح نافذة إلا بعد موافقة الشيوخ والمراقبين عليها وإعلانها رسمياً .. وهكذا فقد كانت سلطة الجمعية التي تمثل الشعب الإسبرطي اسمية ليس لها من شأن كبير في توجيه السياسة . وعلى الرغم من أن الجمعية العامة كانت في الواقع تحت وصاية الشيوخ والحكام ، فإن النبلاء الذين كانوا يرتابون في أمرها قاموا فيما بعد يسعون إلى التخلص منها ، فأسسوا لجنة تشريعية تسمى (***الجمعية الصغرى***) تضم غير الملكين والشيوخ والمراقبين أبرز

---

[1] ـ انظر : **ديموستينيس** ، ضد ليبتينس ١٠٧ .

الشخصيات في الدولة من أصحاب الحل والربط ، وتعقد اجتماعاتها بصورة سرية فتبحث في جميع المسائل المهمة وتقرر ما تريد بشأنها .

وهناك أمر ينبغي أن ندخله في حسابنا قبل أن نطلق الصفة الديمقراطية بشكل مطلق على هذا المجلس ، هو الحق الذي كان يتمتع به أعضاء الهيئة التنفيذية وأعضاء مجلس الشيوخ ، وقد كانوا يحضرون جلسات الجمعية العامة ، وكان لهم (***حق الانسحاب***) من الجلسة إذا رأوا أن القرار الذي توصل إليه أعضاء الجمعية العامة قرار منحرف وقد كان هذا الانسحاب من الجلسة يعطل إصدار القرار الذي توصل إليه المجلس ، إذ أن قرار المجلس كان لا يعد نافذاً إذا تم هذا الانسحاب قبل أن يعلق منظمو الجلسة انفضاضها بشكل رسمي ، وهكذا كان (***حق الانسحاب***) المذكور يشكل في الحقيقة ضغطاً على الممارسة الديمقراطية الكاملة لأعضاء الجمعية العامة[1]، ***التي لم تكن سوى سمة شكلية لإضفاء العنصر الديمقراطي على الدستور الإسبرطي.***

٤ ــ *المراقبون الخمسة (EPHORES) :*

تتميز إسبارطة عن غيرها من النظم السياسية في دويلات المدن الإغريقية الأخرى بوجود نظام (***المراقبون الخمسة***) [2] ، ويبدو من المرجح أن هذا العدد كان مرتبطاً بعدد القرى الخمس التي قامت إسبارطة عليها نتيجة لاتحادها أو توحيدها .

وقد أحدث مثل هذا النظام (***كما رأينا سابقاً***) نتيجة الصراع بين الأرستقراطية والملكية ، والذي أدى إلى تقليص سلطة الملوك التنفيذية وانتقالها تدريجياً منذ نهاية القرن السابع ق.م إلى هؤلاء المراقبين الذين أطلق عليهم لقب (***EPHORES***) [3] . ***ولكن اعتباراً من القرن السادس استولوا على كل***

---

1 ــ انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى ، ص ١٤٤ .

2 ــ لم يرد ذكر لهذه الوظيفة في دستور (ليكورجوس) ، ربما لأنها لم تكن في بادئ الأمر تلعب دوراً مطلوباً ، على أن المراقبين الخمسة عظم شأنهم مع مرور الزمن ، حتى أصبحوا في منتصف القرن السادس ق.م يضاهون الملوك في السلطة . ثم توطدوا بعد الحرب الفارسية ــ الإغريقية ، أي في القرنين الخامس والرابع ق.م إلى الانفراد بالسلطة العليا .

3 ــ ومعنى الكلمة الحارس ، الرقيب ، الملاحظ .

السلطات التنفيذية التي كان يتمتع بها الملوك سابقاً الذين لم يترك لهم سوى السلطة الكهنوتية . وأصبح المراقبون الخمسة يمثلون أعلى السلطات التنفيذية في الدولة ، وليست هناك أي سلطة تعلو على سلطتهم حتى سلطة الملوك أنفسهم ، باستثناء فيما يتعلق بالمسائل الدينية فقط [1]، إذ تمثلت وظيفتهم الأساسية في جميع المسائل المدنية كالنظر في المعاهدات التجارية [2] ، واستقبال السفراء والوفود الأجنبية ، والفصل في جميع المسائل المتعلقة بالحقوق العائلية والملكية والإرث والزواج ، وتصنيف المواطنين حسب أوضاعهم الحقوقية وسلوكهم الأخلاقي . أما المسائل السياسية التي يقضون فيها فكانت على جانب كبير من الأهمية كإقرار الحرب والسلم والرقابة على تصرفات الملوك ، إذ كان اثنان منهم يرافقان ويراقبان الملك في الحملات العسكرية ، وهما اللذان كانا يحددان خطط الحملة ويديران جميع العمليات ، وتوجيه الاتهام إلى أي ملك واستدعاءه للمثول أمامهم إذا بدا في تصرفاته ما يبرر ذلك . كذلك كانوا مسؤولين عن المحافظة على النظام العام والتطبيق الصارم للقانون في الدولة ، ويشرفون على حفظ النظام الاجتماعي وتدريب الشبان على حمل السلاح والاستعداد للحرب ، ومن اختصاصهم إدارة شؤون طبقة (البريكوي) وتعيين الشرطة السرية(*KRYPTEIA*) لمراقبة (*الهيلوتس*) [3].

وكان المراقبون ينتخبون سنوياً من قبل الجمعية العامة ، وطريقة انتخابهم هي نفسها طريقة انتخاب مجلس الشيوخ [4] . ولكن في الواقع مجلس الشيوخ هو الذي

---

1 - انظر : فوستيل دي كولانج ، ص ٣٣٦ .

2 - انظر : أرسطو ، السياسة : ٣، ١ ، ٧ ، ١٢٧٥ ب .

3 - حول أهمية السلطات التنفيذية التي كانت بيد المراقبون الخمسة انظر : **كسنوفون**، دستور الإسبرطيين ٨ ، ١١ ، ١٥ ثم الطبلنيات ٢ ، ٤ ، ٣٦ ، ثم ٦ ، ٤ ، ١ حيث كان للمراقبون رئاسة الجمعية العامة ، **توكوديدس** ١ ، ٨٧ وكانوا يقررون تجنيد الشعب في الجيش ، وكان من حقهم محاكمة الملوك وسجنهم والحكم عليهم بالغرامة ، **هيرودوت** ٦ ، ٨٢ ، ٨٥ ، **توكوديدس** ١ ، ١٣١ ، **بلوتارخوس**، ليكورجوس ١٢ ، أجيس ١١ . واحتفظ الملوك ببعض الاختصاصات العسكرية ، ولكن المراقبون هم الذين يوجهونهم ويراقبونهم انظر : **كسنوفون**، الطبلنيات ٦ ، ٤ ، ١ ، **توكوديدس** ٥ ، ٦٣ ، **بلوتارخوس** ، أجيسلاوس ١٠ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٨، ليساندروس ٢٣٠ .

4 - انظر : أرسطو ، السياسة : ٢ ، ٦ ، ١٦ ، ١٢٧٠ ب .

يختار المراقبين الذين لم يكونوا هم أنفسهم من أفراد طبقة النبلاء ، إذ كانوا ينتخبون من عامة الشعب ويصفهم أرسطو (***انهم مع كونهم من السوقة يشرفون على المحاكمات الكبرى ، ولذلك فمن الأفضل أن لا يستقلوا برأيهم في القضاء، بل أن يتقيدوا بالسنن والشرائع***)[1]. ويباشر المراقبون وظائفهم في مبدأ السنة عند الإسبرطيين ، أي في منتصف الشهر القمري الذي يعقب الاعتدال الخريفي ، وأول عمل يقومون به هو إصدار بيان إلى المواطنين يدعوهم ***(إلى حلق شواربهم وإطاعة القانون)*** [2] . ومما هو جدير بالملاحظة ، أنه على الرغم من أن هؤلاء المراقبون كانوا ينتخبون من عامة الشعب كما يقول ***أرسطو*** ، إلا أن معيشتهم كانت تختلف كلياً عن معيشة بقية السكان وبعيدة عن أجواء إسبارطة الخشنة ويقول ***أرسطو*** في هذا الصدد (***إن عيش الرقباء (المراقبون) لا يجاري مشيئة الدولة لأنه مسترسل في الرخاء ، وأما عيش الآخرين فهو متناه في الشظف***)[3].

وهكذا نرى أن السلطات التنفيذية قد انتزعت نهائياً من يد الملوك نتيجة انتصار الطبقة الأرستقراطية ، ولم يبقَ لهم سوى السلطة الكهنوتية وبقيت مشيئتهم السياسية خاضعة لمجلس الشيوخ وإلى سلطة المراقبين التنفيذية .

خامساً : النظام الاجتماعي :

كان الهدف من دستور إسبارطة هو المثل الأعلى للقوة والشجاعة ، ولذلك كان الإسبرطيون يفرضون على كل فرد نظاماً صارماً ودقيقاً منذ الولادة ، وهم لم يقتصرون على السماح للوالد بقتل أطفاله المشوّهين ، بل كانوا يحتمّون على كل مواطن أن يعرض مولوده الجديد أمام لجنة من المراقبين ، فإذا تبين ضعفه أو وجدت فيه نقصا كان يُقذف به من ذروة الجبل ليموت جوعاً أو قتلاً، أما إذا كان سليماً أعيد إلى بيت أهله ليقضي السنوات السبع الأولى ثم تتولى الدولة تربيته، وفي سن السابعة يُفصل الصبي عن أسرته ويربى من قبل الدولة . ***ويمتدح أرسطو مثل هذه***

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق .

2 – انظر : محمد كامل عياد ، ص ١٨٤ .

3 – انظر : أرسطو ، السياسة : ٢ ، ٦ ، ١٦ ، ١٢٧٠ ب .

الطريقة الإسبرطية في التربية الجماعية من قبل الدولة لأنها تربية عامة ، ويدعو إلى سن الشرائع والقوانين من أجل جعل هذه التربية عمومية [1] . وكان الصبيان يقسّمون في زمر تحت إشراف مدرّب يتولى تدريبهم الشجاعة والصلابة والقدرة على القتال وقبول العقاب الذي يفرضه عليهم ، والإشراف على التمارين والمبارزات الرياضية وهم عراة الأجسام ، ويقول *توكوديدس*: (*إن الإسبرطيين أول من مارس الألعاب الرياضية وهم عراة ، فكانوا يخلعون ملابسهم أمام الجميع ويدلكون أجسادهم بزيت الزيتون بعد الانتهاء من تمارينهم الرياضية*) [2] .

وعندما يبلغ الصبي الثانية عشرة من العمر ، يمنع عن ارتداء شيء من الثياب عدا رداء واحد في كل الفصول ، ويؤكد على ذلك *توكوديدس* بقوله : (*أما الإسبرطيون فهم أول من بدأ باللباس البسيط الذي يتفق وذوقنا الحديث ، حيث يسلك الأغنياء سلوكًا أقرب إلى حياة الناس العاديين*) [3] . ويظل الشبّان يعيشون بعضهم مع بعض حتى سن الثلاثين في أكواخ لا تعرف شيئاً من أسباب الراحة والسعادة . ويقتصر تعليم الإسبرطيين على القراءة والكتابة حتى لا يبقوا أميين ، ولكنهم لا يتجاوزون ذلك إلى دراسة شيء من العلوم والآداب ، ولذلك لم يكن هناك مكتبات أو مدارس علمية في إسبارطة ، *لأنهم كانوا يعتقدون أن كيان الدولة يقوم على صلاح التربية الأخلاقية وليس الفكرية ، إن الخلق في نظرهم أهم بكثير من العقل* . والشبّان الذين يمتازون بسلوكهم ويمتازون تدريباتهم بنجاح يُسمح لهم بحضور اجتماعات المواطنين ليستمعوا بانتباه إلى ما يجري في هذه الاجتماعات العامة من أحاديث ، ويتعرفوا إلى المسائل السياسية ويعتادوا على أساليب المناقشة ، وإذا بلغوا الثلاثين من العمر يصبحون في عداد المواطنين ويتمتعون بجميع الحقوق المدنية .

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ٨ ، ١ ، ٣ ، ١٣٣٧) .

2 – انظر : **توكوديدس** ، الكتاب الأول ، ص ٢٢ .

3 .. نفس المصدر السابق .

أما الفتيات فإنهن رغم بقائهنّ في البيوت يخضعن أيضاً لمراقبة الحكومة وتعليماتها ، وكان يُفرض عليهنّ أن يشتركن في الألعاب الرياضية والمباريات مثل ركض وصراع ورمي قرص ليصبحن أقوياء يتمتعنّ بصحة جيدة ويقمن بوظيفة الأمومة على أحسن وجه ، ويُفرض عليهنّ أن يسرن في مواكب الاحتفالات والرقص وهنّ عاريات الجسم ، ولو كان ذلك على مرأى من العامة ، حتى يضطررن إلى العناية بأجسامهنّ ، إذ يقول *بلوتارخوس* في هذا الخصوص (*إن الإسبرطيين لم يكونوا يجدون في عري الفتيات أي شيء يدعو إلى الخجل*) .. وكانت الفتيات ينشدنّ أثناء الرقص قصائد في تمجيد الشجعان الذين يخوضون غمار الحرب ، بينما تسخر هذه القصائد من الجبناء الذين يهربون من المعركة . وكان الإسبرطيون يسمحون لشبّانهم بمقدار كبير من الحرية في المسائل الجنسية قبل الزواج، ولذلك لم يكن هناك أثر للبغاء عندهم ، ولم يكن يُسمح للفتاة المريضة الزواج ، لأن النسل لا بد أن يأتي مكتمل الصحة ، إذ كان على الفتاة المريضة أن تحجم هي نفسها عن الزواج [1] . والأمر نفسه كان يُطبّق على الفتيات القصيرات الطول والضئيلات في الحجم [2] .

وكانت الحكومة الإسبرطية تحدد موعد الزواج للرجال في الثلاثين من العمر وللفتيات في العشرين .. وكانت العزوبة تُعد جرماً في إسبارطة، فيحرم العزّاب من مخصصات الإعاشة ويمنعون من مشاهدة الاحتفالات العامة التي يرقص فيها الفتيان والفتيات عراة الأجسام ، وكثيراً ما كانت جماعات من النساء يمعنّ في ضرب الرجال العزّبَ وإيذائهم .. والرجال الذين يتزوجون ثم لا يرزقون أولاداً يصبحون

1- DONALDSON , JAMES WOMAN : HERPOSITION AND INFLUENECE IN ANCIENT GREECE AND ROME . AND AMONG EARLY CHISTIANS PRESS . N. Y , 1937 . P 27 .

2 – انظر : محمد كامل عياد ، ص ١٨٦ . ونجد أرسطو مثل هذه الطريقة الصحيحة في الزواج ، ويشجع المشرّعين على أن يوجدوا الأساليب التي تسحب منذ البداية خير الأجسام (ولكن غير الأساليب الإسبرطية) كالتقارب في العمر بين الزوجين ، وعدم البعد بينهما في قواهما وهذا ما يؤدي إلى عدم النفور والشقاق بين الزوجين انظر : أرسطو ، السياسة : ٧ ، ١٤ ، ١ ، ١٣٣٤ ب .

أيضاً عرضة للنقمة ، فإن أمثال هؤلاء لا يستحقون في نظر الإسبرطيين شيئاً من الاحترام .

وكان الزواج يمهد له عادة من قبل الأبوين ، ولم يكن يُدفع شيء من المهر ، على أنه بعد اتفاق الأسرتين كان يُنتظر من الشاب أن يخطف خطيبته بالقوة ، وأن تبدي هذه من جهتها أشد المقاومة، وكان اللفظ الذي يعبر عن هذا الزواج هو (*الاغتصاب*) [1] . وإذا لم يتم الزواج بهذا الشكل ، فإنهم كانوا يجمعون عدداً من الرجال غير المتزوجين ومثلهم من النساء ويدفعونهم جميعاً إلى غرفة مظلمة ليخطف كل واحد زوجة له [2] . والطلاق كان نادراً وغير مستحب ، وقد عوقب القائد الإسبرطي المشهور (ليساندر) لأنه ترك زوجته وأراد الاقتران بامرأة أجمل منها، والجمع بين الزوجات كان ممنوعاً أيضاً إلا لظروف استثنائية ونادرة جداً كما حصل مع ملكها (*أناكساندريداس*) الذي تزوج من ابنة شقيقته ولم تنجب أولاداً، فاضطر إلى الزواج من امرأة ثانية بأمر من المراقبين الخمسة (الإيفورات) كي لا تنقرض أسرته ، وتلك كانت سابقة لم تعرف في إسبارطة مثلها من قبل [3] ولم يكن للفتاة في جميع الأحوال رأي خاص في اختيار زوج المستقبل .

ولم يقتصر عمل المرأة الإسبرطية على أعمال المنزل ، بل كانت تخرج إلى الأسواق وتعمل بالتجارة ، ولما كان الكثيرون من الإسبرطيين الذين يحصلون بمختلف الوسائل غير المشروعة على ثروات طائلة ، ويخافون من افتضاح أمرهم ، كانوا يودعون أموالهم عند الرهبان ويسجلون أملاكهم باسم زوجاتهم ، وكان النساء هنّ اللواتي يقمن بشراء هذه الأراضي أو بيعها واستثمارها، ولذلك يقول

---

1 – انظر : إمام عبد الفتاح إمام ، ص ٤٩ .

2 – انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، حياة اليونان ، المجلد ٦ و ٧ ، ترجمة محمد بدران ، مجلد ٦ ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

3 – انظر : هيرودوت ، الكتاب الرابع ، ص ٣٨٩ .

أرسطو : (*إن النساء في إسبارطة كنّ يملكن على وجه التقريب خمسي البلاد*)[1].

وكان يُفرض على كل إسبرطي من سن الثلاثين حتى الستين أن يتناول طعام العشاء على المائدة المشتركة (*PHIDITIA*) أو (*SYSSIDITIA*)[2]، مع أفراد جماعته، والطعام في منتهى البساطة وقليل الكمية لأن كثرة الطعام والعناية بتنويعه والتفنن في هيئته يفسد الجسم والعقل معاً . وكانت كل جماعة تتألف من خمسة عشر شخصاً يشتركون في مائدة واحدة ، ويقدم كل منهم في كل شهر مقداراً معيناً من الطحين والخمر والجبن والتين المجفف ومبلغاً صغيراً من المال لشراء اللحم، ويحق للجماعة أن تفصل عنها كل من يتخاذل في القتال أو يعجز عن تقديم الأرزاق المطلوبة، ولما كان هذا يستوعب كل وقته أو أغلبه، فإن الدولة كان عليها أن ترعى شؤونه المادية والأسرية ، وذلك بإعطائه مساحة كبيرة من الأرض الصالحة للزراعة وعائلة أو أكثر من العبيد (*HELOTAI*) لفلاحتها والعمل فيها ، وكان على هؤلاء العبيد أن يعطوا الإسبرطي الذي يعملون في أرضه نصف العائد من هذه الأرض ، كما كان عليهم أن يقوموا على خدمته هو وأسرته سواء في أوقات السلم أم في الحرب ، وهذا القسم من العائدات الذي يقدمه العبيد لسيدهم الإسبرطي كان جزءٌ منه يذهب لتغطية نفقات المعيشة بالنسبة لأسرته ، والجزء الآخر لتغطية نفقات عضويته مع أفراد جماعته التي ينتمي إليها .. إذ يقول أرسطو: (*إن كل امرىء في الجماعة مضطر إلى تحمل بعض نفقاتها ، وإن ساءت حال بعضهم جداً وعجزوا عن القيام بهذه النفقة*)[3] . إلا أنه ينتقد طريقة الموائد الإسبرطية ، لأن الإنفاق على هذه الموائد برأيه (*يجب أن يكون من صندوق الدولة كما يفعل في كريت وليس من جيوب*

---

1 – انظر : أرسطو ، السياسة : ٢ ، ٦ ، ١١ ، ١٢٧٠ أ ، ويتهم أرسطو إلى التفاوت في الثروات في إسبارطة ، إذ وفق البعض إلى إحراز ثروة طائلة ، وأوفى غيرهم ثروة زهيدة جداً ، ولذا وقعت البلاد في حوزة أناس قلائل انظر : ٢ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢٧٠ أ .

2 – أي الأكل الزهيد المتسم بالشاعة والتقشف ، والموائد العامة عندهم نظام حكومي كان يُفرض على المواطنين أن يتناولوا طعامهم على موائد عمومية ، حيث يقدم لهم أكل زهيد كانوا يساهمون في نفقات إعداده ، وغاية ذلك النظام كانت حمل المواطنين على القناعة والاقتصاد وتعويدهم خطف الحياة الحربية .

3 – انظر : أرسطو ، السياسة : ٢ ، ٦ ، ٢١ ، ١٢٧١) .

أعضائها ، وكان السياسة في إسبارطة ممنوعة على كل من لا يستطيع تحمل تلك الضريبة)[1] .

وقد ظلت عادة التقشف والبساطة في إسبارطة سائدة عصوراً طويلة ، إذ كان من النادر مشاهدة رجال مفرطين في البدانة ، وإذا ما وجدوا كانت الحكومة تقوم بتوبيخهم ، وربما تقرر طردهم من البلاد، كذلك لم يكن يُسمح بالإكثار من شرب الخمر ومخالفة ذلك تعرّض مرتكبيها للعقاب .

هذه الجماعات هي الخلايا الأساسية في تكوين المجتمع الإسبرطي ، فقد كانوا أفراد خيمة واحدة ويؤلفون في جبهة القتال صفاً واحداً .

ولم يكن يُسمح للأجانب بالدخول إلى إسبارطة ولا الإقامة فيها إلا في بعض الظروف الاستثنائية، كذلك حالت دون السفر الإسبرطيين إلى خارج البلاد إلا بعد موافقة الحكومة . ***والهدف من ذلك ، أن إسبارطة كانت تسعى دوماً إلى إثارة الغرور والإعجاب بالنفس بين المواطنين وتجعلهم يعتقدون بأنهم أفضل من غيرهم، ولا يحتاجون إلى اقتباس شيء من الآخرين .***

فلذلك كانت إسبارطة في حالة استنفار دائم ، لكي تواجه أعداءها في الداخل والخارج معا ، فكانت الدولة أشبه بمعسكر ضخم متأهب دائما للقتال ، فأخضعت كل النظم التربوية والاجتماعية والاقتصادية لمقتضيات الحرب ، إذ يقول *أرسطو* : (***إن قوانين إسبارطة لا ترمي إلا إلى الشطر الحربي من الفضيلة ، إذ هو مفيد للسيطرة ، ولذلك كانوا يفوزون بالسلامة بمزاولة الحروب ، ويصيرون إلى الهلكة بفرض سيادتهم على الآخرين ، لأنهم لا يعرفون الخلود إلى السكينة ، ولا الانصراف إلى رياضة أرقى من التمارين الحربية***)[2] .

فالنظام الإسبرطي لم يكن ليستطيع الدفاع عن كيانه إلا باستخدام مثل هذه الوسائل البعيدة عن اللطف ، وكان القائمون على هذا النظام يعرفون جيداً بأنهم إذا سمحوا للسكان باستنشاق نسيم الحرية والرخاء والأدب والفن السائد في المدن الإغريقية الأخرى، فلا بد أن ينهار البناء المصطنع لهذا المجتمع الغريب الذي كان ثلثا

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق .

2 – انظر : نفس المصدر السابق ٢ ، ٦ ، ٣٢ ، ١٢٧١ ب .

الشعب فيه أقناناً وجميع الحكام أنفسهم عبيداً لفكرة النظام المطلق والطاعة العمياء . ولاسيما أن المجاورون لإسبارطة ـ كما يقول أرسطو ـ كلهم من الأعداء كالأرجوسيين والميسينيين والأركاديين [1] .

سادساً : النظام العسكري وقيام الحلف البلوبونيزي :

كان الجيش هو الذي يمثل قوة إسبارطة ومجدها ، وكانت سلامة الإسبرطيين متوقفة على شجاعة جنودهم وما يتصفون به من المهارة وروح النظام والتضحية ، ويقضي الدستور الأخلاقي في إسبارطة أن يكون المواطن جندياً قوياً وشجاعاً، وأعظم شرف وأسمى سعادة للمواطن الإسبرطي أن يموت في ساحة الوغى ، وأشنع عار يلحق الجندي هو أن يبقى على قيد الحياة بعد هزيمة الجيش ، إن والدة الجندي نفسها لم تكن لترضى بذلك ، وكانت الأم الإسبرطية تودع ابنها عندما يذهب إلى الحرب بقولها : (*لا تعد إلا وانت حامل درعك او محمولاً عليه*) ذلك أن الدرع الإسبرطي كان ثقيلاً لا يمكن للجندي أن يهرب إلا إذا تخلى عنه .

كانت الخدمة العسكرية مفروضة على الإسبرطيين كافة منذ سن العشرين حتى الستين ، وكان يجب على كل مواطن أن يكون متأهباً للحرب دوماً، وقد كانوا جميعاً ينامون في الثكنات إلى أن يبلغوا سن الثلاثين ، وعندما يعلن النفير العام يعرف كل مواطن السرب الذي ينبغي أن ينضم إليه في الحال ، وكان كل سرب يتألف من (٤٠) مقاتلاً وتتألف الكتيبة من أربعة أسراب والفرقة من أربع كتائب . وكان الجيش الإسبرطي في بادئ الأمر يتكوّن من خمس فرق تضاف إليه في وقت الحرب فرقة سادسة من الكشافة والحرس عدا الجنود المساعدين من طبقة (*البريكوي*) و (*الهيلوت*) ، ثم أصبح عدد الفرق سبعاً في القرن الخامس وبعد سنة ٤٢٥ ق.م قُسّم الجيش إلى فيالق يتألف كل واحد من فرقتين تضم الأولى المواطنين الإسبرطيين ، والثانية جنود البريكوي والهيلوت .

بفضل هذا النظام وهذه الروح استطاع الجيش الإسبرطي أن ينال شهرة واسعة ومكانة عظيمة رغم قلة عدده ، إذ لا تذكر الأخبار أنه زاد في يوم من الأيام

---

[1] ـ انظر : نفس المصدر السابق ٢ ، ٦ ، ٣ ، ١٢٦٩ ب .

على عشرة آلاف جندي .. وكان الإسبرطيون بعد الاستيلاء على مقاطعة ميسينة والقضاء على الثورة التي قامت فيها نحو سنة ٦٤٠ ق.م ، يحتاجون إلى الجيش للاحتفاظ بسيطرتهم على السكان المستعبدين ، ولذلك كانوا لا يستطيعون إرسال حملات عسكرية إلى خارج الحدود وفتح بلاد جديدة ، ويعزو المؤرخون الإغريق هذه السياسة الجديدة إلى خيلون (*CHILON*) الذي كان أحد المراقبين في منتصف القرن السادس ق.م وأدّى دوراً مهماً في تاريخ بلاده ، وقد أدرك (*خيلون*) أن قلة عدد الإسبرطيين لا تسمح لهم بتوسيع حدود بلادهم أكثر مما كانت عليه ، كما لاحظ في الوقت نفسه أن الحكم الأرستقراطي أخذ ينهار في أكثر الدول الإغريقية حتى في البلاد المجاورة لإسبارطة في شبه جزيرة البلوبونيز ليقوم مكانه الحكم الدكتاتوري . وكانت الحكومات الدكتاتورية تسعى إلى تأسيس حلف بينها ، الغاية منه أن يُساعد بعضها بعضاً على دعم نظام الحكم السائد فيها ، ثم توحد جهودها لدرء الخطر الفارسي الذي كان يهدد بلاد الإغريق كلها . وقد قام (*خيلون*) يعارض هذه السياسة لأنه كان يريد أن تبقى إسبارطة بعيدة عن هذا الحلف ، تعيش منعزلة في شبه جزيرة البلوبونيز ، ولكن على شرط أن تكون محاطة بحكومات أرستقراطية مثلها ، ولهذه الغاية أسس (*خيلون*) الاتحاد البلوبونيزي الذي يستند إلى هذين المبدأين :

١ ــ الاستقلال المطلق للدول الداخلة في الاتحاد ، فهي ليست مكلفة بدفع أي ضريبة أو قبول ثكنات عسكرية في أراضيها ، بل أنه يُترك لكل واحدة منها الحرية التامة في علاقاتها الخارجية مع جميع الدول الأخرى ، على شرط أن لا يكون في ذلك ما يهدد الاتحاد البلوبونيزي .

٢ ــ إذا نشبت حرب بين الاتحاد ودولة أخرى ، فإن القيادة العليا تكون لإسبارطة ، ويتعهد جميع أعضاء الاتحاد بتقديم الفرق العسكرية التي تطلب منهم عند الحاجة [1] .

---

[1] - انظر : محمد كامل عياد ، ص ١٩٤ .

وقد تم الاتفاق على أن يعقد مجلس الاتحاد في إسبارطة ، فترسل كل دولة مندوباً عنها وتتخذ المقررات بأكثرية الأصوات . وفي الواقع أن السيطرة الحقيقية ضمن هذا الاتحاد كانت في يد إسبارطة ، ولم تكن الدول الأخرى تستطيع مخالفة إرادتها ، وقد انضم إلى الاتحاد الدول التالية : تيجية ، كورنثة ، أبيدوروس ، ميجارة، أجينة .

كانت الحكومات الأرستقراطية في كل مكان تلجأ دوما إلى إسبارطة وتطلب مساعدتها إذا شعرت بخطر الثورة ، وبذلك أصبحت إسبارطة أقوى دولة في بلاد الإغريق كلها ، واتجهت إليها الأنظار لتتولى قيادة العالم الإغريقي في درء الخطر الفارسي . وقد استنجدت بها الدول الأيونية في آسية الصغرى عندما بدأت الجيوش الفارسية تزحف عليها ، ***ولكن إسبارطة التي لم تفكر إلا في أنانيتها ومصالحها الذاتية الضيقة والمحافظة على نظامها الخاص وسيطرتها على السكان المستعبدين*** ، رفضت التحالف ومساعدة المدن الأيونية ، فكان ذلك من حسن حظ الإغريق ، لأن مدينة إغريقية أخرى مندفعة في طريق التقدم متجهة نحو المستقبل تطوعت لتولي القيادة عوضاً عن إسبارطة ونعني بذلك أثينة .

سابعاً : تقويم النظام الإسبرطي :

يتبين من خلال دراستنا السابقة للنظام الإسبرطي ، أن هذا النظام الغريب من نوعه في التاريخ القديم يتميز بخصائص ***إيجابية وسلبية*** :

١ ــ الخصائص الإيجابية :

من إيجابيات هذا النظام أنه ذو فضل كبير في تكوين شعب يمتاز أفراده بقسوة الأجسام وتحمل المشاق والمهارة الحربية ، إذ اعتاد الإسبرطيون على الحرمان وكانوا يعيشون في منتهى التقشف والبساطة بحيث لو خيّر الرجل الحديث في معيشة النظام الإسبرطي لفضّل أن يعيش كالرقيق لا كالمواطن الإسبرطي . وتتحدث في هذا المجال قصص كثيرة لا تحصى عن إسبارطة والإسبرطيين ، غير أن جميع هذه القصص تعالج أسلوب الحياة الإسبرطية كلها في اتجاه واحد ، فعندما دعي أحد الأغنياء من أهالي (***سيباريس***) بجنوبي إيطالية إلى تناول الطعام علناً في إسبارطة مع الإسبرطيين ، ولما

رأى من عجائب مائدة الطعام ما لم تستطع أن تتذوقه النفس البشرية قـــال : (*إني أفهم الآن لماذا لا يخشى الإسبرطيون الموت*) . وعندما سُئل الملك (*أجيـــيلاوس AGESILAUS*) عن أعظم فائدة قدمتها قوانين (*ليكورجوس*) للإسبرطيين ، أجاب (*احتقار السرور*) ، وعندما رأى (*ديوجينيس DIOGENES*) الزاهد وهو في أولمبية بعض شبان (*رودوس*) في ثياب جميلة جداً قال من فوره (*هذا تكلف*) ، فلما رأى بعض الإسبرطيين في ثياب بالية قال (*تكلف أعظم*) .

وكان المثل الأعلى للحياة الإسبرطية هو، إثارة الغرور والإعجاب بالنفس بين المواطنين والشعور بالافتخار بأنهم (*إسبرطيون*) وأفضل من غيرهم مـــن الشـــعوب الأخرى . ويصف لنا (*بلوتارخوس*) وصفاً جميلاً لإحدى القيم والمثل العليا عنـــد الإسبرطيين بقوله (*عندما كان هناك رجل مسن أثناء الألعاب الأولمبية يتجول هنا وهناك باحثاً عن مقعد والجمهور يسخر منه ، فلما انتـــهى إلى حيـــث يجلـــس الإسبرطيون وقف كل شاب منهم احتراماً له ، وكثيرون ممـــن تخطـــوا مرحلـــة الشباب وعرضوا عليه مكاناً للجلوس ، فهتف الجميع للإسبرطيين ، وعندها قال الرجل المسن وهو يتنهد (أن الإغريق جميعاً يعرفون الصواب غير أن الإسبرطيين وحدهم الذين يفعلونه*) [1] .

وهكذا يتبين لنا أن المغزى الحقيقي من قوانين (*ليكورجوس*) لم تكن تهدف فقط إلى مجرد إخضاع الرقيق للدولة ، وإنما إلى خلق المواطن المثالي ، وهذا هو المثل الأعلى للحياة الإسبرطية التي فرضت نمط أسلوبها على الحياة ، وليس العكس بـــأن فرضت الحياة أسلوب نمطها المتغير والمتجدد على المجتمع الإسبرطي المحافظ . هـــذا المجتمع الذي اتصف بشجاعة نادرة قلّ مثيلها في جميع المجتمعات القديمة حيث كانوا في كثير من الظروف يفضّلون الموت على تحمّل عار الهزيمة ، و لو كانت هذه الهزيمة تشكل نصراً لهم من خلال المناورة في المعارك المقبلة . ويجمع المؤرخون القدماء ومن بينهم *هيرودوت* على إعجابهم بهذه الصفة ، *ويذكرون جميعا المقاتلين الإســـبرطيين الثلاثمائة الذين عُهد إليهم المحافظة على ممر (ترموبيلي) في الحـــرب الفارســـية* ـــ

---

[1] – انظر : كيتو ، ص ١١٩ .

الإغريقية بقيادة ملكهم ليونيداس(LEONIDAS) والذين لم ينسحبوا من المعركة رغم مخاطرها المؤكدة ورغم كل ظروف النجاة المتوافرة لهم . ويصف هيرودوت لنا تلك الشجاعة المنقطعة النظير بقوله : (*وفي احتدام القتال سقط ليونيداس بعد أن قاتل قتالاً مشرّفاً، وقُتل معه الكثير من الإسبرطيين المبرزين — وقد بلغتني أسماؤهم كما تستحق أن نذكر أسماء الجديرين بالتخليد ، والحق أن ما بلغني من تلك الأسماء ثلاثمائة . . وقد صمد أولئك الرجال حتى سقط آخرهم ، وقاتلوا بكل ما ملكوا باليدين والأسنان حتى تمكن الفرس منهم حين هجموا عليهم ، بعدما تعدوا خرائب الجدار ، وأطبقوا عليهم من ورائهم وتغلبوا عليهم أخيراً بفضل أسلحتهم التي كانوا يرمونهم بها من بعيد*) [1] . ويتابع هيرودوت روايته حول تفاصيل هذه المعركة إذ يروي (*إنه كان هناك رجل نجا من الثلاثمائة ، يدعى بانتيتيس ، وتفصيل ذلك أنه كان في مهمة في تسالية — ففاتته المعركة . ولما عاد هذا إلى إسبارطة قابله الناس بالتنديد ، فلم يقو على احتمال العار والتحر بأن شنق نفسه*) [2] ، وذلك تنفيذاً لوصية كل أم إسبرطية لولدها أثناء ذهابه للقتال بقولها — كما ذكرنا سابقاً — (*لا تعد إلا وحامل رمحك أو محمولاً عليه*) ، وقال أحد التراخيين لأحد أبطال إسبارطة يدعى ديناسيس قبيل المعركة (*إن الفرس حين يرمون سهامهم يغطون الشمس بها ، ولكن ديناسيس ، قابل ذلك الوصف لقوة جيش فارس بجنان ثابت ، وعلّق بقوله : قد جاءنا هذا الغريب من تراخيس بأخبار طيبة ، فسوف نخوض معركتنا تحت الظلال*) [3] .

وتُعد إطاعة القوانين عند الإسبرطيين أفضل الفضائل في كل الحالات ، وتُعد نموذجاً للامتياز البشري بالنسبة إليهم ، إذ لا يمكن أن نجد في التاريخ شعباً آخر يفوقهم في احترام القانون والخضوع له . فالطاعة عند الإسبرطيين لم تكن حادثاً نفسياً ونتيجة قرار إداري ينبجس عن شخصية الفرد ، بل مفهوم ميتافيزيقي ، إلهاً

---

1 - انظر : هيرودوت ، الكتاب السابع ، ص ٥٧٦ .

2 - انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٥٧٩ .

3 - انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٥٧٧ .

تفيد الخضوع الاضطراري لقانون مقدس تفرضه الإرادة الإلهية . وليس أدل على ذلك النصب التذكاري (*نصب تمثال الأسد*) الذي أقامه الإسبرطيون بعد انتهاء الحرب الفارسية في المكان الذي قُتل فيه ملكهم (*ليونيداس*) وجنوده لتخليد ذكرى هؤلاء الأبطال في معركة (*ترموبيلي*) حيث كُتب عليه مايلي : (*أيها الغريب ، إذا مررت بإسبارطة فقل للذين هناك إننا راقدون في هذا المكان امتثالاً للقوانين التي فرضوها*) [1] .

ويروي لنا **هيرودوت** رواية رائعة جداً عن قوة الإسبرطيين وشجاعتهم وإطاعتهم للقوانين، وذلك عندما تقابل الملك الفارسي (*أكسركس*) مع الملك الإسبرطي (*ديماراتوس*) المخلوع والهارب إلى الفرس لأسباب لا مجال لذكرها الآن باعتبار هذه الأسباب تخرج عن نطاق الموضوع الذي نحن بصدده . إذ قال له *أكسركس* (*حدثني يا ديماراتوس إذا كان الإغريق يجرؤون على الوقوف في وجهي ، وقد رأيت ما رأيت من قوتنا ؟ فإنني أعتقد أنه لو اجتمع الإغريق وشعوب الغرب كله لما استطاعوا الصمود أمام جيشي — فماذا يكون شأنهم إذا كانوا متفرقين ، ذلك هو اعتقادي ، ولكن ما أريد سماعه هو رأيك أنت في هذا الأمر* . رد ديماراتوس : *كان الفقر الإرث الذي ناله الإغريق من سالف الأزمان، أما الثبات والاستبسال في القتال فقد نالوهما بالحكمة وقوة الشريعة، وبفضل بسالتهم وشدتهم في الحرب أمكن لهم أن يبعدوا عنهم الفقر والطغيان ، وإني لا أقصد ذلك كل الإغريق ، وإنما ذلك يصدق على الإسبرطيين وحدهم ، وأول ما أقول هو أنهم لن يقبلوا منكم ، مهما تكن الظروف ، ما قد يعني العبودية للإغريق ، ثانياً : لسوف تجدونهم يشبون لقاتلتكم ولو خضعت لكم بلاد الإغريق كلها ، وليس يجدي أن يسأل المرء إن كان لديهم العدد الكافي من الرجال لهذا الأمر ، فإن كان لديهم في الساحة ألف رجل قاتلكم هؤلاء إن كبر عددهم أم صغر*) [2] . ولكن (*أكسركس*) ضحك مما سمع من (*ديماراتوس*) قائلاً له : (*أتحسب يا ديماراتوس أن بوسع ألف رجل أن يقاتلوا جيشاً كجيشي ، وهل*

---

1 - انظر : نفس المصدر السابق .

2 - انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٥٢٦ .

أنت مستعد لقتال عشرة رجال وحدك منفرداً) . ورد (ديماراتوس) قائلاً: (أنت تعلم أيها الملك ، إذا أردت الحقيقة عن الإسبرطيين ، وأنت تعلم إني لا أكنّ وداً لمواطني ، وقد سعوا على إرثي من السلطان والامتيازات ، وجعلوا مني شريداً بلا وطن — بينما رحب بي والدك في بلاطه ووفر لي أسباب العيش والمأوى ، وأنا لا أزعم لنفسي القدرة على قتال عشرة رجال ، بل لا اثنين ، بل إن شئت الحق فإني لا أميل لمصارعة رجل واحد، ولكن إذا جدّ الجد ودعت الضرورة، وكان ثمة أمر خطير يحفزني فلسوف يكون من دواعي غبطتي العظيمة أن أنازل واحداً من رجالك هؤلاء الذين يزعمون أنهم أهل لمنازلة ثلاثة من الإغريق . وهذا شأن الإسبرطيين أيضاً: فإن قاتلوا فرادى كان الواحد منهم نداً لأي رجل آخر، أما إذا قاتلوا مجتمعين فهم أفضل الجنود في العالم. أما أنهم قوم أحرار، فهذا حق، ولكنهم ليسوا أحراراً على وجه الإطلاق، ذلك أن لهم سيداً يخضعون له، وهذا السيد هو القانون الذي يخافونه أكثر من خوف رعاياك منك، وهم يمتثلون لما يقتضيه منهم هذا السيد وأوامره ثابتة لا تتغير وتقول ألا تراجع في المعركة، مهما اشتدت الأهوال، بل الثبات والتماسك ، ثم النصر أو الموت)[1].

ولا ريب في أن هذه الصفة(*إطاعة القانون*) كانت من أهم العوامل في قسوة إسبارطة التي ظلت الدويلات الإغريقية الأخرى جميعاً تهابها مدة قرنين من الزمان، ولاسيما بعد أن أرغموا جميع الدول المجاورة لهم على الدخول في الاتحاد البلوبونيزي الذي خضع لسيادتهم من سنة ٥٦٠ – ٣٨٠ ق.م ، والذي كان عاملاً في حفظ السلام طوال هذه المدة في شبه جزيرة البلوبونيز .

ولقد اهتم *أفلاطون* اهتماماً واضحاً بإسبارطة لأسباب عديدة، منها طبقته الأرستقراطية التي كانت من أصحاب الميول الإسبرطية وربما أثر موقفها في أفلاطون الشاب، ثم ازداد إعجابه بنظام إسبارطة بعد هزيمتها لأثينة في حرب البلوبونيز عام ٤٠٤ق.م . ولا شك أن أحد الأسباب الرئيسة في إعجاب أفلاطون بإسبارطة هو نظامها في التربية حتى أن تفكيره اتجه منذ البداية إلى هذه السمة الأساسية في الحياة الإسبرطية[2] . وقد اقتبس أفلاطون من النظام الإسبرطي المثل الأعلى للمجتمع

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٥٢٦ – ٥٢٨ .

2- MORROW , GIENN R : PLATON CRETAN CITY . PRINCETON UNIVERSITY PRESS . N . J . 1960 , P 52 .

الذي تصوره في محاورة (الجمهورية)، ويقول المؤرخ الإغريقي الشهير (كسنوفون) *(لقد لاحظت بكثير من الدهشة في بادئ الأمر المكانة الفريدة التي تحتلها إسبارطة بين الدويلات الإغريقية، فهي قليلة السكان بالنسبة إلى غيرها، ولكنها في الوقت نفسه تمتاز بقوة عظيمة وتتمتع باحترام كبير، على أنه بعد أن درست مؤسساتها ونظامها زال تعجبي)*.

٢ ـ الخصائص السلبية :

ومن سلبيات هذا النظام أن الخلق الإسبرطي يتصف بأنانية ضيقة وخشونة جافة وقسوة عظيمة ، وإن كان هذا النظام يخرّج جنوداً أقوياء شجعان، إلا أنه كان يقتل جميع الاستعدادات والمواهب الأخرى ولاسيما العقلية. *فمن جهة أن كل التدريبات العسكرية للشبان لم تكن الغاية منها اكتساب الرشاقة أو المهارة في الحركة، كما هو عند الأثينيين، بل الشجاعة والصلابة والقدرة على القتال*، ومن جهة أخرى أن الذي يثير الاستغراب في هذه التدريبات الكثيرة التي تبدأ في سن مبكرة لم يكن هناك إلا الحد الأدنى من الاهتمام بالقراءة والكتابة، وكذلك الأمر في الموسيقى، بل كل ما هنالك الأغاني والأناشيد التي تمجد الماضي وتحث على القتال. وهذه من بين النقاط التي عابها أفلاطون على النظام الإسبرطي وعلى موائده المشتركة التي تقتصر على الرجال دون النساء، والتي لم يسمح لأحد من أعضائها بتناول وجبة الغذاء مع أسرته ولو ليوم واحد. فالملك (أجيس) عندما عاد منتصراً من إحدى غزواته ضد الأثينيين في الحرب البلوبونيزية ، لم يستطع الحصول على أذن بتناول عشائه في منزله مع زوجته، وكل مواطن يتخلف عن الاشتراك أو الحضور يجرد من جنسيته ويفقد حقوقه[1] . ولذلك لم يظهر في إسبارطة أي فيلسوف أو شاعر أو كاتب أو فنان، فالإسبرطيون الذين قطعت كل صلة بينهم وبين العالم الخارجي ومنعوا من السفر إلى البلاد الأخرى والاختلاط بغيرهم، وظلوا يجهلون العلم والأدب والفلسفة، قد أصبحوا مجرد آلات حربية[2] .

---

1 - انظر : إمام عبد الفتاح إمام ، ص ٤٨ .

2 - انظر : محمد كامل عياد ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

ومن خلال استقراء نتائج النظام الاجتماعي في إسبارطة ، يتبين أن المرأة في إسبارطة كانت تعوزها الرقة والأنوثة ويغلب عليها طابع الرجولة، ولم يكن يُسمح لها بإظهار أي شعور يعبر عن العطف أو الضعف أو الخوف عندما تفقد زوجها أو ابنها في الحرب[1] . ***فالمرأة الإسبرطية لم تقم بواجب الأمومة كما هو معروف في أطرها الأخلاقية والتربوية كما تقول سيمون دي بوفوار*** [2] . فإذا كانت النظم الإسبرطية توجب إعدام المولود الضعيف، فإن الأم نفسها كانت تلجأ إلى وسائل مختلفة لتحقيق هذه الغاية وحدها، ودون أن تشعر بأي قدر من حنان الأم أو عاطفتها تجاه وليدها (***فقد كانت تغمس المولود عقب ولادته في دن من النبيذ وتتركه مغموساً لحظات فإن عاش دل على قوة بنيته واستحق التربية ، وإن مات تكن الأم قد أدت واجبها تجاه المجتمع بأن خلصته من كائن ضعيف لا يستحق الحياة***)[3]، ثم يُعرض الوليد بعد ذلك على لجنة من المراقبين - كما ذكرنا سابقاً- فإن رأته صالحاً أعادته إلى أمه كي ترضعه وتقوم على تربيته حتى سن السابعة ، لكن ماذا تفعل الأم أثناء التربية ؟ .

(***كان عليها أن تسير على نظام نصحت به الدولة في تربية الطفل ، فكان عليها ألا تقيد نموه وحركاته بكثرة الأغطية واللفافات والأقمطة، كما كان عليها أن تقسو في معاملته وأن تمنعه من البكاء، ولا تستجيب لمطالبه ، وأن تتركه في الظلام حتى يشب على الشجاعة والصبر والقدرة على الاحتمال***)[4]. وفي جميع الحالات فإن هذه المظاهر من الأمومة المتوحشة لا تشعرنا أننا أمام (أم) بالمعنى الدقيق للكلمة، ولسنا نجد في القصص التي تروى عن شجاعة الأم التي ذبحت ابنها بيديها لأنه هارب من المعركة، أي قدر من الأمومة ولو كان الهروب جبناً يستحق العقاب من الدولة . . إنها (أم) متوحشة تلك التي تلجأ إلى ذبح ابنها ولو كان السبب

---

1 - انظر : وهيب كمعان ، الثقافة والتربية في العصور القديمة ، دار المعارف بمصر ، ص ١٩٤ .

2 - DE BEUVOIR (SIMONE) : THE SECOND SEX TRANS BY H. M PARSHLEY, PENGUIN BOOKS 1987 . P . 120 121 .

3 - انظر : علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم ، ص ٣٤ .

4 - انظر : فتحية سليمان، التربية عند اليونان والرومان ، دار الثقافة للطباعة والنشر بمصر ، ص ١٩٤ .

وطنياً، لأن شعورها وعاطفتها نحوه لا بد أن تجعلها تتردد ألف مرة .. ويقول جان جاك روسو: (*لقد فقد المواطن الإسبرطي هويته تماماً، حتى إنه لم يعد يعاني من أي صراع داخلي، وأصبحت الفضيلة الوطنية تأتيه على نحو طبيعي*)[1]. فالأم الإسبرطية التي كان لها خمسة أبناء في الجيش خرجت تستطلع أنباء المعارك عندما التقت بعبد سألته- وهي ترتجف- عن الأخبار فأجابها (*أبناؤك الخمسة قتلوا*) لكنها ردت عليه بحنق (*وهل سألتك عن ذلك أيها العبد الحقير*) ؟ .. فعاد يقول (*إن كنت تسألين عن الحرب فقد انتصرنا*) عندئذ أسرعت الأم إلى المعبد لتقدم الشكر إلى الآلهة [2]. وتقول الأم وهي تدفن ولدها (*إنه لمصير عظيم حقاً .. ألست أدفنه لأنه مات من أجل إسبارطة*)[3]. هذه هي الأمومة الحقة المتعارف عليها في إسبارطة، تلك الأمومة المتميزة بخصائص الوحشية والتربية البدائية القاسية التي لا يعادلها سوى قسوة الرجل الإسبرطي .

أما فيما يخص الزواج في إسبارطة، فنحن لا نعرف في الواقع إن كان هذا الزواج أحادياً أم جماعياً ؟. وقد فسّر ذلك *فريدرك انجلس* بقوله: (*كان في إسبارطة نوع من الزواج الفردي عدّلته الدولة حتى يتماشى مع الأداء السالد، وهو زواج يحمل الكثير من خواص الزواج الجماعي*)[4]. فقد كان الكثير من الأزواج يقبلون أن يشترك معهم غيرهم، وخاصة أخوتهم في زوجاتهم[5]. وكان (*ليكورجوس*) يسخر من الغيرة ومن احتكار الأزواج ويقول (*إن من أسخف الأشياء أن يعنى الناس بكلابهم وخيلهم، فيبذلوا جهدهم وما لهم ليحصلوا منها على سلالات جيدة، ثم تراهم مع ذلك يقنون زوجاتهم في معزل ليختصوا بهن في إنجاب الأبناء*)[6]. ولقد امتثل الإسبرطيون لنصيحة مشرّعهم، فكان يمكن لعدة

1- ROUSSEU . J : EMILE TRANS BY BARBARA FOXLEY EVERYMANIS LIBERARY . N, 518 , p. 8 .

2- IBID.

3- DONALDON . J : WMAN : p . 31 .

4 - انظر : فريدرك انجلس، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٦ ، ص ٧٩ .

5 - انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مجلد ٦ ، ص ١٥٨ .

6 - انظر : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

أخوة أن يتخذوا زوجة مشتركة لهم [1]. وكان الشخص الواحد يستطيع مشاركة صديقه في زوجته إن كانت له رغبة فيها، وهناك فقرة في *بلوتارخوس يروي فيها أن المرأة الإسبرطية كانت ترسل الحبيب الذي يلاحقها بملاطفاته ومغازلاته كي يتباحث مع زوجها في هذا الشأن* [2]. فلذلك يقول (*انجلس*) *انه لم يكن في إسبارطة الزنا بمعناه الحقيقي* [3]. ومن كل ذلك يستنتج (*انجلس*) (*لكل هذه الظروف تمتعت المرأة في إسبارطة بمركز محترم بين كل نساء الإغريق الأخريات*)[4]. ويروي (*جيمس دونالدسون*) أن رجلاً حاول استمالة امرأة إسبرطية ليقضي منها وطراً فقالت (*عندما كنت فتاة تعلمت أن أطيع والدي ولقد أطعته، وعندما أصبحت زوجة أطعت زوجي، وبالتالي إذا أردت مني شيئا كهذا فعليك أن تستأذنه أولاً*)[5].

إن الذين يتحدثون عن انعدام الزنا في إسبارطة، ويعتقدون أن المرأة حظيت لهذا السبب (*بمركز محترم*) أمثال (*انجلس*) وغيره، ينسون أن الزوجة كانت في وضع أشد سوءاً وانحطاطاً من حالة الزنا، فهي تمارس العلاقات الجنسية مع من يوافق عليهم الزوج أو من يرسله لها من الأصدقاء لما يجده فيه من (*فحولة وشباب وقدرة على إنجاب أطفال أقوياء*) وهذا باعتراف أنجلس نفسه عندما يقول: (*وكان من اللائق عندهم أن يضع الرجل زوجته تحت تصرف (فحل) قوي، وإن لم يكن هذا (الفحل) من عداد المواطنين*)[6].

نستنتج من هذا القول، إن المرأة الإسبرطية كانت تعامل كما تعامل الماشية التي يرغب مربيها في تحسين نسلها، وكانت الزوجة تستسلم راضية لهذا الوضع المتدهور . . كل ذلك دليل على تخلف المجتمع الإسبرطي من ناحية، وعلى الوضع السيئ للمرأة من ناحية أخرى. فالمرأة الإسبرطية في هذه الحالات تحولت إلى

---

1 – انظر : فريدرك انجلس ، ص ٧٩ .

2 – انظر : نفس المرجع السابق .

3 – انظر : نفس المرجع السابق .

4 – انظر : نفس المرجع السابق .

5- DONALDSON,OP. CIT , P 32 .

6 – انظر : فريدرك انجلس ، ص ٧٩ .

حيوان، وربما حيوان بري، يختص بالإنجاب وتحسين السلالة، إذ يمكن أن يضاجعها القوي بعلم زوجها ورضاه لينجب أطفالاً أقوياء. وهي برية بمعنى (*ألها فقدت ما للأنثى من صفات*). ولقد كان *ليكورغوس* ينصح صراحة أن تتخلص الفتيات من كل صفات الأنوثة المكتسبة كالحياء والخجل، وذلك حتى يتمكنّ من الرقص عاريات أمام الرجال [1]. كما ألها فقدت حنان الأم - وكما ذكرنا سابقاً - ماذا نقول في امرأة لا تتورع عن ضرب الرجال العزب لتؤذيهم أشد الأذى كما يقول ديورانت [2]. والحق أن المرء لا يملك أن يمنع نفسه من الدهشة عندما يقول أحد علماء التربية (*وقد اشتهرت الأم الإسبرطية بمهارتها في رعاية أطفالها، وفي منعهم من البكاء والتعبير عن أنفسهم بالغضب أو الخوف، وكانت تقوم بتعويدهم منذ الصغر على تحمل الجوع والألم بدون شكوى أو تذمر*)[3]. . . أهذه مهارة ورعاية في التربية أم بدائية وتوحش ؟ ألسنا نجد هنا ضرباً من القسوة البدائية التي لا تليق بمشاعر الأم .

ذلك كله يؤكد ما سبق أن ذكرناه، من أن النظام في إسبارطة كان أقرب إلى المجتمعات البدائية، فلا اهتمام بالثقافة أو التعليم أو الأدب، وهو قصور عابه أفلاطون على هذا النظام، بل لم تكن تدرس الموسيقى التي عدّها أساسية لتهذيب الروح إلا لتمجيد الأبطال أو الحث على القتال، وباختصار (*كانت الشرائع الإسبرطية تخرج جنوداً أشداء ولا شيء غير ذلك، إلا ألها جعلت قوة الجسم وحشية مرذولة لأنها أمانت الكفايات العقلية كلها تقريباً*)[4]. ولهذا كان *إيسوقراط* محقاً عندما قال عنهم : *إلهم أشد تخلفاً من البرابرة* .

يمكن أن نستنتج من كل ما سبق أن الملكية في إسبارطة جماعية، والتربية جماعية، والزواج جماعي أيضاً . وهناك عيوب أخرى يأخذها أفلاطون على النظام

---

1 - DONALDSON, J : OP CIT .

2 - انظر : ول ديورانت ، مجلد ٦ ، ص ١٥٧ .

3 - يروي البعض أن العروس الإسبرطية ليلة زفافها كانت ترتدي ملابس الرجال وتقص شعرها مثلهم، ولا يُعرف فيما إذا كان ذلك إيذاناً بدعوتها حياة جديدة؟ . أم أن الشباب الإسبرطي الذي اعتاد الخنسية المثلية كان أقدر على التعامل مع عروسه لو ألها استرجلت؟ . انظر :

POMEROY . SARAH: WOMEN IN CLASSICAL ANTIQUITY SCHOCKEN BOOKS N . Y 1975 .P . 37 - 38 .

4 . انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مجلد ٦ ، ص ١٦٣ .

الإسبرطي، بأن المرأة طالما وصلت إلى هذه المرحلة فما الذي يمنع من اشتراكها في التنظيمات السياسية ؟ ولماذا لا يكون لها موائد مشتركة للعشاء أو تشارك الرجال موائدهم، ومما يلفت النظر حقاً، أنه لم تكن هناك امرأة واحدة في مجلس الشيوخ ولا في الجمعية العامة ولا بين المراقبين الخمسة .

وفيما يخص الميراث في إسبارطة، فالبنت لا ترث إلا بموافقة الأب، فالميراث أصلاً للأبناء، فإذا لم يكن هناك أبناء فمن حق الأب أن يتبنى أبناء بموافقة الملكين، من شخص آخر أو أن يورث الابنة ويقوم بتزويجها لأي شخص يشاء أو يوصي بذلك لمن يشاء، ويمكن للأب أن يتبنى كما قلنا أو يترك التركة إلى صديق، وما يقوله *أرسطو*: (*إن خمس الأراضي في إسبارطة كانت في أيامه مملوكة للنساء لأن عدداً كبيراً منهن كن الوارثات الوحيدات*)[1]. وكانت المهور تدفع من قبل أهل الفتاة، وتبقى في حوزة الزوج يستخدمها دون أن ينفقها أو يبيعها ما بقيت معه الزوجة، فإن طلّقها عادت إلى بيت أبيها أو الوصي مع بائنتها، ولهذا كانت المهور كبيرة .. وهذا هو السبب الذي جعل *أرسطو* يطالب بإلغائها عندما قال (*من الأفضل ألا تكون هناك مهور على الإطلاق أو أن تكون مبالغ ضئيلة أو معتدلة*)[2] .

واستناداً إلى ما سبق، ومن خلال دراسة تحليلية لكلا النظامين السياسي والاجتماعي في إسبارطة، نستطيع أن نستنتج أفكاراً تفصيلية عن طبيعة هذا النظام، الذي ظل لمدة أربعة قرون في حالة جمود دون تغيير في نمط حياته وقوانينه التي لم تعد تتلاءم مع الظروف والمتغيرات الجديدة ومع كم الدولة واتساعها، وهذه هي أبرز سلبيات النظام الأرستقراطي الإسبرطي الذي تمسك بالعادات والنظم القديمة، وأحال دون تطورها بما يتلاءم مع الظروف الجديدة والانطلاقة الحضارية التي حدثت في أثينة في القرن الخامس ق.م، حيث نراها رغم ما رافق نظامها الديمقراطي من أخطاء ومفاسد، تبني حضارة جديدة تتحرر فيها العقول وتنطلق المواهب وتبلغ الحركة الفكرية فيها أقصى درجة من النشاط يسودها جو التسامح والإبداع والحرية،

---

1 – انظر : أرسطو، السياسة : ٢، ٦، ١١، ١٢٧٠ آ .

2 – انظر : نفس المصدر السابق .

وثمة عوامل أخرى ، غير عاملي الجمود والعزلة، أدت إلى تضاؤل شأن إسبارطة وتدهورها على مر الزمن. وفي مقدمة هذه العوامل تركيز الدولة على *الجانب العسكري* دون سواه من الجوانب الاجتماعية والثقافية وحالت بين المواطنين، وبين فرص الإبداع والابتكار كما هو في أثينة، يضاف إلى ذلك سياستها التي تتسم بالتحفظ الشديد والجمود والقسوة البالغة المجردة من الإنسانية في معاملتها للغير عندما تكون في مركز القوة، وإغلاق الدائرة على المواطنين مما أدى إلى انكماش عددهم بالتدريج وتناقصهم بصورة واضحة، ثم اتساع الفجوة في المساواة بين المواطنين الأحرار أنفسهم في الملكية الزراعية نتيجة إقراض البعض منهم الديون للفقراء مقابل رهن أراضيهم الزراعية التي تحولت في معظمها إلى ملكيات زراعية إضافية لهؤلاء المقرضين عما كانوا يملكونه سابقاً من قبل الدولة، نتيجة عجز الفقراء عن الوفاء بديونهم. إضافة إلى ذلك أنهم كانوا لا يدفعون شيئاً كضرائب على هذه الأراضي، وكانت هذه الحالة موضع انتقاد شديد من *أرسطو* حين قال (*أن خزينة الدولة لا تحوي شيئاً مع أنهم مضطرون إلى خوض غمار حروب كثيرة، وفضلاً عن ذلك فهم يستبون دفع الخراج، لأنهم لا يتقاضون الجزية بعضهم من بعض، إذ يملكون هم أنفسهم معظم الأراضي. وهكذا الفق للمشرّع خلاف ما توخى من النفع ، فلقد جرّد الدولة من الثروات، وأولع الأفراد بها*)[1]. ومن ثم إصرار إسبارطة على تحريم التعامل بالنقود المسكوكة، وإباحة التصرف في الحصص الزراعية بعد أن كان محظوراً. ومن ثم فإن إسبارطة لم تنهض أبداً من كبوتها بعد هزيمة ليوكترا عام ٣٧١ق.م، واستقلال ميسينية عنها نتيجة لذلك.

وصفوة القول إن النظام الإسبرطي كان قاسياً جداً في نواح عديدة، ووحشياً في نواح أخرى. إلا أن هذا النظام كان يكتنز في طياته صفات البطولة، لأن إسبارطة وإن كانت مجدبة من ناحية الفن، والفن هو الخلق والإبداع، وإن لم تكسن خلقت شيئاً من الكلام أو الصياح أو الحجر، إلا أنها خلقت رجالاً أبطالاً صنعوا معجزات حقيقية وكتبوا التاريخ بدمائهم، هذا التاريخ الذي سطّر أمجادهم وبطولاتهم ما زال يدين لهم بهذه الصفة في البطولة والشجاعة إلى أبد الآبدين.

---

[1] - انظر : نفس المصدر السابق ٢ ، ٦ ، ٢٣ ، ١٢٧١ ب .

الفصل الثاني عشر

أثينة
ونشأة النظام الديمقراطي

أولاً: أهمية مقاطعة أتيكة :

قبل حديثنا عن تاريخ وحضارة أثينة وتطورها السياسي ودورها القيادي لبلاد الإغريق، يجب علينا أن نبين بوضوح الرقعة التي قامت عليها أثينة [1]، التي تعتبر الدويلة الوحيدة من بين كل الدويلات الإغريقية الأخرى التي طابقت مقاطعة *أتيكة* (*ATTIKA*) بأكملها على الرغم من تمزق سطحها بالجبال والتلال. ***ولكن من جهة أخرى فقد تركزت في هذه المقاطعة أجمل وأفضل الصفات الطبيعية التي امتازت بها بلاد الإغريق على الإطلاق***، حيث تقع في وسط شبه جزيرة الإغريق وترتبط بآسية الصغرى بمجموعة من الجزر، وهي برية وبحرية في آن واحد، إذ تمتد ضمن بحر إيجة وتشغل سواحلها مكاناً واسعاً في حوض هذا البحر الذي كان دوماً مركزاً لتلاقي وتفاعل الحضارات، وهو الذي هيأ جميع الظروف المناسبة لمقاطعة (*أتيكة*) لأجل السيادة الاقتصادية والسياسية والفكرية، وجعل منها خلاصة بلاد الإغريق، لأنّ هذه المنطقة (*أي منطقة بحر إيجة*) تعتبر من أصلح البقاع على وجه الأرض للحياة البشرية ولتمازج الأفكار والشعوب. إذ تفيد كلمة (*أتيكة*) نفسها معنى بلاد ساحلية التي لا تزيد مساحتها الإجمالية على ٢٦٠٠ كم مربع، أي ربع مساحة لبنان البالغة ١٠،٤٠٠ كم مربع، ومساحة بلاد الإغريق ١٣١،٩٤٤ كم مربع، أي ٢٠% تقريباً من مساحة بلاد الإغريق كلها .

---

[1] – اسم *أثينة* في الإغريقية أثيناي (*A TENAE*)، وأثيناي هو اسم الربة (*ATENE*) في حالة الجمع أو في حالة ظرف المكان، ويقال أن صخرة الأكروبول نفسها كانت تسمى أثينة، ومن الواضح أنه اسم قديم سابق على مجيء الإغريق إلى البلقان لأن لهجته تشير إلى أنه اسم غير هندي ـ أوروبي. انظر: عبد اللطيف أحمد علي ص ١٥٩.

وتنقسم هذه المقاطعة من الوجهة الجغرافية إلى ثلاثة أقاليم طبيعية :

أولاً : الإقليم الجبلي: وتكثر فيه السلاسل الجبلية التي أدّت دوراً هاماً في تاريخها الحضاري مثل جبل *كيثايرون* (*CITHAERON*) على الحدود بين أتيكة وبويوتية، وجبل (*بنتيليكوس* *PENTALICUS*) الغني بالرخام، والذي نُحتت منه عبقرية الإغريقي أجمل وأفضل التماثيل والمعابد والأنصبة التذكارية التي كانت تفيض كلها بالرقة وتكاد تنطق بالحياة، وجبل *لاوريوم* (*LAURIUM*) في الطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة الغني بمناجم الفضة التي استغلها الزعيم الأثيني *تميستوكليس* (*THEMISTOLES*) في تقوية الأسطول الأثيني بمائتي سفينة جديدة، كان لها الفضل الأول في التغلب على الفرس في معركة سلاميس البحرية عام ٤٨٠ق.م. وهناك بعض التلال من أهمها تل *آريس* (*ARES*) الذي كان مكاناً لاجتماع مجلس الشيوخ (*AEROPAGOS*) وتل *البنكس* (*PENEX*) الذي كان هو الآخر مكاناً لاجتماع الجمعية العامة .

ثانياً : الإقليم السهلي: ويتميز بأربعة سهول أهمها سهل *اليوسيس* (*ELEUSIS*) وهو سهل خصيب يقع في الجهة الغربية من الساحل في مواجهة جزيرة سلاميس، وسهل (*ألينة*) ويعتبر أكبر السهول الأربعة وتبلغ مساحته نحو ١٣٠ كم مربع، وسهل *ميسوجية* (*MESOAEA*) ومعناه الأراضي الوسطى المنعزلة عن البحر، وسهل *ماراثون* (*MARATON*) الساحلي وهو أصغر السهول الأربعة ولا تزيد مساحته على ١٥ كم مربع .

وكانت الظروف الطبيعية لهذه السهول ملائمة لزراعة الكروم والزيتون على نطاق واسع، إلا أنها لا تساعد على زراعة الحبوب، ولاسيما *القمح* إلا على نطاق لا يكفي لسد حاجة السكان. ولهذا كله كانت مشكلة القمح وهو الغذاء الرئيسي عند الإغريق، من المشاكل الملحة التي كانت تواجهها السلطات الأثينية بشكل دائم.

ثالثاً : الإقليم الساحلي: وهو الشريط الخصيب الذي ينتهي في الجنوب عند رأس سونيوم (*SUNIUM* .

وتفسر تضاريس أتيكة التي استعرضناها أصل الأحزاب الأثينية واتجاهاتها (*كما سنرى لاحقاً*) فحزب *الجبل* (DIAKRIOI) الذي يضم من يسكنون في سفوح جبلي بنتيليكوس وهيميتوس والمنطقة المتاخمة لهما، كان قوامه من الرعاة الفقراء الذين لم يكن لديهم ما يكفي أود عيشهم، فانحصر همهم في تغيير الأوضاع السياسية لتحسين أحوالهم، *وأما حزب السهل* (PEDIAKOI) فكان قوامه سكان السهول، وهم كبار ملاك الأراضي، الذين انحصر هدفهم في الاحتفاظ بالسلطة الرئيسية في أيديهم، *وأما حزب الساحل* (PARALIOI). فكان أنصاره من سكان البلاد المتاخمة للبحر، الذين يمثلون المصالح التجارية، ويشكلون موقفاً وسطاً أو متوازناً بين الحزبين الآخرين .

ومن المزايا الجغرافية والطبيعية التي تمتعت بها مقاطعة *أتيكة*، وجعلها تختلف عن غيرها من المقاطعات الإغريقية الأخرى، أن موقعها الجغرافي المهمّ أهلّها لإحراز السيادة أو الزعامة في البحر وأن تكون السبّاقة إلى زعامة بلاد الإغريق، بفضل ما أتيح لسكانها من التجارب والخبرات الطويلة في فن الملاحة والسياسة واشتراك جميع المواطنين في خلق حضارة حيوية نشطة، ولم يكن في وسع غيرها من المدن الأخرى أن ينافسها في هذا المركز نظراً لضيق أراضيها وقلة مواردها وانقسامها على نفسها وتفشي القرصنة فيها، وهي عوامل لا تساعد على إحراز الزعامة .

وميزة أخرى تمتعت بها مقاطعة أتيكة وهي أن عاصمتها *أثينة* (ATHENAE) نشأت في مكان لا يفوقه مكان آخر في ميزاته. فهذه المدينة تقع في داخل أوسع منطقة صالحة للزراعة وتلتقي عندها طرق المواصلات، كما أن قرب أثينة من ميناي *فاليرون وبيريه* كان كفيلاً بترجيح كفتها على أي بلدة أخرى في أتيكة بمجرد أن يتجه سكانها إلى البحر والتجارة. ولذلك استطاعت أثينة في مرحلة مبكرة من تاريخها أن تفرض نفسها كمقر لحكومة مركزية تهيمن على مقاطعة أتيكة. وقد ساعدها على ذلك أن موارد أتيكة لم تتبدد بالخصومات والنزاعات، وإن كانت موجودة بطبيعة الحال، *إلا أنها لم تكن دموية كما كانت في المدن الأخرى، ولم تكن بتلك الحدّة بحيث لم تترك مجالاً لقيام أنواع أخرى من الصراع والتنافس، ونعني بذلك الصراع الفكري الخلاّق الذي كان ضرورياً وحيوياً للإنتاج الفكري*

والنشاط العقلي، فكانوا يميلون جميعاً إلى التحلي بالعقل وإلى القدرة على الانسجام والتوافق بين مختلف الطبقات والأحزاب. وهكذا توافرت لأثينة كعاصمة لإقليم متحد من القوى البشرية والثروة الاقتصادية ما يؤهلها لأن تتقدم غيرها من المدن على زعامة بلاد الإغريق، ولاسيما أن مقاطعة أتيكة كانت في مأمن من الغزوة الدورية، إما بسبب جدب أراضي أتيكة كما يقول *توكوديدس* [1]، وإما بفعل انتصار أتيكة على الدوريين الذين ردوا على أعقابهم وانحرافهم جنوباً إلى سلسلة جبال البلوبونيز، تلك الغزوة التي قلبت، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، أوضاع المقاطعات الأخرى وجعلها تتأخر عن الحضارة أجيالاً طويلة بفعل الخراب والدمار الذي لحق بها، وهذا ما لم يحصل في أتيكة.

ثانياً: نشأة أثينة وتوحيد أتيكة:

بدأ المجتمع الأثيني في الظهور في عهد الحكم الملكي، ففي هذا العهد بدأ توحيد المجتمعات الصغيرة الموجودة في شبه جزيرة أتيكة داخل إطار سياسي موحد لتتكوّن منه المدينة، وكنا قد - رأينا سابقاً - أن العشيرة تكونت من عدة أسر، والقبيلة من عدة عشائر، والمدينة من عدة قبائل. وكان الرابط الديني هو العامل الأساسي في عملية التوحيد وهذا ما حصل في نشأة مدينة أثينة وتكوّنها. ويقول *بلوتارخوس*، إن أتيكة كانت مقسمة في الأصل إلى الأسر التي هي من العصر البدائي (أي من القرن الرابع عشر ق.م)[2]، وكانت كل أسرة تعيش في منطقة مستقلة استقلالاً مطلقاً عن غيرها من الأسرات، وتسود هذه الأسرات ديانة الأسرات، أي لكل منها ملكها وديانتها وآلهتها الخاصة [3].

ويقدر *بلوتارخوس* عدد هذه الأسرات نحو المائة أسرة تعيش منعزلة بعضها عن بعض ولا تعرف فيما بينها أي رباط ديني أو سياسي، فلكل منها منطقتها، وكثيراً ما كان يحارب بعضها بعضاً، وأخيراً كانت منفصلة الواحدة عن الأخرى

---

1 - انظر: توكوديدس، الكتاب الأول، ص ٢٠.

2 - انظر: بلوتارخوس، ثيسيوس ٢٤، الشرح ١٣.

3 - انظر: باوسانياس ١: ١٥، ١: ٣١، ١: ٣٧، ٢: ١٨.

إلى حد أن الزواج فيما بينها لم يكن يسمح به دائماً [1]. وكانت أكبر هذه الأسرات أسرة الملك **كيكروبس** (*CECROPUS*) وكان أعضاء هذه الأسرة يسكنون صخرة الأكروبوليس التي وحدت عليها مدينة أثينة، وكانت آلهتهم الخاصة لهم (**أثينايا** *ATHNE*).

ولكن الحاجات الاجتماعية من جهة، والعواطف الدينية من جهة أخرى قد قرّبت بين هذه الأسرات وبدأت تتحد تدريجياً في مجموعات صغيرة، ومضي الزمن اختزلت هذه الأسر المائة إلى نحو اثني عشر اتحاداً، وتنسب الأساطير الإغريقية إلى الملك **كيكروبس** عملية التوحيد والتغيير الذي انتقل به شعب أتيكة من حالة الأسرة الأبوية إلى حالة أكثر اتساعاً وهي حالة الاتحاد، ولم يكن **كيكروبس** يحكم سوى اتحاد واحد من مجموع الاتحادات الاثني عشر، وكانت الإحدى عشر الأخرى مستقلة تماماً، وكان لكل واحدة منها إلهها ومذبحها ونارها المقدسة ورئيسها [2].

وفي البحث عن سبب توحيد هذه الأسرات، ربما يكون الاتحاد اختيارياً تفرضه الحاجات الاجتماعية أو الدينية، وأحياناً تفرضه قوة عليا من جانب قبيلة أو إرادة قوية من جانب ملك إحدى الأسرات. ولكن في كل الأحوال، ***أن الرابط الديني كان أقوى روابط عملية التوحيد، إذ لم يكن خفياً على الأسر أو القبائل التي تجمعت لتكوين اتحاد أو مدينة ما، أن توقد ناراً مقدسة وأن تتخذ ديانة مشتركة*** [3].

ولكن بعد عدة أجيال حصلت مجموعة (**كيكروبس**) تدريجياً على أهمية أكبر من باقي المجموعات أو الاتحادات، وكان من نتيجتها أن خضعت الاتحادات الأخرى لهذه المجموعة، ولكن مع تحفظ واحد وهو احتفاظ كل اتحاد بكهنوته ومعبوده الوراثي [4]، إلى أن تطورت عبادة (**أثينايا**) الآلهة الخاصة بمجموعة (**كيكروبس**)

---

1 - انظر : بلوتارخوس ، ثيسيوس ١٣ .

2 - انظر : توكوديدس ٢ ، ١٥ .

3 - انظر : فوستيل دي كولانج ، المدينة العتيقة ، ص ١٦٧ .

4 - انظر : باوسانياس ١ : ٣٨ .

تدريجياً وانتهت بأن اتخذت من اسمها السيادة على الاتحادات الإحدى عشرة الأخرى.

في هذه الأثناء ظهر ثيسيوس (THESEUS) نحو منتصف القرن الثالث عشر ق.م، وهو حفيد (كيكروبس) بأن جمع المجموعات الاثني عشر في مدينة وكتلة سياسية واحدة، وعد جميع السكان مواطنين أثينيين، ويطلق المؤرخون الإغريق على هذه الوحدة اسم (سينويكيزموس SYNOIKISMOS) أي الجوار المدني. وكانت عملية التوحيد هذه آخر حلقة من حلقات التوحيد، بعد محاولات مريرة على سبيل التجربة والخطأ في عهد ملوك آخرين سابقين حققت نسباً متفاوتة من التكتل بين عدد من المجتمعات الصغيرة التي كانت تتكوّن منها شبه الجزيرة.

والواقع أن ثيسيوس قد نجح في جعل هذه المدن تتخذ في جميع أتيكة عبادة مشتركة هي عبادة الآلهة *أثينايا*، بحيث اشترك كل الإقليم منذ ذلك الوقت في الاحتفال بقربان *البانائينايا* (PANATHENEES)، أما قبل عهده فقد كان لكل قرية نارها المقدسة وبيت نارها بريتانيون (PRYTANEE) وبانتشار عبادة (*أثينايا*) في القرى المجاورة أصبح من السهل توحيدها جميعاً تحت رعاية هذه الآلهة التي سميت المدينة الجديدة باسمها مع الاحتفاظ بالآلهة الأخرى. ***ولكن الآن وبعد عملية التوحيد أصبح بيت نار أثينة هو المركز الديني لكل أتيكة*** [1]. وعندئذ تأسست الوحدة الأثينية، فمن *الناحية الدينية* احتفظت كل ناحية بعبادتها القديمة لكنها اتخذت جميعاً ***عبادة مشتركة***، ومن *الناحية السياسية* احتفظت كل واحدة برؤسائها وقضائها وحقها في الاجتماع، ولكن فوق هذه الحكومات المحلية وجدت ***حكومة المدينة المركزية*** [2].

---

1 - انظر : توكوديدس ٢ ، ١٥ ، باوسانياس ٨ ، ٢ ، ١ .

2 - يقول بلوتارخوس وتوكوديدس، إن ثيسيوس حل بيت النار (بريتانيون) المحلي وأبطل مناصب القضاء، وعلى كل حال فهو إن كان قد حاول ذلك فإنه لم ينجح، إذ إننا لا زلنا نجد العبادات المحلية والمجتمعات وملوك القبائل بعده بزمن كبير . حول ذلك انظر : هيرودوت ١ ، ١٤٣ .

وصفوة القول، أن هذا الاتحاد السياسي للاثني عشر اتحاداً في أتيكة هو الذي مهد طريق العظمة الأثينية، ولا شك في أن الذي فرض مثل هذا الاتحاد ونفذه كان سياسياً عبقرياً، فهذه أولى الأعمال السياسية العظيمة التي قام بها الأثينيون الذين كانوا هم بدورهم أيضاً على عبقرية فطرية في شؤون الحكم والسياسة، *وقد توافرت الظروف المناسبة التي مهدت الطريق لتلك العبقرية في الوصول إلى غايتها، وهي أن الأثينيين لم يعرفوا شيئاً من البغضاء والعداوة وكانوا يميلون بصفة عامة إلى معالجة المشاكل الاجتماعية بالطرق السلمية والتحلي بالعقل والفكر معاً، فكانوا يؤلفون كتلة متماسكة من البشر تمتاز بالانسجام المعنوي وتميل إلى التسامح وحسن المعاشرة وتعمل على تقدم الحضارة.*

ثالثاً: أهمية تاريخ أثينة الحضاري:

يمثل المجتمع الأثيني الاتجاه الرئيسي لتطور النظام السياسي في دولة المدينة الإغريقية بمراحله الخمس المتعاقبة بدءاً من الحكم الملكي، ومروراً في الحكم الأرستقراطي، ونظام حكم الأقلية، وحكم الطغاة، وانتهاء بمرحلة الحكم الديمقراطي. *وقد تم لأثينة هذا التطور المستمر المتوازن بحكم الظروف المحيطة* بشبه جزيرة *أتيكة*، وهي المنطقة التي تضم أثينة والأراضي والضواحي والقرى والموانئ الصغيرة التي تحيط بها وتتخذها مركزاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً لها، وتتلخص هذه الظروف في ثلاثة عوامل رئيسية.

١ ـ *أن المجتمع الأثيني لم يعرف عموماً الاستقرار الاقتصادي الكامل الذي تسيطر فيه طبقة واحدة على مورد الإنتاج الرئيسي بصفة مستمرة أو على الأقل لفترات طويلة، وإنما توزعت فيه موارد الإنتاج بين أكثر من طبقة وبشكل متتابع.*

٢ ـ *لم تكن في أثينة الفرصة الكاملة لتضخم سلطة الدولة ممثلة في طبقة واحدة على حساب الطبقات الأخرى، وإنما كان المجال مفتوحاً للحوار والمساومة الاجتماعية بين الطبقات الحاكمة والمحكومة ولإعادة التوازن بينها كلما ظهرت متغيرات جديدة، ومن ثم للأفكار التي تحدد العلاقة بين الفرد والدولة، لذلك فإن*

الظروف التي مر بها المجتمع الأثيني في تطوره فتحت الباب على مصراعيه أمام هذا (الحوار)، الأمر الذي أدى إلى ظهور الفكر السياسي وتطوره بشكل مطرد.

٣ ـ أدت ظروف المدن الإغريقية إلى تعاقب نظم الحكم فيها في كثير من السرعة وكثير من التلاحق، فقد تعاقبت على أغلب هذه المدن ومن بينها (أثينة) خمس نظم في ثلاثة قرون (من الخامس إلى الثاني ق.م) وكانت سرعة التغيير في بعض الأحيان بالدرجة التي يعاصر فيها المواطن أكثر من نظام حكم واحد، كما أدى الاتصال التجاري النشيط إلى أن يحتك الإغريقي بأكثر من جهة ويرى شعوباً متباينة وأنظمة حكم مختلفة.

وقد كان لذلك كله أثره في تفكير الإغريق، إذ كان من الطبيعي تحت هذه الظروف أن يقارن الأثيني بين هذه النظم وأن يناقشها مع غيرها، ولاسيما أن وضع هذه المدن الصغيرة كان يسمح بسهولة *الاحتكاك* المباشر المستمر بين المواطنين، وهكذا تهيأت الظروف التي أباحت للوعي الإغريقي أن ينمو وينضج ومن ثم للفكر السياسي أن ينمو وينضج أيضاً، وهو الذي يدور أساساً حول التوازن بين الفرد والدولة [1].

وكانت إحدى أبرز نتائج هذا (*الحوار الديمقراطي بين الفرد والدولة*) أن ظهر عدد لا بأس به من كبار أعلام الرجال الذين سطع نورهم في سماء أثينة، وعمت أفكارهم أرجاء العالم قديماً وحديثاً، وكانت مآتيهم الفكرية معلماً من معالم تاريخ الحضارة الإنسانية، فقد أنجبت أثينة على مدى قرنين ونصف قرن *صولون*، *وبستراتوس*، *وكليستوكليس*، *وأريستيدس*، *وبريكليس*. ومن كتّاب المسرحيات *أيسخيلوس*، *وسوفوكليس*، *ويوروبيدس*، *وأريستوفانس*، *ومناندر*. كما أنجبت *هيرودوت* و*توكوديدس* وهما أعظم مؤرخين في التاريخ القديم وأعظمهما تأثيراً في النفس، *وديموستينس* أشد الخطباء تأثيراً وبلاغة، *ومنسيكليس* *وإكتينوس*، *وفيدياس*، *وبراكسيتليس* أشهر نحاتي *البارثنون* العظيم، *وفورميسو* أبرع القواد البحريين، والفلاسفة أمثال *سقراط* *وأفلاطون* *وأرسطو*.

---

[1] ـ انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، ص ١٢٧.

إن أبعاداً من هذا النوع وعلى هذا المدى القصير لتدل دلالة واضحة على شعب غني جداً في *العبقرية الفطرية*، فإن ظروف الحياة التي مر بها المجتمع الأثيني وما تخللها من *حوار ديمقراطي* بين الأفراد، و*توازن قانوني بين الأفراد والدولة*، أن مكنت هذه العبقرية الفطرية من النمو والتعبير عن نفسها تعبيراً تاماً. ولاسيما أن القرن الخامس ق.م كان يشكل أبرز عصور الحضارة الإغريقية في التطور والازدهار الثقافي والحضاري وكثيراً ما يسمى هذا القرن (*معجزة الحضارة الإغريقية*) وكان عجز هؤلاء العظماء في التاريخ عن خلق مجتمع فيه من خصائص البقاء والديمومة خسارة إنسانية فادحة.

ولو تناولنا الأسباب التي أدت بأثينة لأن تبلغ هذه الذرى المجيدة في حياتها الروحية والفكرية، *وأن تكون صاحبة التاج الملكي على كل بلاد الإغريق*، فإننا لن نستطيع الإجابة عنها إلا من خلال التعمق في دراسة تاريخ أثينة الحضاري، الذي بين لنا من خلال النتائج التي توصلنا إليها، إن الفضل في ذلك يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسية أيضاً:

أ ـ ثقة الأثينيين بأنفسهم، بأن لهم من المؤهلات والخصائص ما يمكنهم من إدارة مدينتهم وإمبراطوريتهم.

ب ـ كان الأثينيون دوماً على استعداد للتكيف والتطور عندما تنشأ مشاكل جديدة تتطلب حلولاً جديدة، فكان النجاح يحالفهم المرة تلو الأخرى، والنجاح يولد الثقة بالنفس، ويحمل المرء على مزيد من الإقدام والاعتزاز لأن المصلحة العامة أو المشتركة كانت هدفهم وغايتهم.

ج ـ كان الأثينيون شعباً شغوفاً بالعقلانية، إذ هم أول من اكتشف في التاريخ قيمة الإنسان وأهميته، وهم أول من أصر على احترام الكرامة الإنسانية من خلال قول معلمهم الفيلسوف بروتاغوراس (PROTAGORAS) (أن كل شيء في الكون يقاس، من حيث قيمته بالنسبة للإنسان).

فالإغريق ولاسيما الأثينيون، الذين أصبحت مدينتهم (*مدرسة لكل بلاد الإغريق*) كما قال زعيمهم الديمقراطي (*بريكليس*)، كانوا يقدمون ناحية *البحث الفكري* على أي شيء آخر من النواحي التي لها قيمة في الحياة. هذا الميل إلى

البحث الفكري أسفر عن نتيجة عظيمة، *بأن أثاروا كل سؤال وكل قضية كانت تشغل عقول الناس كمنافع الثروة والمال، وماهية السعادة، ومفهوم الشرف والمجد، وكنه الآلهة، وخلود النفس، وطبيعة الديمقراطية الحقة، ومعنى العدالة والطغيان، والحب والجمال*. وقد أجاب عباقرهم وفلاسفتهم من أصحاب العقول الثاقبة عن كل ذلك بنبل وإخلاص ودرسوه وتمعنوا فيه وأصدروا حكمهم في كل ما يتعلق *بالنفس البشرية، وقيمة المجتمع والدولة، والدولة والمواطن، والمواطن والقانون*. *ولذلك فإن كان لنا أن نصدر حكماً عادلاً على حضارة ما، فيجب أن يقوم حكمنا على النواحي الفكرية وعلى أصحاب الفكر في تلك الحضارة*.

ولكي ندرك سر القوة في المؤسسات السياسية في (*ألبنة*) أي النشاط السياسي والروح الوطنية وثقة الأفراد إدراكاً حسناً، علينا أن ننظر في عمق الصلة التي كانت تربط المواطنين بدولتهم ومدينتهم ومدى اشتراكهم في حياتها العامة [1]. *فالعمل السياسي لم يقتصر على الدولة فقط، وإنما تخطى ذلك لكي يصل إلى كل فرد من أفراد المجتمع*. وكان من جراء هذا أن نشأت فضيلة *ضبط النفس* التي أسفرت بدورها عن فضائل إنسانية كثيرة، *كفضيلة الثقة المتبادلة بين الشعب والقانون، وثقة المواطن بهذا القانون، لأن القانون هو الناظم لأمور المجتمع والدولة، والقانون ينظم العلاقة بين المواطنين من جهة، والدولة من جهة أخرى*. وقد أدرك حكماء وفلاسفة الإغريق *كصولون، وبستراتوس، وكليشنيس، وأرسطو، وأفلاطون، وسقراط*، بأن القانون كلما كان أكثر عدلاً ويلبي متطلبات وطموحات الشعب، كانت ثقة الشعب أكبر بهذا القانون، وكان الشعب أكثر تماسكاً ووحدة وانضباطاً والعكس صحيح. ولذلك فإن نوعية واتجاه أي قانون هو الذي يحدد مثل هذه العلاقات والأحكام بين الأفراد والدولة. وليس ذلك فحسب. إن ضعف ثقة الشعب بالقانون يولد مظاهر اجتماعية خطيرة تظهر بين أفراد الشعب *كانتشار الجريمة المنظمة وغير المنظمة، ومن هنا تنجم الخطورة على كيان المجتمع والدولة*

---

[1] – انظر : تفصيل ذلك (تعريف وخصائص الدولة الإغريقية) فيما يخص العلاقات المتبادلة بين المواطن والدولة.

الاجتماعي والاقتصادي والتربوي، وتحاشياً لتلك المظاهر الاجتماعية الخطيرة فقد أدرك حكماء الإغريق وكبار رجال السياسة (*وكما سنرى لاحقاً*) أنه يتوجب على القانون أن يكون *متوازياً ومتوازناً* في التعبير عن مصالح الشعب *متوافقاً* مع مصالح الدولة لخير المصلحة العامة، لا أن يكون منحازاً لفئة دون أخرى، ورجحان كفة القانون في مصلحة فئة دون أخرى، يعني اختلال ثقة الشعب بالقانون. لذلك فإن *التوازن القانوني* بين مصالح المواطنين ومصالح الدولة، *ضرورة اجتماعية حيوية* وعلى هذا الأساس تقاس مقومات الحضارة، وتتعزز الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة. وقد أدرك *أرسطو* ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي أن القانون المتوازن يجب أن يتسم بخاصتي *الاستدامة والاستقرار* في التوازن حتى يتم الحفاظ على ثقة الشعب، وتفسير القوانين برأيه يجب أن يتم بما يناسب روح القانون ومضمونه وبما يخدم مصلحة الشعب، لا أن يُفرّغ من مضمونه ومن الهدف الذي أنشئ من أجله وهو خدمة المواطن (*وسنرى تفصيلاً لذلك في نتائج هذا الفصل*) ولذلك وكما يقول *أرسطو* (*أن حكم القانون خير من حكم الفرد*) أي يجب الالتزام بنص القانون وبروحه، لا أن يخضع *للشهوة العاطفية* عند القائمين على تفسيره أو تنفيذه، لأن ذلك يشكل انحرافاً عن الهدف الذي أنشئ من أجله وهو تعزيز الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة. ويرى أفلاطون، *أنه يجب أن يعطى المكان الأول في الدولة للقانون، وأن القوانين هي المقوّم الأساسي للدولة، وتنفيذها ينبغي أن ينطلق من مبدأ الإقناع وليس من مبدأ الأمر* [1].

ومن جهة أخرى، فإن الحضارة الإغريقية من خلال مراحل تطورها وتجاربها قدمت لنا نماذج كثيرة وواضحة عن تصورات الإنسان وعقائده وأنظمته عبر مراحل كثيرة وقرون طويلة، وأعطتنا نموذجاً خاصاً عن عوامل وأسباب تطور الفكر الإنساني منذ أن كان مرتبطاً بالعقائد الدينية القديمة (*CROYANCES*) كما لاحظنا سابقاً. إلى أن أخذ هذا الفكر بالانفصال التدريجي عن هذه العقائد العتيقة بفعل الثورات (*REVOLUTION*) والمتغيرات الاجتماعية في الفكر الإنساني من جهة، ومن

---

[1] ـ انظر: أفلاطون، القوانين ٦٦٣، ٧١٤ ـ ٧١٨، ٨٢٨ ـ ٨٣١، ٧١٨ ـ ٧٢٣.

جهة أخرى بفعل القوانين الثورية التي عصفت بالإغريق اعتباراً من القرن السادس ق.م، والتي اعترفت بالإنسان وبقيمته في الوجود (***وهذا ما سندرسه في هذا الفصل***).

إذن، مثل هذه المقدمة تشكل لنا دراسة تمهيدية لدراسة تحليلية حول أهمية تاريخ أثينة وتطور حضارتها ومحربات أحداثها، لأن هذه الحضارة استوعبت كل المعايير الإنسانية والقانونية المستوفاة في هذه المقدمة،التي أدت بها إلى مثل هذا التطور والوعي الخلاّق في دراسة الفكر الإنساني من كل جوانبه. لذلك رأينا الاستفادة من هذه الحضارة بقدر الإمكان، وبقدر ما تسمح به معلوماتنا المتوفرة،التي تعيننا على تفهم المجتمع الإغريقي ومستوى وعيه الحضاري والاجتماعي، ***ولاسيما دراسة الإنسان كروح*** لأن هذه الدراسة تشكل بالنسبة لنا، إحدى المهام الرئيسة في تطور الوعي الفكري. ***ودراسة المجتمع كتنظيم***، تشكل إحدى الركائز الأساسية في قيام الدولة، والأساس في تطوير العلاقات المتبادلة بين المواطن والدولة. والحضارة الإغريقية خير نموذج على مثل هذا التعامل. ***لأننا في تاريخ الإغريق نجد أنفسنا تجاه حضارة من الحضارات البشرية الراقية***، فنطلع على مبادئ نشأتها ونتتبع مراحل تطورها السريع ونشاهد عهد ازدهارها ونتعرف إلى القيم التي أبدعتها، ثم نكشف عيوبها ونقاط الضعف فيها، ونرى مظاهر تفسخها وانهيارها، ***ولهذا السبب فإن دراسة تاريخ الإغريق من أكثر الموضوعات فائدة لفهم تطور الحياة البشرية عامة، وإدراك عوامل تقدم وتأخر المجتمعات.***

وفي خاتمة هذه المقدمة، يمكن القول إن أثينة أدّت أهم دور في تاريخ الإغريق، وكانت مركز الحضارة الإغريقية التي تركت أعمق أثر في تطور الحياة البشرية، ***وكانت مهد الديمقراطية وموطن النزعة التقدمية التي تسعى دوماً إلى التغيير والتجديد***، وصارت رمزاً لمبادئ الحرية والمساواة والأخوّة، ***ومظهراً حضارياً من مظاهر المرح واللطف والفن***، على عكس *إسبارطة* التي كانت قدوة للدولة الفاشستية في الحكم الصارم الإرهابي الذي يخضع الأفراد في كل الأمور لمراقبة الدولة وتوجيهها، فلذلك كانت إسبارطة مثالاً في الشدة والرهبة والقسوة. ***أما في أثينة فقد استتبّ فيها لأول مرة في تاريخ البشرية مجتمعاً يتألف من مواطنين متساوين***

في الحقوق يشتركون جميعاً في إدارة الدولة ويتولون شؤونها بأنفسهم، ولذلك كانوا هم أول شعب سعى إلى تنظيم المجتمع والدولة بصورة يمكن أن تنسجم فيها حرية الأفراد مع المصلحة العامة، وقد سارت أثينة أشواطاً بعيدة في هذه الطريق قبل غيرها، وأصبحت بذلك مثلاً أعلى لسائر المدن الإغريقية وللدول الحديثة . . وفي هذه الدراسة سنبدأ بدراسة أهم المراحل التي اجتازتها أثينة في سبيل تأسيس أول نظام ديمقراطي في التاريخ .

رابعاً: الثورات الاجتماعية والسياسية :

لا بد لنا قبل أن نبدأ في دراسة الثورات الاجتماعية والسياسية، أن نبين واقع الحال التي كانت تعيشه المجتمعات الإغريقية في الأزمنة الأولى القديمة، أي مع البدايات الأولى لنشأة المدن (*أي ما قبل القرن الثاني عشر أو ما قبل الغزوات الدورية*) حتى يتسنى لنا تبيان الأسباب الرئيسية لهذه الثورات وأحداثها وتطوراتها ومدى فاعليتها في أحداث التغييرات الاجتماعية والسياسية في قلب المجتمع الإغريقي *بدءاً من تقليص السلطة السياسية للملوك، إلى تعديل في كيان الأسرة الداخلي، إلى إقامة النظام السياسي الديمقراطي*، وبناء على ذلك ولأجل منهجية علمية مقبولة تسهل دراستها وفهمها، علينا أن نبسط واقع الحال التي كانت عليه الأسرة القديمة والأنظمة السياسية في الأزمنة الأولى للمجتمعات الإغريقية .

لقد رأينا سابقاً كم كانت الأسرة في العصور القديمة صلبة ومتينة في بنيانها، متشددة ومتزمتة في عاداتها وتقاليدها ، فلكل منها آلهتها وعباداتها وكاهنها وحاكمها. ولم يكن لأي سلطة خارجة عن نطاق الأسرة الحق في تنظيم عباداتها وعقيدتها، لم يكن هناك كاهن غير الأب، وباعتباره كاهناً لم يكن يعترف بأية رئاسة أخرى فوق رئاسته، وهو المفسّر الوحيد لديانتها، وله وحده سلطة تعليمها ولكن لأبنائه فقط. وكانت الشعائر وعبارات الدعاء والأناشيد التي كانت جزءاً جوهرياً من الديانة، ميراثاً وملكاً مقدساً للأسرة، لم تكن تشرك أحداً فيه، وكان محرّماً عليها الكشف عن هذا الميراث الديني للأجانب والغرباء، أي كل شخص خارج نطاق الأسرة الديني.

إذاً لم يكن المولد أو العاطفة هو الذي يجمع أعضاء الأسرة القديمة في هذه الفترة، *بل هو ديانة الموقد والأسلاف*، تلك التي جعلت من الأسرة هيئة متماسكة في الحياة الدينية والدنيوية، *فالأسرة القديمة كانت رابطة دينية، أكثر منها رابطة طبيعية*.

وكما كان للأسرة ديانتها المنزلية، كان أيضاً للمدينة ديانتها القومية التي هي من نفس طبيعة ديانة الأسرة المنزلية، أي لها آلهتها وكهنوتها المستقل. وكانت ديانة المدينة تتحكم في الحياة الروحية والجسدية للإنسان، إذ كانت تجمع في سلطتها، *السلطة المزدوجة أي الدينية والدنيوية*، ولم يكن هناك أي فصل بين هاتين السلطتين.

أما من حيث *النظام السياسي* القائم في هذه الفترة، فقد كانت الديانة هي التي تحدد قواعده وتنظم أموره، ولم تكن الديانة تسمح باقتسام السلطة الكهنوتية، *فالملك هو رئيس العبادة، وهو الذي يشرف على الموقد ويقدم القربان ويتلو الدعاء ويرأس الاحتفالات وإقامة الموائد الدينية* ويقول *أرسطو في هذا الخصوص (ليست العناية بالقرابين للمدينة تابعة لكهنة مخصوصين، بل لأولئك الرجال الذين يتلقون وظيفتهم من الموقد والذين يسمونهم هنا ملوكًا، وهناك سدنة بيوت النار، وفي مكان آخر أراخنة وذلك طبقًا للعادة الدينية)*[1]. ويستدل من كلام *أرسطو* على أن الألفاظ الثلاثة، *ملك، سادن بيت النار، أرخون*، ظلت لفترة طويلة مترادفة. وقد بين الكتّاب القدماء بوضوح التزام الملك بالصفة الدينية ففي *(أيسخيلوس)* على سبيل المثال توجه بنات *(داناوس DANAUS)* الخطاب إلى ملك أرجوس بهذه العبارات *(أنت السادن الأعلى لبيت النار، وأنت الذي تسهر على موقد هذا الإقليم)*[2]. ويرينا *هوميروس* أن الملوك هم الذين يشرفون بشكل دائم على الاحتفالات الدينية، ومن *ديموستينيس* نعرف أن ملوك أتيكة القدماء كانوا

---

1 - انظر : أرسطو ، السياسة ٦ ، ٥ ، ١١ ، ١٣٢٢ ب .

2 - انظر : أيسخيلوس ، المتضرعات ٣٧٥ ، ٣٦٩ .

يقومون بأنفسهم بجميع القرابين التي تنص عليها ديانة المدينة، ومن كسنوفون، أن ملوك إسبارطة كانوا هم رؤساء الديانة اللاكيدايمونية أي (الإسبرطية)[1].

إن السلطة السياسية في الأسرة ملازمة للسلطة الكهنوتية، وإن الوالد باعتباره رئيساً للعبادة المنزلية كان في نفس الوقت قاضياً وملكاً، أي جمع بين يديه السلطتين الكهنوتية والسياسية. لذلك كان الكاهن الأكبر في المدينة هو أيضاً الملك، فالمذبح الديني هو الذي يمنحه الوظيفة حسب تعبير أرسطو[2]. *وقد نتج من اختلاط الديانة بالسياسة وبالعدل وبالحرب، أن أصبح الكاهن هو نفسه بحكم الضرورة ملكاً وقاضياً وقائداً عسكرياً ويقول أرسطو (الملوك إسبارطة ثلاثة اختصاصات: يقدمون القرابين، ويتولون القيادة في الحرب، ويقومون بالقضاء)*[3].

إذن، *يمكن القول إن السلطة السياسية كانت مستمدة من الديانة*، أو من عبادة الموقد كما يقول *أرسطو*، فالديانة هي التي وجدت الملك، وهي التي وجدت رئيس الأسرة في المنزل. *فالملك لم يكن الملوك في حاجة للقوة المادية أي للجيش والسلاح لفرض عروشهم بالقوة، لأن العقائد الدينية هي التي تعاضدهم وتساندهم، وكان من قوة سلطانها على النفس، أن كانت مقدسة ومصانة*.

ولكن مثل هذه الأوضاع الاجتماعية والسياسية المتزمتة لم تظل على حالها كما بدأت، وإنما تقلصت وتزلزلت أركانها تدريجياً بفعل الثورات الاجتماعية والسياسية، التي لا نستطيع أن نعرف عامة في أي فترة محددة بدأت هذه الثورات. ولكن من المؤكد أنه منذ القرن السابع ق.م، بدأ مثل هذا التنظيم الاجتماعي والسياسي المتزمت بالانهيار تدريجياً وسط المنازعات المحتدمة في سلبياته وتجاوزاته، إلى أن اختفت معظم مبادئه وشكلياته في النهاية ولكن بعد عدة قرون.

وتعود الأسباب التي أدت إلى دمار مثل هذا النظام إلى عاملين اثنين:

---

1 – انظر: ديموسثنيس ضد نيأيرا ٧٤ – ٨١، كسنوفون، دستور اللاكيدايمونيين ١٣ – ١٤، هيرودوت ٦، ٥٧، أرسطو، السياسة ٣، ٩، ٢، ١٢٨٥ آ.

2 – انظر: أرسطو، السياسة ٦، ٥، ١١، ١٣٢٢ ب.

3 – انظر: أرسطو، السياسة ٣، ٩، ٢، ١٢٨٥ آ.

العامل الأول: التغيير الذي حدث في الآراء على مر الزمن تبعاً للتطور الطبيعي في العقلية الإنسانية، والذي ألغى العقائد القديمة، فانهارت معها البيئة الاجتماعية التي أقامتها هذه العقائد.

العامل الثاني: وجود طبقة من الناس كانت موجودة خارج نظام المدينة أو الديانة، وكان مثل هذا الوضع الاجتماعي يؤلمها وترى أنه من مصلحتها محاربته وتدميره. وفعلاً قامت هذه الطبقة بمحاربته حرباً لا هوادة فيها، ونجحت في الوصول إلى ما كانت تطلبه وما كانت تبتغيه في نفسها (وكما سنرى لاحقاً)[1].

وعندما ضعفت مثل هذه العقائد التي تأسس عليها هذا النظام الاجتماعي ـــ السياسي، وأصبحت مصالح سواد الناس مناوئة لهذا النظام كان من المحتم أن يسقط وينهار في النهاية وهذا ما حصل في كل المدن، إذ لم تنجُ من هذا التغيير أو التبديل أي مدينة إغريقية، حتى إسبارطة المتزمتة نفسها لم تكن في منأى عن هذا التغيير الذي حصل في كل المدن الإغريقية. ولكن مظاهر هذا التغيير لم تكن كلها في فترة واحدة بالنسبة لمختلف المدن، وإنما كانت في فترات متفاوتة تبعاً لظروف وإشكاليات كل مدينة.

إذن، يجب أن ندرس لماذا وكيف ابتعد الناس تدريجيا عن هذا النظام العتيق لا ليعودوا إلى الوراء، بل على العكس ليتقدموا نحو نظام اجتماعي أوسع منه وأفضل، إذ أن كل تغيير من تغييراته قد قرّبهم من هدف لم يكونوا على علم به. وتجلى هذا التغيير من البدايات الأولى لظهور المجتمع اليوناني حتى الوصول إلى مرحلة النظام الديمقراطي في ثلاث ثورات سلمية رئيسة سنقوم بدراسة كل منها على حدة.

١ ـــ الثورة الأولى والحكم الأرستقراطي:

لقد رأينا سابقاً حال الأسرة البدائية في أتيكة، فقد كان يقتسم هذا الإقليم عدد معين من الأسر المستقلة التي لا رابط بينها، وكانت كل واحدة منها تُعد مجتمعاً مستقلاً صغيراً يحكمه رئيس أو ملك وراثي، ثم تجمعت هذه الأسر ومن تجمعها نشأت المدينة الأثينية، ونُسب هذا الإنجاز العظيم إلى (ثيسيوس) الذي

---

[1] – انظر: فوستيل دي كولانج ص ٣١٧ ـــ ٣١٨.

صادف مقاومة عنيفة في سبيل الوحدة الأتينية من قبل الذين آلمهم هذا التغيير، ويأتي على رأس هؤلاء رؤساء الأسر الآباء (*PATERFAMILIAS*) ورؤساء العشائر (*PHRATRIES*) والقبائل (*TRIBUS*)، هؤلاء النسباء كانت لهم السلطة العليا في أسرهم وعشائرهم وقبائلهم بمقتضى الحق الوراثي، ولقد دافعوا دفاعاً مستميتاً في الدفاع عن استقلالهم، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، ولما ضاع منهم هذا الاستقلال تحسروا عليه ولم يرق لهم هذا التغيير. ولكن على الرغم من ذلك فقد حافظوا على الأقل بكل ما استطاعوا المحافظة عليه من سلطتهم القديمة وما تبقى لهم من هذه السلطة لأن (ثيسيوس) لم يستطع أن يدمر سلطاتهم المحلية تدميراً كاملاً لأن الديانة هي التي أقامتها وجعلتها مصانة ومقدسة لا تمس. ويؤكد على ذلك بلوتارخوس بقوله (*أن ثيسيوس حاول أن يدمر بيوت النار المحلية لدى كل أسرة، فلا عجب أن يكون الشعور الديني قد ثار عليه، وليس من المستطاع أن نقول كم من نضال عاناه، وكم من ثورة أخمدها بالحصافة أو بالقوة، أما الموثوق منه فهو أنه غُلب على أمره في النهاية، وطُرد من أثينة، ومات في المنفى*)[1].

لم يلبث أن ثار النزاع بين هؤلاء النسباء (*الذين كانوا يرجعون بأنسابهم إلى الآلهة والأبطال والأمراء، ويفاخرون بالمجد الذي انتقل إليهم جيلاً بعد جيل، وهم الذين يملكون الأراضي الواسعة الغنية، ويملكون الخيل والأسلحة اللازمة وكوّنوا طبقة أرستقراطية قوية*) وبين الملكية، وكانت نتيجة هذا النزاع بين طبقة النسباء (*الأرستقراطية*) وطبقة الملوك، *أن، تغلبت الطبقة الأرستقراطية على الملكية التي غُلب على أمرها*، ولاسيما بعد توحيد أتيكة وتأسيس مدينة أثينة، إذ أن معظم هؤلاء النسباء من الطبقة الأرستقراطية انتقل معظمهم إلى العاصمة الجديدة وكوّنوا (*مجلس الشيوخ*) الذي يستشيره الملك، ويظهر أنه بعد انتهاء غارة الدوريين وتوقف حركة الهجرة واستقرار السكان ازداد نفوذ هذه الطبقة وأصبح أفرادها يتولون الوظائف الكبيرة.

---

1 - انظر : بلوتارخوس ، ثيسيوس ٢٥ ، ٣٢ ، ديودوروس ٤ ، ٦٢ .

والحقيقة هي أن الحكم الملكي في أثينة قد تلاشى تدريجياً، وبصورة سلمية تحت ضغط الطبقة الأرستقراطية التي كانت في بادئ الأمر، تشارك الملوك في الحكم، ثم أرادت عندما ازدادت قوتها أن تستأثر بالسلطة . ولكن يجب علينا الإشارة إلى ملاحظة هامة، وهي أن هذه الملكية البدائية كانت مقدسة ومصانة من قبل الديانة. فكان الملك هو الذي يتلو الدعاء ويقدم القربان، وهو القادر بمقتضى الحق الموروث على أن يجلب للمدينة حماية الآلهة. فلم يكن إذن، في استطاعة النساء التفكير في الاستغناء عن ملك، كان لا بد من ملك للديانة من أجل سلامة المدينة، **فلذلك لم يمسوا سلطة الملك الكهنوتية** (*SAGERDOGES*)، **وإنما اكتفوا بأن ينتزعوا منه السلطة السياسية. وفي هذه الحالة أصبح الملك كاهناً فقط لا غير، بعد أن كان قبل ذلك هو الكاهن، والقاضي، والقائد العسكري، يمثل بين يديه السلطتين الكهنوتية والسياسية .**

حوفظ إذن على الملكية، ولكن بعد أن جُرّدت من سلطاتها السياسية ولم تعد إلا كهنوتاً ويقول أرسطو (*كان للملوك في الأزمنة الغابرة سلطة مطلقة في السلم والحرب، لكن بعضهم تنحى فيما بعد عن هذه السلطة من تلقاء نفسه، وانتزعت عنوة من الآخرين ولم يترك لهؤلاء الملوك غير العناية بالقرابين*)[1]. ويقول *بلوتارخوس* نفس الشيء (*حيث إن، الملوك بدوا متغطرسين وقساة في أمرهم، فقد انتزع معظم الإغريق السلطة منهم ولم يتركوا لهم غير العناية بالدين*)[2]. وفي إسبارطة انتزعت السلطة التنفيذية من الملوك وكلّفوا بها حكاماً سنويين أطلقوا عليهم لقب (*إيفورات EPHORES*) (*المراقبون الخمسة*)، الذين كانوا يقضون في المسائل المدنية، بينما كان مجلس الشيوخ يقضي في المسائل الجنائية[3]. وكان *الإيفورات* يعلنون الحرب بناء على إشارة مجلس الشيوخ أو يقررون نصوص معاهدات السلم، وفي زمن الحرب كان اثنان من الإيفورات يرافقان الملك ويراقبانه وهما اللذان كانا

---

1 – انظر : أرسطو ، السياسة ٣ ، ٩ ، ٨ ، ١٢٨٥ ب .

2 – انظر : بلوتارخوس ، مسائل رومانية ٦٣ .

3 – انظر : أرسطو ، السياسة ٣ ، ١ ، ٧ ، ١٢٧٥ ب .

يحددان خطط الحملة ويديران جميع العمليات [1]، *وبذلك يكون قد تم انتزاع جميع السلطات التنفيذية والسياسية والقضائية من يدي الملوك ولم يتبق لهم سوى السلطة الكهنوتية*. كذلك الأمر في أثينة، لم يتم القضاء على الملكية بشكل كامل، إذ أن ديانتهم كانت تحرّم عليهم ذلك، لكنهم جرّدوها من سلطتها السياسية ويقول *باوسانياس* في هذا الخصوص (*أن الملكية قد فقدت عندئذ جزءاً كبيراً من اختصاصاتها وأصبحت تابعة*)[2]، ومعنى ذلك أنها أصبحت منذ ذلك الوقت خاضعة لمجلس الشيوخ المكوّن من الطبقة الأرستقراطية، ويُطلق المؤرخون المحدثون على هذه الفترة من تاريخ أثينة اسم عهد الأراخنة (*ARCHONTAT*) [3]. وفي منتصف القرن الثامن ق.م، وجدت الطبقة الأرستقراطية أن هذه الملكية الدينية لا تزال أقوى مما كانوا يريدون فأضعفوها وقرروا ألا يشغل الملك هذا المنصب الكهنوتي إلا لمدة *عشرة أعوام* بعد أن كان لمدى الحياة. ولكن منذ أوائل القرن السابع ق.م وتحديداً في عام ٦٨٢ق.م، ونتيجة لهذه التغييرات السياسية في السلطة الملكية، *أحدثت في أثينة ثلاث وظائف رئيسة* كوّنت السلطة التنفيذية-الحكومة أثينة التي انتقلت إليها بعض السلطات التي كان يقوم بها الملوك قبلاً، وتأتي هذه الوظائف من حيث ترتيب الأهمية على الشكل التالي:

أ ــ الحاكم (ARCHON): وهو رئيس الجهاز التنفيذي، ويتولى القضايا المدنية فينظر في أمور الزواج والإرث والأيتام، ويترأس الحفلات في الأعياد. ويجب ألاّ ننسى أن هذه المسائل كان لها شأن عظيم في ذلك العهد.

ب ــ القائد العسكري (POLEMARCHOS) ويتولى إدارة الجيش، والنظر في قضايا الأجانب القاطنين في أثينة.

ج ــ الملك (BASILEUS) وتقتصر وظيفته على الشؤون الدينية، فهو الذي يمثل المدينة تجاه الآلهة، ويشرف على القصور والمعابد، ورغم أهمية هذه

---

1 – انظر : كسنوفون ، دستور اللاكيديمونيين ٨ ، ١١ ، ١٥ ، الهللينيات ٢ ، ٤ ، ٣٦ .

2 – انظر : باوسانياس ١ ، ٣ ، ٢ و ٤ ، ٥ ، ١٠ و ٧ ، ٢ ، ١ .

3 – انظر : فوستيل دي كولانج ، ٣٣٩ .

الرئاسة الدينية فإن لقب ملك قد فقد بذلك معناه الأصلي وصار يطلق على إحدى الوظائف الحكومية التي ينتخب صاحبها لمدة عام واحد مثل غيره من بقية الموظفين .

وبكل الأحوال، فإن رؤساء هذه الوظائف الثلاث أصبحوا ينتخبون ***لمدة عام واحد***، ونرى السجلات الرسمية بعد هذا التاريخ تحمل اسم الحاكم، وبذلك يمكن معرفة تاريخها بالرجوع إلى الجداول التي تبين تعاقب الحكام سنة بعد أخرى.

ثم أضيف إلى الرؤساء الثلاثة ستة مشرعين آخرين (*SMOTHETAI*) عُهد إليهم كما يقول أرسطو (*بتسجيل الأحكام والمقررات التي لها صفة ثانوية وحفظها حتى يرجع إليها في فصل الاختلافات*)[1]، ولم تمض فترة طويلة حتى تألفت من هؤلاء جميعاً مجلس الحكام التسعة (*الأراخنة*) الذي كان يدير شؤون الحكومة في العهد الأرستقراطي[2]، بعد أن يكونوا قد أدوا قسم اليمين ويتعهدوا بالالتزام بالشرف والأمانة .

كان هؤلاء الحكام بعد انقضاء مدة عملهم يصبحون بصورة آلية أعضاء في مجلس الشيوخ لمدى الحياة، وقد كان له مكانة كبيرة في زمن الملك، ولكنه ازداد أهمية في عهد الحكم الأرستقراطي وأصبح الدعامة الحقيقية لسلطة البلاد فهو الذي يقوم، كما يقول *أرسطو* في كتابه (*الدستور الأثيني*)(*بالمحافظة على القوانين وإدارة شؤون الدولة*)[3]، وهو الذي يتولى انتخاب الرؤساء الثلاثة وبقية الموظفين[4]، وقد أُطلق عليه في أثينة اسم ***الأريوباجوس*** (*AEROPAGOS*) لتميزه من المجالس الأخرى التي تأسست فيما بعد، ولعل هذا الاسم مشتق من هضبة (*ARES*) حيث كان يعقد اجتماعاته للنظر في القضايا الجنائية التي تعد من أهم وظائفه.

حتى هذه المرحلة، لم يكن إلغاء النظام الملكي انتصاراً للفكرة الديمقراطية، وبقي دون الطموح الذي كانت ترغب فيه الطبقات الدنيا، بل كان هذا الانتصار

---

1 - انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٣ / ٤ — ٥ .

2 - انظر : المصدر السابق ٣ / ١ — ٥ .

3 - انظر : المصدر السابق ٣ /٦ .

4 - انظر : المصدر السابق ٨ / ٢.

وسيلة لتسلط الأرستقراطية الإقطاعية على الدولة. فالنبلاء كانوا يؤلفون طبقة ممتازة ويستخدمون المؤسسات الحكومية لتوطيد سيادتهم وتأمين مصالحهم، وفي ظل هذا النظام الأرستقراطي انقسم السلم الاجتماعي في أثينة إلى أربع طبقات أساسية بغض النظر عن الأسرة والعشيرة والقبيلة وهذه الطبقات هي:

١ ــ *طبقة النبلاء (EUPATRIDAS)*:

وتتمتع هذه الطبقة بحقوق المواطنة الكاملة السياسية والمدنية، ولها حق الترشيح في المجالس التشريعية وحق الانتخاب وحق تولي المناصب والوظائف العليا في الدولة وقيادة الجيش، وحق الملكية والعمل. وبقيت هذه الطبقة متأثرة بالحكم عصوراً طويلة، وتتمركز في سلطتها كل قواعد العرف والعادة وتفسر القانون كما تريده وتخضع كل أمور الدولة لمصلحتها، لأنه لم تكن هناك حتى هذه الفترة قوانين مكتوبة ثابتة. وفي هذه الحالة وجب على جميع أفراد الطبقة الدنيا الذين هم ليسوا من الأسر النبيلة أن يكونوا مضطرين دوماً إلى الخضوع للأحكام المرتجلة المتقلبة التي كانت في الغالب بعيدة عن الأنصاف والرحمة.

٢ ــ *طبقة الحرفيين والصنّاع (DEMIOURGOI)*:

وتتمتع هذه الطبقة في الحقوق المدنية، وتحرم نسبياً من بحمل الحقوق السياسية باستثناء حق الانتخاب الذي كان يُسحب منها في بعض فترات من تاريخ أثينة وتطورها السياسي. وكانت هذه الطبقة من أصحاب المهن الذين يعملون في الصناعة والتجارة والملاحة على حسابهم الخاص.

٣ ــ *طبقة المزارعين (GEORGOI)*:

وتتمتع هذه الطبقة بمعظم الحقوق المدنية، وببعض الحقوق السياسية مثل حق الانتخاب، ولكن دون الترشيح للمناصب العليا. وتتألف هذه الطبقة من الذين يملكون قطعة صغيرة من الأرض يكدحون في فلاحتها لكسب قوتهم، وكان هؤلاء المزارعون يجدون صعوبة كبيرة في التخلص من طمع المرابين ومن اعتداء السادة النبلاء. لقد كان الكثيرون منهم يملكون قبلاً أراضي واسعة، ولكنهم اضطروا إلى تقسيمها بين أولادهم حتى أصبحت لا تكفي لإعاشة أصحابها الذين كان بعضهم يبيعها وينتقل إلى المدن للعمل بالصناعة أو التجارة، بينما صار الآخرون يعملون عند

النبلاء الأغنياء ويفلحون الأرض كمسادسين (*HEKTEMOROI*)، أي الذين يأخذون سدس المحصول مقابل عملهم، أما الذين يحاولون الاحتفاظ بأرضهم، رغم كل الصعوبات، ويستدينون المال لشراء البذار والماشية فإنهم يضطرون لرهن هذه الأرض، حيث كانت تنصب في كل حقول أتيكة الزراعية مسلات حجرية رهنية (*أحجار الرهن العقاري*) سجل عليها أن القطعة المعنية مرهونة لفلان لقاء مبلغ كذا من النقود، أما الحقول التي لم تكن معلمة بهذه العلائم، فكانت قد بيعت في معظمها بسبب العجز عن تسديد قيمة الرهن العقاري أو عن دفع الفوائد المتوية في الموعد المحدد، وانتقلت إلى ملكية الأرستقراطي إذا كان المبلغ الذي تباع به قطعة الأرض المرهونة لا يغطي الدين، أما إذا كان الدين لم يؤمن برهن فكان يتعين على المدين أن يبيع أولاده عبيداً في بلدان أخرى لكي يسدد للدائن دينه، وكان باستطاعة الدائن الأرستقراطي أن يبيع المدين نفسه كعبد [1]، وهكذا فقد انتقلت الأراضي كما يقول *أرسطو*: *إلى عدد قليل من الملاّكين الكبار، أي ظهر ما يسمى باصطلاح (تكثيف الأراضي)، بينما كان الفلاحون يباعون هم ونساؤهم وأولادهم كأرقاء وأقنان* [2].

إن أفراد هذه الطبقات الثلاث كانوا يعدون من المواطنين رغم الاختلاف الكبير في حالتهم الاقتصادية ورغم استئثار طبقة النبلاء وحدها بالوظائف الحكومية، وقد كان يحق للمواطنين جميعاً أن يشتركوا في مجلس الشعب (*ECCLESIA*) ولكن هذا المجلس لم يكن له شأن كبير في عهد الحكم الأرستقراطي، وقلما كان يجتمع ليصدّق على القوانين التي تعرض عليه.

٤ ـ *طبقة الوضعاء أو الموالي* (*THETES*):

وهي الطبقة التي تأتي في نهاية السلم الطبقي الاجتماعي لأثينة، وهي محرومة من مجمل الحقوق السياسية والمدنية، وتتألف هذه الطبقة من الخدم الذين يعيشون

---

1 ـ انظر: المجلس، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ص ١٤٥. وحول أحجار الرهن العقاري ورهن العقارات الزراعية وفوائد الديون الفاحشة انظر: خليل سارة، دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨، ص ١٦٦ ـ ١٧٠.

2 ـ انظر: أرسطو، الدستور الأثيني ٢/١ ـ ٢، بلوتارخوس، صولون ١٢.

ضمن نطاق الأسرة المنـــزلية ولا يتركونها ويلازمونها بالوراثة وللأب (*PATER*) أي رب الأسرة أو الولي (*PATRON*) حق السلطة الثلاثية عليهم: ***سلطة السيد، والقاضي، والكاهن***. وكانوا يسمّون هؤلاء الخدم بأسماء تختلف باختلاف الأماكن وأكثرها معرفة لنا اسم الموالي (*CLIETS*) أو الوضعاء (*THETES*). ولكن هذه الأوضاع للطبقات الاجتماعية المختلفة والعلاقات فيما بينها قد تغيرت كثيراً في القرنين السابع والسادس ق.م بسبب التطورات السياسية والاقتصادية (وكما سنرى لاحقاً).

وتنتهي في هذه المرحلة (*الثورة الأولى*) التي قلبت النظام الملكي، **وغيّرت الشكل الخارجي للحكومة أكثر مما غيّرت في كيان المجتمع**. إن هذه الثورة لم تكن من عمل الطبقات الدنيا التي كان من مصلحتها أن تهدم الأنظمة القديمة، بل من عمل الطبقة الأرستقراطية التي كانت تريد المحافظة عليها. فهي لم تعمل إذن، لتغيير نظام الأسرة العتيق، بل للمحافظة عليه. ولهذا السبب أزاحوا الملكية، ***فالطبقة الأرستقراطية لم تقم بثورة سياسية إلا لتحول دون ثورة اجتماعية***، إنها لم تقبض على السلطة للذة السيادة، بقدر ما قبضت عليها لكي تدفع الهجمات عن أنظمتها القديمة ومبادئها العتيقة، وعبادتها المنزلية، وسلطتها الأبوية، وأخيراً عن جميع القوانين الخاصة التي أقامتها الديانة الأولى، لأن حكم هذه الطبقة كان لا يزال قائماً على المولد والديانة التي كانت سنداً لها في حق الملكية المطلقة وتمنحهم حقوقاً مقدسة، ***لأنه طبقاً للعقائد القديمة لم يكن يستطيع أن يكون مالكاً للأرض إلا من كانت له عبادة منزلية، ولا أن يكون عضواً في المدينة إلا من كان جائزاً في ذاته الصفة الدينية التي تخلق المواطن، ولا أن يكون كاهناً إلا من كان سليلاً لأسرة لها عبادة، ولا أن يكون حاكماً إلا من كان له الحق في القيام بالقرابين، والرجل الذي لم تكن له عبادة وراثية يجب أن يكون (مولى) أي خاضعاً لرجل آخر، وإلا أن يبقى خارج كل مجتمع***[1].

---

[1] – انظر : فوسيل دي كولانج ، ص ٣٤٧ .

وبقيت هذه الأوضاع الاجتماعية على حالها حتى فترة *صولون* في أوائل القرن السادس ق.م، حيث كانت جميع السلطات في أيدي الطبقة الأرستقراطية، فكانوا هم الوحيدين الكهنة والأراخنة والقضاة، والوحيدين الذين يعرفون القوانين التي لم تكن مكتوبة ويفسروها كما يريدون ويتناقلون صيغها المقدسة من أب إلى ابن.

وعلى الرغم من أن هذه الطبقة عملت قدر استطاعتها وجهدها واستماتت من أجل البقاء على هذه الصورة القديمة للنظام العشائري الأرستقراطي، إلا أن الخطر ما زال باقياً وجاثماً حولها يهدد أركانها وأنظمتها القديمة التي بدأت تتهاوى، وأوشكت تغيرات خطيرة تدخل كيان المجتمع الإغريقي وبدأت تمهد لثورة أعظم من سابقتها مست الجوهر الاجتماعي للمجتمع وهزت أركانه الأساسية القائمة على المعتقدات العتيقة وهذا ما سنقوم على دراسته في الفقرة التالية.

٢ ــ *الثورة الثانية وتبديل في كيان المجتمع الإغريقي:*

حتى هذه الدراسة لم نستطع أن نتكلم عن الطبقات الدنيا في البدايات الأولى لنشأة المجتمع الإغريقي، لأن هذه الطبقات لم تكن ذات أهمية على الإطلاق في تلك الفترة، ***وأن المدينة تكونت وكان هذه الطبقات لم تكن موجودة ولم يحسب لها حساب***. وحتى نستطيع أن نبسط دراستنا وأن ندرس الجوهر الاجتماعي لهذه الطبقات والتغيرات الاجتماعية التي طرأت عليها بفعل الثورة الثانية، علينا أن نعرض الواقع الاجتماعي الذي كانت تعيش في ظله هذه الطبقات قبل أن نصل إلى جوهر التغيرات الاجتماعية في ظل هذه الثورة.

أ ــ الأوضاع الاجتماعية للطبقات الدنيا ما قبل الثورة:

كان في المدينة العتيقة (*أي منذ البدايات الأولى لنشأتها*) طبقات وفروق واختلاف في الدرجات كما هو الأمر في كل مجتمع بشري، وكما لاحظنا في إسبارطة كانت الفروق واضحة بين طبقتي الأكفاء والأدناء، كذلك كان الأمر في أثينة حيث كانت المفارقات الاجتماعية واضحة جداً بين طبقتي النبلاء والوضعاء. وهذه المفارقات لم تتكون على مر الزمن، وإنما كانت موجودة منذ الأصل وفي أيام

الأسرة المنزلية التي كانت تحوي في ذاتها هذا التفريق بين الطبقات نظراً لتماسكها وعدم قابليتها للتجزئة، ونستطيع أن نميز هذه المفارقات من خلال *مبدأين اثنين*:

المبدأ الأول:

كان الابن الأكبر دون سواه هو الذي يخلف والده ويقبض على كل السلطات الكهنوتية والسياسية بغض النظر عن الأخوة الباقين، فالابن الأكبر حين يخلف والده هو الذي يترأس الحفلات الدينية والقضاء والحكم، وهو الذي يختص بالعبادة والإرث، وإليه وحده يرجع في الأصل لقب (*PATER*) ويلاحظ *أرسطو* ***أنه في الزمن القديم كانت القاعدة في بعض البلدان، أن الابن لا يكون مواطناً في حياة الأب، فإذا مات الأب تمتع الابن الأكبر وحده بالحقوق السياسية***(1). أي أن القانون في هذه الفترة لم يحسب حساباً للفروع الصغرى من الأسرة (***أي الأخوة الصغار وأبناء الأخوة الخ ..***) وعلى رأسهم طبقة الوضعاء (***الخدم***) فلذلك يضيف *أرسطو*، ***أن المواطنين الحقيقيين كانوا عندئذ عدداً ضئيلاً***. والجمعية العامة التي كانت تجتمع في مثل هذه الأزمنة القديمة لتناقش في الأمور العامة للمدينة كانت تتكوّن فقط من هؤلاء رؤساء الأسر ***الآباء*** (*PATRES*). ومن هنا أطلق *رومولوس* كما يقول *سيشرون* لفظ (*آباء*) على الشيوخ لكي يدل على عطفهم الأبوي نحو الشعب، لأن هؤلاء هم الوحيدون الذين يمثلون المدينة، وفي الوقت نفسه كان كل واحد منهم سيداً مطلقاً في أسرته.

فهذا هو إذن أول مبدأ لعدم المساواة في تكوين الأسرة، حيث كانت كل الفروع الصغرى، في مستوى أدنى بالنسبة للفرع الأكبر وتخضع كلها لسلطانه وتعيش تحت حمايته.

المبدأ الثاني:

هناك طبقة دنيا أخرى، وهي طبقة الوضعاء (*HETES*) أي الخدم الذين يعيشون ضمن نطاق الأسرة ولا يتركونها ويلازمونها بالوراثة، ويخضع هؤلاء في

---

1 – انظر: أرسطو، السياسة ٥، ٥، ٣، ١٣٠٥ ب.

جميع مسارات حياتهم إلى رئيس الأسرة الولي (PATRON) أو الأب (PATER) ولم يكن المولى تحت سلطة الولي أي رئيس الأسرة فقط، وإنما تحت الفروع الصغرى أيضاً من الأسرة، والفرق بينه وبينها أن العضو في فرع أصغر إذا ما صعد في سلسلة أسلافه وصل إلى أب (PATER) أي إلى رئيس أسرة باعتبار أنه ينحدر من (PATER) فلذلك كانوا يسمونه في اللاتينية (PATRICIUS) *بطريق*، أما المولى فمهما صعد في سلسلة نسبه فإنه يبقى *مولى أو عبداً*، فليس في أجداده أب (PATER) ومن هنا لصقت به حالة انحطاط لا يجد منها مخرجاً.

نستنتج من ذلك أن الفروع الصغرى من الأسرة كانت تتمتع بحق الملك مستقبلاً في حالة انقراض الفرع الأكبر أي رب الأسرة، بينما المولى لا يستطيع أن يكون لا حاكماً ولا مالكاً إطلاقاً. وإذا ما حدث أن انقرضت الأسرة فإن الموالي الخاضعين لها لا يواصلون العبادة بل يتفرقون، إذ أن الديانة ليست ميراثاً لهم لأنها ليست من دمهم ولم تأت من أسلافهم، إنما ديانة مستعارة، لهم حق التمتع بها، وليس لهم حق الملك فيها.

إضافة إلى ذلك إن المولى لم يستطع الانفصال عن الولي ولا اختيار ولي آخر له. ولم يكن بإمكانه أن يكون مالكاً للأرض، وإن كان يزرعها، فإن ريعها وثمارها تعود لسيده ولفائدته، ولم يكن له حق الملكية المنقولة وكل ما يدخره منها تعود لسيده أيضاً لأجل دفع ديونه الخاصة أو فديته، فلم يكن له شيء ما سوى أن الولي كان يقدم له ما يقوم بأوده هو وأطفاله مقابل أن يعمل لفائدة سيده، فهو شبيهٌ بالعبد وإن لم يصل إلى الحدود المطلقة لصفة العبد بالمعنى الصحيح لأنه يتبع سيده ويخضع لإرادته في كل شيء، وهو مولى طوال حياته وأبناؤه موالٍ من بعده.

والولي لم يكن سيداً فحسب، بل كان قاضياً يستطيع أن يحكم على المولى بالإعدام، فالمولى لم يكن شيء يحميه أو يدافع عنه، لأنه لم يكن مواطناً من تلقاء نفسه. وفي حال ظهوره أمام أي محكمة مدنية كان من المحتم أن يقوده وليه إليها وأن يتكلم عنه، لأنه لا يعرف القانون ولا صيغه المقدسة وإن كان يعرفها، فإن أول

قانون بالنسبة له هو ألا يشهد على وليه أو يتكلم عليه، ومن دون الولي لا عدل له، وضد الولي لا ملاذ له [1].

وهذا هو ثاني مبدأ من عدم المساواة في تكوين الأسرة الداخلي من خلال المفارقات الواضحة بين الولي والمولى، وخضوع المولى في جميع اتجاهات حياته لإرادة الولي وسلطانه.

ب ـ الأوضاع الاجتماعية للطبقات الدنيا أثناء الثورة :

اجتازت بلاد الإغريق بين القرن الثاني عشر والسادس ق.م مرحلة انتقال مهمة جداً، وهي مرحلة نشوء المدن الإغريقية الجديدة التي كانت على شكل وحدات سياسية واقتصادية وعسكرية تتمركز حول معبد المدينة. وكانت كل واحدة من هذه المدن تؤلف دولة مستقلة، وفي كل مدينة قلعة حصينة وساحة كبيرة للاجتماعات العامة والأسواق التجارية. وكانت المدن عادة بالقرب من البحر ولها مرفأ يتبع لها تتصل عن طريقه بالعالم الخارجي.

وقد أدى انتقال الإغريق من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية (***حياة المدن***) إلى انقلابات عميقة في أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فمن ***الوجهة الاقتصادية*** ظهرت ***الملكية الخاصة*** إلى جانب الملكية المشتركة، وهذه الناحية هي أحد أبرز علائم التغييرات الاقتصادية في جوهر المجتمع الإغريقي، والسبب في ذلك أن مكان إقامة النبلاء الرئيسي انتقل من الريف إلى أثينة وضواحيها حيث كانت التجارة البحرية التي بدأت تنتقل عن طريق الفينيقيين ويقع معظمها في أيدي الإغريق الذين تعلموا كل ضروب فن الملاحة وصناعة السفن والتجارة وتبادل البضائع عن طريقهم. كل ذلك أدى إلى منبع جديد للثروة وإلى تغييرات اقتصادية مذهلة تمثلت في ظهور ***الثروة النقدية*** التي تركزت في معظمها في أيدي النبلاء، الذين بدؤوا في شراء الأراضي الزراعية التي كانت قديماً لا تنتقل إلا بالوراثة. وقد أدى هذا التطور الاقتصادي إلى نتائج اقتصادية مهمة تمثلت في ظهور مبدأ ***العلاقات النقدية*** ـ

---

[1] – انظر : فوستيل دي كولانج ، ص ٣٥٩ .

السلعية، والتي بموجبها بدأ التحول *من الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد النقدي* الذي زحزح التنظيم العشائري السابق القائم على الاقتصاد العيني .

إن ظهور مبدأ العلاقات النقدية- السلعية أفضى بدوره إلى تطور في الصناعة والتجارة، وإلى تطور أكثر فأكثر في ظهور عمليات *تقسيم العمل* بين الزراعة والصناعة وليس ذلك فحسب، وإنما إلى تقسيم العمل ضمن نطاق الحرفة الواحدة، وبموجب هذه التطورات انقسم الناس حسب أعمالهم إلى جماعات ثابتة نسبياً لكل منها جملة من المصالح المشتركة الجديدة التي لم يكن لها مكان داخل التنظيم العشائري السابق، وبدأ نمو العبيد نمواً ملحوظاً وزاد كثيراً عن عدد المواطنين، وبرز هنا إلى السطح مقوّم اقتصادي جديد، وهو *النظام العبودي* الذي لم يكن معروفاً في التنظيم العشائري السابق. وأخيراً اجتذبت التجارة إلى أثينة عدداً كبيراً من الأجانب الغرباء (*METEKOI*) فكانوا يستقرون فيها نظراً لسهولة الكسب ولكن دون أية حقوق سياسية أو قانونية.

ولا شك أن المستعمرات التي أسسها المهاجرون في مختلف أنحاء البحر الأبيض المتوسط والتي بدأت عقب الغزوات الدورية، قد فتحت أمام الإغريق *أسواقاً واسعة* تساعد كثيراً على النشاط التجاري، ونشأت الحاجة إلى *التصدير* مقابل المحصولات التي تدعو الحاجة إلى استيرادها، فلذلك وجه الإغريق جلّ اهتمامهم إلى كروم العنب والزيتون لزيادة صادراتهم من الخمر والزيت ومقايضتها بالحبوب التي كانت تفتقر إليها بلاد الإغريق نظراً لعدم خصوبة تربتها في هذه الزراعة. ومع التوسع في عمليات التصدير، نشأت الحاجة إلى التوسع في الوقت نفسه إلى صناعة الأواني الخزفية لتعبئة الخمور والزيوت المعدة للتصدير. وعلى إثر ذلك ظهرت *الورش الصناعية* الصغيرة والكبيرة لأجل التصدير المحلي والدولي، واتسعت الحركة التجارية اتساعاً ملحوظاً بفضل *استعمال النقود* وانتقال الإغريق من مرحلة الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد الرأسمالي أو النقدي، ومما ساعدهم على ذلك اقتباسهم *العملة النقدية* التي كانت قد ظهرت في مملكة ليدية سنة ٧٠٠ق.م، وأصبح لكل مدينة إغريقية نقد مستقل يحمل شعارها الخاص. ولم تقتصر أهمية النقود على كونها وسيلة عامة سهلة للتبادل، بل لأنها غيّرت مفهوم الثروة؛ إذ لم تعد أساس الثروة القطعان

والأراضي الزراعية، بل *رأس المال النقدي* هو الذي سيطر على الحياة العامة وبدأ يقوم بالمشاريع التجارية والصناعية ويعقد القروض المالية .

هذا من وجهة النظر الاقتصادية، حيث نرى أن التنظيم العشائري السابق أخذ يقترب من نهايته، وبدأ المجتمع الجديد يتخطى نطاقه يوماً بعد يوم وأخذت أبعاده تتوسع تدريجياً ولكن بصورة جديدة ونمط جديد.

أما من وجهة النظر الاجتماعية، فإن تطورها ارتبط ارتباطاً كلياً بالناحية الاقتصادية، ولا نستطيع أن نفصل الناحيتين الواحدة عن الأخرى، ومن هنا توجب علينا إلقاء نظرة سريعة على التطورات الاقتصادية، لأن هذه التطورات ارتبطت ارتباطاً كلياً بتطور الناحية الاجتماعية للمجتمع الإغريقي. *فنشوء المدن، والتطور الاقتصادي، وسياسة الانفتاح، وتبادل الأفكار، وإنشاء المستعمرات، أدّت بالضرورة إلى إضعاف سيطرة السادة النبلاء أمام أسرهم، نظراً للتنازل عن بعض حقوقهم التي كانت تقرها المعتقدات القديمة لصالح المصلحة العامة ولفقا للقوانين والتطورات الجديدة، وبذلك نقصت مكانتهم في نظرهم ونظر مرؤوسيهم*، وبدأ رؤساء الأسر من هذه الفترة يحسبون حساباً للطبقات الدنيا نظراً لكثرة عددها، وبالتالي لم تلبث هذه الطبقات ونتيجة للأوضاع الجديدة أن شعرت بأهميتها وقوتها، وتولد فيها شعور معين بالشمم والتطلع إلى مصير خير من مصيرها. إضافة إلى ذلك المنافسة بين رؤساء الأسر وهم يتحاربون على النفوذ، ويسعى كل منهم إلى إضعاف الآخرين، وفي سبيل الحصول على النفوذ كانوا يسعون إلى نيل ثقة الشعب بهم، فأخذوا يهملون سيادتهم المحلية الصغيرة أو ينسونها، وأخذت هذه الأسباب تحدث نوعاً من التراخي في تكوين الأسرة وكانت النتيجة، *أن من كانت لهم مصلحة في المحافظة على هذا التكوين القديم للأسرة أصبح أقل تمسكاً به، ومن كانت لهم مصلحة في تغييره أصبح أكثر جرأة وأشد قوة* [1].

وكانت أولى النتائج التي ظهرت نتيجة للأوضاع الجديدة *تحطيم قاعدة عدم التجزئة*، التي خلقت قوة الأسرة العتيقة واختفى *حق البكورة* الذي كان شرط

---

1 – انظر : نفس المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

وحدها، وانتقلت قسمة الميراث إلى القسمة المتساوية بين الأخوة بعد أن كان ينص على عدم قسمته وحصرها في الابن البكر (الأكبر).

وتجدر بنا الإشارة إلى ملاحظة مهمة، وهي أن هذا التغيير لم يتم في عام محدد، بل حدث على مر الزمن. فكان في بادئ الأمر في أسرة، ثم تلاها في أسرة ثانية، ثم في جميع الأسرات. وأن هذا الانتقال لم يتم في طفرة واحدة من عدم قسمة الميراث إلى القسمة المتساوية فوراً، وإنما كان تدريجياً وتجلت بداياته الأولى في أن يكون رب الأسرة حراً في إعطاء أبنائه الصغار نصيباً معيناً من الميراث، ثم تحتم بعد ذلك على أن يكون للأكبر نصيب مضاعف على الأقل، وأخيراً سمح بأن تكون القسمة متساوية [1].

إن مثل هذا التغيير لم يحدث في جميع المدن، ففي بعضها حافظ القانون على عدم قسمة الميراث زمناً طويلاً بعض الشيء، وفي أثينة كان لا يزال يظهر في تشريع صولون بعض التفضيل للابن الأكبر، وهناك مدن لم يختف حق البكورة منها إلا على أثر ثورة حيث امتشقت الفروع الصغرى من الأسرة السلاح، لكي تقضي في آن واحد على السلطة الأبوية وحق الابن الأكبر [2]. وابتداء من هذه الفترة أصبحت بعض المدن الإغريقية التي لم يكن فيها غير مائة من المواطنين يتمتعون بالحقوق السياسية، أصبحوا بعد هذا التغيير نحو ٦٠٠ مواطن، وأصبح كل أعضاء الأسر مواطنين وانفتح أمامهم باب الوصول إلى المناصب ومجلس الشيوخ كما هو في هراكلية [3].

كان لهذا التمزيق في الأسرة عواقب خطيرة، فقد ضعفت إلى الأبد تلك الأسرة الكهنوتية العتيقة التي كانت شديدة التكوين والتزمت لدرجة فائقة، فمهدت هذه الثورة لتغييرات أخرى وجعلتها سهلة ويسيرة وغيرت دستور الأسرة والمجتمع نفسه. فتأسيس المدن الجديدة أسهم لدرجة كبيرة في اتساع أفق التفكير عند الطبقات الدنيا (الموالي)، وانتقل بهم إلى عالم أوسع مما كان من قبل وغير نظرتهم من

---

1 – انظر : غابوس في دنجست ١٠، ٢، ١ .

2 – انظر : أرسطو ، السياسة ٥، ٥، ٢، ١٣٠٥ ب .

3 – انظر : المصدر السابق .

المعتقدات العتيقة والأفكار البالية التي كانت تضيق بهم ضمن نطاق الأسرة الصغيرة. ففي ظل المجتمعات الواسعة في المدن الجديدة استطاع موالي الأسر أن يرى بعضهم بعضاً، وأن يتحدثوا ويتبادلوا آمالهم وأمانيهم في التحرر والتطلع إلى مصير خير من مصيرهم، وبدأت أبصارهم تمتد إلى ما وراء الأسرة الضيقة، إلى مجتمع كبير فيه من القواعد والقوانين والمذابح والمعابد الجديدة التي لم يألفوها من قبل، ورأوا أن الخروج من الأسرة لم يعد نكبة عليهم لا علاج لها، واشتدت شهوتهم إلى حياة جديدة، بأن كفوا عن الإيمان بأن سلطة السيد سلطة شرعية مقدسة، وتكوّنت في قلوبهم رغبة ملتهبة في أن يكونوا أناساً أحراراً، وبذلوا جهوداً عنيفة من أجل الاستقلال عن سادتهم الذين أبدوا مقاومة لا هوادة فيها ومن دون نتيجة تجاه هؤلاء المتطلعين إلى الاستقلال والتحرر، ***إذ اضطر هؤلاء السادة رغماً عنهم إلى التنازل عن شيء من هيمنتهم، ووجدوا من الحكمة إرضاء هذه الطبقة للحيلولة دون قيام ثورات دموية قد تقضي عليهم وعلى مصالحهم.***

إزاء هذه الأوضاع الجديدة، تحقق شيء من آمال وتطلعات الموالي وتحسنت حالتهم تدريجياً، إذ أن السادة النبلاء وجدوا أنفسهم مجبرين لأن يخصصوا لكل واحد من مواليهم نصيباً معيناً من الأرض، ووجد الموالي في هذا النصر سعادة غامرة لهم وحلماً راودهم منذ أمد طويل. وكانت إحدى أهم نتائج هذا النصر أن ظهرت صلة أخرى تربطهم بالأرض التي تعلقوا بها وأحبوها وهي ***صلة العمل***، غير الصلة التي أقامتها الدياثة بينه وبين السيد. وفي هذه الحالة أصبح الموالي يزرعون لأنفسهم لا لسادهم، وأصبحوا يتمتعون بسدس المحصول وأن يقدموا الخمسة أسداس الباقية إلى سادهم كبدل إيجار[1]. وهكذا أصبحت حياة الموالي أكثر حرية وتطلعاً إلى المستقبل، ويقول أحد القدماء (***كان رؤساء الأسرات يخصصون أجزاء من الأرض لمرؤوسيهم كما لو كانوا أبناءهم***)[2].

رغم هذا الانتصار الذي حققه الموالي، إلا أنه كان بسيطاً جداً ولم يشكل إلا جزءاً صغيراً من طموحاتهم وتطلعاتهم، ولم يكن إلا خطوة تمهيدية لطريق شاق

---

1 - انظر : بلوتارخوس ، مولون ١٣ .

2 - انظر : فوستيل دي كولانج ، ص ٣٦٢.

وطويل لأجل التحرر والإفلات من قبضة السادة النبلاء. فالأرض التي تعلقوا بها وأحبوها واستثمروا جزءاً صغيراً من عطائها وريعها بعد جهاد طويل لم تكن ملكاً لهم، *لأن الموالي لا يحملون الصفة المقدسة التي تجعل من الأرض ملكاً لهم، وما زالت الأرض تحمل التخم المقدس الذي وضعته أسرة السيد، والذي يدل دلالة واضحة على استمرار ملكية الأرض لهذه الأسرة، واتجهت أنظار الموالي بعد الآن إلى إزالة مثل هذا التخم المقدس، وإلى أن يستولوا على معظم الملكية الزراعية للأرض التي تعلقوا بها، وهذا هو الهدف الذي توصل إليه الموالي في بلاد الإغريق، ولكن بأي الوسائل ؟ وكم قضوا من الزمن والجهود للوصول إليه ؟ هذا ما* سنقوم على دراسته في الفقرة التالية من الثورة الثالثة والحكم الديمقراطي الشعبي.

٣ ــ الثورة الثالثة والحكم الديمقراطي الشعبي:

تتحدد هذه الثورة زمنياً في القرن السادس ق.م بعد أن سبقتها في القرن السابق تغيرات رئيسية في تكوين الأسرة الداخلي التي ضعفت جداً مع تفكك وحدتها وتماسكها، *باختفاء حق البكورة، وتحرير معظم الموالي لديها*، الذي أدى إلى فقدان الجزء الأكبر من رعاياها وانتقالهم إلى المدينة التي بدأ مظهرها يتغير ولم تعد كما كانت في الماضي عبارة عن مجموعة معينة من الأسر ضئيلة الارتباط فيما بينها، وإنما أصبح الارتباط الآن قائماً بين مجموعتين متناحرتين متضادتين، *الطبقة الدنيا والطبقة الأرستقراطية*، وانتقل الآن النزاع من مجاله الضيق في نطاق الأسرة، إلى مجال أوسع وأصبح حرباً علنية في كل مدينة. تريد إحدى الطبقتين (*الأرستقراطية*) المحافظة على كيان المدينة العتيق القائم على الحق الإلهي وبقاء الحكومة في يد الأسر المقدسة، وتريد الأخرى (*الطبقة الدنيا*) أن تحطم الحواجز القديمة، التي كانت تضع هذه الطبقة خارج نطاق القانون والدين والمجتمع السياسي.

وكانت الغلبة دائماً لصالح الطبقة الأرستقراطية في بادئ الأمر، *لأن الطبقة الدنيا وعلى الرغم من كثرة عددها، كان ينقصها القادة المجربون الذين يتولون أمرها، وينقصها حسن النظام لأنها لم تكن هيئة متماسكة، حسنة التنظيم، أي لم تكن مجتمعاً منظماً، وأنها كانت في حاجة لكثير من الزمن لكي تجد في نفسها*

عناصر للنظام وقواعد للحكومة. وفي القرن السادس ق.م، بدأت أنظار الطبقة الدنيا تتجه في طريق قويم، ولكنه شاق ووعر لأجل تكوين سلطة بشرية محضة في أصلها وطبيعتها، وأخذت تبحث عن حكومة جديدة تقوم على تنظيمها وقيادتها، وقد ساعدها على ذلك التطور الاقتصادي الذي حدث على مدى قرنين من الزمان (السابع والسادس ق.م) *فازدهار التجارة، وتكوّن المستعمرات، وسياسة الانفتاح، كل ذلك أوجد أمام الطبقة الدنيا متنفساً ومجالاً للحركة لم يكن موجوداً أمامها من قبل*. فبعد أن كان العمل في أراضي الطبقة الأرستقراطية، هو الوسيلة الوحيدة الموجودة أمامهم لكسب عيشهم، *أصبح العمل الآن في خدمة النشاط الاقتصادي، مجالاً آخر يعطيهم فرصة المساومة الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية القديمة، والطبقة التجارية الجديدة*. ومن جهة أخرى فإن النشاط الاقتصادي كان يعتمد إلى حد كبير وبشكل متزايد على أبناء الطبقة الدنيا أو الطبقة الشعبية سواء كأصحاب حرف وصنّاع يمدون التجار بالسلع التي تشكل أساس مبادلاتهم التجارية، أو كبحارة وعمال نقل وعمال موانئ. ولم يلبث أن انبثقت من بين أبناء هذه الطبقة، طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة *التجار الأثرياء*. *وهذه نقطة جديرة جداً بالملاحظة*، لأن هذه الطبقة الجديدة من التجار الأثرياء *خرجت من قلب الطبقة الدنيا*، وسرعان ما شعرت هذه الطبقة الصاعدة بالقيمة الشخصية، وتجلت فيها الروح الحكيمة التي تتمنى ضروب الإصلاح والتغيير، وأذعنت الطبقة الدنيا لقيادة هذه النخبة التي أخذت تسعى إلى تأمين مصالحها المتزايدة عن طريق السعي بجميع الوسائل إلى المشاركة في الحكم بطريق أو بآخر، *واستطاعت الطبقة الدنيا بوساطة هذه النخبة أن تجد في صميمها عناصر لحكومة تحسن قيادتها وتنظيمها، وتساعدها في مكافحة امتيازات النبلاء والتخلص من حكمهم الإقطاعي*.

إن ظهور هذه النخبة من الأثرياء الجدد الذين ولدوا من قلب الطبقة الدنيا، إلى جانب الأثرياء من الطبقة الأرستقراطية، قد أسفر عن نتيجة رئيسية تعتبر في حد ذاتها ثورة في قلب كيان المجتمع الإغريقي *وهذه الثورة تجلت في أن نظام الطبقات بدأ يتغير في هذا القرن وصار الناس يتمايزون ليس حسب أنسابهم كما كان*

سابقاً، وإنما حسب مقدار أموالهم حيث أصبحت الثروة مبدأ لتنظيم اجتماعي جديد يرتكز على الطبقات التالية:

١ ـ طبقة الخمسمائة مديموس (PENTACOSIOMEDINI) أي الذين يبلغ دخلهم السنوي أكثر من ٥٠٠ مديموس (المديموس = ٥٢ ليتر من القمح).

٢ ـ طبقة (HIPPES) أي الذين يتراوح دخلهم بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ مديموس.

٣ ـ طبقة (ZEOGITAI) أي الذين لا يقل دخلهم عن ٢٠٠ مديموس.

٤ ـ طبقة (THETES) وهي طبقة الوضعاء من المواطنين الأحرار الذين لا يحصلون على هذا الحد الأصغر.

ولكن مثل هذا التنظيم الجديد للطبقات لم يكتسب الصفة القانونية ولم تترتب عليه فروق في الحقوق والواجبات إلا بعد أن أقره (صولون) واتخذه أساساً لإصلاحاته الدستورية (كما سنرى بعد قليل).

ولمة تغيير آخر وجوهري يجب الحديث عنه باعتباره ساعد كثيراً الطبقة الدنيا على أن تقوى شوكتها وتزداد قوة وتطوراً، ألا وهو التغيير الذي حدث في الشئون العسكرية. فكان أفراد الطبقة الأرستقراطية هم أصحاب السيطرة على القوة العسكرية في البلاد، فالحروب في هذه الفترة كانت محدودة بقدر الحجم المحدود للمصالح الاقتصادية، ولم تتعد حدود الغارات المتبادلة بين المدن، وكانت قوة الفرسان التي ترتكز على أفراد الطبقة الأرستقراطية تكفي لمثل هذه الغارات المحدودة، لأنهم كانوا هم الوحيدين الذين يمتلكون الخيل اللازمة لمتابعة العمل على أملاكهم الواسعة من الأراضي الزراعية. وصفوة القول، إن الفروسية كانت السلاح النبيل عند الطبقة الأرستقراطية[1]. ولكن مع التوسع في التطور الاقتصادي، واتساع الثروات الزراعية والعقارية، والثروات المنقولة وغير المنقولة، وازدياد السكان،

---

[1] ـ لاحظ أرسطو أن دستور جميع المدن القديمة، التي كان الفرسان فيها هم السلاح السائد، كان يضع السلطة في يد الطبقة الأرستقراطية فيقول (ولذلك قد قامت في الزمان الغابر، أحكام أقليات لدى كل الدول التي شادت صرح اقتدارها على قوة الخيل) انظر: أرسطو، السياسة ٤، ٣، ٢، ١٢٨٩ ب.

وتطور المدن، نشأ عنه بالضرورة التوسع في القوة العسكرية، وانبثقت قوة جديدة هي قوة المشاة العسكرية التي كان أساس قوامها البشري أفراد الطبقة الدنيا التي أخذت تحتل الصفوف الأولى في هذه القوة، إضافة إلى التوسع في الأسطول البحري الذي كان أساس قوامه البشري أيضاً، أي البحارة والمجدفين كلهم من الطبقة الدنيا. لذلك فإن مصير معظم المدن الإغريقية أصبح في قبضة الطبقة الدنيا، والطبقة التي لها كفاية من القوة لكي تدافع عن المجتمع والمدينة، لها كفاية من القوة لكي تكسب فيه حقوقاً وتمارس سلطة مشروعة، لأن الحالة الاجتماعية والسياسية في أمة ما، على صلة دائماً بطبيعة أسلحتها وتكوينها.

وأخيراً نجحت الطبقة الدنيا في أن يكون لها هي أيضاً ديانتها وعبادتها، فكانت الأسر من الطبقة الدنيا تصنع لنفسها موقداً، إما لأنها تجاسرت على إيقاده من ذاتها، وإما لأنها حصلت على النار المقدسة من جهة أخرى، فأصبحت لها عندئذ عبادتها وكهنتها على نمط الأسرة الأرستقراطية المقدسة. إضافة إلى ذلك يجب أن نشير إلى ما كان للشرق من فضل كبير في تصدير العبادات الشرقية إلى بلاد الإغريق بدءاً من القرن السادس ق.م، وهذا مما أكسب الطبقة الدنيا قوة جديدة في أن يكون لها ديانة وعبادة، وأخذت تصنع لنفسها أشياء مقدسة شبيهة بآلهة الأسر الأرستقراطية. وهكذا أقام أنصار بسستراتوس (PISISTRATOS) أنصاب الإله هرمس في الشوارع وفي ميادين أثينة[1]. وكانت أمثال هذه الأنصاب هي آلهة حكم العامة (الديمقراطية) التي تتبع للطبقات الدنيا التي أصبح لها منذ الآن احتفالاتها الدينية وأعيادها، واستطاعت أن تعبد وتصلي، وكان ذلك ذات أهمية كبيرة للطبقات الدنيا في مجتمع كانت الديانة تخلق فيه كرامة الإنسان والمواطن.

وهكذا أتمت الطبقات الدنيا كل هذه الدرجات المختلفة من التقدم، وأصبح في عدادها أثرياء وكهنة وجنود، أي كل المقومات التي تعطي الإنسان وتشعره بقيمته وقوته. وشعرت الطبقة الأرستقراطية بقوة الطبقات الدنيا وأرغمت على الاعتراف بوجود هذه الطبقات التي بدأت تشعر بكيانها وبوزنها، وبدا لها أنه

---

[1] – انظر : ديونيسيوس الهاليكارناسي ٤ ، ٥ ثم أفلاطون ، هيبارخوس .

من المستحيل عليها أن تبقى خارج الحياة الاجتماعية والسياسية، ***وبدأت في حمل السلاح وانتفضت الثورات في كل مكان من المدن الإغريقية للإطاحة بالحكومات الأرستقراطية، واحتدم النزاع واشتدت المنازعات بين الأحزاب والطبقات المختلفة، وتوترت الأزمة الاجتماعية والسياسية خاصة في أثينة، وكثرت حوادث الاعتداء والقتل وشعر الجميع بالضرورة الملحة إلى قوانين تحول دون تفاقم الأزمة والاسترسال في سفك الدماء.***

وهكذا أصبح المجال واسعاً أمام الطبقات الدنيا لأن تأخذ زمام الأمور والسلطة في قيادة الدولة والمجتمع، بعد أن أسقطت كل الحواجز التي كانت تعترضها، وبدأ عهد جديد من القوانين الثورية المكتوبة التي أخذت على عاتقها تحديد الواجبات والالتزامات الإنسانية والعادلة التي تكفل حقوق كل الطبقات بصورة تختلف كلياً عن قوانين الحق الإلهي التي كانت سائدة في عهد النظام الأرستقراطي.

خامساً: القوانين الثورية:

١ ـ قوانين دراكون (DRAKON):

إن احتدام النزاع بين جميع الطبقات، وتوتر الأزمة الاجتماعية، وعدم وجود قوانين مدونة تكفل الحقوق القانونية لكل طبقة، ***والاكتساح السريع الذي بدأت بموجبه الطبقة الدنيا تبرز إلى السطح وتأخذ مواقعها في مقاومة النظام الأرستقراطي ونيل حقوقها السياسية والقانونية، ولاسيما أن التسلط الذي اتسم به حكم الطبقة الأرستقراطية في أثينة وانحرافها المتزايد في مجال القضاء إلى خدمة أهوائها ومصالح أفرادها***، كل ذلك أدى إلى سخط متزايد بين صفوف الطبقات الأخرى، اضطرت معه الطبقة الحاكمة وتحت ضربات الطبقة الدنيا إلى العمل على تدوين القوانين. وقد عُهد بهذه المهمة إلى المشرع ***دراكون*** (***DRAKON***) في عام ٦٢١ق.م، في وقت كان فيه النضال بين الطبقتين على أشده، ولم تكن الطبقة الأرستقراطية قد غُلب على أمرها حتى هذه الفترة التي كان فيها دراكون أحد المشرعين الستة، وأعطيت له سلطات واسعة في وضع القوانين التي يراها مناسبة.

كان دراكون أحد أفراد الطبقة الأرستقراطية، واشتهر بمعرفته الواسعة للشرائع الدينية السائدة، ولاسيما في المسائل المتعلقة بالتقاليد والحقوق العائلية. وقد اقتصر عمله في الأساس على تنظيم وجمع وتدوين القوانين والأعراف التي كانت غير مدونة من قبل، وكل ما هنالك أن هذه القوانين لم تعالج إلا جوانب محددة من مشاكل المجتمع الأثيني، ***إلا أنها شكلت في الواقع تطوراً مهماً في حياة هذا المجتمع. فمن جهة أصبحت الجرائم تعالج على أساس أنها تشكل اعتداء على المجتمع نفسه، وليس مجرد إغضاب الآلهة، وهنا يبرز دور القانون ولأول مرة كأداة للتعامل داخل المجتمع الأثيني***. ومن جهة أخرى فإن إصدار هذه القوانين كانت في صالح الطبقات الدنيا لأنها بدأت تعرف مواقع أقدامها، وأن العلاقة بينها وبين الدولة، من الآن فصاعداً، لا بد أن تضبطها وتحكمها قوانين تبين الحقوق والواجبات وتوضح الحدود كطبقة معترف بها، ***وهكذا أصبحت الظروف مهيأة لأن يخطو المجتمع الأثيني خطواته الأولى نحو الهدف المنشود ألا وهو الحكم الديمقراطي الشعبي.***

إن الأفكار الجديدة التي جاء بها دراكون وابتعد فيها عن التشريعات القديمة، ***هي مكافحة الثأر***، واستبدال الانتقام الشخصي بمبدأ العقوبة الاجتماعية، ***وإضعاف العصبية القبلية***، لأنه حدد درجات القرابة للأشخاص الذين يحق لهم بدم القتيل، ولم يسمح بالمصالحة على الدية بين أسرتي القاتل والمقتول إلا إذا اتفقت كلمة جميع الأقارب، ويكفي أن يخالف شخص واحد (***كحق الفيتو***) حتى يصبح من الضروري الرجوع إلى المحاكم. وعلى الرغم من أن قوانين دراكون كانت خطوة أولية أو تمهيدية نحو الإصلاح، إلا أنها كانت متفقة مع التشريعات القديمة في ثلاثة مبادئ رئيسة:

أ ـــ ***إن قوانين دراكون لم تمنح حق المقاضاة عن جريمة، إلا لأقرباء القتيل وأعضاء فصيلته***[1]. ***ومن هنا نستنتج كم كانت الفصيلة أو الأسرة لا تزال قوية حتى تلك الفترة. ولم تكن تسمح للدولة بالتدخل في الاقتصاص من القاتل، أو كما يقال في عصرنا الحاضر (الحق العام) فالإنسان كان لا يزال ينتمي إلى الأسرة أكثر من انتمائه للجماعة أو الدولة.***

---

[1] ـ انظر : **ديموستينيس**، ضد أورغوس ٦٨ ـــ ٧١، ضد ماكارتاتوس ٣٧.

ب ـــ إن (حق الفيتو) ساعد على تقوية الروح الفردية، إذ صار كل عضو في الأسرة يشعر بقيمته الشخصية وحقه في الاستقلال والرأي.

ج ـــ إن قوانين دراكون كانت ترى في كل هفوة إساءة للآلهة، وفي إساءة الآلهة جريمة لا تغتفر، وكان قانونه الأول هو (تمجيد آلهة البلاد وأبطالها وتقديم القرابين إليها كل عام دون الخروج على الشعائر التي اتبعها الأسلاف)[1]. وكانت تنص على إقصاء المذنب عن المعابد وتحرم عليه الاحتفالات الدينية، والسرقة معاقباً عليها بالموت لأن السرقة كانت اعتداء على الآلهة.

وبذلك كانت قوانين دراكون قاسيةً وصارمةً جداً للأجيال التالية، حتى يقال إنها كُتبت بالدم لا بالحبر، وصار يُضرب المثل في قسوتها، وانتقل اسم دراكون إلى اللغات الأوروبية الحديثة التي تعتبر فيها كلمة (DRAKONIQUE) مرادفة لصفة الشدة. ويمكن الاعتقاد أن دراكون كان يقيم فاصلاً كبيراً بين الطبقات، لذلك فإن الطبقة الدنيا كانت تمقت مثل هذا القانون القائم على التشريع القديم، وطالبت بعد ثلاثين عاماً بتشريع جديد.

٢ ـــ قوانين صولون (SOLON):

إذا كانت قوانين دراكون خطوة أولية في طريق الإصلاح ووضع القانون المكتوب، إلا أنها لم تكن كافية لإزالة مظاهر الاضطراب وحالة الفوضى، لأنها لم تبدل شيئاً من أساس النظام الاقتصادي والاجتماعي، وكما ذكرنا سابقاً لم تتناول إلا جانباً محدوداً من مشاكل المجتمع الأثيني، لأن الطبقة الأرستقراطية ما زالت قوية رغم الضربات المتكررة لها من قبل الطبقات الدنيا الآخذة في التقدم باتجاه التحرر والاستقلال. فالأسر الأرستقراطية الكبيرة لا تزال تتمتع بنفوذ عظيم في الاستيلاء على الأراضي الزراعية وتكثيفها في أيد قليلة، بفعل انتزاع معظم الأراضي الزراعية من أيدي المزارعين الصغار بسبب عجزهم عن دفع الضريبة السنوية لسادتهم والمقررة بخمسة أسداس المحصول، أو العجز عن دفع ديونهم المتراكمة وفوائدها الفاحشة

---

[1] – انظر : ديوميثنيس ، ضد ليبتينس ١٥٨ .

لهؤلاء السادة. وفيما إذا كانت الأرض لم تكن تفي بإيفاء الدين فإن هؤلاء المزارعين الصغار كانوا يسقطون في العبودية ويباعون مع نسائهم وأولادهم في أسواق الرقيق أو يصبحون أقناناً مرتبطين بالأرض يزرعونها لمصلحة النبلاء. ومن جهة أخرى، فإن ازدياد الأرقاء سواء من طبقة المزارعين أو بالاستيراد من المستعمرات ساعد أصحاب الورش الصناعية الكبيرة على الاستغناء عن استخدام العمال الأحرار الذين كانوا يفقدون مورد رزقهم الضئيل، فيسقطون في العبودية ويصبحون أقناناً أرقاء.

وفي كل الأحوال، فإن أصحاب الثروات من الطبقة الأرستقراطية كانوا يزدادون جشعاً وغناءً، بينما صغار الملاكين المزارعين يزدادون فقراً وقلقاً، ولا يرون أملاً لهم في نيل حقوقهم وتحسين أوضاعهم بالوسائل القانونية لأن الجيش وإدارة الحكومة والمحاكم كانت لا تزال في أيدي خصومهم السادة النبلاء، فلذلك كان معظمهم يقع في ربقة العبودية.

وإزاء هذه الأوضاع الاجتماعية السيئة للطبقات الدنيا التي وصلت إلى مثل هذه الحال في نهاية القرن السابع ق.م، رفعت الطبقة الدنيا شعارات تنادي بضرورة قيام ثورة دموية عنيفة، وإعادة تقسيم الأراضي، وإلغاء الديون، وتحرير المستعبدين، وأصبح النزاع بين الطرفين أمراً محتدماً وينذر بثورة اجتماعية خطيرة ويقول *بلوتارخوس* في وصف هذه الحالة (*إن الفوارق في الثروة بين الأغنياء والفقراء كانت قد بلغت منتهاها، وأن وضع البلاد أصبح في خطر داهم، وأنه لم يكن في الإمكان إنقاذها من مثل هذه الحالة إلا بفرض سلطة استبدادية*)[1]. ويصف *أرسطو* نفس تلك الفترة بقوله (*كانت الديون تقترض بضمان شخص المدين، والأرض في أيد قليلة، والأكثرية رقيق للأقلية، فثار عامة الشعب ضد الطبقة العليا، واقترن الصراع الطبقي بالعنف، واستمرت المواجهة بين كلا الحزبين المتناحرين زمناً طويلاً، إلى أن توصلا إلى اتفاق بينهما على اختيار صولون حكماً*

---

[1] – انظر : بلوتارخوس ، صولون ٢٩ ــ ٣٠ .

وحاكماً (ARCHON) وعهدوا إليه بأمر الدولة في بداية القرن السادس ق.م، وتحديداً (عام ٥٩٤ ق.م)[1].

كان القرن السادس ق.م، ***هو عصر تدشين القوانين الشورية***، ومن هذا القرن بدأت الانطلاقة الأولى في الاتجاه المباشر نحو الحكم الديمقراطي الشعبي، وبداية إشعاع للطبقات الدنيا في أن ترى النور بجلاء واضح في حياة وقوانين جديدة وعصر جديد فيه كل ملامح القوة والاستنارة الشعبية لأن تحقق الطبقات الدنيا آمالها في المستقبل المنشود ، ولأن تأخذ دورها الطليعي في قيادة الدولة والمجتمع، وأن تقيم أول نظام ديمقراطي شعبي في التاريخ يكون قوامه الطبقات الفقيرة والكادحة من العمال والفلاحين وصغار الكسبة.

وكانت البدايات الأولى لهذا الطريق على يد الحكيم الإغريقي (*صولون SOLON*) الذي كُلف بمواجهة هذه الأوضاع الصعبة بين الطبقتين المتناحرتين (*الدنيا والأرستقراطية*)، ومُنح صلاحيات استثنائية لإحداث ما يرى من تشريعات، ويبدو أن صولون كان مؤهلاً لمثل هذه المسؤولية من حيث الخبرة ووضعه في المجتمع، وبصفه *أرسطو* في عبارة مشهورة (*بأن صولون من حيث النسب والمكانة كان أرقى من رجال المجتمع، ولكن من حيث الثروة ومجال العمل فهو من الطبقة الوسطى*)[2]. وهنا لا ينبغي أن نفهم من تعبير الطبقة الوسطى ما هو مفهوم الآن، بل ما يقصده *أرسطو* هو أن صولون لم يكن من كبار ملاك الأرض، وإنما ينتمي إلى فئة التجار الجدد الذين حققوا ثروتهم بوساطة التجارة الخارجية. ويقول *بلوتارخوس* (*أن صولون بدد ثروة الأسرة في أعمال الخير ومساعدة الآخرين مما دفع بصولون إلى إعادة بناء الثروة بوساطة التجارة الخارجية ولاسيما مع مصر*)[3]. ولما عاد إلى أثينة واستقر فيها لفت إليه الأنظار

---

1 – انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٥ / ١ – ٢ ، بلوتارخوس ، صولون ١٣ – ١٤ .

2 – المصدر السابق ٥ / ٣ .

3 – انظر : بلوتارخوس ، صولون ١/١ ، ١/٢ ، ٢/١٦ ، ٣/٢٢ ، ١/٢٦ ، أرسطو ، الدستور الأثيني ١/١١ ، وأشار هيرودوت ١٧٧/٢ إلى صلة صولون بمصر ، وأنه اقتبس قانوناً للملك أمازيس يلزم كل مواطن بأن يتقدم كل سنة ببيان مصدر رزقه وأنه تحيا حياة شريفة ومن لا يفعل ذلك جزاؤه الموت .

بأشعاره (*كونه شاعراً كبيراً*) التي استخدمها للدعاية وشرح آرائه في أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية، وكان يبين لمواطنيه (*أنه يجب أن تتماشى الأنظمة السياسية في المستقبل مع حاجات كل عصر وأخلاقهم ومنافعهم، إذ لم يعد الأمر حقيقة مطلقة، وأصبح من الواجب أن تكون قواعد الحكومة من الآن مرنة ومتغيرة*).

كان صولون *أحد حكماء الإغريق السبعة*، وأحد الرجال الذين يجمعون بين الفكر والعمل معاً، ويعتبر أحد أمهر رجال السياسة الذين يعرفون كيف يوفّقون بين المثل العليا وبين ضرورات الحياة الاجتماعية الواقعية. وتوحي لنا أشعاره بأنه كان رجلاً متحرراً من نزعات طائفته تحرراً تاماً، وقد كان بحكم روح المصالحة المتأصل فيه وميله إلى الاعتدال والتوازن بعيداً عن الأرستقراطية القديمة ومنتمياً إلى أثينة الجديدة. وكان يشعر بأن له رسالة سامية يجب أن يقوم بها، ولذلك لم يكتف بما ناله من الشهرة، بل استمر ينظم القصائد وينتقد الأوضاع الاجتماعية ويندد بالظلم ويدعو إلى الأنصاف بين البشر. وكانت أهم السمات الجوهرية في سياسة صولون، **هو أن يبين لمواطنيه أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مصلحة الفرد ومصلحة الدولة، وأنه يجب أن يسود التضامن بين الأفراد والدولة، ولأجل ذلك يجب أن تتوافر الثقة الكاملة بين الطرفين**، وأن يكون التوازن هو الميزان أو المعيار الحقيقي بين الفرد الدولة. ولذا عرف صولون وهو الحكيم الشهير بأن سياسة *التوازن القانوني* بين الطرفين هي خير السياسات لأجل تقدم المجتمع ورفاهيته، وأن اختلال هذا التوازن يفقد المجتمع كل مقوّمات وجوده وحضارته، لأنه كان يرى بأن الشر كل الشر يتجلى ليس في النظام الاقتصادي فحسب، بل في *الجشع والظلم*، في طمع الأغنياء وبؤس الفقراء، وأن ذلك ينشأ عن مخالفة البشر لقوانين العدالة، وأن العلاج لهذه الحالة يتلخص في احترام مبدأ الإنصاف، وفرض قوانين تضمن حقوق الجميع وتكفل الانسجام بين مختلف العناصر [1].

كان صولون يستطيع أن يصبح دكتاتوراً مطلق السلطة، ولكنه فضّل أن يقوم بدور الحكم القريب بين الطبقات والأحزاب، وجعل همه الوحيد التوافق بين مصلحة

---

1 – انظر : محمد كامل عياد ، ص ٢٢٨ .

المواطنين ومصلحة الدولة وتعزيز الثقة الكاملة بين الطرفين، وصمم على أن يسير في هذه الطريق التي رسمها لسياسته رغم كل العراقيل التي واجهها أمامه، بما أصدره من قوانين تكفل الحق والعدالة بين مختلف الطبقات والأحزاب.

ويجب الإشارة قبل أن نتحدث عن قوانين صولون وتفصيلاتها، إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام جداً، وهي أنها تختلف كلياً عن القوانين والشرائع القديمة السابقة التي كانت ترتكز إليها الطبقة الأرستقراطية، *ونرى أنها تطابق ثورة اجتماعية كبيرة، وأنها كانت واحدة للجميع ولم تقرر تفريقاً بين النسيب والوضيع*، بل إن هذه الألفاظ لا وجود لها في أي مادة من مواد قوانينه، ويفاخر صولون في أشعاره بأنه كتب نفس القوانين لمختلف الطبقات والأحزاب على حد سواء.

وثمة ملاحظة أخرى،أن صولون قلب الأوضاع الاجتماعية *رأساً على عقب، منطلقاً من أن القوانين ليست مطلقة وغير قابلة للتحوير أو التغيير، بل إنها تتغير وتتشكل ككل عمل إنساني، فلكل مجتمع قانونه الذي يتكوّن ويتطور معه ويتغير مثله، يتبع دائماً حركة أنظمته وعاداته وعقائده. ومن هنا تظهر لنا ولأول وهلة، أن القانون أصبح علنياً ومعروفاً للجميع*، أنه لم يعد ذلك النشيد المقدس الخفي الذي يتناقلونه من عصر إلى عصر بذلك الاحترام الورع، والذي كان يكتبه الكهنة دون سواهم، ولا يستطيع أن يعرفه غير رجال الأسر المقدسة. *أما الآن، وبموجب قوانين صولون فقد خرج القانون من كتب الشعائر وأسفار الكهنة، وأصبح لغة يستطيع كل فرد أن يقرأها ويتكلمها، لأن القانون أصبح يتلقى سلطانه من الشعب، والشعب هو الذي خلع على صولون عمل القوانين، لم يعد القانون يمثل الآلهة، بل الإرادة الشعبية، وأصبح مبدأ القانون منذ ذلك الوقت مصلحة الشعب، وأساسه موافقة العدد الأكبر منهم*[1].

ومن أجل تبسيط دراستنا لإصلاحات صولون يجدر بنا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: *الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية*، وسنتعرض إلى كل قسم من هذه الأقسام على حدة.

---

[1] - انظر : فوستيل دي كولانج ، ص ٤١٨ .

آ ـــ الإصلاحات الاجتماعية:

بدأ صولون عمله بإعلان العفو العام لتصفية الماضي، فسمح للمنفيين بالعودة إلى وطنهم وأعاد إليهم حقوقهم المدنية- عدا الذين حُكم عليهم بجرم القتل - ثم ألغى جميع الديون سواء أكانت للأفراد أم للدولة، وأعاد الأملاك المرهونة إلى أصحابها، وحرر الأفراد الذين كانوا قد أصبحوا أقناناً مرتبطين بالأرض بسبب عجزهم عن تسديد ديونهم، بل أنه أعاد الحرية إلى الذين كانوا قد بيعوا إلى البلاد الخارجية، ثم أصدر قانوناً يحرم فيه استعباد أي شخص في المستقبل مقابل دين يعجز عن تسديده، ***وبذلك وضع صولون مبدأ الحرية الشخصية الذي أصبح أحد دعائم الديمقراطية في أثينة .***

سعى صولون في قوانينه للحيلولة دون (***تكثيف الأراضي الزراعية***) في أيدي أفراد قلائل، والتي كانت تحصل بفعل عمليتين اثنتين:

١ ـــ انتزاع الأراضي الزراعية من أيدي المزارعين الصغار الذين يعجزون عن دفع ديونهم وانتقالها إلى قلة قليلة من السادة النبلاء مقابل استرداد ديونهم.

٢ ـــ حق البكورة وحصر الإرث والأموال المنقولة وغير المنقولة بالابن الأكبر وحده دون سواه من الأخوة الصغار.

فبالنسبة ***للعامل الأول*** وبفعل سياسة الاعتدال التي انتهجها صولون في سياسته العامة، فإنه لم يندفع مع دعاة الثورة المتطرفين الذين كانوا يطالبون بإعادة تقسيم الأراضي، فكان يعتبر مثل هذا العمل مخالفاً للعدالة وأن الإقدام عليه قد يؤدي إلى حرب أهلية طاحنة وتعيد البلاد إلى سابق عهدها من الاضطراب والفوضى وحالة عدم المساواة. ولكنه من جهة أخرى وضع حداً لسيطرة أثرياء الطبقة الأرستقراطية والوقوف دون استئثارهم بخيرات البلاد ويؤكد على ذلك أرسطو بقوله (***لقد انطوى شرع صولون، وانطوى شرع غيره على منع أفراد الأمة عن اقتناء ما شاؤوا من الأراضي***)[1].

---

[1] - انظر : أرسطو، السياسة ٢ ، ٤ ، ٤ ، ١٢٦٦ب.

أما ***العامل الثاني*** وهو حق البكورة فكان لا يزال نافذاً حتى صولون، فالقوانين القديمة كانت تقيم فارقاً بين الابن الأكبر والابن الأصغر ويقول أحد القدماء (***أن الابن الأكبر ولد للقيام بالواجب نحو الأسلاف، وولد الآخرون من الحب***)[1]. فكان الابن الأكبر هو الوارث للعبادة، والوارث الوحيد للأملاك والأموال، ***فالابن الأكبر يستحوذ الميراث بأكمله***، أما الأخوة الآخرون تحت سلطته كما كانوا يعيشون تحت سلطة والدهم. ومن خلال الأنظمة السياسية التي درسها أرسطو، ***بين بصفة قاطعة أن عدد الأنصبة من الأرض كان ثابتا ، أي كان يقضي بعدم القسمة بين الأخوة*** [2]. أما قوانين صولون فقد خالفت هذه القوانين القديمة وكانت تقول في عبارات صريحة (***يقتسم الأخوة الميراث***)، ***ولكن يجب ألا نفهم من ذلك تلك القسمة المتساوية بين الأخوة، لأن قانون صولون كان لا يزال يظهر فيه بعض التفضيل للابن الأكبر***. لأنه كما ذكرنا سابقاً، بأن القسمة المتساوية بين الأخوة لم تحدث طفرة واحدة، وإنما كانت تدريجياً وعلى مر الزمن. وفي هذه النقطة بالذات، فإن قانون صولون لم يبتعد عن التشريع القديم إلى الحد الذي يعطي فيه الأخت نصيباً من الميراث فيقول (***تحدث القسمة بين الأبناء***)[3]، أي من الذكور فقط.

أما القرابة عن طريق النساء فكانت مجهولة في القوانين القديمة، لأن الديانة المنزلية كانت تنتقل بطريق الدم من الذكور إلى الذكور، فكان التناسل في عمود النسب المذكر هو الذي يقرر دون سواه الصلة الدينية بين رجلين، فلذلك لم تكن هناك أية صلة بين أبناء أختين أو أبناء أخت وأخ و لم يكونوا ينتمون لنفس الديانة المنزلية ولا لنفس الأسرة فعلى سبيل المثال، إذا فقد رجل ابنه وابنته و لم يترك وراءه غير أحفاده، فإن الذي يرث هو ابن ابنه وليس ابن ابنته ، وعند انعدام الذرية كان يرثه أخوه لا أخته، وعند انعدام الأخوة وأبناء الأخوة، كان لا بد من الصعود

---

1 - انظر : فوستيل دي كولانج ، ص١٠٨ .

2 – انظر : أرسطو ، السياسة ٢ ، ٩ ، ٧ ، ١٢٧٤ ب .

3 - انظر: إيسايوس، ميراث أبولودوروس ٢٠، ميراث بيرهوس٥١، ديموسثنيس ضد ماكارتاتوس ٥١: الباتنة.

في سلسلة أجداد المتوفى في عمود النسب المذكر دائماً، إلى أن يعثروا على فرع يخرج من الأسرة عن طريق الذكور، ثم ينحدرون في ذلك الفرع من ذكر إلى ذكر إلى أن يجدوا رجلاً حياً، ذلك هو الوارث. ويقول أحد القوانين في أثينة (*إذا مات رجل من غير عقب فإن الوارث هو أخ المتوفى ما دام له أخ من أبيه، فإذا لم يوجد فابن الأخ، إذ أن الإرث ينتقل دائماً للذكور ولذرية الذكور*)[1].

أما صولون فقد قبل القرابة من طريق النساء في قوانينه الجديدة، ولكن وضعها تحت مرتبة القرابة من طريق الذكور، وها هو ذا قانونه يقول (*إذا مات والد ولم يترك وارثاً من صلبه غير ابنته، يرثه أقرب العصبة ويتزوج البنت، وإذا لم يترك ولداً، يرثه أخوه لا أخته وأخوه الشقيق أو من الصلب وليس أخوه من الرحم، وعند انعدام الأخوة أو أبناء الأخوة ينتقل الإرث إلى الأخت، وإذا لم يكن هناك أخوة ولا أخوات ولا أبناء أخوة، يرثه أبناء العم وأبناؤهم، وإذا لم يوجد أبناء عم (أي أقارب من العصبة) يتحول الإرث إلى أبناء الأخوال (أي إلى أقارب الدم)*)[2]. وهكذا أصبح للنساء حقوق في الإرث لكنها أقل من حقوق الرجال، وبموجب هذا القانون أصبحت القرابة من طريق النساء معترفاً بها وأفسحت لنفسها مكاناً في القوانين الجديدة.

كذلك أدخل صولون إلى قوانينه الجديدة شيئاً جديداً جداً، *ألا وهو الوصية*، فقد كانت الأملاك تنتقل قبله انتقالاً إجبارياً لأقرب العصبة، أو انعدام العصبة إلى أعضاء الفصيلة، لأن الأملاك لم تكن تُعد ملكاً للفرد بل للأسرة، ويفسر أفلاطون هذه الفكرة تفسيراً واضحاً في رسالته عن القوانين التي ما هي في جزئها الأكبر إلا تعليق على القوانين الأثينية القديمة، فيفرض أن رجلاً يطالب وهو على سرير الموت بحقه في الوصية وينادي (*أيتها الآلهة! أليس من القسوة كل القسوة ألا أستطيع التصرف في ملكي كما أريد، ولمصلحة من أشاء، تاركاً نصيباً أوفر لهذا، ونصيباً أقل لذاك طبقاً لما أبدوه لي من المودة؟ ولكن القانون يجيب هذا الرجل: أنت*

---

[1] – انظر : ديموسيثنيس ، ضد ماكارتاتوس ٥١ ، ضد ليوخاريس ، إيسايوس ٧ : ٢ .

[2] – انظر : إيسايوس ، ميراث بيرهوس ٦٨ ، بلوتارخوس ، صولون ٢١ .

الذي لا تستطيع أن تمنى بنفسك أكثر من يوم، أنت الذي لا تفعل أكثر من أن تعبر الحياة الدنيا، هل لك أنت أن تقرر مثل هذه المسائل ؟ لست أنت السيد على أملاكك ولا على نفسك، إنما أنت وأموالك على السواء ملك للأسرة، أي لأسلافك وذريتك)[1].

إذن لم تكن للوالد حرية التصرف في ثروته، ولكن قوانين صولون اعترفت بحق الوصية وبحق الملكية الشخصية، وأجازت للمالك حق التصرف في ثروته ويوصي بها لمن يشاء، إلا أن الابن يبقى الوارث الإلزامي، وإذا لم يترك المتوفى إلا ابنة واحدة لم يكن باستطاعته أن يختار وارثه إلا أن يزوج ابنته لهذا الوارث، وإذا لم يكن للمرحل أبناء فإنه يكون حراً في الوصية كما يريد [2]. وكانت مثل هذه القاعدة جديدة كل الجدة في قوانين صولون، ويمكن أن نستنتج من خلالها آراء جديدة عن الأسرة، وإلى أي حد بدؤوا يميزونها من الفصيلة القديمة.

وكانت القوانين القديمة قد منحت الوالد سلطة أبوية مطلقة وأعطته عدة حقوق وواجبات كالسماح له ببيع ابنه أو قتله[3] أما صولون فقد وضع حدوداً لهذه السلطة تمشياً مع الأخلاق الجديدة [4]، وحرّم على الأب أن يبيع ابنته إلا إذا ارتكبت خطيئة فاحشة، وكان التحريم نفسه يحمي الابن، وسمحت للابن عند بلوغه سناً معينة أن يتخلص من السلطة الأبوية المطلقة. وفيما يختص بالمرأة كان قانون صولون لا يزال متفقاً مع القوانين القديمة عندما حرّم عليها أن توصي بثروتها وأن ترث والدها وهي متزوجة أو غير متزوجة، وإن كانت ترث، فإن إرثها هو بحسرد الانتفاع بالثمار فقط[5]. ولكن صولون ابتعد عن القوانين القديمة، عندما سمح للمرأة باسترداد بائنتها [6].

---

1 – انظر : أفلاطون ، القوانين ١١ .

2 – انظر : إيسايوس ، ميراث بيرهوس ٦٨ ، بلوتارخوس ، صولون ٢١ .

3 – انظر: فوستيل دي كولانج حول السلطة الأبوية المطلقة، ص ١١٦ – ١١٩، بلوتارخوس، صولون ١٣.

4 – انظر : بلوتارخوس، صولون ٢٣ .

5 – انظر : فوستيل دي كولانج ، ص٩٨ .

6 – انظر: إيسايوس، ميراث بيرهوس ٨ – ٩ ، ٣٧ – ٣٨ ، ديموستينس، ضد أونيتور ٧ ، ٨.

وكانت هناك تحديدات أخرى في قوانين صولون، فإذا كان دراكون قد منح حق المقاضاة من أجل الجريمة لأسرة المجني عليه فقط، فإن صولون منحه لكل مواطن[1].

ب ــ الإصلاحات الاقتصادية :

لقد أدرك صولون، بفضل تجاربه الشخصية وخبرته العملية أن جميع الإصلاحات القضائية والاجتماعية والسياسية لا فائدة منها إذا لم يرافقها إصلاح اقتصادي، وفي الحقيقة ليس في الاستطاعة المحافظة على التوازن والسلام بين الطبقات إذا لم تكثر الثروة العامة وتوزع بأكثر ما يمكن من العدل بين مختلف الطبقات ويطمئن الجميع إلى ضمانة مصالحهم المادية، نستدل على ذلك من خلال أشعار صولون التي تدلنا عن ثقافة رفيعة واهتمام بالغ بأحوال المجتمع الأثيني في عصره، مما أكسبه شهرة وشعبية بين معاصريه على اختلاف انتماءاتهم الطبقية، ويتضح من بعض أشعاره، أنه كان له موقف محدد من الأزمة القائمة وأسبابها، فكان عادة يوجه اللوم إلى الأثرياء لأنهم السبب في الصراع مثل قوله:

(وأما أنتم فهدئوا في حشاكم قلباً جائشاً
يا من بلغتم وفرة الخيرات حد الكظة والبشم
ميلوا بأهنكم العاتي صوب الاعتدال
فنحن لن نذعن لكم
وصروف الدهر لن تستقيم كلها لكم)[2]

وتستمر القصيدة بعد ذلك في مخاطبة الأحزاب المتصارعة، مبيناً ما لكل منها من حقوق وما عليه من التزام أو مآخذ في تصرّف كل منها، ثم يطالب جميع الأطراف معاً بالعمل على وقف النزاع القائم .

بمثل هذه الخلفية وذلك النبوغ من التفكير، تصدى صولون لأعباء مهمته الصعبة، ويتضح منذ البداية أنه أدرك أن الأزمة اقتصادية في أسبابها، فبدأ بمهاجمة أصل الداء وهي مشكلة الديون، وأصدر في ذلك قانونين ثوريين هما:

---

1 ــ انظر : بلوتارخوس ، صولون ١٨ .

2 – انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٥/٢ ، ٦ ــ ٨ ، ٥/٣ ، ١ ــ ٥ .

آ ـ منع أن تكون الديون بضمان شخص المدين فوراً وفي المستقبل.

ب ـ ألغى وأسقط جميع الديون القائمة العامة والخاصة.

وكان لهذين القانونين رد فعل قوي في المجتمع الأثيني، فالأول حرر الكثيرة الفقيرة من الأثينيين من الخوف الذي كان يتهددهم بالتحول إلى العبودية، وهو ما كانوا قد تعرّضوا له فعلاً قبل صدور قانون صولون، وهكذا لم يعد ممكناً أن يتحول الأثيني الحر إلى العبودية في وطنه.

ثم جاء القانون الثاني مكملاً للأول، لأنه أدى إلى تحرير المواطنين والأرض معاً، وذلك عن طريق إلغاء جميع الديون القائمة وإبطال كل ما ترتب عليها، والمقصود بالديون العامة: هي الضرائب المتأخرة المستحقة للدولة من الأفراد على ما لهم من أرض وممتلكات.. فبسبب عجز أصحابها عن دفع ضرائبها، كانت أراض كثيرة مهددة بالمصادرة، ثم البيع عادة للأثرياء. أما الديون الخاصة فهي التي بين الأفراد، وكثيراً منها كان بضمان ما يمتلكه المدين من أرض أو بضمان شخصه. وفي الحالتين كان الضمان إلى ملكية الدائن الثري، سواء أكانت أرضاً أم شخصاً. ويعد هذا القانون من أخطر ما صدر من قوانين في التاريخ القديم، وقاومه أصحاب الأموال مقاومة عنيدة، ولكن يعتقد أنه الحل الوحيد للمشكلة القائمة، وأطلق عليه وصفاً يعني (رفع العبء) عن كاهل المجتمع (SEITHACHEIA) كما افتخر هذا القانون في إحدى قصائده قائلاً:

(أرضنا الغبراء، تلك
الأرض التي انتزعت من حدودها الأوتاد
المغروسة، والمستعبدة من قبل، والحرة الآن
وأعدت إلى البنة، إلى الوطن الذي أسسته الآلهة
أناساً كثيرين، بيع بعضهم ظلماً وبعضهم بحق
واضطرهم الفاقة إلى الهجرة
فلم يعودوا يتقنون لغة الأتيكي)[1]

---

[1] ـ انظر: نفس المصدر السابق ٤/١٢، ٥ ـ ١١.

في ظل هذا التفكير والتقليد السائد، كان العمل السياسي أيضاً منظماً حسب القبائل ولا يتقاضى من يوم به أجراً، كما أنه يجب أن يكون لكل من يتصدى للعمل السياسي ثروة مناسبة تمكنه من التفرغ للسياسة ومناصبها ومجالسها، وهكذا أصبح لكل منصب نصاب مالي يُشترط توافره فيمن يتقدم للترشيح لتولي المنصب. وفي ظل الوضع الذي أقرته قوانين دراكون، قسّم صولون الأثينيون بشكل قانوني إلى أربع طبقات أو فئات مالية- *كما ذكرنا من قبل*- عندما لم يكن قانوناً، وإنما مشروع قانون على النحو التالي:

١ ـ الطبقة الأولى: فئة خماسائة مديمنوس، وهم من يملكون أرضاً أو عملاً يحقق لهم عائداً سنوياً بهذا القدر أو ما يعادله على الأقل.

٢ ـ الطبقة الثانية: فئة الفرسان، وهم من يملكون أرضاً أو عملاً يحقق دخلاً سنوياً بين ٥٠٠ ـ ٣٠٠ مديمنوس.

٣ ـ الطبقة الثالثة: فئة أطلق عليها اسم (زيوجيتاي) وهم أصحاب دخل سنوي بين ٣٠٠ ـ ٢٠٠ مديمنوس، وقد سمي الأثينيون هذه الطبقة طبقة (أصحاب النير) على أساس أن الأرض التي تنتج هذا القدر من الدخل يلزم لفرحتها على الأقل زوج من الماشية وشدّهما إلى المحراث بالنير الخشبي (ZEUGOS) الذي يوضع بشكل مستعرض على رقبتيهما لتوثقا فيه [1].

٤ ـ الطبقة الرابعة: فئة أطلق عليها اسم (تيتس) وهم من لهم دخل سنوي أقل من ٢٠٠ مديمنوس.

وبفضل هذا التشريع الذي لم يربط بين الدخل السنوي وبين الأرض، وإنما تركه صولون مفتوحاً لأي مصدر من مصادر الدخل، بصرف النظر عن مصدر هذا الدخل سواء أكان من الأرض أم من التجارة .. أصبح بإمكان الطبقة التجارية الصاعدة أن تشترك- كل حسب ثروته- في المناصب التنفيذية للدولة وفي الجهاز الإداري لها إلى جانب أفراد الطبقة الأرستقراطية القديمة.

---

[1] ـ انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ١٢٧ .

إن مثل هذا التقسيم الجديد شكل ثورة كبيرة بالنسبة للطبقات الدنيا، وفتح الطريق أمامها للتسرّب إلى المناصب العليا وقيادة الدولة، لأنه أصبح معروفاً بجلاء واضح، أن قانون صولون الجديد *لم يعد يحسب حساباً ما لحقوق المولد*، وبموجبه اختفت سيادة النسباء، *فلم يعد النسيب شيئاً ما من وجهة نظر القانون إلا إذا كان ثريا*، وتكمن ذروة هذا الانقلاب الاجتماعي، *في أن قيمة النسيب أصبحت في ثرائه لا في مولده*، ومن الآن فصاعداً، أصبح باستطاعة طبقة التجار الأثرياء الصاعدة من قلب الطبقة الدنيا، إلى أن تتبوأ مكانتها القيادية والسياسية، وإلى أن تتهيأ لأن تكون النواة الرئيسة لنظام سياسي مستقبلي أوسع وأشمل.

وفي ظل هذا التقسيم، فإن مناصب الحكم والقضاء كانت قاصرة على الفئتين الأولى والثانية فقط، وحسب النصاب المحدد لكل فئة، أما الفئة الثالثة (*زيوجيتاي*) فهي أقل الطبقات التي سُمح لها بالجندية وعضوية الجمعية العامة (*الإكليزيا*)، أما الفئة الأخيرة (*تيتس*) فكانت محرومة من الخدمة العسكرية ومن المشاركة في الحياة السياسية إطلاقاً.

وكانت امتيازات الأفراد وواجباتهم والضرائب المفروضة عليهم متناسبة مع مقدار دخلهم، فكان أفراد الطبقة الأولى يدفعون ضريبة تبلغ (١٢) في المائة، وأفراد الطبقة الثانية(١٠) في المائة، وأفراد الطبقة الثالثة (٥) في المائة، *بينما كان أفراد الطبقة الرابعة لا يدفعون أي ضريبة مباشرة*.

ومن هذا المبدأ، اتخذ صولون مبدأ الإنصاف والعدل وإقامة التكافؤ بين مختلف الطبقات، بأن فرض الضرائب على كل طبقة بما يتناسب ودخلها السنوي أو ملكيتها العقارية، *والأهم من ذلك إلغاء الضريبة على الطبقة الرابعة (ذوي الدخل المحدود) بكل أشكالها*.

وفي سبيل *تنشيط الحركة الاقتصادية* قام صولون بتنظيم المكاييل والموازين وصك عملة جديدة خاصة بأثينة، ويقول *بلوتارخوس*: إنه قد خفّض قيمة العملة النقدية فعدّ كل (٧٣) دراخمة قديمة مساوية لمائة دراخمة جديدة، وقد نقصت بذلك الديون (٣٠) في المائة دون أن يخسر الدائنون شيئاً. وتجدر الملاحظة هنا، *إلى أن تغيير نظام النقد قد ساعد على انتقال مواطنين كثيرين من طبقة أدنى إلى طبقة*

أعلى، لأن تعيين طبقة الأفراد قد أصبح حسب دستور صولون تابعاً لمقدار الدخل السنوي.

وإذا لاحظنا أن صولون، قد بدّل نظام المكاييل والموازين وخفّض بذلك مقدار المحصول المقرر لأفراد الطبقة الأولى من (٣٦٣ إلى ٢٥٨) هكتوليتراً، وللطبقة الثانية من (٢١٨ إلى ١٥٥) هكتوليتراً، وللطبقة الثالثة من (١٤٥ إلى ١٠٣) هكتوليتر [1]. يتبين لنا مدى ازدياد عدد الأفراد الذين يحق لهم الاشتراك في الحكم.

ولم تمض مدة طويلة حتى استغنى عن تقدير الثروة حسب المحصول الزراعي، فصار يُعد من الطبقة الأولى كل من بلغ دخله السنوي خمسمائة دراخمة بدلاً من خمسمائة مكيال، ومن الطبقة الثانية إذا بلغ ثلاثمائة دراخمة إلخ.

ومع هذا التمييز بين المواطنين حسب الثروة، فإن تصنيف صولون قد قضى على النظام القديم الذي استند إلى العصبية القبلية ويحصر السلطة في الأسر النبيلة.

وإلى تشريع صولون يرجع الفضل في تحرير الفلاحين من العبودية، وبذلك نشأت في أتيكة طبقة من المزارعين يملك كل منهم الأرض التي يفلحها وشجعهم على زراعة أشجار الزيتون وتصدير زيت الزيتون.

من هؤلاء المزارعين كانت تتألف جيوش أثينة التي امتازت بالشجاعة في صد الغارات الفارسية، والتي استطاعت أن تحافظ على استقلالها وحريتها مدة أجيال طويلة .. ويمكننا أن نعرف مدى توزع الأراضي بين السكان من الإحصاء الذي أجري بعد الحروب البلوبونيزية، ***عندما اقترح بعضهم اقتصار حق الانتخاب على الذين يملكون أرضاً، فقد تبين أنه لم يكن في أتيكة كلها سوى خمسة آلاف مواطن لا يتوافر فيهم هذا الشرط*** [2].

ونظراً لحكمة صولون ورسالته السامية في تحقيق أكبر قدر ممكن من التطور والتقدم للمواطنين والدولة معاً، لم يكن من أمهر رجال السياسة فقط وإنما الاقتصاد أيضاً، وذلك بالقوانين التي أصدرها واعتبرت من أهم القوانين الاقتصادية في التاريخ القديم على الإطلاق والتي تشابه في مجتمعاتنا المعاصرة (*قوانين الاستثمار*) فقد بذل

---

1 - انظر : محمد كامل عياد ، ص ٢٣٣ .

2 - انظر : ليسياس ، المدخل ٣٤ .

صولون ما في وسعه ليجعل من أثينة مركزاً صناعياً، فالثروة في رأيه هي أولى احتياجات أثينة وأفضل طريقة لجمع هذه الثروة هي خارجية، أي بوساطة البضائع وجذب نشاط التجار والصنّاع الأجانب، فلذلك لم يستطع صولون مقايضة هذه الثروة بما تنتجه أثينة من منتجات زراعية نظراً لفقر تربتها وعدم كفايتها للسكان وإنما بالمصنوعات، وهنا تكمن الصعوبة فهو وإن كان في أثينة الكثير من الخامات: *الرخام من جبل بنتليكوس، والفضة من جبل لاوريوم، وأنواع من أجود صلصال الإغريق اللازم لصنع الأواني، إلا أنه لم يكن في أثينة من الأيدي ما يكفي لصنعها، فهي كانت بحاجة إلى المزيد من الصنّاع المهرة، لذا عمل صولون على تشجيع هجرة الصنّاع الأجانب وكان أحد أركان الزاوية في سياسته الاقتصادية*[1].

فهو أراد مستوطنين أجانب يمكثون في أثينة ليزيدوا ثروتها، بدلاً من مجرد جامعي ثروة، يجمعون الأموال ثم يعودون إلى أوطانهم، وأصدر القوانين الخاصة التي تسهّل هجرة الصنّاع الأجانب، ومن أهمها إعطاء حق المواطنة الأثينية لكل أجنبي مقيم في أثينة يمارس الصناعة .. وهكذا كما يقول *بلوتارخوس* (*غصت المدينة بأشخاص تجمعوا من كل الجهات، ومرد ذلك إلى الاطمئنان العظيم الذي أظلّ أثينة*)[2]. وبدأ صولون بتوجيه الناس إلى الفنون والصناعات، ولهذا الغرض سنّ قانوناً ينص على أن (*الابن ليس مضطراً لأن يعول أباه ما لم يكن علّمه حرفة*)[3].

إنه بفضل إصلاحات صولون الاقتصادية، استطاعت أثينة أن تتقدم في الصناعة والتجارة، وتحتل المقام الأول بين جميع الدول في البحر الأبيض المتوسط. فنظام الحكم الجديد الذي قضى على الامتيازات القديمة، قد شجع على تقدم العلوم والفنون وانتشار الثقافة وازدهار الحضارة، *ومهّد السبيل للعصر الذهبي في تاريخ الإغريق*.

---

1 - انظر : بلوتارخوس ، صولون ٢٤ .

2 - انظر : نفس المصدر السابق ، ٢٢ .

3 - انظر : نفس المصدر السابق .

ج ــ الإصلاحات السياسية :

لقد تقبّل صولون الأساس القبلي والتقسيم المالي للمواطنين على حالهما كما كانا من قبل، لكنه تدخل بالتغيير والإصلاح في اتجاه ديمقراطي واضح بالنسبة للوضع السياسي للطبقة الدنيا *أولاً*، ثم بالنسبة لطريقة التعيين للمناصب المختلفة، على نحو يضعف من قيود حكم الأقلية السائدة *ثانياً*.

أما بالنسبة للطبقة الدنيا (*التيتس*) فبعد أن حررها اجتماعياً بقوانينه الثورية في مشكلة الديون، خطا خطوة إيجابية نحو تحريرها سياسياً أيضاً، وذلك بإدخالهم جميعاً أعضاء في الجمعية الشعبية (*الإكليزيا*) دون أي قيد مالي. ***وهكذا أصبحت هذه الجمعية الشعبية تضم لأول مرة مجموع المواطنين الأثينيين على قدم المساواة بغير استثناء، لا فرق بين غني وفقير***. وقد عهد صولون إلى هذا المجلس بمهمة انتقاء الحكام الذين كانوا ينتخبون في السابق من قبل مجلس الشيوخ .. وكان جميع الموظفين مسؤولين تجاه هذا المجلس الذي يستطيع معاقبة أي موظف والذي يحق له أن يحاسب الحكام والقواد عند انتهاء مدة عملهم وأن يحرمهم من أن يصبحوا أعضاء في مجلس الشيوخ.

ثم ألحق هذا القانون بتشريع آخر أنشأ بمقتضاه محاكم شعبية جديدة (*HELIAEA*) تتكوّن من محلفين يبلغ عددهم ستة آلاف عضو يختارون من مجموع المواطنين في *الإكليزيا* بالقرعة، حسب تنظيم القبائل الأربع. ***ويُعد إنشاء المحاكم الشعبية بالذات خطوة ثورية لأن القضاء من قبل، كان شديد الارتباط بالأرستقراطية***، وقد لاحظ *أرسطو* ذلك، فقال: (*إن تكوين المحاكم الشعبية بهذا الأسلوب، زاد من ثقة العامة بأنفسهم، وأنه أكثر إصلاحات صولون ديمقراطية، على الرغم من أنه لم يسمح لهم بتولي أي من مناصب الحكم والإدارة التي جعلها وقفاً على الطبقات الثلاث العليا*)[1].

وبالنسبة للمناصب العليا مثل *الأراخنة وأمناء الخزانة* التي كانت قبل صولون تنتخب من بين أفراد الطبقة الأولى من قبل الإكليزيا، فقد أبقى لها وضعها

---

[1] – انظر : نفس المصدر السابق ٧ / ٣ ، ٩ / ١ ، بلوتارخوس ، صولون ١٨ / ٢.

الاجتماعي من الطبقة نفسها — *فئة الخمسمائة مديمنوس* — مع تعديل في طريقة الاختيار . فقد أدخل صولون مبدأ القرعة في التعيين لمعظم المناصب من بين مرشحين سبق انتخابهم في القبائل الأربع، وفيما يتعلق بالأراخنة التسعة فقد كانت كل قبيلة تنتخب عشرة مرشحين، ثم يتم بالقرعة اختيار تسعة من بين الأربعين مرشحاً من مجموع القبائل الأربع [1].

قد يبدو لنا أن استخدام مبدأ القرعة في التعيين لمناصب الحكم غريباً، وقد يقول قائل: إنه قد يأتي لمنصب الحاكم بشخص غير مناسب، بطبيعة الحال كان الأثينيون مدركين هذه الحقيقة، ومع ذلك فقد احتاط صولون لمثل هذا الاحتمال، *بأن جعل مرحلة القرعة تأتي بعد مرحلة الانتخاب المباشر في كل قبيلة*، ومن الغريب أننا سنجد الحركة الديمقراطية في أثينة تتحمس في المستقبل لتعميم مبدأ القرعة بوصفه مبدأ ديمقراطياً، ضد مبدأ الانتخاب الذي نظروا إليه على أنه مبدأ أرستقراطي، *ولعل السبب في ذلك أن عملية التصويت والانتخاب تتأثر عادة بعوامل النسب والمكانة الاجتماعية، في حين يختفي أثرها في نظام القرعة*. وهكذا يمكن أن يقال إن صولون رغم إبقائه الأرخونية في الطبقة العليا، إلا أن إدخال نظام القرعة في المرحلة الثانية أضعف من سيطرة الأسر القوية [2].

وبالنسبة لمجلس الشورى (*BOULE*) يقول *أرسطو*: إن صولون أسسه من ٤٠٠ عضو مائة من كل قبيلة، ومن المحتمل أن هذا المجلس قديم، حافظ صولون عليه كما هو دون تغيير يذكر، فالاختيار استمر بالقرعة من الطبقات الثلاث العليا، ومهمته هي إعداد الموضوعات التي تعرض على الإكليزيا [3].

كذلك كان موقف صولون محافظاً بالنسبة لأهم هيئة سياسية في أثينة، نقصد بذلك مجلس الشيوخ (*AREOPAGOS*) *معقل الطبقة الأرستقراطية، فظل تكوينه من أفراد الأسر الكبرى العريقة*، بالإضافة إلى من سبق لهم تولي منصب الأرخونية،

---

1 - انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٨ / ١ .

2 - انظر : مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين، مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني، ديسمبر ١٩٩٣ ، ص ٦٧.

3 - انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٨ / ٤ ، بلوتارخوس ، صولون ١٩.

وكانت العضوية فيه مدى الحياة، فأبقى له وضعه المتميز بوصفه المسؤول عن الدستور وسلامة تطبيقه، وظل الهيئة المسؤولة عن مناقشة وإقرار أهم شؤون الدولة، وله صلاحيات مطلقة في محاكمة وإصدار الأحكام النهائية ضد المخالفين للنظام العام، *وأصدر صولون قانوناً خاصاً بمحاكمة وإدانة كل من يحاول من أصحاب المناصب حرمان الشعب من حقوقه السياسية، ويبدو أن الهدف من هذا القانون هو جعل مجلس الشيوخ مسؤولاً عن مقاومة ومنع الزعماء الطموحين من قيام حكم الطغاة في أثينة* [1].

يتضح من التشريع الأخير مقدار القلق الذي شعر به صولون من احتمال قيام طاغية في أثينة، ولذلك احتاط بدعم مجلس الشيوخ في هذا الشأن، ويبدو أن شبح قيام طاغية كان مائلاً بشدة في تفكير صولون، فلم يقنع بتكليف مجلس الشيوخ بمسؤولية مقاومته، *وأصدر تشريعين آخرين يهدفان إلى الغاية نفسها، ولكن بجعل الشعب نفسه مسؤولاً مسؤولية جماعية عن حماية الحياة الدستورية*.

١ ـ نص التشريع الأول، أنه يحق لأي مواطن أن يرفع دعوى قانونية دفاعاً عن أي شخص آخر لحقه ظلم، لاحتمال خوف المظلوم نفسه من شدة بطش ظالمه. ويذكر بلوتارخوس، أنه حين سُئل صولون (ما أفضل مدينة يعيش فيها الإنسان) ؟ أجاب صولون (تلك المدينة التي يبادر فيها من لم يلحقه ظلم ـ مثل من أصابه الظلم ـ إلى عقاب الظالم) [2].

٢ ـ يتعلق التشريع الثاني، بفترات الصراع الطبقي المتكرر في أثينة، والذي يسهل أن يستغل في إقامة طاغية، وتخوفاً من هذا الموقف أصدر صولون قانوناً، ينص على أن كل من لا ينضم صراحة لأي من الجانبين المتصارعين، يُحرم من حقوقه المدنية والسياسية [3].

---

[1] – انظر : نفس المصدر السابق ٨ / ٤ ـ ٥ .

[2] – انظر : نفس المصدر السابق ٩ / ١، بلوتارخوس، صولون ١/٢٠ .

[3] – انظر : نفس المصدر السابق ٨ / ٥، بلوتارخوس، صولون ١/٢٠ .

هذه هي مجمل تشريعات صولون السياسية، التي عُدت أساساً لكل تشريع أثيني بعد ذلك، وكثر الرجوع إليها والاستشهاد بها ولا سيما في ظروف الأزمات. ***ومن وجهة نظر سياسية عُدّت نقطة تحوّل في تاريخ أثينة السياسي من حكم الأقلية إلى الديمقراطية***. وكان صولون نفسه شديد الاعتداد، بما حققه بأسلوب دستوري، وليس بالثورة واستخدام العنف، وقد أكد هذه الأفكار في أكثر من قصيدة كقوله:

(لا أجد متعة في تحقيق أي شيء
بأسلوب العنف الذي يصطنعه حكم الطغاة
ولا يرضيني أن يتساوى النبيل والوضيع
في نصيبه من أرض الآباء السوداء)[1]

وفي قصيدة أخرى يقول:

(لقد شرّعت القوانين للنبيل والوضيع
مقيماً حكماً سوياً من العدل للجميع
ولكن، لو كان أمسك بزمام السلطة
رجل غيري، خبيث الطوية، يملؤه طموح السلطة
لما ألزم الناس حدودهم
ولو أبيت عندئذ لعمل ما يرضي أعداء الشعب
أو تنفيذ ما دبّره خصوم هؤلاء (من الطغاة)
لفقدت هذه الدولة كثيرين من أبنائها
لهذا السبب وقفت أتقي الضربات من كل اتجاه
أدور دوما حول نفسي كذئب حاصرته الكلاب)[2].

يبدو أن الجملة الأخيرة في القصيدة السابقة تعبر عن موقف حقيقي، ففي خلال السنة الأولى التي تولى فيها الأرخونية (٥٩٤ ــ ٥٩٣ ق.م)، تعرضت

---

[1] - انظر : نفس المصدر السابق ١٢ / ٣ .

[2] - انظر : نفس المصدر السابق ١٢ / ٤ ، بلوتارخوس ، صولون ١٤ / ٥ ــ ٦.

تشريعاته لنقد مستمر من الحزبين. *فالأثرياء ضاقوا بإلغاء الديون، في حين أن العامة لم يقنعوا بما نالوا، وطالبوا بإعادة توزيع الأرض الزراعية بين جميع المواطنين، ولكن صولون لم يستمع لأي منهما، لأنه كان يعترف بأن قوانينه ليست مثلاً أعلى في الكمال* .. وعندما سأله أحدهم عما إذا كان يعتقد أنه منح وطنه أحسن الدساتير فأجاب (*كلا، بل أوفقها*) والمقصود بذلك أنه سعى إلى وضع دستور يصلح للأثينيين ويمكن للأحزاب المتنازعة إذ ذاك أن تقبل به جميعاً.

ونراه يكرر القول إنه قد اختار الطريق الوسط، وتمسك بالاعتدال ليحفظ كيان الدولة. وبعد أن انتهت سنة حكمه في عام ٥٧٢ ق.م التي دامت مدة اثنين وعشرين عاماً، استمروا يلاحقونه ويطلبون منه أن يقدم تفسيرات لبعض قوانينه تجعلها أكثر مناسبة لمصالح كل منهم. وضاق صولون بهذا كله وطالبهم بأن يقسموا على احترام التشريعات والتعهد بالالتزام بها دون تعديل لمدة عشر سنوات، وهناك من يقول لمدة مائة سنة .. ولأجل أن يطّلع الجميع على هذه القوانين كتبها على ألواح متحركة وعُلّقت في مقر الحاكم. بعد ذلك غادر المدينة وسافر إلى مصر للتجارة والدراسة في بعض معابدها التي اشتهر كهنتها بالتفوق في بعض مجالات العلم [1]. وعندما عاد إلى أثينة كان مقدّراً له أن يشاهد انقلاباً جديداً أدى إلى قيام حكم الطغاة والتخلي في الظاهر على الأقل، عن مبادئ دستوره.

٣ ــ حكم *الطغاة وإصلاحات بيسستراتوس* (*PEISISTRATOS*):

هكذا أنجز صولون المهمة التي ألقيت على عاتقه وأعلن قوانينه المختلفة ثم رحل، وسواء حدد فترة سريانها بمائة أم بعشر سنوات، فإن مسار الحياة السياسية الأثينية اتخذ اتجاهاً مخالفاً تماماً لكل ما أراده صولون، وتأجل التطور نحو الديمقراطية الحقة قرابة قرن من الزمان تقريباً، فما كاد صولون يرحل عن المدينة حتى عاد الصراع من جديد، ويروي *أرسطو* أن دوافع النزاع في هذه المرحلة اختلفت باختلاف الناس (*فبعضهم شعر بالسخط بسبب إلغاء الديون، وآخرون ضاقوا*

---

[1] – انظر : هيرودوت ١ / ٢٩ (مدة سريان القوانين عشر سنوات) أرسطو ، الدستور الأثيني ١١ / ١، بلوتارخوس ، صولون ١٦ / ١ ، ٢٥ /١ ، ٢٦ / ١ (يجعلان مدة سريان القوانين مائة عام) .

بالوضع السياسي بسبب ما طرأ عليه من تغييرات جذرية، وآخرون أيضاً شاركوا في الصراع بدافع من طموحاتهم الشخصية)[1]. ويضيف بعد ذلك أنه وجد ثلاثة أحزاب وهي: *حزب الساحل* المؤلف من التجار وأصحاب السفن الذي أتخذ طريقاً وسطاً بزعامة *ميجاكليس* من أسرة *الكميون* (*حيث عادت هذه الأسرة زمن صولون من المنفى*)، *وحزب السهل* المؤلف من أصحاب الأراضي خصوم صولون، وهو يدعو إلى حكم الأقلية بزعامة ليكورجوس، *وحزب الجبل* المؤلف من عامة الشعب والفقراء ومن لم يكونوا من نسب أثيني صريح بزعامة بيسستراتوس (*الذي ربما كان في الحقيقة من خارج طبقة العامة*) وكان أكثر الزعماء الثلاثة شهرة وشعبية بسبب قوة شخصيته ودوره المتميز في الحرب ضد ميجارة .. وقد وصف *بلوتارخوس* الموقف في عبارة ذات دلالة وهي (.. *وعلى هذا النحو فبينما طبقت المدينة قوانين صولون، كان كل جانب يتوقع ثورة وينطلع إلى دستور آخر، ليس أملاً في المساواة، ولكن ليحصل على نصيب أكبر بالتغيير وليتحكم في خصومه تحكماً مطلقاً*)، ويبدو أن بيسستراتوس كان شديد الطموح في السلطة، ورغم أنه من إحدى الأسر الكبيرة وكانت له- *من طريق والدته*- صلة نسب بصولون، حاول أن يستغل حالة السخط السائد، وأن يستولي على الحكم بالقوة ويقيم نفسه *طاغية* (*TYRANNOS*). فاجتمع له حشد من الأنصار، وأعلن نفسه منذ تلك اللحظة حامياً لأهالي الجبال، ثم تفتق ذهنه عن حيلة ليدعم مكانته بين قومه، ويفصّل لنا هيرودوت تلك الحيلة بما يلي: (.. *فعمد إلى جرح نفسه وألحق دوابه كذلك بالجراح، ودخل البلدة زاعماً أن أعداءه أعدّوا له وهو في طريقه كميناً لاغتياله، ولكنه أفلت منهم بحياته بعد معركة، وكان أن حمّل الناس على وضع جماعة لحراسته، بعد أن ذكّرهم بالفوز العظيم الذي تحقق لهم حين قاد الهجوم على الميجاريين، فضلاً عما كان له من أعمال خارقة في تلك الأحداث، وقد خدع الأثينيون بروايته، فكلفوا جماعة من مواطنيهم، مسلحين بالهراوات والعصي بدلاً من الرماح، ليرافقوه أينما ذهب أو حلّ، فلما امتلك هذه القوة أعلن الثورة*

---

[1] - انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ١٣ / ١ .

واستولى على القلعة (قلعة الأكروبول)، فدانت له المدينة واستمر سلطانه عليها دون أن يبدّل شيئاً في أحوالها أو نفوذ أهلها أو قوانينها السائدة، وقام على إدارة الشؤون حسب الأصول والعرف، فعرف بالحكمة والعدل[1].

وكان ذلك في عام ٥٦١ ــ ٥٦٠ ق.م، لكن مركز بسستراتوس في مركزه على رأس الدولة، ظل مزعزعاً باتفاق الأحزاب الأخرى ضده، حيث اتفق أنصار (*ميجاكليس*) و (*ليكورجوس*) على طي خلافاتهم وتوحيد صفوفهم لطرده من كرسي السلطة. وهكذا فقد بسستراتوس سطوته قبل أن يرسخ سلطانه، ولكن الفريقين اللذين تآمرا على طرده عادا إلى سابق عهدهما، واحتدم الخلاف بينهما من جديد. وفي النهاية بعث (*ميجاكليس*) برسول عارضاً على بسستراتوس إعادته إلى العرش شرط أن يتزوج بابنته، وقد قبل بسستراتوس العرض وشرط الزواج، ثم مضى الرجلان لتدبير أمر استعادة بسستراتوس إلى السلطة في أثينة ولكن هذه المرة بالحيلة أيضاً، ويصف هيرودوت لنا تلك الحيلة الثانية بطريقة ممتعة جداً فيقول: (*وكان ما تفتق عنه فكرهما من أسخف ما بلغني من أخبار الماضي، ويزيد من سخف الحيلة ما يُعرف عن الإغريق منذ القدم من تفوقهم على سواهم من الأقوام في الحكمة، وبرأهم من السخف والسذاجة، والأدهى من أولئك لم يكونوا إغريقيين وحسب، وإنما أثينيون أيضاً وهم الذين يبزّون كل الإغريق ذكاء وحصافة. فاتفق الجميع على أن تقوم امرأة من أهالي بانيا تُعرف بفايا، وكانت طويلة القامة عريضة المنكبين، ذات شكل حسن، بالدعوة له، بأن ألبسوها درعاً وخوذة وقاموا بتدريبها على السير على نحو خاص يلائم دورها الذي شاؤوه لها، ثم أركبوها عربة تجرها الجياد، وأخذت تدور في أرجاء المدينة، وهي تعلو بصوتها: يا أبناء أثينة، عليكم ببسستراتوس، استقبلوه بعقول عامرة بالود. فالآلهة أثينة التي تجلّه أشد الإجلال قد عادت به وأدخلته قلعتها، وسرت صيحتها بين الناس، وانتشرت للتو في كل أرجاء المنطقة، أن الآلهة أثينة جاءت مصطحبة بسستراتوس، وصدّق أهل المدينة، أن تلك هي ربة حقيقية لا ريب فيها، وانحنوا*

---

[1] - انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٤١.

أمامها، وعملوا بما أمرت وأعادوا بسستراتوس إلى العرش)[1]. ولكن بسستراتوس لم يبق في الحكم هذه المرة سوى سنة واحدة حتى ثار عليه حزب الشاطئ وأرغم على الفرار إلى أرتيرية. وهناك عقد مجلساً وأبناؤه ليقرروا خطة لعودة بسستراتوس من جديد واستقر القول، على العمل على استعادة السلطان في أثينة، وكان أول ما قام به هؤلاء هو دعم بعض الطغاة في المدن الأخرى الذين وفروا لهم أموالاً طائلة، ولاسيما من أهالي طيبة الذين قدموا المال بسخاء دونه كل البلدان الأخرى، وسارت الأمور على نحو ما شاء المؤتمرون، وعندما باتت الأحوال مهيأة لعودتهم، ورسخت قوتهم، وجمعوا قوة كبيرة من الجنود المرتزقة من أرجوس والجزر البلوبونيزية، شد بسستراتوس في السنة الحادية عشرة من حياة المنفى، الرحال من أرتيرية عائداً وأسرته إلى البلد، متجهين بادئ الأمر إلى ساحل أتيكة بالقرب من سهل (*ماراثون*) حيث أقاموا معسكرهم، بعد أن أنضم إليهم أنصارهم وأعداد من أهالي المقاطعات من الذين يؤثرون حكم الطاغية على الحرية. ولكن الأثينيون تنبهوا للأمر، بعد أن سار بسستراتوس باتجاه أثينة وأخذوا يستعدون للهجوم، وفي الاشتباك أنتصر بسستراتوس وأخذ في مطاردتهم، ثم خطرت بباله فكرة مبتكرة لتشتيت شملهم ومنع فلولهم من الاجتماع. ويوضح *هيرودوت* تلك الفكرة بقوله: (*.. دفع بسستراتوس وأبناءه إلى المقدمة لقطع الطريق على الهاربين وكسبهم بوعدهم بالأمان، إن هم اختاروا العودة إلى بيوتهم، والامتناع عن المشاركة في الحرب ضده، فقبل الأثينيون النصيحة، وغدا بسستراتوس سيد أثينة للمرة الثالثة*)[2].

وفي هذه المرة أمسك بسستراتوس بمقاليد الحكم بقبضة قوية وشرع في تثبيت سلطانه مستعيناً بقوة كبيرة من الجنود المرتزقة، وتكديس الأموال في الخزانة، مما تحقق بالضرائب التي فرضها على أهل البلد، وتخلص من خصومه وعلى رأسهم أسرة (*آل الكميون*) ويقول *هيرودوت*: (*بأنه فرض على العديد من الأثينيين الذين لم يشهروا السلاح في وجهه، أن يأتوه برهائن من أهلهم، لئلا يخطر ببالهم العصيان*

---

[1] – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٤٢ .

[2] – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٤٤ .

أو التمرد عليه، وقد أرسل هؤلاء إلى ناكسوس التي كان قد أخضعها بحد السيف .. ذلكم هو حكم الطغيان الذي أرساه بسستراتوس في أثينة، فكان أبناؤها إما قتلى في ساحة الحرب أو لاجئين هربوا، ومنهم أسرة آل الكميون، طلباً للأمان)[1] .

سلك بسستراتوس في حكمه سلوكاً معتدلاً، واهتم بشؤون الفقراء، وقدّم لهم مساعدات مالية ليتمكنوا من الاستقرار في الحياة الزراعية ويبتعدوا عن حياة المدينة وحياة السياسة .. كما اشتهر بالعطف على الفقراء والاعتدال مع الخصوم، حتى وصفه *أرسطو*: (*بأنه أقرب إلى الحكم الدستوري من حكم الطغاة*)[2]. ولكن ما من شك أن الجميع كانوا يخشون بأسه، *فقيل إنه استدعي ذات يوم للمثول أمام مجلس الشيوخ في جريمة قتل أتهم بشأنها، ولم يترفع عن الحضور للدفاع عن نفسه، ولكن الشخص الذي وجه ضده الاتهام امتلأ رعباً ولم يحضر*[3].

ولم يبدّل بسستراتوس سوى بعض المسائل الجزئية في دستور صولون، ويمكن وصف حكمه بأنه (*دكتاتورية دستورية*) فهو قد حافظ على النظم والأساليب الديمقراطية وأبقى المجالس والوظائف التي أنشأها صولون على حالتها، ولكنه عرف كيف يستخدمها حسب مشيئته، كما أنه لجأ إلى بعض التدابير السياسية في سبيل توطيد سلطته دون مخالفة الدستور[4] .. ومن ذلك أنه كان يستثمر نفوذه الشخصي لمساعدة أنصاره وأقاربه على النجاح في الانتخابات وتولي المناصب الرئيسية في الحكومة.

امتاز بسستراتوس بعطفه على الطبقات الفقيرة ولاسيماعلى الفلاحين الذين عمل كل ما في وسعه لتحسين حالتهم. ويروي *أرسطو* عن بسستراتوس الحادثة التالية: (*كان بسستراتوس في رحلة من رحلاته هذه إلى الريف، فتعرض إلى*

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق .

2 – انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ١٦ / ٢ .

3 – انظر : نفس المصدر السابق ١٦ / ٨ ، بلوتارخوس ، صولون ٣١ / ٢ .

4 – انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ١٦ / ٦ .

حادثة نادرة مع فلاح في جبل هيماتيوس يحرث حقلاً دعي فيما بعد " الحقل المعفى"، فقد رأى رجلاً يقلّب أرضاً كلها حجارة ويستغلها، فتعجب وأمر عبده أن يسأل عن إنتاج تلك البقعة، فقال الرجل " لا شيء سوى الأسواء والحسرات " وبعد ذلك عليّ أن أؤدي إلى بستراتوس عشر هذه الأسواء والحسرات، هذه الكلمات أجاب الرجل وهو يجهل من يسأله، أما بستراتوس فقد سر منه لصراحته ونشاطه وأعفاه من كل ضريبة)[1].

ثم وزع بستراتوس بين (*المساكين*) أراضي النبلاء المحكوم عليهم بالنفي، كما أنه كان يمنح كل عاطل عن العمل يرغب في الانتقال من المدينة إلى الريف والعمل بالزراعة قطعة أرض من أملاك الدولة، ويقرضه مبلغاً من المال من خزينة الدولة ويستوفي منه مقابل ذلك خمسة في المائة من المحصول، وكان يشجع في الدرجة الأولى زراعة العنب والزيتون لما يترتب على ذلك من فوائد اقتصادية لأثينة[2]. وإذا رأيناه ينجح في هذا التوجيه أكثر من صولون، فذلك لأنه استطاع بفضل المستعمرات التي استولى عليها في المضائق والبحر الأسود، تأمين الحبوب اللازمة لإعاشة السكان [3].

إن أهم صفة امتازت بها سياسة بستراتوس الاقتصادية هي الحيلولة دون تمركز الثروة في أيدي أفراد قلائل، فهو أدرك أن التفاوت الكبير في الثروة هو الذي كاد أن يؤدي إلى حرب أهلية في أثينة. ولذلك أخذ يعمل كل ما يستطيعه لإشراك أكبر عدد ممكن من المواطنين في الأعمال الاقتصادية، ويجب الاعتراف بأنه قد نجح أكثر من صولون في التوفيق بين مختلف الطبقات والأحزاب سواء أكان ذلك بفضل سياسته الاقتصادية، أم باستخدام سلطته الدكتاتورية.

ولكن ينبغي أن نوضح هنا بناء على ما سبق، أن الصفة الأساسية التي تجعل من الحاكم طاغية في نظر الإغريق، هو الوصول إلى الحكم بغير الطريق القانوني

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق .

2 – انظر : نفس المصدر السابق ١٦ /٢ .

3 – انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ١٣١ .

وهو الانتخاب، وبقاؤه في الحكم عادة مدى الحياة، هذا بصرف النظر عن أسلوبه في الحكم سواء أكان عادلاً أم رحيماً أم خلاف ذلك.

لقد تقدمت أثينة تقدماً كبيراً في عهد بسستراتوس من الوجهة الاقتصادية والعمرانية والثقافية، وأخذت تحتل المقام الأول بين المدن الإغريقية، وبسستراتوس هو الذي نظّم حفلات الأعياد الدينية التي يشترك فيها جميع الإغريق مثل عيد الآلهة (*أثينايا*) والإله (*ديونيسيوس*)، كما أنه أسس أقدم مكتبة عامة عُرفت في بلاد الإغريق .. ويذكر بعض المؤرخين أنه ألّف لجنة من أبرز الشعراء والعلماء تتولى جمع أشعار هوميروس وتدوين الإلياذة والأوديسة في الشكل النهائي الذي انتهى إليها.

انتقل الحكم بعد موت بسستراتوس في سنة ٥٢٧ق.م إلى ابنه الأكبر هيبياس (*HIPPIAS*) وكان يساعده في إدارة الحكومة شقيقه هيبارخوس (*HIPPARCHUS*) وقد ظل هيبياس مدة ثلاث عشرة سنة يتبع بكثير من المهارة خطة والده في السياسة الداخلية والخارجية، كذلك استمر في هذا العهد نشاط الحركة الأدبية والفكرية، ولكن يبدو أن *هيبارخوس* قد انهمك في الملذات وبالغ في تبذير الأموال، وقد أدت مغامراته الغرامية إلى إقدام خصومه الشخصيين على اغتياله، بينما ساعدت الحظوظ هيبياس على النجاة، فقبض على زعيمي المؤامرة *أرسطوجيتون* (*ARISTOGEITON*) و*هارموديوس* (*HARMODIUS*) [1] وأمر بإعدامهما، وكان هذا الحادث سبباً في تغير سياسة الدكتاتور الذي خاف على نفسه، فأخذ يكثر من الجواسيس ويستخدم وسائل العنف والإرهاب ويقول *توكوديدس*: (*ونتيجة هذه المؤامرة ازداد حكم الطغاة عسفاً وقهراً تجاه الأثينيين، فقد غدا هيبياس أشد خوفاً على نفسه وأعدم الكثيرين بعدها، ثم راح يبحث لنفسه عن ملجأ في الخارج يهرع إليه إذا ما اندلعت ثورة ضده*)(توكوديدس، ص ٥٢٥). حينئذ شعر الأثينيون بوطأة الحكم

---

[1] يقول هيرودوت أن ارسطوجيتون وهارموديوس يعودان بأصلهما إلى أسرة (الخيفراي) الفينيقية: (تعود أسرة جيفراي التي ينتمي إليها قاتلا هيبارخوس بأصولها- حسب رواياتهم- إلى أرتيريا. لكني بحثت واستقصيت في هذه المسألة، ووجدت أنهم كانوا من الفينيقيين حقاً، ويتحدّرون من أولئك الذين قدموا مع قدموس إلى ما يُعرف الآن باسم (بيوتية)، حيث حصوا بمنطقة (تانجارا) ليستقروا فيها) انظر: هيرودوت، الكتاب الخامس، ص ٣٩٦

الفردي وقويت حركة المعارضة وصار الجميع يمجدون ذكرى القاتلين كأنهما من أبطال الحرية.

رأت أسرة ال الكميون التي كان أفرادها يعيشون بالمنفى منذ مدة طويلة، أن الفرصة مواتية للخلاص من الحكم الفردي الدكتاتوري، فقامت بجمع جيشاً وتأهب للهجوم على أثينة. وكان (*كليسثنيس*) رئيس الأسرة، من دهاة رجال السياسة عرف كيف يستميل إليه بالرشوة العرّافين حتى صاروا كلما جاء الإسبرطيون يطلبون المشورة لا يجيبونهم بأكثر من جملة واحدة وهي (*انقذوا أثينة قبل كل شيء*)[1]. وفي الحقيقة لم يكن من الصعب على *كليسثنيس* أن يتفق مع الإسبرطيين في كل مكان، وهكذا استطاع كليسثنيس أن يتغلب في سنة ٥١٠ ق.م بمساعدة الجيش الإسبرطي في عهد مليكه كليومنيس (*KLEOMENES*) على *هيبياس* الذي اضطر بعد حصار قصير إلى الفرار باتجاه الفرس مستعطفاً إياهم في إرجاعه إلى الحكم في أثينة مرة ثانية[2].

٤ــ كليسثنيس (KLEISTHENES) وتوطيد الديمقراطية:

كان النبلاء قد تعهدوا تجاه الإسبرطيين بإدخال أثينة في الحلف البلوبونيزي، وقد وافق الشعب على هذا التغيير الأساسي في السياسة الخارجية اعترافاً بالمساعدة التي قدمتها إسبارطة. ولكن عندما جرى البحث في تعزيز نظام الحكم الجديد اختلفت الآراء فقام إيساغوراس (*ISAGORAS*) يدعو إلى إعادة الحكم الأرستقراطي القديم، بينما أخذ *كليسثنيس* يدافع عن دستور صولون والنظام الديمقراطي، وفي الانتخابات لمنصب الحاكم انتصر إيساغوراس، فأسرع وحذف من جداول المواطنين أسماء جميع الأشخاص الذين كانوا قد نالوا حق الانتخاب في عهد بيستراتوس، وبذلك سهّل على كليسثنيس أن يجمع حوله عدداً من الأنصار بين طبقات الشعب التي كانت تكره الحكم الأرستقراطي أكثر مما تحب الدكتاتورية .. *يدعي أرسطو*

---

1 ـ انظر : المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .

2 ـ انظر : نفس المصدر السابق ، توكوديدس ٥٢/٦ ــ ٥٩ ، أرسطو ، الدستور الأثيني ١٩ /١ ــ ٦ . ويرى المؤرخان هيرودوت وتوكوديدس بوضوح جلي أن الذي قلب حكم الطغاة هم الإسبرطيون وليس هارموديوس وأرسطوجيتون .

بأن كليستنيس، رغم كونه هو نفسه من أكبر الأسر النبيلة، إنما انضم إلى حزب الشعب في سبيل تحقيق مطامعه الشخصية. ومهما كان السبب فإنه قد امتاز بدفاعه عن حقوق الشعب وتغلب على الحزب الأرستقراطي، وقد طلب إيساغوراس مساعدة الإسبرطيين الذين أرسلوا جيشاً بقيادة الملك كليومنيس، فاضطر عندئذ كليستنيس الذي كان قد نصّب نفسه دكتاتوراً شعبياً إلى الفرار مدة قصيرة، *ولكنه عاد وانتصر على الحزب الأرستقراطي وأخرج الإسبرطيين من أثينة واستولى نهائياً على مقاليد الحكم في سنة ٥٠٧ ق.م* [1].

كان كليستنيس يتصف بذكاء حاد وإرادة قوية ويجمع بين التفكير المنطقي الدقيق والاندفاع إلى العمل الحازم السريع، نراه من جهة يسعى مثل صولون إلى المحافظة على كل ما يعتقد بصلاحه من المؤسسات والأنظمة السائدة، ولكنه لا يحجم من جهة ثانية عن أي تغيير تتطلبه الأوضاع المتجددة، وقد سار في طريق التطور إلى حد يجعلنا نصف إصلاحاته بأنها كانت *ثورة حقيقية .. فإذا كان صولون أبو الديمقراطية، فإن كليستنيس هو حاميها وهو الذي جهّزها بالأسلحة اللازمة للانتصار أولاً: على الأرستقراطية التي كانت تكافحها منذ مدة طويلة، وثانياً: على الدكتاتورية التي أخذت مؤخراً تتهدد كل فرصة للقضاء على حرية الشعب*.

وكان سكان أتيكة قبل كليستنيس ينقسمون إلى أربع قبائل، وكان في كل قبيلة بضع أسر كبيرة تتوارث الزعامة منذ عصور طويلة، ومن هذه الأسر الكبيرة كانت تتألف طبقة النبلاء التي تسيطر بالاستناد إلى ثروتها وكثرة اتباعها على سائر أفراد القبائل، وتفرض إرادتها عند انتخاب الأعضاء (*لمجلس الأربعمائة*).

وبهدف تجريد النبلاء من أهم وسيلة كانوا يستثمرونها لفرض سيطرتهم وهي العصبية القبلية والعائلية، اتخذ عدة إصلاحات ثورية مهمة للحيلولة دون الحكم

---

1 .. انظر: **هيرودوت**، الكتاب الخامس، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠ حيث يعطينا فكرة جيدة جداً عن نضال كليستنيس ضد إيساغوراس وتحالفه مع الطبقات الدنيا.

الفردي، وإشهار النظام الشعبي الديمقراطي. ومن أهم هذه الإصلاحات كانت على الشكل التالي:

أولاً ـ تقسيم القبائل الأثينية إلى عشر قبائل عوضاً عن الأربع القديمة كما يقول أرسطو [1]. بهدف مزج بعضهم ببعض، حتى يمكن أن يشترك عدد أكبر في مباشرة شؤون الدولة، وذلك بقبولهم ضمن هيئة المواطنين، حيث وزّع الناس في القبائل والأحياء لا بحسب مولدهم كما كانوا في الماضي، بل بحسب وحداتهم الإدارية. وفي ظل هذا النظام السياسي الجديد، لم يكن هناك أي وزن للمولد، وفقدت الآن القبيلة معناها الأصلي، فهي لم تعد تدل على جماعة ترجع بأصولها إلى جد واحد وتربط بينها صلة النسب والحسب أو تسكن في بقعة واحدة، وإنما أصبحت تطلق على وحدة إدارية مختلفة الروابط الاجتماعية.

ثانياً ـ قسّم كليستنيس هذه القبائل إلى مائة جماعة (DEMOS) لكل منها مجلس ورئيس [2]. وهذا الرئيس (DEMARCHOS) هو الذي يحفظ جداول المواطنين المنتسبين إلى الجماعة، ويسجل أسماء الناشئين عندما يبلغون السابعة عشرة من العمر.

ثالثاً ـ أدخل كليستنيس في كل قبيلة عدداً متساوياً من الجماعات التي تعيش في مناطق مختلفة ليحول بذلك دون تكتلها ضمن أحزاب محلية كما في السابق، وأصبحت القبيلة الآن تتألف من أفراد يختلفون في النسب والحسب ويسكنون في أمكنة مختلفة، فليس هناك من روابط أو مصالح مشتركة تدفعهم إلى التضامن وتكوين حزب واحد. وبهذه الحالة يكون كليستنيس وزع جميع الناس الأحرار في أثينة، حتى أولئك الذين لم يكونوا في عداد القبائل والفصائل القديمة، حيث منح ديانة لمن ليس له ديانة، وأدخل في الجماعات الدينية من كانوا مقصيين عن جماعة دينية، وتم إلغاء العبادة الوراثية وديانة الموقد باعتبارها السلف الإلهي، وأصبح للقبائل الجديدة أبطال وآلهة جدد.

---

1 ـ انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٢١/١ ـ ٢ .

2 ـ انظر : نفس المصدر السابق ٢١ /٥ .

رابعاً ــ حدد كليستنيس المواطنة لكل مواطن بحسب تسجيله في الديموس الذي كان يسكنه عام ٥٠٧ ق٠م، وهي سنة صدور القانون٠ ونشأ عن هذا الإجراء، أن توزعت الأسر الكبيرة على عدة (ديمات) حسب ظروف سكنى أفرادها في ذلك العام٠ وهكذا انكسرت رابطة النسب القديم، وضعف تأثير الأسر الكبيرة على عملية التصويت والانتخاب٠ كما أصبح لزاماً على كل مواطن أن ينتسب إلى الديموس المسجل فيه، وليس لعشيرته من النسب، وكان هذا الانتخاب للديموس وراثياً، دون التزام باستمرار السكن فيه، فمهما تغيرت إقامة الأسرة، ظلت منتمية إلى الديموس الذي سجلت فيه أول مرة سنة ٥٠٧ ق٠م٠

كان مثل هذا الإصلاح، هو الخاتمة التي أدت إلى قلب الحكم الأرستقراطي، الذي تبدّل معه المجتمع الأثيني تبدلاً كاملاً٠ ولم ير **أرسطو** من بين جميع الوسائل الخاصة لإضعاف الحكم الأرستقراطي وإشهار النظام الشعبي الديمقراطي، وسيلة أنجع من هذه الوسائل التي اتبعها كليستنيس فيقول: (*إذا ما أريد تأسيس حكم العامة (الديمقراطية) وجب أن يُعمل ما عمله كليستنيس عند الأثينيين، تقام قبائل جديدة وأخويات جديدة (عشائر) ويُستبدل بقرابين الأسر الوراثية، بقرابين مباحة لجميع الناس، وتمزج بقدر الاستطاعة علاقات الناس فيما بينهم مع العناية بتحطيم كل الجماعات السالفة*)[1].

وقد أدرك أرسطو أيضاً الأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا التنظيم، فوصفه في عبارة ذات دلالة فيقول فيها: (*إن كليستنيس جعل انتماء الأهالي إلى الديموس بمثابة رابط أخوّة بينهم، بحيث إن أبناء الديمات المختلفة ــ تجنباً لإحراج المواطنين الجدد ــ لا يخاطب بعضهم بعضاً بأسماء آبائهم، ولكن باسم الديموس المنتمي إليه الشخص، وقد استمر الأثينيون يتخاطبون فيما بينهم باسم الديموس ٠٠ ولكنه سُمح للجميع بالمحافظة على صلاتهم الأسرية الخاصة*)[2]. وتشير عبارة أرسطو إلى أي مدى ذهب كليستنيس في تحقيق أعلى درجة ممكنة من الشعور بالمساواة بين

---

1 ـ انظر : أرسطو ، السياسة ٦ ، ٢ ، ١١ ، ١٣١٩ ب .

2 ـ انظر : هيرودوت، الكتاب الخامس ، ص ٤٠١ ، أرسطو، الدستور الأثيني ٢١ /١ - ٦ .

المواطنين، فلا تمييز بين المواطنين الجدد وقدامى المواطنين، كما منعهم من التفتيش في أصول القبائل (PHYLOKRINEIN) فالكل في المواطنة سواء.

أما إصلاحاته في مجال هيئات السلطة التشريعية فكانت على الشكل التالي:

أولاً ـ احتفظ كليسثنيس بمجلس الشيوخ (AREOPAGOS) كما هو ولم يطرأ أي تغيير عليه بوصفه الهيئة المسؤولة عن تطبيق القوانين والمحافظة على الدستور، واستمر الوضع كما كان من قبل، بحيث يصبح الأراخنة السابقون أعضاء فيه مدى الحياة، وهكذا بقي مجلس الشيوخ ممثلاً للطبقة العليا في المجتمع.

ثانياً ـ أما بالنسبة لمجلس الشورى (BOULE) فقد كان التغيير فيه أكثر وضوحاً وأشد تأثيراً في دفع الدولة في اتجاه أكثر ديمقراطية في ظل نظام القبائل العشر الجديدة بحيث أصبح أعضاؤه خمسمائة وعُرف هذا الرقم بدلاً من تسميته (بمجلس الأربعمائة) من قبل. وأصبح لكل قبيلة جديدة خمسون عضواً، أما طريقة اختيارهم فكانت تمر بمرحلتين، الانتخاب ثم القرعة، ويُعتقد أن هذا الأسلوب أضعف كثيراً تأثير أصحاب النفوذ، وبعد الانتهاء من عملية الانتخاب بالقرعة، يخضع الأعضاء الخمسمائة إلى اختبار يتضمن التثبت من صلاحية كل منادوب وصحة تسجيله في ديموس، ويتم اختيار بديل عن كل من رُفضت عضويته من بين من لم تصبه القرعة السابقة، وبعد إتمام هذه الإجراءات، يتولى المجلس الجديد مهماته لمدة سنة، وبقيت مهماته دون تغيير كما حددها صولون ولا سيما إعداد وإقرار جميع الموضوعات والقرارات التي تُعرض على الجمعية العامة (الإكليزيا) ليصدر فيها قراراً نهائياً. ولكن كليسثنيس زاد من اختصاصاته كثيراً في مجال الأشراف على كثير من مرافق الدولة وشؤون الأسطول ومساءلة كثير من المسؤولين الإداريين حول سلامة ما يقومون به من أعمال.

ثالثاً ـ قسّم كليسثنيس (مجلس الخمسمائة) إلى لجان بعدد القبائل العشر، وكل لجنة تتكوّن من خمسين عضواً من قبيلة واحدة تتولى تصريف الأمور لمدة عشر السنة (ستة وثلاثين يوماً) وتتعاقب لجان القبائل على هذا النحو على مدار السنة وعُرفت اللجنة باسم (PRYTANEIS) وعليهم رئيس (EPISTATES) يُختار بالقرعة لمدة يوم واحد فقط، وهذه اللجان هي التي تقرر عقد اجتماع خاص

(مجلس الخمسمائة) وهي التي تدعو الجمعية الشعبية للانعقاد. وتجلت شدة العنصر الديمقراطي في هذا المجلس، بأن القانون حدد أن أي مواطن لا يكون عضواً بالمجلس أكثر من مرتين، ولا يكون رئيس لجنة أكثر من مرة واحدة بين سن الثلاثين والستين. وهذا العنصر الديمقراطي أدى إلى أن يدخل أكبر عدد من المواطنين كأعضاء في هذا المجلس الذي أصبح مركزاً لتدريب المواطنين على تحمل أعباء الإدارة في الدولة، مما سيؤهلهم لتحمل مسؤوليات أكثر فيما بعد[1].

رابعاً ـ وأما الجمعية الشعبية (EKKLESIA)، فنجد أن وضعها قد تغير لسببين أساسيين الأول: زيادة عدد أعضائها بعد أن دخل في هيئة المواطنين كثيرون كانوا محرومين من المواطنة. والثاني: أن النظام الانتخابي الشديد بوساطة الديموس، جعل (الإكليزيا) بوصفها تضم جميع المواطنين أساس كل عملية انتخابية في الدولة في ظل إحساس عام من الحرية والمساواة. ونظراً لأن أعضاء المحاكم الشعبية كانوا يختارون بالقرعة من (الإكليزيا) شعر الشعب أن أعضاء منه يمثلون الهيئة القضائية العليا في الدولة.

خامساً ـ أصدر كليستنيس قانون (النفي السياسي) (OSTRAKISMOS) والذي يمنح بموجبه (الإكليزيا) حق النفي السياسي ضد السياسيين الطموحين، أي لكل من يخشى خطره على سلامة الدستور. فكان يحق لأي مواطن أن يتقدم باقتراح ضد السياسي الذي يعدّه خطراً على الدستور، فإذا أقرّت (لجنة الخمسمائة) أي مجلس الشورى الاقتراح، لزم عرضه على (الإكليزيا) في اجتماع خاص، وإذا وافق عليه ستة آلاف مواطن، نفي الشخص المتهم لمدة عشر سنوات، دون أن تسقط عنه حق المواطنة، ودون أن يفقد ممتلكاته في الدولة. وكان التصويت على حق النفي يتم على شقفة أو كسرة من الفخار (OSTRAKON) ليكتب عليها من يراد نفيه بدلاً من بطاقة ورق البردي الذي كان غالي الثمن نسبياً[2].

هذه هي أهم معالم النظم والتشريعات التي استخدمها كليستنيس، والتي يرى أرسطو أنها جعلت نظام أثينة السياسي أكثر ديمقراطية مما كان في ظل دستور

---

1 – انظر : أرسطو ، الدستور الأثيني ٢١/٣ ، ٢٢ / ٢ .

2 – انظر : نفس المصدر السابق ٢٢ / ٣ ـ ٦ .

صولون [1]. لأنها زادت كثيراً من نصيب الشعب ودوره في مباشرة شؤون الدولة وجعلته يشعر أنه صاحب رأي فعّال، ومسؤول مسؤولية كاملة في توجيه سياسة الدولة، وقد أدرك أنه لا سبيل إلى توحيد الكلمة وتأمين الانسجام بين المواطنين إلا بتطبيق المبادئ الديمقراطية في الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية على أوسع مقياس ممكن . . ***ويجب الاعتراف بأنه إلى كليستنيس يعود الفضل كل الفضل في إتمام عمل صولون، فإن إصلاحاته قد جعلت الشعب يتولى بالفعل السلطة العليا الحقيقية في الدولة .***

وجدير بالذكر، أن الامتيازات الديمقراطية التي اكتسبها سكان أتيكة في ولاية كليستنيس لم يتمتع بها كل السكان بل كانت مقصورة على من اكتسبوا لقب مواطنين (*POLITAI*) ***ولم يعترف الدستور الأثيني بمواطنية النساء والعبيد والصنّاع والحرفيين ذوي الأصول غير الأتيكية،ولو كانوا من أصل إغريقي***، وأطلق على كل واحد من هؤلاء لقب (*ASTAIOS*) بمعنى قاطن أو ساكن لا يتمتع بحقوق المواطن العادي (*ATHENIAN POLITAI*) الحر الذي كان يتمتع بحرية الكلمة (*ISEGORIA*) [2]. من خلال المجالس التشريعية والمساواة التامة بين المواطنين في ظل القانون (*ISONOMIA*)[3]. وهي إحدى صور الحكم.

تلك هي الديمقراطية الأثينية، ***أضيق الديمقراطيات وأكملها في التاريخ، لقد كانت أضيقها لقلة عدد من يشتركون في امتيازاتها، وأكملها لأنها تتيح لجميع المواطنين على قدم المساواة فرصة السيطرة بأنفسهم على التشريع وتصريف شؤون الدولة***، لأن نظرة خاطفة على أصول دستور صولون وإصلاحات كليستنيس تدفعنا إلى القول: إنه على الرغم من الدعاية السياسية الواسعة لهذا النظام، وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يبالغون في القول لدرجة ادعاء بعضهم أن الديمقراطية الأثينية كانت أكمل نظام استطاع البشر وضعه حتى ذلك العهد وهذا صحيح إلى حد ما. ***فإن النظام الأثيني للحكم لم يختلف كثيراً في جوهره عن النظام الإسبرطي، فكلا النظامين أعطى أقلية السكان حقوق المواطنة ومنعها عن***

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ٢٢ / ١ .

2 – LEWIS, J . D : ISEGORIA AT ATHENES HISTORIA XX , 1972 , PP 12– 140 .

3 – BORECKY , B : DIE POLITISCHE ISONOMIE, EIRENE, IX , 1971 , PP 5-24 .

الأكثرية. وقد تعامت الدعاية الأثينية عندما اتهمت النظام الإسبرطي بالرجعية والقسوة - وادعت بأن النظام الأثيني كان رمز العدالة الاجتماعية، فقد حرم النظام نفسه- كما رأينا- النساء والعبيد والصنّاع والحرفيين وهم غالبية السكان من حقوقهم المشروعة، وخص الامتيازات بأقلية سيطرت على الجمعية الشعبية (*الإكليزيا*) ومجلس الشورى (*البولي*) .. وتناسى النظام أن جمهرة العامة التي لم تتمتع بحقوقها كانت هي جسد الدولة الحقيقي ودرعها في النوائب، وأنهم هم الذين استعذبوا الموت في سبيل دويلتهم وأنهم هم الذين دفعوا الثمن غالباً في جميع المناسبات.

سادساً: النتائج العامة لدراسة تطور النظام الأثيني باتجاه النظام الديمقراطي:

١ ــ لم يعد القانون صيغة غير قابلة للتغيير أو النقاش، بل أصبح عملاً إنسانياً، ويعترف بأنه عرضة للتغيير والتبدل، تقول اللوحات الاثنتا عشرة (إن ما تأمر به أصوات الشعب في النهاية هو القانون)[1]. وبما أن إرادة الناس هي التي سنته فإن هذه الإرادة نفسها تستطيع أن تغيره أو تبدله.

٢ ــ أنه بقدر ما كانت الطبقة الأرستقراطية متمسكة بالعقائد والقوانين القديمة والتي وفرت لها الحماية والضمان لأمنها ومصالحها، بقدر ما كانت الطبقة الدنيا حاقدة على مثل هذه العقائد والقوانين، والتي كانت سبب ضعتها وإرهاقها، فلذلك لم تؤمن ولم تفهم بمثل هذه العقائد البالية لأنها ضد مصالحها، فحاربتها حرباً لا هوادة فيها، وكان النصر يحالفها مرة تلو الأخرى، وفي نهاية المطاف كانت الغلبة لها والنصر النهائي حليفاً لها.

٣ ــ إن مثل هذا التغيير والتبديل في العقائد والأفكار والقوانين القديمة لم يتم دفعة وفي فترة واحدة، وإذا كانت الأنظمة السياسية تتغير فجأة، فإنه من المستحيل أن تتغير العقائد والقوانين إلا ببطء وبشكل تدريجي.

---

[1] - انظر : تيوس ليفيوس ٧ / ١٧ ، ٩ / ٣٣ ، ٣٤ .

٤ ــ كانت الثورة التي قلبت الحكم الأرستقراطي وأنظمته القديمة، ورفعت الطبقة الدنيا إلى مستوى إنسانيتها وكرامتها، تعتبر بداية فترة جديدة في تاريخ المدن. لقد تم نوع من التجديد الاجتماعي، فلم تكن طبقة من الناس تحل محل طبقة أخرى في السلطة فحسب، بل إنها المبادئ القديمة التي نحيت جانباً، وأوشكت قواعد وأنظمة جديدة تحكم الدول والمجتمعات وتغير وجه الحياة البشرية.

٥ ــ أصبح المبدأ المنظم الذي يجب على جميع الأنظمة أن تستمد منه قوتها منذ الآن هو مصلحة الشعب بكل فئاته، وليس مصلحة طبقة دون أخرى كما كان قائماً. إن هذا المبدأ الجديد هو الوحيد الذي يعلو على الإرادات الفردية، وهو الوحيد الذي أصبح هدفاً للمناقشات في كل أجهزة الدولة التنفيذية كمجلس الشيوخ والجمعية العامة.

٦ ــ كان نظام الانتخاب والتصويت في النظام القديم قليلاً جداً، ولم يتعد ضرورة الإجراءات الروتينية لمعرفة رأي كل عضو. أما الآن فأصبح نظام التصويت على كل شيء، ويقوم به كل الشعب لأجل مصلحته ورغبته في جميع الأسس التي يراها مناسبة له، وأصبح التصويت هو الوسيلة الكبرى للدولة، وأصبح منبع الأنظمة، وقاعدة للقوانين، وترسيخاً للعدالة. وقد كان لحق التصويت عندئذ قيمة لا تقاس بأية قيمة يمكن أن تكون له في الدول الحديثة، فقد كان كل مواطن يضع يده بمقتضى هذا الحق في جميع الشؤون، فيعين رجال الدولة، ويضع القوانين، ويجلس للقضاء، ويقرر الحرب والسلم، ويحرر المعاهدات والتحالفات. إن مثل هذا التوسع في حق التصويت كان يكفي لإقامة حكومة ديمقراطية حقه.

٧ ــ أصبح الإنسان في النظام الجديد مقياس كل شيء في الوجود، وبمعنى الفكر السياسي أن المواطن هو مركز الدولة، وهو الذي يضع النظام، وهو مقياس الحكم عليه. أما القانون فهو المقوّم الأساسي الثابت في الدولة، وأن هذا القانون والنظام يجب احترامه والالتزام به مهما كان نوعه طالما ارتضاه المواطن لنفسه في البداية. وكان صاحب هذا الاتجاه في الفكر سقراط (SOKRATES)

الذي عبّر عنه في المحاورات التي تركها لنا تلميذه أفلاطون، ومن كتابات تلميذ آخر له هو كسنوفون (XENOPHON) [1].

٨ ــ أعطى النظام الجديد قيمة كبيرة لموضوع الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة، وضرورة التعاون بينهما لأجل الدولة والشعب، لأن التوازن الحقوقي والقانوني بين الشعب والدولة هو مقوّم العدالة، الذي يشكل المثل الأعلى لمفهوم الدولة في المجتمع اليوناني، والأساس الأخلاقي للتعامل بين الطبقات، يقول أرسطو (أما العدل فهو فضيلة اجتماعية، لأن العدالة نظام المجتمع المدني، وما العدالة إلا القضاء بالحق)[2]. ففي هذه الحالة يتوجب على القانون أن يكون متوازياً ومتوازناً في التعبير عن مصالح الشعب متوافقاً مع مصالح الدولة لخير المصلحة العامة، ويقول أحد المؤرخين (وكل حكم حسن، إذا كانت السلطة الحاكمة تعمل لمصلحة الناس جميعاً لا لمصلحتها الخاصة، فإذا لم تفعل هذا فكل حكم سيئ، ومن ثم كان لكل نوع من أنواع الحكم الصالح شبيه فاسد حين يكون حكماً لمصلحة الحاكمين ،لا لمصلحة المحكومين)[3]. إذ أن أي تغيير في اختلال ميزان التوازن لأي من الطرفين يكون اختلال للمجتمع بأسره، وهذا ما أدركه حكماء اليونان، وعلى الأخص صولون الذي كان من أبرز سمات قوانينه الجوهرية، التوازن النسبي بين الطبقات، وبين الطبقات والدولة، حيث كانت مصلحة الفرد ترتبط بمصلحة الجماعة أشد الارتباط، وإن إرادة الفرد مقيدة بإرادة الجماعة أو خاضعة لإرادة الدولة [4].

٩ ــ إن معظم الثورات الاجتماعية التي قامت هي ثورات سياسية، كانت غايتها العامة تحقيق أكبر قدر ممكن من التطور لصالح المواطنين، وتحقيق أعظم سعادة جماعية للمجتمع اليوناني.وهذا ما كان واضحاً وبشكل جوهري من خلال

---

1 – انظر : على وجه الخصوص ما كتبه أفلاطون في محاورة كريتون ومحاورة الدفاع .

2 – انظر : أرسطو ، السياسة ١ ، ١ ، ١٢ ، ١٢٥٣ آ .

3 – انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثاني من المجلد الثاني ، حياة اليونان ؛ ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٥٣، ص ٥١٠ .

4 – انظر : أرسطو ، السياسة ١، ١، ٩ ، ١٢٥٣آ ثم ٧ ، ١٢ ؛ ٢ ، ١٢٣٢ آ.

القوانين الثورية التي صدرت وغيّرت جوهر الحياة اليونانية من سعادة الفرد إلى سعادة الجماعة حيث يرى أرسطو،(أن علم السياسة هو علم السعادة الجماعية، كما أن علم الأخلاق هو علم السعادة الفردية، وأن وظيفة الدولة هي أن تقيم مجتمعاً يحقق أعظم سعادة لأكبر عدد، والدولة هي مجموعة من المواطنين ذات عدد كاف لتحقيق جميع أغراض الحياة)[1]، وهي نتاج طبيعي لأن الإنسان بطبيعته حيوان سياسي [2].

١٠ ــ وكما أن السمة الجوهرية لقوانين صولون هي إقامة التوازن بين مختلف الطبقات، فإن جوهر الفكر السياسي عند أرسطو، هو أن النظام الطيب أو الصالح يوجد في الدول التي تضم طبقة متوسطة كثيرة العدد، بمعنى أن يكون عدد أفرادها أكبر من عدد الطبقتين الأخريين (الأغنياء والفقراء) مجتمعين، أو على الأقل أكبر من كل هاتين الطبقتين على حدة. والسبب الذي يقدمه أرسطو لهذا الاحتمال، هو أن الأغنياء يشيع بينهم الصلف أو التجبر وعدم الانصياع للقانون، كما أن الفقراء يشيع بينهم الشعور بالمرارة إزاء الطبقة الغنية ، ومن ثم يميلون إلى الجريمة. أما أفراد الطبقة المتوسطة، فإنهم راضون عن حياتهم عادة، إذ أنهم لا يطمعون في ثروة الأغنياء، ولا يثيرون حسد الفقراء. ومن ثم فإن هذه الطبقة تمثل عنصر الاستقرار في الدولة وتدعو إليه، وتعمل على وضع حد للتصرفات المتطرفة التي قد تقوم عليها الطبقتان المتناقضتان بالطبيعة، وهما طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، ولا يبدي أرسطو أي تخوف من أن تسعى الطبقة المتوسطة، إذا أصبحت هي الطبقة الكبرى في المجتمع سيكون همها الوحيد هو السعي لما فيه مصلحتها فحسب، بل على العكس من ذلك، يزعم أرسطو أن

---

[1] ــ انظر : نفس المصدر السابق ٤ ، ٩ ، ٩ ، ١٢٩٦ آ .

[2] ــ انظر : نفس المصدر السابق .

الدولة التي يسودها الدستور المعتدل أو المتوازن (هي وحدها لا يحدث فيها القسام، أو حيثما تسود الطبقة الوسطى يكون احتمال الشاحر ضئيلاً [1].

11 — يقول كسنوفون يجب أن تتمتع شخصية الحاكم بمقوّمات قوية، ومن هذه المقوّمات العمل الجاد الدائب وتحقيق الإنجازات بشكل مستمر، كذلك أن يكون الحاكم وطنياً وكريماً، وأن يأخذ نفسه بالحزم والنظام الصارم، وأن يقدر مواقف الآخرين ومصالحهم، فإن هذه الصفات من شأنها أن تجعل منه قدوة للجميع، وبذلك يستطيع أن يستقطب ولاء المواطنين، ومن ثم يحصل على طاعتهم [2]. ويجمل أرسطو كلامه عن صفات الحاكم الجيد وطريقة تصرفه حيال الشعب فيقول (ولكن عندما تتوافر الموارد للدولة، ينبغي للحكام أن لا يتصرفوا تصرف مضللي الشعب المعاصرين، فإن أولئك المراوغين، يوزعون على الشعب ما فضل من الخزينة، إلا أن الشعب يتناول ما يجري عليه من إسعاف، ولا يفتأ أبداً بحاجة إلى ذاك الإسعاف، لأن إغاثة من هذا الصنف هي ذاك البرميل الذي لا قعر له.

إلا أنه يترتب على من يخلص الولاء للشعب، أن يرى كيف يجنبه الفقر والفاقة القصوى، لأن ذاك الفقر المفرط، علة فساد الحكم الشعبي، فعلى الحاكم إذن أن يستنبط الحيل كي تدوم رفاهية الشعب، و لا سيما أن تلك الرفاهية مجدية للموسرين أنفسهم.

فليعن الحكام أولاً بجمع ما يفيض من موارد الدولة، وليوزعوه دفعة واحدة على المعسرين من المواطنين، وحبذا لو استطاع الحكام أن يجمعوا لكل معسر ما يكفيه لاقتناء حقل صغير، أو ما يمكنه من تعاطي التجارة أو الإقبال على الفلاحة والزراعة) [3].

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ٦ ، ٣ ، ٤ ، ١٣٢٩ آ .

2 – انظر : كسنوفون ، تربية فورش ١ ، ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ... ٢٤ ثم ٧ ، ٥ ، ٥٨ — ٦ .

3 – انظر : أرسطو ، السياسة ٦ ، ٣ ، ٤ ، ١٣٢٠ آ .

١٢ ـ يرى أرسطو، أن تفسير أي قانون يجب أن يكون من صلب القانون وروحه، وغير ذلك فإن القانون قد ينحرف عن مساره وعن الهدف الذي أصدر من أجله وهو خدمة الشعب، لأن التفسير الخاطئ يلغي روح القانون وموضوعه، وقد يتحول القانون نتيجة لأي تفسير خاطئ إلى عكس الهدف المنشود له، أي من قانون عطاء وعدل، إلى قانون ابتزاز وظلم، والسبب في ذلك يوضحه أرسطو (إن حكم القانون خير من حكم الفرد ... وإن من يعهد بالسلطة العليا لإنسان أيًا كان، إنما يعهد بها إلى وحش من الوحوش، لأن شهواته تجعله في بعض الأحيان وحشًا، وللعواطف أثر كبير فيمن يتولون السلطة، ولو كانوا هم خير من يتولونها، أما القانون فهو العقل مجردًا من الشهوة)[1].

ومن خلال كل النتائج التي سبق ذكرها، لا يسعنا إلا أن نستخلص أو نستنتج نتيجة النتائج، وأصفاها صفوة، وأكثرها زبدة، ألا وهي دراسة روح الإنسان المعنوية، واعتبار الإنسان أثمن شيء وأثمن مقتنيات الوجود في تكوين الحضارة. فلذلك نرى جميع عباقرة الإغريق من رجال السياسة والفكر والفن والمسرح والفلسفة، انصب اهتمامهم على دراسة المعايير الاجتماعية للإنسان، بما تصوروه من مشاعر وعواطف وانفعالات وأحاسيس. وكانت هذه السمات المحور الرئيس للأدب الإغريقي بكل أشكاله حتى أصبح من أرفع وأرقى الآداب العالمية، وعليه ارتكزت كل آداب وعلوم الشعوب الأخرى. ومن هنا تأتي أهمية الإنسان وقيمته في الوجود من خلال الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة كضرورة اجتماعية حيوية، واعتراف كل منهما بحقوق الآخر باستحداث وتحديث القوانين المتوازنة التي تكفل حقوق الطرفين، وذلك بالانقلاب الجذري على كل مخلفات الماضي وآثار قوانينه المعيقة للتطور والتنمية الاجتماعية والإنسانية.

---

[1] ـ انظر : نفس المصدر السابق ٣ ، ١١ ، ٤ ، ١٢٨٧ أ .

الفصل الثالث عشر

الحروب الفارسية - الإغريقية (٤٩٠ - ٤٧٨ ق.م)

تمهيد :

كان أعظم خطر واجهه الإغريق هو الخطر الفارسي، ليس في مستعمراتهم فحسب، بل في شبه الجزيرة الإغريقية نفسها. وكان لهذه الحرب تأثير كبير في تاريخ الإغريق. ومن المعروف أن المؤرخ الكبير هيرودوت الذي يسمى (*أبا التاريخ*) قد جعل من هذه الحرب الموضوع الأساسي لكتابه في التاريخ، ورغم ما في هذا الكتاب من معلومات مغلوطة وقصص أساطيرية ومبالغات غير معقولة، إلا أنه يتضمن كثيراً من الأخبار الدقيقة عن سير المعارك ومواقعها، ويساعدنا بذلك على استخلاص بعض الحقائق عن هذا الحادث التاريخي الخطير.

لقد عدّ هيرودوت الحرب الفارسية مظهراً للنزاع بين الحضارة والبربرية، وما زال الكثيرون من المؤرخين الأوروبيين يتبعونه في هذا الرأي، فيصفون تلك الحروب بأنها أول اصطدام بين آسية وأوروبة أو بين الشرق والغرب، ويقارنون من جهة: *بين الحكم المركزي الاستبدادي، والطاعة العمياء للحكام، ومن جهة ثانية، بين احترام الشخصية الفردية والعقل الانتقادي والتفكير الفلسفي*. ورغم الاختلافات الكبيرة بين المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية وفي الأنظمة السياسية لدى الفرس والإغريق. فهذا لا يعني إن الإغريق كانوا أقرب إلى الحضارة من الفرس. فالشاعر الإغريقي (*إيسخيلوس*) الذي اشترك بنفسه في هذه الحروب وألّف رواية عنها عنوانها (*الفرس*) فهو لا ينكر تقدم الفرس في كثير من مناحي الحضارة على

الإغريق، علماً أن كلا الطرفين الإغريق والفرس يرجعان إلى عرق واحد هو العرق الأري.

وفي كل الأحوال، فإن الإغريق شعروا بأن الحروب الفارسية كانت من الوقائع الحاسمة في تاريخهم، وأن ما أظهروه فيها من شجاعة وثبات ومهارة، فقد ساعدهم على الاحتفاظ بالحرية والاستقلال، وكانت ذكرى النصر في هذه الحروب تغذي النفوس بالحماسة الوطنية والعزة القومية وتؤثر تأثيراً عميقاً في حياة الشعب.

أولاً ـ الحروب الفارسية ـ الإغريقية :

في القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس ق.م، كانت المدن الإغريقية الأيونية الممتدة على الشريط الساحلي الغربي لشبه جزيرة آسية الصغرى تخضع لمملكة (*ليدية*) الواقعة في القسم الغربي من وسط شبه الجزيرة بقيادة ملكها *كرويسوس* (*KROESOS*)، ولكن هذه المدن ظلت محتفظة بحكمها الذاتي الذي مارسته في تصريف شؤونها الداخلية وفي علاقاتها الخارجية التي كانت تجارية في أغلبها مع المدن الإغريقية في بلاد الإغريق الأصلية الواقعة في شبه جزيرة البلقان، ولكن في بدايات النصف الثاني من هذا القرن غزا الإمبراطور الفارسي *قورش* (*KYROS*) مملكة ليدية في عام ٥٤٨ ق.م، وأخضع معها المدن الإغريقية الأيونية، ووقع (*كرويسوس*) أسيراً في أيدي الفرس عام ٥٤٧ ق.م، الذي كان من أغنى أغنياء العالم في ذلك الوقت، بسبب ما تكتنزه أرض ليدية من فلزات الذهب. إذ يقول *هيرودوت* في وصفها: (*إنها لتختلف عن معظم البلدان، إذ ليس فيها الكثير مما يجعل المؤرخ في وصفها، سوى فلزات الذهب التي تستخرج من نهر تمولوس .. والليديون كما بلغنا أول أمة تسك النقود بالذهب والفضة*)[1]. وقد أحسن (*قورش*) معاملة كرويسوس وأقطعه عدة مدن في بلاد فارس.

وكان من السهل على الإمبراطور الفارسي إخضاع هذه المستعمرات الإغريقية بسبب الانقسام الذي كانت تعاني منه، بينما كانت المدن الإغريقية

---

[1] - انظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، ص ٧٥ ، ٧٦.

الأوروبية (*في شبه جزيرة البلقان*) بعيدة عنها، كما كانت في ذلك الوقت في شغل شاغل بتطوراتها السياسية الداخلية التي كانت تمر في عدد منها مثل أثينا، بمرحلة دقيقة وحاسمة. وفي الواقع فإن المدن الإغريقية الأيونية في آسية الصغرى لم تبال كثيرًا بانتقالها من السيطرة الليدية إلى السيطرة الفارسية، فقد بقيت أمورها على ما هي عليه دون تغيير ملموس، بقي لها حكمها الذاتي وعلاقاتها الخارجية، كما ظلت تشكل مراكز تجارية وصناعية مهمة. وكل ما طرأ عليها في هذا الصدد هو تعهد من جانبها بأن تدفع جزءاً من دخلها للفاتحين الفرس وأن تقدم عدداً من السفن والجنود للإمبراطورية الفارسية في حروبها المستمرة ضد بابل ومصر.

إزاء هذه النجاحات لم يبق أمام قورش سوى ضم مصر إلى الإمبراطورية ليتم تحقيق أهدافه، حيث يقول **هيرودوت** (*والحق يقال، ما من أمة أمكن لها أن تفلت من الهزيمة متى سار إليها*)[1]، ولكنه بينما كان يتأهب لذلك مات فجأة وبصورة غامضة وترك إنجاز هذه المهمة إلى ابنه **قمبيز** (٥٢٩ — ٥٢١ ق.م) الذي استطاع القضاء على ثاني أكبر مملكة معاصرة تتعاطف مع الإغريق بعد مملكة ليديا وهي *المملكة المصرية* سنة (٥٢٥ ق.م). وبهذا العمل لم يعد أمام الإمبراطورية الفارسية مركز حضاري واحد في العالم المعروف وقتئذ لم يخضع لها باستثناء بلاد الإغريق القارية، لكن القدر الذي أعطى قمبيز الكثير أنكر عليه تحقيق هذه الأمنية فمات في سورية في طريق عودته من مصر في ظروف غامضة، وتربع على عرش فارس ضابط من نبلاء الفرس يدعى **داريوس** (*DARIOS*) (٥٢١- ٤٨٦ ق.م) وتذكره المصادر العربية باسم *دارا*. وكان ملكاً مستنيراً بلغت فارس في عهده أوج عظمتها وعصرها الذهبي. فقد استطاع في فترة وجيزة من حكمه أن يوطد الأمن وتنشيط الحركة الاقتصادية في أصقاع الإمبراطورية كلها باستثناء أيونية، وقام بإجراءات معينة وفرض ضرائب محددة ومنتظمة، (*وتناقل الفرس القول بأن داريوس كان تاجراً وقمبيز طاغية مستبداً وقورش أباً، فالأول كان يسعى إلى الربح أينما استطاع*

---

[1] .. انظر : نفس المصدر السابق ، الكتاب الثالث ، ص ٢٦٢ .

الحصول عليه، والثاني كان قاسياً وغير مبال بمصالح رعاياه، أما الثالث قسورش فكان نظراً لطيبة قلبه وحبه لرعاياه دائم الانشغال بكل ما يحقق الخير لهم)[1]. *وكان قصد داريوس من وراء إهمال زعاية المصالح التجارية للمدن الأيونية ودعم النشاط التجاري الفينيقي، ضغط سياسي على هذه المدن وضرب الحركة التجارية فيها حيث تعاظم نفوذها، ودرءاً لمخاطر قيام قوة اقتصادية كبرى بعيدة عن مركز الإمبراطورية تتحكم في مصائرها أو قيام تكتل سياسي مناوئ لها .*

إضافة إلى ذلك، أخذ (*دارا*) يتدخل بشكل متكرر في النزاعات التي كانت تنشب داخل كل مدينة حول الشكل الذي يتخذه نظام الحكم. وهو تدخل كان الفرس يساندون فيه الحكم الفردي أو حكم الطغاة (*TYRANOS*)، وتحت هذا الظرف ساد السخط في هذه المدن على الحكم الفارسي، فأقاموا فيما بينهم حلفاً عسكرياً تحت زعامة *ميليتوس* (*MILETOS*) (*في وسط الساحل الغربي لشبه جزيرة آسية الصغرى*) . وكانت هذه المدينة تشغل مركزاً تجارياً رئيسياً يؤهلها إلى جانب موقعها الجغرافي لزعامة هذا الحلف[2]. وتمكنت المدن المشتركة في هذا الحلف من الثورة على الحكم الفارسي والوقوف في وجهه عسكرياً لعدة سنوات (٤٩٩ – ٤٩٤ ق.م)[3]. كما حاولوا أثناء ذلك أن يحصلوا على مساندة من المدن الإغريقية الأوروبية، وإن لم تستجب لندائهم في الواقع سوى أثينة وإرتيرية (*ERETRIA*) (*تقع هذه الأخيرة في منطقة يوبويه*) (*EUBOEA*)فأرسلت أثينة عشرين سفينة، وإرتيرية خمس سفن ثلاثية المجاذيف، ويقول *هيرودوت*: (*وكانت هذه السفن مبدأ المصائب التي نزلت بالإغريق والبرابرة على السواء*)[4].

على أن الثورة لم تحقق شيئاً في النهاية، إذ ما لبث الإغريق أن اختلفوا فيما بينهم، وتمكن الفرس من إعادة سيطرتهم على المدن الثائرة ودمروا ميليتوس التي

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ، الكتاب الأول ، ص ١٢٦ .

2- SELTMAN, CH :GREEK COIN (3 RD ED METUEEN, LONDON1965 , 78 – 88 .

3 – انظر : هيرودوت (حول الثورة الأيونية) ، الكتاب الخامس ، ص ٤١٧ – ٤١٨ .

4 – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٤١٧ .

تزعمت الثورة. ولكن مع ذلك فقد كانت هذه الثورة بداية لصدام كبير بين الفرس وبلاد الإغريق الأوروبية الأصلية. ***وكان السبب في ذلك هو القوات التي قدمتها أثينة وإرتيرية لمساندة الثوار كما ذكر هيرودوت سابقاً***، مما نبّه الإمبراطور الفارسي إلى الخطر الذي يمكن أن تتعرّض له حدود الإمبراطورية الفارسية إذا تكررت مثل هذه المساندة. إضافة إلى ذلك، فإن هذه القوات اشتركت مع الثوار في احتياح مدينة (*ساردیس*) في آسية الصغرى، وأن النار شبّت في هذه المدينة أثناء ذلك وأتت عليها[1]. فأخذ الإمبراطور الفارسي يفكر في الانتقام والقضاء على مصدر هذا الخطر عن طريق غزو بلاد الإغريق الأصلية، وتأديب الأثينيين بسبب القوة البحرية التي أرسلوها للثوار.

وقد بدأ الفرس تنفيذ هجومهم فعلاً في عام ٤٩٠ ق.م، حين أرسل الإمبراطور الفارسي حملة كبيرة هبطت في سهل *ماراثون* (*MARATHON*) على مقربة من أثينة لتأديب هذه المدينة على المساعدة التي قدمتها للمدن الإغريقية الثائرة في آسية الصغرى[2]. وكان (*هيبياس بن بسستراتوس*) ***الأثيني الخائن هو الذي قام بإرشاد جيش الفرس إلى الماراثون التي تبعد عن أثينة ٢٠ كم شمال شرقي أثينة اعتقاداً منه بأن هذا السهل يهيئ جواً ملائماً لأن يؤدّي فرسان الفرس المتميزون دوراً يحسم المعركة لصالحهم***[3]. وقد انتهت معركة (*ماراثون*) بانتصار الأثينيين الذين كانوا تحت قيادة *ملتيادس* (*MILTIADES*) وكانت حصيلة المعركة- ***حسب قول هيرودوت- مقتل ستة آلاف وأربعمائة فارسي، مقابل مائة واثنين وتسعين رجلاً من الإغريق***[4] ودامت ستة أيام متوالية بلياليها حسب قول *هيرودوت*. ***وقد كان هذا الانتصار يرجع لعاملين اثنين:***

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق (حول إحراق ساردیس من قبل الأيونيين) ، ص ٤١٩.

2 – انظر : نفس المصدر السابق (حول تفاصيل معركة ماراثون) ، الكتاب السادس،ص ٤٦٨ — ٤٧٤ .

3 – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

4 – انظر : نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٦.

الأول: معرفة ملتيادس بطرق الحرب الفارسية، إذ كان قد خدم مع الجيش الفارسي في مناسبة سابقة، وهي معرفة مكنته من التحسب لحركاتهم.

الثاني: تنظيم فرق المشاة الثقيلة (HOPLITES) الذي مكّن الأثينيين من التصدي لتنظيمات الرماة في الجيش الفارسي [1].

وكان نصر (ماراثون) نصراً للحزب الديمقراطي بزعامة تميستوكليس (TEMISTOKLES) الذي كان ينتسب إلى أسرة نبيلة وفقيرة، وفي الوقت نفسه كان شاباً مغروراً معجباً بنفسه، متهالكاً وراء الشهرة، وخطيباً بارعاً، فهو جمع كلّ الصفات التي تلزم للنجاح في الحياة السياسية، وأصبح أعظم رجل دولة تولى قيادة أثينة السياسية والعسكرية في أخطر دور من تاريخها، وكانت من أهم أعماله بعد الانتصار في (ماراثون):

١ ــ قام بنفي جميع زعماء أنصار الطغاة والأرستقراطيين على حد سواء.

٢ ــ إنشاء أسطول حربي يقارب ٢٠٠ سفينة جرّاء استغلال مناجم الفضة في جبل لاوريوم (LAURIUM) في عام ٤٨٣ ق.م، والتي تولت الحكومة استثمارها على مقياس واسع [2]. وكان هذا الأسطول هو الذي أنقذ وحدة بلاد الإغريق من الغارة الفارسية الجديدة، كما أن أثينة استخدمت هذا الأسطول بعد الخلاص من الخطر الفارسي لتكوين (إمبراطورية) انتشر فيها نفوذها، فبلغت أوج عظمتها في السيطرة السياسية وازدهار الحضارة.

وبعد انسحاب الفرس بعد (ماراثون) لم يتعرضوا لبلاد الإغريق إلا بعد عشر سنوات لأسباب تخص الوضع الداخلي في الإمبراطورية، من بينها بطء الجهاز الإداري، وقيام ثورة مصرية على الفرس عام ٤٨٦ ق.م، ثم وفاة الإمبراطور (دارا) في السنة التالية واضطرار خلفه أكسركس (XERXES) أن يقوّي مركزه على رأس الحكومة الإمبراطورية.

1- SELTMAN : OP , CIT : P 91 .

2- انظر : هيرودوت ، الكتاب السابع ، ص ٥٤٣ . ثم توكوديدس ، الكتاب الأول ، ص ٢٩ .

وفي عام ٤٨٠ ق.م عاد الفرس لتصفية الحساب مع الإغريق الأوروبيين في جولة أخرى. ويبالغ هيرودوت في تعداد الجيش الفارسي فيقول: (وإذا حسبنا حشود الفرس نجد أن عددها كان كالتالي: ١٢٠٧ سفن تنتمي إلى مختلف الأمم في آسية، ومعها طواقمها وقوامها ٢٤١٤٠٠ رجل، بحساب ٢٠٠ لكل سفينة، وهي تحمل ثلاثين مقاتلاً، غير ما كانت تحمل من الجند – مشاة البحر – إضافة إلى طواقم الملاحة. وكان هؤلاء الرجال الثلاثون إما من الفرس أو الميديين أو الساكاي، فيكون العدد ٣٦٢١٠ رجال فوق العدد السابق. يضاف إلى هؤلاء طواقم السفن الخمسينية وتحمل كل سفينة نحو ٨٠ رجلاً، وكان الأسطول يضم ٣٠٠٠ قطعة، فيكون المجموع ٢٤٠ ألف رجل آخر، تلكم هي القوة البحرية التي جاء بها أكسركس من آسية وعلى ظهرها ٥١٧٦١٠ من الرجال. وأما الجيش فقد بلغ عدد المشاة ١٧٠٠٠٠٠ جندي والفرسان ٨٠ ألفاً، وإلى جانبهم فيلق الهجانة العرب وسائسو العربات الليبية، وأحسب أن عددهم بلغ ٢٠ ألف سائس، وإذن مجموع قوات البر والبحر التي جاءت من آسية ٢٣١٧٦١٠ عناصر، سوى عناصر خدمة الجيش ونقل المؤن. يضاف إليهم من جندهم أكسركس أثناء مروره بأوروبا، وليس لي من سبيل سوى تقدير عدد هؤلاء على وجه التقريب. ولعلي أقول إن مقدار مساهمة إغريق تراقية وجزر البحر هناك ١٢٠ سفينة، ومن الرجال ٢٤ ألفاً و ٣٠٠ ألف من المشاة (من أجناس وشعوب أخرى). وإذا ما أضفنا هؤلاء إلى الحشد الذي قدم به أكسركس من آسية كان المجموع ٢٦٤١٦١٠٠. وأقول أخيراً إن عدد الخدم ومن لحق بالركب وطواقم قوارب نقل المؤن إنهم يزيدون أو ينقصون، ولكني وضعتهم مساوين لأولئك في العدد، وهذا عندي التقدير النهائي للحشد الذي

كان يرافق أكسركس بن داريوس حين بلغ سيباس وترموبيلاي، وهو على رأس جيش يبلغ تعداده ٥٢٨٣٢٢٠ رجلاً)[1].

وأما الجيش الإغريقي فإن هيرودوت لا يذكر شيئاً عن مقداره، ويظهر من تقديرات المؤرخين الحديثين، أنه كان في أوائل سنة (٤٨٠ ق.م) لا يزيد على ٧٥٠٠٠ رجل، ثم بعد وصول الفرس استطاعت المدن الإغريقية المتحالفة تجنيد عدد آخر من المقاتلين فبلغ المجموع ١٠٠ ألف رجل. أما عدد السفن الإغريقية التي اشتركت في الحرب لا يزيد على ٣٦٦ قدمت منها أثينة وحدها مقدار الثلثين[2].

---

1 - انظر: هيرودوت، الكتاب السابع ٥٦١ ـ ٥٦٢. ومن المحتمل أن الأرقام التي أوردها هيرودوت مبالغ فيها. وتشير أقواله إلى بعض التناقضات التي تجعلنا من الصعب التصديق بها. ففي بداية قوله كان عدد الأسطول ١٢٠٧ سفن بحساب ٢٠٠ رجل لكل سفينة. وفي منتصف الكلام يقول : وكان الأسطول يضم ٣٠٠٠ قطعة بحساب ٨٠ رجلاً لكل سفينة (أي إضافة الرقم السابق). فلا ندري من أين أتى بالرقم الثاني من عدد الأسطول. في حين يشير محمد كامل عياد في كتابه (اليونان) ص ٣٠٥، أن هيرودوت استطاع أن يحدد بالضبط عدد سفنه بالاستناد إلى وثائق رسمية التي بلغت ١٢٠٧ سفن. ومما يؤكد هذا الرقم أن هيرودوت نفسه في مكان آخر من كتابه (الكتاب السابع، ص ٥١٥) يعدد عدد الأسطول ١٢٠٧ سفن. وهذا مما يجعلنا أن نسقط الرقم الثاني من عدد السفن البالغ ٣٠٠٠ سفينة والبالغ عدد رجالها ٢٤٠ ألف رجل بحساب ٨٠ رجلاً لكل سفينة، إضافة إلى ذلك أن هذه السفن لم تكن كلها حربية، بل ما يقارب نصفها فقط قد جُهز لخوض المعارك، بينما يُستخدم النصف الآخر لنقل المؤن والمساعدة. ومن جهة أخرى، يشير هيرودوت إلى أن أرقامه تقريبية. ولكن لدينا ملاحظة هامة، تشير إلى أن أرقام هيرودوت قد تبدو قريبة من الصحة بعد إسقاط العدد =الثاني من الأسطول وعدد رجاله ورجال المؤن والمساعدة، إذ أن حرب الفرس على الإغريق بدأت بغير عام الذي جند كل الرجال الذكور ليس فقط من بلاد فارس، وإنما من كل بلدان العالم المتي كانت تخضع للإمبراطورية الفارسية وحتى، حتى أصبحت فارة آسيا خالية من سكانها الذكور - على حد تعبير الشاعر الإغريقي إيسخيلوس- ويشير هيرودوت في مكان آخر أن الفينيقيين والسوريين سكان فلسطين قدموا ٣٠٠ سفينة، وكانت أسرع السفن هي التي قدمها الفينيقيون وأفضلها سفن صيدا. انظر: المصدر السابق ٥٢٢-٥٢٣.

2 - انظر: محمد كامل عياد، ص ٣٠٦ .

وقد امتدت هذه الجولة عبر سنتين نستطيع أن نميز فيهـا بعـض الظـواهر الرئيسية:

الظاهرة الأولى: هي أن المواجهة هذه المرة لم تكن مع الأثينيين وحـدهم، وإنما امتدت لتشمل القسم الأكبر من المدن الإغريقية الأوروبيـة، وفي الحقيقـة أن تكتل الإغريق ضد الفرس لم يكن كاملاً، فقد وقفت طيبة بعض الوقت موقفاً موالياً للقوات الفارسية، كما تلكأت إسبارطة في بعض المناسـبات في القيـام بـدورها، ولاسيما عندما قررت الجمعية الشعبية الأثيبة، إرسال أحد الرياضـيين المشـهورين بسرعة الركض يسمى فيديبيدس (***PHEIDIPPIDES***) إلى إسـبارطة ليطلـب مـن حكومتها النجدة التي كانت وعدت بها، فقطع المسافة ١٩٥ كم في اليـوم التـالي لمغادرته أثينة، وقابل قادة إسبارطة وخاطبهم قائلاً: (***أيهـا اللاكيـديمونيون، أن الأثينيين يناشدوكم أن تسرعوا لنجدتهم، ولا تسمحوا للبرابـرة أن يسـتعبدوا أقدم مدينة في بلاد الإغريق***) ورغب الإسبرطيون في إرسال المساعدة لأثينة، لكنهم كانوا غير قادرين على إرسالها فوراً، لأنهم لا يستطيعون خرق قوانينهم، ذلـك أن الرسالة وصلتهم في اليوم التاسع من الشهر، والقانون يحرّم علـيهم الخـروج مـن إسبارطة والاشتراك في القتال قبل أن يصبح القمر بدراً، ولهذا فقد انتظروا اكتمـال القمر. وفي أثناء ذلك كان هيبياس الأثيني الخائن والهارب إلى عند الفـرس يقـوم بإيصال الفرس إلى سهل (***ماراثون***)[1].

الظاهرة الثانية: إن المواجهة كانت شاملة امتدت براً وبحـراً، كمـا أنهـا خرجت عن نطاق شبه جزيرة البلقان لتشمل بحر إيجة ولتمتد في نهاية المطـاف إلى مداخل البحر الأسود.

---

[1] – انظر: نفس المصدر السابق، ص ٤٧٠.

الظاهرة الثالثة: ظهور قدر غير قليل من التنسيق بين التحركات الإغريقية في مواجهة الفرس. وفي هذا التنسيق كانت المواقع البحرية من نصيب القوات التي تزعمها أثينة، بينما دارت المواقع البحرية تحت القيادة الإسبرطية [1].

ثانياً ـ أهم مواقع الجولة الثانية:

أهم مواقع هذه الجولة خمس مواقع، كانت **الأولى** في مضيق (**ترموبيلاي**) (على الساحل الشرقي لبلاد الإغريق في مواجهة الطرف الشمالي لجزيرة يوبويـة) وقد وقعت في عام ٤٨٠ ق.م، وفيها نجح الفرس في محاصرة قوة إسبرطية صغيرة تحت قيادة (**ليونيداس**) وقضوا عليها عن آخرها (كما رأينا سابقاً)[2]. **أما الموقعة الثانية**، فهي عندما كانت فيه القوات الإغريقية تقاوم بضراوة القوات الفارسية عند (**ترموبيلاي**)، دارت معارك بحرية عدة بين الأسطولين الإغريقي والفارسي عند رأس (**أرتميسيوم**) في أقصى الشمال الغربي لجزيرة (**يوبويـة**). وفيها استطاع (**تميستوكليس**) بدهائه وكفايته الحربية أن يحقق بعض الانتصارات الجانبية دون أن يتوصل إلى تحقيق نصر حاسم [3].

ولمواجهة هذا الخطر، قرر الأثينيون، بإيحاء من (**تميستوكليس**) إخلاء أثينة من سكانها، وقامت بعض السفن بنقل النساء والشيوخ والأطفال إلى الجزر القريبة مثل سلاميس وإيجينة في حين أسند إلى بعض الرجال التحصن في هضبة الأكروبول ومقاومة العدو مقاومة يائسة أطول مدة ممكنة.

وتقدم (**أكسركس**) بقواته يخرّب كل ما وقع عليه نظره، وعند وصوله إلى أثينة وجدها خالية من السكان، فضرب الحصار على أكروبولها الذي صمد مدة أسبوعين، ودخله الفرس وقتلوا المدافعين عنه ونهبوا ما تبقى في معابده ثم أشعلوا النار في بقية المنشآت [4].

---

1 – انظر: لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ١٥٨ .

2 – انظر: نفس المصدر السابق (حول معركة ترموبيلاي)، الكتاب الثامن، ص ٥٦٧ ـ ٥٨٢ .

3 – انظر: هيرودوت (حول معركة أرتميسيوم)، الكتاب التاسع، ص ٥٨٣ وما بعدها .

4 – انظر: نفس المصدر السابق (حول إحراق أثينة وأكروبولها)، ص ٦٠٠- ٦٠١، ٦٤٨.

أما الموقعة الثالثة فهي موقعة *سلاميس* (*SALAMIS*) التي دارت في السنة نفسها قرب الشاطئ الشرقي للجزيرة التي تحمل هذا الاسم في مواجهة الطرف الجنوبي لشبه جزيرة أتيكة. ***وتعتبر هذه الموقعة نقطة التحول الرئيسية في هذه الجولة الفارسية- الإغريقية، وربما كانت أهم مواقعها***[1]. فقد استطاع الأسطول الأثيني بمساعدة عدد من القطع البحرية التي قدّمتها المدن الإغريقية الأخرى، أن يلحق هزيمة ساحقة بالأسطول الفارسي[2]. وإلى جانب عوامل أخرى فإن الانتصار الإغريقي في هذه الموقعة يرجع إلى ضخامة عدد السفن الأثينية. وكانت هذه الضخامة ترجع إلى مجهودات السياسي الأثيني (**تميستوكليس**) الذي عمل على رفع عدد سفن الأسطول الأثيني كما رأينا سابقاً.

وقد كانت نتيجة ***موقعة سلاميس*** أن انحسر التقدم الفارسي في بلاد الإغريق الأوروبية، وتأهب الإغريق للهجوم المضاد الذي تمخض عن موقعتين في السنة التالية (٤٧٩ ق.م) فكانت ***الموقعة البرية في بلاتاية*** (*PLATAEA*) (في جنوبي بويوتية قرب حدود أتيكة) حيث أحرزت القوات الإغريقية تحت قيادة إسبارطة نصراً على القوات الفارسية. ***والموقعة الحاسمة*** كانت موقعة بحرية تمت في نفس الوقت تقريباً وانتصرت فيها القوات الإغريقية البحرية في ***موقعة ميكالي*** (*MYKALE*)[3] عند شواطئ جزيرة ساموس (***تقع قرب النصف الجنوبي للشاطئ الغربي لآسية الصغرى***) وقد كانت نتيجة هاتين الموقعتين الحاسمتين براً وبحراً أن ابتعد الخطر الفارسي عن بلاد الإغريق الأوروبية. ويصف **توكوديدس (بأن الحرب الفارسية كانت أعظم حروب الماضي، ومع ذلك فقد حُسمت بسرعة بنتيجة معركتين**

---

1 – إلى جانب الأهمية الفعلية لهذه الموقعة، فقد اعتقد الإغريق، خطأ أو صواباً، أن نتيجتها تشكل بالنسبة لهم مسألة بقاء أو فناء. وقد خلّدها الشاعر الأثيني (أيسخيلوس) في مسرحية (الفرس)، وعبّر عن هذه المعاني في أكثر من موضوع من المسرحية: راجع على سبيل المثال سطور ٢٤٣ – ٣٤٤ و ٤٠٣ – ٤٠٨ من المسرحية.

2 – انظر: **هيرودوت (حول معركة سلاميس)** الكتاب الثامن ٥٩٨ وما بعدها.

3 – انظر: نفس المصدر السابق (**حول معركتي بلاتاية وميكالي**)، الكتاب التاسع ٦٦٧ وما بعدها.

بحريتين ومثلهما على البر)[1]. ويقصد بالمعركتين البحريتين (أرتميسيوم وسلاميس) والمعركتين البريتين (بلاتاية وترموبيلاي).

ثالثاً ــ نتائج الحروب الفارسية ــ الإغريقية:

يدعي بعض المؤرخين الحديثين، أنه لو انتصر الفرس في حروبهم مع الإغريق لكان نصيب بلاد الإغريق من استعباد وقهر وانحطاط وجمود. وفي هذه الحالة- على حد زعمهم- كان يستحيل أن تزدهر الحضارة الإغريقية وبالتالي كان لا بد أن يتغير مجرى التاريخ البشري.

فالردّ على هذا الادعاء، بأنه لو قدّر للفرس الاستيلاء على شبه جزيرة الإغريق لما انقرضت الحضارة الإغريقية وذلك نتيجة لعدة أسباب:

١ ــ لأن هذه الحضارة نشأت وظلت تتطور بالدرجة الأولى في (أيونية) التي كانت تحت الحكم الفارسي منذ أكثر من نصف قرن، وقد اتبع الفرس في هذه البلاد، بعد إخضاع الثورة سياسة حكيمة أفسحت المجال للتطور الديمقراطي والنهضة العمرانية. ولا يمكن لأحد أن ينكر بأن من أبرز فضائل الفرس التسامح تجاه الأمم الأخرى واحترام عقائدها الدينية ولغتها وتقاليدها القومية، ولا ننسى أن الفرس كانوا متحالفين مع كثير من الدول الإغريقية، وأن الحملة كانت حسبما أراد (دارا) تستهدف تأديب أثينة وإرتيرية لمساعدتهما الثوار، ثم إعادة (هيباس) إلى الحكم في أثينة.

٢ ــ ليس هناك من شك في أن الإغريق كانوا لا بد أن يستعيدوا استقلالهم بعد مدة قصيرة لأن مصر نفسها، رغم اعتيادها الخضوع، قد استطاعت التحرر من الفرس، فكيف لا يتم ذلك لبلاد الإغريق المشهورة بحب الاستقلال والحرية والتي ليس فيها شيء من الثروة يحرص الفرس على الاحتفاظ به؟.

---

[1] - انظر: توكوديدس، الكتاب الأول، ص ٣٣.

أما من جهة الفشل الذي منيت به الحملة الفارسية من الوجهة التاريخية العالمية، لم تكن لها نتائج خطيرة أيضاً، و لم تؤثر في كيان الإمبراطورية الفارسية. فقد ظل الفرس -حتى في حالة فشل الحملة- *يسيطرون على جميع البلاد التابعة لهم من مصر إلى السند، وخسائرهم في الرجال والسفن رغم فداحتها كان من السهل تعويضها بسرعة في مملكة يزيد عدد سكانها على الخمسين مليوناً وتتمتع بموارد لا تحصى. ومن جهة ثانية فإن انتصار الإغريق لم يبدل مكانتها الدولية ولم يقلب أوضاعها القومية*.

وكانت الحروب الفارسية سبباً في وحدة الإغريق القومية وتحالفهم وتضامنهم بسبب شعورهم بالخطر الخارجي، وإن كانت هناك بعض الانقسامات أو الخلافات النسبية التي تحدث في كل الأحداث العالمية الخطيرة قديماً وحديثاً. إلا أن انقسامات الإغريق في فترة ما بعد الحرب وصلت إلى مرحلة خطيرة بين أثينة الديمقراطية وإسبارطة الأرستقراطية إذ يقول توكوديدس في هذا: ((. . . *انقسم الهلينيون- الذين تحالفوا في أثناء الحرب والذين ثاروا فيما بعد على ملك الفرس إلى فئتين: إحداهما تبعت أثينة والتحقت الأخرى بإسبرطة. وكانت هاتان أقوى الدول بلا ريب، إحداهما أقوى الدول البرية، والأخرى أقوى الدول البحرية. ولقد ظل التحالف بينهما الذي قام في زمن الحرب متماسكاً لبعض الوقت، ثم ما لبث الصراع أن احتدم ودارت الحرب بين أثينة وإسبارطة، وإلى جانب كل منهما حلفاؤه، ثم انضمت بقية الدول الإغريقية التي كانت تشغلها من قبل الخلافات فيما بينها، إلى هذا الجانب أو ذاك*))[1].

وفي الواقع إن الحروب الفارسية كانت لها نتائج هامة بالنسبة إلى الوضع الداخلي في بلاد الإغريق، *وأبرز هذه النتائج ارتفاع مكانة (أثينة) وازدياد قوتها*.

قدّمت أثينة أكبر التضحيات في مقاومة الفرس فاضطر أهلها إلى التخلي عن أرضهم مرتين، وبرهن رجالها على منتهى الشجاعة والإخلاص والمهارة في القتال

---

[1] - انظر: توكوديدس، ص ٣١ .

وفي إدارة الحركات العسكرية، ولولا الأسطول الأثيني لما انتصر الإغريق، على أن أثينة قد عرفت أيضاً كيف تستثمر هذا النصر لمصلحتها. فقامت بتأسيس (*الحلف الديلوسي*) وتولت القيادة في متابعة الحرب ضد الفرس، وأخذت تنازع إسبارطة الزعامة على بلاد الإغريق حتى انتهى الأمر إلى اندلاع الحرب البلوبونيزية بين الدولتين.

كذلك لا شك في أن الانتصار على الفرس قد زاد الحضارة الإغريقية سرعة في تطورها، ولا يعني ذلك أن الحرب كانت من عوامل الازدهار، فالحرب لا تبدع شيئاً. إلا أن انتصار الإغريق في الحرب قد أدى إلى تحرير نصف العالم الإغريقي من الحكم الأجنبي، وإلى ضمان الاستقلال للنصف الآخر، فقوي الشعور الذاتي لدى الإغريق الذين يميلون بطبيعتهم إلى التفاخر والاعتزاز بالنفس. هذا الاعتزاز كان من شأنه أن يطلق القوى الكامنة من عقالها ويثير النشاط، وقد ازداد الإغريق تمسكاً بأنظمتهم في الحكم واتسعت الحركة الديمقراطية، وبذلك تحررت الأفكار وانتشر العمران وازدهرت الحياة الاقتصادية في أكثر الدول الإغريقية مثل أثينة وكورنثة وميجارة، بينما ظلت إسبارطة وتسالية وبيوتية كما كانت في الماضي. أما (*أيونية*) التي كانت قبل الحروب الفارسية مركز الحركة الاقتصادية والعمرانية والفكرية فقد تأخرت وخسرت مكانتها القديمة. ولعل الضربة التي أصابت هذه البلاد بسبب الثورة الفاشلة لا تعد شيئاً بالنسبة إلى ما كان ينتظرها بعد تحررها من حكم الفرس. فهي خضعت لسيطرة أثينة وظلت تدفع لها الجزية التي كان يستوفيها الفرس. إلا أنه قُطع عنها شريان الحياة إذ توقفت التجارة مع الشرق بسبب استمرار الحرب ضد الفرس وانتقلت الحركة التجارية إلى الغرب بين شبه جزيرة الإغريق من جهة، و (*اليونان الكبرى*) أي إيطالية الجنوبية وصقلية من جهة ثانية.

وهكذا نلاحظ أخيراً بين نتائج الحروب الفارسية، انتقال كثير من الأيونيين إلى أثينة وإلى (*اليونان الكبرى*)، حيث نشطت الحركة الاقتصادية والعمرانية، وبرزت صقلية إلى الميدان فاحتلت منذ ذلك الوقت مكانة خاصة في العالم الإغريقي.

الفصل الرابع عشر

تأسيس الإمبراطورية الأثينية

أولاً: تحصين وقوة أثينة وبداية العداء مع إسبارطة:

لم تكن مدينة أثينة في خريف سنة ٤٧٩ ق.م، بعد تدميرها مرتين من قبل الفرس سوى كتلة من الأنقاض والدمار. ويصف توكوديدس حالة أثينة ما بعد الحرب بما يلي: (*وكان الأثينيون قد أخذوا في غضون ذلك يعودون بأطفالهم ونسائهم، وما بقي من متاع من مخابئهم، ومضوا في إعادة بناء مدينتهم وتحصيناتهم، إذ لم يكن هناك من مبانيها سليم إلا أجزاء بسيطة من سورها القديم، أما بيوتهم فكان معظمها خراباً، ولم يسلم منها إلا ما كان مقراً لكبار القادة الفرس*)[1]. لذلك كانت المهمة الأولى التي تنتظر الأثينيين بعد عودتهم إلى الوطن بعد معركة (*بلاتاية*) هي المباشرة في أعمار المدينة، وبفضل روح التسامح والإحساس بالمساواة التي أشاعها دستور الأثينيين، تكاتفت وتعاونت طبقات الشعب جميعاً من أجل سلامة الوطن وتحقيق الصالح العام. وقد أدرك أرسطو ذلك التلاحم الاجتماعي وانعكاسه السياسي، حين لاحظ أن زعامة الشعب الأثيني اقتسمها *تميستوكليس* المنتمي لأسرة من أوساط العامة، و*أريستيدس* الأرستقراطي النسب، *حاز الأول شهرة كبرى في القيادة العسكرية، بينما اشتهر الثاني بوصفه أعظم سياسي. ولذلك اتخذ الأثينيون من الأول قائداً، ومن الثاني مستشاراً لهم* .. ويضيف أرسطو: (*أنه على الرغم مما بينهما من منافسة فقد تعاونا من أجل مجد أثينة في مجالي السياسة الداخلية والخارجية، كما حدث في بناء الأسوار الدفاعية عن المدينة وإعادة بناء أثينة، وفي الوقت نفسه إنشاء مدينة جديدة عند ميناء (بيرايوس) تكون مرتبطة بالعاصمة*)[2].

---

1 – انظر: توكوديدس، الكتاب الأول، الفصل السابع، ص ٨٥.

2 – انظر: أرسطو، الدستور الأثيني ٢٣ ــ ٢٤ .

وهكذا تم الاتفاق بين الأثينيين جميعاً وبروح الوطنية السائدة على إقامة سور حصين حول المدينة قبل بناء المساكن الخاصة بمبادرة من ثميستوكليس، وقد تطوع جميع الأفراد من رجال ونساء وشيوخ وأطفال لإنجاز هذا العمل بأسرع ما يمكن، ويبلغ طول السور الجديد نحو ٩ كم، أي أنه يحيط ببقعة أوسع بكثير من المدينة القديمة التي كانت قد بدأت تضيق بسكانها.

ويبدو مستغرباً لأول وهلة هذا الإسراع في تحصين أثينة، فمن جهة كان الخطر الفارسي قد زال لمدة طويلة عن الإغريق بعد انتصارهم الحاسم في معركة ***بلاتايا***، ومن جهة ثانية برهنت التجارب على أن السور القديم لم يكن له أي فائدة تجاه الجيوش الفارسية الكبيرة، ***فما القصد إذن من بناء السور*** ؟. تدل الظواهر على أن ثميستوكليس هو الذي اقترح ذلك، وأنه كان يريد به تأكيد حق أثينة في إدارة شؤونها بنفسها وتأمين استقلالها عن حلفائها حتى تستطيع أن تتبوأ المكانة اللائقة بها وتنفرد بالسيطرة في بلاد الإغريق، وعلى كل حال وكما يقول ***توكوديدس***، فإن الإسبرطيين حين بلغتهم هذه الأخبار أوفدوا سفارة إلى أثينة، وكان بعض السبب في هذه المبادرة، أنهم لم يكونوا ليرتاحوا إلى فكرة تحصين أثينة أو سواها، والأهم من ذلك هو إلحاح حلفائهم، وبالدرجة الأولى ***كورنثة وميجارة وأجينة*** الذي أثار خشيتهم نمو الأسطول الأثيني المفاجئ، وكانوا يخشون مزاحمة أثينة التجارية لهم[1]. لذا أسرعوا إلى إسبارطة زعيمة الحلفين البلوبونيزي والهيلليني يطالبونها بالتدخل في الأمر والحيلولة دون إقامة السور.

كان الإسبرطيون قد شعروا في بادئ الأمر بشيء من الاطمئنان، لاعتقادهم بأن أثينة لن تستطيع النهوض بسرعة بعد كل ما أصابها من التخريب والخسائر، وأنها ستظل مدة طويلة عاجزة عن منافستهم في السيطرة، ولكن إقدام الأثينيين على بناء السور، وما أبداه حلفاؤهم من مخاوف، ثم حرص إسبارطة على الاحتفاظ بزعامة بلاد الإغريق، كل ذلك جعل حكومة إسبارطة ترسل وفداً إلى أثينة للمطالبة بعدم تحصين المدينة، لم يكن في استطاعة أعضاء الوفد بطبيعة الحال أن يجاهروا بالدوافع

---

[1] ـ انظر: توكوديدس، ١، ٧، ص ٨٥.

الحقيقية لطلبهم، ولذلك اضطروا إلى تسويغ ذلك بحجة سخيفة مفضوحة، فادعوا بأن بناء السور يهيئ مركزاً حصيناً يمكن الفرس الاستفادة منه إذا هم أغاروا مرة أخرى على بلاد الإغريق، وأنه من واجب الأثينيين، ليس أن يكفوا عن تحصين مدينتهم فحسب، بل أن يشتركوا أيضاً في تمديم جميع الحصون الواقعة خارج شبه جزيرة البلوبونيز [1].

عندما اجتمع مجلس (الخمسمائة) في أثينة للبحث في هذا الطلب شرح تميستوكليس للأعضاء بصورة سرية، الخطة التي يرى اتباعها. فتقرر إخبار الإسبرطيين، بأن وفداً من تميستوكليس نفسه ومن (أريستيدس) و (هابرونيخوس) سيذهب لمفاوضة الحكومة الإسبرطية. وبالفعل سافر تميستوكليس في الحال إلى إسبارطة. لكنه أخذ هناك يتهرّب من مباشرة المفاوضات بحجة أنه لا بد له قبل ذلك من انتظار وصول المندوبين الآخرين. وكان قد اتفق مع حكومة أثينة على أن لا يلحق به زميلاه إلا بعد أن يبلغ السور ارتفاعاً معيناً يكفي للدفاع. هكذا كانت الأيام تنقضي دون أن تبدأ المفاوضات. وإذا ما سأله أحد المسؤولين هناك عن سبب تأخره في المثول أمام الحكومة، كان يرد بأنه ما زال بانتظار وصول زملائه أعضاء الوفد، الذين تأخروا لانشغالهم بأمور طارئة في أثينة، وهو ينتظر قدومهم ويعجب لعدم حضورهم حتى ذلك الوقت. وأما الإسبرطيون فقد صدّقوا ما قاله تميستوكليس بسبب الاحترام الذي كانوا يكنّونه له. ولكن مع توارد الأخبار التي حملها لهم الآخرون، وجميعها تؤكد قيام الأثينيين ببناء التحصينات، وأنها بلغت ارتفاعاً ملحوظاً، لم يعد بوسعهم الشك فيما كان يجري في تلك الأصقاع. وكان رد تميستوكليس أنه يجدر بهم ألا يقعوا فريسة للشائعات، بل الأحرى أن يبعثوا ببعض أهل الثقة ليأتوهم بالخبر الصحيح. وكان أن بعث الإسبرطيون بجماعة منهم لاستجلاء الأمور، بينما أرسل تميستوكليس سراً من يطلب من الأثينيين استبقاء المبعوثين الإسبرطيين عندهم- تجنباً إن أمكن- لخرج السؤال الصريح، وألا يدعوهم يعودون حتى يعود زميلاه، ذلك أن رفيقيه (هابرونيخوس) و (أريستيدس) كانا قد

---

[1] - انظر: نفس المصدر السابق، ص ٨٦ .

لحقا به في تلك الأثناء، وأخبراه بأن القوم قد قطعوا شوطاً كبيراً في بناء التحصينات، فخشي من أن يمنعهم الإسبرطيون من العودة إلى أثينة حتى تبلغهم الأخبار بما جرى.

امتثل الأثينيون لتعليماته، فعملوا على إبقاء الإسبرطيين وتأخير عودتهم، وقابل تيستوكليس المسؤولين الإسبرطيين وتحدث إليهم أخيراً حديثاً صريحاً، فقال لهم: (*إن أثينة باتت حصينة الآن بما يوفر لها المنعة وحماية أهلها، فإذا شاء الإسبرطيون وحلفاؤهم إرسال سفارات إليها في أي أمر فعليهم أن يذهبوا إليها وهم مدركون أن الأثينيين قادرون على اتخاذ القرار بشأن مصالحهم الخاصة ومصالح بقية بلاد هيللاس*، وبيّن أنه حين اتخذ الأثينيون قرارهم الجريء بهجر مدينتهم وركوب سفنهم لم يطلبوا المشورة من إسبارطة، وحين يتشاورون مع الإسبرطيين في أمر يتضح أن ليس ثمة من يمكنه أن يقدّم لهم نصيحة أفضل مما قرروه . وهاهم اليوم يرون أن صواب الرأي يقضي بتحصين مدينتهم، وهو خير لمواطنيهم وللحلف كله، لأن المصلحة المشتركة لا تصان إلا على أساس تساوي القوى والمناقشات التي تقوم على العدل، وهذا يعني إما أن تبقى كل المدن في الحلف بلا تحصين، وإما أن تتم الموافقة على ما قام به الأثينيون)[1].

وفي كل الأحوال فإن الإسبرطيين باؤوا بالفشل، وانتابهم شعور بالضيق لهذا الإحباط، وعاد الوفدان كل إلى دولته دون أن يقدّم أي شكوى، إذ لم يجد الإسبرطيون مفراً من الرضى بالأمر الواقع، وأخذوا منذ ذلك الوقت يراقبون تطور الحالة في أثينة بكثير من الارتياب والحسد.

وينكر بعض المؤرخين الحديثين القصة من أساسها بدعوى أن بناء سور يبلغ طوله (٩) كم لا يمكن أن يتم في بضعة أسابيع. ولكن الجواب على هذا الإنكار يكمن في قول توكوديدس نفسه (.. *وهكذا فإن الأثينيين قد حصنوا مدينتهم في فترة قصيرة، وما زال بوسع المرء أن يرى اليوم، أن البناء تم على عجل ، فالأساسات خليط من الأحجار وبعضها متنافر لم يُعمل فيه أزميل البناء، وإنما وضع كما هو يومذاك، كذلك هناك العديد من الأعمدة جلبت من المقابر*

---

[1] – انظر: نفس المصدر السابق، ص ٨٧ .

وأجزاء من تماثيل اختلطت مع أحجار أخرى، وكان السبب في ذلك ترامي حدود المدينة من كل جانب فقرضت العجلة أن يستخدم البناؤون كل ما تقع عليه أيديهم في بناء الأسوار)[1].

وهناك من المؤرخين القدماء مثل (*ليوبرمبوس*) الذي عاش في القرن الرابع ق.م، فقد شكك في أن الإسبرطيين كانوا على درجة كبيرة من السذاجة تجعلهم ينخدعون بأقوال تيمستوكليس ويصيرون على تسويغه ويقتنعون بحججه. فذهب إلى أن تيمستوكليس استمال المراقبين الإسبرطيين بالرشوة حتى تظاهروا بتصديقه. ولكن من جهة أخرى يجب الانتباه إلى ما اتصف به تيمستوكليس من الدهاء والمهارة حيث يصف لنا *توكوديدس* تلك السمة الشخصية المنقطعة النظير عند تيمستوكليس عندما يقول: (*والحق أن تيمستوكليس كان ذا عبقرية فطرية فذة لا يخطئ المرء في ملاحظتها، وكان في هذا رجلاً لا نظير له، وهو أجدر الرجال بالإعجاب. وكان يتمتع بالمقدرة على بلوغ الاستنتاج المناسب إذا ما عرض عليه موضوع يحتاج حلاً سريعاً، ولا يقبل التمهل والمناقشة، فيصل إلى الحل دون دراسة مسبقة أو دراسة بعد حين، متوسلاً بذكائه الفطري، فيقدّر الأمور حق قدرها وما يتوقع حدوثه، وكانت توقعاته للمستقبل دائماً أقرب إلى الدقة من توقعات الآخرين. وكان الرجل يحسن عرض أي موضوع له إلمام به. كما يملك أن يقدّم رأياً محكماً حتى في القضايا التي تقع خارج نطاق خبرته. كذلك كان على قدر عظيم من المقدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل والكشف عن الإمكانات الخفية في الأمور خيراً أم شراً. وخلاصة القول كان تيمستوكليس لا مثيل له بما له من عبقرية ماضية وما يتمتع به من سرعة في المبادرة والعمل ليسابق بالفعل الصحيح وفي اللحظة المناسبة بالضبط*)[2]. وكذلك ملاحظة الحالة الداخلية في إسبارطة والوضع السياسي في بلاد الإغريق. فالعلاقات بين أثينة وإسبارطة كانت لا تزال حسنة، إذ لم تمض بعد مدة طويلة على اشتراكهما في محاربة الفرس. ولذلك يشير

---

1 - انظر: نفس المصدر السابق، ص ٨٨.

2 - انظر: نفس المصدر السابق، ١، ٩٠، ص ١١٩.

توكوديدس، إلى أن الإسبرطيين لم يعارضوا في بناء السور إلا بعد إصرار حلفائهم، ثم أن تيمستوكليس كان لا يزال يتمتع بمكانة سامية في إسبارطة لما قام به من خدمات كبيرة أثناء الحرب، كما دلت على ذلك الحفاوة البالغة التي استقبل بها عند زيارته الأولى لإسبارطة. وأخيراً فقد كان في إسبارطة حزبان تتعارض سياستهما إذ يميل أحدهما إلى مسالمة أثينة ولا يعارض في ازدياد سطوتها البحرية لاعتقاده بأن مصلحة إسبارطة تقضي عليها بالتزام العزلة والمحافظة على نظامها المتوارث الذي لا بد أن يتعرض إلى الانهيار إذا هي حاولت التوسع واضطرت إلى الاحتكاك مع غيرها وتشتيت قواها، ويبدو أن المراقبين الخمسة كانوا من هذا الحزب، ولذلك لم يحاولوا معاكسة تيمستوكليس.

ثانياً: إنشاء مدينة بيرايوس (PIRAEOS):

أعار تيمستوكليس اهتماماً كبيراً للأعمال الأساسية في مرفأ بيرايوس، حيث يقول توكوديدس: (*أن تيمستوكليس نصحهم ببناء أسوار بيرايوس التي بدأ العمل فيها من قبل، خلال العام الذي أمضاه في منصب الحاكم الأول للمدينة، وكانت بيرايوس في رأيه ذات موقع أهم من مدينة أثينة*)[1]، لأن الأسطول الأثيني كان يحتاج قبل كل شيء إلى مركز حصين يلجأ إليه عند الضرورة كما كان ينبغي تأسيس المصانع الكبيرة للسفن. وكانت الطبيعة نفسها قد هيأت ثلاثة موانئ ممتازة عند رأس بيرايوس. ويؤكد على ذلك توكوديدس: (*بأن تيمستوكليس كان معجباً بموقع المدينة بمرافئها الطبيعية الثلاثة، وقد رأى أنه إذا قدر للأثينيين أن يصبحوا من الأمم البحرية فسوف يجدون في ركوب البحر بفضل تلك المزايا ما يزيد من قوتهم*)[2]، ولذلك عُهد بتنظيم أعمال البناء إلى المهندس الملطي هيبوداموس (*HIPPODAMOS*) من مواطني ميليتوس (*على الشاطىء الغربي لآسية الصغرى*)، الذي اشتهر بآرائه التحددية في العمران والاجتماع، فوضع مخططاً لساحة السوق الكبيرة وللشوارع الرئيسية الثلاثة التي تخترق المدينة بصورة متوازية

---

1 - انظر: نفس المصدر السابق، ص ٨٩.

2 - انظر: المصدر السابق، ص ٨٨.

وتمتاز باتساعها وامتدادها مسافة طويلة على خط مستقيم، بينما تقاطعها الشوارع الفرعية بصورة عمودية، وقد اتبعت هذه الخطة فيما بعد عند تأسيس كثير من المدن الجديدة التي أطلق عليها اسم (*المدن الهيبوداموسية*).

كان أول عمل قام به ميستوكليس في بيرايوس هو تحصين المدينة بسور حولها يبلغ طوله ١٠ كم، وكانت العناية بهذا السور أعظم مما في أثينة، فجلبت له قطع الحجارة الضخمة المنحوتة واستخدمت قضبان الحديد لربط بعضها ببعض بصورة متينة، وكان سمك السور يتراوح بين (٣- ٨) أمتار، لكن ارتفاعه ظل دون المقدار الذي أراده ميستوكليس. ويصف *توكوديدس* بناء ذلك السور بقوله: (*كان السور قد بني من حيث العرض وفق المواصفات التي حددها لهم ميستوكليس، ويمكن للمرء أن يراها في السور الذي يحيط ببيرايوس اليوم. وهناك مسافة تسمح لمرور عربتين تحملان أحجار البناء، والمساحة بين السطحين الخارجين خالية من الركام أو الآجر، وقد استعاض منها البناء بقطع ضخمة مقطوعة وملتصق بعضها ببعض مع مشابك من الحديد والرصاص على الطرف الخارجي. أما ارتفاع السور عند اكتماله فيبلغ نصف ما كان قد خطط له. وقد أراد من هذه الأسوار الضخمة العريضة أن تردّ عن المدينة هجمات العدو مهما كان نوعها، فبوجود تلك الأسوار — في رأي ميستوكليس — يمكن لقلة من الجند الأغرار الدفاع عنها بشكل جيد، بحيث يمكن للآخرين الخدمة في البحر. والجدير بالذكر أن أفكاره كانت تنصب بصورة أساسية على البحرية، وأن مستقبلهم في ركوب البحر*)[1].

ويظهر من أخبار المؤرخين القدماء، أن ميستوكليس قد بذل جهوداً عظيمة في سبيل تطوير بيرايوس وتقدمها، فاستصدر قانوناً بإعفاء أصحاب المهن من الضرائب تشجيعاً لهم على الإقامة في هذا المرفأ وزيادة عدد سكانه، ثم فرض على كل واحد من كبار الأغنياء بأن يصنع سفينة ويتولى تجهيزها والإنفاق عليها، وقد سميت هذه الفريضة (*تريارخيا*) أي ضريبة السفن، كذلك استصدر قانوناً خاصاً

---

[1] - انظر: نفس المصدر السابق، ص ٨٨ .

يحتم على الحكومة صنع عشرين سفينة في كل عام، وأخيراً فهو الذي قام بتأسيس (شرطة المرافئ) وتنظيمها [1].

مثل هذه الأعمال تكفي لتخليد اسم ثيميستوكليس في تاريخ الإغريق، وعده المؤسس الحقيقي لسيطرة أثينة وازدهارها. وكما يقول *توكوديدس*، (*أنه الرجل الكبير الذي عمل على إرساء أسس الإمبراطورية الأثينية*) [2].

ثالثاً: ترميم المعابد:

يتبين مما سبق أن الأثينيين قد وجهوا اهتمامهم في بادئ الأمر، إلى الضرورات العملية كما يقتضي التفكير الواقعي، وهذا يناقض- حسبما يبدو- ما اشتهر عنهم من التمسك بالتقاليد الدينية، فما السبب في إهمالهم لمعابد الآلهة التي هدمت والتي كان ينبغي إعادة بنائها قبل أي شيء آخر ؟. يمكن تفسير ذلك بأن الإغريق قد أقسموا قبل معركة بلاتاية بأنهم لن يزيلوا أطلال المعابد بل سيتركونها كشواهد تذكّر الأجيال التالية بفظائع البرابرة، ثم إن هذه المعابد كان يجب تشييدها من أحسن أنواع الحجارة والمرمر وتزيينها بالتماثيل والنقوش، وكل ذلك يتطلب نفقات كبيرة ويحتاج إلى زمن طويل. فأفادت أثينة بعملها هذا من تخارب غيرها من دويلات المدن التي سارعت إلى إنشاء ما هدّم من منشآتها ومعابدها بعد الحرب مباشرة. وهكذا أتت المعابد والأبنية العامة التي أنشئت فيما بعد في أثينة وعلى أكروبولها بوجه خاص، وكأنها حصيلة لكل جهود المهندسين والفنانين الإغريق في ذلك العصر.

ولما كان *الأكروبول قلب أثينة الديني والتاريخي والسياسي*، فقد كان محط عناية خاصة من *بريكليس*، ولاسيما بعد تدمير الفرس معابد الأكروبول وتماثيلها. *والأكروبول* عبارة عن صخرة بيضاوية الشكل يبلغ طولها نحو (٢٧٥متراً) وعرضها (١٥٥ متراً)، وترتفع عن سطح السهل الذي تقع فيه المدينة نحو (١٠٠متراً).

---

1 - انظر: محمد كامل عياد، ص ٣٩٦ .

2 - انظر: توكوديدس، ١، ٧، ص ٨٨ .

ولا شك أن أجمل وأعظم أبنية الأكروبول معبد (*البارثنون*) أو معبد العذراء (*أثينة*)، وهو أحد الأبنية النادرة التي تجلى فيها الابتكار الإنساني الرفيع في أجمل أشكاله، وهو في الحقيقة أكمل نموذج لفن البناء عند الإغريق وأكثرها تعبيراً عن خيالهم الرائع، وأحاسيسهم المرهفة ولا يمكن- مهما أسهب المؤرخون في وصفه- إعطاء *البارثنون* حقه من العظمة والجمال والروعة.

ويأتي في *المرتبة الثانية* بعد (*البارثنون*) معبد (*الأرختيوم*) تخليداً لأحد ملوك أثينة الأسطوريين المدعو إرختيوس (*ERECHTEOS*) الذي عبد فيه إلى جانبه كل من أثينة والإله (*بوسيدون*) وقد بني معبد الأرختيوم بين عامي (٤٢١-٤٠٧ق.م) على بعد عشرة أمتار فقط من حافة الأكروبول،ويبلغ طوله (٢٥ متراً)، وعرضه (١٣ متراً). وعلى الرغم من صغر هذا المعبد فإن بعض مؤرخي الفن يعتبرونه من أجمل المعابد الإغريقية، بل يذهب بعضهم إلى اعتباره أجمل من (*البارثنون*).

وعلى طرف الأكروبول الجنوبي يقوم أصغر معبد إغريقي على الإطلاق وهو معبد الربة (*أثينة*) المنتصرة الذي رغم صغر حجمه، فإن شهرته تكاد تعادل شهرة *البارثنون*. ومن جملة معابد الفترة الكلاسيكية معبد (*هيفايستون*) وهو معبد أقيم في أثينة تكريماً لإله النار والحدادة (*هيفايستوس*) وهو المعبد الإغريقي الوحيد الذي استلهم قوته من إله النار والحدادة وقاوم عوادي الزمن، ويعتقد أن بناءه قد انتهى نحو عام ٤٢٠ ق.م وهو معبد صغير نسبياً له ستة أعمدة في كل من واجهتيه، وثلاثة عشر عموداً في كل من جانبيه، وتتصف أعمدته بنحولها وعدم تناسبها مع حجم المعبد الكبير.

ولعل من أهم وأجمل المعابد الإغريقية في تلك الفترة معبد الإله (*أبوللون*) في مدينة *باساي* (*BASAE*) في الجنوب الغربي من مقاطعة (*أركاديه*) في البلوبونيز. وتشير بعض منحوتات أفاريزه الموجودة في المتحف البريطاني أنه يعود ببنائه إلى عام ٤٣٠ ق.م.

وكان *بسستراتوس* قد أعاد في إيليوسيس (*ELEUSIS*) وهي المدينة الثانية في الأهمية في أتيكة بعد أثينة وميناؤها بيرايوس، إنشاء معبدها العام الذي دعي معبد التلستريون (*TELESTERION*) والذي كان مخصصاً لتعلم ومناقشة أسرار عبادة

الربتين (*ديمتر وبرسفيوني*). ويتألف المعبد من قاعة كبرى مربعة الشكل طول ضلعها الواحد خمسون متراً، وقد أقيم بمحاذاة جدرانها مدرّج ذو ثمانية صفوف، يصطف عليه المتعبدون للقيام بواجباتهم الدينية.

وفي الواقع فقد انقضت مدة (٣٠) عاماً قبل أن يباشر ببناء المعابد الجديدة في عهد بريكلس [1]، حتى جاءت بما هي عليه كما ذكرنا سابقاً.

رابعاً: إنشاء الحلف الديلوسي:

إن أثينة التي كانت تملك وحدها أسطولاً كبيراً قادراً على حماية بلاد الإغريق من غارة فارسية جديدة، رضيت أن تتعهد بالدفاع عن الإغريق في آسية الصغرى وبحر إيجة، واتفقت كلمة الأيونيين على الاعتراف بقوتها وتسليمها القيادة، قد أثبتت مهارة سياسية في استثمار هذه الظروف الموائية، ***ولاسيما أن أثينة كانت ترى أنه من مصلحتها أن تتزعم المدن الأيونية جميعاً في آسية الصغرى توسيعاً وتمكيناً للنشاط التجاري الأثيني في بحر إيجة الذي تطل عليه أثينة من الغرب، وتطل عليه المدن الأيونية الآسيوية من الشرق***، وبعد اقتناعها بفكرة زعيمها ثميستوكليس، وهي أن يخلق أسطولاً للدولة ويجعل من أثينة أعظم قوة بحرية في العالم الإغريقي، فأسرعت إلى تأليف الاتحاد البحري، ولكن الاسم الذي اشتهر به هو (***الاتحاد الديلوسي***)، وذلك لأن الدول المشتركة فيه أرادت توطيد دعائمه بإعطائه صفة دينية فاتفقت على أن تجعل مركزاً له (***معبد أبوللون وارتميس***) في جزيرة ديلوس (***DELOS***) الذي يقدسه الأيونيون جميعاً منذ القدم .. ولا يستبعد أن يكون السبب في انتقاء هذه الجزيرة الصغيرة لا يرجع إلى مكانتها الدينية فحسب، بل إلى موقعها المتوسط وطابعها الحيادي من الوجهة السياسية. وبتأليف هذا الاتحاد تكون أثينة قد وضعت الحجر الأساسي لسيطرتها البحرية، الذي أصبح فيما بعد منظمة سياسية مستقلة تعتمد أثينة عليه في مجابهة (***الاتحاد البلوبونيزي***) الذي تسيطر عليه إسبارطة.

---

[1] - انظر: حول النهضة العمرانية في أثينة في عصر بركليس، وعلى وجه الخصوص بناء المعابد الجديدة: خليل سارة: دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م، منشورات جامعة دمشق، ص ٩٧-٩٨، ٧٩-٩١.

وقبل الخوض في خضم الحديث عن الاتحاد الديلوسي أمامنا ثلاث نقاط أساسية مهمة يجب التعرض إليها .

١ ـ دستور الحلف :

لم يكن هذا الدستور مكتوباً أو محدداً بشروط واضحة، وكل ما في الأمر هو عقد محالفة اختيارية دفاعية وهجومية معاً بين أثينة والجزر الإغريقية على أساس أن أثينة تمثل طرفاً أولاً وبقية المدن والجزر تمثل جميعها الطرف الثاني . وأثناء القسم لعقد هذه المحالفة ألقيت قطع ضخمة من الحديد في أعماق البحر كرمز لاستمرار التحالف حتى تبرز هذه القطع على وجه الماء، أي إلى الأبد . ***وكان القصد من تأليف الاتحاد هو الانتقام من الفرس للخسائر التي أحدثتها غاراتهم في بلاد الإغريق وتحرير الإغريق في آسية الصغرى من النير الفارسي والحيلولة دون هجوم جديد على بلاد الإغريق*** . وهذا يبيّن أن أهداف الحلف لم تقتصر على بلاد الإغريق الأصلية (***القارية***)، بل تتجاوزها إلى تحرير المدن الإغريقية في آسية الصغرى والهلسبونت من السيطرة الفارسية . ***وهناك مسألة أخرى تتصل بدستور الحلف وهي هل يحق لأي عضو في الحلف الانفصال عنه*** ؟ يبدو من المحتمل جداً أن يكون حق الانفصال قد أغفل ذكره عن قصد، لأنه لو نفي صراحة ربما استحال تأليف الحلف بتاتاً، على أن هذا الإهمال لا يخلو من أخطار، وبالفعل أنه عندما أرادت جزيرة ناكسوس ثم جزيرة تاسوس الانسحاب من الاتحاد عدّت أثينة ذلك عصياناً وأقدمت على معاقبتهما أشد العقاب .

٢ ـ المدن والجزر المنضوية تحت لواء الحلف :

فقد تم إنشاء الحلف بناء على اقتراح الجزر الكبيرة الثلاث (***خيوس***) و(***ساموس***) و (***لسبوس***) ورحبت أثينة بمثل هذا الاقتراح وقامت بتهيئة جميع الوسائل اللازمة لنجاحه . وفي شتاء (٤٧٨-٤٧٧ق.م) جاء ممثلون عن المدن الحليفة إلى أثينة لإقرار ما اتفق عليه قبلاً بصورة غير رسمية . وقام القائد الأثيني *أريستيدس* (***ARISTIDES***) بالدور الأول في تأسيسه . ويذكر أرسطو في كتابه (***الدستور الأثيني***) بأن الاتحاد كان في زمن الحاكم (***تيموستيس***) (أي في عامي

٤٧٨ ــ ٤٧٧ق.م)، وقد بلغ عدد المدن المنتمية إلى الاتحاد في عام ٤٢٥ق.م أكثر من ٤٠٠ مدينة، كما تبين من السجلات الرسمية القديمة، ولكن في بادىء الأمر لم تكن تزيد على خمس هذا العدد.

٣ ــ المساهمات المالية للحلف:

لقد تم الاتفاق بين الدول المتحالفة، على أن تقدّم كل دولة عدداً معيناً من السفن لتأليف هذا الأسطول الذي يجب أن يحتشد في ميناء (*بيرايوس*) ويكون تحت قيادة أثينة، إلا أن معظم المدن التي انضمت إلى الحلف لم تكن تملك الوسائل الضرورية لصنع السفن وتجهيزها والمحافظة عليها، لذلك تقرر أن تدفع هذه المدن مبلغاً من المال، وأن تقوم أثينة بتقديم السفن عوضاً عنها. ويبدو أن الجزر الكبيرة خيوس وساموس ولسبوس وناكسوس قد تعهدت منذ بادئ الأمر بتجهيز العدد المطلوب من السفن، بينما اختارت المدن الأخرى دفع ما يترتب عليها من المال. ويؤكد *توكوديدس* على ذلك بقوله: (.. *وبعد ذلك قام الأثينيون بتحديد المساهمات اللازمة من مختلف الأطراف في الحرب على الفرس، فقرروا أي الدول التي يتوجب عليها توفير المال، ومن عليها أن تقدّم السفن، وذلك للتعويض مما لحق بهم من خسائر بتدمير المنطقة التي يحتلها ملك فارس، وقام الأثينيون في ذلك الوقت بتعيين أول من عرفوا (بمسؤولي الخزانة الهيللينية) وكان هؤلاء يتسلمون الإتاوات، وهو الاسم الذي سميت به المساهمات المالية، وقد حُدد مبلغ الإتاوة أصلاً بأربعمائة وستين تالانت. وكان مقر خزانة الحلف في ديلوس، أما اجتماعات أعضاء اللجنة فكانت تعقد في المعبد هناك. وكانت القيادة أثينية، إلا أن الحلفاء كانوا من الدول المستقلة أصلاً، وقراراتهم يتخذونها في اجتماع عام*)[1].

ويقول الرواة القدماء، إن *أريستيدس* هو الذي قام بتحديد هذا المبلغ وبيان ما يجب على كل مدينة أن تدفعه. فقد كانوا جميعاً يثقون بنزاهته وعدالة حكمه، ونالت مهمته الاستحسان العام و لم تترك أي مجال للانتقاد أو الاعتراض ويصف

---

١ ــ انظر: توكوديدس ١، ٧، ص ٩٠.

هيرودوت عدالته بقوله: (*وكنت كلما ازددت معرفة بأخبار هذا الرجل أزداد بأنه أفضل وأعدل من أحبتهم أثينة*)[1]. ولذلك يطلق عليه الإغريق وصف *أريستيدس العادل* ويظهر أن *أريستيدس* قد حسب النفقات اللازمة لأسطول مؤلف من ٢٠٠ سفينة أثناء سبعة أشهر من السنة وهي المدة التي تساعد فيها الأحوال الجوية على القيام بالحركات البحرية فتوصل إلى مبلغ (*٤٦٠ تالانتاً*)، ثم بحث بمنتهى ما يمكن من الدقة والحياد في الثروة التي تملكها المدن المنتمية إلى الاتحاد وعلى الأخص قيمة أراضيها العقارية فاستند إلى ذلك عند تحديد حصة كل منها، ومن المحتمل جداً أن يكون *أريستيدس* قد استعان بالتخمينات التي اعتمدها الفرس عند فرض الجزية والتي كانت تقوم أيضاً على أساس قيمة الأراضي.

كذلك تم الاتفاق على أن يعاد النظر في تحديد الحصص المفروضة كل أربع سنوات، وأن يُقتطع العشر من الأموال كحصة للإله، إذ عُثر مؤخراً على قسم كبير من الجداول التي سجلت فيها مبالغ العشر المدفوعة إلى معبد (*ديلوس*). ومن تدقيق هذه السجلات يتبين لنا أن تعديلات كثيرة قد طرأت على مقدار المساهمة المالية لكل مدينة، إما بالنظر إلى أوضاعها الخاصة، أو بسبب زيادة عدد المدن المنتمية إلى الاتحاد. ولكن مجموع المبلغ ظل حتى سنة ٤٢٥ق.م كما حدده *أريستيدس* قريباً من ٤٦٠ تالنتاً رغم التقلبات الاقتصادية وارتفاع الأسعار في مدة الخمسين سنة القادمة[2].

وأنه من الطبيعي أن يكون الاتحاد تحت زعامة أثينة التي تقدّم القسم الأكبر من السفن وتشرف على جمع الأموال وتتولى السلطة التنفيذية. وقد تجلت هذه الزعامة منذ أول تأسيس الاتحاد. فإن الأيونيين هم الذين لجؤوا إلى أثينة وطلبوا إليها استلام القيادة. وكانت الحرب مع الفرس لا تزال مستمرة والحماسة بين الإغريق في آسية الصغرى وجزر بحر إيجة على أشدها، وفي هذه الحالة كانت أثينة تفضل حلفائها المساهمة المالية، وذلك لأنها بهذه الطريقة تستطيع أن تهيئ لسكانها سبل

---

1 - انظر: هيرودوت، الكتاب الثامن، ص ٦١٢.

2 - انظر: محمد كامل عياد، ص ٤١١.

العمل والعيش وأن تنشئ أسطولاً أقرب إلى الانسجام والتجانس كما يسهل جمعه عند الحاجة، وفي الوقت نفسه اعتقدت المدن التي اختارت المساهمة المالية بأنها قد أحسنت صنعاً لأنها تخلصت بذلك من مصاعب ومتاعب جمة وضمنت سلامتها ودون أن تحتاج إلى الاشتراك في القتال، ولكنها أدركت فيما بعد خطأها إذ انقلبت المساهمة المالية إلى جزية (*كما سنرى لاحقاً*) وأخذت أثينة تتصرف بالأموال كما تريد وتستخدم الأسطول لأغراضها الخاصة.

وهكذا أصبحت المسؤولية الأولى في هذا الحلف من نصيب الأثينيين، وارتكزت إدارة شؤونه في أيديهم بقدر نصيبهم من هذه المسؤولية. وقد كانت النتيجة المباشرة لهذا الحلف أن استطاعت أثينة أن تقدم على سلسلة من المعارك والتحركات العسكرية أجبرت الإمبراطورية الفارسية على التراجع عن سيطرتها على الشواطئ الآسيوية لبحر إيجة، كانت أهمها موقعة نهر **يوريميدون** (*EURYMEDON*) في بامفيلية (*PAMPHILIA*) على الشاطئ الجنوبي الغربي من المدن الإغريقية الآسيوية وانضمامها إلى حلف ديلوس.

هكذا تم تأليف الحلف الديلوسي بسرعة لمجابهة الحالة الحرجة بعد الحروب الفارسية دون ملاحظة النتائج التي يمكن أن يؤدي إليها المستقبل، فعرفت أثينة كيف تستفيد منه وتستخدمه لفرض سيطرتها في بلاد الإغريق مدة من الزمن.

خامساً: نفي تميستوكليس وتسلّم كيمون الزعامة:

وفي الوقت الذي كانت فيه أثينة تكرّس زعامتها في الحلف الديلوسي وذلك بالتصدي للقوات الفارسية والانتصار للمدن الأيونية ولاسيما بعد موقعة يوريميدون في بامفيلية في آسية الصغرى التي أدت إلى انضمام كل المدن الأيونية الجنوبية للحلف الديلوسي، بدأت إسبارطة العمل على توكيد سيطرتها على جيرانها بالقوة .. وفي هذه الفترة وجهت إسبارطة تهمة الخيانة والتعامل مع الفرس لملكها (*باوسانياس*) وإدانته وحكمت عليه بالإعدام. ويشرح لنا **توكوديدس** طريقة إعدامه غير المباشرة بقوله (.. *ولما سمع بالخبر، أسرع بالهرب واللجوء إلى معبد إلهة البيت النحاسي القريب من المكان، حيث وجد حجرة صغيرة اختبأ فيها من قسوة المناخ وبعيداً عن العيون. وراح الإيفورات (المراقبون الخمسة) في تلك الأثناء يبحثون عنه،*

ولكنهم أزالوا سقف الحجرة في النهاية أثناء بحثهم، ولما تبينوا وجوده فيها ثبتوا أبواب المعبد وطوقوا المكان بالحراس، وأخذوا بتجويعه. فلما وجدوا أنه بات قاب قوسين أو أدنى من الموت، أخرجوه من المعبد وهو يكاد يلفظ أنفاسه، فلما أخرج مات الرجل. وكان القوم قد عزموا في بادىء الأمر على رمي جثته في الكاياداس، حيث ترمى جثث المجرمين، إلا أنهم قرروا في النهاية دفنه في مكان قريب، ثم أمر إله دلفي بأن ينقل الإسبرطيون قبره إلى المكان الذي مات فيه)[1] .

وفي الوقت نفسه واجه تميستوكليس مهمة مماثلة وجهها إليه زعيما الحزب الأرستقراطي *أريستيدس* العجوز و*كيمون* الشاب اللذان نظراً إلى تميستوكليس على أنه كان لا يرى بأساً لو اقتضى الأمر أن يتعاون مع الفرس حتى يحقق لأثينة الغلبة في بلاد الإغريق، ويبدو أن تميستوكليس أحس بخطر الإدانة التي صدرت مع حكم بمصادرة أملاكه، فالتجأ في سنة ٤٧١ ق.م إلى الفرس ومات في كنفهم عام ٤٤٩ ق.م وهو في سن الخامسة والستين. ويقول توكوديدس (*أن الرجل توفي بسبب مرض أصابه، وأن هناك من يقول إنه آثر الانتحار بالسم حين وجد أنه لن يستطيع إنجاز وعوده للملك الفارسي .. ويقال إن رفاته نقلت حسب وصيته سراً إلى بلده على يد أقاربه ودفن في أتيكة. وكان التزام السرية في هذا ضرورياً، لأن قوانين أتيكة تحظر دفن رفات من نفي من البلد بسبب الخيانة. وهكذا كانت خاتمة باوسانياس الإسبرطي، وتميستوكليس الأثيني وكانا في أيامهما أشهر الناس في بلاد هيلاس*)[2].

وعندما آل الحكم إلى الأرستقراطيين حكم منهم *أريستيدس* الذي توفي بعد فترة وجيزة ثم كيمون (*KIMON*) وكان كيمون الزعيم الجديد للأرستقراطيين رجلاً ثرياً وكريماً اكتسب سمعة طيبة نتيجة كرمه، وكذلك شجاعته في قيادة بعض قطع الأسطول الأثيني إبان الحروب الفارسية، ويبدو أن صداقته مع الإسبرطيين أتاحت له حرية العمل في مجال دعوة بعض المدن إلى الانتساب للحلف الديلوسي .. وفي حين

---

1 . انظر: توكوديدس ١ ، ٩ ، ص ١١٥ .

2 – انظر: نفس المصدر السابق ، ص ١١٩ .

وفق في إقناع بعض المدن بالانتساب أرغم بعضها الآخر علـى ذلـك بالضـغط السياسي أو بقوة السلاح.

سادساً: تحول الحلف الديلوسي إلى إمبراطورية أثينية:

بعد موقعة *يوريميدون* بدأ يظهر اتجاه معين بين بعض أعضاء الحلف آنـذاك، فبمجرد أن شعرت أن الخطر الفارسي بدأ في التراجع، بدأت بعض المدن الإغريقيـة تحس بأن الحلف قد انتهى مسوّغ وجوده، وعجزت عن الاستمرار في تقديم المساهمة المالية وحاولت الخروج منه. وهنا وجدت أثينة نفسها أمام أحد اختيارين:

١ ـ إما أن تساير الاتجاه الجديد وتترك لكل مدينة من المدن المتحالفة أن تترك الحلف وقتما تشاء.

٢ ـ وإما أن تجبر المدن الأعضاء في الحلف على البقاء فيه رغـم إرادتهـا وبتحول بذلك إلى إمبراطورية أثينية ومن ثم تتحول المبالغ التي كانت تسهم بهـا هذه المدن بمحض اختيارها نحو الهدف المشترك إلى ضرائب تدفعها صاغرة لأثينة وتتحول المحالفة إلى تبعية.

وقد تبنت أثينة هذا الاختيار الأخير وكان المثل الأول لتطبيقه حين خرجـت جزيرتا (*ناكسوس وتاسوس*) سنة ٤٦٤ق.م راغبتين في الانفصال وقامت أثينـة بقمع التمرد بالقوة وحوّلت الجزيرتين إلى مستعمرتين خاضعتين مباشـرة لحكومـة أثينة. ويقول *توكوديدس* في ثورة ناكسوس: (*.. بعد هذه الواقعة انسحبت ناكسوس من الحلف، فشن عليها الأثينيون الحرب وحاصروها وأجبروها علـى العودة إلى الحلف. وكان ذلك أول خرق لدستور الحلف وخسارة مدينة حليفة لاستقلالها، وتكررت العملية مع حلفاء آخرين في ظروف أخـرى، والأسـباب الرئيسية لهذه الثورات هي العجز عن تقديم المساهمة الماليـة المعينـة أو السـفن المحددة، أحياناً رفض تقديم أي سفينة البتة، ذلك أن الأثينيين كانوا يصرّون علـى الوفاء بالالتزامات، وكانوا يثيرون على أنفسهم النقمة بما يمارسونه مـن ضـغط على حلفاء لم يألفوا البذل والتضحية، بل لا يرغبون في ذلك*)[1].

---

[1] ـ انظر: نفس المصدر السابق، ١، ٨، ص ٩٢.

ويرجع *توكوديدس* سبب ثورة *تاسوس* إلى سبب اقتصادي، وهو النزاع على الأسواق وسيطرة أثينة على المنجم الذي تملكه *تاسوس* فيقول: (*وبعد حين قامت ثورة تاسوس، وسببها نزاع على الأسواق في البر الرئيسي قبالة تراقية، والمنجم الذي يسيطر عليه التاسيون، فأبحر الأثينيون إلى تاسوس بأسطولهم وحققوا فوزاً في معركة بحرية، ونزلت قواتهم على أرض الجزيرة .. وفي تلك الأثناء ناشد أهل تاسوس الذين هزموا في المعركة وأصبحوا الآن تحت الحصار إسبارطة أن تمد لهم يد العون بغزو أتيكة . ولقد تعهد الإسبرطيون بالمعونة دون أن يخطروا أثينة بنواياهم ، لولا أن اعترضهم الزلزال في بلادهم وعصيان الهيلوت- أرقاء إسبارطة- وبعض البريكوي ..واضطر التاسيون في السنة الثالثة من الحصار لقبول شروط الأثينيين من تدمير الأسوار التي أقاموها وتسليم أسطولهم، ثم فُرض عليهم دفع التعويض فوراً جزاء ما تجشمه أصحاب الحملة، فضلاً عن الإتاوة مستقبلاً، كما قضي بأن يتنازلوا عن حقوقهم في البر الرئيسي وتسليم المنجم أيضاً*)[1].

ومن جهة أخرى يعلل *توكوديدس* أسباب هذه الثورات إلى الحلفاء نفسهم فيما إذا هم رغبوا في الانسحاب من الحلف وعدم استطاعتهم تحقيق ذلك بسبب قوة أثينة وإعادة هؤلاء بالقوة إلى حظيرتها الإمبراطورية بقوله: (*ولكن الذنب في هذا يقع على الحلفاء نفسهم، لأن معظم تلك الدول، بسبب تخاذلها عن مواجهة أعباء الخدمة العسكرية، عمدت إلى رصد الأموال وبذلها بدلاً من تقديم السفن . وكان من نتيجة ذلك أن تضخم الأسطول الأثيني على حساب تلك الدول، فإذا أعلنت العصيان وجدت نفسها في المواجهة قليلة السلاح والخبرة في خوض الحروب*)[2] .

وإمعاناً في التحدي قامت أثينة أيضاً بنقل خزانة الحلف (*التي كانت قد نقلت في فترة سابقة من دلفي إلى ديلوس*) من ديلوس إلى أثينة متذرعة بأسباب

---

1 - انظر: المصدر السابق ، ص ٩٣ .

2 - انظر: نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ .

أمنية ، وبدأت في تحويل أراضي بعض الحلفاء إلى إقطاعيات تسوزع على الأسر الأثينية، ثم فرضت إجراءات التقاضي أمام محاكم أثينية فقط، إضافة إلى محاولتها فرض الدستور الديمقراطي بكل صوره الأثينية. وقد كان هناك أكثر من سبب لإغراء أثينة باتخاذ هذا الاتجاه الإمبراطوري، ومنها أن بعض المدن المتحالفة قد شعرت بانحسار الخطر الفارسي، إلا أن هذا الخطر لم يكن قد اختفى نهائياً، فالإمبراطورية الفارسية كانت لا تزال تملك أسطولاً كبيراً يمكن أن يعود في أي لحظة لتهديد المدن الإغريقية. وفي الواقع فإن آخر المعارك بين الأثينيين والفرس قد نشبت على شواطئ جزيرة قبرص في ٤٥٠- ٤٤٩ ق.م. ومن جهة أخرى فإن أسباباً داخلية كانت تدفع الأثينيين إلى الإبقاء على مدن الحلف تحت سيطرتها ولو كان معنى هذا تحوله إلى إمبراطورية، فأثينة كانت قد أصبحت مدينة كبيرة منذ تكوين حلف ديلوس بعد أن تركز في يديها القسم الأكبر من تجارة بحر إيجة، وبعد أن ازدهر فيها عدد من الصناعات اللازمة لتزويد نشاطها التجاري الواسع بالسلع اللازمة له.. كذلك تزايد عدد سكانها بشكل واضح بعد أن اجتذب نشاطها التجاري والصناعي عدداً كبيراً من الأجانب (*METOIKOI*) الذين استقروا فيها تحت إغراء ما يمكن بأن يحققوه من ثراء وراء الاشتراك في ممارسة هذا النشاط، كما زاد عدد العبيد الذين كانوا يعملون في المشروعات الخاصة والعامة .. وأمام هذه الظروف فإن أي فرصة لانفضاض الحلف عن أثينة كان معناه في الحقيقة ضياع ما حققته من ازدهار تجاري وصناعي، بل ربما أدى هذا الضياع إلى نتائج اجتماعية وخيمة على مستوى السياسة الداخلية واستقرار المدينة السياسي، وبات لفترة وجيزة أن هذا التضارب في وجهات النظر والمصالح بين أثينة ومدن الحلف سيؤدي بالضرورة إلى صراع داخلي قاتل لولا ظهور الزعيم الأثيني البارز بريكلس في الوقت المناسب.

سابعاً: فشل كيمون وظهور بريكلس:

وحدث في أعقاب الزلزال العنيف الذي ألحق بإسبارطة أضراراً كبيرة في عام ٤٦٣- ٤٦٢ ق.م، أن انتهزت طبقة المستعبدين (*الهيلوت*) فيها هذه الفرصة وقامت بصورة لم يستطع الإسبرطيون التصدي لها بقوة مناسبة، فطلبوا النجدة من

أثينة ولكن الحزب الديمقراطي رفض الموافقة على هذا الطلب، ووجد كيمون في طلب إسبارطة الفرصة سانحة للبرهنة على منافع التعاون بين أكبر مدينتين إغريقيتين وقال (***إن بلاد الإغريق لا ينبغي أن تعيش عرجاء، وأن أثينة لا يمكن أن تترك الهلاك يمزق زميلتها إسبارطة التي شاركتها كفاحها من أجل حرية بلاد الإغريق***) وكان على رأس الحزب الديمقراطي الزعيم ***إفيالتيس*** (***EPHIALTES***) الذي قال بعكس هذا (***إنه يجب أن نترك إسبارطة ليتمرغ أنفها في التراب حتى لا تعود إلى مناوئة مشاريع أثينة***) ومع هذا استطاع كيمون أن يحصل على موافقة مجلس الشعب وعلى كره منه، أن يذهب على رأس حملة عسكرية أثينية قواها ٤٠٠ رجل لنجدة إسبارطة، وللأسف لم تستطع هذه الحملة أن تحقق شيئاً لأن الإسبرطيين لم يأمنوا للأثينيين وارتابوا منهم حتى وهم يريدون لهم الخير، وبلغ من سوء ظنهم بحملة كيمون العسكرية أن عادوا إلى أثينة ساخطين ناقمين، ورداً على تلك الإهانة قام الأثينيون بإيواء الفارين من حكم إسبارطة ورعايتهم ووطّنوهم في منطقة قريبة من أثينة.

وانتهز خصوم كيمون السياسيين فرصة فشل الحملة الأثينية، وضخّموا كثيراً حجم الإهانة التي ألحقت بالكرامة الأثينية، وراحوا يكيلون التهم جزافاً لكيمون وسياسته، وقاد هذه الحملة الدعائية شاب يدعى (***إفيالتيس***) وصديق له يدعى بريكلس (***PEREKLES***) الذي أراد أن يصل إلى مركز الزعامة في الحياة الأثينية، فانضم إلى الحزب الديمقراطي وأقام دعوى الاتهام ضد كيمون[1]، وكان بريكلس في هذه الفترة على درجة من القوة تسمح له بالتأثير على سير الأمور في أثينة، لأن رئاسة الحزب الديمقراطي كانت لصديقه (***إفيالتيس***) صاحب الشخصية القوية الذي كان يدفع بريكلس إلى العمل، والذي قام بهجوم عنيف على مجلس الشيوخ القديم (***الأريوباجوس***) الأرستقراطي، ووجه تهماً شنيعة إلى الكثيرين من أعضائه وأمر بإعدام بعضهم[2]، وفي الوقت نفسه كان يهتم في تدعيم قوة المجالس الشعبية الديمقراطية، وتحطيم القوى الأرستقراطية الأثينية. وكان من نتيجة حملتهما أن أيد

1- HARRISON R . W : THE LAW OF ATHENES , 1986 , P. 66 .

2 - انظر: أرسطو، الدستور الأثيني ٢٥ .

الأثينيون في سنة ٤٦٢ / ٤٦١ ق.م، اقتراحاً بنفي كيمون الذي فشل في الدفاع عن نفسه، وقبل بنفيه من أثينة طبقاً لقانون النفي السياسي مما ألحق الهزيمة بأعضاء الحزب الأرستقراطي الذين لم يؤمنوا بهذه النتيجة، وعجزوا عن شراء ضمير *إفيالتيس*، فسلّطوا عليه من اغتاله في عام ٤٦١ ق.م، وتسلّم زمام الأمور لمدة ثلاثين سنة تالية لرجل أثينة القوي بريكلس (٤٩٥- ٤٢٩ ق.م).

ثامناً: إصلاحات بريكلس:

يبدو أن *بريكلس* كان قد اتفق مع صديقه *إفيالتيس* قبل موته على خطة إصلاحية تعطي المزيد من الديمقراطية للشعب، وذلك بالدعوة إلى تحقيق مبدأ سياسي جديد يتجاوز مبدأ (*المساواة السياسية*) (*ISONOMIA*) حسب دستور كليسثنيس- إلى مبدأ سيادة الأكثرية أو (*حكم الشعب*) (*DEMOKRATIA*) وبعد سلسلة من الاجتماعات والخطب أمام كل من مجلس الخمسمائة والجمعية الشعبية تمكنا من تطبيق هذه الدعوة ٤٦٢ /٤٦١ ق.م، وهذا ما توحي به السرعة التي تم فيها إعلان برنامجه الإصلاحي بعد تسلّمه السلطة مباشرة ، وقد شمل برنامج بريكلس الإصلاحي خمس نقاط رئيسية :

١ ــ *إصدار تشريع جديد يسلب الأريوباجوس اختصاصاته السياسية والقضائية كلّها، التي كانت تمكنه من الهيمنة والإشراف على الدولة وتوزيعها بين مجلس الخمسمائة (البولي) ، والجمعية الشعبية (الإكليزيا)، والمحاكم الشعبية (هليايا)*[1] .

٢ ــ *دفع أجور من الأموال العامة لمن ينخرطون في سلك الخدمة العسكرية، وتخصيص أبولتين من أموال الدولة من كل عام لكل مواطن من مواطنيها يؤديها أجراً لدخوله لمشاهدة ما يعرض من المسرحيات والألعاب في الأعياد العامة، حتى لا تبقى هذه المسرحيات والألعاب ترفاً تختص به الطبقة العليا والوسطى، وهدف بركليس جراء ذلك إلى رفع المستوى الفكري والعقلي للمواطنين جميعاً .*

---

[1] - انظر: نفس المصدر السابق .

٣ ـــ إدخال نظام المكافأة أو الأجر أو التعويض (MISTHOS) إلى أعضاء المحاكم الشعبية (HELIAEA) ثم على حضور جلسات مجلس (البولي) وعلى شغل الوظائف الإدارية ، وقد بلغت أجرة واحدة من هذه الوظائف (٢ ـــ ٣ أوبول) يومياً[1]، وكانت تعادل نصف الحد الأدنى لما كان يكسبه الأثيني في ذلك الوقت[2] .

وعلى هذا الأساس فإن بركليس جعل نظام المحلفين نظاماً ديمقراطياً تاماً ، وذلك لأنه أصبح في متناول أفقر الناس أن ينتظم في سلك المحلفين . والواقع أن المحلف كان عادة من المتقدمين في السن ، فجاء اقتراح بركليس بأن تُدفع لهم أجور بمنزلة نوع من رواتب التقاعد لسن الشيخوخة .

٤ ـــ توسيع القاعدة الشعبية للحكم أو لمنصب الأرخون ، ويتمثل ذلك في منح الطبقة الثالثة (ZEUGITAE) (الذين كان دخلهم السنوي يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ مدمن) حق الترشيح لمناصب الأراخنة التسعة ، بعد أن كان قاصراً على الطبقتين الأولى والثانية فقط[3] . وقد كانت هذه الخطوة هي الأخرى ، خطوة إلى الأمام دون شك في طريق استكمال نظام الحكم الشعبي (الديمقراطي) وإذا أخذنا بالحسبان أن كتائب المشاة الثقيلة (HOPLITES) وهي عصب القوات الأثينية المحاربة ، كانت من بين صفوف هذه الطبقة الثالثة ، فإن سن هذا القانون أصبح يشكل في الحقيقة نوعاً من المساواة أو التعادل بين الواجب الذي كان ملقى على عاتق هذه الطبقة والحق الذي حصلوا عليه[4] .

٥ ـــ حصر حق الانتخاب على المواطنين الذين يثبتون مواطنيتهم الأثينية من ناحية الأب والأم (أي أن يكون الأب والأم مواطنين أثينيين) وكان بركليس قد قصد جراء هذا القانون إعطاء قيمة كبيرة لأهمية الجنسية الأثينية أمام الناس، ومن جهة أخرى عدم تشجيع الزواج بين الأثينيين والأجانب، والإقلال من عدد

---

[1] – كل ٦ أوبول تساوي دراخمة واحدة . ثم انظر : أرسطو، الدستور الأثيني ٢٧ / ٢ ـــ ٤ .

[2]- GLOTZ G : THE GREEK CITY . LONDON 1929 . P . 241 .

[3] – انظر : أرسطو: الدستور الأثيني ٢٦ / ٢ ـــ ٣ .

[4] – انظر : ول ديورانت، قصة الحضارة، تاريخ اليونان، ص ١٤ .

الأجر غير الشرعيين . وقد أسفر هذا الإجراء عن شطب خمسة آلاف اسم من قوائم المقترعين .

ونحن نستطيع أن نقدّر القيمة الحقيقية لخطوات دفع الأجور، إذا عرفنا أن الأثينيين كانوا يقومون بدورهم في هذه المؤسسات كخدمة عامة بحكم كونهم مواطنين دون أن يتقاضوا عليها أجراً، وقد كان معنى هذا أن المواطنين من الطبقة الثرية هم الذين كانوا يشتركون في هذه الجلسات أو الوظائف ، بينما كان الفقراء من المواطنين ينصرفون عن ذلك إلى حد كبير بحكم سعيهم اليومي وراء تحصيل ضرورات حياتهم ، ومن ثم كان التطبيق الديمقراطي (*الشعبي*) في حقيقته تطبيقاً طبقياً . أما بعد إدخال نظام المكافأة فقد تمكن عدد من غير الطبقة الثرية من تأدية دورهم بالاشتراك في هذه المؤسسات، واقترب بذلك النظام الديمقراطي من جانب الممارسة الفعلية على الصعيد الشعبي إلى حد كبير .

نتيجة لكل هذه التطورات استكمل الدستور الأثيني إطاره الديمقراطي الحقيقي، وأصبحت مقاليد السياسة والحكم ممثلة في مجلس الخمسمائة (*البولي*) والجمعية الشعبية (*الإكليزيا*) التي تضم جميع المواطنين فوق سن الثمانية عشر عاماً، والمحاكم الشعبية (*هيليايا*) . أما مجلس (*الأريوباجوس*) الذي كانت له السيادة زمن حكم الأقلية، فقد تقلص دوره في الدولة كما سبق أن رأينا وأصبح قاصراً على النظر في بعض القضايا الدينية، *أما السيادة الكاملة فأصبحت بيد الجمعية الشعبية ، لا يقيدها إلا ما تلتزم به من الإحساس بالمسؤولية في حدود القانون العام* ، ورغم أن مجلس الخمسمائة كان المسؤول عن إقرار وإعداد جدول أعمال الجمعية الشعبية، فلا ننسى أن مجلس (*الخمسمائة*) مختار أصلاً من الجمعية الشعبية كما تطورت على أيدي إفيالتيس وبريكلس أصبحت مصادر جميع السلطات .

وسرعان ما اكتسب هذا الوضع الديمقراطي الجديد شعبية ومكانة قوية للغاية، وأصبحت الكثرة الغالبة من الأثينيين يعتزون كل الاعتزاز بما أحرزوه من ديمقراطية فريدة من نوعها حتى ذلك الوقت، رغم استمرار حزب الأقلية في مقاومتها وانتقادها، ويدعون إلى العودة إلى دستور كليستنيس . . وبينما نجد الشاعر

إيسخيلوس يؤكد مسؤولية ومكانة الأريوباجوس[1]، كان الشاعر الكوميدي *بلاتون* يقول: (*إن إفيالتيس قدّم للمواطنين كأساً مترعة من شراب الحرية الخالصة*)[2]. أما الشاعر التراجيدي *سوفوكليس*، الذي كان صديقاً شخصياً لبريكلس، فكان واضح الانتصار للديمقراطية. ويتجلى هذا الحوار الذي عقده بين *هيمون* ووالده الملك *كريون* في مسرحية (*أنتيجونة*)، في هذا الحوار يعارض هيمون والده وينتقده انتقاداً حاداً، فيقول (الأسطر ٦٨٣ -٦٨٤) :

هيمون : أبي ، لقد خصت الآلهة الإنسان بالعقل .

وهو أسمى من جميع كنوز الأرض .

ثم يتحول إلى نقد موقف والده مباشرة (أسطر ٧٠٥ ــ ٧٠٩) .

هيمون : والآن لا تدع خاطراً - تراءى لك - يستبد بك

معتقداً أنه وحده هو الصواب دون سواه .

فلو أن شخصاً ظنّ أنه صاحب الفكر الصواب

وأنه وحده له عقل ولسان فوق سائر الناس

أمثال هذا الشخص ، متى انكشف سترهم ، تكشّف عن فراغ

وإني أرى أن خير ما يتميز به الإنسان

أن يكون سديد الرأي في كل الأحوال

ثم يمتد الحوار (٧٣٣ ــ ٧٣٩) .

هيمون: إن الشعب في هذه الدولة (*طيبة*) يعارضك.

كريون: وهل ستملي المدينة عليّ ما يجب أن أعمل .

هيمون: ألا ترى أنك بقولك هذا تبدو كشاب حدث.

كريون : أليست الدولة لمن يحكمها .

---

1 - انظر: إيسخيلوس، ربّات الانتقام (EUMENIDES) ٥٢٦، ٦٩٩، ٩٧٧ .

2 - انظر: بلوتارخوس، بريكلس ٧ .

هيبيون: ما أسعدك من حاكم منفرد في أرض بلا ناس .

واستناداً إلى هذه المبادئ الجديدة، فإننا نرى أن الديمقراطية في عهد بركليس قد تعمقت في أفكارها وقوانينها، وتوطدت أركانها على أسس متينة وصلبة، وقويت شوكتها وأصبحت الطبقة الدنيا هي مصدر السلطة والحكم وتولت قيادة المجتمع والدولة. ولهذه الأسباب جميعاً فإن حكمة الأثينيين كانت تقضي بهم إلى أن ينتخبوا بركليس قائداً لهم لمدة ثلاثين عاماً ٤٦١- ٤٢٩ ق.م أو أكثر، ويجددون انتخابه - ما عدا فترات قصيرة- ليكون واحداً من مجلس القادة العشرة الذي كان بمثابة الهيئة التنفيذية الرئيسة في أثينة، وكان بقاؤه في منصبه هذه المدة الطويلة نسبياً مما جعله صاحب السلطة العليا في المجلس العسكري وأرفعها شأناً وأعظمها سلطاناً، وحصلت أثينة في عهده على فوائد الحكم الأرستقراطي والسيدكناتوري مع جميع مزايا الديمقراطية الحقة، *فقد استأثرت أخلاقه الرفيعة، وشخصيته المحترمة، وبلاغته المؤثرة، وحكمته ونزاهته، بمحبة المواطنين له*. فإنه بقوة شخصيته، وبعمق اختباره في أثناء تمرسه بمنصبه في مجلس القادة العشرة، استطاع أن يتحكم بمقدرات أثينة في مدة الثلاثين عاماً التي كانت من أخطر الفترات في تاريخ أثينة. *وكان وجوده برهاناً يثبت به التاريخ المبدأ القائل، أن خير وسيلة لتنفيذ الإصلاحات القائمة على أسس الحرية وأضمن الطرق لتثبيت هذه الإصلاحات وتقوية دعائمها، هي أن يتولاها زعيم حكيم معتدل يستمتع بتأييد الشعب. ومن أجل ذلك بلغت الحضارة اليونانية أعلى درجاتها حين نمت الديمقراطية نمواً يكفي لأن يكسبها قوة وتعدداً في نواحي نشاطها، وبقي فيها من الأرستقراطية ما يكسبها حسن النظام وسلامة الذوق.*

الفصل الخامس عشر

أثينة
في عصر بريكلس

تمهيد :

ينحدر بريكلس (٤٩٥ ــ ٤٢٩ ق.م) من أسرة أثينية ثرية عملت في السياسة فترة طويلة، فوالده *اكسانتيبوس* (*XANTHIPPUS*) ممن حاربوا في معركة سلاميس، وقد تولى قيادة الأسطول الأثيني في معركة (ميكالي) ووالدته *أجاريستا* (*AGARISTA*) حفيدة المصلح كليستنيس، ولهذا فإن نسبه من جهة والدته يتصل بأسرة آل الكميون القديمة. ويقول **هيرودوت**: (*ولما قرب يوم مولده، حلمت والدته بأنها ستلد أسدًا*)[1]. وبعد ذلك ببضعة أيام أنجبت بريكلس. وقد تلقى بريكلس تعليمه العام وتخصص في الفلسفة على يد أستاذه وصديقه (*أنكساغوراس*)، وتثقف في أثناء نموه بثقافة العصر الذهبي في أثينة (*القرن الخامس ق.م*) حيث جمع في ثقافته وسياسته جميع نواحي الحضارة الأثينية، الاقتصادية، والعسكرية، والأدبية، والفنية، والفلسفية. **وبحسب المؤرخ الشهير ول ديورانت**، *انه كان أكمل إنسان أنجبته بلاد الإغريق على وجه الإطلاق*[2]. ويقول المؤرخ الإغريقي **توكوديدس** الشهير في صدقه ونزاهة أقواله في **بريكلس** (.. *بأنه كان القيّم على شؤون الدولة، يتولاها بحكمة ويرعاها بحزم، وفي عهده بلغت أثينة ذروة عظمتها .. وكان بحكم منصبه وذكائه ونزاهته المشهودة يحفظ للناس حريتهم ويلزمهم بالحدود في الوقت نفسه، فقد كان هو الذي يقودهم، وليس العكس، وبما أنه لم يكن يسعى إلى السلطة لغرض في نفسه، فلم يسع إلى تملقهم، بل الحق أنه كان يحظى بقدر من الاحترام كان يسمح له بأن يُثقل عليهم بالكلام ويعارضهم في*

---

1 – انظر : هيرودوت ، الكتاب السادس ، ص ٤٨٢ .

2 – انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، حياة اليونان ، ص ١١ .

آرائهم. والحق كذلك أنه كان يملك أن ينبه القوم إلى الأخطار المحدقة بهم، حين يراهم قد اشتطوا في الثقة بالنفس، أما إذا أصابهم الإحباط دون سبب معقول فكانت لديه المقدرة لإعادة الثقة إلى نفوسهم. وهكذا كانت السلطة فعلاً — فيما هو اسمٌ بلد ديمقراطي — بيد المواطن الأول بريكلس)(توكوديدس،٢،٦٥، ص ١٨٠) وقد أطلق عليه المؤرخون والشعراء الإغريق اسم (*الأولمبي*) أي الفصيح اللسان كونه برع في أدب الخطابة، *وكان أحد أشهر خطباء الإغريق على الإطلاق*، فلم تسمع أثينة قبله مثل فصاحة خطبه في قوتها وعظيم تأثيرها، حيث كانت خالية من الانفعال، وتتأثر بها العقول المستنيرة، ولم يكن نفوذه مستمداً من ذكائه فحسب، بل كان مستمداً كذلك من صلاحه واستقامته، فكان بلا جدال مبرأ من جميع ضروب الفساد وأكبر من أن يهتم بالمال، حيث لم يضف طوال حياته العامة شيئاً ما إلى ما ورثه من والده[1].

كان بريكلس يتمتع بشخصية محببة وطاغية في آن واحد، *وقد تمكن بقوة شخصيته، وطلاقة لسانه، وقوة حجته، ونظافة يده*، من تدعيم مركزه كرجل دولة خلال فترة السلم التي استمرت ٤٤٥- ٤٣١ ق.م، وخلال هذه الفترة عمل *بريكلس* على تدعيم قوة أثينة البحرية والبرية تمهيداً لإنشاء الإمبراطورية الأثينية الأولى تحت زعامته، وكان في الحقيقة لا ينفي نواياه الاستعمارية، بل يصرّح بها مما ألّب عليه وعلى سياسته عدداً كبيراً من الأفراد والمدن في بلاد الإغريق، وكرّس محبته بين الأثينيين ذوي الميول الاستعمارية، *وحققت أثينة في عهده مزية التمتع بفوائد الحكم الأرستقراطي والدكتاتوري مع جميع مزايا الديمقراطية*. ونظراً لصعوبة إجمال كل إنجازات بريكلس في المجالات المتعددة، فسنكتفي في هذه العجالة بالتعرض إلى أهمها وأبرز مظاهرها،

أولاً — الحياة السياسية:

في هذه الدراسة نحاول أن نقدم عرضاً موجزاً لنمو وتطور التجربة الديمقراطية الأثينية وبياناً بأهم المعالم التي استقر عليها ذلك التنظيم الديمقراطي وأسلوب ممارسته

[1] – انظر : نفس المرجع السابق ، ص ١٢ ؛

وتطبيقه بنجاح، مما أقنع الأثينيين بالتمسك به، رغم ما اعترضه من أزمات وما حدثت من أخطاء ورغم اعتراضات المعترضين، وقد نتساءل عن السر في تمسك الشعب الأثيني بنظامه الديمقراطي ؟ *ولعل الإجابة الصحيحة هذا النظام الديمقراطي أنه حقق للأثينيين مبدأ سيادة القانون بدرجة لم تبلغها أي من النظم الأخرى*، وكان الديمقراطيون يعتزون بتلك (*القوانين*) كل الاعتزاز لأنهم عدّوا أن الديمقراطية هي سيادة القوانين التي ارتضاها الشعب لنفسه حيث كان هناك مبدآن أساسيان استقرت عليهما الديمقراطية الأثينية :

الأول: هو أن السيادة السياسية كانت بيد الشعب مجتمعاً في الجمعية الشعبية وهي (الإكليزيا) أي (مجلس الشعب في عصرنا الحاضر) فالإكليزيا هي مصدر السلطات كما نقول اليوم، ومنها تصدر جميع القوانين وفيها تتخذ جميع القرارات السياسية في كل ما يهم المجتمع في السلم والحرب على السواء.

الثاني: هو قاعدة استخدام القرعة في التعيين لمعظم المناصب والأعباء العامة في الدولة، وقد تمسك بها الأثينيون لأنها تحقق أعلى درجة من المساواة بين جميع المواطنين وأفضل من نظام الانتخاب، الذي عدّ مبدأ أرستقراطياً بقدر ما كانت القرعة مبدأ ديمقراطياً .

أما بالنسبة لجميع المناصب التي يعين أصحابها بالقرعة أو بالانتخاب فقد تضمن القانون عدداً من الشروط ضماناً لحسن سير الإدارة والعمل في الدولة وهي كما يلي:

١ ــ ألا يقل سن من يتقدم لأي منصب أو مسؤولية عن ثلاثين عاماً، وحتى يتمكن فقراء المواطنين من التفرغ لشؤون الدولة، تقرر صرف إعانة مالية بدأت على يد بريكليس وتُقدر في المتوسط بنحو دراخمة واحدة في اليوم .

٢ ــ إن كل شخص يتقدم لتولي مسؤولية عامة، كان يتعرض لفحص واختبار شخصي أمام لجنة مختارة بالقرعة من مجلس الخمسمائة (البولي) أي مجلس الشورى، للتأكد من سلامة ماضيه وصلاحيته للمسؤولية التي يتقدم لها، وكان قرارهم في ذلك نهائياً .

٣ ــ بعد إجراء القرعة يصبح صاحب المنصب عرضة للمساءلة والعزل بقرار من الإكليزيا إذا ما ثبت تقصيره أو انحرافه، وكانت الإكليزيا تنعقد لهذا الغرض عشر مرات في السنة .

٤ ــ إن مدة تولي أي منصب كانت سنة واحدة، ولا يجوز تولي أي منصب أكثر من مرتين والمساءلة عن كل أعماله كما تخضع أملاكه وأمواله للمحاسبة أمام الإكليزيا أو المحاكم الشعبية إذا كان قد صدر عنه تقصير أو سوء استغلال للمنصب، حتى أعضاء المحاكم الشعبية من القضاة الذين يتركون مناصبهم كان عليهم أن يقدموا إلى المجلس تقريراً عن أعمالهم الرسمية، ولم تكن تنتهي مسؤوليتهم حتى يمروا في هذه المرحلة، وهذه تعتبر رقابة أخرى على الإدارة، ولم يكن يسمح لهم بمغادرة أثينة أو بيع ممتلكاتهم حتى تتم هذه الإجراءات[1]. ومن ذلك يتضح أنه من المستبعد أن يجرؤ مواطن غير أهل للمسؤولية على أن يعرّض نفسه لكل هذه المخاطر .

وإذا انتقلنا إلى الهيئة الأولى ذات السيادة في الدولة، وهي الإكليزيا أو الجمعية الشعبية(مجلس الشعب)، فيجب أن نتذكر دائماً أن الأثينيين مارسوا ما يطلق عليه اسم الديمقراطية المباشرة، وليست الديمقراطية التمثيلية الممارسة الآن، كما يُعد في أثينة كل مواطن أثيني من الذكور من سن الثمانية عشر عاماً، عضواً في الإكليزيا طوال حياته، ويقدر عددهم بنحو خمس وثلاثين ألف تقريباً في أوج مجد أثينة في القرن الخامس ق.م، ولكن هذا الرقم تناقص كثيراً فيما يبدو بعد ذلك طوال القرن الرابع ق.م، ولكن لا نستطيع أن نقطع بعدد المواطنين الذين كانوا يشهدون فعلاً اجتماعات الإكليزيا التي كانت محددة قانوناً بعدد أربع جلسات في كل فترة رئاسة من أصل عشر فترات رئاسية، وهكذا يصبح هناك أربعون اجتماعاً عادياً في السنة، هذا بالإضافة إلى الاجتماعات غير العادية في الظروف الطارئة سواء التي تتعلق بشؤون السياسة الداخلية أم الخارجية، وهكذا يمكن أن نقول إن الإكليزيا انعقدت مرة كل أسبوع تقريباً، مما يضع عبئاً على مواطنين يلتزمون بأعمال خارج مدينة

---

[1] – انظر: مصطفى العبادي، *ديمقراطية الأثينيين*، ص ١٠٣، ثم كيتو، *الإغريق*، ص ١٦٤ ثم:
JONES ATHENIAN DEMOCRACY.BLACKWELL,OXFORD 1966, P 48 . . A . M

أثينة، وقد لا تحتمل التأجيل، ولا سيما أن القانون ترك للأفراد حرية الحضور ومن المحتمل أن كثيرين من المواطنين لم ينتظموا في حضور جميع الجلسات التي تناقش فيها أمور لا تهمهم .. بطبيعة الحال يشتد الحضور عند مناقشة الموضوعات التي تهم الرأي العام، ونظراً لاحتمالات عدم الحضور الكافي أحياناً تقرر اشتراط حضور ستة آلاف مواطن على الأقل في حالات معينة مثل قرارات النفي السياسي (*OSTRAKISMOS*) ومنح المواطنة والإعفاء من الضرائب في بعض الظروف[1] .

ومن هنا يمكننا القول، إن الديمقراطية الأثينية بلغت قولها وحققت سيادتها على الدولة، وأن ما حدث في عام ٤٦٢ق.م تحت زعامة زعيما الديمقراطية (*افيالتيس وبريكليس*) واستمر بعد ذلك، كان ثورة دستورية ليس لها مثيل في التجربة الإنسانية قبل ذلك، فلم يسبق أن منح مجتمع جميع مواطنيه المساواة السياسية المطلقة في الحقوق والواجبات بصرف النظر عن النسب أو الثروة أو درجة التعليم أو نحوها مما يؤثر على وضع الفرد في المجتمع، ويتجلى تطبيق مبدأ المساواة في وضع واعتماد سياسة الدولة في ثلاثة مجالات أساسية هي :

أ ــ حق كل مواطن في مناقشة جميع شؤون الدولة والتصويت عليها في الإكليزيا .

ب ــ طريقة تكوين مجلس الشورى (البولي) من خمسمائة عضو يُختارون بطريق القرعة .

ج ــ طريقة تكوين المحاكم الشعبية بطريق القرعة أيضاً .

وكانت (*الإكليزيا*) تُعقد في مكان نصف دائري يدعى البنكس (*PNYX*) وكان الأعضاء في هذه الحالات كلها يجلسون على مقاعد مكشوفة للسماء وتبدأ الجلسات عند مطلع الفجر، ويُفتتح كل دور اجتماع بنحر الأضاحي وطلب حماية الآلهة، وعندما يجلس الجميع ينادي أحد الكهنة قائلاً (*اصمتوا الصمت الديني، ادعوا الآلهة والآلهات لكي يتم كل شيء في هذا المجمع على خير وجه للمنفعة العامة لأثينة ولسعادة المواطنين*)، ثم يجيب الشعب أو فرد ما بالنيابة عنه، (*تدعو الآلهة*

---

[1] – انظر : بلوتارخوس ، أريستيدس ٧ ، ديموستينس ٥٩ / ٨٩ ، ٢٤ / ٥ ــ ٤٦ .

لكي تحمي المدينة، ليتغلب رأي أكثرنا حكمة، ليُلعن من يعطينا نصائح سوء ومن يدّعي تغيير القرارات والقوانين، أو من يكشف أسوارنا للعدو)[1] .

وكان المعتاد أن يفتتح رئيس الجمعية (*أي رئيس مجلس الشعب*) دور انعقادها بعرض تقرير مشروع القرار المنوي اتخاذه كفرض ضريبة مالية على الشعب (*علماً أنه كان يُمنع منعاً باتاً فرض أي ضريبة مالية على الشعب إلا بعد موافقة المجلس*) وينادي رئيس المجلس (*من يريد الكلام ؟*) ويصعد الخطباء المنبر بترتيب السن، وفي استطاعة كل فرد أن يتكلم من غير تمييز ناتج عن الثروة أو المهنة، *ولكن على شرط أن يكون قد أثبت أنه متمتع بالحقوق السياسية، وأنه لم يكن مديناً للدولة، وأن أخلاقه طاهرة، ومتزوج زواجاً شرعياً، ويملك عقاراً في أتيكة، وأدى جميع واجباته تجاه والديه، واشترك في جميع الحملات الحربية التي أُمر بالاشتراك فيها، ولم يلقِ ترسه في أي قتال* [2].

وكان الخطباء المدربون وحدهم هم الذين كانوا يستخدمون حق الكلام لأنه لم يكن من السهل حمل الجمعية على الإصغاء للمتكلمين، فقد كانت تضحك من الخطأ في نطق الألفاظ، وتحتج بصوت عالٍ على الخروج عن موضوع النقاش، وتعبر عن موافقتها بالصراخ الشديد، والصفير والتصفيق باليدين، وعن عدم موافقتها التامة بإحداث جلبة شديدة تضطر المتكلم إلى النزول عن المنصة. وكان يُحدد لكل متكلم وقت معين لا يتجاوزه يقاس مداه بساعة مائية، وكانت طريقة الاقتراع برفع الأيدي، إلا إذا كان للاقتراح المعروض أثر خاص مباشر في شخص ما، وفي هذه الحال يكون الاقتراع سرياً، وكان من حق المقترع أن يؤيد تقرير المجلس على المشروع المعروض أو يعارضه أو يطلب تعديله، وكان قرار الجمعية في هذا نهائياً، وكانت القرارات التي توجب العمل العاجل، وهي التي تختلف عن القوانين، تمر بأسرع من القوانين الجديدة، ولكن هذه القرارات كان يمكن أيضاً إلغاؤها بمثل هذه السرعة نفسها، فلا تتضمنها كتب القوانين الأثينية [3] .

---

1 - انظر : أيسخينيس، ضد تيمارخوس ٢٣، ضد كتيسيفون ٢ - ٦، ديمارخوس، أرسطوفانيس ١٤.

2 - انظر : أيسخينيس ، ضد تيمارخوس ٢٧ ... ٣٣ ، ديمارخوس ، ضد ديموستينيس ٧١ .

3 - انظر : ول ديورانت، *قصة الحضارة*، الجزء الثاني من المجلد الثاني (حياة اليونان) ص ٢٤ - ٢٥ .

وقد جرت العادة أن تؤجل الجلسات على الفور إذا ثارت عاصفة أو حدث أو زلزال أو خسوف أو كسوف، لأن هذه الظواهر كانت في رأيهم أدلة على غضب الآلهة. ولم يكن يصح عرض تشريعات جديدة إلا في الجلسة الأولى من كل شهر، وكان العضو الذي يقترحها هو الذي يعمل على قبولها. فإذا تبين بعدئذ أن هذه الشرائع شديدة الضرر كان من حق أي عضو آخر أن يلجأ خلال عام من قبولها إلى ما يسمى عدم الشرعية (*GRAPHE PARANOMON*)، فيطلب أن تُفرض على صاحب التشريع غرامة أو أن يُحرم من حقوقه السياسية أو يُعدم. وكان لقرار عدم الشرعية هذا صفة أخرى تجعل من حق الجمعية أن تعرض أي تشريع جديد قبل البت فيه على إحدى المحاكم لتبحثه من الناحية الدستورية، أي من ناحية اتفاقه مع القوانين القائمة المعمول بها في البلاد[1].

أما من حيث تعديل القوانين، فكانت من مهمة لجنة خاصة تسمى ***حفظة القوانين*** (*THESMOTHETES*) وكانت اقتراحاتها تُقدم لمجلس الشيوخ الذي كان من حقه أن يرفضها، لكنه لم يكن من حقه أن يحولها إلى قوانين. وفي حالة الموافقة كان مجلس الشيوخ يدعو الجمعية (***مجلس الشعب***) للانعقاد ويُعرض عليه مشروع حفظة القوانين. وفي يوم المناقشة يُعين خمسة خطباء مهمتهم الخاصة أن يدافعوا عن القانون القديم، وأن يبرزوا ما في التجديد المقترح من عدم الملاءمة، ويستمع المجلس أولاً للخطباء المكلفين بالدفاع عن القوانين القديمة، ثم المؤيدين للقوانين الجديدة. وبعد سماع الخطب لا يتخذ المجلس قراراً مباشراً، بل يكتفي بأن يعيّن لجنة خاصة من عدد كبير من الأعضاء لا تتكوّن إلا من رجال مارسوا وظائف القضاء نسبتهم ١/٥ أو ١/١٠ عضواً لمناقشة التغيير المقترح من الناحية القانونية (***هذه اللجنة شبيهة باللجنة القانونية والدستورية في جميع المجالس النيابية في عصرنا الحاضر***) وتفحص هذه اللجنة الموضوع المقترح فحصاً جديداً، وتستمع إلى الخطباء من جديد وتناقشه وتتداوله، فإذا رفضت القانون المقترح فإن حكمها غير قابل للاستئناف، وإذا وافقت عليه اجتمع المجلس مرة أخرى ويجب عليه في هذه المرة أن يصوّت وتصويته يحيل الاقتراح قانوناً.

---

[1] انظر: المرجع السابق، ص ٢٤.

وعلى الرغم من كل هذا، فإنه من المستطاع أن يُتخذ قرار ظالم أو ضار، لكن القانون الجديد يحمل اسم واضعه إلى الأبد، ويمكن أن يُحاكم فيما بعد أو يُعاقب، ويُعتبر المجلس في هذه الحالة معصوماً عن الخطأ، لأن الخطيب الذي قدّم المشورة يبقى مسؤولاً عن المشورة التي أشار إليها [1].

وقد أثبتت التجربة العملية أن الأثينيين تمسكوا بقوانينهم ما دامت صالحة، وأن إجراءات تغيير القانون كانت شديدة التعقيد وفي أضيق الحدود وبوساطة لجان متخصصة قبل إقرارها وذلك حرصاً على سلامة القوانين واستمرار هيبتها. وربما يدل حرص الديمقراطيين على استقرار القوانين وسيادتها على إدراكهم لاحتمالات ضعف الطبيعة البشرية أمام السلطة، وهو ما عبروا عنه بقولهم (***السلطة تكشف حقيقة الرجال***)[2]. فاجتهدوا في أن يجعلوا القانون سياجاً لحماية مجتمع حر، بمعنى أنهم تمسكوا بالقوانين حماية لحرية المجتمع كله، كما ورد في عبارة ***ديموستينيس*** (***لا أحد، فيما أعتقد، يمكنه أن يدّعي أن هناك سبباً أقوى للنعم التي تتمتع بها المدينة، من القوانين والديمقراطية والحرية***)[3]. وخير دليل على صدق هذا القول هو ما حققته أثينة - ليس في مجال السياسة فحسب - ولكن أيضاً في مجالات الفكر والأدب والفن في فترة القرنين الخامس والرابع ق.م، مما يعدّ واحداً من أرقى قمم إبداع العقل الإنساني على الإطلاق.

وأما فيما يخص ***نظام المحاكم الشعبية***، فقد كانت تتكوّن من أعداد كبيرة من المحلفين اختلف عددها حسب أهمية المحاكمة فأحياناً كان ثلاثمائة وأحياناً بلغوا أكثر من ألف وذلك في القضايا الهامة كقضية محاكمة سقراط، وكانوا يُختارون بالقرعة من قائمة معتمدة تتغير كل سنة وتتضمن أسماء ستة آلاف مواطن يقبلون العمل فيها. ***ولكي يخفف الأثينيون الرشوة والفساد في القضاء إلى الحد الأدنى كان أعضاء المحكمة الذين يوكل إليهم النظر في قضية ما يُختارون بطريق القرعة في آخر لحظة، وإذا كانت معظم القضايا لا يطول النظر فيها أكثر من يوم واحد،***

---

1 - انظر : توكوديدس ٣ / ٤٣ .

2 - انظر : ديموستينيس ٤٨ ، أرسطو ، *أخلاق نيقوماخوس* ٥ / ١ / ١٦ .

3 - انظر : ديموستينيس ٢٤ / ٥ .

فكان من المستحيل انتشار الرشوة في المحاكم، ذلك أن الأثينيين أنفسهم كانوا يجدون صعوبة في إرشاء ثلاثمائة رجل في لحظة واحدة.

ويمكننا أن نلاحظ أن مبلغ الإعانة المالية التي تقرر صرفها لكل محلف عن اليوم الواحد كان نصف دراخمة، وهو مبلغ زهيد لا يصل إلى نصف أجر يوم لعامل غير فني، فلذلك لم يقبل كل الفقراء على الاشتراك في المحاكم الشعبية إلا في حالة المسنين منهم، ولكن يبدو أن المحلفين كانوا أميل إلى الطبقة الوسطى على الأقل في القرن الرابع ق.م، ومن جهة أخرى أن التكوين الاجتماعي للمحلفين يفسر اعتدال أحكامهم مما جعل أحد خطباء القرن الرابع ق.م يسمى هيبيريدس (*HYPEREIDES*) يفتخر بنزاهة أحكامها قائلاً: (*ليس هناك شعب أو ملك أو أمة في العالم أكثر تسامحاً من الشعب الأثيني، فهم لا يتخلون عن الأفراد أو الجماعات التي تتعرض لاتهام كاذب، بل يهبون لنجدتهم*).

ويشير هذا الخطيب إلى عدة اتهامات قدمها أفراد ضد بعض الأثرياء بدعوى أنهم حصلوا على أملاكهم من المال العام، وطالبوا بمصادرتها ... ولكن المحكمة الشعبية لم تكتف برفض الاتهام بعد أن ثبت بطلانه، بل حكموا على من تقدم بالاتهام الكاذب بحرمانه من حقوق المواطنة [1].

ويجرنا هذا إلى دور سياسي هام قامت به المحاكم الشعبية في حماية القانون والدستور، وهو يتعلق بالمواطنين الذين يقترحون في الإكليزيا، *وبسبب عدم وجود مدع عام، فقد كانت الحكومة تعتمد على المواطنين أن يتهموا أمام المحاكم كل من يرتكب جريمة خطيرة ضد الأخلاق العامة أو الدولة، وبموجب ذلك كان يحق لأي مواطن يكتشف هذا الخطأ أن يتقدم بدعواه أمام محكمة شعبية*. وكان للمحكمة إذا اقتنعت بالمخالفة القانونية أن تقضي بإبطال القرار المطعون فيه ومعاقبة المتقدم بالاقتراح الأصلي. *وتطبيقاً لهذا المبدأ نفسه، كان يحق لأي مواطن أن يتقدم ضد أي صاحب سلطة أو مسؤولية في الدولة بتهمة الخيانة أو الرشوة أو سوء استغلال المنصب أو بخداع الشعب بخطبه في الإكليزيا. وكانت هذه القضايا*

---

[1] - انظر : هيبريدس ٣ / ٣٣ ـ ٣٦ .

تنظرها المحاكم الشعبية أيضاً، ولها أن تحكم حسب كل حالة بالإعدام أو النفي أو الغرامة أو السجن [1].

وفي وسعنا أن نقدّر ما كان للقانون الأثيني من شأن عظيم إذا عرفنا ما كان يشعر به كل أثيني تقريباً من احترام عظيم له، ***فقد كان القانون في اعتقاده هو روح المدينة، ومصدر سعادتها وقوتها***. وخير ما نحكم به على شرائع أثينة هو قافت غيرها من دول المدن الإغريقية على استعارة الجزء الأكبر منها. وفي ذلك يقول إيسوقراط (*ISOKRATES*): (***ليس ثمة من ينكر أن شرائعنا مصدر كثير من الخير العظيم في حياة البشرية***). ففي أثينة نجد للمرة الأولى في التاريخ حكم القوانين لا حكم الناس.

ثانياً ـــ إعادة البناء والأعمار :

تميز القرن الخامس ق.م في بلاد الإغريق بالنشاط العمراني، وقد كان ذلك على صلة بالرغبة الطبيعية للنهوض من الدمار الذي لحق بلاد الإغريق في فترة الحرب الإغريقية- الفارسية، والنزاعات العسكرية بين مختلف المدن الإغريقية، والنمو الاقتصادي السريع لمجموعة من المدن الإغريقية، وخاصة أثينة وكورنثة اللتين أصبحتا بعد خروج الفرس أطلالاً متهدمة.

وتميزت أعمال البناء في تشييد ***المعابد، والأبنية، والتحصينات، وشق الطرقات الخ*** .. وقبل أن نمعن النظر في مثل هذه الأشكال من أعمال البناء، نقف بعض الشيء لنتحدث بإيجاز عن المبادئ الأساسية لتطور بناء المدينة الإغريقية في العصر الكلاسيكي الذي انتهى في أواخر القرن الرابع ق.م. فالوضع الأساسي الشائع الذي عرفته المدن الإغريقية في تلك الفترة كان نمواً تطورياً غير منتظم تمتد فيه المدينة أو تتزايد تفاصيلها الداخلية بشكل عضوي بحسب ما تقضي الظروف، أو بحسب ما يوجد مجال لهذا النمو اتساعاً أو تفصيلاً.

ولكن هذا ليس معناه أن التخطيط المنتظم لم يكن شيئاً غير معروف إطلاقاً عند الإغريق حتى نهاية العصر الكلاسيكي، فقد وجدت أمثلة لمدن عرفت مثل هذا

---

[1] : انظر : مصطفى العبادي ، ص ١٠٧ .

التخطيط، ومثال ذلك مدينة *أولينثوس* (*OLINTNOS*) التي تقع على الشاطئ الشمالي لبحر إيجة، فقد تطورت هذه المدينة في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م على أساس من تخطيط هندسي منتظم، ولكن مثل هذه المدن كانت تشكل أمثلة نادرة، كذلك فأن بعض المستعمرات الإغريقية خارج بلاد الإغريق الأصلية، كانت تتبع مثل هذا التخطيط المنتظم. هذا وقد وجد من بين المهندسين الإغريق الذين ينتمون إلى العصر الكلاسيكي من تبنى فكرة التخطيط الهندسي بشكل واضح مثل هيبوداموس (*HIPPODAMOS*) من مواطني ميليتوس (*MILETOS*) على الشاطئ الغربي لآسية الصغرى الذي ظهر في أواسط القرن الخامس ق.م، وقد أعطى هذا المهندس الفرصة لكي يطبّق تصوره التخطيطي الهندسي في ميناء بيرايوس (*PIRAEOS*) أهم موانئ أثينة تقريباً ٤٥٠ ق.م[1]، وربما في أماكن أخرى كذلك. ولكن ما أنجزه هيبوداموس كان شيئاً قليلاً، كما كان شيئاً جديداً على التصور الإغريقي الذي ألفه الإغريق وتعايشوا معه فيما يخص تخطيط المدن، وهو تخطيط ظل بعيداً عن التنظيم الهندسي المحدد في عمومه حتى نهاية العصر الكلاسيكي وقيام العصر المتأغرق[2].

وفي الحديث عن سبب هذا الاتجاه العام الذي سار فيه نمو المدن الإغريقية، والذي ابتعد فيه بشكل ملحوظ عن التخطيط الهندسي المنتظم، يذكر *أرسطو* أن هذا السبب كان عسكرياً، فالتعرجات والتداخلات التي كانت السمة الواضحة لطرق المدينة، كانت في رأيه تجعل الأمر يختلط على الغزاة، سواء في اقتحامهم للمدينة عند الهجوم، أو في محاولة الخروج منها إذا اضطروا إلى التراجع (***فالشؤون الحربية تقضي أن تسهّل مخارج المدينة على أهلها، وأن يُشق على مناوئيهم الدنو منها وضرب الحصار حولها***)[3].

وهذا ما توصل إليه *أرسطو*، وذلك باتباع الطريقة القديمة في بناء المدن (بالمقارنة مع الطريقة المستحدثة، أي الهيبوداموسية، عندما تأخذ الطرق شكلاً

---

1 - انظر : ماكسيموفا م ي، *الفن في اليونان القديمة*، موسكو ١٩٥٦، أكاديمية العلوم السوفيتية، ص ٥١٥ .

2 - انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى، *اليونان*، ص ٢٦٧ .

3 - انظر : أرسطو ، *السياسة* ٧ ، ١٠ ، ٢ .

مستقيماً). فطرق تخطيط المدن في رأي أرسطو يمكن أن ينحصر في الشكل التالي (. . *الأصلح للشؤون الأخرى، أن يتفق تخطيط المدن وأن تتبع فيه طريقة هيبوداموس المستحدثة، بيد أن سلامة الأهلين في الحروب تفرض الطريقة المتبعة في القدم، وهي تناقض الطريقة الحديثة، إذ يجب أن يصعب على الغرباء الخروج من المدينة بعد ولوجها، وأن يعسّر على مهاجميها اكتشاف شعبها. ولذا للتوفيق بين الخطتين ينبغي أن لا تخطط المدينة كلها تخطيطاً منتظماً، بل تخطط ذلك التخطيط في بعض أقسامها وجهاتها فقط، وعلى هذا النحو، يوفق بين أمنها ورونقها*)[1].

ويبدو أن السبب الطبيعي والمنطقي لعدم وجود تخطيط هندسي منتظم لهذه المدن حتى نهاية العصر الكلاسيكي يكمن في أمرين:

أولهما: يتعلق بظهور دولة المدينة، حيث كانت كل مدينة في أصلها مجموعة قبائل وتجمعات سكانية كل منها منفصل عن الآخر قبل أن يتحدوا ليصبحوا كياناً سياسياً واحداً اتخذ شكل دويلة المدينة، وفي هذه الحالة فإن التصور الوحيد الوارد هو أن كل قبيلة أو تجمع سكاني كانت له طرقاته الخاصة به دون أن يكون هناك أي تنسيق مع القبائل والتجمعات السكانية الأخرى.

ثانيهما: أن أرض بلاد الإغريق ليست أرضاً سوية سهلة، وإنما هي أرض وعرة في معظم مناطقها، وهذه الوعورة هي التي تحدد بالضرورة شكل الطرق واتجاهات المسارات، ومن ثم جاءت هذه المسارات أو الطرق غير مستقيمة، فقد كانت تتبع حدود التكوينات الصخرية المتعرجة بطبيعتها[2].

أما فيما يخص أعمال البناء المباشرة فيما بعد الحرب الفارسية- الإغريقية، بإمكاننا أن نقسمها إلى *خاصة وعامة*، فالمساكن والمعابد الخاصة كانت قد أنشئت أولاً: بواسطة أصحابها، *وثانياً*: بقوى مختلف الجماعات الدينية. أما الأبنية والمعابد العامة، وأيضاً الطرقات الحكومية والتحصينات الدفاعية فكانت من اختصاص الحكومة، باعتبار أن مثل هذه المنشآت كانت ملكية عامة للشعب[3].

---

1 - انظر : أرسطو ، *السياسة* ٧ ، ١٠ ، ٥ ــ ٧ .

2 - انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ٢٦٩ .

3 - انظر : كالوبوف ك م ، ص ٣٢٧ .

وقد ساعدت مقاطعة أتيكة (*ATTIKA*) حيث توجد أثينة في وسط شبه الجزيرة اليونانية بثروتها الغنية من المعادن والأحجار إلى تسريع عمليات البناء والتطور الاقتصادي، وكان لهذه الثروة وقع كبير في مجرى السياسة الداخلية والسياسة والعسكرية، حيث استغلّ الطاغية (*بستراتوس*) هذه الثروة لتدعيم مركزه بين الجماهير، كما استغلّ الزعيم (*ميستوكليس*) مناجم الفضة في *لاوريوم* (*LAUREIM*) *في الطرف الجنوبي الشرقي من شبة الجزيرة في تقوية الأسطول الأثيني بمائتي سفينة جديدة*، كان لها الفضل الأول في التغلب على الفرس في معركة سلاميس (*SALAMIS*) عام ٤٨٠ ق.م، وكانت جبال أتيكة غنية بالرخام والصلصال والأحجار الجيرية المتنوعة الألوان، وقد استخدم المعماريون الأثينيون هذه الأحجار في تشييد تلك المعابد الفخمة كالبارثنون (*PARTHENON*) الذي استغرق بناؤه عدة سنوات (٤٤٧ – ٤٣٨ ق.م) والأرختيوم (*ERECHTHEUM*) والبوابات البديعة (*PROPYLACA*) والنوادي الثقافية والرياضية (*CYMNASIUM*) أو المعابد ومسرح ديونيسيوس (*THEATRON*) والأروقة (*STOA*) وغيرها من قاعات الموسيقى (*ODEIUM*) أو المباني الرسمية في السوق العامة (*AGORA*) التي ازدانت بها أثينة على أيام بريكليس، وحبت الطبيعة أتيكة بأنواع بديعة من الرخام كان معظمها يستخرج من محاجر جبلي *بنتيليكوس وهيميتيوس*، وحبتها الطبيعة أيضاً بتربة غنية بالصلصال ولاسيما في سهل (*كيفيسيوس*) الذي استخدم في صناعة الأواني الخزفية ذات الزخارف البديعة والرسوم التي تمثل بعض الأساطير المشهورة، وقد استخدمت هذه الأواني في تعبئة الزيت وتصديره إلى مختلف أنحاء العالم المتلين [1]. وقد تمت أعمال البناء الضخمة بشكل خاص في أثينة في فترة بريكليس، الذي طمح بأن يجعل من المدينة *المركز الاقتصادي والسياسي والثقافي والديني القائد لكل بلاد اليونان*، ويقول توكوديدس على لسان بركليس مايلي (*أنا أؤكد أن مدينتنا هي مدرسة لكل بلاد اليونان*)[2]، وفي عام ٤٤٩ ق.م وباقتراح من بريكليس أقرت الجمعية العامة مخططاً لإنشاء الأكروبول الأثيني، وبموجبه أصبح فيدياس (*PHIDIAS*) قائداً

---

1 – انظر : أحمد عبد اللطيف علي، ص ١٦٥ .

2 – انظر : توكوديدس ٢ ، ٤١ .

لهذا المشروع الضخم الذي ترأس مجموعة كبار المهندسين المعماريين الإغريق في تلك الفترة.

وقد استغرق العمل في بناء الأكروبول معظم فترة النصف الثاني من القرن الخامس ق.م. وقد أشرف على البناء فيدياس وبركليس إشرافاً عاماً، واختير لبناء الهيكل رخام جبل بنتليكوس الأبيض المشوب بحبيبات حديدية ولم يُستخدم في بنائه الملاط، بل نُحتت كتل الحجارة وصُقلت بحيث تمسك كل كتلة التي تليها وكأن الاثنتين كتلة واحدة. وكان طراز البناء دورياً خالصاً وبسيطاً، أما شكله فكان رباعياً لأن الإغريق لم تكن تعجبهم الأشكال المستديرة والمخروطية. ولم تكن أبعاد البناء كبيرة فهي ٢٢٨ × ١٠١ × ٦٥ قدماً، فكانت جميع مقاييس البناء تتناسب تناسباً معيناً مع قطر العمود.

وكان مثل هذا الطراز الجديد وسطاً بين المتانة الإسبرطية والرشاقة الأتيكية إن الإغريق كانوا يرحبون بكل فكرة جديدة مهما يكن مصدرها[1]. فقد تجسدت في البناء دقائق الهندسة الأيونية ممزوجة بروعة الهندسة الدورية، ففي هذا الهيكل يبدو التضاد بين الهندسة الأيونية الجميلة الدقيقة، وبين روعة الهندسة الدورية وضخامتها. وبعد الحرب الفارسية تضاعفت أعمال البناء، ***فقد أعيد بناء أثينة وأقيم فيها بناء جديد لمجلسها، ومنازل جديدة، وأروقة جديدة ذات أعمدة، وأسوار حديثة لصد المهاجمين، وأقيمت الأرصفة والمخازن.*** وشهدت السنوات السبع التي سبقت قيام الحرب البلوبونيزية، ذروة البناء والنشاط الأثيني، وفي عام ٤٣٨ ق.م كان بناء الأكروبول قد تقدم تقدماً كافياً ليفتتح رسمياً في أحد الاحتفالات الدينية، وفي صيف العام المذكور وفي الوقت المحدد لهذا الاحتفال أتم فيدياس تمثال ***أثينة الذهبي العاجي الذي أقيم في داخل البارثنون، ويمثل أثينة العذراء إلهة الحكمة والعفة***، واستخدم فيدياس العاج للأجزاء الظاهرة من الجسم، كما استخدم كميات كبيرة من الذهب لصنع الثياب، ثم زينه بالمعادن الثمينة، ثم وجه الفنانون اهتمامهم إلى الأكروبول، فرسم *مينسكليس* تصميم البهو العظيم،

---

[1] - انظر : تشارلز الكسندر روبنصن (الابن)، *أثينة في عصر بركليس*، ترجمة أنيس فريحة، بيروت- نيويورك ١٩٦٦، ص١٠٤.

وبدأ العمل فيه عام ٤٣٧ ق.م، وابتدئ كذلك في بناء عدد آخر من المعابد، الأرخيوم على الحافة الشمالية للأكروبول، ثم معبد هيفايستوس في المدينة نفسها، وكذلك معابد سونيوم ورامنوس على الشاطئ. وكان هناك بالإضافة إلى هذه المعابد عدد من الأبنية العامة الأخرى، الأوديوم أو صالة الغناء، والسور الثالث، أو السور الطويل الأوسط لتسهيل عملية الدفاع عن المدينة أو المرفأ، ثم أحواض جديدة وأعمال أخرى في بيرايوس [1].

ويورد توكوديدس تقريراً مالياً عن المبالغ التي صرفتها الحكومة الأثينية على أعمال البناء خلال فترة ١٦ عاماً (٤٤٧ ـ ٤٣٢ ق.م)، وتشهد تلك المعلومات على مدى الاهتمام الكبير الذي أبدته الحكومة الأثينية في تطور عمليات البناء وبالنهوض بالمدينة إلى أقصى درجات الازدهار العمراني. وقد وزعت تلك النفقات على الشكل التالي:

المبلغ	نوع البناء
٧٠٠ تالانت	البارثينون
١٠٠٠ تالانت	تمثال أثينة الذهبي العاجي
٤٠٠ تالانت	البروبيليا أو البهو
٣٠٠٠ تالانت	الأوديوم أو صالة الغناء دور للسفن السور الأوسط أعمال في بيرايوس
٢٠٠ تالانت	إلهتان للنصر من الذهب
٢٧٠٠ تالانت	معابد أخرى بما فيها معبد النصر
المجموع ٨٠٠٠ تالانت	

[1] ـ انظر: سيدوروفا ن آ، الفن اليوناني في كتاب: اليونان القديمة، المجلد الثاني، ص ٣٤٠.

أنفقت هذه المصروفات في مدى ستة عشر عاماً من عام ٤٤٧ إلى ٤٣١ ق.م لكنها بلغت حدها في الجزء الأخير فقط من هذه المدة. وقد بلغ متوسط الصرف السنوي بين ٤٤٧ و ٤٣٨ ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ تالانت، بينما كان معدل الصرف السنوي ٦٥٠ تالانت فيما بين ٤٣٨ و ٤٣١ ويؤيد هذا تقرير توكوديدس، (.. وهو أن أقصى ما بلغته الخزانة كان مبلغ ٩٧٠٠ تالانت. وهناك بعض قطع غير مسكوكة من الذهب والفضة من النذور المقدمة من الأفراد أو من الدولة، بالإضافة إلى الأوعية المقدسة والأثاث الذي يُستخدم في الاحتفالات والألعاب، ثم غنائم الحرب مع الفرس وسوى ذلك، ويبلغ مجموع قيمتها ما لا يقل عن خمسمائة تالانت، ويضاف إلى هذا وذاك الأموال الموجودة في المعابد الأخرى مما يمكن الإفادة منها والتي وصلت إلى مبالغ كبيرة. ويتابع بريكلس قوله: إن بوسعهم عند الضرورة القصوى نزع الذهب عن تمثال الآلهة أثينة، الذي يبلغ وزنه- كما قال- أربعين تالنتاً وهو من الذهب الخالص، ويمكن نزعه بسهولة. ولكنه أشار بأن عليهم إعادة هذا الذهب، إن استخدموه للحفاظ على سلامتهم، ليكسوا به التمثال من جديد أو يزيدوا عليه مقداراً أعظم)[1].

وبعد أن عرضنا بعض الملامح الرئيسة للبناء والأعمار في أثينة عقب الحروب الفارسية- الإغريقية، يتبين لنا أن الدولة كانت تنفق ببذخ وسخاء مستغلة بذلك أموال الحلف الديلوسي على تجميل العاصمة وتحسين مرافقها العامة، وقد عبر بلوتارخوس عن هذا بقوله (إن بركليس شرع يزخرف أثينة ويزينها كما تتزين امرأة تفتر بجمالها، فراح يعلق الجواهر حول عنقها ويقيم التماثيل والهياكل في ساحاتها) وكان بريكليس يهدف من وراء ذلك إلى جعل أثينة معلمة لكل بلاد الإغريق من خلال قوله (إني أؤكد لكم أننا لم نعدم أدلة وشواهد على عظمتنا، فهاهي تماثيلنا وأنصبتنا التذكارية التي أقيمت تخليداً تجعلنا الأمة الأعجوبة في هذا العصر وفي العصور التالية)[2].

---

1 - انظر : توكوديدس ، الكتاب الثاني ، الفصل الثالث ، ص ١٤٠ .

2 - انظر : نفس المصدر السابق ٢ ، ٣٥ — ٤٦ .

لقد تغيرت معالم أثينة كلها على الإطلاق بنتيجة نشاط بريكليس في أعمال البناء والإعمار. ويتحدث *بلوتارخوس* عن ذلك بإعجاب في معرض حديثه عن منجزات البناء في هذه الفترة فيقول (*إنه على الرغم من ضخامة الأبنية وعظمتها، فإنها لا مثيل لها في الجمال، فكل العمال الحاذقين حاولوا بعضهم بعضاً في أن تتميز أعمالهم بالرشاقة ... والأكثر دهشة هو أن أعمال بريكليس تستحق الثناء والتقدير، بالرغم من أنها نفذت في فترة قصيرة فهي صالحة للبقاء إلى الأبد*[1].

وقد ضمنت أعمال البناء الضخمة هذه، العمل لكثير من الناس ومن مختلف الأعمار والمهن[2]، وجذبت إلى المدينة أعداداً غفيرة من الأجانب. ويؤكد المؤرخون المحدثون، أن أهم المشكلات التي كانت تشكل عقبة في وجه عمليات البناء في تلك الفترة، تمثلت في غياب عدد كبير من الصنّاع المتخصصين الحاذقين في العمل، والذين كانت تُنسب إليهم تنفيذ مشاريع البناء الضخمة، فلهذا كان من الضروري جذب أعداد كبيرة من هؤلاء الصنّاع ومن مختلف أرجاء بلاد الإغريق.

ثالثاً ـــ المرأة في المجتمع الأثيني :

اختلف مركز المرأة في بلاد الإغريق باختلاف الزمان والمكان، ولا بد من أنه قد طرأ عليه تغيير في الفترة التالية للعصر الميكيني أي العصر البطولي من (١٢٠٠ إلى ١٠٠٠ق.م) تقريباً، وهي الفترة التي وقعت فيها حرب طروادة وتسودها الأساطير الإغريقية ويمثلها هوميروس وهسيودوس [3]. ومعلوماتنا عن المجتمع الميللسيني في العصر المعروف باسم (*العصر المظلم*) أو العصر الإغريقي الوسيط (١١٥٠- ٧٥٠ ق.م) قليلة، لكننا نفهم من بعض شعراء القرن السابع من أمثال *هسيودوس*، بأن المرأة لم تتبوأ مركزاً رفيعاً في بعض المجتمعات الإغريقية، فيقرن *هسيودوس* الزوجة

---

1 – انظر : بلوتارخوس ، *بركليس* ١٣ .

2 – انظر : بلوتارخوس ، *بركليس* ١٢ .

3 – تعطينا الميثولوجيا اليونانية أول نغمة عن العلاقة بين الرجل والمرأة في هذه الحضارة ، ومن ثم كانت دراسة الأساطير تشكل تمهيداً ضرورياً لدراسة تاريخ المرأة حول ذلك انظر :

POMEROY, SARA B . WOMEN IN CLASSICAL ANTIQUITY . SCHOCKEN BOOKS N. Y . 1975 . 1-2 .

بالبيت والمحراث والثور عندما يعدد الأشياء التي ينصح المزارعين باقتنائها، ويتحامل على المرأة فيصفها بأنها (*هدية من زيوس إلى البشر في ساعة من ساعات غضبه*). وهو صاحب أسطورة باندورا (*PANDORA*) الشهيرة التي تجعل من المرأة أصلاً لكل الشرور على الأرض[1]. ويلخص هسيودوس رأيه في المرأة بقوله (*إن جنس النساء اللطيف جاء من باندورا، هذا الجنس الخبيث الذي هو شر مستطير يتلبس الرجال، فالمرأة ليست رفيقة حياة تشارك زوجها الفقر والألم، وإنما هي تطالب بالطعام والثياب ولا يقف همها عند حد، هكذا خلق زيوس المرأة لتكون مصدر شر وفساد*)[2]. ويقول هسيودوس في مكان آخر (*ليس هناك ما هو خير للرجل من أن يفوز بزوجة طيبة، وليس هناك ما هو شر له من الزوجة الخبيثة*). وهذا تعميم ينهض دليلاً على أهمية المرأة لتكون مدبرة للمنزل[3].

ويفهم من بعض النصوص الأدبية أن المرأة كانت بطبيعتها دون الرجل كفاءة، وأدنى منه منزلة، وأنها كانت *وسيلة لا غاية*، وأن الزواج لم يقم على *عاطفة الحب* بل على المصلحة المادية النفعية. وكان الهدف منه إنجاب الأطفال للمحافظة على الجنس وكيان الدولة واستمرار الأسرة وحماية الآباء في سن الشيخوخة وضمان تقسيم العمل تقسيماً ملائماً بين الرجل والمرأة. ويوضح يوروبيدس رأيه في المرأة في مسرحيته التراجيدية هيكابي (*HECUBE*) التي ألفها أثناء حرب البلوبونيز فيقول (*فلا الأرض أو البحر أخرجت مثل هذا الجنس المفسد، ويعرف هذا جيداً من يتعامل معهن*)[4]، ويردد هيبوليت هذا المعنى في المسرحية التي حملت نفس الاسم فيقول (*أيها الإله زيوس، أمن أجل شقاء الرجال وضعت النساء، هذا الشر المزين ليستقروا حيث تشرق الشمس*)[5] ثم يعود ليقول (*ومن هنا يبدو واضحاً، أي لعنة هي المرأة حتى أن إياها الذي أنجبها ورعاها، حتى*

---

1 – انظر : هسيودوس ، *الأعمال والأيام* ٥٤ — ١٠٥ ثم *أنساب الآلهة* ٥٢١ — ٦١٦ .

2 – انظر : محمد كامل عياد ، ص ١١٧ .

3 – انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٥٧ .

4 – انظر : يوروبيدس ، هكابي ١١٧٨ — ١١٨٢ .

5 – انظر : يوروبيدس ، هيبوليت ٦١٦ — ٦١٧ .

هنا يبدو واضحاً، أي لعنة هي المرأة حتى أن إباها الذي أنجبها ورعاها، حتى ينهي متاعبه، يضيف عليها بائنة حتى يتخلص منها)[1].

ويلخص *يوروبيدس* وضع المرأة الاجتماعي الأدنى من الرجل الأثيني على لسان (*فايدرا*) في مسرحيته (*هيبوليت*) في مونولوج طويل، توضح فيه فايدرا، أن *الشق الأول من هذه المشكلة يتمثل في التواضع الزائد للمرأة الأثينية، والذي يجعلها غير مناسبة لأي شيء عدا بيتها*، أما *الشق الثاني فهو الخوف الدائم مما قد يقوله الرجل أو يفعله*. وهذا الخوف هو الذي يمنع المرأة من عمل ما تظن أنه صواب. هذا الخطأ والإحساس الذي لازم المرأة الأثينية تعترف به فايدرا نفسها حين تقول (*لقد تعلمت أن أعرف جيداً إني لست إلا امرأة، شيء لا يكترث به العالم*)[2]. وفيما بعد كررت إفيجينيا نفس المعنى حين قالت في مسرحية (*إفيجينيا بين التاوريين*) (*إن فقدان رجل لهو شيء تشعر به أسرته تماماً، بينما فقدان المرأة شيء غير ذي بال*)[3].

وهذا يكون *يوروبيدس* قد وضع إصبعه على موطن الداء في مشكلة الوضع الاجتماعي للمرأة الأثينية وهو: *النظرة المستمرة على أنها مخلوق أدنى منزلة من الرجل*. هذه النظرة أدت بالضرورة إلى مظهرين آخرين من مظاهر حياتها وهما: *عزلتها المستمرة داخل بيتها، ثم عدم قدرتها على اختيار الزوج المناسب لها*. ويلخص يوروبيدس هذين المظهرين على لسان (*ميديا*) في المسرحية التي حملت نفس الاسم قائلاً (*من بين كل المخلوقات التي تنعم بالحياة والشعور، فنحن النساء أتعس هذه المخلوقات، أولاً يجب أن نشتري لأنفسنا زوجاً بسعر باهظ، وعلى أنفسنا ننصب سيداً، وهو شر يفوق الشر الأول، وهنا تكمن النتيجة الأكثر خطراً، هل سيكون الاختيار صالحاً أو سيئاً، فالطلاق هو شيء مشين للمرأة، ولا يمكننا أن نرفض سادتنا (أزواجنا)*[4].

---

1 – انظر : نفس المصدر السابق ٦٢٧ ــ ٦٢٩ .

2 – انظر : نفس المصدر السابق ٤٠٦ ــ ٤٠٧ .

3 – انظر : يوروبيدس ، *إفيجينيا بين التاوريين* ١٠٠٥ ــ ١٠٠٦ .

4 – انظر : يوروبيدس ، *ميدية* ٢٣٠ ــ ٢٣٧ .

ويُفهم أيضاً من النصوص الأدبية، أن مكان المرأة الطبيعي هو البيت حيث كان عليها أن تربي الأطفال وتطهو الطعام وتغزل الصوف وتنسج الملابس وتشرف على شؤون البيت الأخرى، ويبدو أن الأثيني كان لا يطمئن إلى خروجها بمفردها إلى السوق حيث لا يتحرّج الرجال من الكلام في أي موضوع، وإذا ما خرجت إلى الشارع، وُجب عليها أن تحتجب، وهو فرض على المرأة الأثينية الحرة فقط دون الجواري أو الأجنبيات، وكأن الخمار الذي تضعه على وجهها هو بمثابة الإعلان بأنها ملكية خاصة لا يجوز أن تُمس، أما الجواري والعاهرات فهن ملكية عامة[1]. ويقول كسنوفون (*ليس مما يُشرّف المرأة أن تكون خارج بيتها، وكذلك ليس مما يُشرّف الرجل أن يبقى فيه مدة أطول مما يقضيها خارجه*)[2]. فهو في كثير من الحالات يقضي النهار كله في المدينة من مطلع الفجر حتى الفجر، فهذا بيته الحقيقي، أما المرأة فبيتها هو حصنها وعليها أن تبقى فيه مخلصة وفية، ويقول في مكان آخر (*كما أن ملكة النحل تبقى في الخلية وتشرف على بقية أفراد النحل وهي تعمل، وكذلك ربة المنزل عليها أن تبقى في المنزل، تُشرف على ما فيه من أعمال، تراقب مصروف بيتها، فلا تنفق في شهر ما كان يمكن أن ينفق في عام، وتدرّب الفتيات ممن لا خبرة لهن وتعني بالجواري المرضى .. إلخ*)[3]. وعندما زار هيرودوت مصر، اندهش دهشة بالغة عندما رأى الرجال ينسجون الكتان في المنازل، بينما تقوم النساء بشراء الحاجيات من الأسواق والبيع والشراء والعمل في الحقول، وكأن الدنيا في رأيه انقلبت رأساً على عقب فيقول (*مصر تحوي العجائب ... لذلك اختلف المصريون كل الاختلاف عن سائر الشعوب في عاداتهم وسننهم، فالنساء عندهم يرتدن الأسواق ويمارسن التجارة. أما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون*)[4]. ويقول يوروبيدس على لسان إحدى شخصياته في مسرحية

---

1 - الحق أن استخدام الحجاب أقدم كثيراً من المجتمع اليوناني فقد جاء مثلاً في نشيد الإنشاد (*جميلة أنت يا حبيبتي، جميلة عيناك من وراء نقابك، خدّاك كخلفة رمانة من وراء النقاب*) الإصحاح الرابع ١ — ٤ .

2- ANDERSON J . K : XENOPHON , DUCKWORTH 1974 . P 177

3 - IBID.

4 - انظر : هيرودوت، *وصف مصر*، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم ١٩٦٦، ص١١٧ .

(*الضارعات*) عبارة مؤداها (*زينة المرأة في الصمت والفطنة، وأن تحتجب في بيتها*)[1]. أي أن المرأة العاملة هي التي تسلس القياد لزوجها في كل الأمور. وقد ورد في الخطاب الذي ألقاه بركليس في تأبين شهداء حرب البلوبونيز، موجهاً الكلام للأرامل، *ما معناه أن المرأة الفاضلة هي من لا يتحدث الناس عنها بالمدح أو الذم*[2]. وتفيد بعض الفقرات الواردة في الأدب الإغريقي بأن المرأة الأثينية كانت لا تحضر مجالس الرجال ولا تختلط بضيوف زوجها في المنزل، وكان في البيت الأثيني جناح مخصص للنساء، وآخر مخصص للرجال. وكان لا يجوز لأحد سوى ربة المنزل وأقرب الأقارب أن يدخل جناح النساء. ويتخذ بعض الباحثين من عدم إرسال البنات الأثينيات إلى المدارس قرينة على أن المرأة كانت محرومة من التعليم فعاشت جاهلة حمقاء[3].

ولم تتمتع المرأة الأثينية بحقوق الرجل السياسية، وكان مركزها القانوني أدنى من مركز الرجل، بل كانت عديمة الأهلية القانونية، فلا تستطيع إدارة الأعمال أو أداء الشهادة في المحاكم، أو أن تكون طرفاً في أي عقد قانوني وكانت تظل تحت وصاية زوجها حتى مماتها، أو تحت وصاية أقرب أقربائها من الذكور. وكان يجوز للأب في حالة عدم وجود ورثة من الذكور أن يوصي بأملاكه وابنته لأي رجل يختاره، وكان على هذا الرجل أن يتزوج الابنة (*حتى لو اقتضى منه ذلك أن يطلق زوجته*) وإلا تنازل عن الإرث. فإذا مات الأب دون وصية، كان من حق أقرب الأقرباء، أن يطالب بالزواج من الابنة الوريثة (*EPIKLEROS*)، فإذا كانت الابنة قد تزوجت، فعليها أن تترك هذا الزوج، وتتزوج أقرب أقربائها.

إزاء هذه الآراء الأدبية وتفسيراتها الخاطئة، لا عجب أن ساء الرأي في مركز المرأة الأثينية وأهميتها في حياة المجتمع الأثيني في عصر بريكلس، غير أن الإنصاف يقتضي بنا ألاّ نأخذ من هذه التفسيرات الخاطئة دليلاً على إهمال المرأة أو ضعف

---

1 - انظر : بوروبيدس، *الهيراقليين* ٤٧٦ — ٤٧٧ .

2 - انظر : توكوديدس ٢ ، ٤٥ .

3 - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص٥٩ .

الرابطة الأسرية أو افتقار الحياة العائلية إلى الدفء والعاطفة. *ذلك أن المجتمع الإغريقي كان مجتمعاً رجولياً في جوهره، وأن الأدب الإغريقي كان أكثر عناية بالدولة والسياسة منه بالفرد والأسرة*. ومن جهة أخرى، كان الرأي السائد في المجتمع الإغريقي بأن تظل حقوق المواطنة الأثينية نقية من كل نسل غريب، حتى لا تتسرب هذه الحقوق والواجبات إلى شخص أجنبي، ولذلك كان المبدأ العام هو أنه لا يصبح مواطناً له حقوق المواطنة إلا من كان أبوه وأمه مواطنين أثينيين، وكأن هذه الحقوق أشبه بالملكية المعنوية التي يريد الأب أن يورثها لأبنائه من صلبه، إلى جانب الممتلكات الخاصة الأخرى من أرض وعقارات. *وهكذا اهتم المجتمع الرجولي اهتماماً خاصاً بخيانة المرأة حتى لا يدخل نسل غريب أو زائف يغتصب حقوق المواطن الأثيني*، وكانت الفتاة تتزوج عادة في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من شاب في الثلاثين، أي في ضعف سنها (*وظلت هذه السن المناسبة للزواج عند أفلاطون وأرسطو*) مما حفر هوة عميقة بينهما، فلا تقارب في السن ولا في النضج العقلي، ولا الاهتمام بشؤون الحياة العامة[1]. ولا جدال في أن البيت كان هو المكان الطبيعي للمرأة الأثينية وما يزال مكانها في القرن الواحد والعشرين، كان على الزوجة الأثينية أن تدبّر شؤون المنزل من خبز وطهو وحياكة ومراقبة غرف تموينه وأمتعته وإشراف على العبيد إن كان هناك عبيد، وتوجيه الإماء وهن ينسجن بالمنوال. كانت مسؤولياتها ضخمة كما يتضح من كتاب التدبير المنزلي (*OECONOMICUS*) للمؤرخ *كسنوفون* الذي يتناول فيه واجبات الزوجة ومن فقرات كثيرة في مسرحيتي ليسستراتا (*LYSISTRATA*) والنساء في الجمعية الشعبية (*ECCLESIAZOUSAE*) للشاعر الكوميدي أرسطوفانس، حيث تستشهد النساء بكفايتهن في التدبير المنزلي على قدرتهن على إدارة شؤون المدينة نفسها. ولا يماري أحد في أن وظيفة المرأة الرئيسة عند الأثينيين كانت إنجاب الأولاد لاستمرار حياة الأسرة والدولة، وتربية البنين حتى يأتي وقت ذهابهم إلى المدرسة، والبنات حتى زواجهن.

---

[1] – انظر: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢.

ولكن من غير المعقول أن يقال إن المرأة الأثينية كانت قابعة في خدرها لا تخرج إلى السوق، أو معزولة عن مجتمع الرجال، وأن الصمت كان أنبل أدوارها في الحياة، لأنه من العسير أن نتصور امرأة إغريقية وقد لزمت الصمت مدة طويلة، والفقرة الواردة عند *كسنوفون* بوضع متراس على أبواب الجناح المخصص للنساء في المنزل فقد أسيء تفسيرها، لأن الكاتب لم يقصد به إيصاد الأبواب على الزوجة والبنات وتقييد حريتهن وحجبهن عن الأنظار، يقول كسنوفون مايلي: (*إن النساء كن يفصلن تقريباً عن أبواب الرجال المغلقة بالمزلاج حتى لا يستطيع العبد أن ينجب أطفالاً دون علم منا*)[1]. إذن القصد من قول كسنوفون تجنيب الخادمات الذلل وإبعادهن أطفالاً خلسة دون علم سادتهن وتأمين أمنعة المنزل من أيدي العابثين. وهناك نبذة أدبية صغيرة، ففي حديث (*المأدبة*) لكسنوفون، نجد أحد الضيوف ويدعى نيكراتوس (*NICERATUS*) قد تزوج حديثاً، وهو يحفظ أشعار هوميروس عن ظهر قلب ويشرح للضيوف مقدار ما أفساده من أدب هوميروس كالبلاغة والفصاحة، ويلتفت مزهواً إلى مضيفه قائلاً (*ومع ذلك تعلمت من هوميروس شيئاً آخر، وهو أن أكل البصل مستساغ مع شرب النبيذ، فدعهم يأتونا بقليل من البصل فإنكم تتمتعون عندئذ بالخمر أكثر بكثير من ذي قبل، فيقول آخر: مرحى أن نيكراتوس يريد أن يذهب إلى البيت ورائحة البصل تفوح من فمه حتى تظن زوجته، أن أي امرأة أخرى لم تفكر في تقبيله*) إن مثل هذه الملاحظة النكتية، لم تكن إلا انعكاس للعلاقة الزوجية التي يكتنفها الاحترام المتبادل ومراعاة الزوج للغيرة الزوجية عند زوجته[2]. وفي مكان آخر يقول (*هل ثمة أحد هو محل لثقتك أكثر من زوجتك في الشؤون الخطيرة أو تتحدث إليه أقل منها*)[3]. وهذا دليل آخر عن مدى أهمية الزوجة واستشارتها في الشؤون الخطيرة.

إذن، فالمرأة الأثينية تمتعت بقسط غير ضئيل من الحرية، كانت هناك مناسبات كثيرة تخرج منها النساء من البيوت دون أن تتعرض سمعتهن للقيل والقال، وكانت الزوجات ينهضن ببعض الواجبات أو يسعين للترويح عن أنفسهن خارج المنزل: كن

---

1 – انظر : كسنوفون ، *الاقتصاد* ٩ ، ٥ .

2 – انظر : كيتو ، *الإغريق* ، ص٢٩٩ .

3 – انظر : كسنوفون ، *الاقتصاد* ٣ ، ١٢ .

يذهبن إلى السوق (*AGORA*) في صحبة خادمة إذا وجدت، لأن السوق الأثينية كانت مكاناً مكتظاً بالناس شديد الصخب، تحتدم فيه المناقشات وتثور المشادات، وفيه كان الرجال يتكلمون بحرية تامة وقد يتبادلون قارص الكلام أو يتنابذون بفاحش اللفظ أو يأتون بأفعال تخدش الحياء. ومن هذا المنطلق فالرجل الأثيني كان يعرف ما يتمتع به الرجال من حرية في المسائل الجنسية في أثينة معرفة تمنعه أن يجازف بإطلاق الحرية لزوجته أو ابنته، فهو يختار الحرية لنفسه على أن يكون ثمنها عزلة زوجته أو ابنته[1]. ومع ذلك، كانت النساء يتزاورن مع جيرانهن ويقضين مع صويحباتهن بضع ساعات من النهار. ولدينا ذخيرة من الأواني الفخارية المزخرفة من القرن الخامس ق.م، *بصور تدحض رأي القائلين بتقييد حرية المرأة الأثينية ونشاطها*، ففي هذه الصور تظهر الفتيات وهن يمارسن مختلف أنواع الألعاب الرياضية كالسباق في دورة الألعاب الأولمبية، والاستحمام في أحواض السباحة، أو يظهرن وهن حاملات جرار الماء من النافورات العامة أو سائرات في موكب عيد الربة أثينة الكبير (*ANATHENAEA*) إلى جانب الفتيان والرجال، وليس في عدم اشتراك المرأة في حفلات الرجال ما ينتقص قدرها، لقد كان للسيدات الأثينيات أعيادهن وحفلاتهن الخاصة كعيد الثسموفوريا (*THESMOPHORIA*) وهو عيد ديمتر (*DEMETER*) ربة القمح[2]. وكن يذهبن دون رقابة إلى حفلات الزواج ويقمن بواجب المواساة في المآتم ويزرن المقابر، وكن يترددن على المسرح لمشاهدة الروايات التراجيدية وربما الكوميدية أيضاً، على الرغم من أن الملهاة الإغريقية لا تخلو من نابي اللفظ وبذيء العبارة والإسفاف، بل هي لا تخلو من الأفعال الفاضحة المنكرة في بعض الأحيان. ففي مسرحية الضفادع التي كتبها أريستوفانس، نراه يجعل أيسخولوس يهاجم يوروبيدس لفجوره فهو يقول: (*إن يوروبيدس قد وضع على المسرح من العاهرات الفاجرات ما جعل النساء الفضوليات يتحرين خجلاً*) فما الذي كان يدعوهن إلى ذلك إن كن مقصورات في خدورهن[3] ؟. ولنذكر بأن كل

---

1 – انظر : ول ديورانت ، ص ١١٨ .

2 – انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٦١ .

3 – انظر : كيتو ، *الإغريق* ، ص ٣٠٦ .

بيت تقريباً كان يقوم أمامه تمثال للإله هرمس، رسول الآلهة يبرز منه عضو الذكورة (*PHALLUS*) وكان الأثينيون يعنون بهذه التماثيل ويغسلونها ويزينونها بالأزهار ويرتلون أمامها أدعية وصلوات قصيرة [1].

ومن يقرأ المآسي الإغريقية يرى النساء وهن يتخذن قرارات خطيرة، ويحملن مسؤوليات جسيمة، وكذلك الأمر المسرحيات الكوميدية كانت أكثر واقعية من التراجيديات كملهاة (*ليسستراتا*) أو (*النساء في الجمعية العامة*) أو (*المحتفلات بعيد الثسموفوريا*)، يدرك على الفور أن مركز المرأة الأثينية لم يكن كماً مهملاً، ومن يستعرض الصور المنحوتة في إفريز (*البارثنون*) يلمس مدى بروز العنصر الأنثوي وأهمية المرأة في الحياة الدينية حيث اتخذوا من الربة (*أثينة*) راعية لمدينتهم، وحامية لها ورمزاً. وكذلك الأمر كانت المرأة هي المكلفة بالسهر على ألا ينطفئ نار الموقد، وهي على الأخص التي يجب عليها أن تكون متيقظة إلى بقائه طاهراً، وهي التي تقدم له القرابين، فلها إذن سدانته، وحيث لا توجد الزوجة تكون العبادة المنزلية ناقصة وغير وافية، إنها لمصيبة كبرى للأثيني أن يكون له موقد محروم من الزوجة[2]. وتدلنا الصيغ الدينية الإغريقية، على أنه إذا لم تكن في المنزل مساواة في السلطة، فقد كانت فيه على الأقل مساواة في الكرامة[3].

وليس في حرمان المرأة الأثينية من الحقوق السياسية ما يحط من قدرها، فإن حق الانتخاب لم يُمنح للمرأة في بلاد كثيرة حتى وقتنا هذا، على أن ذلك لا يعني أن المرأة كانت مسلوبة الإرادة، فلم يكن هناك ما يمنعها من أن تبدي رأيها في صراحة وأن تتكلم بحرية دون كبت وأن تسيطر في مملكتها الصغيرة سيطرة تامة. **وأما عن وضعها القانوني**، فأن المشرّع لم يقصد بإخضاعها لوصاية الأب والزوج أو أقرب الأقارب إلا حمايتها، وأما القانون الذي يرغم الابنة الوريثة التي مات أبوها دون وصية على الزواج من أقرب أقاربها، فإن هذا القانون يتفق واتجاه المشرّع الإغريقي

---

1 – انظر : عبد اللطيف احمد علي ، ص حاشية ٦٢ .

2 – انظر : كستوفون ، دستور اللاكيديمونيين ٩ ، ٥ .

3 – انظر : ديونيسيوس الهاليكارناسي ٢ ، ٢٥ ، حيث يعبر عن مركز المرأة تعبيراً جلياً بإطاعتها زوجها في كل شيء ، وبنفس الوقت كانت سيدة المنزل مثله .

في كل ما يتصل بمهر الزوجة أو دوطتها (*المهر أو الدوطة هو ما تنقله معها المرأة إلى بيت الزوجية سواء في شكل جهاز منزلي (PHERNE)، أو ثروة عقارية (PROIX)*) إلى الاحتفاظ بهذه الممتلكات في يد أسرتها بقدر المستطاع بغية الحيلولة دون انقراض الأسرة وتوقف ممارستها للشعائر الدينية (*SACRA*)[1].

ولعل أبلغ رد على القائلين بامتهان الرجل الأثيني للمرأة هي، أن أدوار النساء منذ عام ٤١١ ق.م، أصبحت أكثر شأناً في المسرحيات الأثينية، وهي تكشف عن خروج المرأة شيئاً فشيئاً من العزلة التي كانت مفروضة عليها، وأصبح منذ ذلك الوقت سلطان المرأة الحقيقي قائماً على الرجل، واشتياقه للمرأة كان أكثر من اشتياق المرأة للرجل، وأخذت المرأة تزداد قوة وعنفاً، وهذا ما دعى أحد المفكرين الكبار أمثال صموئيل جونسون إلى القول (*لقد وهبت الطبيعة المرأة من القوة ما لا تستطيع الشرائع أن تزيد عليه شيئاً*)[2]. وقد يضاعف من هذه السيادة أحياناً بائنتها الكبيرة، أو لسانها السليط، أو حب زوجها لها مما يجعله خاضعاً ذليلاً لها. وبكل الأحوال فقد كان يسود الحياة الزوجية احترام وتعاطف ومشاركة وجدانية، وهذا ما تشهد عليه شواهد القبور المحفورة برسوم بارزة والأواني الجنائزية المزخرفة، ففي إحدى القبريات وجد هذا النقش البارز (في هذا الحجر وارى مرثونيز (*MARETHONIS*) زوجته نيقوبوليس (*NICOPLIS*)، وروى صندوقها الرخامي بعباراته الحزينة، (*ولكن هذا لم يجده نفعاً، وهل ثمة فائدة تعود على رجل فارقته زوجته وبقي هو وحيداً على ظهر الأرض*)[3]. ويدلنا هذا النقش على مدى الحزن الأليم الذي كان يجيش في الإنسان الإغريقي إثر فقدان زوجته، وهذا انعكاس للحب المتبادل بين الطرفين في فترة الحياة الزوجية، فالحب كان موجوداً ولا يزال موجوداً في كل الفترات والأزمان ووجد مع خلق الكون، ووصفت ثيانو (*THEANO*) زوجة فيثاغورس الحب بأنه (*مرض النفس المشتاقة*)[4]. ونستمع في

---

[1] – انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٦٤ .

[2]- TUCKER . T. G . LIFE IN ANCIENT ATHENS . CHAUTAUQUA; N. Y . 1977 . P 84 .

[3] .. انظر : ول ديورانت ، ص ١٢٠ .

[4]- CAROLL . N : GREEK WOMEN . PHILA . 1908 . P . 307

مسرحيات سوفوكليس عن (*الحب الذي يحكم الآلهة بإرادتها*) في الأبيات الشعرية التالية[1]:

إذا اشتبك الحب في نزاع
كسب المعركة لا محالة
والحب يسلب الأغنياء متاعبهم
وهو يبيت سهران طوال الليل
بخديه الناعمين على وسادة العذراء
يبحث عن فريسته على متن البحار
وينقب عنها بين ملاجئ الرعاة
وليس في وسع الآلهة أن تفر من سلطانه
وهي التي وهبت الخلود
فكيف بنا نحن الذين لا تطول حياتهم أكثر من يوم
فما أجنّ العقل الذي ينطوي عليه

إذن، فالزوجة الأثينية هي أم الأطفال، ومديرة شؤون المنزل، وهي التي كانت تحظى بأعمق تقدير ومحبة من الزوج الأثيني، *ولكن العرف وقف حاجزاً أمام عواطف الرجل الأثيني*، وحتم عليه كتمانها وعدم إظهارها على مرأى من الناس، ولكن هذه العواطف احتجبت وراء ستار، وبقيت كعنصر جوهري في الحياة المنزلية الخاصة، لكنها ظلت بعيدة عن حياة الأثيني العامة، وعن السياسة وشؤون الدولة والحرب. ومن ثم عُني الأدب الإغريقي- على نحو ما رأينا- بالسياسة والدولة أكثر من عنايته بالفرد والأسرة. *ولكن يوروبيدس بواقعيته الصارخة حطّم حواجز العرف في هذا الميدان وغيره من الميادين، مطلقاً العنان للمشاعر المكبوتة، ومهداً الطريق للتعبير عن عاطفة الحب الرومانتيكي تعبيراً كاملاً عند شعراء العصر الهللينستي*. وأياً كان الرأي في المجتمع الإغريقي، فلا مناص من التسليم بأنه كان في جوهره *مجتمعاً رجولياً*. وكان ذلك ظاهرة حتمية للنظرية السائدة التي اعتبرت

---

1. SOPHOCLES, TRACHINIAN WOMEN, 443.

الكفاح غاية الحياة الرئيسة واتخذت من البطولة مثلاً أعلى يقتضي من الرجل أن يبذل قصارى جهده في الانتفاع بمواهبه البدنية والعقلية[1].

رابعاً ـــ النساء الأجنبيات المولد :

ننتقل الآن من طبقة المرأة الحرة (*المرأة ذات المواطنة الأثينية*) إلى طبقة أخرى هي *النساء الأجنبيات*[2]. فالمرأة الأجنبية لم يكن لها حقوق ولا امتيازات في أية مدينة إغريقية، وهي ليست جديرة بحماية المدينة أو قوانينها، وإنما عليها أن تهتم بمصالحها بطريقتها الخاصة أو أن تجد (*رجلاً حراً*) يقوم لها بأعمالها الرسمية، وكان الزواج منهن ممنوعاً وخطراً وتعاقب عليه القوانين، *حتى لا يؤدي اختلاطهم بالمواطنين إلى إفساد الدم الأثيني النقي*، فلذلك شرّعت القوانين التي تمنع أي مواطن من الزواج من امرأة أجنبية أو العكس . ومن ثم فالمرأة الأجنبية لا تستطيع أن تتزوج ، وفيما عدا ذلك فلها أن تفعل ما يحلو لها من الممنوعات على المواطنة الأثينية المولد ، أي لم يعشن في عذرية تامة ، وشكلن طبقة جديدة لمتعة الرجل الأثيني الذي وجد في هذه الطبقة ما كان ينقصه في المنزل، *ففي هذه الطبقة وجدت الألفة والمحبة والمتعة والثقافة والنضج العقلي ودخلت في علاقات مع الرجل الأثيني الذي كان يخجل من أن يصرّح بمشاعره وعواطفه لزوجته- أما هنا فكل شيء مباح ما عدا الزواج* - تجنباً لإشكاليات الميراث والامتيازات والممتلكات التي كانت تقتصر على الرجل الأثيني وحده دون غيره، ولم يكن الإغريق يجدون في ذلك عملاً مشيناً، فالزوجات عفيفات مخلصات يدّبرن شؤون المنزل وإنجاب الأولاد الشرعيين، ولكن ليست ثمة قيود مماثلة على النساء الأجنبيات، ولم يكن ثمة ضرورة في أن يبقى نسل الأجنبيات نقياً، فتلك مسألة لا تهم المدينة، ولا تهتم بها الآلهة . وهكذا انتقى الرجال من النساء الأجنبيات خليلات ورفيقات وصديقات مثقفات (*فهن كن الطبقة الوحيدة المثقفة والممتازة عقلياً بين نساء أثينة، يدرسن الفنون، ويعرفن التيارات الفلسفية الجديدة، ولهن اهتمامات متنوعة بالسياسة، والنساء المثقفات على هذا*

1- انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٦٦ .

2 .. الأجنبي هو من لم يكن من أبناء المدينة حتى لو كان يونانياً من مدينة مجاورة .

النحو لا بد أن يكنّ موضع تقدير أفضل الرجال عند الإغريق)[1]. بل كان لكل رجل عظيم تقريباً رفيقة تتعاطف معه وتشاركه تأملاته العقلية .

ويقال إن هذه الطبقة من النساء الأجنبيات، كانت قد توافدت على أثينة خلال القرن الخامس ق.م *ولاسيما من أيونية*، وكان البعض منهن ثريات ويعشن في بذخ، ويقمن في مسكنهن (*صالونًا أدبيًا*) يرتاده رجال الفكر من الأزواج والعزّب دون شعور بالحرج أو الخزي طالما لا يهملون زوجاتهم أو ينتهكون الآداب العامة، وبعضهن الآخر كن أقل ثراء يتكسبن من التجارة أو المهن الأخرى أو يعملن (*كموديلات*) أو يعشن كالغواني عالة على حبوب العشاق، وكانت حياتهن جميعاً غير مستقرة ولكنها لم تكن بالضرورة خليعة أو منحلة، وقد اتخذ بعض الأزواج الأثينيين منهن رفيقات أو خليلات ويقول في ذلك *ديموستينيس* (*إننا نتخذ العاهرات للذة ، والخليلات لصحة أجسامنا اليومية ، والزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين ويعنين بمساكننا عناية تنطوي على الأمانة والإخلاص*)[2]. ولم يكن في هذا المسلك ما يعيب الرجل الأثيني أو يمس سمعته لأن المجتمع كان لا يستنكره أو يرى منه ما يستوجب اللوم، ولقد كان في وسع المتزوجين أنفسهم أن يسطوا حمايتهم على تلك الخليلات ولا يناهم لهذا السبب عقاب أخلاقي أكثر من تأنيب زوجاتهم في منازلهم وشيء قليل من سوء السمعة في المدينة، وكانت أثينة تعترف بالعهر رسمياً وتفرض ضريبة على العاهرات [3].

وكانت أسفل طبقة من العاهرات هي طبقة *البورناي* (*PORNEIA*) ويسكن معظم أفرادها في مواخير عامة بتصريح من الحكومة، وكان رسم الدخول في هذه المواخير أوبلة واحدة (الدراخمة = ٦ أوبلة)، ويجد الداخل فيها الفتيات في أثواب لا تكاد تستر منهن شيئاً ولذلك يسمين (*العاريات*) وكان في وسع الرجل الأثيني أن يعقد الصفقة التي يريدها الزمن الذي يبتغيه، ويتفق مع ربة البيت على أن يستأجر

---

1 – انظر : إمام عبد الفتاح إمام ، ٣٨ .

2 – انظر : ديموستينيس ٥٩ ، ١٢٢ ، وفيما يخص سيرة صديقة نموذجية انظر هيرودوت ٢ ، ١٣٥ . أما فيما يخص أخلاقهن انظر : كسنوفون ، مذكرات سقراطية ٣ — ١١ .

3 – انظر : ول ديورانت ، ص ١٠٣ .

منها بتاً تعاشره أسبوعاً، أو شهراً، أو سنة، وكانت البنت تؤجر هذه الطريقة لرجلين أو أكثر من رجلين في وقت واحد توزع وقتها بينهم حسب مواردهم المالية. وتلي هذه الطبقة عند الأثينيين طبقة *العازفات على القيثارة* (*ULETRIDES*) وأولئك يستخدمن كما تُستخدم المسامرات في الليالي الحمراء يمرحن ويعزفن، ويرقصن رقصاً فنياً خلاعياً مثيراً للشهوات ثم يبتن مع من يريدهن من الرجال، وكن يجمّلن أنفسهنّ، ويسترن عيوب أجسامهن، ويسلين الرجال بالعزف على الآلات الموسيقية، كما يتصنعن الحب والدلال للحصول على أكبر أجر مستطاع[1]. وأخيراً تأتي أرقى طبقة من طبقة العاهرات هي طبقة *الهيتايراي* (*HETAIRAI*) ومعناها الحرفي *الرفيقات*، وكن يعشن مستقلات بأنفسهن، ويستقبلن في بيوتهن من يشئن من العشاق، وكن يميزنّ أنفسهنّ بلبس أثواب عليها شكل الورود كان يفرضها عليهن القانون[2]. وكان بعضهن يحصلن على قدر لا بأس به من التعليم والقراءة والبلاغة، *وكن يسلين روادهن المثقفين بحديثهن المنطوي على قدر من العلم والثقافة، ومناقشاتهن الفلسفية وأسلوبهن الأدبي المصقول*. وقد اشتهرت منهن *ديوتيما* (*IOTIMA*) التي علمت سقراط فلسفة الحب وهي من مانتينية[3]، *وثيوريس* (*TEHORIS*) التي خففت عن سوفوكليس متاعب شيخوخته، *وأركيانسا* (*ARCHEANSSA*) التي كانت تسلي أفلاطون، *ودانى* (*DANAE*) *وليونتيوم* (*LEONTIUM*) اللتان علمتا أبيقور فلسفة اللذة، *وفريني* (*PHRYNE*) التي عشقت النحات الشهير *براكسيتليس* ونحت على صورها تمثال الآلهة أفروديتي، وأثرت *فريني* من عشاقها إثراء أمكنها من أن تعرض استعدادها لإعادة بناء أسوار طيبة إذا وافق الطيبيون على نقش اسمها على هذه الأسوار بغية تخليد اسمها في التاريخ، ولكنهم أصرّوا على رفض هذا الطلب كونها عاهرة لا يشرّفهم نقش اسمها على أسوارهم، ولعلها تغالت فيما طلبته إلى *يوثياس* (*EUTHIAS*) الثري من المال من أجر لها، فثأر لنفسه منها باتهامها بالإلحاد، ولكن أحد أعضاء المحكمة كان من زبائنها، كما كان

1- LACROIX P ; HISTORY OF PROSTITUTION 2 V . N . Y 1931 . P 112.

2- IBID, 86 .

3 – انظر : أفلاطون ، المأدبة ٢٠١ ج — ٢١٢ آ .

هيبريدز الخطيب الإغريقي الشهير من عشّاقها المفتونين بها، ودافع عنها هيبريدز ولم يستخدم في هذا الدفاع بلاغته فحسب، بل شق أمام المحكمة جلبابها وكشف عن صدرها، ونظر القضاة إلى جمالها البديع الفاتن ويرؤوها من تهمة الإلحاد في الدين (ديورانت ، ص ١٠٦). ولئيس (LAIS) الكورنثية التي كانت أجمل امرأة وقعت عليها العين، وتتنازع شرف مولدها مدن لا تقل في عددها عن المدن التي تتنازع شرف انتساب هوميروس إليها، وكان يتوسل إليها النحاتون والرسامون لأن تقف أمامهم لينحتوا تمثالها أو يصوروها، وجمعت لئيس من مهنتها ثروة طائلة، وكانت تسلّم نفسها بأقل أجر إلى الفيلسوف ديوجينيس المعدم لأنه كان يسرّها أن يحثو الفلاسفة أمام قدميها. *وقد أنفقت ثروتها في سخاء في تشييد المعابد، والمباني العامة، وعلى الأصدقاء والفقراء طلباً لنيل الشرف وتخليد اسمها في التاريخ.* ومع هذا ذلك، عندما قضت نحبها أقيم لها قبر فخم تكريماً لها، لأنها كانت أعظم غازية منتصرة عرفها الإغريق طوال تاريخهم[1]. أما *أسباسيا* الشهيرة التي ملئت سمعتها أصقاع بلاد الإغريق كلها بجمالها وثقافتها الرفيعة، فقد وصلت أثينة في عام ٤٥٠ ق.م من ميليتوس في آسية الصغرى، *وافتتحت فيها مدرسة لتعليم فن البلاغة والفلسفة*، وأخذت تشجع بجرأة عظيمة خروج النساء من عزلتهن، واختلاطهن بالرجال، والتحقت بمدرستها كثيرات من فتيات الطبقات العليا، وأرسل كثيرون من الأزواج زوجاتهم ليدرسن معها، *ويصف بلوتارخوس جمالها ويتحدث عن قدميها الصغيرة المقوسة إلى أعلى، وعن صوتها الفضي، وشعرها الذهبي*[2]. فلذلك وقع في عشقها كثير من الرجال العظام الذين كان يطيب لهم أن يستمعوا إلى محاضراتها ومن بينهم *بريكليس وسقراط وأنكساغوراس وفيدياس وأفلاطون*. *ويقول سقراط أنه تعلم منها فن البلاغة*[3]، وكان *بريكليس* الزعيم الديمقراطي الأثيني الشهير قد وقع في أسر حبها، وسنحت له الفرصة في الزواج منها، وذلك عندما

---

1 – LACROIX P ; P 166 .
2- PLUTARCHUS , MORALIA 249 B .
3- TUCKER, T. G, P 125.
4- CARROLL, N : P 172 .

أحبت زوجته رجلاً آخر، فلم يكن منه إلا أن عرض عليها أن تستمتع بحريتها نظير استمتاعه هو بحريته، فرضيت بذلك وهذا ما تمناه بريكليس، واتخذت لها زوجاً ثالثاً[1]. وجاء بريكليس *بأسباسيا* إلى بيته، *غير أن قانونه الذي سنه عام ٤٥١ ق.م لم يكن يبيح له أن يتخذها زوجة شرعية له لأنها من مواليد ميليتوس في آسية الصغرى، وإذا ولد له منها طفل، كان هذا الطفل بمقتضى هذا القانون نفسه طفلاً غير شرعي*، ولا يستطيع أن ينال حق المواطنة الأثينية إلا بمقتضى قانون خاص ويلوّح أن *بريكليس* كان شديد الحب والإخلاص لها ويهيم بها هياماً شديداً، فلا يغادر بيته ولا يعود إليه دون أن يقبّلها، وقد وصل به الأمر بأن أوصى بكل ما يملك إلى ولدها منه، وانقطع تقريباً منذ ذلك الوقت عن الحياة الاجتماعية خارج بيته، وقلما كان يغادره إلى أي مكان غير ساحة المدينة، حيث أخذ أهل أثينة يشكون بعده عنهم، *أما أسباسيا نفسها، فقد جعلت من بيته أشبه بالندوات الفرنسية في عهد الاستنارة تناقش فيه الفنون، والعلوم، والآداب، والفلسفة، وشؤون الحكم والسياسة في أثينة، وكان سقراط الذي كان يحضر معظم هذه الندوات يُعجب بفصاحتها ويُدهش من بلاغتها وأسلوبها، ويعزو إليها فضل إنشاء الخطبة الجنائزية التي ألقاها بريكليس بعد الخسائر الأولى في الحرب البلوبونيزية*. وهكذا أصبحت *أسباسيا* بفضل جلائل أعمالها، وثقافتها الرفيعة، وجمالها الفتّان، وكزوجة أجنبية لأعظم زعيم أثيني شهير، *ملكة أثينة غير المتوّجة تشيع فيها آخر أنماط الحياة الاجتماعية*[2]، حتى إن شعراء الكوميدية الإغريقية كانوا يسمونها (*هيرا*) أو الآلهة الملكة، زوجة رب الأرباب على اعتبار أن بريكليس هو زيوس[3].

خامساً ــ الزواج وشروطه :

الحب الرومانسي موجود بين الإغريق، ولكنه قلما يكون سبباً للزواج، لأن الرجال العزّب كان أكثر ما يهتمون به هو البائنة (*المهر الذي تقدمه الزوجة*

---

2 – انظر : ول ديورانت ، ص ١٩ .

3 – انظر : موليك بيتر ، *المرأة عبر التاريخ* ، ترجمة حنريت عبود ، دار الطليعة ، بيروت ،ص ٦٠ .

للزوج) وليس الحب، فالإغريقي لم يكن يتزوج لأنه يحب، ولا لأنه يرغب في الزواج، بل ليحافظ على نفسه وعلى الدولة عن طريق زوجة جاءته بمائة مناسبة، وأبناء شرعيين يرعونه أيام شيخوخته. وعلى الرغم من ذلك كان الإغريقي يتجنب الزواج ما دام يستطيع تجنبه، ولكن القانون كان يحرّم عليه أن يكون عازباً، فلذلك كان الزواج يأتي متأخراً بين الأزواج وهو عادة في سن الثلاثين أو أكثر بقليل، ويصرون على الزواج من فتيات لا تزيد سنهن على خمسة عشر عاماً أو أكثر. وفي ذلك تقول إحدى المسرحيات في مسرحية ليوروبيدس (*إن زواج الشاب من زوجة شابة شر مستطير*)، ويقصد بذلك أن الرجل يجب ألا يتزوج صغيراً، *وسبب ذلك أن قوة الرجل تبقى طويلاً، أما نضرة الجمال فسرعان ما تفارق صورة المرأة*[1]. أما *أرسطو* فيرى أن أنسب سن ملائمة للزواج هي السابعة والثلاثين أو دونها بقليل للرجل، والثامنة عشرة بالنسبة للفتاة، ويعلل *أرسطو* سبب ذلك لأن القران في مثل هذه الأوان يوافق اكتمال الأجسام[2]. ومن جهة أخرى يرأي *أرسطو*، أن الفتيات يستفدن عفة (*أي سلامة العقل وصواب التفكير*) إذا تزوجن وهن متقدمات قليلاً في السن، لأنهن عندما يباشرن الصلات الزوجية وهن لا يزلن حديثات السن يبدين كثيراً من الإسراف فيها، والمذكور إذا انصرفوا إلى تلك الصلات، وأجسامهم بعد في طور النمو يسيئون إلى أجسادهم ويمنعونها من النمو، لأن للجسم وقتاً محدوداً لا يتجاوزه في نموه[3]. أما وقت الصلات الزوجية، فيرى *أرسطو* أن الوقت المناسب له هو أن يكون التجامع *وقت الشتاء*، فقد كان عند الإغريق شهراً يدعونه (شهر الزواج) وهو يعادل شهر كانون الثاني تقريباً، ويسرد *أرسطو* سبب ذلك إلى أن الأزواج ينبغي عليهم الإصغاء في أمر التناسل إلى أقوال الأطباء ونصائح علماء الطبيعة، لأن الأطباء يعنون بدقة كافية الأزمنة التي تلائم الأجساد[4]. وأفضل نصيحة يوجهها *أرسطو* للنساء الحوامل، *بأن يعنين*

---

1 – انظر : يوروبيدس ، *الجيبيا في ايوليس* ٢٢ .

2 – انظر : أرسطو ، *السياسة* ٧ ، ١٤ ، ٦ ، ١٣٣٥ أ .

3 – انظر : نفس المصدر ٧ ، ١٤ ، ٥ ، ١٣٣٥ آ .

4 – انظر : نفس المصدر ٧ ، ١٤ ، ٧ ، ١٣٣٥ أ .

بأجسادهن، وأن يكتفين بغذاء خفيف، وأن يسرن كل يوم سيراً معتدلاً، وأن تكون نفسيتهن بعكس أجسادهن أن تستسلم إلى الدعة والطمأنينة وراحة النفس، لأن الأجنة تتأثر بتأثيرات الحوامل، كما تتأثر النباتات بالأرض التي تحملها[1].

وقد أثبت العلم الحديث هذه الملاحظة نظراً للتمازج العجيب بين الروح والجسد، والرجل يجني على أولاده من المآسي والتشوهات النفسية والخلقية عندما يسبب لامرأته في أوان حملها دواعي حزن وكدر وغم، *فمن واجبه على العكس من ذلك أن يوفر لها أسباب الراحة النفسية والدعة والهناء*. أما مدة الزمن الذي يليق بالزوجان أن ينصرفا فيه إلى إيلاد البنين هي كأقصى حد سن الخمسين (*وهي مدة النضوج العقلي*) لأن ثمرات المسنين كثمرات الأحداث تأتي ناقصة جسماً وعقلاً، وثمرات الشيوخ تولد عليلة[2]. وفي رأي العلم الحديث أن هذه الملاحظة هي أيضاً صائبة، وينظر *أرسطو* أن الرجل إذا تجاوز هذا العمر بأربع أو خمس سنين يتحتم عليه أن يكف عن العمل التناسلي الصريح، وفيما تبقى للزوجين من العمر يجب ألا يتجامعا إلا لغاية صحية أو غاية أخرى محمودة، ويستنكر *أرسطو* أشد الاستنكار اتصال الرجل مع امرأة أخرى أو الزوجة مع رجل آخر وقت إيلاد البنين، ويطالب بإيقاع أقصى العقوبات على مثل هذه الهفوات الرذيلة لأنها مخالفة للطبيعة كل المخالفة، حيث إن الحيوانات أنفسها لا تأتيها إلا نادراً وعن فساد في طبعها ومزاجها[3].

وبكل الأحوال، فالزواج كان عادة يتفق عليه والدا الزوجين كما يحصل في هذه الأيام، وكان الواجب على والد الفتاة أن يهيئ لابنته بائنة من المال، والثياب والجواهر، ومن العبيد في بعض الأحيان[4]. وكانت هذه البائنة تبقى على الدوام ملكاً للزوجة، وتعود إليها إذا افترقت عن زوجها — *وهو نظام يقلل من احتمال طلاقها منه* – فإذا لم تكن للفتاة بائنة فقلما تجد لها زوجاً، ومن أجل هذا كان أقاربها

---

1 – انظر : نفس المصدر ٧ ، ١٤ ، ٩ ، ١٣٣٥ ب .

2 – انظر : نفس المصدر ٧ ، ١٤ ، ١١ ، ١٣٣٥ ب .

3 – انظر : نفس المصدر ٧ ، ١٤ ، ١٢ ، ١٣٣٥ ب ثم انظر : أرسطو ، *الأخلاق* ب ٧ ، ف ١٤ .

4- CARROLL, N , P 164 .

يجتمعون ليعدو لها بائنة إذا عجز الوالد نفسه عن إعدادها، وبهذه الطريقة انقلب الزواج بالشراء الذي كان كثير الحدوث أيام هوميروس، *فالمرأة إذن في عهد بركليس هي التي تشتري زوجها*، وإذا تم اختيار الزوجة، واتفق على بائنتها تمت خطبتها رسمياً في بيت والدها، ويجب أن يحضر هذه الخطبة شهود، ولكن حضور الفتاة نفسها لم يكن ضرورياً، وإذا لم تتم الخطبة الرسمية بهذه الطريقة، لم يعترف القانون الأثيني بالزواج. فكانت الخطبة هي *الخطوة الأولى* في مراسيم الزواج، أما *الخطوة الثانية* والتي تتبع الأولى بأيام قلائل هي إقامة وليمة بهذه المناسبة في بيت الفتاة، وكان الزوج والزوجة قبل أن يحضرا هذه الوليمة يستحمان كل منهما في بيته استحماماً يتطهران به رسمياً، ثم تقام الوليمة ويجلس رجال الأسرتين في جانب من جوانب الحجرة، ونساؤها في جانب آخر، ثم يأكل الجميع كعكة العرس ويشربون الكثير من الخمر، ثم يأخذ العريس بيد عروسه المحجبة ذات الثوب الأبيض- ولعله لم يكن قد رأى وجهها من قبل- ويسير إلى عربة تقلّها معه إلى بيت والدته في موكب من الأصدقاء ومن الفتيات العازفات على القيثارة، ويضاء لهما الطريق بالمشاعل، وتنشد لهما أناشيد الزواج، فإذا وصلا إلى البيت حملها العريس وتخطى بها عتبة الدار، ويحيي والدا العريس العروس، ويستقبلانها استقبالاً دينياً ويدخلانها في دائرة الأسرة وفي عبادة آلهتها، ثم يرافق الضيوف العريسين إلى حجرتهما وهم ينشدون أنشودة غرفة الزواج، وينتظرون صاحبين عند بابها- كما تفعل بعض النساء هذه الأيام - حتى يعلن لهم العريس أنه قد جنى ثمرة الزواج .

ولما كانت الحروب التي خاضها الإغريق بكثرة والتي قضت على العدد الكبير من المواطنين، ولاسيما بعد الحملة التي سيرت إلى صقلية عام ٤١٥ ق.م، أباح القانون صراحة الزواج من اثنتين[1]. وكانت الزوجة عادة تقبل بمثل هذا الزواج الثنائي، لأنها تعرف أن الزوجة الثانية متى فارقتها فتنة الجمال أصبحت في واقع الأمر جارية في المنزل، وأن أبناء الزوجة الأولى دون غيرهم هم الذين يُعدّون أبناء شرعيين، ولم يكن الزنى يؤدي إلى الطلاق إلا إذا ارتكبته الزوجة، وكان الزوج في

1- GLOTZ , G : THE GREKKE CITY , LONDON , 1929 . P 296 .

هذه الحالة وبحكم العادة أن يُخرج زوجته من بيته[1]. وكان القانون يعاقب الزانية والرجل إذا زنى بامرأة متزوجة بالإعدام، ولكن الإغريق بلغوا من التساهل في الأمور الجنسية حداً يمنعهم من التشدد في تنفيذ حكم هذا القانون، فكان عادة يُترك للزوج المعتدي عليه أن يأخذ بحقه من الزاني بالطريقة التي يختارها، فتارة يقتله في حالة التلبس، وتارة يرسل له عبداً يقتله، وتارة يكتفي بأن يأخذ منه تعويضاً[2].

وكان من السهل على الرجل أن يطلّق زوجته دون إبداء أية أسباب لذلك، وكان عقم الزوجة سبباً كافياً لطلاقها، لأن الغرض من الزواج عندهم هو إنجاب الأبناء. أما إذا كان الرجل نفسه عقيماً فقد كان القانون يجيز أن يستعين الزوج في هذه المهمة بأحد أقربائه وكان الطفل الذي يولد نتيجة لهذا الاتصال يُنسب للزوج نفسه، وعليه أن يُعنى به أيام شيخوخته وبروحه بعد وفاته. ولم يكن يباح للزوجة أن تترك زوجها متى شاءت، ولكن كان في وسعها أن تطلب إلى الآرخون (*الحاكم*) أن يطلقها من زوجها إذا قسى عليها أو تجاوز حد الاعتدال في شؤونه[3]، وإذا افترق الزوجان بقي الأطفال مع أبيهم حتى إذا ثبت الزنى عليه. وجملة القول إن العادات والشريعة الأثينية فيما يختص بالعلاقات بين الرجال والنساء كانت كلها من صنع الرجال[4].

سادساً ـــ الأعياد والتقويم :

اتسم المجتمع الإغريقي بتنوع أعياده الدينية، فقد رأى أنه من الواجب أن تكون هناك أيام لا تسود على روحه فيها غير *العاطفة الدينية*، دون أن تشغل باله الأفكار والأعمال الدنيوية، فجعل للآلهة نصيباً في تلك الأيام التي قدّر له أن يحياها.

فقد كان كل ما هو مقدس عند الإغريق مصدراً لعيد، فكان هناك عيد لسور المدينة (*AMBURBATIA*) وعيد لحدود المنطقة (*AMBARVALIA*)، وفي تلك الأيام كان المواطنون يؤلفون موكباً كبيراً وهم يرتدون الأردية البيضاء ومتوجين بأوراق

1- WESTERMARCK, E : HISTORY OF HUMAN MARRIAGE 3 V , LONDON 1921 , p 319 .
2- LACROIX , P : P 114 .
3- WESTERMARCK , E : P 319 . TUCKER , T , G , P 84 . LACRIOX . P . P: 143 .
4 – انظر : حول قصص الحب والزواج عند الإغريق انظر : ول ديورانت ، ص ١١١ ـــ ١١٦ .

الشجر، ويطوفون حول البلدة أو المنطقة وهم يرتلون الأدعية، وفي المقدمة يسير الكهنة يقودون الأضحية التي كان يضحى بها في نهاية الاحتفال.

يأتي بعد ذلك عيد مؤسس المدينة مثل عيد *كيكروبس وثيسيوس*، وكان لكل بطل من أبطال المدينة عيده الخاص، وكانت هناك أيضاً أعياد *الحقول*، *وعيد الحرث*، *وعيد البذار*، *وعيد الأزهار*، *وعيد قطف العنب*، وكان كل عمل في حياة المزارع مصحوباً بالقرابين، وكانوا يقومون بالأعمال وهم يرتلون الأناشيد المقدسة. فالديانة كانت تنظم كل شيء، والديانة هي التي تأمر بتشذيب الكروم لأنها كانت تقول للناس: *إنها خطيئة أن تريقوا للآلهة خمر كرمة لم يشذب*. فلذلك كانت الأعياد (*الديونوسية*) هي أهم الأعياد الدينية عند الإغريق، والتي كانت تدور حول عقيدة الإله *ديونيسيوس* (*DIONYSIOS*) *الذي كان إلهاً للحصاد والثمار والكروم*، وإن كان قد اشتهر بصفته إلهاً للخمر، والإغريق كانوا يقومون بمثل هذا النوع من الاحتفالات كمظهر من مظاهر الابتهاج والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة إذا كان المحصول وافراً، أو كمظهر للابتهال أو التضرع لهذه القوى الإلهية إذا قصر المحصول عن الوفاء المنتظر.

ولم تكن هذه الاحتفالات في الحقيقة بدعة اقتصرت على بلاد الإغريق، وإنما عرفتها مجتمعات أخرى من بينها مصر وسورية على سبيل المثال لا الحصر، ففي مصر كانت تقام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول، تدور حول الإله أوزيريس (*الذي ارتبط اسمه بالحبوب والحصاد*) تمجد عودته للحياة بعد أن قتله أخوه الإله الشرير ست. وفي هذه الاحتفالات كانت القصة الكاملة تُمثل في شكل ديني شعبي تبين كيف قتل ست أخاه أوزيريس، ثم كيف سعت الآلهة إيزيس (زوجة أوزيريس) بجميع الطرق حتى استعادت جثة زوجها وأعادت إليه الحياة، وكيف تم الانتقام من ست. وفي سورية كانت تقام احتفالات مماثلة تدور حول أسطورة مماثلة كذلك، مؤداها أن الإله بعل (*أدونيس*) قد قتله خنزير بري، ثم حاولت زوجته الآلهة عشتار (*عشتروت*) إعادته للحياة حتى تعود الحياة إلى الطبيعة التي ماتت في الشتاء.

وفي بلاد الإغريق استهدفت هذه الاحتفالات تصوير أسطورة الإله (*ديونيسوس*)، وهي الأسطورة التي اعتقد الإغريق أنها تعبّر عن آلامه وأفراحه. فقد كانت تصوّر الظواهر المتعاقبة التي تمر بشجر الكروم، فشجر الكرم يبدو فاقداً للحياة حزيناً في الشتاء، ثم تعود إليه الحياة في الربيع وكأنما يعود إليه المرح، فتتفتح البراعم التي تمتد منها أغصان جديدة لا تلبث أن تغطيها نضرة الأوراق، ومع مجيء الصيف وحرارته تظهر الثمار، ثم تنضج مع اقتراب الخريف وبعد أن تجمع وتعصر، تمتلئ بعصيرها الخوابي والدنان. ***وفي هذه المراحل المتعاقبة كان الإغريق يرون مراحل يمر بها ديونيسوس من الألم والحزن إلى الفرح والمرح، ثم الانتصار.*** وهكذا كان ما يحدث في احتفالات هذا الإله هو خليط من الشعائر التي تتخذ شكلاً جاداً ينشد فيه المحتفلون قصة الإله، ويعبر المحتفلون في هذا الاحتفال عن تصوراتهم بأشكال مختلفة من بينها الرقص والغناء والفكاهة الخشنة التي تتعلق بالإخصاب أو الجنس بطريقة أو بأخرى. ***وقد كان هذان العنصران هما الأصول الأولى للمسرح الإغريقي.*** فالشعائر الجادة التي ينشد فيها المواطنون أناشيد تبين تقلبات الحياة وخضوعها لقوة أكبر منها تسيطر عليها بما يتصل بذلك من ألم ومعاناة وصراع، هي أصل ***المأساة أو المسرحية التراجيدية***. والعنصر الثاني الذي يتصل بالمرح والفكاهة هو أصل ***الملهاة أو المسرحية الكوميدية***، وامتزاج هذين العنصرين هو أصل اللون المسرحي الثالث وهو ***المسرحية الساتورية***، وهو لون تتداخل فيه العناصر المأساوية مع العناصر الضاحكة المرحة. وقد مرت هذه الأصول الأولى، قبل أن تتبلور في شكلها النهائي كفن وأدب مسرحي، بمرحلة أولى من التنظيم والتشذيب أنتجت نوعين من العروض أو الاستعراضات المنظمة[1].

كانت احتفالات عيد ***ديونيسوس*** تستمر ستة أيام، ستة أيام من الفرح والابتهاج، بالرغم من الجو الديني الرصين الذي كان يخيم عليها. وكان ***اليوم الأول***، بطبيعة الحال، يُخصص لخروج الناس في موكب عظيم، وكان ***اليوم الثاني*** يخصص لمباراة كانت تجري بين عشر جوقات، تتألف كل جوقة منها من خمسين

1- انظر : لطفي عبد الوهاب يحيى ، ص ١٩٠ .

مغنياً، وتتبارى في إنشاد قصائد غنائية نُظمت في الإله ديونيسيوس، وأما في *اليوم الثالث* فكان يمثل فيه خمس تمثيليات *هزلية* لخمسة من الروائيين، وأما *الأيام الثلاثة الباقية* فكانت تخصص لتمثيل الروايات *المأساوية*. وكان في كل يوم من الأيام الثلاثة الأخيرة يقدم مؤلف روائي ثلاث تمثيليات تدور كلها حول موضوع واحد، وكانوا يسمونها *الرواية الثلاثة*. ولم يتحدّر إلينا من هذه الروايات المثلثة التي كانت تُمثل في القدم سوى واحدة منها وهي المعروفة (*بأورستيا*) لمؤلفها *أيسخيلوس*. ونحن الآن لا نستطيع أن ندرك مبلغ الخسارة الأدبية التي منيت بها الأجيال التالية بسبب فقدان هذه الروايات، فإن سبعاً وأربعين رواية فقط، من أصل ألوف من الروايات بقيت إلى يومنا هذا.

إضافة إلى هذه الأعياد كان هناك أيضاً عيد الربة أثينا (*PANATHENAEA*) وهو العيد الذي كانت تكرّم فيه الربة أثينة (*الربة الحامية للمدينة*) وفي هذا العيد كان الإغريق يتّحدون جميعاً لتقديس السماء وتمجيد وطنهم وأنفسهم.. ولا جرم أن تكون الاستعدادات التي يقتضيها هذا الظرف واسعة النطاق، حيث لا يقام هذا العيد إلا مرة واحدة كل أربع سنوات. على أنه في السنة التي يقع خلالها يكون دائماً وإلى حد كبير، أهم أحداث التقويم الإغريقي كله. وفضلاً عن ذلك تحدث أمور هذه المناسبة تزيده بهجةً ومرحاً.

وكان في كل مدينة عيد لكل واحد من المعبودات التي اتخذتها حامية لها وهي كثيرة في أغلب الأحيان. فكلما أدخلت في المدينة عبادة معبود جديد، كان لا بد من إيجاد يوم في السنة يخصص له. ومما تمتاز به هذه الأعياد الدينية تحريم العمل[1]، وفرض المرح والجهر بالغناء والألعاب، وتضيف الديانة: ***حاذروا أن يؤذي بعضكم بعضاً***[2].

ولم يكن التقويم شيئاً آخر غير تتابع الأعياد الدينية، لذلك كان الكهنة هم الذين يضعونه دون أن يكون مدوناً لفترة طويلة، والتقويم لم يكن منظماً على أساس

---

1 – انظر: أفلاطون، *القوانين* ٢ ص ٥٨٤ م ديموستينيس: *ضد ميداس* ١٠.

2 – انظر: ديموستينيس، *ضد ليبوقراطيس* ٢٩.

بجريان القمر أو الشمس، ولم تكن تنظمه إلا قوانين الديانة، وهي قوانين خفية لا يعرفها إلا الكهنة وحدهم، وكانت الديانة تأمر تارة بتقصير السنة وتارة أخرى بإطالتها، ففي بعض المدن كان شهر مايو اثنين وعشرين يوماً، ومارس كان ستة وثلاثين يوماً .

ومما يسهل إدراكه أن تقويم أية مدينة لم يكن يشبه في شيء ما تقويم مدينة أخرى ما دامت الديانة لم تكن واحدة فيهما، وكانت الأعياد مختلفة كاختلاف الآلهة، ولم يكن للسنة نفس المدة من مدينة إلى أخرى، ولم تكن للشهور نفس الأسماء، وكانت أثينة تسميها بطريقة تختلف تماماً عن طريقة طيبة، ومصدر ذلك أن اسم كل شهر كان يُشتق في العادة من اسم العيد الرئيسي فيه . هذا ولم تكن الأعياد واحدة، ولم تتفق المدن على جعل ابتداء السنة في فترة واحدة، ولا على حساب سلسلة سنواتها ابتداء من تاريخ بذاته، فعيد أولمبية أصبح مع مضي الزمن تاريخاً مشتركاً، لكنه لم يحل دون أن يكون لكل مدينة عامها الخاص، ففي روما كانت كل بلدة تحسب السنوات ابتداء من يوم تأسيسها[1].

سابعاً ـــ المهرجانات والألعاب الرياضية :

تُعد ظاهرة الأعياد والمهرجانات الرياضية مميزة جداً في الحضارة الإغريقية، ***لدرجة دفعت بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن هذه الأعياد كانت معوّضاً طبيعياً عن حاجة الإغريق إلى الاتحاد السياسي***، وذلك لأن هذه الأعياد كانت مباحة لجميع المدن والدول الإغريقية وارتكزت على أساس ديني أشبه ما يكون بظاهرة الحج عند مجتمعات معاصرة، وبناء على ذلك كانت المدن المتصارعة تتوقف عن صراعاتها احتراماً لقدسية هذه المهرجانات .

وقد عرف الإغريق عدداً من المهرجانات كانت تُعقد في معظمها مرة صغرى كل سنة، ومرة كبرى كل أربع سنوات ويطلق عليها الألعاب الإغريقية العامة، ***وأشهر هذه الألعاب هي الأولمبية (OLYMPIK) نسبة إلى مدينة أولمبية المقدسة جنوب غرب بلاد اليونان، وكانت تُعقد على شرف الإله زيوس، والبيثية***

---

[1] – انظر : فوستيل دي كولانج ، ص ٢١٦ .

(PYTHIAN) نسبة إلى مدينة دلفي المقدسة في أواسط بلاد اليونان الشمالية وكانت تُعقد على شرف الإله أبوللون، والنيمية (NEMEAN) نسبة إلى مدينة نيمية شمال شرق البلوبونيز وكانت تُعقد على شرف زيوس أو هرقل، والأثمية (ISTHMIAN) وهي التي عقدتها مدينة كورنثة على شرف الإله بوسيدون مرة كل سنتين .

ونظراً لأهمية هذه الألعاب في المجتمع الإغريقي سنتعرض بشيء من التفصيل لأهمها **وهي دورة الألعاب الأولمبية**، والتي سميت كذلك نسبة إلى بلدة أولمبية (*OLIMPIA*) على الضفة الشمالية لنهر ألفيوس بإقليم إيليس (غرب البلوبونيز) **وقد أنشئت في عام ٧٧٦ ق.م** تمجيداً للإله زيوس الأوليمبي، وهي أهم دورة للاحتفالات الرياضية عند الإغريق، وكانت تُعقد مرة كل أربع سنوات (في منتصف الصيف) وتستمر خمسة أيام، وتشتمل على مهرجانين : **المواكب الدينية وتقديم القرابين، ثم عقد المباريات** . وفي أول الأمر يبدأ **سباق العدو**، وهو سباق المشاعل الذي كانت تنتقل فيه الشعلة على ما هو معروف عندنا في سباق التتابع، أي من يد إلى يد أخرى حتى تصل إلى نقطة الانتهاء آخر الأمر، وكان هذا النوع من السباق يقتضي حذراً شديداً حتى لا تنطفئ الشعلة بأي حال من الأحوال. ثم تأتي المباريات التي كانت تقتصر على **سباق المسافات القصيرة في الأستاديوم** (*STADIUM*)، وهي كلمة معناها الأصلي مسافة طولها ٢٠٠ ياردة، وأصبحت هذه الكلمة تعني ملعباً مستطيل الشكل في مثل هذا الطول وعرضه ٣٠ ياردة. وبعد ذلك أدخلت مباريات **سباق المسافات المضاعفة** (*DIAULOS*) حيث كان على المتسابقين الجري إلى الهدف (**وهو عبارة عن عمود قصير**) والاستدارة حوله والعودة إلى نقطة الانطلاق الأولى. ولم يلبث أن أدخل **سباق المسافات الطويلة** (*DOLICHOS*) التي تتراوح بين ميلين وثلاثة أميال. وكانت أشهر ملاعب الجري أو الأستاديات في بلاد الإغريق هي التي كانت في أولمبية ودلفي وإبيداوروس وأثينة، وكان الأستاديوم في المدينة الأخيرة يتسع إلى ٥٠ ألف شخص.

وأخيراً أدمجت المباريات فيما يسمى (**مباراة الألعاب الخمسة**) أو بنتاثلون (*PENTATHLON*) وتشمل: **القفز الطويل، رمي الرمح، رمي القرص، الجري،**

المصارعة. وكانت هذه الرياضات تمريناً لجميع أجزاء الجسم، فالجري يمرّن الأرجل، ورمي الرمح يمرّن الذراعين، والمصارعة تمرّن الجذع. وكان الذين يتفوقون فيها يُعتبرون *أكمل لاعبي القوى*. وكانت صورهم البرونزية بالحجم الطبيعي، تُشاهد بكثرة في الأماكن الإغريقية المقدسة: وكان *قاذف القرص* يتضمن حركات موسيقية لجميع الأعضاء، أما القرص فهو عبارة عن كرة مستديرة من المعدن تزن ثمانية أرطال إلى اثني عشر رطلاً. وقد خلّد ذكره النحات العظيم *ميرون* (*MYRON*) بتمثاله لرائع (*رامي القرص*). ولقد أدخلت هذه اللعبة منذ فترة ليست بالقصيرة في دورات الألعاب الأولمبية الحديثة التي عادت سيرتها الأولى في عصرنا الحاضر. وأضيفت بعد ذلك لعبة تجمع بين المصارعة والملاكمة في وقت واحد وتسمى بانكراتيون (*PANKRATIN*) وأنشئت لها حلبة خاصة تسمى باليسترا (*PALAESTRA*) ونجدها في المدن الإغريقية ملحقة بالنادي الرياضي الثقافي جيمنازيوم (*GYMNASIUM*). وكانوا كثيراً ما يعدّون هذه الرياضة خشنة ووحشية لأنه كان يُسمح للمتبارين أن يضرب أحدهم الآخر ويصرعه حتى يُسلم أحدهما بالهزيمة. وهناك نوع آخر من المصارعة شبيه من وجوه كثيرة بالمصارعة اليابانية، تلك المصارعة التي يسمونها (*آل ـ جوجتسو*) والتي يعترف فيها أحد المتبارين بالهزيمة بطريقة رفع اليد. ولم يعترف في وقت من الأوقات بوحشية هذا النوع من أنواع الرياضات، وإن كان من مستلزماتها اتباع نظم صارمة.

وفي فترة لاحقة أضيفت إلى المباريات في الدورة الأولمبية *سباق العجلات* في حلبة أو ميدان سباق الخيل المسمى هبودروموس (*HIPPODROMOS*). وكان طول حلبة سباق الخيل ضعف طول مرماح الجري (*الأستاديوم*). ومع هذا فقد كان على المتسابقين أن يقطعوا مسافة الحلبة عشر مرات في الاتجاهين (ذهاباً وإياباً). وكان ذلك في البداية يتم بعجلات تجرها أربعة خيول، ثم أصبحت بعد عام ٥٠٠ ق.م تجرها بغال، وأخيراً صار يجرها جوادان فقط.

كذلك كانت هناك مباريات *سباق بين الصبية فقط*، *وبين الرجال وحدهم*، وبين الرجال وهم حاملون أسلحتهم (*HOPLITAC*) أو حاملو المشاعل (*IAMPADEDROMIA*) ومباريات أخرى كان على الفرسان أن يقفزوا فيها من

صهوات جيادهم ويجرون بجوارها وهم ممسكون بألجمتها. هذا فضلاً عن مسابقات بين *المنادين ونافخي الأبواق* .

كانت المباريات في الدورة الأولمبية مباحة لكل المواطنين الأحرار المنحدرين من *أبوين إغريقيين صميمين، ولم تلحق بهم أي وصمة تشين سمعتهم*. وكانت محرّمة على البرابرة (*الأجانب*) والعبيد، غير أن الرومان كانوا لا يعتبرون من البرابرة، وسُمح لهم بالاشتراك في هذه المباريات. لكن النساء حرمن حتى من حضور هذه المباريات (*فيما عدا كاهنة ديميتر، ربة القمح*).

وكان على كل مشترك في الأولمبياد أن يقضي فترة تدريبية لا تقل عادة عن عشرة أشهر، ولاسيما للذين يشتركون في المباريات لأول مرة ويقسم إنه لم يرتكب أي فعل شائن أو سلوك مخالف لقواعد الرياضة والشرف والأخلاق، وكانوا أحياناً يشهدون على ذلك أولياء أمورهم .

كان الإشراف على حفلات الدورة الأولمبية وعملية التحكيم تُسند إلى لجنة من الحكام يُعرفون باسم هللانوديكاي (*HELLANODIKAI*) وكانوا يُختارون من بين الأسر النبيلة في إقليم *إيليس (حيث تقع بلدة أولمبية)*. وهؤلاء الحكام العشرة كانوا يحصّلون إيراد الاحتفال، ويلبسون "أرواباً" حمراء، ولهم مقاعد مخصصة، ويقدمون أكاليل النصر للفائزين، ويطبقون القانون إضافة إلى التحكيم دون تحيز، ويترأسون الوليمة في ختام الدورة، ويمارسون سلطة تأديبية على المتبارين ويوقعون الجزاءات عند خرق قواعد الألعاب وإذا ثبت لديهم أن لاعباً فاز بوسيلة غير مشروعة عدّ خاسراً وحُرم من الاشتراك في أية مباريات إضافة إلى غرامة مالية يدفعها بالاشتراك مع مدينته[1].

وفي ختام الدورة الأولمبية، أي في اليوم السادس للمهرجان، كان الفائزون الذين تزيّن أكاليل الزيتون جباههم يقدمون قرباناً للإله زيوس، وتقام وليمة أو مأدبة كبيرة في دار البلدية (*PRYTANEUM*) الموجودة في (*ألتس*) وهو أهم وأقدس مكان في أولمبية ، وكان يحضرها الفائزون وأقاربهم الفخورون بهم. وفيها كانت جوقات

---

[1] .. انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ١١٣ ـ ١١٦ .

من المغنين تنشد نشيداً للنصر وهو من نظم أحد كبار الشعراء، ويُتحفنا *بنـــداروس* أحد أكبر شعراء اليونان وهو المختص في تنظيم أغاني النصر ببعض خاتمة أناشـــيده والتي ألقيت في انتصار فتى من إيجينة في إحدى مباريات مصارعة الأولاد في دلفـــي بقوله:

إن من يكسب فجأة جائزة فخمة
في أعوام الشباب الخصبة
يسمو به الأمل وتنمو لرجولته أجنحة
وينطوي قلبه على ما هو أفضل من الثروة
ولكن موسم ابتهاج الإنسان قصير
فسرعان ما يقع على الأرض وتجتث جذوره قضاء رهيب
مدته يوم ــ هكذا الإنسان، إنه طيف في الحلم
ومع ذلك فعندما ينزل عليه البهاء الذي يضفيه عليه الرب
يتلألأ عليه سناء وضاء فما أحلى الحياة
فيا أمنا العزيزة إيجينة أرشدي هذه المدينة إلى طريق الحرية
بوساطة زيوس وبفضل البطل أياكوس
وبليوس وتلامون القوي وأخيليس [1].

وعند وصول الأبطال إلى مدنهم كانت هذه المدن تحتفل بهم احتفالاً جماهيرياً كبيراً. *وكانت العادة أن يقدم البطل إكليل الزيتون الذي ربحه إلى معبـــد إلـــه المدينة*، في وقت تقدم فيه المدينة مبلغاً كبيراً من المال إلى جانب امتيـــازات شـــرفية أخرى منها شرف القتال إلى جانب زعماء المدينة وشرف الجلوس على المقاعـــد في الاحتفالات العامة.

وكان كثير من الكتاب والشعراء والخطباء الإغريق ينتهزون فرصـــة وجـــود جموع غفيرة من الناس في احتفالات الدورة الأولمبية فيحضرون بقصد الإعلان عـــن أنفسهم وعرض إنتاجهم الفكري أو للإدلاء بآرائهم حول المسائل العامة أو لإلقـــاء

---

[1] – انظر: كيتو، *الإغريق*، ص ٢٢٨.

خطب سياسية. لقد كانت الدورة فرصة لتبادل وجهات النظر بين مختلف بلاد الإغريق، وتوثيق الروابط بينهم والتعرف على اتجاهات الرأي العام الإغريقي، فضلاً عما كان يجري بالضرورة من معاملات أخرى كالبيع والشراء أو تبادل التجارة. ومما يدل على أهمية دورات المباريات ونجاح الدورة الأولمبية عند الإغريق، أن جميع المدن المؤدية إليها كانت تُؤمن بمناسبة انعقادها بمقتضى اتفاق ضمني أو هدنة مقدسة مؤقتة (*EKEEHEIRIA*) تتوقف فيها كل الأعمال العدوانية.

ودليل آخر على مدى أهمية الدورة الأولمبية هو أن بعض الكتّاب والمؤرخين الإغريق (*من أمثال بوليبيوس وديودور الصقلي وديونيسيوس الهاليكرناسي*) اتخذوا من بداية الدورة الأولمبية الأولى عام ٧٧٦ ق.م أساساً للتقويم الزمني بمعنى تأريخ الأحداث بالقياس إليها. فيقولون على سبيل المثال، حدث الحادث الفلاني في السنة الثالثة من الأولمبياد الخامس. ولتحديد الأولمبياد يُضرب رقمه خمسة في أربعة (المدة بين أولمبياد وآخر) ثم يُطرح حاصل الضرب من ٧٨٠. وفي هذا المثل يكون تاريخ بداية الأولمبياد الخامس هو (٧٨٠ ـ ٢٠) = ٧٦٠. وتكون السنة الثالثة منه هي ٧٥٨ ق.م. وأما إذا كان الأولمبياد قد حدث بعد الميلاد، فيضرب رقمه في أربعة، ثم يُطرح حاصل الضرب من ٧٠٦، فيكون الناتج هو تاريخ الأولمبياد بعد الميلاد. وعلى سبيل المثال إذا كان الحدث قد وقع في السنة الأولى من الأولمبياد رقم ٢٠٠، يُضرب ٢٠٠ × ٤ = ٨٠٠ ثم يُطرح هذا الرقم من ٧٠٦ فيكون الناتج ٩٤ م.

وقد ألغيت الدورات الأولمبية في عام ٣٩٤ م أي في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الذي أعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية مع تحريم سواها من الديانات والعقائد (٣٨٠ ـ ٣٩٢م). ومنذ ذلك الحين يزيّن أولمبية التي ظلت صاحبة عدة قرون، صمت رهيب.

ثامناً ـ التربية والتعليم:

لم يكن التعليم في أثينة إلزامياً كما كان في إسبرطة وغيرها من المدن، *ولكن الجو العام الذي كان يقدس العلم والمعرفة*، فرض على عموم الأثينيين تعليم أولادهم، *وكان العامة من أبناء الأحرار يعلمون أولادهم أصول القراءة والكتابة*

والحساب والموسيقى والشعر، وكذلك التربية البدنية في كتائب خاصة على يد أفراد متخصصين لهذه الغاية، على الرغم من أن *أفلاطون* كان ينادي بأن تنشئ الدولة مدارس عامة[1]. وكان التلميذ عادة يذهب إلى المدرسة من سن السادسة ويبقى فيها حتى الرابعة عشرة أو السادسة عشرة من عمره، وإلى ما بعد السادسة عشرة إن كان من أبناء الأثرياء[2]. ولم يكن في المدارس أدراج، بل كان يكتفي فيها بالمقاعد، فكان التلميذ يضع على ركبتيه الملف الذي يقرأ فيه أو الصحيفة أياً كانت مادتها التي يكتب عليها. وكان المدرّس يدرّس كل المواد ويستخدم النعال للتأديب، إذ ترينا إحدى الصور الإغريقية، تلميذاً محمولاً على كتفي تلميذ آخر، ويمسكه تلميذ ثالث من عقبيه والمدرّس ينهال عليه ضرباً[3].

وكان منهج الدراسة ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي *الكتابة، والموسيقى، والألعاب الرياضية*، وأخيراً أضيف إلى هذه المناهج الثلاثة *الرسم والتصوير*. وكانت الكتابة تشمل القراءة والحساب، والموسيقى تشمل العزف على القيثارة، والألعاب الرياضية تشمل أنواعاً عديدة منها كما ذكرنا سابقاً، وكان لها من الأهمية حيث أن الأثيني لم يُعدّ متعلماً إذا لم يتقن فن المصارعة والسباحة واستعمال القرص والرمح.

أما *البنات* فكن يدرسن في منازلهن، وكان تعليمهن يقتصر في الغالب على علم تدبير المنزل، ولم يكن لهن حظ في الألعاب الرياضية العامة غير إسبرطة. وكانت أمهاتهن يعلمنهن أصول الغزل والنسيج والتطريز، باستثناء قلة قليلة جداً من الأمهات الثريات المتعلمات اللواتي كن تعلمن فنون البلاغة والفلسفة على يد *(أسباسيا)*، كن يعلمن بناتهن أصول القراءة والكتابة والحساب. *أما الأبناء من طبقة الأثرياء والذين بلغوا سن الرشد وأتموا تعليمهم الأولي*، كانوا يتابعون تعليمهم العالي على يد علماء البلاغة والسفسطائيين (*SOPHISTAI*) وهم جماعة من المفكرين

---

1 - انظر : أفلاطون ، *القوانين* ٧ ، ٨٤ .

2 - انظر : أفلاطون ، *بروتاغوراس* ٣٢٦ .

3 - انظر : ول ديورانت ، *قصة الحضارة* ، ص ٨٣ .

احترفوا التعليم في تلك الفترة كان أشهرهم بروتاجوراس (PROTAGORAS). وكان هؤلاء يعلمون فن *الخطابة، والعلوم الطبيعية، والفلسفة، والتاريخ، والجدل والمناظرة*. وكان نمط هذه الدراسة أشبه بالجامعات الخاصة يديرها مدرسون مستقلون يستأجرون قاعات للمحاضرات ويتقاضون أجوراً عالية.

وفي حال بلوغ التلاميذ سن السادسة عشرة من عمرهم، كان يُنتظر منهم أن يعتنوا عناية خاصة بالتربية البدنية التي تعدّهم بعض الإعداد إلى الأعمال الحربية. فقد كانوا يُدربون على *العَدْو، والقفز، والمصارعة، والصيد، وسوق المركبات، وقذف الحراب*. وكانوا في هذه المرحلة يدربون على مدى عامين على أيدي مدربين محترفين، ويأكلون ويعيشون مجتمعين، ويلبسون حللاً رسمية ذات روعة وبهاء، وينظمون أنفسهم تنظيماً دقيقاً، ويصدرون قرارات، ويسنون قوانين يتقيدون بها، ويكون لهم منهم حكام وزعماء وقضاة[1]. وكانوا في السنة الأولى يخضعون لنظام صارم من التدريب الرياضي، ويتلقون محاضرات في الآداب والموسيقى والهندسة النظرية وعلوم البلاغة[2]. وفي سن التاسعة عشرة كانوا ينهون دراستهم العسكرية ويتخرجون ليصبحوا جنوداً يُرسلون إلى كتائبهم في الجيش الأثيني ليقوموا بحماية الحدود والبلاد. وفي فترة احتفال التخرج كانوا يقسمون أمام مجلس الخمسمائة، وأيديهم ممتدة فوق مذبح الهيكل في أرجولوس (ARGOULOS)، يميناً مغلظة هي يمين الشباب الأثيني على غرار يمين طلاب الكليات العسكرية في عصرنا الحاضر، والتي يقسمون فيها بحماية البلاد والدفاع عنها، واحترام القانون والدستور، ونص القسم الأثيني هو على الشكل التالي:

(لن أجلّل بالعار الأسلحة المقدسة، ولن أتخلى عن الرجل الذي إلى جانبي أيًا كان، وسأقدم المعونة إلى شعائر المدينة، وإلى الواجبات المقدسة بفردي ومع الكثيرين غيري، ولن تكون بلادي حين أسلّمها إلى من يأتي بعدي أقل مما كانت حين تسلمتها، بل ستكون أكبر وأحسن مما كانت وقتئذ، وسأطيع من يتولون القضاء حيناً بعد حين، وأخضع للقوانين المسنونة، ولكل ما يضعه الأهلون من

---

1 – انظر : أرسطو ، *الدستور الأثيني* ٤٢ .

2- GARDNER, A, E, : ANCIENS ATHENS , N , Y , 1902 , P 483

أنظمة، وإذا ما حاول أحد أن يفسد هذه القوانين، فلن أسمح له بذلك العمل، بل أدفعه بفردي وبمعونة الجميع، وسأكرّم دين السلف)[1].

وكان الشباب في أوقات معينة يعرضون ما يتحلون به من صفات في مباريات عامة، ولاسيما في سباق التتابع من بيرية إلى أثينة، وكانت المدينة تخرج على بكرة أبيها لمشاهدة هذا المنظر الجميل، فيصطف أهلها على طول الطريق البالغ أربعة أميال ونصف ميل، ويجري السباق ليلاً، والطريق غير مضاءة، فلا يرى الناس من العدائين إلا أنوار المشاعل التي يحملونها وتقفز من يد إلى يد على طول الطريق .

وبعد أن يصل الشباب إلى سن الحادية والعشرين من عمرهم يتحررون من السلطة الأبوية، وينتظمون رسمياً في عداد المواطنين.

هذه هي التربية التي تنشئ المواطن الأثيني، وهي مزيج صالح جميل من التدريب الجسماني والعقلي، وقد أخرجت أثينة في أحسن عهودها أحسن الشباب علماً ورشاقة، واحتدم النقاش بين الفلاسفة حول أهداف التربية ووسائلها، *وقد اجمعوا جميعاً على أن مكانة التربية هي أسمى مكانة في البلاد*، ولما سئل أرستبوس (*ARISTIPPUS*) بماذا يمتاز المتعلم عن الجاهل أجاب (*بما يمتاز به الجواد المروّض على الجواد الجموح*) وأجاب أرسطو عن هذا السؤال نفسه بقوله (*يمتاز به الحي على الميت*)، ويبتغي أرسطو أن تكون التربية واحدة للجميع وعلى مسؤولية الدولة بقوله (*وبما أن غاية الدولة كلها واحدة، فمن الأمور الجلية أن الضرورة تقضي بأن يكون التهذيب واحداً متماثلاً للجميع، وأن يكون السهر عليه من شؤون العامة لا من شؤون الخاصة كما هي الحال في الوقت الحاضر . . . فجلي إذن أنه لا بد من سن شرائع للتربية ومن جعل هذه التربية عمومية*)[2] أما من حيث المعارف التي يفضلها أرسطو فيقول في صددها (*والمعارف التي اعتادوا تلقينها أربعة تقريباً، الأدب والعلوم، والرياضة ، والموسيقى. وأضاف بعضهم التصوير مادة رابعة . ولقد علموا الأدب والتصوير لمنفعتهما في الحياة وكثرة*

---

1 - انظر : ول ديورانت ، ص٨٦ .

2 - انظر : المرجع السابق نفسه .

استخدامهما، وعلموا الرياضة لأنها تهدف إلى الشجاعة، أما الموسيقى فيحار المرء في أمرها، فأكثر الناس يقبلون الآن على تلقينها ابتغاء للذة، مع أنهم أدمجوها منذ البدء في نظام التربية لكون الطبيعة نفسها لا تطلب فقط شغلاً قويماً، بل تلتمس أيضاً إمكانية التمتع بفراغ لائق ... لأن الطبيعة هي مبدأ كل شيء)[1]. ومن جهة أخرى، يرى *أرسطو* وجوب تثقيف الأولاد بأخلاق البيئة قبل تثقيفهم بالعقل والمبادئ النظرية، ووجوب الاهتمام بالجسد قبل الاهتمام بالمدارك ومن هنا يقول (*... وذلك الأمر يتضح لنا من وجوب دفع الأولاد أولاً إلى الرياضة والتمرن على العمل، لأن الرياضة تؤتي الاستعدادات الجسدية بعض المزايا الخاصة، والتمرن على العمل يُحسن الأعمال التي يتعاطاها المرء ... فمن الأمور المسلم بها إذن وجوب الإقبال على الرياضة وكيفية القيام بها، إذ ينبغي أن يُفرض على الأولاد إلى سن المراهقة تمارين رياضية سهلة)*[2]. ويشجع *أرسطو* على تعلم فن الموسيقى ويرد سبب ذلك إلى قوله (*وأما ما يتعلق بفن الموسيقى، فيجب تحصيله لا لأجل لذة اللهو فقط، بل لأن الموسيقى صالحة لترويح النفس أيضاً على ما يبدو ... إذ أن للموسيقى لذة طبيعية، ولذا تستطيب استخدامها جداً كل الأعمار وكل الأمزجة والأخلاق .. وبالموسيقى نكتسب بعض المزايا الخلقية .. وبما أنها تستطيع أن تأتي هذا الفعل فقد أضحى جلياً أنه لابد من حمل الأحداث على تحصيلها ولا بد من تهذيبهم بها)*[3].

أما *أفلاطون* وهو يضع المقدمات العامة لنظامه في التربية، فهو يتحدث عن بناء الجسم من ناحية، وتهذيب النفس من ناحية أخرى، فالتمرينات الرياضية ضرورية لبناء الجسم، والموسيقى أساسية لتربية النفس وهي أكثر أهمية، *لأن الجسم (برأي أفلاطون) مهما قوي بناؤه لا يستطيع أن يجعل النفس خيّرة، أما النفس الخيّرة فتستطيع بقواها الكامنة أن تضفي على الجسم ما فيه من كمال*[4]. وإن

---

1 – انظر : أرسطو ، *السياسة* ، ٨ ، ١ ، ٢ ، ١٣٣٧ أ .

2 – انظر : نفس المصدر ، ٨ ، ٢ ، ٣ ، ١٣٣٧ ب .

3 – انظر : نفس المصدر ، ٨ ، ٣ ، ٢ ، ٦ ، ١٣٣٨ ب .

4 – انظر : نفس المصدر ، ٨ ، ٥ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٣٤٠ أ ، ١٣٤٠ ب .

كان للنفس وتران، *الفلسفة والشجاعة*، يكوّنان معاً انسجاماً وتوافقاً، أما وتر الشجاعة فترخيه الموسيقى وتشدّه الرياضة البدنية، أما وتر الفلسفة فتشده الموسيقى وترخيه الرياضة[1].

وكان المبدأ التربوي السائد في المدن الإغريقية كلها، هو المبدأ الأساسي القائل إنّ على الفرد أن يضحي بمصالحه الخاصة (*وحبه لذاته*) من أجل الدولة، بل إن *أفلاطون* يعتقد أن المشكلة الأساسية التي سوف تواجهنا في بناء المدينة الفاضلة هي (*الإفراط في حب الذات*) الذي هو سبب البلايا في جميع الأحوال، وهو خطأ فادح (*بل هو أفدح الأخطاء جميعاً*) وهو خطأ مفطور في النفس، ويحاول المرء أن يلتمس لنفسه العذر عن طريقه دون أن يصححه، وهو الخطأ الذي يعبر عنه المبدأ القائل (*كل إنسان هو بطبيعته صديق نفسه*) وينبغي عليه أن يكون كذلك[2]. تلك هي الأنانية المفرطة التي ينبغي علينا أن نخلص حرّاسنا منها، فنربيهم على إسقاط المصالح الشخصية من اعتبارهم، حيث لا يكون ثمة سوى صالح الدولة. ومن هذا المنطلق يشن *أفلاطون* حملة عنيفة على جمع *المال والثروة*، فشهوة التملك الجامحة (*بوايه*) هي أصل كل بلايا الدول والأفراد[3]. حتى يكاد يقول لنا، *إن الأغنياء لا يمكن أن يكونوا فضلاء*، فهما ضدان لا يلتقيان، وكأن الفضيلة والثروة على طرفي نقيض، فكلما جدّ الإنسان في طلب الثروة ورفع قدرها، ابتعد عن الفضيلة وقل تقديره لها (*إذ بين الفضيلة والثروة ذلك الفارق الذي يجعل إحداهما تنخفض كلما ارتفعت الأخرى إذا وضعنا على كفتي ميزان .. فإذا كُرّمت الثروة والأثرياء في دولة ما، قلّ تكريم الفضيلة والفضلاء حتماً*)[4]. ولا شك أن هذه الكراهية للمال والثروة عموماً تتفق مع ميتافيزيقيا *أفلاطون* التي جعلت من المادة عنصراً للشر في الكون، وكرهت الجسد حتى اعتبرته سجناً للنفس.

---

1 – انظر : أفلاطون ، *الجمهورية* ، ٤٠٣ د ، ص ٢٥١ .

2 – انظر : نفس المصدر ، ٤١٢ مجلد ٢ ، ص ٢٦٢ .

3 – انظر : نفس المصدر ، ٧٣١ هـ ، ص ٣٠٠ .

4 – انظر : نفس المصدر ، ٢٧٣ ، ص ٢١٥ .

تاسعاً ــ تعداد السكان والحياة العامة :

لا يُعرف بالتأكيد تعداد سكان أثينة في عصر بركليس، وإن كانت الدراسات القائمة على الاستنتاج ترجّح بلوغ عدد سكان إقليم أتيكة نحو ثلاثمائة ألف نسمة، وقد انقسم هؤلاء بحكم وضعهم الاجتماعي إلى مواطنين وبلغت نسبتهم ٤٥% من مجموع السكان، وكانوا يمارسون شتى الأعمال الزراعية والصناعية والتجارية، وحرفيين أجانب ونسبتهم ١٢% وكانوا يمارسون التجارة والحرف المختلفة ويدفعون الضرائب ويجندون، ولكنهم لم يكونوا يعدّون من المواطنين، وأخيراً العبيد الذين بلغت نسبتهم ٤٣% وكانوا يعملون في خدمة السادة وفي المعامل والمزارع والمناجم والشرطة[1].

وكانت الأسرة الإغريقية تتكوّن من الأب والأم والزوجة الثانية أحياناً، ومن البنات غير المتزوجات والأبناء والعبيد مع زوجاتهم وأطفالهم، وقد بقيت مثل هذه الأسرة إلى آخر تاريخ الإغريق أقوى الأنظمة في الحضارة الإغريقية، لأنها كانت وحدة الإنتاج الاقتصادي وأداته في الزراعة والصناعة على السواء، وكان للأب في أثينة سلطان واسع على أسرته، فقد كان في وسعه أن يعرّض الطفل المولود للموت – طبقاً لعادة الإغريق– إذ أن الابن المولود كانت تتوقف حياته على حكم أبيه ما إذا كان ينبغي أن يعيش، وقد ظل ذلك على الأقل حتى القرن الرابع ق.م. وفي اليوم الخامس من الولادة، يُحتفل بقبول الطفل المولود في عضوية الأسرة، وفي هذا الاحتفال كان للأب الحق الكامل في اختيار الحياة أو الموت لطفله، ولكن هذا الحق

---

١ ــ انظر : كوشلينكو غ ا ، *حول بعض قضايا تطور الحكومات في اليونان القديمة (من مجتمعات ما قبل الكلاسيكية وحتى الكلاسيكية الباكرة)* موسكو ١٩٨٧ ، ص ٥٧ . وبكل الأحوال فإن هذه الأرقام تقريبية وتتباين من مؤرخ إلى آخر . ويورد توكوديدس الموارد البشرية المؤهلة في بداية الحرب البلوبونيزية عام ٤٣١ ق.م على الشكل التالي : ٤٠ ألفاً من المواطنين و ٢٤ ألفاً من الأجانب و٥٥ ألفاً من العبيد فيكون مجموع القوة البشرية المؤهلة للحرب ١١٩ ألفاً دون النساء والأطفال انظر توكوديدس ٢ ــ ١٣ ــ ٦ ــ ٨ . ويورد الكسندر روبنصن (الابن) ص ١٦٥ ، بأنه على وجه الحدس يمكن تعداد سكان أثينة في عهد بركليس ١٥٠ ألفاً من المواطنين و٣٥ ألفاً من العبيد المعتقين و٨٠ ألفاً من العبيد فيكون المجموع ٢٦٥ ألف بما في ذلك الرجال والنساء والأطفال في مختلف الطبقات ، وكل هذه الأرقام تتقارب جميعها مع بعضها البعض من حيث الرقم الذي أوردناه في متن النص .

كان يمارس في كثير من الأحوال إزاء البنات، لأن أمر تدبير صداقهن (*أي مهرهن*) كان يُشغل فكر الأب الإغريقي إذا كان فقيراً، فلذلك من الأسهل عليه أن يتجنب ذلك ويتذرع منذ البداية بعجزه، فالأسرة الإغريقية كانت أسرةً صغيرة بفعل طبيعة الأحوال الفقيرة والقاسية التي كانت تلمُّ بالمجتمع الإغريقي ويقول *ايسوقراط* في هذا الصدد (**إنه شيء نادر وصعب، أن يكون للإنسان أسرةً كبيرةً، هي في نفس الوقت أسرة نابهة**)[1]. والفكرة التي ينطوي عليها هذا الكلام أنه كلما كثر عدد الأولاد كان ذلك أفضل، ولكن بشرط أن يكونوا هؤلاء جميعاً نابهين أصحاء جديرين بمدينتهم التي سيكونون مواطنين فيها، بل جديرين بالجنس الإغريقي كله، وعلى هذا تخلص الأب الإغريقي من كل من كان كسيحاً مشوّهاً فالمدينة الإغريقية كانت وطن صحاح الأجسام، فالضعف والعلة لا يجدان مدخلاً سهلاً إليها، فالمجتمع الإغريقي كان يقوم على القوة قبل كل شيء، ولا حاجة لأي جمع بشري غفير لا فائدة ترجى منه عندما يكون العدو على الأبواب ويقول *توكوديدس* (*إن المدينة قوامها الرجال، لا أسوار وسفن لم تزود بهم*)[2]. فلذلك فإن فرص البقاء للولد أكثر منها للبنت، وكان نادراً جداً أن يكون للأسرة أكثر من ابنة واحدة أو ابنان، كل هذه العوامل تعود أسبابها إلى سوء الأحوال الاقتصادية التي كانت عاملاً أساسياً في عدم مقدرة أرباب الأسر الإغريقية على تربية أولادهم مما أدى إلى تفشي مثل هذه الظاهرة البشعة أو بيع الأبناء كعبيد، أو تركهم في أماكن خلوية كركن من أركان السوق، أو بجانب أرض ملعب، أو مدخل معبد، أو في كهف مقدس دون قتلهم حتى يأتي من ينقذهم ويأخذ تربيته على عاتقه، ومن هذا المنطلق نلاحظ أن عدد البنين في المدينة الإغريقية كان دائماً أكثر من عدد البنات من سكانها المواطنين، وكان عدد الرجال الذين في سن الزواج دائماً أو تقريباً أكثر من عدد البنات اللاتي في هذه السن إلا عقب الحروب الطاحنة، وبعبارة أخرى كان عدد الأزواج أكثر من اللازم، وعلى ذلك فالبنات كن يربين على أمل حق في الزواج الذي كان في سن

---

1 - انظر : إيسوقراط ٩ ــ ٧٢ .

2 - انظر : توكوديدس ٧ ــ ٧٧ ــ ٧ ، ٢ ــ ٧٨ ــ ٣ .

مبكرة جداً، فسن الخامسة عشرة لم تكن إلا سناً مألوفة. إضافة إلى ذلك كان من حق الأب أن يبيع عمل أبنائه القاصرين وبناته غير المتزوجات، ويزوّج بناته لمن يشاء، ويختار زوجاً آخر لأرملته بعد وفاته في بعض الظروف المعينة. ولكن القانون الأثيني لم يكن يجيز له أن يبيع أبنائه أنفسهم، وكان كل ولد من أولاده إذا تزوج يخرج من سلطان أبيه، وينشئ لنفسه بيتاً خاصاً ويصبح عضواً مستقلاً في المدينة.

لم يكن بين الأسر في أثينة هذا التفاوت الظاهر بين الغنى الفاحش والفقر المدقع الذي نعهده في أيامنا هذه باستثناء قلة قليلة جداً من العائلات الغنية. فالحياة لم تكن حياة بسيطة وبدائية فحسب، وإنما كانت حياة خالية من تعقيدات الحياة الحاضرة. فقد كان العرف يقضي أن يكون حجم البيت صغيراً، لأن المدن الإغريقية نفسها كانت في بادئ الأمر مدناً صغيرة، والبيوت فيها مزدحمة متلاصقة تتجمع في شوارع ضيقة. وعلى الرغم من أن أسوار المدن قد اتسعت فإن حجم البيت الإغريقي، بحسب العرف، ظل صغيراً لأن المواطن الإغريقي لم يجرؤ أن يظهر بمظهر الغنى والترف خشية الحسد، تلك الصفة التي كان الإغريقي يتميز بها، فقد كان كل إغريقي ينظر إلى جاره نظرة ريبة وحذر. وفضلاً عن هذا كله، فإن مناخ البلاد الدافئ يدعو السكان لقضاء أكثر أوقاتهم خارج البيوت، وكانت روح الرجولة في ذلك العهد تدفع الرجل إلى أن ينظر إلى البيت على أنه مجرّد مأوى أو مسكن يبيت فيه لا غير.

كان الأثينيون يشيدون بيوتهم المبنية من اللبن، وترتفع في الغالب طابقين يُخصص الثاني منها لغرف النوم، وكان لبيت الأثيني الغني في بعض الأحيان مدخل ذو عمد مواجه للشارع، ولكن مثل هذه البيوت كانت من المظاهر الشاذة النادرة، كذلك كانت النوافذ ترفاً نادر الوجود، وإذا وجدت اقتصرت على الطابق الأعلى، ولم تكن لها ألواح زجاجية، ولكنها كانت تُغلق بمصاريع خشبية. وكان يمتد من مدخل الدار - إلا في دور الفقراء - ممشى يؤدي إلى فناء مكشوف يسمى الأولي (*AULE*) أو صحن الدار، وكان يرصف عادة بالحجارة، ويحيط به أحياناً رواق وعمد، وقد يكون في وسطه مذبح أو حوض أو كلاهما، ويدخل أكثر الهواء وضوء الشمس إلى البيت من هذا الفناء، لأن أبواب جميع الحجرات تُفتح فيه، وكانت

الأسرة تقضي معظم حياتها، وتقوم بأكثر أعمالها، في ظلال الرواق والفناء وخلوتهما.

وفي الشتاء كان الأثينيون يدفئون أنفسهم على مواقد نحاس يخرج دخانها من أبواب الحجرات إلى فناء الدار، ولم يكونوا يحتاجون إلى هذه التدفئة أكثر من ثلاثة أشهر في العام. أما *المطبخ* فكان مجهزاً بكثير من الأواني المختلفة المصنوعة من الحديد والبرونز والخزف. أما *الزجاج* فكان من مواد الترف النادرة، وكان الطعام يُطهى فوق نار في العراء. وفي حالة إقامة الحفلات، أو قدوم ضيف يريدون تكريمه استخدموا في العادة *طاهياً محترفاً*، وكان الطهو فناً راقياً أُلفت فيه كثير من الكتب واشتهر به كثير من الأبطال لا تقل شهرتهم عن أبطال الألعاب الأولمبية في أيامنا هذه، وكانت آداب المائدة عندهم دليلاً على ارتقاء الحضارة، *ويعدّون من ياكل منهم بمفرده جافاً غير مهذب*. وكان الأولاد والنساء يجلسون حول موائد صغيرة أما الرجال فكانوا يتكئون على أرائك واسعة، وكانت الأسرة تأكل مجتمعة إذا لم يكن عندها غرباء. أما الأثاث المنزلي فقد كان قليلاً في البيوت العادية، فلم يكن يزيد على بضعة كراسي وصناديق، وقليل من النضد والأسرّة، وكانت النضد صغيرة تقف عادة على ثلاثة أرجل، وهذا هو سبب تسميتها (*بالطرابيزات*) أي ذات الأرجل الثلاث. وكانت المصابيح تُعلّق من السقف أو توضع على قواعد، أو تتخذ شكل مشاعل جميلة النقش، فالأثاث المنزلي كان بسيطاً جداً يتمشى في أشكاله وأحجامه مع بساطة العيش، لأن الإغريقي لم يبال بتطوير تلك الحاجات الضرورية والاهتمام بجمالها، إذ كان يهدف أولاً إلى الناحية النفعية فيها، ثم إلى جمال أشكالها، لذا لم ير موجباً لتطويرها، وهذا يُصدق على الزي في اللباس، فقد كان ثوب الرجل الإغريقي على مدى أجيال عديدة، ثوباً قصيراً عريضاً مصنوعاً من الصوف. وكانت الملابس في القرن الخامس ق.م بيضاء اللون في العادة وكانوا يعمدون إلى تلوينها. أما الأحذية فكانت أخفافاً (*صنادل*)، ونعالاً طويلة أو قصيرة تُصنع عادة من الجلد، وكان معظم الأطفال والعمال لا يحتذون شيئاً مطلقاً، ولم يكن أحد يعنى بلبس الجوارب[1].

---

1. ZIMMERN, A : THE GREEK COMMONWEALTH , OXFORD 1924 , P 215

وكان الرجال في أثينة رجالاً متوسطي القامة، أقوياء البنية، ذوي شعر أسود، أما الشعر الأشقر فكان نادراً وإذا وجد كان موضع الإعجاب. أما النساء فكانت كثيرات منهن يصبغن شعرهن ليكسبنه هذه الشقرة أو ليخفين شيبهن إذا كبرن. وكان لكل سيدة راقية عدة كبيرة من *المرايا، والدبابيس، ودبابيس الشعر، والملاقط، والأمشاط، وزجاجات العطور، وأواني الأصباغ الحمراء والدهان*، وكن يصبغن خدودهن وشفاهن من السلقون وجذور *الشنجار*[1]. أما الحواجب فكانت تصبغ بمسحوق *الإثمد*، وتسوّد الرموش ثم تطلى بمزيج من *زلال البيض والأشق*[2]. وكان *الدهان ومحاليل الغسل* تستخدم لإزالة التجاعيد والنمش والبقع من الوجه والجسم، وكان زيت *المصطكى* يستخدم لمنع العرق. وكانت المرأة ذات الشأن تدهن وجهها وصدرها *بزيت النخيل*، وحاجبها وشعرها *بالبردقوش*، وعنقها وركبتها بخلاصة *الصعتر*، وذراعيها بخلاصة *النعناع*، وساقيها وقدميها *بالمر*[3]. وكان الرجال يحتجون على هذه الأسلحة المغرية، ولكن احتجاجهم لم يكن له من النتائج أكثر من احتجاج أمثالهم في أي عصر من العصور.

كان شراء الحاجات من الأسواق عملاً يقوم به الرجال، إلا إذا كان يوم الرجل حافلاً بالأعمال والمهمات، ففي هذه الحالة كانت النساء تخرج إلى الأسواق، وكان طعام الإفطار لا يتعدّى *كأساً من الخمر* يتناوله الرجل ثم يتوجه إلى سوق أو سوقين لشراء حاجاته، وإذا أراد الرجل معرفة الوقت من النهار، فإنه كان ينظر إلى ساعات الماء أو *الساعات الزوالية* المقامة هنا وهناك. أما مكان *القيل والقال* فكان دكان *الحلاّق*- كما في هذه الأيام- ولم يكن عمل الحلاّق يقتصر على قص الشعر أو حلق اللحية أو تسويتها، بل كان يعنى بقص الأظافر وتجميل من يتقدم إليه في أعين الناس. وكان للحلاّق *حانوته، وكان هذا الحانوت مجمّعاً صغيراً من الناس ولكن لغير المخمورين يتناقلون فيه أخبار الناس وقصصهم ومعايبهم*، ولكنه كان

---

1 - ويسمى الكحلاء، وهو نبات لاصق بالأرض وشائك وأحمر كالدم يصبغ اليد إذا مسته، ولا ينبت إلا في الأرض ذات التربة الخصبة.

2 - وهو صمغ نبات.

3. WEIGALL, A : SAPPHO OF LESBOS . N . Y 1933 P . 189 – 208 .

في كثير من الأحيان يقوم بعمله خارج حانوته في العراء. وكان الحلاق *ثرثاراً* بحكم مهنته، ويروى *أن حلاقاً سأل الملك (أركلوس) وهو أحد ملوك مقدونية، كيف يحب أن يقص شعره ؟ فأجاب الملك (بصمت وبدون ثرثرة)*[1]. وكانت النساء أيضاً يحلقن الشعر من بعض أجزاء جسمهن، ويستخدمن في هذا الشأن أمواساً أو أدهاناً مصنوعة من *الجير والزرنيخ (وكما هو في لغتنا الشعبية هذه الأيام «المكيدة أو اللزقة»)*. وبعد الغداء كان الرجل الأثيني يتوجه إلى المقصب الرياضي أو إلى *(الآغورا)* ليتحدث إلى الناس ويناقش أمور الدولة والحكم، *على عكس رجال هذه الأيام الذين يتناولون وجباتهم الثقيلة من الطعام ثم ينامون قيلولة الظهيرة*.

وكانت *(الآغورا)* مركز المدينة الاجتماعي والاقتصادي، وكان يخترق هذا المركز شارع يُعرف بشارع بانثنايا *(PANATHENAEA)* يبدأ عند البوابة المزدوجة وكانوا يسمونها *(ديبيلون)* في سور المدينة وينتهي عند الأكروبوليس. وعلى إفريز هيكل البارثنون حفرت أزاميل النحاتين صورة خالدة رائعة تمثل المواكب الرسمية التي كانت تخترق هذا الشارع في شهر آب. وكان في هذه المحلة أي محلة آغورا هياكل مختلفة: هيكل آرس *(ARES)* إله الحرب، وهيكل هيفايستوس *(HEPHAESTUS)* إله الحدادة، ومزارات أخرى مقدسة، لأن المحلة كانت بقعة مقدسة يستطيع المرء أن يطهّر نفسه عند دخولها باغتساله في أجران تحتوي ماء مقدساً. وكانت هنالك مذابح للآلهة بنيت هنا وهناك على جوانب الشارع، منها مذبح للآلهة يُعرف *(مذبح الاثني عشر إلهاً)* وكان يعتبر النقطة المركزية التي كانت تقاس منها المسافات بين مدينة وأخرى في أتيكة، وكانت في هذه المحلة قاعة مستطيلة تعرف بالأوديوم يقيمون فيها الحفلات الموسيقية.

وكان يجري في محلة الآغورا كثير من المعاملات التجارية الرسمية حيث كان الناس يتجمعون في الأروقة وفي الممرات بين الأعمدة. ولكن أهم الأبنية كانت الأبنية الحكومية مثل: *مكاتب للشؤون المدنية، ولسلك القضاء، وللمحاكم القضائية، ومركز القيادة العسكرية حيث كان القواد العشرة يجتمعون، وبناية*

---

[1] TUCKER, p. 124.

المجلس ودوائر الحكومة وكانوا يسمونها تولوس (THOLOS) وهي كناية عن بناء مركزي مستدير لإيواء مختلف دوائر الحكومة في أثينة، ذلك أن بعض الموظفين كانوا يقيمون هناك حيث يأكلون وينامون لكي يكونوا أبداً على استعداد لعقد جلسات في حالات الطوارئ ويقال، إن *سقراط* كان يوماً يأكل وينام في هذا المبنى عندما كان يعمل كأحد أعضاء اللجان خلال تلك الفترة .

وتقوم على أحد جوانب السوق المصانع وصالونات الحلاقين ومحلات الخزافين وغيرهم من الصنّاع، وعلى الجانب الآخر من السوق فقد اكتظ بالدكاكين والمظلات الخشبية التي كانت تباع فيها الأغذية التي لا يمكن أن تباع حيث تُصنّع، لذا وجب حملها إلى السوق وهي: *الدقيق، وربما الخبز، والخضر، والجبن، والعسل، والفواكه، والثوم، والنبيذ، واللحم الحديث الذبح، والسمك المعروض على صفائح من الرخام، والعطور، والبخور*. إضافةً إلى *سوق العبيد* الذي كان يُفتتح عند بزوغ الظلال[1]. وكانت أسعار العبيد تتفاوت لعدة أسباب، وكانت تتأثر في العرض والطلب، كما كان لصفات الجنس والسن والتعليم والخبرة التي يمتلكها العبد دور أساسي في تحديد الأسعار، فالأسعار الوسطية للعبد الواحد تراوحت بين ١٧٠ – ١٨٠ دراخمة، وأعلى الأسعار كانت بحدود ٣٦٠ دراخمة، وقد دُفعت مثل هذه الأسعار الأخيرة بشكل عملي لشراء عبد يتقن مهنة *الصياغة*. وهذا يعني أن الأسعار كانت تدفع على شراء العبيد الذين يتقنون مهناً أو يمتلكون مواهب تؤهلهم الإبداع في مختلف المجالات[2]. وكانت هناك محلات لبيع الكتب المتواضعة، وفيها كان يتجادل الناس في أمور الحكم والفلسفة، أو يفاضلون بين التراجيدية والكوميدية إلى حين يأتي وقت الغذاء.

وربما كانت من أهم ملامح السوق (*كتبة الأسواق*) الذين كان من أهم أعمالهم المحافظة على نظام السوق وإخماد *التنازع ومراقبة الموازين والمكاييل ومنع الغش وجمع إيجار المحلات والمظلات الخشبية وذلك عن طريق الملتزمين*، وكان

1- انظر : أرسطوفانس ، الفرسان ٤٧ .

2 – انظر : كلا تشكو ن ب ، *الواح الأعمدة كمصادر معلومات عن العبيد في القرن الخامس ق م* ، مجلة التاريخ القديم ، العدد٣ ، موسكو ١٩٦٦ ، ص ١٢٥ .

عليهم أيضاً حماية السكان من الأسعار الجشعة، وذلك بالنسبة للمواد الضرورية التي لا غنى عنها، ونعثر بين صفحات *كسنوفون* على إشارة إليهم، فنراهم يزنون خبز المنازل ليضمنوا تساوي وجهه وظهره في الوزن كما هو مقرر[1].

ولا شك أن الحركات الكشفية والتنقيب في آثار المدن الإغريقية، قد أمدتنا ببعض السمات المميزة للسوق الإغريقية، وربما كانت آثار مدينة أثينة أبلغ دليل على كشف كثير من ملامح السوق الإغريقية خلال القرن الخامس ق.م.

عاشراً ـ عبيد المنازل :

لم تكن الحياة المنزلية للإغريق ذات أهمية بدون العبيد، ما خلا الفقراء منهم الذين لم يستطيعوا أن يملكوا حتى عبداً واحداً. وهناك فئة لا شأن لها في المجتمع كان يملك الواحد منها من ١ – ٣ من العبيد[2]. أما أكثر المواطنين غنىً كانوا يملكون نحو ٥٠ عبداً وربما أكثر[3].

وكان أكثر عبيد المنازل يمارسون خدمات مختلفة، وتحدثنا المصادر عن العبيد البوابين[4]، والعتالين[5]، والمخبرين[6]، وسائقي البغال والحمير[7]، وعن العبيد الذين يرافقون سيدهم حين خروجه إلى المدينة وأثناء تجواله[8]، وكان من ضمن واجبات

---

1 – انظر : عن *كتبة السوق* انظر : كسنوفون ، *مائدة الشراب* ٢ ـ ٢٠ .

2 – انظر : كالوبوف ك م ، *اقتصاد اليونان* ، ص ٢٦٩ .

3 – انظر : أفلاطون ، *الجمهورية* ، ٩ ، ٥٧٨ ي .

4 – انظر : أرسطوفانس ، *الأكارنانيين* ٣٩٥ ، *الضفادع* ٣٨ ـ ٣٩ .

5 – انظر : كسنوفون ، *مذكرات سقراطية* ١٣ / ٦ .

6 – انظر : ديموستينس ٣٧ / ٢٢ ، ٢٤ .

7 – انظر : ألواح الأعمدة ٢ / ٧٦ .

8 – انظر : كسنوفون ، *الاقتصاد* ١٥ ، ١٨ ، *مذكرات سقراطية* ١ / ٢ ، ٧ و ٣ / ١٣ ، ٦، بلوتارخوس ، *بركليس* ٥ .

العبيد شراء الأطعمة من الأسواق[1]، وكان يوكل إليهم تربية المواشي وحراسة المستودعات[2] .

وكان يتوجب على العبيد عند اجتماع الأصدقاء على مائدة الطعام خلع أحذية الضيوف وغسل أرجلهم[3]، ثم صب الماء على أيدي السادة حين فترة الولائم[4]، كما كان يكلف أجمل العبيد من الرجال والنساء بتسلية الضيوف بالرقص والموسيقى وسكب الخمر[5]، ونساء العبيد يخدمن السيدات ويشرفن على تعطيرهن وتمشيطهن[6].

وقد أنشئت المدارس لتعليم العبيد الواجبات المنزلية المترتبة عليهم إزاء سادتهم، وكانت إحدى هذه المدارس كما يخبرنا أرسطو في سيراكوزة حيث يقول (*وقد يكون علم للسادة وعلم للعبيد ، فعلم العبيد علم أديب كما في سيراكوزة، وقد كان هنالك أستاذ يعلّم الغلمان دائرة الخدم، مقابل راتب معين. ومن الممكن أن يتسع هذا العلم إلى جلّ مثل هذه المعارف، كالطبخ وما إليه من أصناف الخدمة. ومن هذه المهن ما هو أرقى منها، ومنها ما هو أمس الحاجة إليها، وعلى حد قول المثل: عبد يمتاز عن عبد، وسيد عن سيد*)[7]، وكان يحق للسيد عند الضرورة أن يؤجر عبده لأي كان، لخدمته مؤقتاً لقاء أجر محدود[8].

وكان العبيد يُكلفون بتربية أطفال سادتهم، فالنسوة يحطن الأطفال بالرعاية ويقمن بإرضاعهم[9]. وعند نمو الأطفال وترعرعهم كان على العبيد المختصين بتربية

---

1 - كسنوفون ، *الاقتصاد* ٨ / ٢٢ ، *مذكرات سقراطية* ١ / ٥ ، ٢ .

2 - انظر : كسنوفون ، *مذكرات سقراطية* ١ / ٥ ، ٢ ، *الاقتصاد* ١١ ، ١٨ .

3 - انظر : أفلاطون ، *مائدة الشراب* ٢١٣ ب ، ١٧٥ آ .

4 - انظر : *الإلياذة* ٧ ، ٢٩٢ ي ، ١٥ ، ٦٨٥ د .

5 - انظر : دافاتور آ ي ، *العبودية في أثينا في القرنين الخامس والرابع ق.م* ، ليننغراد ١٩٨٠ ، ص ٦٠ .

6 - انظر : نفس المرجع السابق .

7 - انظر : أرسطو ، *السياسة* ، ١ / ٢ ، ٢٢ ، ١٢٥٥ ب .

8 - انظر : أرسطو ، *النظام الأثيني* ١ / ١٧ .

9 - انظر : النقوش اليونانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، ١٥٩٩ ، ٥٩ ــ ٦٠.

الأطفال واجبات متعددة فهم يرافقون الأطفال إلى المدارس ويراقبون خروجهم إلى الشارع كما يعلمونهم الجلوس إلى موائد الطعام بلباقة وكياسة[1]. ولم يتدخل هؤلاء العبيد عادة في العملية التدريسية، فكثيراً ما كانوا من جهلة الناس حتى إن بعضهم كان عاجزاً عن التكلم باللغة الإغريقية الفصيحة[2].

وإلى جانب هؤلاء العبيد الخدم الذين يكلفون بقضاء الحاجات اليومية لأسيادهم، كان المواطنون الموسرون يملكون عبيداً حصلوا تعليماً عالياً في أغلب الأحيان وكانت تُسند إليهم أعمال السكرتارية أو يعينون مساعدين سكرتاريين[3]، ووكلاء تجاريين ووسطاء وشماسين لدى رجال المصارف[4]، وأطباء[5].

ومن المحتمل أن العبيد المتعلمين كانوا يمارسون وظيفة (*مدير*) فمثلاً كان العبد (إيفانفل) هو المدير المشرف على مشاريع *بريكليس* الاقتصادية[6]. وكان يجب على هؤلاء العبيد أن يتقنوا الكتابة والقراءة والحساب. وقد اعتبر المواطنون الأحرار وظيفة (*مدير*) إذلالاً مقيتاً لشرفهم وكرامتهم، والممتع هنا في هذا المجال ما يذكره *كسنوفون* في أحد مشاهده في كتابه (*ذكريات سقراطية*) وقد اقترح سقراط على محدثه، بأنه يجب أن تسند إليه وظيفة (*مدير*) عند الأشخاص الموسرين بالتناوب وأن يصحح ويضبط أوضاعهم المادية، فيجيب محدّثه عن هذا الاقتراح قائلاً (*إن هذا العمل سيكون ثقيلاً عليّ، وأن سقراط يحمل إليّ مثل هذا العمل العبودي*)[7].

وتجمع المصادر المتعلقة بمسألة عبيد المنازل، بأنهم لم يستطيعوا ممارسة الأعمال الإنتاجية بسبب انصرافهم إلى الأعمال المنزلية بأنواعها، إلا أن معظم الباحثين يفترضون، أن العبيد كانوا يمارسون الأعمال الإنتاجية إلى جانب واجباتهم المنزلية، وقد توصل العالم الفرنسي *مهيه كارلان* بعد أن درس هذه المسألة بإمعان إلى أن

---

1. - PLATON , LOG , VII , 808 P

2. ARISTOELES, RHET II, 127

3 – انظر : النقوش اليونانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ١٥٥٦ ، ١٤ ، ١٥٥١ ، ٣ .

4 – انظر : ديموسيثنيس ٤/٣٦ ، ٤٤ .

5. PLATON, LOG, IV, 720 C.

6 – انظر : بلوتارخوس ، *بركليس* ١٦ ، ٦ .

7 – انظر : كسنوفون ، *مذكرات سقراطية* ٢ ، ٨ ، ٣ ــ ٤ .

عبيد المنازل مارسوا أعمال الغزل والنسيج وطحن الحبوب[1]. وكذلك شارك في الأسر الفقيرة سادتهم في الأعمال الزراعية، وقد توصل ي. كارلان بعد تحليل الوظائف الأساسية لعبيد المنازل إلى استنتاجين رئيسيين:

أولهما: إن المواطنين الأثينيين لم يستطيعوا أن يستخدموا كل عبد لأجل أن يمارس عملاً واحداً، فعلى العكس من ذلك، ما عدا العبيد المختصين في الإرضاع، والتربية، والحراسة قد استخدموا من حيث الجوهر لكل شيء.

ثانيهما: إن أعمال أرسطوفانس وميناندر لم تفرّق بين عبيد المنازل والعبيد الذين يعملون في الزراعة، باعتبار أن معظم المزارعين الصغار، كانوا ينفذون أعمالهم الزراعية بمساعدة عبيد المنازل[2].

ونظراً لتغلغل عمل العبيد في كل مسامات المجتمع الإغريقي، فإننا نشير إلى بعض الأعمال الأخرى للعبيد. إذ تحدثنا المصادر مثلاً عن العبيد التجار الذين كانوا يمارسون مختلف الأنواع التجارية في حوانيت خاصة[3]. ومن الملاحظ أن عدداً لا يستهان به من هؤلاء العبيد قد عملوا عند سادتهم على سبيل الالتزام، وهذا مما سمح لهم بأن يدخروا مبلغاً من المال لشراء حريتهم.

حادي عشر ــ العلوم:

كان عصر بريكليس *(PERIKLES)* في القرن الخامس ق.م، شبيهاً بعصرنا هذا في تنوع أفكاره واضطراها، وفي تجديده لجميع المعايير والعقائد التقليدية القديمة، *ولكن ما من عصر من العصور يضارع عصر بريكليس في كثرة آرائه الفلسفية وعظمتها أو في غزارتها وفي القوة التي كانت تناقش بها.* فقد كانت كل المسائل التي يضطرب بها العالم اليوم تدور على ألسنة الناس في أثينة القديمة، يناقشها الناس

1- GARLAN Y, LES ESCLAVES EN GRECE ANCIENNE, PARIS 1982 . P 62 .
2- IBID, P76

3 – انظر : النقوش اليونانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ١٦٧٩ ، ٩ ــ ١٠ ، ٦٣ ــ ٦٤ . لقد تم استخدام مصادر النقوش اليونانية من هذين المجلدين :

1 - INSCRIPTIONS GRAECAE / CONS ET OWCT ACAD . LITTERUM REGIAE BORUSSICA ED VOL I – 5 . BERLINI, 1873- 1913 .
2 - INSCRIPTIONS GRAECAE JED . DITENBERGER. VOL 7, 9. BERLINI , 1892 , 1897 .

بحرارة وحماسة روّعت جميع المدن الإغريقية. وقد حرّمت كثير من المدن- وخاصة إسبارطة- أن يبحث المثقفون في المسائل الفلسفية والعلمية بسبب ما كانت تثيره من حقد، ونزاع، وجدل عقيم، على حد قول المؤرخ *أثينيوس*. ***وعلى العكس من ذلك، فقد كانت بهجة الفلسفة وتقدم العلوم والمعرفة تستحوذ على خيال جميع الطبقات المثقفة في أثينة، فكان أغنياؤها يفتحون أبوابهم وأهواءهم للباحثين، ويقيمون الولائم تكريمًا للعلماء والفلاسفة، وكانت البحوث الطريفة يُصفّق لها كما يُصفّق للضربات القوية في الألعاب الأولمبية.***

وقد ظهر النشاط الثقافي في عصر *بريكليس* في عدة أشكال رئيسة وهي: *الفن، والتمثيل، والفلسفة، والعلوم الأساسية*. وكانت الظاهرة الرئيسية التي كانت تسيطر على هذه الأشكال جميعها فيما قبل *بريكليس* هي ***الديانة والخرافة القائمة على الشعوذة، التي بدأت في حرب حقيقية ونزاع قوي مع العقل والمعرفة***، أي مع التفكير الدنيوي السائد الذي نُطلق عليه بحق اسم ***تقدم العلوم والمعرفة***. ونظراً لقوة الديانة وتأثيرها في نفوس الشعب حيث كانت هي المهيمن والسائد على كل شيء في الفكر الإغريقي، فقد ظلّ العلماء والفلاسفة في *عصر بريكليس* في مواجهة حقيقية معها، يواصلون عملهم ولكن دون أن يهاجموا العقائد الدينية للشعب مهاجمة صريحة، وكانوا يخففون من حدّة النزاع بين التأثيرات الدينية الخرافية، وبين تقدم العقل والمعرفة باتخاذ المصطلحات الدينية القديمة، رموزاً أو استعارات لعقائدهم الجديدة. ولكن هذا النزاع لم يظهر سافراً واضحاً للعيان ويصبح مسألة حياة أو موت إلا في فترات متفرقة من تاريخ الإغريق، وكما حدث حين وُجهت تهم الإلحاد الديني إلى الفيلسوف ***أنكساغوراس*** *(ANAXAGORAS)*، ***وأسباسيا*** *(ASPASIA)* ***الملطية عشيقة بركليس نفسه، والفيلسوف سقراط*** *(SOKRATES)* وكان هذا النزاع قوياً تارة، وضعيفاً تارة أخرى. وأوضح مظاهر قوة هذا النزاع العلني ظهرت في أحاديث ***السفسطائيين*** *(SOPHISTAI)*، وآراء ***ديمقريطس*** *(DIMOKRETES)* المادية، وأفكار المسرحي ***أيسخيلوس*** *(AUSCHYLOS)* الصالحة التقية، وفي زندقة الشاعر المسرحي ***يوروبيدس*** *(EURIPIDES)*، وفي أقوال شاعر الكوميدية الإغريقية ***أرسطوفانس***

(ARITOPHANES) المليئة بالهزل وقلة الاحتشام، وآخر مظاهر قوة هـذا النـزاع العلني تمثلت أيضاً في محاكمة *سقراط* وموته. هذه هي المواضيع العلمية التي كانت تدور حولها الحياة العقلية لأثينة في عصر *بريكليس*.

وكان من بين إحدى مظاهر النـزاع القائم بين الدين والعلـم أن حرّمـت الشرائع الأثينية دراسة *علم الفلك*، في الوقت الذي بلغ فيه عصر *بريكليس* أعلـى درجات القوة والازدهار. وكان هذا العلم قد خطا خطواته الأولى في بلاد الإغريق على يد *أنبادوقليس* (ANPADOKLES) حين أعلن، أن الضوء يستغرق بعض الوقت في انتقاله من نقطة لأخرى[1]. ثم خطا خطوتـه الثانيـة علـى يـد *بارمنيـاس* (PARMNIDES) حين أعلن أن الأرض كروية الشكل، وبأن القمر يواجه الشـمس بجزئه المنير على الدوام[2]. ثم قام *فيلولوس* (PHILOLAUS) بأن انتزع الأرض مـن عرشها في مركز الكون وأنزلها منـزلة الكوكب[3]. وجاء بعده تلميذه *لوقيبوس* (LEUCIPPUS) ليقول إن النجوم قد نشأت من الاحتراق المتوهج لمـواد تنـدفع في مجرى الحركة العالمية للدوامة الدائرية ومن تجمّع هذه المواد وتركزها[4].

ودرس الفيلسوف (*أنكساغوراس*) صديق *بريكليس* نحو عـام ٤٨٠ ق.م وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره *النجوم*، إلى حد جعله يقول جواباً عن سؤال وجهه إليه بعضهم عن الغرض من الحياة إنه (*هو البحث عن حقيقة الشمس والقمر والسماء*)[5]. وألف كتاباً في *الطبيعة* عدّ أعظم الكتب العلمية التي ظهرت في ذلك القرن، وقسّم فيه الطبيعة إلى أربعة عناصر أساسية *النار*، *والهواء*، *والمـاء*، *والأرض*. واعتبر *القمر* جسماً صلباً متوهجاً في سطحه سهول وجبال وأخاديـد، ويستمد ضوءه من الشمس، وهو أقرب الأجرام السـماوية إلى الأرض[6]. وربمـا كانت بعض الأجرام السماوية، مأهولة عليها خلائق الأرض، وعليها يتكوّن أناس وتتكوّن حيوانات أخرى ذات حياة، ويسكن الناس المدن، ويزرعون الأرض كمـا

1- **HEAT**, SIR: HISTORY OF GREEK MATHEMTICS2V, OXFORD 1921,I.
2- **DIOGENES** LAERTIUS, 381(PARMENIDES) II.
3- **HEAT**,SIR: ARISTARCHUS OF SAMOS, OXFOED. 1931,P 94.
4- **DIOGENES** L, 389, LEUCIPPUS,III.
5- HEATH, RIR: P 68.
6- **DIOGENES** L, 69 (ANAXAGORAS) IV .

نزرعها نحن. وقد نشأ من التكثف المتتابع للطبقة الداخلية أو الغازية مـــن طـــبقتي كوكبنا ***سحب، وماء، وتراب، وحجارة***. وتنشأ الرياح من رقة الجو الناشئة م... حرارة الشمس كما (***ينشأ الرعد من تصادم السحب والبرق من احتكاكها***)[1].

وأصبح (***أنكساغوراس***) بفضل ما حققه من النتائج، وهي وصفه أساس علم الظواهر الجوية، وتفسير الكسوف والخسوف تفسيراً علمياً صحيحاً، ووضع فرضية معقولة لتكوين الكواكب السيارة، وإدراكه أن القمر يستمد نوره مـــن الشـــمس، وقوله بتطور الحياة الحيوانية والبشرية- أصبح بفضل هذه النتـــائج *كوبرنيكوس* عصره، ويقول عنه أرسطو (***ISTOTELES***) إنه كان يبحث عن العلل الطبيعية لكل شيء[2].

أما في مجال الهندسة النظرية، فقد نشر ***أبقراط الطشيوزي*** (وهو غير ابقراط الطبيب) في عام ٤٤٠ ق.م، أول كتاب معروف في الهندسة النظرية، وحل مشكلة تربيع المساحة الكائنة بين قوسين متقاطعين. وفي عام ٤٢٠ ق.م أصـــبح ***هيبياس الإيلائي*** في تقسيم الزاوية ثلاثة أقسام متساوية بالاستعانة بالمنحنى، ونحو عـــام ٤١٠ ق.م قام ***ديمقريطس الأبديري*** بتأليف أربعة كتب في الهندسة النظرية، ووضع قوانين لمعرفة مساحتي المخروط والهرم. فكان للهندسة شأن عظـــيم في جميـــع نـــواحي النشاطات الإغريقية وبرع فيها الفلاسفة ودرسوها ليس لفائدتها العملية فحسب، بل لفوائدها في الاستدلالات المنطقية وتمرين الأذهان، وحتى فنونهم نفسها قد تدخلت فيها، فوضعت أشكالاً كثيرة للحلى المنقوشة على خـــزفهم وأبنيتـــهم، وحـــددت النسب بين أجزاء البارثنون ومنحنياته.

أما ***علم الحساب*** فكان بدائياً عند الإغريق، ولم يدخل عليه إلا القليل مـــن التعديل في عصر بريكليس، إلا أن الإغريق في عهده اعتمدوا النظـــام العشـــري في الحساب والاثني عشري والستيني في الفلك والجغرافيـــة، كمـــا عرفـــوا الكســـور البسيطة.

1- HEATH, SIR : P79 .
2- DIOGENES L, I . C .

وفي مجال *الجغرافية*، فقد فسّر (*أنكساغوراس*) فيضان النيل السنوي تفسيراً صحيحاً بقوله: *إنه ينشأ من ذوبان جليد بلاد الحبشة في فصل الربيع ومن سقوط الأمطار فيها*[1]. وفسّر علماء طبقات الأرض الإغريق وجود مضيق جبل طارق بأنه نتيجة *لتشقق الأرض من أثر زلزال*، كما فسّروا وجود جزر بحر إيجة بأنها نشأت عن *براكين وزلازل* نتج عنها انخفاض في قاع البحر[2]. وسجل (*إسكلس*)، ما كان يعتقده أهل زمانه من أن صقلية قد انفصلت عن إيطالية نتيجة *لاضطراب في القشرة الأرضية*[3].

وكان من أهم الحوادث في تاريخ العلوم الإغريقية في عصر *بريكليس*، *نهضة الطب القائم على العقل لا الخرافة*. لأن الطب الإغريقي قبل ذلك الوقت حتى في القرن الخامس ق.م، كان وثيق الارتباط بالدين إلى حد كبير. ولكن اعتباراً من هذا القرن بالذات، أخذ الطب الدنيوي القائم على العقل والمعرفة ينافس الطب الديني القائم على الخرافة ويحاول أن يتغلب عليه، حيث أفلح علماء الإغريق شيئاً فشيئاً في إقامة الطب على قواعد العقل.

وتطور الطب الدنيوي العلمي في بلاد الإغريق أثناء القرن الخامس ق.م في أربع مدارس كبرى: *كوس*، *ونيدوس* في آسية الصغرى، وفي *كاراتونة* في إيطالية، *وصقلية*. وفي كاراتونة أخرجت المدرسة الفيثاغورية أفضل أطباء اليونان قبل (*أبقراط*) وهو الكمايون (*ALCMAEON*) الذي يلقبونه الأب الحقيقي للطب الإغريقي[4]. وقد نشر هذا الطبيب في أوائل القرن الخامس ق.م كتاباً في *الطبيعة* (*PERI PHYSEOS*)، وهو أول من حدّد من الإغريق موضع العصب البصري وقناة أوستاخيو (*الموصلة من الطبلة إلى البلعوم*)، وشرح الحيوانات، وقرّر أن المخ هو العضو الرئيسي في عملية التفكير، وعرّف الصحة تعريفاً فيثاغورياً إنها التوافق بين

1- ARISTOTELES, METAPPHISICS I, 4.
2- SARTON, G: INTERDUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE, BALTIMORE 1930, P83.
3- SEMPLE, E, C,: GEOGRAPHY OF THE MEDITERRAEN REGION, N, Y 1931, P35-37.
4- IBID.

أجزاء الجسم المختلفة (٢٤٠). وكان أكبر رجال الطب في نيدوس **يوريفرون** (*EURYPHRON*) الذي كتب في الطب خلاصة موجزة تُعرف باسم الجمل النيدية (*CNIDIAN SENTENCES*) وتحدّث عن الإمساك وأرجع إليه منشأ كثير من الأمراض وذاع صيته لنجاحه في عمليات التوليد[1].

ويبدو **هيبوقراطيس** (*HIPPOKRATES*) أي *أبقراط*، أعظم أطباء زمانه بلا منازع في تلك الفترة، وهو من مدينة كوس الإغريقية، وذاعت شهرته كثيراً حتى كان من بين مرضاه (*برديكاس*) ملك مقدونية، و*أزدشير الأول* ملك فارس. وفي عام ٤٣٠ ق.م، استدعته أثينة ليحاول وقف انتشار الطاعون فيها، وكتب في الطب أربعة مؤلفات هي: *الحكم، والأدلة، وتنظيم التغذية، ورسالته في جروح الرأس*. ومن بين حكم (*أبقراط*) الشهيرة، تلك العبارة الذائعة الصيت (*الفن طويل، ولكن الوقت يمر مر السحاب*).

ويعود الفضل *لأبقراط* بأنه حرر الطب من الدين والفلسفة، لأن روح العصر البريكليسي كانت تتمثل فيه أوضح تمثيل، فقد كان واسع الخيال والطموح والواقعية،ويعترف بقيمة الدين ولكنه يكافح لفهم العالم على أساس العقل والمنطق. ويصر على أن العلاج يجب أن يقوم على شدة العناية *بالملاحظة*، وعلى تسجيل كل حالة من الحالات وكل حقيقة من الحقائق تسجيلاً دقيقاً. وتعود إلى أبقراط *عقيدة الأخلاط* المشهورة التي يقول فيها: *إن البدن يتكوّن من الدم، والبلغم، والصفراء، وإن الإنسان يستمتع بالصحة الكاملة إذا امتزجت فيه هذه العناصر بنسبها الصحيحة، وإن الألم ينشأ من نقص بعض هذه الأخلاط أو زيادتها أو انفصالها عن الأخلاط الأخرى*. وأدرك *أبقراط* مدى علاقة هذه الأخلاط *بالمناخ والطعام*، لذا كتب رسالة موجزة في الأهوية، والمياه، والأماكن وعلاقتها بالصحة وفيها يقول:(*في وسع الإنسان أن يعرّض نفسه للبرد وهو واثق من أنه لن يصيبه منه سوء، إلا إذا فعل ذلك بعد الأكل أو الرياضة .. وليس من الخير للجسم ألا يتعرّض لبرد الشتاء*)[2].

1- SARTON, G, P 77 .
2- IBID.

وتنـــزع رسائل (*التنظيم*) عند أبقراط نحو الطب الوقائي، بدعوتها إلى دراسة أحوال الداء في أول ظهوره قبل أن يستفحل، وأن على الطبيب أن يتنبأ بسير المرض من مراحله الأولى، ويقول: *إن معظم الأمراض تصل إلى مرحلة إما تقضي عليها وإما تقضي على المريض نفسه*. ويتابع القول: *إن الطبيعة — أي قـوى الجسـم بنيته — هي أهم علاج لكل مرض أيًا كان نوعه، وأن كل ما يستطيع الطبيب أن يفعله هو أن يقلل أو يزيل العقبات القائمة في طريق الدفاع والشفاء الطبيعيين*. لذا فإن *الطريقة الأبقراطية* لن تستخدم العقاقير في العلاج إلا قليلاً، وأكثر ما تعتمد عليه *الهواء النقي، والأقماع، والمقيئات، والحقن الشرجية، والحجامة، والكمادات، والمراهم، والتدليك، والمياه المعدنية*. ويسدي (*أبقراط*) الناس هذه النصيحة (*عش عيشة صحية تنجُ من الأمراض، إلا إذا انتشر الوباء في البلد أو أصابتك حادثة، وإذا مرضت واتبعت نظاماً صالحاً في الأكل والحياة أتاح لك ذلك أحسن الفرص للشفاء*)[1]. وكثيراً ما كان (*أبقراط*) ينصح *بالصوم* إذا سمحت بذلك قوة المريض لأنه (*كلما أكثرنا من تغذية الأجسام المريضة، زدنا بذلك تعريضها لـلأذى .. وأن الإنسان يجب ألا يتناول إلا وجبة واحدة من الطعام في اليـوم إذا كانـت معدته شديدة الجفاف*)[2].

أما *الجراحة* فكانت لا تزال من اختصاص كبار الأطباء فقط. وقد وجـدت في متحف أثينة بعض أدوات الجراحة مثل: *الملاقط، والمباضع، والنظارات الطبيـة التي لا تختلف في جوهرها عن أمثالها المستخدمة في هذه الأيام*. وفي رسالة أبقراط (*في الطب*) تعليمات مفصّلة لتحضير حجرة العمليات الجراحية وتنظيم ما فيها مـن ضوء طبيعي وصناعي، وتنظيف اليدين، والعناية بآلات الجراحة وطريقة استخدامها، وموضع المريض، وتضميد الجروح وما إلى ذلك.

وقد أكد (*أبقراط*) على شأن الأخلاق في الطب، ذلك أنه لم يكـن طبيبـاً فحسب، بل كان طبيباً ومدرساً معاً، وربما كان *القسم الشهير* الذي يُعزى إليه قد

1- IBID , P102

2- HIPPOCRATES ; WORKS, 4V . LOEB LIBRARY IV " THE NATURE OF MAN" IV,10 .

وضع لضمان ولاء طالب الطب لأستاذه، وما زال هذا القسم حتى عصرنا الحاضر منبراً للأطباء في مختلف عياداتهم، وميثاقاً لطلاب كليات الطب في جامعات العالم أثناء تخرجهم.

قسم أبقراط

(أقسم بأبوللون الطبيب وبأسكليبوس وبجميع الآلهة والآلهات، واشهدها جميعاً عليّ، أن أنفذ هذا القسم وأوفي بهذا العهد بقدر ما تتسع له قدرتي وحكمتي، وأقسم أن أعد أسرته أخوة لي، وأن أعلمهم هذا الفن إذا رغبوا في تعلمه، من غير أن أتقاضى منهم أجراً أو ألزمهم باتفاق وأن ألقن الوصايا والتعاليم الشفوية وسائر التعاليم الأخرى لأبنائي ولأبناء أستاذي وللتلاميذ المتعاقدين الذين أقسموا بيمين الطبيب، ولا ألقنها لأحد سواهم، وسوف استخدم العلاج لأساعد المرضى حسب مقدرتي وحكمتي، ولكن لا استخدمه للأذى أو لفعل الشر، ولن أسقي أحداً السم إذا طلب إليّ أن أفعل هذا، كذلك لن أعطي امرأة صولة لإسقاط جنينها، ولن استعمل المبضع ولو كنت محقاً في استعماله لمن يشكو حصاة، بل أتخلى عن مكاني لمن يحذقون هذا الفن، وإذا دخلت بيت إنسان أياً كان، فسأدخله لمساعدة المرضى، وسأمتنع عن كل إساءة مقصودة أو أذى متعمد، وسأمتنع بوجه خاص عن تشويه جسم أي رجل أو أي امرأة، سواء أكانوا من الأحرار أو الأرقاء، ومهما رأيت أو سمعت في أثناء قيامي بفروض مهنتي وفي خارج مهنتي في خلال حديثي مع الناس، إذا كان مما لا تحب إذاعته، فلن أفشيه، وسأعد أمثال هذه الأشياء أسراراً مقدسة، فإذا ما ألزمت نفسي بإطاعة هذا القسم ولم أحنث فيه، فإني أرجو أن أشتهر مدى الدهر بين الناس جميعاً بحياتي وبفني، أما إذا نقضت العهد وحنثت بالقسم فليحل بي عكس ذلك)[1].

ويضيف أبقراط إلى هذا أن من واجب الطبيب أن يحتفظ بحسن مظهره الخارجي، وأن ينظّف جسمه ويتأنق في ملبسه، ويجب عليه أن يكون هادئاً على الدوام، وأن يبعث سلوكه على الثقة والاطمئنان في نفس المريض ويجب عليه:

1- IBID, 4V .

(أن يعنى بمراقبة نفسه، وألا يقول إلا ما هو ضروري، وإذا دخلت حجرة مريض، فتذكر طريقة جلوسك، وكن متحفظاً في كلامك، معتنياً بهندامك، صريحاً حاسماً في أقوالك، موجزاً في حديثك .. ولا تنس ما يجب أن تكون عليه أخلاقك وأنت إلى جانب فراش المريض .. واضبط أعصابك، وازجر من يقلقك .. وأوصيك ألا تقسو على أهل المريض، وأن تراعي بعناية حال مريضك المادية، وعليك أيضاً أن تقدم خدماتك من غير أجر، وإذا لاحت لك فرصة لأن تؤدي خدمة لإنسان غريب ضاقت به الحال، فقدم له معونتك كاملة، ذلك أنه حيث يوجد حب الناس يوجد أيضاً حب الفن).

وعدا ذلك، فإن المناقشات في الجمعية العامة، والمحاكمات في المحاكم الشعبية، والحاجة المتزايدة إلى القدرة على التفكير، وإلى التعبير عن الأفكار تعبيراً واضحاً مقنعاً، جعلت الناس في حاجة إلى شيء لم يكن معروفاً قبل بريكليس، ونعني بذلك الدراسة العليا المنظمة *للآداب، والخطابة، والعلوم، والفلسفة، وأساليب الحكم، والسياسة*. ولكن مثل هذه الحاجات لم تتوافر بتنظيم الجامعات، بل توافرت بوجود طائفة من العلماء الجوالين الذين يستأجرون قاعات للمحاضرات يدرّسون فيها ما يضعونه للتعليم من مناهج، وينتقلون من مدينة إلى أخرى ليعيدوا فيها هذه الدراسة. وكان عند الإغريق أشهر هؤلاء المعلمين بروتاغوراس (*PROTAGORAS*) وأصبحوا يطلقون على أنفسهم لقب ((*السفسطائيون*)) (*SOPHISTAI*) أي *معلمو الحكمة (والمعنى الحرفي للكلمة الإغريقية هو المتخصصون)*[1]. وكان الناس يفهمون من هذا اللفظ ما نفهمه نحن من لفظ *(أستاذ جامعي)* وأفلاطون هو الذي عزا إليهم تهمة *(السفسطة)* بغية المكسب وهو الوصف الذي ظل لاصقاً بهم إلى يومنا هذا. وكان الجمهور يمقت هؤلاء منذ بداية ظهورهم، لأن ما كانوا يتقاضونه من أجر باهظ نظير تدريس المنطق والبلاغة لم يكن يطيقه إلا الأغنياء.

وكان المحور الرئيسي عند *بروتاغوراس* في التعليم، *أن يعلّم تلاميذه التبصر والحذر في الشؤون العامة والخاصة، وحسن تنظيم المنزل والأسرة، وفنون البلاغة*

---

[1]. IBID REGIMEN III" : IV.

أو الكلام المقنع والمقدرة على فهم شؤون الدولة وحسن إدارتها[1]. وكان من أفضاله الكثيرة أنه وضع أساس النحو وفقه اللغة عند الأوروبيين ويقول عنه *أفلاطون*، إنه بحث في الطريقة الصحيحة لاستعمال الألفاظ، وأنه كان أول من قسّم الأسماء إلى مذكرة ومؤنثة وغير مذكرة وغير مؤنثة، وأول من ذكر أسماء الأفعال وحالاتها (إخبارية أو شرطية إلخ ..) وكان *بروتاغوراس* يعنى بالأفكار أكثر مما يعنى بالأشياء، ونعني بالأفكار عملية الإحساس، والإدراك، والفهم، والتعبير بأكملها، وكان يرى أن الإحساس هو السبيل الوحيد إلى المعرفة، ويأبى أن يعترف بوجود أية حقيقة تعلو على العقل ولا تدركها الحواس. *والإنسان عند بروتاغوراس هو المقياس الذي تقاس به جميع الأشياء*، فهو الذي يقرر أن الأشياء الكائنة كائنة، وأن الأشياء غير الكائنة غير كائنة[2]. وبإعلان *بروتاغوراس* مثل هذا المبدأ البسيط من مبادئ الإنسانية والنسبية، *أحدث ثورة عاصفة في ذلك العصر، وأخذت كل المبادئ المقدسة والحقائق التي تستند إلى الديانة والخرافة تتصدع وتنهار، وأخذت الفردية بالظهور تدريجياً ووجدت صوتاً ينادي بها وفلسفة تؤيدها*. حيث أخذ صوت *بروتاغوراس* يعلو وينشد في كل مكان إلحاده لوجود الآلهة وهو الذي قال: (*أما من حيث الآلهة فلست أدري أهي موجودة أم لا، كما لا أعلم لها شبهاً، وثمة أشياء كثيرة تقف في سبيل هذه المعرفة، الموضوع غامض، وحياتنا الفانية قصيرة الأجل*)[3] وارتاعت الجمعية العامة في أثينة من هذه العبارة التي تنذر بشر مستطير فقررت نفي *بروتاغوراس*، وأمر الأثينيون على بكرة أبيهم أن يسلموا كل ما عساه أن يكون لديهم من كتاباته، وأحرقت كتبه في السوق العامة، ويقال أن بروتاغوراس فر إلى صقلية.

وبعد بروتاغوراس واصل *غورغياس الليونتيني* (*GORGIAS OF LEONTINI*) الذي ولد عام ٤٨٣ ق.م في مدينة *ليونتيني* هذه الثورة التعليمية، وكان أحد الرجال الذين يجمعون بين الفلسفة والسياسة في بلاد الإغريق، وأخذ يتنقل من مدينة

---

1 - انظر : ول ديورانت، ص ١٨٤ ــ ١٩٤.

2 - انظر : أفلاطون، *بروتاغوراس* ٣١٦.

3 - انظر : نفس المصدر السابق ٣١١، ٣٢٣ أ، ٣٠٩ ــ ٣٢٩ ب.

إلى مدينة، ويشرح أينما حل آراءه بأسلوب خطابي، وألفاظ ممتعة، وعبارات منسقة في معناها ومبناها، متزنة اتزاناً دقيقاً بين الشعر والنثر، لم يجد معها أية صعوبة في جذب الطلاب إليه يعرضون عليه مائة مينا (*كل مينا = ١٠٠ دراخمة*) نظم منهجه الدراسي. وبعد أن استمتع بكرم كثير من الدول وأجورها ألقى عصا التسيار في تسالية وبلغ من العمر نحو مائة وخمس سنين.

أما *هيبياس الأليسي* من مدينة إيليس (*ELIS*) فكوّن مدرسة بمفرده، وكان نموذجاً للرجل المتعدد المعارف، في عالم لم تكن المعرفة فيه قد بلغت من الاتساع حداً يجعلها في متناول أكثر من عقل واحد. فقد كان معلّم *الفلك، والرياضيات، والهندسة، والشعر، والموسيقى، والخطابة*. وكان يلقي محاضرات في الأدب، والأخلاق والسياسة، وكان مؤرخاً وضع أساس التاريخ الإغريقي وتقويمه وتسلسله بأن جمع ثبتاً من أسماء الفائزين في الألعاب الأولمبية، وكان يعرف من الفنون والحرف عدداً كبيراً أمكنه به أن يصنع ملابسه وأدوات زينته بنفسه[1].

واشترك بعض الفلاسفة في مهاجمة *السوفسطائيين* فاتهمهم *سقراط*، بأنهم يموّهون الخطأ بزخرف المنطق ويقنعونه بقوة البلاغة، وكان يحتقرهم لأنهم يتقاضون من الناس أجوراً، ويسوّغ جهله بالنحو بأنه لم يكن يستطيع حضور منهج *بروديكس* الذي يكلف خمسين دراخمة، ويقول: *إن كل ما في وسعه أن يحضر منهج الدراخمة الواحدة الذي يقتصر على المبادئ الأولية*[2]. ويقول فيهم: (*إن في وسعنا أن نتصرف في الجمال أو في الحكمة تصرّفاً شريفاً أو غير شريف، فالشخص إذا باع جماله بالمال إلى كل راغب في شرائه، سماه الناس (عاهراً ذكراً)، أما إذا صادق إنسان شخصاً يعرف أنه إنسان شريف جليل القدر يُعجب به، حسبناه رجلاً فطناً حصيفاً، والذين يبيعون الحكمة بالمال لكل من يتقدم لشرائها يسميهم الناس سفسطائيين أو (عاهري الحكمة) إذا صح هذا التعبير، أما من يصاحب شخصاً*

1- - SARTON G, 36.

2 – انظر : أفلاطون ، *بروتاغوراس* ١٦٠ .

يعرف الله جدير بصحبته، ويعلّمه كل ما يعرف من الخير فإنا نصفه بأنه يضطلع بالعمل الذي يليق بالمواطن الشريف)[1].

وواصل أرسطو هجومه عليهم، وعرّف السوفسطائي بأنه الرجل (*الذي لا يحرص إلا على أن يرى من وراء التظاهر بالحكمة*) واتهم بروتاغوراس بأنه (*يعلم الناس بجعل أسوأ الأسباب يبدو كأنه أحسنها*)[2].

إن *السفسطائيين* بكل الأحوال في مجموعهم يُعدّون من العوامل التي كان لها أعظم الأثر في تاريخ الإغريق بأن اخترعوا النحو والمنطق، ورفعوا من شأن فن الجدل، وحللوا أشكال الحوار، وعلموا الناس كيفية اكتشاف الخطأ المنطقي ومعالجته، واستخدموا المنطق في اللغة وزادوا الأفكار وضوحاً ودقةً، ويسروا انتقال المعرفة انتقالاً صحيحاً دقيقاً، وجعلوا من النثر صورة من صور الأدب والشعر ووسيلة للتعبير عن الفلسفة، وطبقوا التحليل على كل شيء، ورفضوا عظمة التقاليد المتواترة التي لا تؤيدها شواهد الحس أو منطق العقل، وكان لهم شأن كبير في الحركة العقلية التي حطّمت آخر الأمر دين الإغريق القديم القائم على الخرافة والشعوذة[3].

أما في شأن *المادة* فنذكر من أبرز علماء الإغريق (*ديمقريطس*) السذي ذكر ولأول مرة في التاريخ في عام ٤٦٠ ق.م، أن المادة تتكوّن من ذرات لا ترى وهي دائمة الدوران حول نفسها ومحورها، وكان والده من ذوي المكانة المرموقة والثراء العظيم في أثينة، وسافر إلى بلدان كثيرة منها مصر وبلاد الحبشة وبابل وفارس والهند، ويقول عن نفسه: (*لقد طفت معظم أجزاء الأرض للبحث عن أبعد الأشياء، ورأيت أكثر الأجواء والأقطار، وسمعت إلى عدد من المفكرين*)[4]. ومن أقواله: (*إن الأرض كلها وطن للرجل الحكيم الصالح*) ووجه جهوده كلها إلى الدرس والتفكير وقال:(*إن الكشف عن برهان واحد في الهندسة خير لي من الحصول على عرش فارس*)[5]. ويذكر ديوجينس ليرتيوس *DIOGENESE*

1- DIOG L., I, G.
2- GROTE ,G ; HISTORY OF CREECE . 12 V , EVERYMAN, LIBRARY, VIII, 343 .
3- PLATON, CRATYLUS 584 .
4 – انظر : كسنوفون، *مذكرات سقراطية* ١ ، ٦ ، ١٣ .
5- CROTE, G . P VIII, 326 .

(LAERTIUS) ثبتاً طويلاً من كتبه في علوم الرياضيات، والطبيعة، والفلك، والملاحة، والجغرافية، والتشريح، ووظائف الأعضاء، وعلم النفس، والعلاج النفسي، والطب، والفلسفة، والموسيقى[1]. ويطلق عليه بعض معاصريه اسم الحكمة (SOPHIA) نفسها. ويرى ديمقريطس، أن المعرفة الحقة لا سبيل إليها إلا بالبحث والتفكير، وأن الجواهر الفردية الدقيقة التي تتكوّن منها النفس هي أكثر أجزاء الجسم نباهٌ وأعظمها إثارة للدهشة، والرجل العاقل ينمي فكره ويحرر نفسه من الانفعالات والخرافات والمخاوف، ويبحث بالتأمل والإدراك عن السعادة العقلية التي في متناول الحياة البشرية، والسعادة لا تنشأ من الطيبات الخارجية، بل ينبغي للإنسان أن يتعوّد على أن يجد في داخل نفسه مصادر متعته وسعادته، والثقافة خير من الغنى .. ولا تستطيع قوة أو ثروة أن ترجّح العلم، والسعادة تأتي متقطعة، واللذائذ المادية لا تشبع صاحبها إلا زمناً قصيراً، لكن الإنسان ينال سروراً أطول إذا حصل على سلام النفس وصفائها، وعلى البهجة والاعتدال وقدر من التناسب والنظام في الحياة، وقوة الجسم لا تكون من أسباب النبل إلا في دواب النقل، أما قوة الخلق فهي سبب النبل في الإنسان .. ومن واجب الإنسان أن يشعر بالعار أمام نفسه إذا فعل الشر أكثر مما يشعر به أمام العالم كله[2].

وهكذا عاش ديمقريطس حتى بلغ من السن مائة وتسعة أعوام، بعد أن صاغ أهم فرضية من الفروض العلمية، وأوجد للفلسفة نظاماً بعد أن عفا الزمان على غيره من النظم التي ظلت تندد به.

ثاني عشر ـــ الفسطائيون :

كان الإغريقي يرى أن الفن هو قبل كل شيء تجميل طرق الحياة ووسائلها، وكان وضوح إدراكه للدولة يوحد بينه وبين قوة المدينة وعظمتها. فلذلك استخدم آلاف الفنانين لتجميل أماكنها العامة وتعظيم أعيادها وإحياء تاريخها وتكريم آلهتها،

---

1 – انظر : ول ديورانت ، ص ٢١٧ .

2- LANGE F . E , HISTORY OF MATERIALISM . N Y 1925 , P17 .

ومن أجل هذا لم ينشأ الفن الإغريقي ليوضع في المتاحف ويتأملون الناس به ، لكنه نشأ لكي يخدم مصالح الناس ومشروعاتهم الحقيقية . لذلك كان الفنان الإغريقي في حقيقة أمره صانعاً ماهراً لأجل الفن الذي يفهمه جميع الناس ، واستخدم في فنه آلات العمل البسيطة المصنوعة من *البرونز* ، *كالمثاقب البسيطة والأنبوبية* ، *وحجر الجلخ* ، *ومواد أخرى للصقل* . وكانت كل مدينة في حوض البحر الأبيض المتوسط تعمل للحصول على أدواتها *الحديدية* ، *والنحاسية* ، *والفضية* .

وفي النصف الأول من القرن الخامس ق.م ، انتقل الفن الإغريقي من أشكاله التقليدية وطراز الصور السوداء على الفخاريات والمزهريات إلى طراز الصور الحمراء، وكانت هذه الفخاريات والمزهريات تحمل نقوشاً بديعة للفنانين الإغريق تكمن في طياتها طبيعة الحياة الإغريقية نفسها . فقد غلبت على الرسوم تكوينات الأشخاص والصور المأخوذة من الممارسات اليومية اقتصادية، أم اجتماعية، أم غرامية، أو من القصص الميثولوجية (*الأسطورية*) الإغريقية وتشكل هذه المواضيع إحدى المصادر الرئيسية في دراسة التاريخ الإغريقي ، *فعلى سبيل المثال*، هناك مزهرية رُسمت عليها صورة شبان يعانقون بعض عشيقاتهم بلا حياء، ورُسم على مزهرية أخرى رجال يتقيؤون وهم خارجون من وليمة ، وعلى مزهريات غير هذه وتلك صور تمثل كل ما يستطاع عمله في شؤون التربية الجنسية[1]، ومزهريات أخرى تمثل مواضيع اجتماعية كالأعياد الدينية والحفلات وقطاف العنب والزيتون، وغيرها تمثل مواضيع اقتصادية، كالورش الصناعية، والمناجم، والتعدين وغيرها كثير . وأكثر ما كانوا يسّرون منه في فن نقش المزهريات *حركات النساء الرشيقة*، *وثنايا ألواب السيدات* .

ولم يكن فن التصوير أقل شهرة من فن الفخاريات والمزهريات ، وكان من أشهر فناني التصوير الإغريقي *بوليجنوتوس* (*POLYGNOTOS*) في النصف الأول من القرن الخامس ق.م (نحو ٤٧٥ – ٤٤٧ ق.م) ، وكان من مواطني جزيرة *تاسوس* (*THASOS*) (*في شمالي بحر ايجة*) ثم اكتسب المواطنة الأثينية فيما بعد، وقد قام بتنفيذ

1- CROTE G ; PLATON AND THE OTHER COMPANIONS OF SOCRATES 3V , LONDON 1875 , P 1 , 68 .

رسومه بطريقة *الفريسكو* في أغلب الأحوال في لوحات حائطية، وإن كان قد قدّم رسوماً كذلك على لوحات من الخشب، كما قدّم رسوماً استخدم الشمع في تنفيذها بطريقة لا تزال غامضة لدى المهتمين بدراسة تاريخ هذا الفن (***علها تقابل الرسم بالزيت في العصر الحاضر***). وقد استوحى في عدد كبير من لوحاته موضوعات ميثولوجية، ولكنه لم يقتصر على هذا الاتجاه، إذ صوّر تلك الصورة الرائعة التي يصوّر عليها منظر لهب طروادة، ولم يكن ذلك المنظر منظر المذبحة الرهيبة التي حدثت في ليلة النصر، بل كان منظر السكون الرهيب الذي ساد المدينة في صباح اليوم التالي، وكانت هذه الصورة كبيرة خالية من المناظر الطبيعية أو الخلفيات، ولكنها مزدحمة بصور الأشخاص إلى حد كبير. أما الصورة الجدارية الثانية التي تمثل طروادة، فكان فيها البحّارة وهم على أهبة الإبحار عائدين إلى بلاد الإغريق، وكانت هيليني تجلس وسط الملاحين، ومعها كثيرات غيرها من النساء، ولكنهن كنّ جميعاً يبهرهنّ جمالها الفتّان[1].

ثم تقدّم الفن في عام ٤٤٠ ق.م خطوة مهمة على يد *أجاثارخس* (*AGATHARCHUS*) الذي استخدمه أيسخيلوس وسوفوكليس ليرسم مناظر مسرحياتهما التي تبين أن ثمة علاقة بين الضوء والظل من جهة والبعد من جهة ثانية، وكتب رسالة في (*فن المنظور*) بوصفه وسيلة لإيجاد الخداع المسرحي. وكان منافسه الوحيد في فن التصوير *برهسيوس* (*PARRHASSIUS*) من إفسوس الذي لا يكاد يقل عنه عظمة. وكان *برهسيوس* يضع على رأسه تاجاً من الذهب ويلقب نفسه (*أمير المصوّرين*) *ويقول إنه أوصل الفن إلى درجة الكمال*[2]. وتقول الشائعات إنه اشترى عبداً وعذّبه لكي يدرس عليه ما يبدو على وجهه من مظاهر الألم فيستطيع أن يرسم صورة بروميثيوس في عذابه. وقد بلغ من صورة العذاء الرياضي التي رسمها بإتقان، إن الناظرين إليها كانوا يتوقعون أن يروا العرق يتصبب من الصورة، وأن يروا أن العذاء نفسه يسقط من فرط الإعياء[3].

1- **DIG, L : DEMOCRITUS XIII .**

2 - انظر : ول ديورانت ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤ .

3- **RIDDER, R : AND DEONNA . W .: ART IN GREECE, N . Y 1927 , P287 .**

ولكن أواخر القرن الخامس ق.م ، شهدت أثينة تقدماً ملحوظاً في هذا الفن، حين أدخل الرسام الأثيني *أبوللودوروس* (*APOLLODOROS*) فكرة التظليل المتدرّج (*SKIAGRAPHIS*) الذي يوهم بتجسيد الصورة . وقد كان في الواقع أول من فتح الطريق في هذا الاتجاه، فقد اتبع طريقته وطورها رسام إغريقي آخر معاصر له هو *زيوكسيس* الذي اشتهر في أوائل القرن الخامس وأوائل القرن الرابع وكان من مواطني مدينة هيراكلية (*HERAKLEA*) (إحدى المستوطنات الإغريقية في منطقة لوكانية في جنوبي إيطالية) . وقد استخدم *زيوكسيس* فكرة الضوء بشكل ظاهر ليكسب لوحاته نوعاً من التعبير الدافئ (*PATHOS*) نتيجة لسيطرة هذا الفنان على تدرّج الألوان كما يظهر من لوحته التي صوّر فيها أسرة الكنتاروس (*KENTAUROS*) (*مخلوق أسطوري عند الإغريق نصفه الأعلى إنسان ونصفه الأسفل حيوان*) والتي يتدرّج فيها اللون بشكل غير محسوس من القسم الإنساني إلى القسم الحيواني لأنثى هذا المخلوق .

ورغم هذا التفوق بقي التصوير غريباً على العبقرية الإغريقية التي كانت تحب الشكل أكثر مما تحب اللون . فلذلك فإن (*فن النحت*) كان أكثر تحبباً وجاذبية للرجل الإغريقي الذي كان يملأ بيته، وهياكله، وقبوره بتماثيل صغيرة من الطين المحروق، ويعبد آلهته بتصويرها في الحجارة ، ويقيم على قبور موتاه ألواحاً منقوشة تُعد من أكثر منتجات الفن الإغريقي وأوقعها في النفس. وكان من شهرة الفنانين النحاتين الإغريق بأن أضفوا على منحوتاتهم *الحركة قبل السكون* ، *والحياة محل الجمود*، وهذا ما أحدث ثورة في فن النحت الإغريقي. وكان من أحد أسباب هذا التطور في فن النحت، هي ما امتازت به الحياة الإغريقية من *حيوية ونشاط* لم يكن لها من قبل، وهذا مما دعا الفيلسوف سقراط يوجه سؤاله إلى أحد النحاتين الفنانين بقوله: (*أليس الذي يجعلك تُظهر تماثيلك كأنها أشخاص حية ، هو أنك تنحتها على مثال الكائنات الحية نفسها ؟ وإذا كانت مواقفنا المختلفة تؤثر في بعض عضلات أجسامنا فيرتفع بعضها وينخفض البعض الآخر، وبذلك ينقبض بعضها*

وينبسط البعض، وتلتوي هذه وترتخي تلك، إذا كان هذا يحدث أليس تعبيرك عن هذه الجهود هو الذي يجعلك تُظهر ما تنحته صادق التعبير عن الحقيقة)[1] .

لقد كان النحات الإغريقي في عصر *بريكلس* عظيم الاهتمام بكل ناحية من نواحي الجسم ويعبّر أدق تعبير عن حركاته، من خلال مشاهدته في أكثر الأوقات ألعاب الرياضيين وهم عراة في الألعاب الرياضية ، وملاحظة النساء يمشين في وقار في المواكب الدينية أو ينهمكن انهماكاً طبيعياً في أعمالهن المنزلية . *ولهذا السبب، فالنحات الإغريقي كانت تتوق نفسه إلى إظهار ملابس النساء يلعب بها النسيم لأنه في هذا الوضع كان يدرك خصائص الحركة والحياة .*

ولقد استخدم النحات في مادته النحتية كل من *الخشب ، والعاج ، والطين المحروق ، والحجر الجيري ، والرخام ، والفضة ، والذهب الذي استخدمه أحياناً لصنع الثياب ، والعاج لصنع الجسم* . وكان *البرونز* من أفضل المواد بالنسبة للفنانين النحاتين في *البلوبونيز* لأنه يصلح كل الصلاحية لتمثيل *أجسام الرجال* الذين لوّحتهم الشمس وهم عراة، أما في *أيونية وأتيكة* كان يُفضّل *الرخام* نظراً لنعومته وشفافيته لتمثيل *لون النساء الوردي ورقة أجسامهن*، وكان رخام جبل *بنتليكوس* (*PENTELICUS*) أفضل رخام للنحات الأتيكي الذي صنع من محاجره تماثيل حية .

أما موضوعات النحت فكانت تختلف من الآلهة إلى الحيوانات ، ولكن أياً كان الموضوع، فإنه يجب أن يكون خليقاً بالإعجاب، وكان أكثر إجادة في نحت تماثيل النساء، ومن آياته الفنية في هذا الموضوع *تمثال الفتاة المستغرقة في أفكارها والممسكة بثوبها فوق ثدييها الخطوط بمتحف أثينة*، ما يبلغ درجة من الجمال الهادئ تعجز اللغة عن وصفه، وخير ما يجيده على الإطلاق *تماثيل اللاعبين الرياضيين*، لأنه كان يُحبب لهم، ولم يكن هناك حائل بينه وبين مراقبتهم ، فكان يبالغ في إظهار قوتهم، ويصوّر على بطونهم عضلات لا وجود لها .

---

[1] - انظر : باوسانياس ، *وصف بلاد اليونان* ، ١٠ ، ٢٥ .

وفيما إذا كان الفن الإغريقي قد أخرج هذا القدر كله في القرن الخامس ق.م ، فهذا يعود إلى إنشاء خمس مدارس فنية في بلاد الإغريق في عصر بريكليس وهي مدارس رجيوم، وسيكيون، وأرجوس، وإيجينة، وأتيكة . وقد قامت هذه المدارس بتخريج أعظم وأشهر دفعة من النحاتين الإغريق في التاريخ القديم، فلما أنجب التاريخ الحديث والمعاصر أمثالهم وهم على التوالي : ميرون، وبوليكليتوس، وفيدياس، وسنقوم بتفصيل حياة وأعمال كل منهم على حدة .

١ ـ ميرون (MYRON) :

ولد ميرون في إلوثيرا (ELEUTHERA) (٤٨٠ ـ ٤٤٥ ق.م) ويعتقد أنه ولد عام ٤٩٥ ق.م ودرس وعاش في أثينة كما يقول بليني[1] ، وازدهر نشاطه الفني عام ٤٦٠ ق.م ، وكان أجمل ما أضافه إلى مدارس الفن جميعها هو الحركة، فهو لم ير اللاعب الرياضي قبل المباراة أو بعدها ، بل يراه في أثنائها ، وقد استخدم في ذلك معدن البرونز الذي كان خير المواد لمثل هذا النمط من الفن المتجدد . وكانت أشهر تماثيله ضمن هذا الإطار من الفن، تمثال (رامي القرص) (DISOCOBOIO) الذي صنعه في عام ٤٧٠ ق.م ، الذي يمثل رياضياً يلقي قرصاً . ونرى في التمثال الرامي وقد ألقى بيده اليسرى أمام رجله اليمنى التي ركّز عليها ثقل جسمه في حين حمل بيده اليمنى القرص وأطاح بها إلى الوراء إلى ما فوق مستوى الرأس حتى يكتسب قوة اندفاع كبيرة في عملية الرمي . أما رجله اليسرى فقد ارتكزت أصابعها فقط على الأرض، وأشاح بوجهه وجسمه وهو مائل إلى الأمام إلى الناحية اليمنى ممثلاً لحظة التحفز لرمي القرص . وفي هذا التمثال بلغت عجائب أجسام الرجال غايتها، فقد درس الجسم دراسة دقيقة في جميع حركات المفاصل، والأوتار، والعظام، التي يتطلبها القيام بعمل ما ، وانحنت الساقان والذراعان ومعهما الجذع لكي تكسب الرمية أعظم قوتها . ورغم كل هذا المجهود الجسدي، فإن الوجه لم يشوّه، بل ظل منبسطاً، والرامي هادئ واثق من قدرته وكأن شيئاً لم يحدث . ولم تكن هذه الآية الفنية إلا عملاً واحداً من أعمال ميرون الكثيرة .

---

[1] – انظر : أليانيوس ٢١ ، ٦٢ .

وقد قام *ميرون* بنحت كثير من التماثيل أشهرها (*بقرة ميرون*) التي توجد نسخة هللينستية صغيرة منها في المكتبة الوطنية بباريس، كما ينسب إلى ميرون نحت تماثيل لعدد من الآلهة، مثل *هرقل وأبوللون وغيرهما*. ولا شك أن ميرون قد انفرد بإيجاد التعابير الكلاسيكية الأولى للحركة سواء في تماثيله المزدوجة أم المنفردة. وكان في الحقيقة أول من أوجد مبدأ جمال الخطوط المثالي وتوازن الأحجام. وعلى الرغم من نجاح معظم أعماله، إلا أن تمثال (*رامي القرص*) آية أعماله التي لم يستطع مثّال إغريقي أو روماني آخر بعده أن يخلق من هذا الموضوع وضعاً جديداً ينافس فيه ما ابتكره هذا الفنان المبدع.

٢ ـــ بوليكليتوس (POLYKLEITOS) :

وهو فنان من مدينة أرجوس (*ARGOS*) (شمال غربي البلوبونيز) ظهر بعد ميرون وعاصره بعض الوقت، ويعتبره الآثاريون خير ممثل على الإطلاق للتقاليد والمدارس البلوبونيزية في النحت خلال النصف الثاني من القرن الخامس ق.م، ويؤقت المؤرخون أول عمل له بتاريخ ٤٥٠ ق.م وآخر عمل له عام ٤٠٥ ق.م، ووضع نحو عام ٤٢٢ ق.م تصميماً من الذهب والعاج للآلهة (*هيرا*) آلهة المدينة ليوضع في معبدها في أرجوس. وكان نحت تماثيل الرياضيين عنده موضع كثير من الاهتمام، أكثر مما هو عليه عند النساء والآلهة، حيث وجد في مدينة (*أولمبية*) ثلاث قواعد لتماثيل أبطال أولمبيين تحمل اسمه، وفي تمثاله الشهير للاعب الرياضي ديادمنوس (*DIADUMENOS*) (*الصارع المنتصر*) الذي يذكر المؤرخون أنه تقاضى عنه مبلغ مائة تالانت (وهو مبلغ هائل في عرف ذلك العصر) (*وتوجد نسخة منه في متحف أثينة*). لقد نحت *بوليكليتوس* هذا الرياضي التمثال *في اللحظة الذي كان يربط حول رأسه العصابة التي يضع القضاة فوقها إكليل الغار*. ويرى الناظر إلى صدر التمثال أن بطنه وعضلاته هي أكثر وأضخم مما عليه في الواقع، والجسم يرتكز ارتكازاً واضحاً على قدم واحدة، وملامح التمثال تعبر عما امتاز به العصر الذهبي من تناسق أصدق تعبير، فكان والحالة هذه هو (*الفياغورس النحت*)، ينشد الرياضة القدسية في التناسب والشكل كما يتضح لنا بشكل خاص من تمثال (*حامل الرمح*) (*DORYPHOROS*) (*الذي توجد نسخة رومانية منه في متحف*

نابولي)، ويظهر هذا التمثال وهو يتقدم في توازن حسمي كامل يجمع بين اتزان الرجولة ونضوجها من جهة، وبين روح الشباب غير المثقلة من جهة أخرى. ويتضح من التشبيه السابق أن بوليكليتوس آمن بتساوي الأوزان في طرفي محور التمثال ، وحدد نقاط الاهتزاز في حجوم أقسام التمثال المختلفة ، ولا شك أنه قد بذل جهداً فائقاً في دراسة عميقة للجسم البشري، ولعل هذا ما يميز فنه عما تقدّم من فنون .

٣ ــ فيدياس (PHEIDIAS) :

لقد وصل فن النحت الإغريقي إلى قمته على يد (*فيدياس*) ٤٩٠-٤٣٠ق.م ، وازدهر نشاطه الفني عام ٤٤٠ ق.م ، وقد قام بنحت ثلاثة تماثيل اثنان للآلهة *أثينة* والثالث للإله *زيوس*، وكانت هذه التماثيل من النوع الذي عُرف باسم *التماثيل الذهبية العاجية* (*CHRYSELEPHANTINE*) لأنها كانت مكسوة بالذهب والعاج، وأشهر هذه التماثيل الثلاثة تمثال (*أثينة بارثنوس*) ويبلغ ارتفاعه ثماني وثلاثين قدماً (١٢ متر تقريباً) وكان مقاماً في داخل هيكل (*البارثنون*) ويمثل أثينة العذراء إلهة الحكمة والعفة. *واستخدم فيدياس في هذا التمثال العاج للأجزاء الظاهرة من الجسم كما استخدم أربعين وزنة (٢٥٤٥) رطلاً من الذهب لصنع الثياب*[1]. ثم زيّنه بالمعادن الثمينة والنقوش المتقنة البديعة على الخوذة ، والحذاءين، والدروع. وقد وضع هذا التمثال بحيث تقع أشعة الشمس مباشرة في يوم عيد أثينة على الثياب الجميلة ، وعلى وجه العذراء الشاحب بعد دخولها من أبواب المعبد العظيمة . ويعتبر المؤرخون هذا التمثال أكبر تمثال معدني صنع في أثينة .

أما تمثال الإله (*زيوس*) فقد بلغ ارتفاعه نحو ستين قدماً (٢٠ متراً تقريباً) ووضع فيدياس على جبيني الإله تاجاً من الذهب في صورة أغصان شجر الزيتون وأوراقه ، ووضع في يد الإله اليمنى تمثالاً للنصر صغيراً مصنوعاً من الذهب والعاج، وفي يده اليسرى صولجاناً مطعماً بالأحجار الكريمة، وألبسه ثوباً ذهبياً نُقشت عليه الأزهار، ووضع في قدميه خفين من الذهب المصمت. أما عرشه فكان من *الذهب*،

---

١ ــ انظر : ول ديورانت ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

والأبنوس، والعاج. وكان عند قاعدته تماثيل صغيرة للنصر وأبوللون وأرتميس. وكان الأثر الذي يبعثه في النفس هذا التمثال وتوابعه رائعاً قوياً إلى حد جعل الناس ينسجون حوله كثيراً من الخرافات والأساطير. وعدّ ***التمثال إحدى عجائب الدنيا السبع***، وكان يحج إليه كل من استطاع الحج ليشاهد الإله المتجسد فيه.

وبفضل فيدياس وأتباعه وصل الفن إلى درجة الكمال، فقد أتقنت مدرسته أصول الفن وقواعده، وفهمت تشريح الجسم، ***وصبّت الحياة والحركة والرشاقة في البرونز والحجر صباً***. وكان العمل الجليل الذي يميز فيدياس عن غيره من النحاتين هو ***(الطراز العظيم) الذي يجمع بين القوة والجمال، والتهور والإحجام، والحركة والسكون، واللحم والعظم مع الروح والعقل حتى قيل: إن الإنسان في تماثيل فيدياس يقترب من الآلهة***[1]. والحقيقة أن تأثير فيدياس في الفن العالمي للنحت المعاصر لا يمكن أن يدانيه فيه أحد، حتى ليمكن القول إنه يُعد ينبوع الإلهام بالنسبة لأعظم مثّالي عصر النهضة.

ومن خلال ما سبق بإمكاننا أن نستخلص بعض الخصائص الرئيسية التي تميز بها فن النحت الإغريقي.

أولاً : خاصية العري التام التي تميز بها فن النحت الإغريقي، وهي خاصية تميزه عن غيره في حضارات الشرق الأدنى القديم، فالتماثيل العارية هي صفة اختص بها الفن الإغريقي دون غيره، وقد كان هذا الواقع انعكاساً للعادات والممارسات الإغريقي منذ العصر الباكر حين كان المتبارون في الألعاب الرياضية يقومون بمبارياتهم هذه في حالة عري تام، وهو أمر يشير إليه المؤرخ *توكوديدس* وغيره من المؤرخين الكلاسيكيين على أنه يميز بين الإغريق وغير الإغريق[2].

ثانياً : بما أن الإغريق كانوا يعبدون آلهة لها صفات الألهة والبشر في آن واحد، فكان من المحتم أن تكون أولى تماثيل النحاتين عندهم تعبيراً عاماً عن البشر وصفاتهم. ***فكان هم النحات أن يعبّر عن الصورة العامة للإنسان لا عن الصورة***

---

1 - انظر: كسنوفون، *مذكرات سقراطية* ٢، ١٠، ٧.

2- PLINY. XXXIV, 19

الخاصة للأفراد من الناس ، وإذا جاز لنا أن نكرر ما قيل مراراً من أن اهتمامهم *كان ينصب على الإنسان باعتباره إنساناً لا على الأفراد* .

ثالثاً : كان الفنان الإغريقي يطمح إلى الواقعية الطبيعية ، فنلاحظ ظهور معالم الجسم التشريحية فمثلاً ، *ظهور القناة التي يجري فيها الدمع في العين وغيرها من الأمور الدقيقة في الجسم الإنساني* . ويمكننا أن نستدرك، أن الاتجاه العام في تطور فن النحت الإغريقي كان أكثر فأكثر يتطور نحو الواقعية الطبيعية *لو كان الأمر يشير إلى أي انحراف اجتماعي* مثل ميل الرجال إلى الصبية الذي كان معروفاً في المجتمع الإغريقي ، ولعل خير ما يمثل هذا المعنى هو تمثال الإله زيوس (*ZEUS*) كبير الآلهة عند الإغريق الذي اشتهر بنزواته ، وقد حمل الصبي جانيميدس (*GANYMEDES*) ليتخذ منه غلاماً عشيقاً على جبل الأوليمبوس ، وفي تكوين التمثال نجد الصبي يحمل ديكاً ، وهو الهدية التقليدية التي كانت تُقدم للصبي المحبوب عند الإغريق[1] . *والواقع أن هذه الخاصية إنما كانت ناحية واحدة من نواح عديدة يتصف بها شعب يأخذ بالعقلانية . وكانت هذه الناحية تتمشى مع إيمانهم المتزايد بالإنسان وكرامته* .

رابعاً : تداخل فن النحت مع فن العمارة ليصل الأمر في بعض الأحيان إلى تكامل تام بين الفنين، وأبرز ظاهرة في هذه الخاصية، نحت مدماك (*البارثنون*) الذي قام *فيدياس* بنحته وأظهر فيه مواكب من التماثيل النافرة (أي البارزة)، هذه المواكب من التماثيل تمثل مهرجاناً يُعرف بمهرجان (*الباناثنيا*)، (*PANATHENAEA*) وهو عيد أثيني يُحتفل به مرة صغرى كل سنة ومرة كبرى كل أربع سنوات، في الثامن والعشرين من شهر *هيكاتمبايون* (*HEKATAMBAEON*) وهو شهر يعادل تموز / آب أي يقع في منتصف الصيف (*وهو عيد على حد زعم بعض الروايات أنه عيد ميلاد الربة أثينة*) عندما كان شباب أثينة يركب بعضهم على صهوات الجياد، وبعضهم الآخر على الإقدام، وفتياتها الحاملات القرابين يصعدون نحو الأكروبوليس ليقدموا إلى تمثال الآلهة أثينة الخشبي ثوباً جديداً . وعند الطرف

---

[1] ـ انظر : ول ديورانت ، ص ١٥٣ .

الشرقي لهيكل (*البارثنون*)، وفوق المدخل الرئيسي للهيكل نرى آلهة الإغريق جميعها مجتمعة على قمة جبل (*أوليمبوس*) لتبارك موكب العيد، وطول هذا المدماك الذي نُحتت على حجارته هذا الموكب من التماثيل ٥٢٠ قدماً (١٧٣ متر تقريباً) فهو في جملته مثال رائع للتصوير والرسم على الحجر . وفي الواجهة الشرقية من معبد *البارثنون* قصة مولد أثينة من رأس أبيها زيوس ، بعد قيام هيفايستوس (*إله الحدادة*) بضربة على رأسه بفأس . أما الواجهة الغربية عندما دخلت الربة أثينة في نزاع مع بوسيدون (*إله البحار*) حول امتلاك مدينة أثينة، وربحت أثينة حين أنبتت شجرة الزيتون في حين أنبع بوسيدون الحصان، وكرّست أثينة منذ ذلك التاريخ ربة للمدينة وأطلقت عليها اسمها .

إن المظاهر العامة لفن النحت الإغريقي ، تعطينا انطباعاً عاماً عن جوهر المجتمع الإغريقي ، وهو اتجاه يعكس (*عصر بركليس*) بكل ما فيه من رخاء ومن راحة نفسية تجعل الفنان يشعر أن لديه الوقت الكافي ليهتم بكل شيء ، *ويحاول أن يبرز الجمال في كل شيء* . وترينا أيضاً بوضوح كيف أن الإغريقي كان يكيّف نفسه مع عالمه وبصورة عجيبة ، ولسنا نشك في أنه كان عالماً يتميز بفقدان العدالة وبالحروب وبالفقر وبالمرض . ولكن إذا دخلنا هيكل (*البارثنون*) فإننا لا نجد فيه ما يجعلنا نستشعر أنه كان عالماً كئيباً ، بل الأمر على نقيض هذا ، *إذ نحس أننا في حضرة الإنسان المثالي، الإنسان المطمئن إلى ذاته، والواثق من أنه يستطيع أن يتغلب على الصعاب ، وأن يخطط لمستقبل يرضي رغائبه* .

ثالث عشر ــ القيم والمثل العليا :

كان الأثينيون لا يختلفون عن سائر سكان البلاد في شعورهم أنهم كانوا من جنس يميزهم عن سائر البشر . *وأنهم كانوا أرقى فكراً وحضارة ممن كانوا يسمونهم البرابرة*، أي سائر الشعوب الأخرى . وهذا الزعم في أنهم من جنس يميزهم عن سائر الناس، فكرة استهوت المؤرخ *هيرودوت* وراقت له كثيراً، وكتب تاريخ الحروب الفارسية التي نشبت بين الفرس والإغريق عند مستهل القرن الخامس ق.م . وفي سرده أخبار تلك الحروب أراد أن يفهم القارئ الأسباب الأساسية

لنشوء الأزمة بينهما، وأن يوضح الفروق في طبيعة كل من المتحاربين، فخطر على باله - إيضاحاً للأمر - أن يصف اجتماعاً عُقد بين *صولون* وبين *كريسوس* ملك ليدية الذي كان غناه يفوق كل تصوّر ، قال:

عندما ضمت إمبراطورية ليدية جميع هذه الفتوحات، وعندما بلغ ازدهار العاصمة ساردیس ذروته، شرع حكماء الإغريق المعاصرون الواحد منهم تلو الآخر يقومون بزيارة المدينة، وكان من جملتهم *صولون الأثيني*، وكان صولون وقتذاك يقوم برحلة قصد التغيب مدة عشر سنوات متذرّعاً بأنه كان يرغب في أن يرى العالم، ولكنه كان في الواقع كان يخشى أن يُرغم على نقض القوانين التي سنّها للأثينيين بناء على طلب منهم .

لهذا السبب ونجحة أنه يرى العالم شرع صولون برحلته هذه ، وفي طريقه عرّج على مصر ليزور بلاط الفرعون، ومن ثم إلى ساردیس ليزور *كريسوس* ملك ليدية، فاستقبله كريسوس ضيفاً وأنزله في القصر الملكي ، وفي اليوم الثالث أو الرابع طلب كريسوس إلى خدمه أن يطوفوا بصولون ليرى كنوزه وليشاهد مبلغ عظمتها ووفرها، وبعد أن رآها كلها وبعد أن تفحصّها ، بقدر ما سمح له الوقت أن يتفحصّها، ساله كريسوس قائلاً : (*أيها الضيف الأثيني الغريب إننا سمعنا كثيراً عن حكمتك وعن رحلاتك في مختلف بلدان العالم محبة منك في الاطلاع ورغبة منك في مشاهدة العالم، ولذا فإني توّاق إلى أن أسألك سؤالاً وهو : مَن مِنَ الذين عرفتهم تعدّه أكثر الناس سعادة؟* وقد وجه إليه هذا السؤال لاعتقاده أنه *أسعد الناس، غير أن صولون أجابه* بل بدون تملّق ومداهنة بل بإخلاص أملاه عليه شعوره الحقيقي قائلاً: " *إن أسعد الناس سيدي هو (تلس) الأثيني* " *فاندهش كريسوس عند سماعه هذا الجواب وقال له بشيء من الحدّة* " *ولماذا تعدّ تلس أسعد الناس؟* " *فأجابه* " *أولاً: أنه أسعد الناس لأنه عاش في زمن رأى أحفاداً لكل أولاده، وهؤلاء الأحفاد عاشوا وكبروا* ، *وثانياً: لأنه عاش حياة نعدّها في بلادنا حياة هانئة مريحة، وكانت نهاية حياته تدعو إلى الفخر والاعتزاز ، ففي معركة وقعت بين الأثينيين وجيرانهم من سكان اليوسيس ، هبّ إلى نجدة مواطنيه*

فدحر الأعداء ومات شجاعاً في ساحة المعركة ، فأقام له أهل أثينة مأتماً شعبياً في البقعة نفسها التي سقط فيها شهيداً وأبّنوه تأبيناً يليق به) .

وهكذا راح صولون يعظ كريسوس وينصحه متخذاً تلّس مثالاً يُحتذى به، وأخذ يعدّد أسباباً كثيرة جعلته أسعد الناس . وعندما انتهى من حديثه عاود كريسوس السؤال قائلاً: من يأتي في المرتبة الثانية بعد تلّس في السعادة؟ متوخياً بذلك أن يفوز هو نفسه بهذه المرتبة، فأجاب صولون: (يأتي في المرتبة الثانية (كليبوس وبيتو)، فإنهما كانا ينتميان إلى العرق الذي توطّن أرجوس، وكان عندهما من الثروة ما يسدّان به حاجاتهما المعاشية، وإلى جانب هذا كان لهما من القوة الجسدية ما أهّلهما للفوز بجوائز الألعاب الرياضية، ويُحكى عنهما الخبر التالي: " أقيم مهرجان عظيم تكريماً للآلهة هيرا في مدينة أرجوس، ولكي تذهب أمهما إلى مكان المهرجان كان يتوجب نقلها على عربة، ولكن الثيران التي تجر العربة لم تعود من الحقل إلى البيت في الوقت المعّين ، وإذا خشي الأخوان من الوصول إلى المكان متأخرين، فإنهما وضعا النير على كتفيهما وجرّا العربة التي تقلّ أمهما، وقد جرّاها مسافة خمسة أميال ووقفا أمام الهيكل حيث شاهدهما جمهور المتعبدين في الهيكل، وكانت خاتمة حياتها على أحسن ما يمكن لحياة امرىء أن تنتهي، وبواسطة هذا العمل أظهر الله وبكل وضوح، كيف أن الميتة الفاضلة أمر أفضل من الحياة، ذلك أن أهل أرجوس الذين تجمعوا حول العربة أكبروا من القوة الجسدية التي كان يتحلى بها هذان الأخوان، كما أن نساء أرجوس غبطوا الأم التي تباركت بواسطة هذين الاثنين، كذلك الأم التي أخذ الفرح منها مأخذاً بسبب هذا العمل الجيد، وبسبب الإطراء الذي ناله ولداها، فإنها وقفت متضرعة أمام صورة الآلهة، وتضرعت إليها أن تمنح أبنيها كليبوس وبيتو أعظم البركات التي يمكن أن تُمنح للبشر، وبعد أن أنهت صلاتها قدّموا الذبائح واشتركوا جميعاً في وليمة مقدسة، وبعد الوليمة استلقى الأخوان على فراشيهما في الهيكل لينامـا ويستريحا، ولكنهما لم يستيقظا، فقد ماتا وفارقا هذه الدنيا، وبما أن أهل أرجوس عدّوهما من أفضل الناس فقد عملوا لهما تمثالين وقدموهما إلى هيكل دلفي) .

بعد أن وضع صولون هذين الرجلين في المرتبة الثانية من مراتب السعادة نظر إليه كريسوس وقال غاضباً : (*إذن أيها الضيف الأثيني الغريب أين أنا من السعادة ، وما سعادتي التي تعدّها شيئاً لا وجود له ، حتى إنك تأبى أن تضعني في مصاف العامة من الناس ؟*) أجاب صولون : (*أما ما يتعلق بسؤالك عن السعادة وإذا كنت سعيداً ، فإني أجد نفسي غير قادر على إعطائك جواباً إلى أن أسمع عن خاتمة حياتك وأنك سعيد، لست أشك في أن المرء الذي يفوز بثروة عظيمة ليس أقرب إلى السعادة من المرء الذي ليس عنده سوى الكفاف من العيش ، إلا إذا كان الحظ حليفه فإنه يظل يتمتع بملذات العيش إلى أن يحين أجله، إذ أن كثيرين من أعظم أثرياء الناس لم يكن الحظ دوماً حليفهم، بينما نجد أن الحظ كان حليف عدد كبير ممن لم يكونوا على شيء من الغنى، إن الناس الذين ينتمون إلى الطبقة الأولى أي طبقة الأثرياء- لا يتميزون عن أهل الطبقة الثانية- طبقة أهل الكفاف من العيش- إلا بشيئين، بينما نجد أن أهل الطبقة الثانية يتميزون عن الأثرياء بأمور كثيرة فالثري يستطيع إشباع رغباته أفضل مما يستطيعه متوسط الغنى، وكذلك يستطيع أن يظل واقفاً على قدميه إذا ما هبت عليه رياح المصائب والرزايا . أما أهل الطبقة الثانية فإنهم لا يستطيعون أن يتحملوا مواجهة مثل هذه الرياح التي يحميهم من شرّها حسن الحظ . ولكن الواحد منهم يتمتع بالبركات التالية: سلامة الجسد من عيب أو عاهة، وصحة جيدة فلا يعرف المرض، ولا تحل به نازلة، ولواه سعيداً بأبنائه، وإذا نظرت في وجهه وملامحه نجد أن وسامته وجماله ليسا مما يصعقان أحداً من الناس . ولكن إذا كانت خاتمة حياة هذا الرجل سعيدة هانئة فإنه الرجل الذي تسألني عنه، أي أنه حقاً الرجل السعيد ولكن إلى أن يموت، لك أن تدعوه إنساناً غير سعيد، بل إنساناً حالفه الحظ*)[1].

هكذا خاطب صولون الملك كريسوس ، فكان خطاباً لم ينل عليه صولون عطاءً ومالاً ولم يجلب له ثناءً وفخراً، فكان وداع الملك وداعاً فيه كثير من الفتور،

---

[1] - انظر : هيرودوت (صولون وكريسوس) ١ — ٣٢ .

لأنه ظن أن رجلاً كصولون لا يأبه للحياة الحاضرة ، بل يشدّد في أهمية خاتمة الحياة يجب أن يكون رجلاً معتوهاً .

وسوفوكليس في روايته (*أوديب في كولونس*) يصر أيضاً على أنه ينبغي لنا أن نهتم في الدرجة الأولى بالنهاية (*الخاتمة*) فيقول : (*أعد دوماً اليوم الأخير ، ولا تحسبن امرأ سعيداً إلى أن يجتاز الحد الفاصل الأخير من حياته بدون أن يعاني الألم والشقاء*)[1].

والآن ماذا بقي لدينا أن نستنتج من رواية هيرودوت عن طريق تحليل هذه القصة الحقيقية: أن هيرودوت كشف لنا طبيعة كل من الطرفين المتحاربين *الفرس والإغريق*، طبيعة الفرس التي اقتصرت على التفكير في نواحي الحياة المادية والاعتماد على الثروة والغنى وقصر التفكير على الحياة الحاضرة فقط، دون النظر إلى خاتمة حياة الإنسان، ودون النظر إلى القيم الروحية للإنسان، فنظرهم إلى الحياة كانت آنية وقصيرة، والثروة والغنى عندهم هي مقياس الحياة، ومقياس السعادة. وهذا هو الخط الفاصل الذي يفصل بين التخلف الفكري عند الفرس والتقدم الحضاري عند الإغريق، فالإغريق على الرغم من فقرهم وعوزهم، والذين عاشوا حياة أكثر بساطة وأكثر حرية كانوا يختلفون اختلافاً كلياً عن الفرس في *التفكير والمشاعر والخيال* في شؤون الحياة العامة، والذين كانوا يفكرون في بناء المدن الفاضلة كانوا يبتعدون كثيراً عن ملذات الحياة، والسعادة عندهم في صحة *الروح والجسد والوعي*، أي أحسن الحياة عندهم هي الحياة الكاملة المليئة *بالصحة، والقوة، والجمال، والانفعال، والثراء، والمغامرة، والتفكير، والفضيلة، والتفوق، والرجل المثالي عند الأثينيين هو الذي يجمع بين الجمال والعدالة في فن من فنون العيش الراقية، والذي يقدّر في صراحة قيمة الكفاية، والشهرة، والصداقة، كما يقدّر حب الفضيلة وحب الإنسانية، ويرى أن ترقية النفس هي كل شيء*. فلذلك لم يضطر الإغريق إلى التعمق المضني في بحث مشكلة بعد أخرى من مشكلات التنظيم المادي

[1] – انظر : سوفوكليس ، *أوديب في كولونس* ١٢١١ .

قبل وصولهم إلى مستوى التأمل الاجتماعي الغائي، فطوبياهم أو (*مدنهم الفاضلة*) ما كانت لتعتمد على أي وسيلة من وسائل الترف المادي (*كالفساتين والقطارات والسيارة في عصرنا الحاضر*) فمفكروهم كانوا قد تفادوا جميع المشاغل التي يتطلبها مثل هذا الترف. فقد استطاعوا أن يضعوا جانباً مشاكل النظام المادي الحديث المعروفة لعدم تلاؤمها، وأن يحصروا كامل انتباههم في أهم الأشياء التي يصادفونها في الحياة -- *أي بني الإنسان*. *وعلى سبيل المثال كانوا يفكرون في العلاقة الصحيحة بين الجنسين، أو كيف يلمع الفنان أو العالم مكانه اللائق في المجتمع، وتأثير المهنة في أخلاق الشخص، أو تأثير البيئة والقدوة في الصغار*[1]. ولم يكن لأي شعب قبلهم ما كان لهم من *قوة الخيال أو فصاحة اللسان*، ولقد كان التفكير الواضح والتعبير الخالي من الغموض يبدوان للإغريقي من الصفات القدسية، فلم يكن يطيق التشويش والارتباك العلمي، *ويرى أن الحديث القائم على المعرفة والذكاء أرقى متع الحضارة*، ولقد كان سبب ما امتاز به التفكير وما امتازت به الحياة من غزارة وقوة، أن الإغريقي كان يرى أن *الإنسان هو المقياس الذي تقدّر به الأشياء جميعها*، فالإغريقي *المتعلم يعشق العقل*، وقلما كان يشك في قدرته على إدراك العالم وتصويره، وكان حب المعرفة والرغبة في الفهم أنبل عواطفه وأعظم مشتهاته، وكان شغفه بهما شغفاً مسرفاً قوياً كشغفه بغيرهما[2]. ومن هذا المنطلق لم يعرف الإغريقي كيف يكون رجلاً اقتصادياً سواء في عاداته أو تفكيره، والحق أن الاقتصاد -على الرغم من شغف الإغريق بالمال والثروة- لم يكن ذا أهمية رئيسة في حياتهم، فالتفكير الاقتصادي المادي كان غريباً على الإغريق قبل القرن الرابع ق.م. ومما لا جدال فيه أن القيم الخالدة التي تدين بها الإنسانية لبلاد الإغريق لا تمت بأدنى صلة إلى ميدان الاقتصاد، والكلمة الإغريقية التي تُعبّر عن البطالة (*SCHOLE*) تعني الفراغ، والفراغ عندهم ربيب التأمل والتفكير، *وإذا كان الفلاح الإغريقي قد فهم ما في*

---

1 -- انظر : ألفرد زيمرن ، ص ٢٦٢ -- ٢٦٨ .

2 -- انظر : ول ديورانت ، ص١٠٠ .

مسرحيات يوروبيدس من معنى خفي عميق، فإنه لم يفكر أبداً في ابتكار آلة بسيطة كطاحونة الهواء[1].

وباختصار فإن الإغريق كانوا يفكرون كما فكر أفلاطون وأرسطو إلى أن هدف رجل السياسة والمفكر السياسي هو خلق حالة من الوعي لا وضع تنظيم، *وأن غرضهم الأسمى لا يُعنى بالمادة وإنما بالروح*، ويقول *توكوديدس* في هذا الصدد (*يسعى بعض الرجال دائماً إلى أن يكونوا راديكاليين في اتجاه خطأ من ميادين النشاط، دعهم يستعملون عقولهم للوصول إلى غايات أسمى وأبقى، لا إلى ترضية قصيرة الأمد تدفع فيها الجماعة ثمناً غالياً*)[2].

فالإغريق القدماء لم يرغبوا في الثروة لذاتها، فقد كانوا أحكم وأكثر اتزاناً من أن يضمروا رغبة كهذه، شعورهم بالاتساق والتناسب هو إحدى الحقائق المهمة عن حياتهم التي تجلّت مراراً في فنهم وسلوكهم. *وما أرادوا الثروة إلا إذا ما اعتقدوا أنها ضرورية للحياة وللسعادة الاجتماعية*، وقد أدركوا أن ما قيمته قرش من الراحة يساوي قرشاً تماماً، فلا يستحق للحصول على هذا صرف ما قيمته قرشان أو أكثر من القلق والجهد. لقد كان لهم من الفطنة ما يميزون به إلى أي حد ترتبط قيم الثروة بأهمية السعادة[3].

فعلى سبيل المثال، الصنّاع الإغريق الذين أقاموا المعابد والتماثيل والمباني العامة والأضرحة أو ما يمكن إجماله باختصار الذين أقاموا (*صرح الحضارة الإغريقية*) للأجيال المقبلة، قلّما كانوا يعملون من أجل الثروة، وقلّما كانوا يعملون من أجل الأجر، إلا بقدر ما يحقق سعادتهم من جهة، وإلا بقدر ما يحقق حياتهم المعاشية من جهة أخرى، لأن الأجر يتعارض كثيراً وعاداتهم اليومية[4]. فهم سعداء لكونهم يعملون من أجل مدينتهم من حيث هم مواطنوها، ومن أجل تراثهم من حيث هم

---

1 - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٤٧ .

2 - انظر : توكوديدس ٣ / ٣٧ ، ٤٠ .

3 - انظر : ألفرد زيمرن ، ص ٢٦٨ .

4 - انظر : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

أصحابه الذي يجعلهم الأمة الأعجوبة في ذلك العصر كما قال زعيمهم العظيم بريكليس (*أؤكد لكم أننا لن نعدم أدلّة وشواهد على عظمتنا ، فهاهي ثمانيلنا وأنصبتنا التذكارية التي أقيمت تجعلنا الأمة الأعجوبة في هذا العصر وفي العصور التالية*)[1]. فالصنّاع الإغريق كان أجرهم الحقيقي هو السعادة والتكريم وحسن التقدير العام ، فسعادتهم في الحياة أن يحافظوا على حريتهم الشخصية كاملة وحريتهم في العمل كذلك ، بعيداً عن روتينية العمل التي نعيشها في عصرنا الحاضر ، إنهم كانوا يعملون عندما يحسّون ميلاً ورغبة في العمل، وعندما تسمح لهم واجباتهم من حيث هم مواطنون، أن يوفّقوا بين عملهم وسائر أعمالهم الأخرى التي تملأ حياة الرجل الإغريقي، كل هذه الأشياء لا تتفق وأجر معلوم[2]، لأن الأجر كان برأيهم كفيلاً أن يضع الصانع في مركز عبد تقريباً [3]. ويُجمع معظم المؤرخين على أن أبرز السمات العامة للصناعة الإغريقية في القرن الخامس ق.م ، هي منظماتها واتحاداتها الخاصة بكل مهنة أو فن كالاتحادات والجمعيات الحرفية في عصرنا الحاضر ، إلا أنها تختلف عن كونها اتحادات أو روابط دينية، وليست اقتصادية ، *لأنهم ليسوا بحاجة إلى من يدافع عنهم لأن العرف والدستور كانا كفيلين لهذه الغاية* . ومن جهة أخرى لم يكونوا بحاجة إلى رفع أجورهم أو أثمان مصنوعاتهم ، لأنهم ما كانوا يعملون للثروة ، بل للشرف والسعادة وكسب العيش[4]. وفي اجتماعاتهم المهنية الصغيرة ضمن اتحاداتهم الدينية ما كانوا يفعلون إلا تكريم إلههم أو بطلهم أو مؤسس

---

1 – انظر : خطاب بركليس في شهداء حرب البلوبونيز في توكوديدس ٢ / ٣٥ ــ ٤٦ .

2 – انظر : ألفرد زيمرن ، ص ٣٢٥ .

3 – انظر : اعترض سقراط على دفع أجر لمن يتكلم إلى الشعب ، أي لمن يُدرّس لهم ، ويعد مثل هذا الأمر بمثابة بيع الشخص نفسه مقيتاً ، انظر : كسنوفون ، *مذكرات سقراطية* ١ ــ ٢ ــ ٦ . إذ أن المدرّس المأجور أقل قابلية للشعور بأنه صديق (وما من فرد يمكنه أن يتعلم على يد رجل لا يشعر باهتمام) انظر أيضاً : كسنوفون ، *مذكرات سقراطية* ١ ــ ٢ ــ ٢٩ .

4 – انظر : ألفرد زيمرن ، ص ٣٢٢ .

جماعتهم ، ***فصنّاع المعادن يكرمون إلههم هيفايستوس، والأطباء اسكليبوس، وشعراء الملاحم والرواة هوميروس***[1].

إذن فالصنّاع الإغريق لم يعملوا من أجل الأجر ، إلا بقدر ما كانوا يعملون من أجل مدينتهم وآلهتهم . فقد شيدوا (***البارثنون***) من أجل تكريم آلهتهم ، وأقاموا المباني العامة والحكومية والأضرحة والتماثيل والأنصبة العامة من أجل جمال مدينتهم وإقامة تراث خالد يذكّر الأجيال المقبلة بعظمة الأمة الإغريقية وإمبراطوريتها العظيمة وتحقيق أحلام زعيمهم بريكليس الذي قال في خطاب المرثية (***إن أثينة هي معلمة بلاد اليونان ومدرستها***) وفي مكان آخر من الخطاب يقول (***ها هي مدينتنا موضع إعجاب ومحبة زمن السلم وزمن الحرب .. ذلك لأننا من عشاق الجمال، لكننا نميل إلى البساطة والبسيط***)[2]. وتبين لنا جميع النصوص الوثائقية التي تتحدث عن الصنّاع والعمال الذين استخدموا في بناء المعابد - شأنهم في ذلك شأن من استخدموا في المدينة بوجه عام - أنهم كانوا عشّاقاً للجمال مع تمن زهيد)[3] .

إذن كان بإمكاننا أن نستخلص ثلاث سمات أو غايات رئيسة كانت سبباً في إقامة الإغريق لصرح حضارتهم وهي :

أولاً : إيجاد عمل مربح للشعب والقضاء على البطالة من خلال إقامة المنشآت العمرانية كالمباني الحكومية والأضرحة والمعابد وإنشاء المدن وكثير غيرها من المنشآت الأخرى .

ثانياً : إقامة تراث إغريقي خالد إلى الأبد يذكّر الأجيال المقبلة بعظمة الأمة الإغريقية .

ثالثاً : نزعتهم إلى حب الجمال .

---

1 - انظر : المرجع السابق نفسه .

2 - انظر : توكوديدس ٢ / ٣٥ - ٤٦ .

3 - انظر : ألفرد زيمرن ، ص ٥٠٤ .

ولقد استحوذ السعي للحصول على *الثراء والجمال والمعرفة* عقول الإغريق، حتى دخلت نزعتهم الجمالية في كل نواحي حياتهم المادية والمعنوية، من الجزء وإلى الكل، من مستوى المسكن الصغير حتى إقامة صرح دولة المدينة الكبير . وتقول إحدى الشخصيات في كتاب *كسنوفون (الاقتصاد)*: (*جميل أن ترى الأحذية مرتبة في صف حسب أنواعها، وجميل أن ترى الثياب والأغطية مقسّمة حسب منافعها، وجميل أيضاً أن ترى أواني الطبخ مرتبة بذوق وتنسيق، أجل إن الأشياء جميعها بلا استثناء يزداد جمالها إذا نُسّقت وصُنّفت بانتظام، فهذه الأواني كلها تبدو حينئذ كأنها مجموعة متناسقة ويكمل بعضها بعضاً ، ومركزها المتكوّن فيها جميعاً ، يخلق فيها جمالاً يزيده بعد القطع الأخرى عن المجموعة*)[1].

هذه الفقرة التي كتبها كسنوفون موجهة إلى ربة المنزل من حيث هي آلهة لهذا المنزل، ويقدم لها نصائحه فيما تعمله سواء في المنزل أم في الحقل حتى أطلق على كتابه تسميات أخرى مثل (*التدبير المنزلي*) وهو كتيب رائع جذاب . *ويؤكد كسنوفون أن الجمال ليس جمال المرأة بحد ذاتها ، بقدر ما تصنعه هي من الجمال من خلال عملها وحسن تنظيمها لأمور المنزل وتطييب خاطر زوجها ، ألا وهو الجمال الحقيقي* . ويشارك بريكليس صديقه كسنوفون فيما قاله في خطابه الرثائي حول وسائل الراحة وتعدد مظاهرها بقوله : (*ومن ناحية أخرى وفرنا لأنفسنا وسائل عدة للراحة من العناء ، مثل العناية بالمناسبات الدينية الجليلة، كالأضحيات والمهرجانات التقليدية على مدار السنة ، ومثل العناية برونق مساكننا الخاصة ــ فالمتعة اليومية بها تزيل عنا الشعور بالضيق*)[2]. وتكشف هذه الفقرات مدى إحساس الإغريق بالجمال، وبساطة هذا الإحساس وقوته ، وهذا الإحساس بأهمية الشكل والتناسق، وبالدقة والوضوح ، والتناسب والنظام هو العامل الأساسي في الثقافة الإغريقية في كل شيء ، وفي ذلك يقول أحد المدعوين إلى وليمة

---

1 - انظر : كسنوفون ، *الاقتصاد* ٨ ، ١٩ .

2 - انظر : توكوديدس ٢ / ٣٥ ــ ٤٦ .

عند كسنوفون (*قسماً بالآلهة جميعهم ، إني لو اعطيت كل ما لملك الفرس من سلطان ، لفضلت عليه الجمال*) [1] .

وكان الإغريقي يرى أن الفن هو قبل كل شيء تجميل طرق الحياة ووسائلها، فكان يطلب أن تكون آنيته ومصابيحه وصناديقه ونضده وأسرّته وكراسيه نافعة وجميلة معاً، وألا تبلغ من الرشاقة والجمال حداً يفقدها صلابتها. وكان وضوح إدراكه للدولة يوحد بينه وبين قوة المدينة وعظمتها، *فاستخدم من ثم آلاف الفنانين لتجميل أماكنها العامة ، وتعظيم أعيادها ، وإحياء تاريخها* . وأهم من هذا كله أنه كان يحرص على أن يكرّم آلهته ، ويستجلب عطفهم ورضاهم ، ويعبر عن شكره لهم لما وهبوه من حياة أو من نصر ، وكان يهدي إليهم النذور من الصور والتماثيل ، ويهب الهياكل شيئاً كثيراً من ماله ، ويستأجر الفنانين لينحتوا صور آلهته أو موتاه في الحجارة ، *ولهذا جمعت أثينة من جميع أنحاء بلاد الإغريق طائفة من الفنانين ومن الفلاسفة والشعراء أكبر مما جمعته أية مدينة أخرى في العالم إذا استثنينا روما في عصر النهضة* ، وكان هؤلاء الناس يتنافسون أشد التنافس، ويتعاونون فيما بينهم في ظل حكم مستنير ، وبفضل التنافس والتعاون حققوا إلى حد كبير أحلام بريكليس.

وتحدثنا المصادر الأدبية الإغريقية بكل ما فيها من أغان وأشعار ومسرحيات عن المثل العليا التي كانت قوام المجتمع الإغريقي وفكره الحضاري ، لما تضمنته هذه المصادر من أفكار وحقائق وخيالات وأوهام وخرافات وأساطير، وبما تصوّره من مشاعر وعواطف وانفعالات وأحاسيس، وبما تظهره في لوحات حية للقوة والبطولة والتضحية والنبل والسيطرة والعنف والخنوع والجبن والنذالة، ومن صور السعادة والبؤس والأمل واليأس والرجاء ، وبما ينم عن ذلك من رغبات صريحة ومكبوتة ، ومن قيم أو معايير اجتماعية تعتز بها طبقة أو أكثر من طبقات المجتمع ، ومن المثل العليا التي تكافح في سبيل تحقيقها والاتجاهات التي تسيطر على هذا الكفاح، وكلها تمثل جوانب أساسية صادقة التصوير والتعبير عن حياة المجتمع الإغريقي .

---

[1] – انظر : كسنوفون ، *مائدة الشراب* ٤ ، ٢ .

وخير هذه المصادر التي يمكن أن نوجزها في هذه الفقرة هو *خطاب الرثاء لبركليس في شهداء أثينة في الحرب البلوبونيزية*. هذا الخطاب يعكس حيزاً كبيراً من المعاني الإنسانية والقيم الاجتماعية والسياسية، لما تضمنه من معاني الشجاعة والقوة والبطولة والتضحية والإيمان والحرية الشخصية، وسيادة الشعب والحق المتبادل ما بين الفرد والدولة، ومزايا الديمقراطية الحسنة، وعن عظمة أثينة وإمبراطوريتها. وفيما يلي فقرات مختارة من هذا الخطاب: (*سأقول أولاً، كلمة في السلف الصالح، لأنه من الخير والعدل، ونحن نقيم مأتماً للشهداء أن نكرّم ذكراهم جيلاً بعد جيل، وها نحن اليوم ننعم ببلاد مستقلة، وإذا كان هذا السلف الصالح يستحق كل إكرام، فأحرِ بآبائنا الذين أضافوا إرثاً بعد إرث أن ينالوا منا كل تقدير واحترام، فإنهم بعد حروب ومعارك كثيرة، خلّفوا لنا نحن أبناءهم هذه الإمبراطورية العظيمة ... ولقد أقمنا في جميع نواحي الأرض أنصبة وتماثيل خالدة تذكّر الناس بمآثارنا كما أنها تذكّرهم بقوة شكيمتنا، لمثل هذه المدينة العظيمة حارب هؤلاء الأبطال بشرف ونبل، ولمثل هذه المدينة ضحوا بحياتهم، ويخيل إليّ أن الميتة الشريفة التي مانها هؤلاء الأبطال هي أرفع مقياس لقياس حياة الإنسان وقيمته في الوجود ... هؤلاء الشهداء لم يكونوا ليبالوا بالثروة، ولم يترددوا لحظة في تحيلهم عن لذائذ الحياة ومباهجها، ولم يتقاعس أحدهم عن خوض غمار الحرب أملاً منه وهو الفقير المعدم لأن يصبح غنياً إذا ما نجا بنفسه. .. والنصب التذكاري الذي يرمز إلى قبر كل منهم، عندنا أكرم قبر وأطيبه، وإني لا أتكلم عن القبر الخاص الذي يضم رفاتهم، إنما أتكلم عن القبر الرمزي الذي يضم أمجادهم ويخلّدها هذا القبر الذي نكرّم ذكراه في كل مناسبة قولاً وفعلاً، لأن الأرض كلها قبر للعظماء من الناس، ولا يقوم تكريمهم على أنصبة تقام لهم في بلدانهم، ولا على نقش كتابي يأتي على ذكر مآثرهم، بل أن لهم في جميع البلدان الأجنبية ذكرى غير مكتوبة على حجارة، بل منقوشة على صفحات قلوب الناس، فليكونوا لكم قدوة تقتدونها، ولا تخشوا الحرب ومخاطرها إذا كنتم من الذين يعدّون الشجاعة حرية والحرية نفسها السعادة).

وفي آخر الخطاب يوجه كلامه إلى أبناء الشهداء وبناتهم وأخوتهم بقوله (*لقد قمت بواجب التكريم والتقدير كما يمليه عليّ القانون، ولقد حاولت جهدي أن أجد الكلمات المناسبة لمثل هذا الاحتفال، ومن ثم أكون قد وفيت الأموات بعض حقهم، ويكون الشهداء قد دُفنوا بإكرام، إنما يبقى علينا العناية بأولادهم ، هؤلاء الأولاد الذين يجب إعالتهم على حساب الدولة إلى أن يبلغوا سن الرشد، ومثل هذا العمل هو بمثابة مكافأة حسية أو إكليل غار تستطيع ألينة أن تتوّج به هامات أبنائها من الأحياء والأموات بعد صراع المعركة التي خاضوا غمارها، أن أنبل ما يتمنى المرء أن يكافأ به لفضائله هو أن يكون مواطناً وقف حياته لخدمة وطنه ، أما الآن وقد قمتم بواجبكم فبكى كل واحد منكم ما شاء البكاء على فقيده ، فيمكنكم أن تنصرفوا إلى أعمالكم*)[1].

إنه من حسن طالعنا ، أن يحفظ لنا التاريخ هذا الوصف المؤثر ، ولا شك في أن روح الوطنية والمثل العليا التي ركّز عليها بركليس في رثائه أرفع من أن يطيقها الرجل العادي ، فكان لمعاني البطولة والتضحية والشجاعة والشهادة حقها الكبير في عظمة أثينة وروعتها ، والأروع من ذلك تكريمه لأبناء الشهداء نتيجة إحساسه الشديد بالفضائل التي قدّمها آباؤهم الشهداء ، وهذه المكافأة بمثابة إكليل غار على هامات أبنائهم لكي يقتدوا قدوة آبائهم ، وبذلك يكون بركليس أول رجل عظيم في التاريخ القديم يأخذ مثل هذا الاتجاه في تكريم الشهداء .

ومن جهة أخرى نرى أن عصر الحضارة الميكينية هو (*عصر البطولة*) عند الإغريق ، وفيه بنت ذلك المثل الأعلى البطولي الذي توارثه الإغريق من بعد ، *وهو مثل يحث على السعي وراء الشرف أو المجد عن طريق العمل الشاق أو بالأحرى عن طريق الحرب أو القتال أو بأي طريق أخرى* . فالرجل العظيم حسب تصوّر الإغريق ، هو من يستغل كل ما لديه من مواهب بدنية وعقلية إلى أقصى حد ، ويظفر بثناء زملائه لأن يبذل قصارى جهده ، ولا يحجم عن مجابهة أي خطب لإبراز كل مواهبه والتفوق على غيره من الناس .

---

[1] ـ انظر : توكوديدس ٢ / ٣٥ ـ ٤٦ .

أتالانتا التي تُعرف قصتها (*بأسطورة أتالانتا*) هي أشهر صيادة ماهرة و عداءة لا تبارى وابنة أحد ملوك آركادية ، اشترطت على والدها بأن لا تتزوج إلا من يستطيع أن يفوز عليها في السباق ، وأن يكون القتل مصير الخاسرين ، ولذلك أعرض الخطّاب عنها وظلت عذراء ، إلى أن جاء رجل يدعى هيبومنيس (*HIPPOMENES*) وعرض السباق عليها الذي كانت نتيجته أن فاز عليها بطريقة زكية جداً، بأن كان يلقي بالتفاحات الذهبية التي كانت لديه بالواحدة تلو الأخرى أمام *أتالانتا* مما شغلها وجعلها تتوقف لالتقاط التفاحات ، وبذلك خسرت السباق واضطرت إلى الزواج منه. والمغزى من هذه الأسطورة أن *أتالانتا* رفضت كل عروض الزواج إلا ممن يفوز عليها في السباق ، أي من هو أكثر بطولة ، *وبالتالي من هو أكثر مجداً منها* ، والزواج من مثل هذا الرجل كان يُعد *مشرّفاً لها* . ونعطينا هذه الأسطورة انطباعاً عاماً عن أهمية المجد والشرف والتنافس عليهما في الفكر الإغريقي في جميع مراحل عصوره[1]. وكان مثل هذا الانطباع عالقاً في الفكر الإغريقي حتى عصر بريكليس وبعده بقليل حيث كان التنافس على نيل الشرف والمجد على أشدّه وطال معظم طبقات المجتمع الأثيني الأغنياء والفقراء ، فالأغنياء كان شرفاً لهم أن يموّلوا نفقات الحفلات المسرحية (*الكوميدية والتراجيدية*) على حسابهم الخاص ، أو تجهيز كل منهم سفينة بجميع معداتها من مجدّفين وتجّارة وبجميع الأسلحة المعروفة في ذلك العصر لتكون ضمن نطاق الأسطول الأثيني لتقوية الجيش والأسطول البحري والدفاع عن البلاد . وفي هذه الحالة يكونون قد حازوا- في نظر الإغريق- شرف المساهمة في نفقات البلاد العامة والدفاع عنها ، وأصبحت أسماؤهم في سجل الأبطال وأصبح لهم سجلاً عبر التاريخ يسجل مآثرهم وأعمالهم ، ولم يقتصر التنافس على نيل الشرف والمجد طبقة الأغنياء فقط، وإنما طال حتى أدنى طبقات المجتمع الأثيني التي لم تكن في نظر الإغريق ذات أية أهمية تُذكر سوى المتعة واللذة ونقصد بذلك (*طبقة العاهرات*) وعلى رأسهنّ *فريني* (*PHRYNE*) التي كانت أجمل نساء عصرها ، والتي كانت تجلس للنحّات الكبير *براكسيتليس*

---

[1] - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، هامش ص ٥١ .

(*PRAXITELES*) وللرسام المعروف *أبلليس* (*APELLES*) كموديل لنحت تمثال الآلهة *أفروديتي* آلهة الحب والجمال ، إذ روى أن مقاييس جسمها كانت آية في التناسق والكمال ، أن أثرت من عشاقها إثراء أمكنها من أن تعرض كل ثروتها وأموالها واستعدادها لإعادة بناء أسوار طيبة إذا وافق الطيبيين على نقش اسمها على هذه الأسوار ، ذلك من أجل أن يكون لها نصيب وافر من الشرف والمجد أمام أعين التاريخ، إلا أن الطيبيين أصرّوا على رفض هذا العرض لأنهم على ما يبدو لا يشرّفهم أيضاً بأن يُنقش اسم هذه العاهرة على أسوار مدينتهم ، أما *لئيس* (*LEIS*) الكورنثية فكانت أجمل من أية امرأة تقع عليها العين، وكان يتوسل إليها النحاتون والرسامون أن تقف أمامهم لينحتوا تمثالها أو يصوّروها ويقال : أنها جمعت من مهنتها ثروة طائلة حيث طلبت من *أرستبس* الثري وهو من أغنى أغنياء الإغريق من المال ما أفزع خادمه لقاء ليلة واحدة ، *بينما كانت تسلّم نفسها للفيلسوف الفقير المعدم (ديوجينيس) بأقل الأجر ، لأنه كان يسرّها أن يجتو الفلاسفة أمام قدميها . وقد أنفقت كل ثروتها في سخاء وكرم شديدين لأجل تشييد المعابد والمباني الحكومية والشعبية والخيرية ، وعلى أصدقائها الفقراء ، حتى أصبحت في آخر الأمر فقيرة معدمة ، ولكنها ظلت على مهنتها إلى آخر أيام حياتها حتى تستطيع أن تنال من الشرف ما يستطيع أن يسجله التاريخ لها . فلذلك عندما قضت نحبها أقيم لها قبر فخم وجميل تكريماً لها ، لأنها كما يقول المؤرخ الأمريكي (ول ديورانت) كانت أعظم غازية منتصرة عرفها الإغريق طوال تاريخهم* [1].

ومن جهة أخرى ، نجد الفلاسفة الإغريق أنفسهم ، وهم من يؤثرون حياة الفكر والمعرفة لذاتها ، نجدهم لا يتركون أي مثل بطولي يتركز في الحرب والقتال إلا ويوفونه حقه من الاعتبار ، وإن لم يعدّوه أثمن شيء في الحياة . فنجد (*فيثاغورث*) يقسّم الرجال إلى ثلاث طوائف : *الباحثين عن المعرفة ، والباحثين عن الشهرة ، والباحثين عن المال . ويقارن الحياة بالألعاب الأولمبية ، فيشبه الطائفة الأولى بالنظارة المتفرجين ، والثانية بالرياضيين المتبارين في الملعب ، والثالثة بالباعة الجائلين.* وعلى الرغم من أن الفيلسوف لا يثني في هذه المقارنة على الساعين إلى

---

[1] – انظر : ول ديورانت ، ص ١٠٦ ــ ١٠٧ .

الشهرة أو المجد ثناء كبيراً ، ***فإنه يعتقد أن المجد أحسن من الغنى . فنلاحظ أن المجد كان جزءاً لا يتجزأ من حياة الإغريق***، وكان في نظر الإغريق العادي أقيم من أي نظرية فلسفية في السلوك الخلقي، ولا مراء في أن هذا المثل البطولي هو انعكاس لحالة مجتمع كانت الحرب هي شاغله الأول ، لأن الإقدام والشجاعة كل منهما ذو أهمية قصوى في الحرب ، ***والمعيار الأساسي للشرف هو كرامة الإنسان***، وما ينال من الكرامة يُعد غير مشرّف، وما يرفع عنها يعدّ مشرّفاً، ومن ثم نفهم لماذا ذهبت سدى كل توسلات الإغريق إلى أخيللوس عندما غضب لإهانة عدّها ماسّة بشرفه، واعتكف في خيمته رافضاً الاشتراك في القتال إلى جانب أخوانه عند أسوار طروادة، ذلك أن حاجة الإغريق إليه كانت حجة واهية بالقياس إلى إحساسه بالإهانة ، ولهذا لم يزده سوء حالهم من بعده إلا إصراراً على موقفه واقتناعاً أنه على حق [1] .

وأخيراً تُعدّ الإلياذة والأوديسة للشاعر الإغريقي هوميروس، من خير المصادر الأدبية أيضاً، التي تحدثنا عن المثل والقيم العليا للمجتمع الإغريقي، فهي وافرة وذاخرة جداً بمثل هذه الأفكار، وتعطينا تصوّرات واضحة وصادقة عن كل ما كان يجيش في طبيعة هذا المجتمع من معايير اجتماعية وأخلاقية وإنسانية ، وعلى الرغم من هاتين الملحمتين التي تفوح منهما رائحة الدماء، ويزين عليهما شبح الموت تتحدثان أيضاً عن حب الحياة، ***وعن شرف الإنسان الذي هو أسمى من الحياة وأقوى من الآلهة***، وأنه لأمر طبيعي أن يمثل هذا الموضوع- الإنسان في حالة الحرب- أول ملحمة شعرية عند الإغريق الذين كانت الحروب تمزّق شملهم باستمرار .

إضافة إلى كل ما سبق في مجال العصر البريكليسي يمكن أن نذكّر أيضاً بأهمية الأدب الإغريقي في عصر بريكليس وظهور أعظم شعراء المسرح الإغريقي الكوميدي والتراجيدي أمثال ***أيسخيلوس وسوفوكليس ويوروبيدس وأرستوفانس***، حيث ظلت المؤلفات المسرحية لهؤلاء الشعراء من أعظم المؤلفات العالمية في التراث الإنساني وشكّلت القواعد الرئيسة لظهور الأدب العالمي ، ***والموضوع الثاني*** الذي يجدر بنا أن نذكّر به هو ظهور التاريخ والفكر التاريخي كمادة علمية تعتمد التحليل

---

[1] - انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٥٠ .

والاستقراء في دراسة التاريخ وذلك على يد أشهر مؤرخي التاريخ القديم أمثال *هيرودوت وثوكيديدس وكسنوفون وبوليبيوس* . وكنا قد درسنا هذين الموضوعين بشيء من التفصيل في فصل (مصادر التاريخ الإغريقي) يمكن العودة لها .

رابع عشر ــ النتائج العامة لحياة المجتمع الإغريقي في عصر بريكليس :

من خلال ما سبق ، وبعد أن استعرضنا بشكل وجيز جوانب الحياة في المجتمع الأثيني في عصر بريكليس (*عصر الازدهار والقوة وتوطيد أركان الديمقراطية*) بإمكاننا أن نستخلص بعض الخواص العامة للفكر الإغريقي الذي اتصف به هذا المجتمع وأهم المؤثرات الفكرية في العقلية الإغريقية .

أولاً : تنوّع استعداده ونبوغه في شتى فروع الحياة في الصناعة والزراعة والتجارة والإلهيات وما وراء الطبيعة والفن والفلسفة والآداب والعلوم الاجتماعية والتاريخية والتشريع وسن النظم السياسية، إنه من المدهش أن تبلغ مرونة هذا المجتمع إلى درجة تتيح له النبوغ فيها جميعاً ، فإنهم لن يغادروا ناحية من نواحي الحياة ولا شعبة من شعب التفكير إلا وضربوا فيها بسهم صائب، وفاقوا ما عداهم من الشعوب، ووضعوا لمن جاء بعدهم الأسس الثابتة والمناهج القويمة .

ثانياً : عمق التفكير ودقته وعدم قناعته بالفهم السطحي والإلمام بظواهر الأمور . وتشكّل هذه الخاصية سمة مشتركة بين جميع عناصر المجتمع الإغريق ومختلف مراحله وشتى أنواع تفكيره، ويتبين ذلك جلياً في آداب العصر الذهبي (القرن الخامس ق.م) وفي الفلسفة والعلوم والأساطير الدينية . وبفضل هذه الخاصية كان الاستدلال الإغريقي والفلسفة الإغريقية وتحليل الإغريق لمظاهر الحياة المادية والاجتماعية والخلقية من أعمق أنواع الفلسفة والاستدلال والتحليل .

ثالثاً : وضوح تخيله ، وجلاء صوره العقلية ، ونفوره من التعقيد في الخيال، حيث أضفوا على المعنويات أثواباً مادية، فردوا كل ذلك إلى صور واضحة سهلة المآخذ في متناول الفكر العادي .

رابعاً : يغلب عليهم التفاؤل والنظر إلى الحياة بمنظار معنوي جميل تتراءى لهم القيم والمثل العليا، وقد ظهرت هذه النزعة بصورة واضحة في معظم فنون آدابهم ومختلف نواحي تفكيرهم المعنوية .

خامساً : يغلب عليهم النظر إلى الحياة نظرة مستقبلية مادية بناءة تتيح لهم إقامة تراث أبدي خالد يحكي أمجادهم وعظمة إمبراطوريتهم ، وتجلى ذلك من خلال ما أقاموه من صرح مادي للحضارة الإغريقية بقي حتى يومنا هذا .

سادساً : تأثرهم بالبيئة الطبيعية، بجمالها وصفائها وروعتها التي كانت عاملاً مساعداً في تفتح الفكر الإغريقي، هذا التأثر الذي لم نلحظه عند غيرهم من الشعوب الأخرى .

سابعاً : شغوفهم بالحياة الاجتماعية وحبهم الاطلاع على منجزات الشعوب الأخرى ، ودخولهم مرحلة التأثر والتأثير مع الحضارات التي تعايشوا معها .

ثامناً : الميل إلى التحرر من القيود والنفور من كل ما يحد الاستقلال الفردي، وكانوا ينفرون من كل ما يعوق حرية التفكير ، وقد بدت نزعتهم هذه في كل ما أثر عنهم من أدب وفلسفة وسياسة وتشريع ونقد أدبي واجتماعي .

تاسعاً : نزعتهم واتجاههم إلى الحياة المعنوية أكثر منها إلى الحياة المادية ، وخصوصاً دراسة كل ما يتعلق في بني الإنسان ومكوناته الروحية والفكرية . وتجلى ذلك واضحاً في آدابهم ومسرحياتهم الكوميدية والتراجيدية ، حيث أبدع الإغريق في هذه الناحية ، وتعمقوا في دراستها وتحليلها ، حتى بدت مظاهرها تتجلى في كل مراحل التعليم الجامعي العالمي ، وغدت كتراث ثقافي إنساني عالمي في عصرنا الحاضر لا يمكن إنكاره .

عاشراً : نزعتهم إلى حب الجمال في كل أشكاله ومراحله ، على مستوى الجزء الصغير أو على مستوى الكل ، من المسكن الصغير حتى مستوى الدولة الكبير، ومن مستوى جمال الطبيعة حتى مستوى جمال الآلهة والمرأة والرجل . وكل ذلك تجلى في فنونهم سواء في الرسم أو النحت أو المعمار .

وبنهاية هذا الفصل يمكننا القول بكلمات قليلة : *إن تاريخ اليونان يثبت لنا أن شعباً صغيراً ، فقيراً يستطيع إذا كان غنياً بالفكر أن يسيطر على العالم إلى الأبد .*

ثبت بأهم الأحداث التاريخية الواردة
حسب ترتيب تاريخها الزمني

ق.م ٣٠٠٠ ــ ١٤٥٠ مراحل تطور الحضارات الباكرة ــ الحضارة المينوية بمراحلها الثلاث .

١٥٠٠ الحضارة الميكينية .

١٤٠٠ انهيار الحضارة المينوية .

١٢٠٠ الحرب الطروادية .

٩٠٠ ــ ٨٠٠ تطور اكتمال دولة المدينة الإغريقية وظهور الأنظمة الدستورية الباكرة .

٨٠٠ ــ ٧٠٠ سيطرة الفينيقيين على التجارة الإيجية، الحرب المسينية الأولى .

٧٠٠ ــ ٦٥٠ الانتشار الإغريقي، أول سك للنقود في ليدية وبلاد الإغريق .

٧٧٦ بداية الألعاب الأولمبية .

٧٥٠ ملك أرجوس (فيدون) يدخل معياراً موحداً للأوزان والمقاييس .

٧٣٥ ناكسوس أول مستعمرة فينيقية .

٧٣٤ تأسيس سراكوزة .

٧٢١ تأسيس سيباريس .

٧١٥ تأسيس ميسينة .

٦٨٣ ــ ٦٨٢ بداية حكم الأراخنة في أثينة .

٦٥٠ ــ ٦٠٠ عصر المشترعين في بلاد الإغريق .

٦٤٨ أول كسوف للشمس الذي ذكره أرخيلوخوس .

٦٤٠ ــ ٦٣٠ تأسيس نقراطيس أول مستعمرة إغريقية على النيل .

٦٣٠ تأسيس كيرينة (طرابلس شمال إفريقية) .

٦٣٠ ــ ٦٠٠ الحرب المسينية الثانية وخضوع مسينة النهائي لإسبرطة .

٥٩٤ ــ ٥٩١ ظهور صولون وإصلاحاته في أثينة .

٥٨٥ كسوف الشمس في (٢٨ مايو) .

٥٦٠ تولي كرويسوس عرش ليدية، ظهور بستراتوس طاغية أثينة .

٥٤٨ ــ ٥٤٧ حريق معبد أبوللون في دلفي .

٥٤٦ ــ ٥٤٥ بداية الغزو الفارسي لبلاد الإغريق .

٥٢٨ ــ ٥٢٧	وفاة الطاغية بسستراتوس .
٥٢٥	غزو الفرس لمصر .
٥٢٥ ــ ٤٥٦	حياة إيسخيلوس .
٥٢١	تولي (دارا) حكم الإمبراطورية الفارسية .
٥١٢	حملة (دارا) إلى أوروبة، غزو تراقية .
٥١٠	انتهاء حكم عائلة الطاغية بسستراتوس .
٥٠٨ ــ ٥٠٧	(إيساغوراس) حاكم في أثينة، كليستنيس يقبض على زمام الأمور .
٤٩٩	الثورة الأيونية على الفرس .
٤٩٧	الأيونيون يحرقون (ساردس) .
٤٩٦ ــ ٤٠٦	حياة سوفوكليس .
٤٩٥ ــ ٤٢٩	حياة بريكليس .
٤٩٥	مولد النحات الإغريقي الشهير (ميرون) .
٤٩٣	حكم تميستوكليس .
٤٩٢	الفرس يخضعون تراقية ومقدونية .
٤٩٠	الحملة البحرية الفارسية على بلاد الإغريق، تخريب أرتيرية، موقعة (ماراثون) .
٤٩٠ ــ ٤٣٠	حياة النحات العظيم (فيدياس) .
٤٨٩	حملة ملتيادس إلى (باروس) .
٤٨٧	حرب أثينة على إيجينة .
٤٨٥	موت (دارا) وتولي (أكسركس) الحكم .
٤٨٥ ــ ٤٠٦	حياة يوروبيدس .
٤٨٤ ــ ٤٢٥	حياة هيرودوت .
٤٨٢	إعادة بناء الأسطول الأثيني .
٤٨٠	أثينة تستدعي المواطنين المنفيين، أكسركس يدخل بلاد الإغريق، معارك (أرتميزيوم)، و (ترموبيلاي) و (سلاميس) .
٤٨٠ ــ ٤٤٥	حياة النحات الشهير (ميرون) .
٤٧٩	الفرس في أتيكة، موقعة (بلاتاية)، و (ميكالي) .
٤٧٩ ــ ٤٧٨	تحصين أثينة .
٤٧٨ ــ ٤٧٧	تنظيم أريستيدس حلف (ديلوس)، بندار الطيبي (الشاعر) .

٤٧٢	إيسخيلوس يكتب مسرحية الفرس، نفي تيمستوكليس، بولجنتوس المصوّر الإغريقي.
٤٧١	هروب تيمستوكليس من بلاد الإغريق.
٤٦٩	ثورة ناكسوس وإخضاعها.
٤٦٩ ــ ٣٩٩	حياة سقراط.
٤٦٨	أول انتصار مسرحي لسوفوكليس.
٤٦٧	موقعة (يوريميدون)، هزيمة القوات الفارسية براً وبحراً، مسرحية سبعة ضد طيبة لإيسخيلوس.
٤٦٥	ثورة (ثاسوس).
٤٦٤	زلزال في إسبارطة، ثورة الأرقاء (الهيلوت)، حصار إيثوم.
٤٦٣	اتساع أراضي أثينة ومناجمها، ٣٠ أبريل كسوف الشمس، ظهور بريكليس.
٤٦٣ ــ ٤٦٢ اختصاصات	كيمون يساعد إسبارطة ضد (الهيلوت)، إفياليس يحارب (الأريوباجوس)، دفع أجور للقضاة في أثينة، انكساغوراس في أثينة.
٤٦١ ــ ٤٦٠	نفي كيمون، اغتيال إفياليس.
٤٦٠ ــ ٣٩٩	حياة توكوديدس.
٤٦٠ ــ ٤٥٩	انتصار أثينة على ميجارة، بناء أسوار ميجارة، الحملة الأثينية على مصر.
٤٥٩ ــ ٤٥٤	إخفاق حملة أثينة على مصر.
٤٥٨	إيسخيلوس يكتب مسرحية (ثلاثية أورستيا).
٤٥٦	موت إيسخيلوس، إكمال معبد (زيوس) في أولمبية، إصلاح وترميم المعابد في أثينة.
٤٥٤	نقل خزينة حلف (ديلوس) إلى أثينة.
٤٥١ ــ ٤٥٠	إصدار قانون في أثينة يقصّر حقوق المواطن على المولودين من أبوين أثينيين.
٤٥٠ ــ ٤٤٩	حملة كيمون إلى قبرص، موت كيمون.
٤٥٠ ــ ٣٨٥	حياة الكوميدي (أريستوفانس).
٤٤٨	صلح (كاللياس) بين أثينة والفرس، تحديد المياه الإقليمية.

٤٤٧	بناء العمل في بناء (البارثنون) .
٤٤٣	انضمام هيرودوت إلى (ثوري) في ايطالية .
٤٤٢	سوفوكليس يكتب مسرحية (أنتيجون)، النحات (ميرون) .
٤٣٨	النحات (فيدياس) ينحت تمثال أثينة بارثنوس، الفتاح (البارثنون).
٤٣٧	بناء (البروبيليا) .
٤٣٢	ثورة بوتيداية، محاكمة أسباسيا، وفيدياس، وأنكساغوراس .
٤٣٠ ـ ٤٢٤	ظهور روايات (ميدية) و (هيكابي) ليوروبيدس، مسرحية (الكترا) لسوفوكليس .
٤٣٠	الطاعون في أثينة، محاكمة بريكليس .
٤٣٠ ـ ٣٥٤	حياة كسنوفون .
٤٢٩	موت بريكليس .
٤٢٨	موت (أنكساغوراس) .
٤٢٦	البدء في بناء معبد (الربة أثينة) .
٤٢١	البدء في بناء معبد (الأرختيوم) .
٤٠١	حملة قورش (الأناباسيس) .
٣٨٤ ـ ٣٢٢	حياة أرسطو .
٣٩٩	محاكمة سقراط وموته .
٣٩٨	نشر تاريخ توكوديدس .
٣٩١	افتتاح ايسوقراط أعظم مدارس البلاغة .
٣٨٤ ـ ٣٢٢	حياة ديموستينس .
٢٠٠ ـ ١١٨	حياة بوليبيوس .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : ثبت المصادر :

١ ــ *أرسطو، السياسة*، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو)، بيروت ١٩٥٧م .

٢ ــ *أرسطو، السياسة*، الترجمة الروسية، جوبوليف س.آ، في كتاب مؤلفات أرسطو في أربعة مجلدات، المجلد الرابع، موسكو ١٩٨٣، ص ١٧٥ ــ ٦٤٤ .

٣ ــ *أرسطو، الدستور الأثيني*، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو) بيروت ١٩٦٧ .

٤ ــ *أرسطو، الدستور الأثيني*، الترجمة الروسية، رادتسيغ س.ي، موسكو ولينغراد ١٩٣٦ .

٥ ــ *أريسطوفانس، كوميديات في مجلدين اثنين*، الترجمة الروسية، بتروفسكي ف.آ، وبارخوف ن، موسكو ١٩٥٤ .

٦ ــ *أفلاطون، الحكومة*، الترجمة الروسية، يغونوف آ.ن، في كتاب أفلاطون في ثلاثة مجلدات، المجلد الثالث، الجزء الأول، موسكو ١٩٧٢ .

٧ ــ *أفلاطون، القوانين*، الترجمة الروسية، يغونوف آ.ن، في كتاب أفلاطون في ثلاثة مجلدات، المجلد الثالث، الجزء الثاني، موسكو ١٩٧٢ .

٨ ــ *أفلاطون، ايون*، الترجمة الروسية، بوروفسكي ي.م، في كتاب مؤلفان أفلاطون في ثلاثة مجلدات، المجلد الأول، موسكو ١٩٦٨ .

٩ ــ *استرابون، الجغرافية*، الترجمة الروسية، سنراتوفسكي غ.آ، موسكو ١٩٦٤ .

١٠ ــ *بلوتارخوس، أريستيدس*، الترجمة الروسية، سوبولوفسكس ص.ي، في كتاب: مختارات من سير الحياة المتقابلة في مجلدين اثنين، المجلد الأول، موسكو ١٩٨٧ .

١١ ــ *بلوتارخوس، صولون*، الترجمة الروسية، سوبولوفسكي س.ي، في كتاب: مختارات من سير الحياة المتقابلة في مجلدين اثنين، المجلد الأول، موسكو ١٩٨٧ .

١٢ ــ *بلوتارخوس، بريكليس*، الترجمة الروسية، سوبولوفسكي في كتاب: مختارات من سير الحياة المتقابلة في مجلدين اثنين، المجلد الأول، موسكو ١٩٨٧ .

١٣ ــ *بوسانياس، وصف بلاد اليونان*، الترجمة الروسية، كوندراتيف س.ب، في مجلدين اثنين، موسكو ١٩٤٠ .

١٤ ــ *توكوديدس، تاريخ الحرب البلوبونيزية*، ترجمة دينا الملاح - عمرو الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠٣ .

١٥ ــ *توكوديدس، تواريخ الحرب البلوبونيزية*، الترجمة الروسية، ستراتوفسكي غ.آ، لينغراد ١٩٨١ .

١٦ ــ *ديموسثنيس، أحاديث*، الترجمة الروسية، وادتسيغ س . ي، موسكو ١٩٥٤، الأحاديث ١ ــ ١٩ .

١٧ ــ *ديموسثنيس، الحديث ٢٠ ضد لبوتين*، الترجمة الروسية، تسفوتكوف ي.ب في كتاب: مختارات من التاريخ اليوناني القديم، رئيس لتحرير كاليستوف د.ب، موسكو ١٩٦٤، ص ٦٤٣ ــ ٦٤٤ .

١٨ ــ *ديوجينس لرتيوس، حول حياة العلماء والفلاسفة المشهورين*، موسكو ١٩٧٩ .

١٩ ــ *كسنوفون، أناباسيس*، الترجمة الروسية، رادتسيغ س.ي، موسكو ولينغراد ١٩٣٦ .

٢٠ ــ *كسنوفون، تربية قورش*، الترجمة الروسية، فرولوف ي . د، موسكو ١٩٧٦ .

٢١ ــ *كسنوفون، مذكرات سقراطية*، الترجمة الروسية، سوبولوفسكي س.ي، في كتاب: كسنوفون الأثيني، مذكرات سقراطية، موسكو ولينغراد ١٩٣٥، ص ٢١ ــ ١٧٩ .

٢٢ ــ *كسنوفون، الهيلينيكا*، الترجمة الروسية، لوريه.س، لينغراد ١٩٣٥.

٢٣ ــ *كسنوفون، الاقتصاد*، الترجمة الروسية، سوبولوفسكي س . ي في كتاب: كينوفون الأثيني، مذكرات سقراطية، موسكو ولينغراد ١٩٣٥، ص ٢٥١ ــ ٣٢٠ .

٢٤ــ ليبانوس، *مدخل إلى أحاديث ديموسثنيس* في كتاب: أحاديث ديموسثنيس، موسكو ١٩٥٤ .

٢٥ــ ليكورغ، *حديث ضد ليوقراط*، الترجمة الروسية، كالوبوف ك . م، مجلة التاريخ القديم، العدد ٢، موسكو ١٩٦٢ .

٢٦ــ ليسياس، *أحاديث*، الترجمة الروسية، تسورتكي غ . ف، موسكو ١٩٦٤ .

٢٧ــ مينالدر، *كوميديات*، الترجمة الروسية، تسورتكي غ . ف، موسكو ١٩٦٤ .

٢٨ــ هيرودوت، *التاريخ*، ترجمة عبد الإله الملاح، إصدار دار الثقافة، أبو ظبي ٢٠٠١

٢٩ــ هيرودوت، *التاريخ في تسعة أجزاء*، الترجمة الروسية، ستراتوفسكي غ.آ، لينغراد ١٩٧٢ .

٣٠ــ هوميروس، *الإلياذة*، ترجمة دريني خشبة، دار العودة، بيروت ٢٠٠٢.

٣٢ــ هوميروس، *الأوديسة*، ترجمة دريني خشبة، دار العودة، بيروت ٢٠٠١

٣٣ــ هوميروس، الأوديسة، الترجمة الروسية، جوكوفسكي.ن، موسكو ١٩٦٧.

34 – DIODORUS SICULIUS , BIBLIOTHECA HISTORICA / REC . F . VOGEL . VOL 1 –5 , LIPSIAE 1888 – 1906 .

35 – INSCRIPTIOES GRAEC , IED , DITTENBERGER VOL 7 , BERLINI 1892 – 1897 .

36 – ISAEUS, ORATIONES ; / WIT AND ENGL. TRANSL . BYS . FORSTER. L , 1943 .

37 – TOD , M . N. A . SELECTION OF GREEK HISTORICAL INSCRIPTIONES , VOL II . OXFORD , 1986, N 100 .

38 – AESHYLUS : THE ORESTEIA TR. G . MURRAY , LONDON 1928 .

39 – EURIPIDES : ELECTRA TR . G . MURRAY , OXFORD 1907 .

40 – EURIPIDES : IPHIGENIA IN TAURIS . TR . MURRAY , OXFORD 1903 .

41 – EURIPIDES : MEDES TR . G . MURRAY , OXFORD 1912 .

ثانياً : ثبت المراجع العربية والمعرّبة :

١ ــ أرنولد توينبي، *تاريخ الحضارة الهيللينية*، ترجمة رمزي عبدة جرجس، القاهرة ١٩٦٣.

٢ــ إبراهيم نصحي، *تاريخ مصر البطلمية*، الطبعة الخامسة، الجزء الرابع، القاهرة ١٩٨١ .

٣ــ أديث هاملتون، *الميثولوجيا*، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٠.

٤ــ الكسندر روبنصن (الابن) *ألينة في عصر بريكليس*، ترجمة أنيس فريحة، بيروت ١٩٦٦

٥ــ ألفرد زيمرن، *الحياة العامة اليونانية في ألينة في القرن الخامس ق.م (السياسة والاقتصاد)* ترجمة عبد المحسن الخشاب، لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٨ .

٦ــ إمام عبد الفتاح إمام، *أفلاطون والمرأة*، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦ .

٧ــ انجلس، *أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة*، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو ١٩٨٦ .

٨ــ جون هامرتن، *تاريخ العالم*، المجلد الثالث، مكتبة النهضة المصرية، مقالة: فضل اليونان على العالم الحديث، بقلم . أ . ل . فيشر، ترجمة محمد عبد الحافظ.

٩ــ حسين الشيخ، *اليونان*، القاهرة ١٩٩٧ م.

١٠ــ خليل سارة، *دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم في القرنين الخامس والرابع ق.م*، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٨ .

١١ــ دافاتور آ مي، *العبودية في أتيكة في القرنين الخامس والرابع ق.م*، لينغراد ١٩٨٠.

١٢ــ سيد أحمد الناصري، *الإغريق (تاريخهم وحضارتهم)*، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨١ .

١٣ــ سيد أحمد الناصري، *أضواء على الحضارة الميكينية*، مجلة كلية آداب القاهرة، المجلد التاسع والعشرون ١٩٧٣ .

١٤ــ سيد أحمد الناصري (الإغريق) ط٢، القاهرة ١٩٨٥م.
١٥ــ سليم عادل عبد الحق، الفن اليوناني وآثاره المشهورة في الشرق، دار الآثار السورية، دمشق ١٩٥٠ .
١٦ــ سعد عبد العزيز، الأسطورة والدراما، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢ .
١٧ــ سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر .
١٨ــ سيرغييف ف . س، تاريخ اليونان القديم، الطبعة الثالثة، موسكو ١٩٦٣ .
١٩ــ صموئيل نوح كريمر، أساطير العالم القديم ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ١٩٧٤ .
٢٠ــ عادل زيتون، حنين بن أسحق ومكانته في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة العربي، العدد ٥٢١، نيسان ٢٠٠٢.
٢١ــ عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، الطبعة الأولى، دار الأدب، بيروت ١٩٦٥ .
٢٢ــ عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥ .
٢٣ــ عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق ١٩٩١ .
٢٤ــ عاصم أحمد حسين، الضرائب في مصر في العصر البطلمي، رسالة ماجستير غير منشورة (آداب عين شمس) ١٩٧٧ .
٢٥ــ عاصم أحمد حسين ، مصادر التاريخ الإغريقي، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٧ .
٢٦ــ عبد اللطيف أحمد علي،التاريخ اليوناني،جزآن،بيروت ١٩٧٤، ١٩٧٦ .
٢٧ــ عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، القاهرة ١٩٨٢ .
٢٨ــ علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، القاهرة ١٩٧٧.

٢٩ــ غلوسكين ل ٠م، حول خصائص البوليس الإغريقية الكلاسيكية وأزمتها، مجلة التاريخ القديم، العدد ٢، موسكو ١٩٧٦ ٠

٣٠ــ غلوسكين ل ٠م، الضرائب العسكرية الأثينية، مجلة التاريخ القديم، العدد٢، موسكو ١٩٧٦ ٠

٣١ــ غلوسكين ل ٠م ، قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في أثينة في القرن الرابع ق٠م، لينغراد ١٩٧٥ ٠

٣٢ــ فتحية سليمان، التربية عند اليونان والرومان، دار الهنا للطباعة والنشر ٠

٣٣ــ فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، ترجمة عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٠ ٠

٣٤ــ كوشيلينكو غ ٠ آ، حول بعض قضايا تطور الحكومات في اليونان القديمة (من مجتمعات ما قبل الكلاسيكية وحتى الكلاسيكية الباكرة) موسكو ١٩٨٧ ٠

٣٥ــ كوشيلينكو غ٠ آ،البوليس الإغريقية وقضايا تطور الاقتصاد في كتاب: اليونان القديمة، المجلد الأول، موسكو ١٩٨٣ ٠

٣٦ــ كلا تشكو ن ب، ألواح الأعمدة كمصادر معلومات عن العبيد في القرن الخامس ق٠م، مجلة التاريخ القديم، العدد٣، موسكو ١٩٦٦.

٣٧ــ كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسرى، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢.

٣٨ــ كالوبوف م، اقتصاد اليونان القديم في القرنين الخامس والرابع ق٠م في كتاب: تاريخ العالم القديم، المجلد الثاني، الجزء الأول، اليونان القديمة، موسكو ١٩٣٦ ٠

٣٩ــ لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان، بيروت ١٩٧٩ ٠

٤٠ــ ليونارد وللي، آلالاخ مملكة منسية، ترجمة فهمي الدالاتي، دمشق ١٩٦٩ ٠

٤١ــ ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، الطبعة الحادية عشرة، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٤ ــ ٢٠٠٥ م

٤٢ــ ماكسيموفام ي، *الفن في اليونان القديمة*، موسكو ١٩٥٦، أكاديمية العلوم السوفيتية.

٤٣ــ *محمد كامل عياد، تاريخ اليونان*، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٦٩ .

٤٤ ــ *محمد أسد الله صفا، الإسكندر المقدوني الكبير*، بيروت ١٩٨٥ م

٤٥ ــ *مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين*، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، الكويت ١٩٩٣ .

٤٦ ــ *مصطفى العبادي، مصر في العصر الهيللينستي*، بيروت ١٩٨٨ م

٤٧ ــ *مصطفى العبادي، نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند اليونان*، مجلةعالم الفكر، مجلة علمية محكّمة دورية، العدد ١، المجلد ٣١، يوليو ــ سبتمبر ٢٠٠٢، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت .

٤٨ــ *مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم*، جامعة بنغازي ١٩٦٦.

٤٩ــ *مفيد رائف العابد، تاريخ الإغريق*، إصدار جامعة دمشق ١٩٩٤.

٥٠ــ *محمود سلام زناتي، المرأة عند قدماء اليونان*، الإسكندرية ١٩٥٧ .

٥١ــ *مارينوفيتش ل . م، اليونان في القرن الخامس ق.م في كتاب: تاريخ أوروبة في ثمانية مجلدات*، المجلد الأول، أوروبة القديمة، موسكو ١٩٨٨ .

٥٢ــ *هوالتينج (فرانك م)، المدخل إلى الفنون المسرحية*، ترجمة مجموعة من الدارسين، القاهرة ١٩٧٠ .

٥٣ــ *ول ديورانت، قصة الحضارة*، الجزء الثاني من المجلد الثاني، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٥٣.

٥٤ــ *وهيب سمعان، الثقافة والتربية في العصور القديمة*، دار المعارف بمصر .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1- *ANTONY ANDREWES:* GREEK SOCIETY A PELICAN (SOC 1981 .

2 – *GLANVILLE S. R , K (ED)* : THE LEGACY OF EGYPT (OXFORD) 1963 .

3 – *GRUNDY (G . B)* : THE GREAT PERSIAN WAR , 1901 .

4 – *GLOTZ G* : HISTOIRE GRECQUE I – IV . PARIS 1925 .

5 – *GLOTZ G* : LA CITE GRECQUE , PARIS 1958 .

6 - *JONES A , H , M* : SPRTA , BLASKWWLL, 1968 .

7 – *JONES A , H . M* : ATHENIAN DEMOCRACY BICKELL, OXFORD 1966 .

8 - *MURRAY G* : EURIPIDES AND HIS AGE , N . Y 1913 .

9 – *MYLONAS C . E* : MYCENAE AND THE MYCENAEAN AGE , PRINCETON 1966 .

10 – *CLOCHE P* : LA DEMOCRATIE ATHENIENN, PARIS 1951 .

11 – *CF. T . B . L . WEBSTER*, FROM MYCENAE TO HOMER (LONDON, 1958) .

12 – *ROSTOVTZEFF M* : GREECE , OXFORD UNIVERSITY , PRESS 1963 .

13- *ROSE . H , J* , GREEK MYTHOLOGY , METHUEN , 1953 .

14 - *FINLEY M . I* : THE ANCIENT GREEKS , PELICAN 1966 .

15 *TOYNBEE A J* : SOME PRABLEMS OF GREEK HITORY , 1969 .

16 *-SELTMAN* .WIN IN THE ANCINT WORLD , LONDON 1975 .

17 - *GUY* . BEAUJOUN LE TEMPS HISTORIQUE DANS . L.HISTOIREET SES METHODES .

18 _ *G . S . KIRI , J . E* , RAVEN THE PRESOCRATICPHILOSOPHERS, CAMBRIDGE, 1966 .

19 - *KUPFER* , LEGENDS OF GREECE AND ROME , LONDON 1929 .

20 - *CF , A . AYMARD* , LES ASSEMBLES DE LA CONFEDERATION ACHAIENNE.

21 - *W . K . C . GUTHRIE* , THE GREEKS AND THEIR GODS (BOSTON) 1951 .

22 - G . GROTE" *A HISTORY OF GREECE" VOL I- 13 ,VOL, 3, LONDON 1846 -1856,P.54-55* .

23 _CHARLES SELTMAN . *GREEK COIN , LONDON 1965* .

24 –DONALDSON , JAMES WOMAN : *HERPOSITION AND INFLUENECE IN ANCIENT GREECE AND ROME . AND AMONG EARLY CHISTIANS PRESS . N. Y . 1937* .

25 –MORROW , GIENN R : *PLATON CRETAN CITY . PRINCETON UNIVERSITY PRESS . N . J . 1960* .

26 - POMEROY , SARAH: *WOMEN IN CLASSICAL ANTIQUITY SCHOCKEN BOOKS N . Y 1975* .

27 - *LEWIS. J . D* : ISEGORIA AT ATHENES HISTORIA XX , 1972 .

28 – *BORECKY , B* : DIE POLITISCHE ISONOMIE , HIRENE , IX , 1971 .

29 _ *HARRISON R . W* : THE LAW OF ATHENES , 1986 .

30 - *GARLAN Y*, LES ESCLAVES EN GRECE ANCIENNE, PARIS 1982 .

31 _ *TUCKER . T. G* . LIFE IN ANCIENT ATHENS . CHAUTAUQUA ; N. Y . 1977 .

مصطلحات

علميـــــــة إغريقيـــــــة

إنكليـــــــــزي	فرنســـــــــي	عربـــــــي
1 – AGEAN CIVILIZATION	CIVLISATION EGEEMME	الحضارة الإيجية
2 – ARCHAIC PERIOD	PERIDE ARCHAIQUE	العصر القديم
3 – ACHAEANS	ACHEENS	اسم شعب
4 – ACROPOLIS	ACROPOLE	المدينة العالية أو الحصن العالي
5 – ARCHITECTURE	ARCHITECTURE	فن العمارة
6 – ATHENIAN MARKET PLACE	AGORA ATHENIENNE	مركز الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية
7 – ARCHEOLOGY	ARCHEOLOGIE	علم الآثار
8 – ARISTOCRACY	ARISTOCRATIE	حكم النخبة
9 – AUTONOMY	AUTONOMIE	الحكم الذاتي
10 – AUTARKY	AUTARCIE	الاكتفاء الذاتي
11 – RELIGIOUS TEMPEL	TEMPLE	معبد
12 – AKKADIANS	ACCADIENS	اسم شعب
13 – ASSYRIA	ASSYRIE	أشور
14 – ASSYRINN	ASSYRIEN	الآشورية (لغة)

15 – ASSYRIOLOGY	ASSYRIOLOGIE	علم الآشوريات
16 – ARAMAIC	ARAMEEN	الأرامية (لغة)
17 – AMPHI THEATRE	AMPHI THEATRE	الملعب الروماني
18 _ BRONZE AGE	AGE DU BRONZE	العصر البرونزي
19 – BABYLON	BABYLONE	بابل
20 – BABYLONIAN	BABYLONIEN	البابلية (لغة)
21 – CAVALIERS	CAVALIERS	طبقة الفرسان
22 – CAPITOL	CAPITOLE	اسم معبد روماني
23 – CAVE AGE	AGEDES CAVERNES	عصر الكهوف
24 – CORINTHIAN COLUMN	COLONNE CORINTHIENNE	العمود الكورنثي
25 – COLUMN	COLONNE	عمود
26 – COMEDY	LA COMEDIC	كوميدية
27 – COMICAL COMEDIC	PIECE COMIQUE	استعراض هزلي
28 – CHORAL	CHORALE	جماعة منشدين
29 – DORIANS	DORIENS	اسم شعب
30 – DORIC COLUMN	COLONNE DORIQUE	العمود الدوري
31 – DOCUMENTARY SOURCES	SOURCE DE DOCUMENTATION	المصادر الوثائقية
32 – DIPLOMACY	DIPLOMATIE	الدبلوماسية
33 – DIDACTICAL POETRY	POESIES DIDACTIQUES	الشعر التعليمي
34 – DEMOCRACY	DEMOCRATIE	حكم الشعب

35 -- ERECHTHEUM	ERECHTHEOM	معبد ديني
36 – EXCAVATION	FOUILLES	حفائر
37 – EPIGRAPHY	EPIGRAPHIE	علم النقوش الإبيجرافي
38 – EPICAL POETRY	POESIES EPIQUES	الشعر الحماسي
39 – OUTSIDERS	METEQUES	الأجانب الغرباء
40 – HELLENIC CIVILIZATION	CIVILISATION HELLENIQUE	الحضارة الهيلينية
41 – HELLENISTIC CIVILIZATION	CIVILISATION HELLENISTIQUE	الحضارة الهيللينستية
42 – HISTORY	HISTOIRE	التاريخ
43 – HELLADIC AGE	PERIODE HELLADIQUE	العصر الهيلادي
44 – HELLENES	HELLENES	اسم شعب
45 -- HYPOKRITES	HYPOCRITE	شخصية انتهازية
46 – HYDROMANCY	HYDROMANCIE	التكهن بالماء
47 – HITTIT CIVILIZATION	CIVILISATION HITTITE	الحضارة الحثية
48 – IONIC COLUMN	COLONNE IONIQUE	العمود الأيوني
49 -- GYMNASIUM	GYMNASE	نادٍ رياضي — ثقافي
50 – GALLERY	GALERIE PORTIQUE	رواق
51 – LITERARY SOURCES	SOURCES LITTERAIRES	المصادر الأدبية
52 – LIVING MACHINE (SLAVE)	INSTRUMENENT ANIME	أداة حية (نسبة إلى

		العبد)
53 – LIBATION	LIBATION	التطهير بالماء
54- LABYRINTH	LABYRINTHE	تيه (لابيرانت)
55 MEDECINE	MEDECINE	الطب
56 – MYTHOLOGY	MYTHOLOGIE	علم دراسة الأساطير
57 – MANTLE	MANTLEAU	هيماتيون (عباءة السادة)
58 – MILITARY COMMANDER	CHEF MILITAIRE	قائد عسكري
59 – MONARCHY	MONARCHIE	النظام الملكي
60 – NUMISMATICS	NUMISMATIQUE	علم المسكوكات
61 – NEOLITHIC AGE	NEOLITHIQUE	العصر الحجري الحديث
62 – NECROMANCY	NECROMANCIE	استحضار الأرواح
63 – ODEON	ODEON	قاعة موسيقى
64 – OLIGARCHY	OLIGARCHIE	حكم الأقلية
65 – ORDER	ORDRE	الطراز المعماري (عند الإغريق)
66 – POLITICAL ECONOMY	ECONOMIE POLITIQUE	الاقتصاد السياسي
67 – POLITICAL EQUALITY	EQUIVALENCE POLITIQUE	المساواة السياسية
68- PAPYROLOGY	PAPYROLOGIE	علم البردي

69 – PALAEOLITHIC AGE	PALEOLITHIQUE	العصر الحجري القديم
70 – PROPYLACA	PROPYLEE DROPYLEE	البروبيلايا(المدخل)
71 – RELIGION	RELIGION	الديانة
72 – RELIGIOUS TEMPEL	PARTHENON	معبد ديني
73 _ SLAVERY	LES ESCLAVES	رقيق بالعشيرة
74 – SPARTAN CIVILIZATION	CIVILISATION SPARTIATE	الحضارة الإسبرطية
75 – SUMERIAN CIVILIZATION	CIVILISATION SUMERIENNE	الحضارة السومرية
76 – SYRINIC CIVILIZATION	CIVILISATION CYRIAQUE	الحضارة الآرمية — السريانية
77 – STONE MASON	SCULPTEUE	نحّات
78 – SERFS	CLASSE DES ESCHAVES	طبقة مستعبدين
79 – THE GREEK SENATE	SENAT	مجلس الشيوخ اليوناني
80 – THE PEOPLE ASSEMBLY	ASSEMBLEE	الجمعية الشعبية
81 – THE POPULAR COURTS	TRIBUNAU POPULAIRES	المحاكم الشعبية
82 – TROOPERS	HOPLITES	فرقة تامشاة الثقيلة
83 – TALENT	TALENT	وزنة تعادل (٢٦)كغ
84 – THE HELLENISTIC HISTORY	HISTOIRE HELLENIQUE	التاريخ الهيليني
85 – THE HEAD RULER	GOUVERNEUR	الرئيس الحاكم

86 – TYRANNY	TYRANNIE	حكم الطغاة
87 – THE INOON DORIEN AGE	PERIODE INIO-DORIENNE	العصر الأيوني — الدوري
88 – THE ATTIKIEN AGE	PERIODE ATTIQUE	العصر الأتيكي
89 – THE ALEXENDERIAN AGE	PERIODE ALEXANDRINE	عصر الإسكندر
90 – THE ROMAN AGE	PERIODE ROMAINE	العصر الروماني
91 – TO TRADE UP	LE TROS	نظام المقايضة
92 – THE ATHENIAN CONSTITUTION	LA CONSTITUTION ATHENIENNE	النظام الأثيني
93 – THE MYCENEAN CIVILIZATION	CIVILISATION MYCENIENNE	الحضارة الميكينية
94 – TRAGEDY	TRAGEDIE	مسرحية درامية
95 – THE 500 MEMBERS COUNCIL	SENAT OLES 500	مجلس الخمسمائة
96 – TROUSERS	PANTALON	سروال
97 – TUNIC	TUNIQUE	الخيتول (قميص السادة)
98 – TOURS	TORE	خلخال (معماري)
99 – TUNIC	TUNIQUE	التونيك (كونيكا)
100 – WESTERN CIVILIZATION	CIVILISATION OCCIDENTALE	الحضارة الغربية

Damascus University

مدخل
الصور والخرائط

Damascus University

وقل رب زدني علما
Damascus University

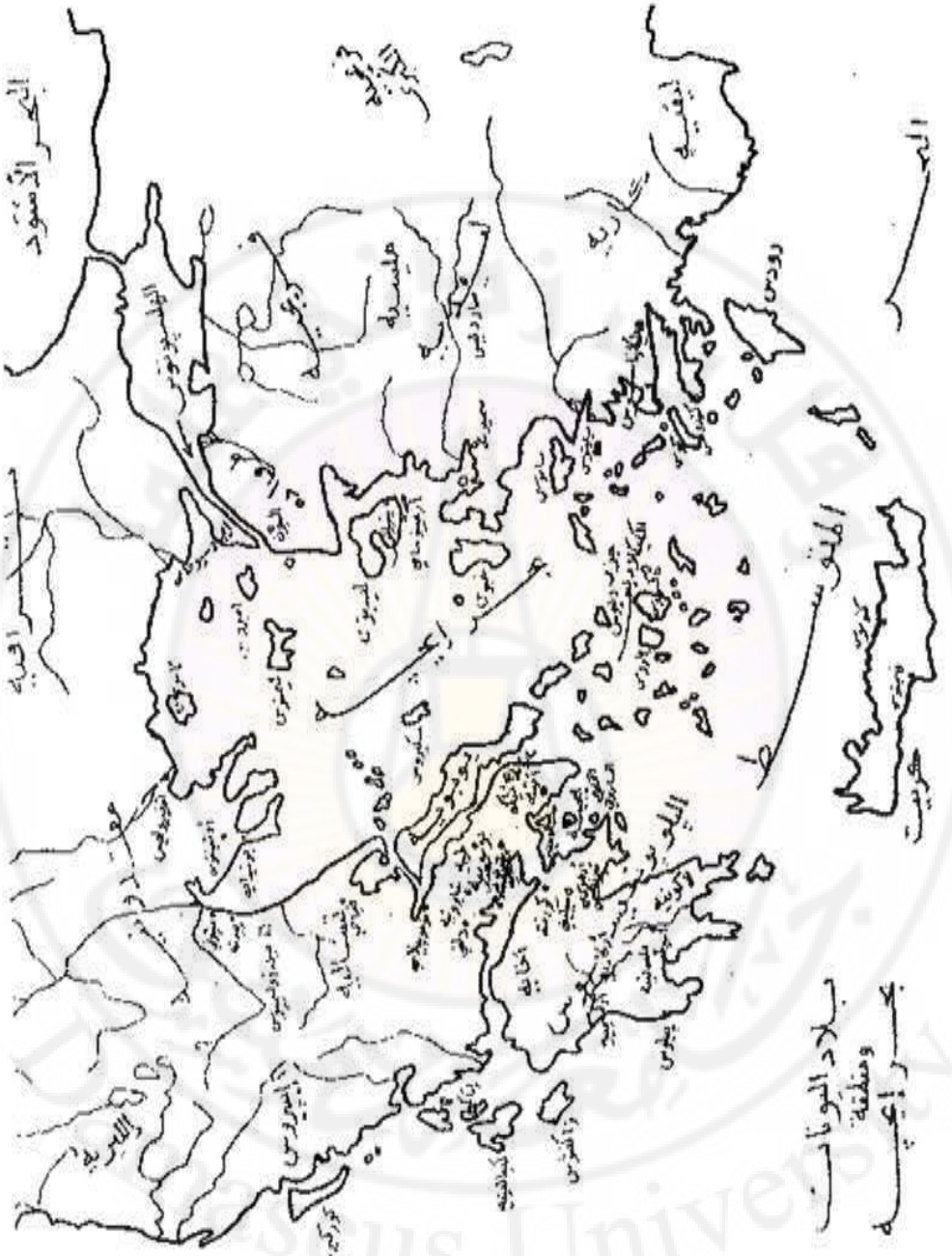

خريطة بلاد اليونان ومنطقة بحر إيجة.

رأس الآلهة أثينة

بريكلس، أعمال الربع الثالث من القرن الخامس ق.

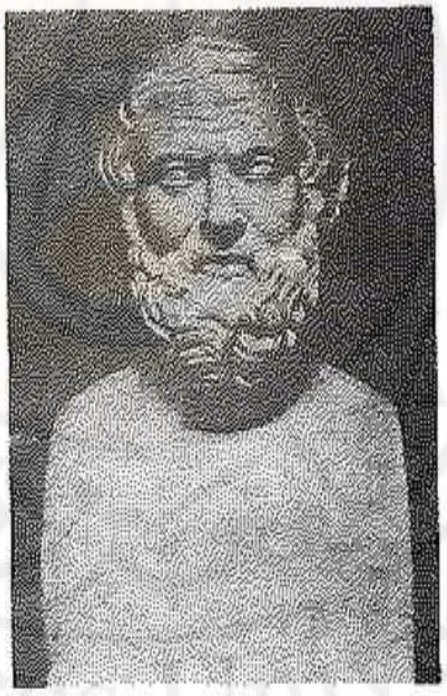

المؤرخ هيرودوت.

الشاعر هوميروس.

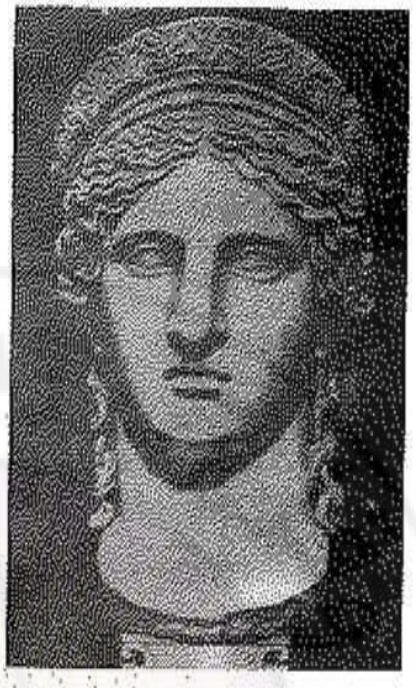

الآلهة هيرا.

الفيلسوف أرسطو.

الآلهة الأولمبية، نقوش بارزة من معبد البارثنون،
أعمال الربع الثالث من القرن الخامس ق.م.

الشاعر سوفوكليس.

Yugoslavia
Albania
Turkey
ATTICA
PELOPONNESE
CENTRAL GREECE
EUBOEA - SKYROS
THESSALY - SPORADES
EPIRUS
IONIAN ISLANDS
MACEDONIA - THASSOS
TRACE
NORTHEASTERN AEGEAN IS
DODECANESE
CYCLADES
CRETE

INDEX

1 ATTICA - THE SARONIC ISLANDS
Athens, Plaka, Thessio, Piraeus, Dafni, Sounio, Messoghia
THE SARONIC ISLANDS
Salamina, Aegina, Poros, Hydra, Spetses

2 PELOPONNESE - KYTHIRA
Corinth, Loutraki, Mycenae, Argos, Tiryns, Nafplio Epidavros, Tolo, Tripoli, Sparta, Mistras, Gythio, Monemvasia, Mani, Kythira, Kalamata, Methoni, Pyrgos, Olympia, Patras, Aigio, Mega Spileo, Kalavryta, Xylokastro

3 CENTRAL GREECE
Nafpaktos, Missolonghi, Aetoliko, Agrinio, Amphilochia, Vonitsa, Thebes, Kamena Vourla, Thermopylae, Lamia, Karpenissi, Levadia, Chaeronia, Ossios Loukas, Arachova, Amphissa, Itea, Galaxidi, Delphi

4 EUBOEA - SKYROS
Chalkis, Eretria, Amarynthos, Kymi, Marmari, Karystos, Steni, Prokopio, Mantoudi, Limni, Istiaia, Edipsos, Cape Artemision, Skyros (island)

5 THESSALY - SPORADES
Mount Olympus, Meteora, Kalambaka, Trikala, Larissa, Vale of Tempi, Ambelakia, Volos, Pelion
SPORADES:
Skiathos, Skopelos, Alonissos

6 EPIRUS
Ioannina, Dodoni, Arta, Metsovo, Preveza, Nikopolis, Zagorochoria, Parga, Igoumenitsa

7 IONIAN ISLANDS
Corfu, Paxi, Antipaxi, Lefkada, Ithaca, Cephalonia, Zakynthos

8 MACEDONIA - THASSOS
Thessaloniki, Katerini, Dion, Veria, Vergina, Naoussa, Kozani, Edessa, Pella, Prespa Lakes, Kastoria, Florina, Serres, Drama, Philippi, Kavala, Thassos (island), Chalkidiki, Aghion Oros

9 TRACE
Xanthi, Komotini, Alexandroupolis, Didimoticho

10 THE NORTHEASTERN AEGEAN ISLAND
Samothrace, Limnos, Lesvos, Samos, Chios, Ikaria

11 DODECANESE
Rhodes, Nisyros, Tilos, Chalki, Symi, Kos, Kalymnos, Leros, Patmos, Karpathos, Kasos, Astypalea, Kastelorizo

12 CYCLADES
Delos, Mykonos, Andros, Tinos, Syros, Naxos, Paros, Thera (Santorini), Anafi, Amorgos, Donousa, Koufonisia, Herakleia, Schoinousa, Karos, Koa, Kythos, Serifos, Sifnos, Ios, Milos, Kimolos, Folegandros

13 CRETE
HERAKLIO: Knossos, Phaestos, Gortyna, Aghia Triada, Matala
LASSITHI: Aghios Nikolaos, Sitia, Vai, Ierapetra
RETHYMNO: Mount Psiloritis, Arkadi Monastery, Agia Galini, Kourtaliotiko Gorge
CHANIA: Akrotiri, Chrissoskalitisa Monastery, Paleochora, Samaria Gorge, Sfakia

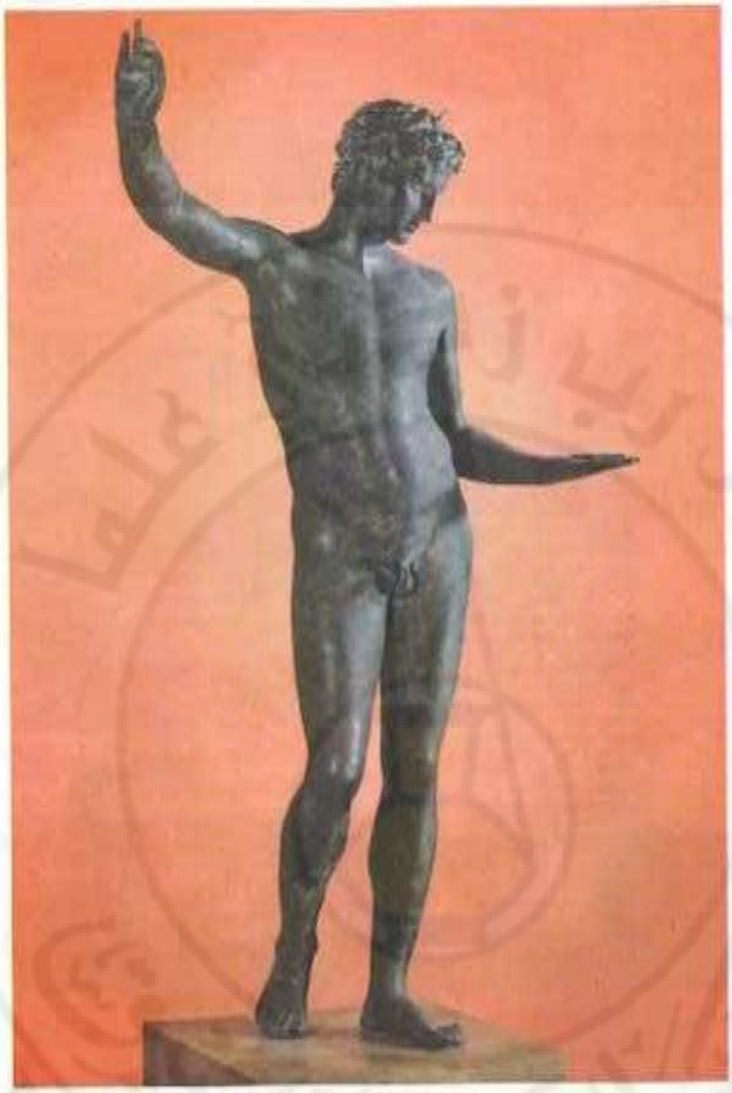

تمثال برونزي للشاب الرياضي فيدبيدس pheidippides الذي قطع مسافة ١٩٥ كم في ٤٨ ساعة بين أثينة واسبارطة لطلب النجدة من حكومة أسبارطة قبل معركة ماراتون بين الفرس والإغريق (Marathon Boy).

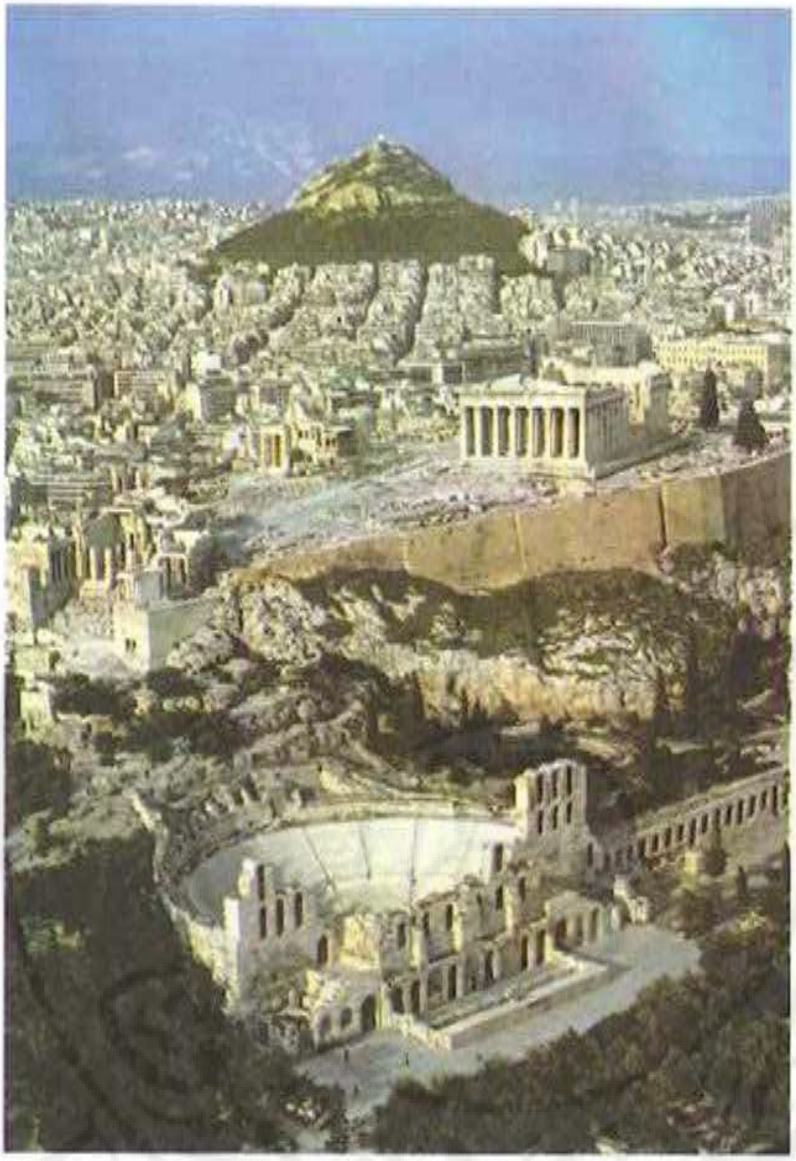

مشهد أثينة فيها جبل ليسابيتوس، الأكربوليس، ومسرح هيرود أتيكوس.

مشهد الأكروبوليس يطل على خليج سارونيك بتوسطة معبد البارثنون.

مشهد لمعبد أثينة المنتصرة يمثل انتصار الإغريق على الفرس

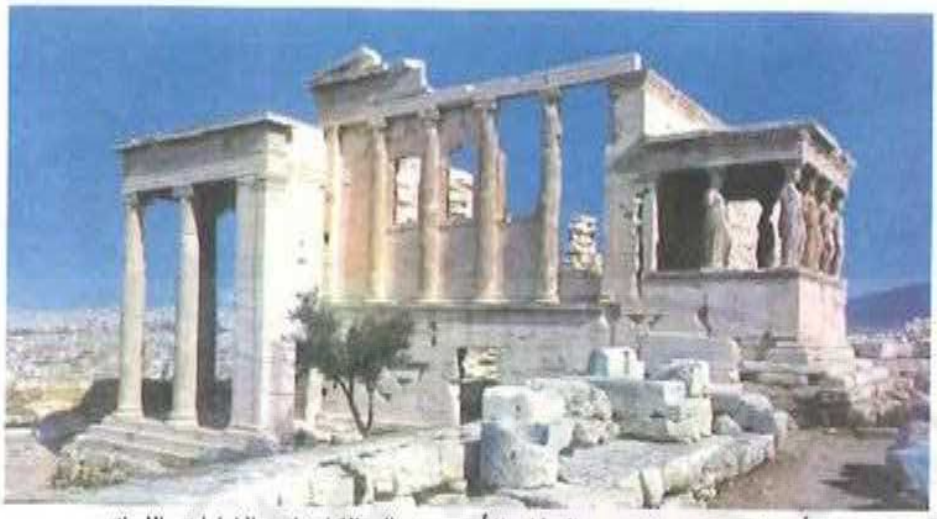

معبد الأرخثيوم نحت حسب النظام الأيوني يمثل الكاهنات الشابات اللواتي يسندن برؤوسهن سقف المعبد

مسرح ديونيسيوس حيث عرض فيه أولى المسرحيات الإغريقية لإيسخيلوس وسوفوكليس

مسرح هيرود أتيكوس خلال أحد المهرجانات المعاصرة، بني هذا المسرح في القرن الثاني بعد الميلاد من قبل هيرودوس أتيكوس تكريماً لزوجته (pegilla) يتسع لخمسة آلاف شخص.

تحفة فنية إغريقية من القرن الرابع ق. م ٣٦٠ ق.م

مشهد لمعبد بوسيدون خلال غروب الشمس يمثل منظر مميز في البحر الأبيض المتوسط

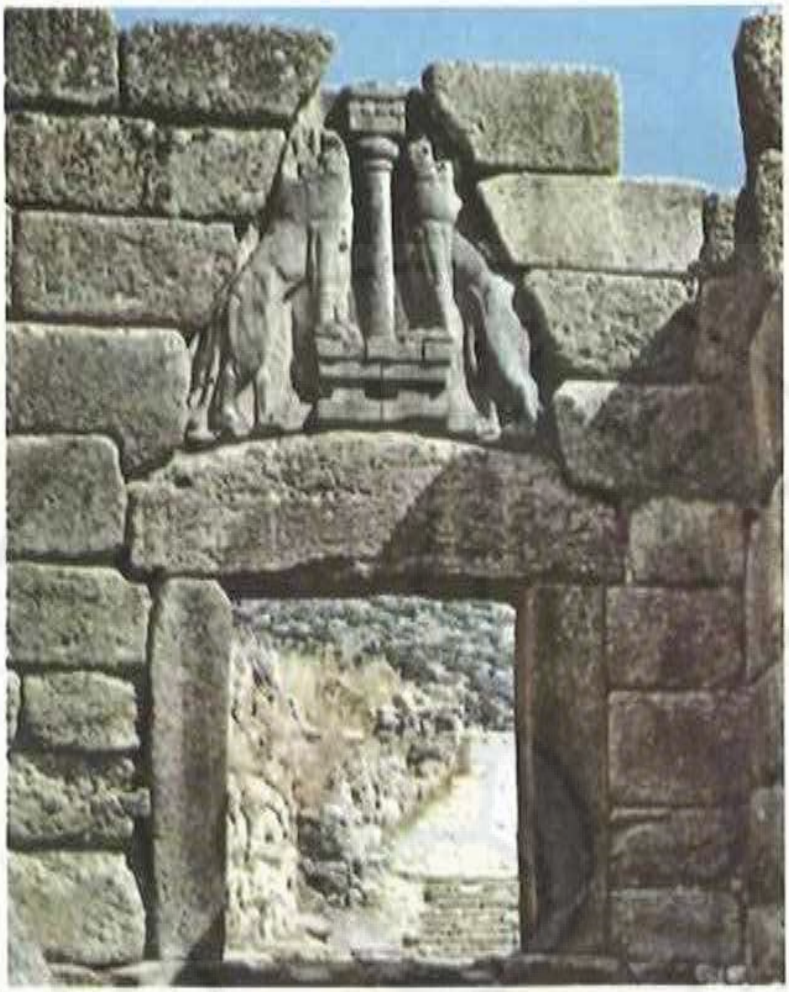

بوابة الأسدين في ميكيناي

Damascus University

مسرح أبيداوروس، أسس في القرن السادس ق. م تكريماً لإله الطب اسكلبيوس، وكان يشكل مركز صحي لكافة الحجاج من كافة أنحاء بلاد الإغريق، يتسع لأربعة عشر ألف شخص

معبد فيليب المقدوني بني من قبل أسرة الإسكندر الكبير

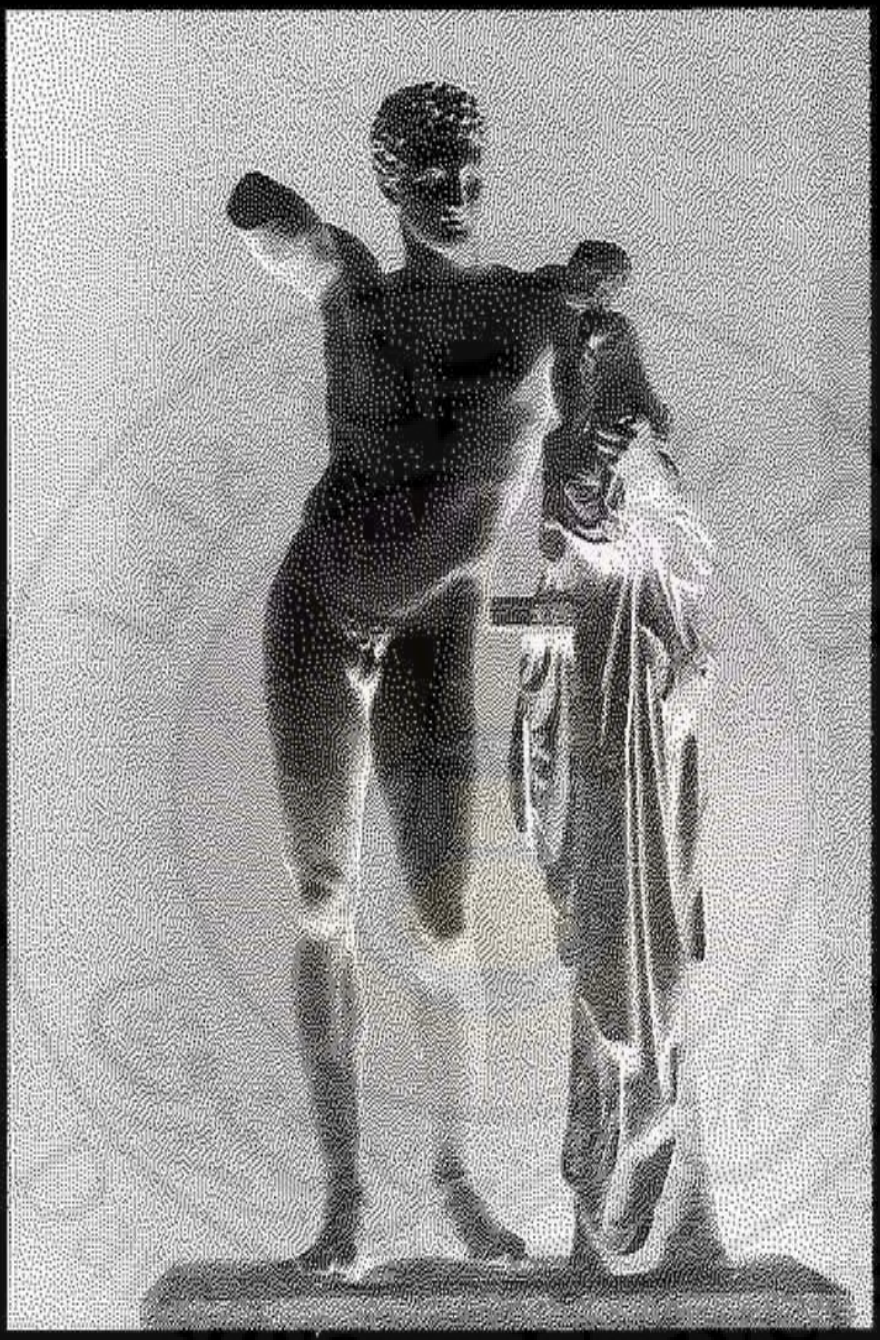

تمثال للإله هرمس، نحت من قبل الفنان براكسيتليس في القرن الرابع ق.م

تمثال ليونيداس الذي استشهد في معركة ترموبيلاي عام ٤٨٠ ق.م، وزرعت من حوله ثلاثمائة شجرة تمثل ثلاثمائة جندي إسبرطي سقطوا معه في المعركة

مسرح ومعبد أبوللو.

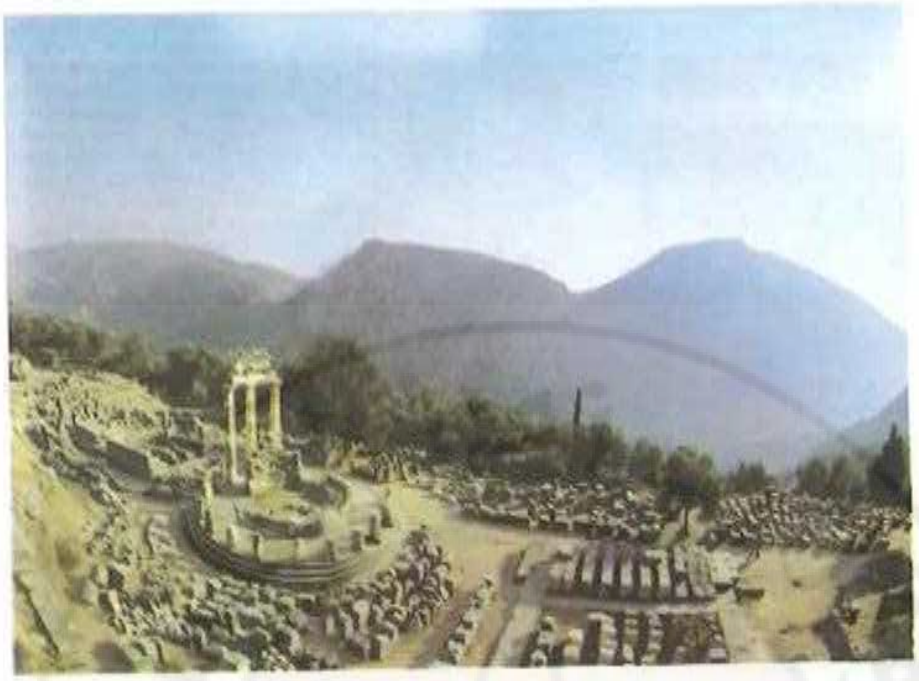

مشهد من خرائب تولوس

مسرح دودونا القديم

تمثال الإسكندر الكبير في ميناء تسالونيكي حيث أسست هذه المدينة من قبل الملك كاسندر المقدوني عام ٣١٥ ق.م، وسمى هذه المدينة باسم زوجته سالونيكي شقيقة الإسكندر الكبير.

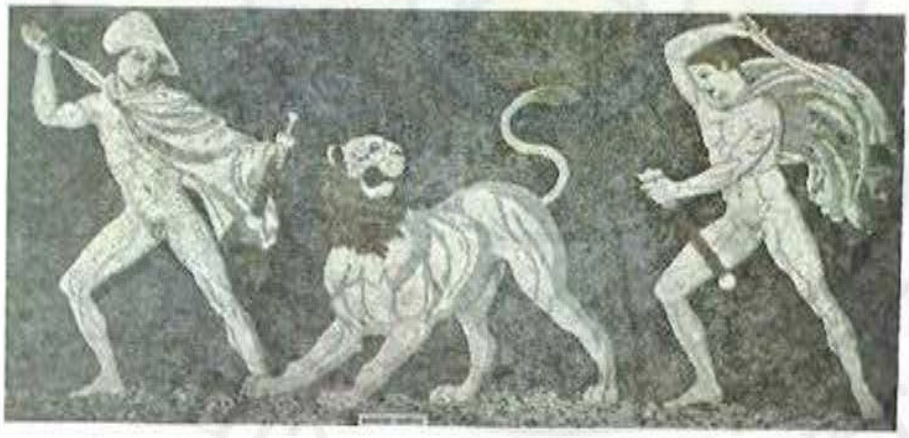

صورة فسيفسائية تمثل شابان يتصيدان الأسد في مدينة بللا (Pella) عاصمة مقدونية

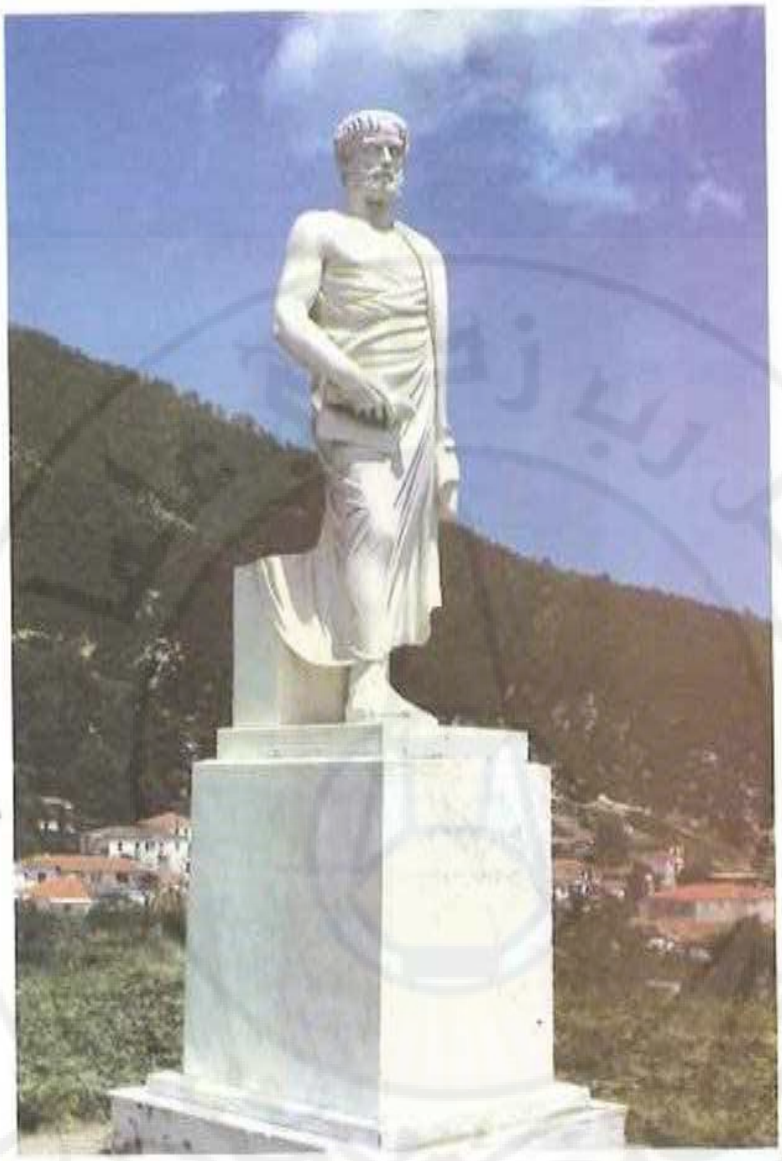

تمثال أرسطو في بلدته ستاجيرا

Damascus University

تمثال هيبوقراط (أبو الطب)

Damascus University

معبد إله الطب (إسكلبيوس) يشاهد من خلفه معبد أبوللو

معبد البارثنون

منظر عام لأثينة القديمة

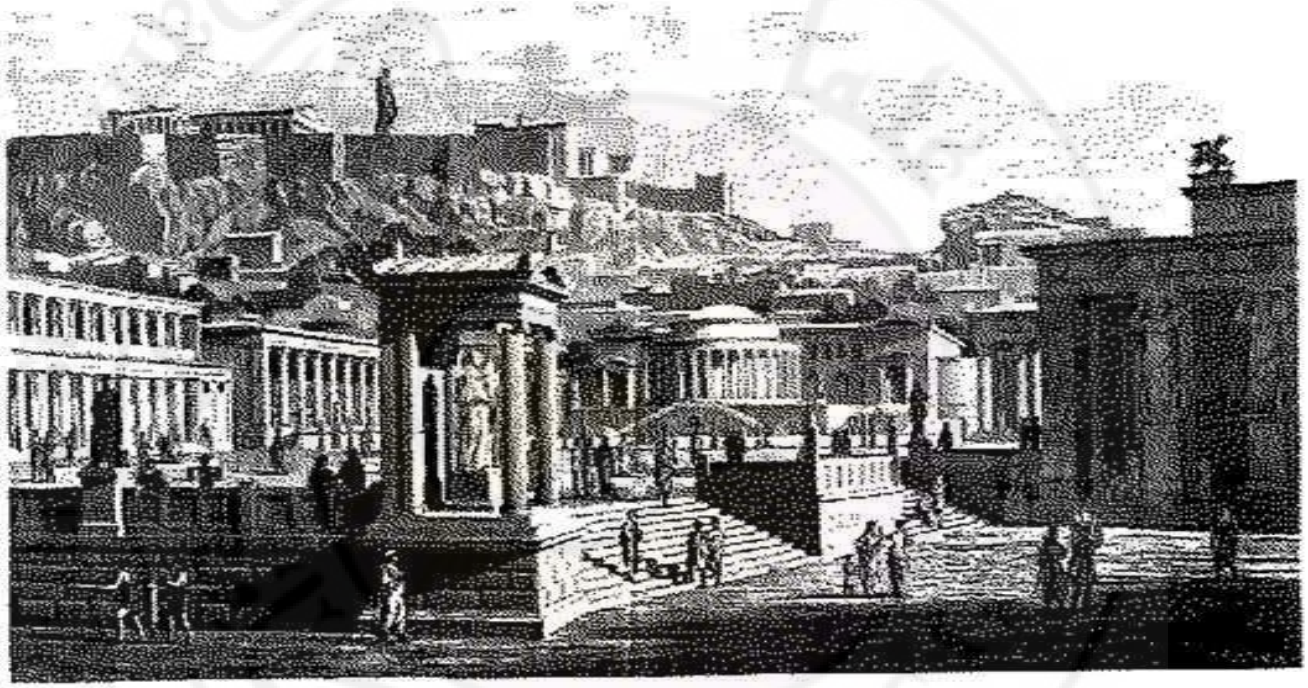

الساحة العامة في أثينة (Agora)

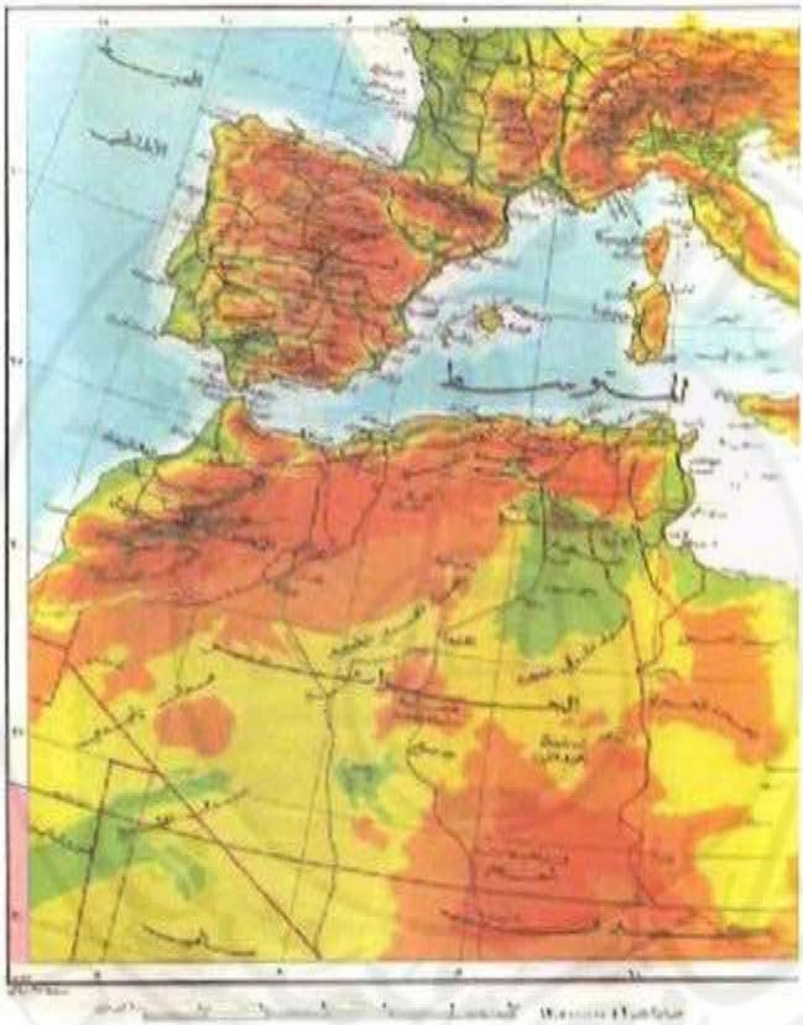

Damascus University

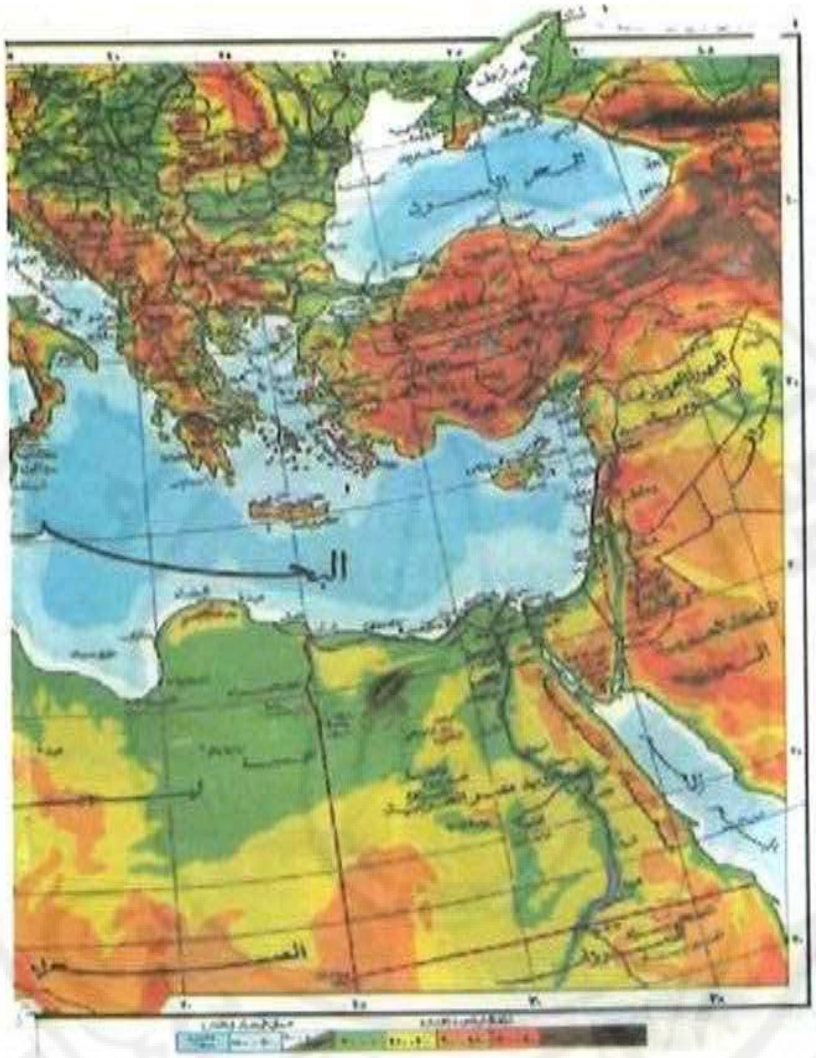

Damascus University

المدقق اللغوي : الدكتور شوقي المعري

حقوق الطبع و الترجمة و النشر محفوظة لمديرية الكتب و المطبوعات